إهـــــداء2005

الأستاذ الدكتور/ أحمد حمدي محمود

القاهرة

تراثنا

كتاب الأغانى

تأليف

أبى الفرج الأصبهانى على بن الحسين

٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الجزء الخامس

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
مع إستدراكات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والارشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتسوماس وشركاه
٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر ت ٩٠٠١١٨
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الخامس

من كتاب الأغانى

ذكر النابغة الجَعْدىّ ونسبه وأخباره

والسبب الذى من أجله قيل[1] هذا الشعر

نسبه وكنيته

هو — على ما ذكر أبو عمرو الشَّيْبانىّ والقَحْذَمىّ، وهو الصحيح، — حِبّان[2] ابن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُدَس[3] — وقيل ابن عمرو بن عُدَس مكان وحوح — ابن رَبيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية ابن بكر بن هَوَازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر. هذا النسب الذى عليه الناس اليومَ مجتمعون. وقد روى آبن الكلبىّ وأبو اليَقْظان وأبو عُبيدة وغيرُهم فى ذلك رواياتٍ تُخالف هذا، فنها أن [آبن][4] الكلبىّ ذكر عن أبيه أن خَصَفة الذى يقول الناس إنه آبن قيس بن عَيْلان ليس كما قالوا، وأن عِكْرِمةَ آبنُ قيس بنِ عَيْلان وخَصَفة أمه، وهى آمرأة من أهل هَجَر. وقيل:

(١) فى م: «قال» والمراد بهذا الشعر ما ورد فى آخر الجزء الرابع من هذه الطبعة ونسب للنابغة.

(٢) كذا فى أسد الغابة (ج ٥ ص ٢) وخزانة الأدب (ج ١ ص ٥١٢) والإصابة (ج ٦ ص ٢١٨) والاستيعاب (ج ١ ص ٣٢٠). وفى جميع الأصول: «حسان».

(٣) عدس: هو بضم العين وفتح الدال، وكذا ضبط كل من آسمه عدس فى العرب إلا عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم فهو وحده بضم العين والدال. (راجع مختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب ص ٤ طبع أوربا).

(٤) التكملة عن م.

بل هى حاضنته ؛ وكان قيس بن عَيْلان قد مات وعكرمة صغير فربّته حتى كبر، ١٢٩/٤ وكان قومه يقولون : هذا عكرمة بن خَصَفة، فبقيت عليه ؛ ومن لا يعلم يقول : عكرمة بن خَصَفة بن قيس ، كما يقال خِنْدِف[1] ، وإنما هى آمرأة وزوجها إليـاس بن مضر . وقالوا فى صَعْصَعة بن معاوية : إن الناقمية[2] بنت عامر ابن مالك ، وهو الناقم[3] ، سُمّى بذلك لأنه انتقم بلطمةٍ لُطِمها ، وهو ابن سعد بن

---

(١) خندف (كزبرج) هى ليلى بنت حلوان بن عمران زوج إلياس بن مضر، وأولادهما : عمرو وهو مدركة وعامر وهو طابخة وعمير وهو قمعة ، وزعموا أن سبب هـذه التسمية أن إلياس خرج مرة فى نجعة فنفرت إبله من أرنب ، فخرج إليها عمرو فأدركها ، وخرج عامر فتصيدها وطبخها ، وانقمع عمير فى الخباء ، وخرجت أمهم ليلى تسرع ، فقال لها إلياس : أين تخندفين؟ فقالت : ما زلت أخندف فى أثركم . فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخندف فذهب لها أسما ولولدها نسبا (شرح القاموس مادة خندف) .

(٢) فى شرح القاموس مادة «نقم» : «والناقمية هى رقاش بنت عامر و بنوها بطن من عبد القيس نسبوا إلى أمهم . وقال ابن الأثير : هى أم ثعلبة وسعد ابنى مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بها يعرفون . وقال الكلبى : تزوج غنم بن حبيب بن كعب بن بكر بن وائل الناقمية وهى رقاش بنت عامر وهى عجوز فقيل : ما تريد منها ؟ فقال : لعلى أتميز منها غلاما فولدت منه غلاما سمى عيز وأنشد الجوهرى لسعد بن زيد مناة :

لقد كنت أهوى الناقيـة حقبة * فقد جعلت آسان وصل تقطع»

الآسان : جمع أسن بضمتين وبالكسر وتسكين السين وكعتل : الحبل . وكتب مصحح شرح القاموس بهامشه ما نصه : «قوله : أتميز كذا بالنسخ وحرره» ولم نجد هذه الكلمة فى مادتها فى الكتب التى بين أيدينا ؛ وقد استقصيناها فوجدنا صوابها فى شرح القاموس فى مادة «غبر» حيث قال : «وتزوج غنم (وفى القاموس عثمان وهو غلط) بن حبيب بن كعب بن بكر بن يشكر بن وائل امرأة مسنة اسمها رقاش بنت عامر فقيل له : إنها كبيرة السن ! فقال : لعلى أتغبر منها ولدا أى أستفيده فلما ولد له سماه غبر كزفر فهو أبو قبيلة» اهـ .

وجاء فى لسان العرب مادة «غبر» ما نصه : «تزوج رجل من العرب امرأة قد أسنت فقيل له فى ذلك فقال : لعلى أتغبر منها ولدا فولدت له غبر، مثل عمر، وهو غبر بن غنم بن يشكر بن بكر بن وائل ، ومعنى أتغبر منها ولدا : أستفيد منها ولدا» اهـ . وقد ورد أيضا فى المشتبه للذهبى ومختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب (ص ٢٣ طبع أوربا) : «غبر (بالغين المعجمة و بالباء الموحدة) بن غنم بن حبيب بن معاذ بن عمرو ابن الحارث بن معاوية بن بكر بن هوازن» اهـ .

(٣) كذا فى شرح القاموس والصحاح للجوهرى (مادة نقم) . وفى جميع الأصول : «مسعود» .

جَدّان[1] بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار، كانت عند معاوية بن بكر بن هَوازن فمات عنها أو طلّقها وهى نَسء[2]، فتزوّجها سعد بن زيد مَنَاة بن تميم، فولدتْ على فراشه صعصعةَ بن معاوية، ثم ولدت هُبَيْرة ونَجْدَة وجُنَادة؛ فلما مات سعد اَقتسم بنوه الميراثَ وأخرجوا صعصعة منه، وقالوا: أنت اَبن معاوية بن بكر؛ فلما رأى ذلك أتى بنى معاوية بن بكر فأقرّوا بنسبه ودفَعوه عن الميراث؛ فلما رأى ذلك أتى سعدَ بن الظَّرِب العَدْوانىّ فشكا إليه ما لقى، فزوّجه بنتَ أخيه عَمْرة بنت عامر بن الظَّرِب، وأبوها عامر الذى يقال له: ذو الحِلْم[3]؛ وعَمْرة ابنتُه هذه هى التى كانت تَقرَع[4] له العصا إذا سها فى الحكم[5]؛ وله يقول الشاعر[6]:

لذى الحِلْمِ قبلَ اليومِ ما تُقرَع العصا ... وما عُلِّم الإنسانُ إلا ليَعْلَمَا

قال: وكانت عَمْرَة يوم زوّجها عمُّها نسئا من ملك من ملوك اليمن يقال له: الغافق بن العاصى الأَزدىّ، والمُلْك يومئذ فى الأَزْد، فولَدت على فراش صعصعة عامرَ بن صعصعة، فسمّاه صعصعةُ عامرًا بجدّه عامر بن الظَّرِب. وقال فى ذلك حبيب بن وائل بن دُهْمان بن نصر بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن:

---

(١) كذا فى شرح القاموس مادة جدد وكتاب مختلف القبائل ومؤتلفها (طبع أوربا ص ٣) وهو قريب لما جاء فى نسخة م من التصحيف فقد ورد فيها: «حدان» بالحاء المهملة. وفى سائر الأصول: «خندف» وهو خطأ. (٢) النسء (بالتثليث): المرأة المظنون بها الحمل، وقيل: التى ظهر حملها. (٣) كذا فى م وهو الموافق لما جاء فى اللسان والقاموس (مادة قرع) ومجمع الأمثال للميدانى (طبع بولاق ج ١ ص ٣٢). وفى سائر الأصول: «الحكم» بالكاف وظاهر أنه تحريف. (٤) قيل: إن أول من قرعت له العصا عمرو بن مالك بن ضبيعة أخو سعد بن مالك الكنانى، وقيل: خالد بن ذى الجدّين حكم ربيعة، وقيل: هو ربيعة بن مخاشن حكم تميم، وقيل: هو عمرو بن حممة الدوسىّ حكم اليمن. (راجع شرح القاموس مادة قرع ومجمع الأمثال للميدانى). (٥) كذا فى م. وفى باقى الأصول: «ولها يقول الشاعر». (٦) نسب هذا البيت فى اللسان وشرح القاموس (مادة قرع) الى المتلمس.

أزعمتَ أنّ الغـافقىّ أبوكم * نسبٌ لَعَمْرُ أبيك غيرُ مُفنَّدِ[1]
وأبوكم مِلكٌ يُنتِّفُ بآسـته * هَلْباء[2] عافيةً كعُرف الهُدْهُدِ
جَنَحتْ عجوزُكُمُ إليه فردّها * نسـئًا بعامركم ولمّا يُويدِ

ويكنى النابغةُ أبا ليلى .

وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلّام قال :

هو قيس بن عبـد الله بن عُدَس بن ربيعة بن [جَعدة[3] بن كعب بن ربيعة بن عامر بن] صعصعة . وقال ٱبن الأعرابىّ : هو قيس بن عبدالله بن عمرو بن عُدَس ابن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة ، ووافق ابنَ سلّام فى باقى نسبه[4] . وهذا وَهْمٌ ممن قال : إن ٱسمه قيس[5]، وليس يُشَـكّ فى أنه كان له أخ يقال له وَحْوَح بن قيس ، وهو الذى قتله بنو أسد، وخبره يُذكر بعد هذا ليصدق نسب النابغة .

وأمه فاخرة بنت عمرو بن جابر بن سُحْمة الأسدىّ .

سبب لقبه النابغة

وإنمـا سمّى النابغةَ لأنه أقام مدّةً لا يقول الشعر ثم نبَغ فقاله .

---

(١) مفند : مكذب . (٢) هلباء : كثيرة الشعر ؛ يقال : رجل أهلب وامرأة هلباء . والهلباء صفة غالبة على الأست . وعافية : طويلة الشعر غزيرته ؛ يقال : عفا شعر البعير اذا طال وكثر فغطى دبره ؛ وفلان عفا شعره وأعفاه : تركه حتى طال وكثر . (٣) التكملة عن م وطبقات الشعراء لابن سلام (ص ٢٦ طبع ليدن) . (٤) كذا فى م . وفى سائر النسخ : «فى بعض نسبه» .
(٥) ورد فى كتاب المعمرين لأبى حاتم السجستانى (ص ٧١ طبع ليدن) أن اسمه قيس بن عبد الله . وقد استدل المؤلف على بطلان قولهم بأن له أخا يسمى وحوح بن قيس ، واذا فقيس اسم أبيه لا اسمه . قال فى الإصابة : «ويحتمل أن يكون أخاه لأمه» . ولعل مصـدر هذا الاحتمال قول النابغة :

ألم تعـلمى أنى رزئت محاربا * فما لك منه اليـوم شىء ولا ليا
ومن قبـله ما قد رزئت بوحوح * وكان "ابن أمى" والخليل المصافيا

والتعبير عن الأخ بابن الأم يحتمل معـه أن يكون الأخوان لأب واحد أو لأبوين . وذكر ٱبن قتيبـة فى كتابه طبقات الشعراء (ص ١٥٨ طبع ليدن) مانصه : «هو عبد الله بن قيس من جعدة ... الخ» .

أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على القَحْذَمىّ :
قال الجعدىّ الشعرَ فى الجاهلية ثم أَجْبَلَ[١] دهرا ثم نَبَغ بعدُ فى الشعر فى الإسلام .

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار عن محمد بن حبيب عن آبن الأعرابىّ قال :
أقام النابغة الجعدىّ ثلاثين سنة لا يتكلّم ، ثم تكلّم بالشعر .

عمره وشعره فيه

قال القَحْذَمىّ فى رواية حمّاد عنه : كان الجعدىّ أسنّ من نابغة بنى ذُبيان .
قال آبن سلّام فى رواية أبى خَليفة عنه : كان الجعدىّ[٢] النابغةُ قديما شاعرا طويلا مُفلِقا طويل البقاء فى الجاهلية والإسلام ، وكان أكبر من الذُّبيانىّ ، ويدلّ على ذلك قولُه :

ومن يكُ[٣] سائلًا عنّى فإنى * من الفِتيان أيامَ الخُنانِ[٤]
أتت مائةٌ لعامَ وُلدتُ فيه * وعَشْرٌ بعد ذاك وحِجّتانِ
فقد أبقتْ خطوبُ الدّهرِ منّى * كما أبقتْ من السيفِ اليمانى

١٣٠
٤

[[٥]قال وعُمِّر بعد ذلك عُمرًا طويلا . سُئل محمد بن حبيب عن أيام الخُنان ماهى؟ فقال : وقعةٌ لهم؛ فقال قائل منهم وقد لقُوا عدوّهم : خُنوهم[٦] بالرماح ، فسُمّى ذلك

(١) أجبل الشاعر : صعب عليه القول . (٢) عبارة ابن سلام فى كتابه طبقات الشعراء (ص ٢٦) : «وكان النابغة شاعرا قديما مفلقا فى الجاهلية والاسلام وكان .. الخ» . (٣) ورد هذا الشطر فى كتاب الشعر والشعراء (ص ١٦٢) وشرح القاموس مادة خنن هكذا :

* ومن يحرص على كبرى فانى *

(٤) الخنان (كغراب) : داء يأخذ الطير فى حلوقها وفى العين وزكام للإبل ، وزمن الخنان كان فى عهد المنذر بن ماء السماء ، قال الأصمعىّ : كان الخنان داء يأخذ الإبل فى مناخرها وتموت منه ، فصار ذلك تاريخا لهم . (٥) هذا الخبر الموضوع بين قوسين مذكور فى حـ ، م دون سائر الأصول .
(٦) خنوهم : اقطعوهم .

العامُ الحُنانَ . ويدل على أنه أقدم من النابغة الذبيانىّ أنه عُمِّر مع المُنذر بن المُحرِّق قبل النعمان بن المنذر، وكان النابغة الذبيانىّ مع النعمان بن المنذر وفى عصره، ولم يكن له قِدَمٌ إلا أنه مات قبل الجَعْدىّ، ولم يُدرِك الإسلام . والجعدىّ الذى يقول :

تذكَّرتُ شيئًا قد مضَى لسبيلِهِ * ومِنْ عادةِ المحزونِ أن يتذكَّرا
ندامایَ عند المُنذر بنِ مُحرِّقٍ * أرى اليومَ منهم ظاهرَ الأرض مُقفِرا
كُهولٌ وفِتيانٌ كأنّ وجوهَهم * دنانيرُ ممّا شِيفَ[1] فى أرضِ قَيصَرا]

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى عبدالله بن محمد بن حكيم عمن كان يأخذ العلمَ عنه ولم يُسمِّ إلىّ أحدا فى هذا[2] : أن النابغة عُمِّر مائة وثمانين سنة، وهو القائل :

لبِستُ أُناسًا فأفنيتُهم * وأفنيتُ بعد أُناسٍ أُناسا
ثلاثةَ أهلِينَ أفنيتُهم * وكان الإلهُ هو المُستآسا[3]

وهى قصيدة طويلة، يقول فيها، وفيه غناء، :

صــوت

وكنتُ غلامًا أُقاسى الحُرو * بَ يَلْقَى المُغاسون منّى مِراسا
فلمّا دَنَونا لجَرْسِ[4] النُّبا * حِ لم نعرِفِ الحىَّ إلا التماسا
أضاءتْ لنا النّارُ وجهًا أغرّ * مُلتبسا بالفُؤادِ التباسا

غنّى فى هذه الثلاثة الأبيات فُلَيح بن أبى العَوراء خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى .

---

(١) كذا فى جمهرة أشعار العرب، وشاف الدينار أو السيف : جلاه . وفى م ، ح ، المذكور فيهما هذا الخبر : « سيق » بالسين والقاف ، وهو تحريف .
(٢) كذا فى م . وفى باقى الأصول : «ولم يسم أحدا إلا فى هذا» .
(٣) المستآس : المستعاض والمستعان، من الأوس، وهو العوض والعطية .
(٤) جرس النباح : صوت نباح الكلاب .

رجع الخبر إلى رواية عمرَ بن شبّة :

قال : وقال أيضا :

أَلا زعمتْ بنُو سعدٍ بأنّى ــ أَلَا كذَبوا ــ كبيرُ السنّ فانِى
أتتْ مائةٌ لعامَ وُلدتُ فيه * وعشرٌ بعد ذاك وحِجّتانِ

قال : وأنشد عمرَ بنَ الخطاب رضى الله تعالى عنه أبياتَه التى يقول فيها :

* ثلاثةَ أهلينَ أفنيتُهم *

فقال له عمر رضى الله تعالى عنه : كم لبثتَ مع كل أهل؟ قال : ستين سنة .

سمع أعجمىّ شعره فقال إنه مشئوم

وأخبرنى بعض أصحابنا عن أبى بكر بن دُريد عن عبدالرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن عمّه قال :

أنشد رجلٌ من العجم قولَ النابغة الجعدىّ :

لبستُ أُناسًا فأفنيتُهم * وأفنيتُ بعد أُناسٍ أناسا

قيل إنه عاش ٢٢٠ سنة

وفُسّر له ، فقال : "بدين شان بود"، أى هذا رجل مشئوم . وأما ابن قُتيبة فإنه ذكر ما رواه لنا عنه إبراهيم بن محمد أنه عُمّر مائتين وعشرين سنة ، ومات بأَصْبهان . وما ذاك بمُنكَر،[1] لأنه قال لعمر رضى الله تعالى عنه : إنه أفنى ثلاثةَ قرون كلّ قرن ستون سنة ، فهذه مائةٌ وثمانون ، [ثم عُمّر[2] بعده فمكث بعد قَتْل عمر خلافةَ عثمان وعلىّ ومعاوية ويزيد ، وقدم على عبد الله بن الزبير بمكة وقد دعا لنفسه ، فاستماحه ومدَحه ، وبين عبد الله بن الزبير وبين عمر] نحوٌ مما ذكر ابنُ قتيبة ، بل

(١) كذا فى م . وفى باقى الأصول : «إلا أنه ... الخ» وهو تحريف . (٢) هذا ما ورد فى م . وفى باقى الأصول : «ثم عمر بعدهم فمكث بعد قتل عمر الى خلافة عثمان ... ... وبين هؤلاء وعمر نحو ... ... الخ» .

لا أشك أنه قد بلغ هذه السنّ وهاجى أَوْسَ بن مَغْراء بحضرة الأخطل والعجّاج وكعب بن جُعَيل فغلبه أوسٌ، وكان مُغَلَّباً[(١)].

أنشد النبي شعرا فدعا له

حدّثنا أحمد بن عمر بن موسى القَطّان المعروف بآبن زَنْجَوَيْهِ قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله السكّرىّ قال حدّثنا يَعْلَى بن الأَشْدق العُقَيلىّ قال حدّثنى نابغة بنى جَعْدة قال :

أنشدتُ النبيّ صلى الله عليه وسلم هذا الشعرَ فأُعجِب به :

بلغنا السماء مَجدُنا وجدودُنا[(٢)] * وإنا لَنَبْغِى فوقَ ذلك مَظْهَرَا

فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "فأين المَظْهَرُ يا أبا ليلى"؛ فقلت: الجنة؛ فقال : "قل إن شاء الله"؛ فقلت : إن شاء الله . ١٣١/٤

ولا خَيْرَ فى حِلْمٍ إذا لم يكن له * بَوادِرُ تَحْمِى صَفْوَه أن يُكَدَّرَا

ولا خيرَ فى جهلٍ إذا لم يكن له * حَليمٌ إذا ماأَوْرَدَ الأمرَ أَصْدَرَا

فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "أَجَدْتَ لا يَفْضُضِ اللهُ فاك"؛ قال : فلقد رأيته وقد أتت عليه مائة سنة أو نحوُها وما انفضّ من فِيهِ سِنّ .

أنكر الخمر فى الجاهلية وهجر الأزلام والأوثان

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرنى أبو حاتم قال أخبرنا أبو عُبَيدة قال :

---

(١) يقال : شاعر مغلب أى كثيرا ما يغلب .

(٢) فى جمهرة أشعار العرب (طبع مطبعة بولاق الأميرية) :

بلغنا السما مجدا وجودا وسوددا * وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وفى اللسان (مادة ظهر) :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا * ... ...

كان النابغة الجَعْدىّ ممن فكّر فى الجاهلية وأنكر الخمرَ والسُّكر ومايفعل بالعقل، وهجر الأزلام[(١)] والأوثان[(٢)]، وقال فى الجاهلية كلمتَه التى أولها :

الحمــد لله لا شريكَ لَهُ * من لم يقُلْها فنفسَه ظلَمَا

وكان يذكر دين إبراهيم والحنيفيّة، ويصوم ويستغفِر، ويتوقّى[(٣)] أشياء لعواقبهـا .

وفد على النبى وأسلم

ووفَد على النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال :

أتيتُ رسولَ الله إذ جاء بالهُـدى * ويتــلو كتاباً كالمجَرّة[(٤)] نَـيِّرَا

وجاهدتُ حتى ما أُحِسّ ومن معى * سُهَيــلًا إذا مالاح ثُمّتَ غَـوّرَا

أُقيم على التقــوى وأرضى بفعلها[(٥)] * وكنتُ مِنَ النار المَخُوفة أَوْجَرَا[(٦)]

وحسُن إسلامُه، وأنشد النبيَّ صلى الله عليه وسلم؛ فقال له : " لا يَفْضُضِ اللهُ فاك"؛ وشهِد مع علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه صِفِّينَ . وقد ذُكِر خبره [مع عمر رضى الله عنه، وأما خبره][(٧)] مع عثمان فأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال مَسْلَمة بن مُحارِب :

---

(١) الأزلام : قداح كانت فى الجاهلية مكتوب عليها الأمر والنهى : افعل ولا تفعل، كان الرجل منهم يضعها فى وعاء له، فاذا أراد أمرا مهما من سفر أو زواج، أدخل يده فأخرج منها زلما (الزلم بفتحتين أو بضم ففتح) فان خرج الأمر مضى لشأنه، و إن خرج النهى كف عنه ولم يفعله . (٢) الوثن : الصنم ما كان، وقيل : الصنم الصغير، وقال ابن الأثير : الوثن كل ماله جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمىّ تعمل وتنصب فتعبد، والصنم : الصورة بلا جثة، ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقهما على المعنيين . (٣) كذا فى م . وفى باقى الأصول : «يتوقع»، وهو تحريف . (٤) المجرة : نجوم كثيرة لا تدرك بمجرّد البصر و إنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء . (٥) كذا فى م وهو الموافق لما فى الإصابة . وفى باقى الأصول : «بفعله» . (٦) أوجر : خائف، يقال : وجر من الشىء إذا خاف، وبابه كفرح، والوصف منه وجر وأوجر . (٧) التكملة عن م .

استأذن عثمان فى سكنى البادية

دخل النابغة الجعدىّ على عثمان رضى الله تعالى عنه فقال : أستودعك الله يا أمير المؤمنين ، قال : وأين تريد يا أبا ليلى ؟ قال : ألحق بإبلى فأشرب من ألبانها فإنى مُنكِر لنفسى ، فقال : أتعرّبًا[1] بعد الهجرة يا أبا ليلى ! أمَا علمتَ أن ذلك مكروه ؟ ! قال : ما علمتُه ، وما كنت لأخرج حتى أُعلِمَك . قال : فأذن له ، وأجّل له فى ذلك أجلا ، فدخل على الحسن والحسين ابنى علىّ فودّعهما ، فقالا له : أنشِدْنا من شعرك يا أبا ليلى ، فأنشدهما :

الحمدُ لله لا شريكَ لهُ * من لم يقُلْها فنفسَه ظلَمَا

فقالا : يا أبا ليلى ، ما كنا نروى هذا الشعرَ إلا لأُميّة بن أبى الصّلت ، فقال : يا ابنَىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى لصاحبُ هذا الشعر وأوّل من قاله ، وإن السَّروقَ[2] لَمَن سرَق شعرَ أُمية .

كان مغلبا ما هاجى قط إلا غلب

قال أبو زيد عمرُ[3] بن شَبّة فى خبره :

كان النابغة شاعرا متقدّما ، وكان مغلَّبا ماهاجى قطّ إلا غُلِب ، هاجى أوسَ ابن مَغْراء وليلى الأخيليّة وكعبَ بن جُعَيل فغلبوه جميعا .

مهاجاته أوس ابن مغراء

وقال أبو عمرو الشّيبانىّ : كان بدءُ حديث النابغة وأوس بن مغراء أنّ معاوية لما وجّه بُسْرَ بن أرْطاة[4] الفِهْرىّ لقتل شيعة علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ،

---

(١) يقال : تعرّب الرجل : صار أعرابيا بعد أن كان عربيا وفى الحديث : ثلاث من الكبائر : منها التعرّب بعد الهجرة وهو أن يعود الى البادية و يقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجرا . (٢) فى م : « إن السروق عين السروق من ... » . (٣) فى الأصول : « قال أبو زيد قال عمر ... الخ » بزيادة « قال » وهو خطأ ، اذ أبو زيد كنية عمر بن شبة . وفى م : « قال أبو زيد فى خبره » بدون « عمر بن شبة » . (٤) فى أسد الغابة « وقيل : ابن أبى أرطاة » ومثله فى طبقات ابن سعد . وفى الاستيعاب : « بسر بن أرطاة بن أبى أرطاة » وهو أحد من بعثه عمر بن الخطاب مددا لعمرو بن العاص لفتح مصر وشهد صفين مع معاوية وكان شديدا على علىّ وأصحابه .

قام إليه معنُ بن يزيد بن الأخنس السُّلَمِيّ وزياد بن الأشهب بن وَرْد بن عمرو ابن رَبيعة بن جَعْدة، فقالا : يا أمير المؤمنين، نسألك بالله وبالرحم ألّا تجعل لبُسْر

١٣٢ / ٤ على قيس سلطانا، فيقتل قيسا[1] بمن قتلتْ بنو سُلَيم من بني فِهْر وبني كِنانة يومَ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة؛ فقال معاوية : يا بُسر لا أمْرَ[2] لك على قيس؛ وسار بسرٌ حتى أتى المدينة، فقتل ابنَي[3] عبيد الله بن العباس، وفرّ أهل المدينة ودخلوا الحرّة (حرّةَ بني سُلَيم) . ثم سار بُسر حتى أتى الطائف، فقالت له ثقيف: ما لك علينا سلطان، نحن من قيس؛ فسار حتى أتى هَمْدان وهم في جبل لهم يقال له شِبَام، فتحصّنت فيه همدان، ثم نادَوْا : يا بُسر نحن هَمْدان وهذا شِبَام، فلم يلتفت إليهم؛ حتى إذا اغترّوا ونزلوا إلى قُراهم، أغار عليهم فقتل وسبى نساءهم؛ فكنّ أوّلَ مسلمات سُبِينَ في الإسلام . ومرّ بحيّ من بني سعد نُزُولٍ بين ظَهْرَيْ بني جَعْـدة بالفَلَج[4]، فأغار بُسر على الحيّ السّعديّين فقتل منهم وأسر؛ فقال أَوْس ابن مَغْراء في ذلك :

مُشَرِّين ترعَوْن النَّجيل وقد غدتْ * بأوصال قتلاكم كلابُ مُزاحِمِ

ـــ المُشَرّ : الذى قد بسَط ثوبه في الشمس . والنجيل : جنس من الحَمْض. ـــ

فقال النابغة يجيبه :

---

(1) كذا في م . وفي باقي الأصول : «فيجعل قيسا ...» وهو تحريف . (2) في م : "لا إمرة على قيس ... الخ" . (3) في الطبري والمعارف لابن قتيبة أن قتلهما كان باليمن . وقد كان أبوهما واليا عليها من قبل عليّ ، فلما طلعه مسير بسر فرّ إلى الكوفة ، فكان من أمر ابنيه الطفلين ما ذكر . (4) الفلج (بالتحريك) : موضع لبني جعدة بن قيس بنجد ، وهو شرقي على بلاد قيس ، وفيه قال الراجز :

نحن بنو جعدة أرباب الفلج * نضرب بالبيض ونرجو بالفرج

(راجع معجم ما استعجم ج ٣ ص ٧١٤) .

متى أكلتْ لحُـومكمُ كِلابى * أكلتَ يديك من جَرَبٍ تَهَامِ[1]

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب مما أجاز لنـا روايتَه عنـه من حديثه وأخباره مما ذكره منها عن محمد بن سلّام الجُمَحىّ عن أبى الغَرّاف، وأخبرنا به أحمد ابن عبد العزيز وحَبيب بن نَصر، قالا حدّثنا عمر بن شَبّة [عن محمد بن سلّام][2] عن أبى الغَرّاف[3]:

أن النابغة هاجى أوسَ بن مَغْراء، قال: ولم يكن أوس مثـلَه ولا قريباً منه فى الشـعر، فقال النابغة: إنى وإياه لَنبتَدِر بيتاً، أيُّنا سبَق إليه غَلَب صاحبَه، فلما بلَغه قولُ أوس:

لَعَمْرُكَ ما تَبْلَى سَرابيـلُ عَامِرٍ * من اللؤم ما دامتْ عليها جلودُهَا

قال النابغة: هذا البيت الذى كنّا نَبتدِر إليه. فغُلِّبَ أوسٌ عليه.

قال أبو زيد[4]: فحدّثنى المدائنىّ أنهما اجتمعا فى المِرْبَد[5] فتنافرا وتهاجيا، وحضَرهما العَجّاجُ والأخطل وكعب بن جُعَيل، فقال أَوْس:

---

(١) تهام: منسوب إلى تهامة. ويجوز فى النسبة الى تهامة تِهامىّ (بكسر التاء وتشديد الياء) وتَهام (بفتح التاء وحذف الياء) كيَمان وشآم، أى اذا فتحت التاء حذفت الياء. وقال سيبويه: ومنهم من يقول: تَهامىّ ويمانىّ وشآمىّ بالفتح والتشديد. والألف فى تَهام (بفتح التاء وحذف الياء) أصلية وفى يمان وشآم عارضة. وقيـل: إن تَهاميا (بتخفيف الياء) منسوب إلى تَهـم بمعنى تهامة، فلما حذفت إحدى الياءين عوّضت عنها الألف. وعلى هذا تكون الألف عارضة فى الكل. (٢) التكملة عن م. إذ لم نجد فى المراجع التى بين أيدينا أنّ عمر بن شبة يروى عن أبى الغرّاف وانما الذى يروى عنه هو محمد بن سلام. (٣) كذا فى م، ج (بالغين المعجمة)، وهو الموافق لما فى طبقات الشعراء للجمحىّ ص ٨١ والنقائض ص ٢٤٠)، وهو أبو الغرّاف الضبىّ. وفى باقى الأصول: «العرّاف» بالعين المهملة، وهو تصحيف. (٤) فى م: «قال ابن دريد فحدّثنى أبو زيد أنهما ...». (٥) المربد (كمنبر): موضع بالبصرة كان مجتمعا للقوم.

لمّا رأتْ جَعدةُ منا وِرْدًا[1] * ولَوْا نَعامًا[2] فى البلاد رُبْدًا[3]

إنّ لنا عليكُمُ مَعَدًّا[4] * كاهلَها وركنَها الأَشَدّا

فقال العجاج : * كلّ آمرِئٍ يَعْدو بما آستعدّا *

وقال الأخطل يُعين أوسَ بن مغراء ويحكّم له :

وإنى لقاضٍ بين جَعدةِ عامرٍ * وسَعدٍ قضاءً بيّنَ الحقّ فَيْصلا

أبو جعدةَ الذئبُ الخبيثُ طَعامُه * وعَوفُ بن كعبٍ أكرمُ الناس أوّلَا

وقال كعبُ بن جُعَيل :

إنّى لقاضٍ قضاءً سوف يتبعه * مَنْ أَمَّ قصدًا ولم يَعدِل إلى أَوَدِ[5]

فَصْلًا من القول تأتمّ القضاةُ به * ولا أجُور ولا أبغِى على أحدِ

ما كتْ بنو عامرٍ[6] سعدًا وشاعرَها * كما تَميك بنو عَبْس بنى أسدِ

مهاجاته ليلى الأخيلية

وقال أبو عمرو الشيبانىّ : كان سبب المهاجاة بين ليلى الأخيليّة وبين الجعدىّ

١٣٣/٤ أنّ رجلا من قُشَير - يقال له آبن الحَيَا (وهى أمه) وآسمه سَوّار بن أَوْفَى بن سَبْرة -

هجاه وسبّ أخوالَه من أَزْد فى أمرٍ كان بين قُشير وبين بنى جَعْدة وهم بأصبهان

---

(١) الورد (بالكسر) : الجيش ، وهو أيضا الإشراف على الماء وغيره دخله أو لم يدخله .

(٢) فى م : «فى الفلاة» . (٣) ربدا : جمع ربداء وهى من النعام ما كان لونها سوادا مختلطا ، وقيل : ما كان كله سوادا ، وقيل : ما كان بين السواد والغبرة . (٤) معدّ : أبو حىّ من العرب . وإلى معد ينتسب أوس بن مغراء ، وبهذا النسب يفخر على النابغة . وكاهل القوم : معتمدهم فى الملمات وسندهم فى المهمات ، وهو مأخوذ من كاهل الظهر لأن عنق الفرس يتساند إليه إذا أحضر . قال الشاعر :

حصنين كانا لمعدّ كاهلا * ومنكبين اعتليا التلاتلا

ويعنى بالحصنين ربيعة ومضر وهما عمدة أولاد معدّ كلهم . (٥) الأود : العوج . (٦) فى م : «بنو عمرو» .

متجلورون، فأجابه النابغة بقصيدته التى يُقال لها الفاضحة — سُمّيت بذلك لأنه ذكر فيها مساوىَ قُشير وعُقيل وكلّ ما كانوا يُسبّون به، وفخر بمآثر قومه وبما كان لسائر بطون بنى عامر سوى هذين الحيّين من قُشير وعُقيل — :

جَهِلتَ علىّ ٱبنَ الحيا وظلمتَنى * وجَمّعت قولًا جاء بيتًا مُضلّلا

وقال فى هذه القصّة أيضا قصيدتَه التى أوّلها :

إمّا تَرَىْ[1] ظُلَلَ الأيّامِ قد حَسَرَتْ * عنّى وشَمّرتُ ذَيلًا كان ذَيّالا[2]

وهى طويلة، يقول فيها :

ويومَ مكّةَ إذْ ماجَدْتُمُ[3] نَفَرًا * حامُوْا[4] على عُقَدِ الأحسابِ أزْوالا[5]

عند النّجاشىّ إذ تُعطون أيديَكم[6] * مُقرَّنين ولا تَرجُون إرْسالا

إذ تَستحِبُّونَ[7] عند الحَذْلِ أنّ لكم * مِنْ آلِ جَعْدةَ أعمامًا وأخوالا

لو تستطيعون أنْ تُلقوا جُلودَكمُ * وتجعلوا جِلْدَ عبد الله سِرْبالا

— يعنى عبدَ الله بن جَعدة بن كعب —[8]

---

(١) هذا شرط جوابه فى البيت الذى يلى هذا البيت وهو :

وعمتنى مقايا الدهر من قضُن * فقد أقنع ذا فرقين ميالا

وهذا البيت مذكور ضمن قصيدة طويلة فى نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية بعنوان « شعر النابغة الجعدى » ضمن مجموعة تحت رقم ١٨٤٥ أدب .

(٢) ذيل ذيال : طويل . (٣) ماجدتم : فاخرتم وسابقتم فى المجد . (٤) يقال : حامى عن الشىء اذا دافع عنه ، وحمى عليه اذا احتفل له . قال الشاعر :

حاموا على أضيافهم فشووا لهم * من لحم منقية ومن أكباد

فيحتمل هنا أن يكون المراد المعنى الأول وتكون " على " بمعنى " عن "، أو المعنى الثانى ويكون معنى الاحتفال بعقد الأحساب (وهى الأواصر التى تربط ذوى الأرحام بعضهم ببعض) هو القيام بما تقتضيه من نصر من يتصل بهم والدفاع عنه . (٥) أزوال : جمع زول ، وهو الفتى الخفيف الظريف والجواد. (٦) إعطاء اليد : كناية عن الانقياد والمذلة . ومقرنين : مشدودين فى القرن وهو الحبل . (٧) كذا فى النسخة المخطوطة المذكورة . وفى جميع الأصول : «تستحقون» . (٨) هو عبد الله ابن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة خال النابغة الجعدى (راجع النسخة المذكورة) .

إذَا تسَرْبلتمُ فيه لِيُنجيكم * مِمّا يقولُ ابنُ ذى الجَدّين إذ قَالا
حتّى وهبتم لعبد الله صاحبَه * والقولُ فيكم بإذن الله ما قالا(١)
تلك المكارمُ لاقَعْبانِ(٢) من لبنٍ * شِيبا(٣) بماءٍ فعادَا بعدُ أبوالا

يعنى بهذا البيت أن ابن الحيَا فخر عليه بأنهم سقَوا رجلًا من جَعدة أدركوه فى سفر وقد جهِد عطشًا لبنًا وماءً فعاش .

وقال فى هذه القصّة أيضا قصيدتَه التى أوّلها :

أبلغ قُشَيرًا والحَرِيشَ(٤) فما * ذا ردّ فى أيديكم شتمى

وفخر عليهم بقتل عَلقمة الجُعْفىّ يوم وادى نِسَاح(٥) وقتل شَرَاحِيل(٦) بن الأصهب الجُعْفىّ، وبيوم رَحْرَحان(٧) أيضا، فقال فيه :

هلّا(٨) سألتَ بيومَىْ رَحْرحان وقد * ظنّتْ هوازنُ أنّ العِزّ قد زَالا

---

(١) قال : أخطأ . وفى الأصول : «قال» . ولعل ما رجحناه هو الصواب . (٢) روى صاحب العقد الفريد هذا البيت ضمن أبيات لأبى الصلت والد أمية بن أبى الصلت يمدح بها سيف بن ذى يزن مطلعها :

لم يدرك الثأرَ أمثال ابن ذى يزن * لجج فى البحر للأعداء أحوالا

(صوابه : ليطلب الثأر) . ومثله فى معجم البلدان لياقوت فى كلامه على غمدان والشعر والشعراء فى ترجمة أمية بن أبى الصلت (ص ٢٧٩ — ٢٨٢ طبع أوربا) وابن جرير الطبرى (طبع أوربا قسم ٣ ص ٩٥٦) . (٣) شيبا : خلطا . (٤) كذا فى س "الحريش" (بالحاء المهملة) وكذلك صححه المرحوم الشيخ الشنقيطى فى نسخته، وهو الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وفى باقى الأصول : «الجريش» بالجيم المعجمة، وهو تصحيف . (راجع القاموس وشرحه مادة حرش وكتاب الاشتقاق لابن دريد) . (٥) وادى نساح (بكسر النون) : باليمامة . (٦) أو هو شرحبيل (عن القاموس مادتى شراحيل وشرحبيل) . (٧) رحرحان : جبل قريب من عكاظ خلف عرفات، قيل : هو لغطفان، وكان للعرب فيه يومان سيأتى كلام عليهما فى هذا الجزء . (٨) فى النسخة المخطوطة : « نحن الفوارس يومى ... الخ » .

فلما ذكر ذلك النابغة قال :

تلك المكارم لا قَعبانِ من لبنٍ * شِيبَا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالَا

ففخر بما لَه وغَضَّ مما لهم . ودخلت ليلى الأخيلية بينهما فقالت :

وما كنتُ لو قاذفتُ(١) جِلّ عَشيرتى * لأذكُر قَعْبَىْ حازِرٍ(٢) قد تَثَمَّلا

وهى كلمة(٣) . فلما بلغ النابغةَ قولُها قال :

ألَا حَيِّيا ليلَى وقُولَا لها هَلَا(٤) * فقد رَكِبتْ أيْرًا(٥) أغرَّ مُحَجَّلَا

وقد أكلتْ بقلًا(٦) وخِيمًا نباتُه * وقد شَرِبتْ من آخر الصيف أُيَّلا(٧)

— يعنى ألبان الأُيَّل —

---

(١) كذا فى كتاب أشعار النساء (تأليف أبى عبدالله محمد بن عمران المرزبانى ج ٣ ص ٢ المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ أدب ش) . وفى الأصول : «فارقت» . (٢) كذا فى حـ والحازر : اللبن الحامض . وفى ب و س : «خازر» (بالخاء المعجمة) . وتمّل : صار كَثَّلا من الرغوة ، والثمالة : الرغوة . (عن كتاب أشعار النساء) (٣) المراد بالكلمة هنا القصيدة ، يقال : قال الشاعر كلمة أى قصيدة . (٤) هلا : كلمة زجر ، تزجر بها الإناث من الخيل اذا أنزى عليها الفحل لتقر وتسكن . (٥) كذا فى كتاب أشعار النساء . وفى جميع الأصول : «أمرا» بالميم ، وظاهر أنه تحريف . (٦) فى م : «الليل» . (٧) كذا فى حـ ، م . والأيل (وزان سيد وميت) : الذكر من الأوعال ، أو هو ذو القرن الأشعث الضخم مثل الثور الأهلىّ . والمراد : إذا شربت ألبانه ، كما قال المؤلف . وكانوا يزعمون أن ألبان الأيل تغلم شاربها . قال أبو الهيثم : هذا محال ، ومن أين توجد ألبان الأيايل ! وذهب الى أن الأيل (بضم الهمزة) : الألبان الخاثرة ، يقال : آل اللبن يؤول أولا وإيالا اذا خثر فاجتمع بعضه الى بعض ، فالوصف للواحد آئل والجمع أيل ، وقيل : ان اللبن الآئل مما يسمن ويغلم . واعترض على هذا التفسير بأن فعلا يكون جمعا لفاعل اذا كان وصفا لحيوان ؛ فأجيب بأن ذلك هو الغالب الكثير . واعترض أيضا بأنه كان ينبغى أن يكون أوّلا ، لأنه واوى العين ؛ فأجيب بأن سيبويه أجاز الإعلال فى مثله ، نحو صيم وقيم فى صوّم وقوّم . وقال أبو منصور فى تفسير الأيل : «هو البول الخاثر بالنصب (يريد بفتح الهمزة) من أبوال الأروية اذا شربته المرأة اغتلمت» . وفى سائر الأصول : «أبلا» بالباء الموحدة ، وهو تصحيف .

دَعى عنكِ تَهجاءَ الرجال وأَقْبِلى * على أَذْلَغِىٍّ[1] يملأُ آستَكِ فَيْشَلَا

١٣٤ / ٤ وكيف أُهاجى شاعرًا رُمحه آستُه * خَضيبَ البَنانِ لا يزال مُكَحَّلَا

فردّت عليه ليلى الأخيليّة فقالت :

أنابغَ لم تَنْبَغ[2] ولم تكُ أوّلا * وكنتَ صُنَيًّا بين صُدَّيْن مَجْهَلا[3]

— الصُنَىّ : شِعْب صغير يسيل منه الماء . وصُدّان : جبلان —

أنابغَ إن تَنبغ بلؤمك لا تجِدْ * للؤمك إلّا وَسْطَ جَعْدَةَ مَجْعَلَا

تُعيّرنى داءً بأمّك مثلُه * وأىّ حَصَانٍ[4] لا يُقال لها هَلَا

فغلبتْه . فلما أتى بنى جعدة قولُها هذا ، اجتمع ناس منهم فقالوا : والله لنأتينّ صاحبَ المدينة ، أو أميرَ المؤمنين ، فليأخذَنّ لنا بحقّنا من هذه الخبيثة ، فإنها قد شتَمتْ أعراضنا وافترتْ علينا ، فتهيّئوا لذلك ؛ وبلغها أنهم يريدون أن يستعدُوا عليها ، فقالت :

---

(١) الأذلغىّ (بالذال والغين المعجمتين) : الصخم الطويل من الأيور ، قيل : هو منسوب الى أذلغ بن شدّاد من بنى عبادة بن عقيل وكان نكاحا . وفى الأصول : «أدلغىّ» بالدال المهملة والغين ، وهو تحريف ، والتصويب عن اللسان وشرح القاموس فى مادّة ذلغ وقد وضعه القاموس فى مادة دلع (بالدال والعين المهملتين) وخطأه شارحه .

(٢) نبغ فى الشعر : أجاده ، وهو بفتح عينه فى الماضى وتثليثها فى المضارع .

(٣) المجهل كمقعد : أرض لا يهتدى فيها ، لا يثنى ولا يجمع .

(٤) كذا فى م . وفى كتاب أشعار النساء للمرزبانى : «وأىّ جواد لا يقال لها هلا» ، والجواد يطلق على الأنثى أيضا . وفى سائر الأصول : «وأى نجيب لا يقال له ...» . وقد آثرنا ما فى م لقول اللسان (مادة هلا) : « ... هلا زجر للخيل وقد يستعمل للإنسان ... » واستشهد بالبيت كما ورد فى م . وعلى هذا تكون الحصان (بفتح الحاء) المرأة العفيفة .

أتانى من الأنباء أنّ عشيرةً * بشَوْرانَ[1] يُزْجون المطىّ المُذَلَّلا[2]

يروح ويغدو وفدُهم بصحيفةٍ * ليَستجلِدوا لى، ساء ذلك مَعْمَلا

وقد أخبرنى ببعض هذه القصّة أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة فجاء بها مُختلِطة، وهذا أوضح وأصحّ .

يوم وادى نساح

قال أبو عمرو : فأما ما تَفخر به النابغةُ من الأيام، فمنها يوم عَلْقمةَ الجُعْفىّ، فإنه غَدَا فى مَذْحِج ومعه زُهَير الجعفىّ، فأتى بنى عُقَيل بنِ كعب[3] فأغار عليهم، وفى بنى عقيل بطون من سُلَيم يقال لهم بنو بَجْلة، فأصاب سَبْياً وإبلا كثيرة، ثم انصرف راجعاً بما أصاب، فاتّبعه بنو كعب، ولم يلحق به من بنى عُقَيل إلا عِقَالُ بن خُوَيلد بن عامر ابن عُقَيل، فجعل يأخذ أبعار إبِل الجُعفيّين فيبُول عليها حتى يُنَدِّيها، ثم يلحق ببنى كعب فيقول : إيهٍ فِدًى لكم أبَواى، قد لَحِقتم القومَ؛ حتى وَرَدوا عليهم النخيلَ فى يوم قائظ، ورأسُ زهير فى حِجْر جارية من سُلَيم من بنى بَجْلة سباها يومئذ وهى تَفْلِيه، وهو متوسّد قطيفةً حمراءَ وهى تَضفِر سَعَفَاتِه — أى أعلى رأسه — بهُدْب القطيفة؛ فلم يشعُروا إلا بالخيل؛ فكان أوّلُ من لَحِق زُهيرًا ابنَ النَّاهِضة[4]، فضرب وجهَ زهير بقوسه حتى كسر أنفَه، ثم لحِقه عِقالُ بنُ خُوَيلد، فبعَج بطنَه، فسال من بطنه بَرِيرٌ وحَلَب — والبرير : ثمر الأَراك . والحلب : لبن كان قد اصطبحه — .

(١) شوران (بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده راء مهملة) : جبل فى ديار بنى جعدة وهو مطل على السُّدّ، وفيه مياه سماء يقال لها البَجَرات، فيها سمك أسود مقدار الذراع أطيب ما يكون وأمرؤه . (راجع معجم ما استعجم ص ٤٦٢، ٨٢٢) .
(٢) فى أشعار النساء للمرزبانى ومعجم ما استعجم : «المتعلا»، وفعّل البعير : وضع فى خفه جلدا لئلا يحفى .
(٣) كذا فى م؛ وكذلك صححه المرحوم الشيخ الشنقيطى بنسخته . وفى سائر الأصول : «فأتى به عقيل»، وهو تحريف .
(٤) فى م : «ابن القاضة» .

فذلك يوم يقول أبو حَرْب أخو عقال بن خُوَيلد : والله لا أصطَبِح لبنا حتى آمن من الصَّباح[1] . قال : وهذا اليوم هو يوم وادى نِساح وهو باليمامة .

يوم شراحيل

قال : وأمّا يوم شَرَاحِيلَ بن الأَصْهب الجُعْفىّ[2] فإنه يوم مذكور تفتخر به مُضَر كلُّها . وكان شَراحيلُ خرج مُغِيرًا فى جمع عظيم من اليمن ، وكان قد طال عمرُه وكثُر تَبَعُه وبُعد صِيتُه واتصل ظَفَرُه ، وكان قد صالح بنى عامر على أن يغزُوَ العرب مارًّا بهم فى بدأته وعودته لا يعرِض أحدٌ منهم لصاحبه[3] ؛ فخرج غازيا فى بعض غَزَواته فأبعد ، ثم رجَع إليهم فنزَل على بنى جَعْدة فقَرَتْه ونحرتْ له ؛ فعمَد ناس من أصحابه سفهاءُ فتناولوا إبلًا لبنى جعدة فنحروها ، فشكتْ ذلك بنو جعدة إلى شَراحيل ، فقالوا : قَرَيْناك وأحسنّا ضِيافتك ثم لم تمنع أصحابك مما يصنعون ! فقال : إنهم قوم مُغيرون ، وقد أساءوا لعَمْرى ! وإنما يُقيمون عندكم يوما أو يومين ثم يرتحلون عنكم .

فقال الرُّقاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة لأخيه ورد بن عمرو — وقيل : بل قال ذلك لابن أخيه الجعد بن وَرْد — : دَعْنى أذهب إلى بنى قُشَير — قال : وجَعْدة وقُشَير أخوان لأمّ وأب ، أمهما رَيْطة بنت قُنْفُذ بن مالك بن عوف بن آمرئ القيس ابن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور — فأدعوهم ، وآصنَع أنت ياهذا لشَراحيل طعاما حسَنًا كثيرا ، وآدْعُه وأدخِله إليك فاقتُله ، فإن احتجت إلينا فدخِّنْ ، فإنى إذا رأيتُ الدّخَان أتيتك بهم فوضعنا سيوفَنا[4] على القوم . فعمَد وردٌ هذا إلى طعام فأصلحه ،

١٣٥
٤

(١) الصباح : الغارة صبحا . (٢) انظر الحاشية رقم ٦ ص ١٥ من هذا الجزء .

(٣) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « ... فى بدأته وعودته ولا يعرض واحد منهم صاحبه ... » .

(٤) وضعنا سيوفنا على القوم : ألقينا بها وأسقطناها عليهم أى ضربناهم بها ؛ يقال : وضع السيف اذا ضرب به ؛ قال سديف :

فضع السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

ودعا شَراحيلَ وناسًا من أصحابه وأهله وبنى عمه، فجعلوا كلما دخل البيتَ رجلٌ قتله وردٌ، حتى انتصف النهار، فجاء أصحاب شَراحيل يَتْبَعُونه، فقال لهم وردٌ: تَروَّحوا[1] فإنّ صاحبكم قد شَرِب وثمِل وسيرُوح [فرجعوا][2]؛ ودخَن وردٌ، وجاءت قُشير، فقتلوا من أدركوا من أصحابه، وسار سائرُهم؛ وبلَغهم قتــلُ شَراحيل، فمرّوا على بنى عُقَيل، وهم إخوتهم، فقالوا: لنقتلَنّ مالكَ بن المُنتفِق؛ فقال لهم مالك: أنا آتيكم بورد؛ فركِب ببنى عُقيل إلى بنى جَعْدة وقُشَير ليُعطوهم وردا؛ فامتنعوا من ذلك وساروا بأجمعهم فذَبّوا عن عُقَيل، حتى تفرّق من كان مع شَراحيل. فقال فى ذلك بحِير[3] [بن][4] عبد الله بن سَلَمة:

أحَىٌّ يتبعون العـــير نَجْرًا[5] * أحبُّ اليك أم حَيًّا هِــلالِ
لعلك قاتلٌ وَرْدًا ولمّـا * تَسَاقَ[6] الخيلُ بالأَسَل النِّهالِ
ألَا يامالِ وَيْحَ سِواكَ أقصِرْ * أمَا ينهاكَ حلمُك عن ضلالِ

---

(١) تروّح فلان: سار فى الرواح، أى العشىّ، مثل راح. (٢) زيادة عن ط، ء. (٣) كذا ورد هذا الاسم فى عدة مواضع من كتاب النقائض وكتاب أشعار النساء للرزبانى، وهو بالباء الموحدة من تحت والحاء المهملة على وزان أمير. وفى الأصول «بجير» بالجيم، وهو تصحيف. (٤) التكملة عن ط، م، ء وكتاب النقائض وأشعار النساء للرزبانى. (٥) كذا ورد هذا البيت فى أكثر الأصول، وورد فى م: "يبتنون ... تجرا" بالجيم. وأورد المرزبانى هذا البيت، ببعض اختلاف فى كلماته عماهنا، ضمن أبيات قالها بحير هذا فى قصة له خلاصتها أن ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير تزوجت من هوذة ابن على الحنفى الذى كان يمدحه الأعشى فات عنها وأصابت منه مالا كثيرا، فخطبها ابن عمها بحير بن عبد الله ابن سلمة فلم تزوجه، فخطبها عبد الله بن جدعان التيمى الى أبيها فزوجه اياها؛ فلما أهديت اليه قال ابن عمها بحير:

لنعم الحىّ لم تربع عليهــم * ضباعة يوم منق الجم غالى
ونعم الحىّ حىّ بنى أبيها * اذا قرع المقانب بالعوالى
أقوم يقتنون الإبل تجرا * أحب اليك أم قوم حلال

حلال: مقيمون. وفى هذا الشعر على هذه الرواية إقواء، وهو اختلاف حركة الروىّ. "وتجر" إما أن يكون مصدرا نصب على التعليل أو جمعا لتاجر كصحب جمعا لصاحب. (٦) تساق: أصله تتساق وفى الأصول: «تساقى» ببقاء حرف العلة فى آخره وهو مجزوم. والأسل: الرماح. والنهال: الريانة، واحدها: ناهل، ويطلق الناهل أيضا على العطشان، فهو من الأضداد.

يوما رحرحان

وأمّا يوما رَحْرحان ، فأحدُهما مشهور قد ذُكر فى موضع آخر من هذا الكتاب بعقب أخبار الحارث بن ظالم، وهذا اليوم الثانى (١) ، فكان الطمّاح الحنفىّ أغار فى بنى حَنيفة و بنى قَيس بن ثَعْلبة على بنى الحَريش بن كعب و بنى عُبادة بن عُقَيل وطوائفَ من بنى عَبْس يقال لهم بنو جُذَيفة (٢) ؛ فركبت بنو جَعْدة وبنو أبى بكر ابن كلاب، ولم يشهَد ذلك من بنى كلاب غيرُ بنى أبى بكر ، فأدركوا الطمّاحَ من يومهم ، فآستنقذوا ما أخذه وأصابوا ما كان معه ، وقتلوا عددا من أصحابه وهزموهم .

كعب الفوارس ومقتله

قال : وأما ما ذكره من إدراكهم بثأر كعب الفوارس (٣) ، فإن كعب الفوارس — وهو ابن معاوية بن عُبَادة بن البَكّاء — مرّ على بنى نَهْد وعليه سلاحه، فحمَل عليه

---

(١) ذكر فى كتاب النقائض (المطبوع فى مدينة ليدن ص ١٠٦٠) تفصيل يومى رحرحان ، فأما الأول منهما فهو أن يثربىّ بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم غزا بنى عامر بن صعصعة وعلى بنى عامر يومئذ الأحوص بن جعفر فالتقوا فاقتتلوا ، فقتل من بنى عامر قريط بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب وقتل يثربىّ يومئذ . وأما يوم رحرحان الثانى فذكور أيضا فى كتاب النقائض كما هو وارد فى الأغانى (فى الجزء العاشر من طبعة بولاق ص ٣١) وهو الموضع الذى نبه المؤلف هنا أنه ذكر فيه . و يلاحظ بعد هذا أن ما ذكره المؤلف من قوله : « فكان الطماح الحنفىّ ... الخ » غير واضح الاتصال بأحد هذين اليومين ولا الأسماء التى ذكرت فى هذا الخبر مذكورة فى الأسماء التى ذكرت فى أحد هذين اليومين .

(٢) فى م : « بنو خزيمة ، فركبت بنو خزيمة » . وفى ط : «جذيمة» .

(٣) يلاحظ أيضا أنه لم يتقدّم لهذا الخبر ذكر . وقد ذكر مقتل كعب الفوارس هذا والأخذ بثأره ، كما هو وارد هنا ، فى كتاب النقائض متصلا بأخبار "يوم فيف الريح" وهو يوم كان بين بنى عامر و بين بنى الحارث ومن تبعهم من قبائل جعفىّ وزبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصداء ونهد واستعانوا أيضا بخثعم ، (راجع كتاب النقائض ص ٤٦٩) . ولعل مقتل كعب الفوارس ورد فى شعر للنابغة الجعدىّ لم يقع إلينا فى أصول الأغانى التى بين أيدينا .

رجل من نَهْد(١) يقال له خُلَيف فقتله وأخذ فرسَه وسلاحه؛ ثم إن خُلَيفا بعد ذلك بدَهْرٍ مرّ على بنى جَعْدة، فرآه مالك بن عبد الله بن جعدة وعليه جُبّة كعب وفيها أثر الطعنة، وكان مُحْرِما فلم يقدِر على قتله، فقال: ياهذا! أَلَا رقَعتَ هذا الخَرْق الذى فى جُبّتك! وجعل يترصّده بعد ذلك، حتى بلَغه بعد دهرٍ أنه مرّ ببنى جَعْدة، فركب مالكُ بن عبد الله بن جعدة فرسًا له وقد أُخبر أن خُلَيفًا مرّ بجَنَباتهم(٢)، فأدركه فقتله، ثم قال: بُؤْ بكعب. ثم غزا نواحيَهم عبدُ الله بن ثَور بن معاويةَ بن عُبادة ابن البَكّاء: جَرْما ونَهْدا، وهم يومئذ فى بنى الحارث، فناداهم بنو البَكّاء: ليس معنا أحدٌ من قومنا غيرنا وإنّ النهدىّ قتل صاحبنَا مُحْرِما؛ فقاتلهم نَهْد وجَرْم جميعًا يومئذ، وكان عبد الله بن ثَوْر يومئذ على فرسٍ وَرْدٍ، فأصابوا من نَهْدٍ يومئذ غنيمة عظيمة، وقتلوا قَتلى كثيرة. فقال عبد الله فى ذلك:

١٣٦ / ٤

فسائِل بنى جَرْمٍ اذا ماالقِيتَهم * ونَهْدًا إذا حَجَّتْ عليك بنو نهد
فإن يُخبروك الحقَّ عنا تَجِدْهمُ * يقولون أَبلى صاحبُ الفرس الوَرْدِ

يوم الفلج

قال: وأما يوم الفَلَج، فإن بكر بن وائل بعثتْ عينًا على بنى كعب بن ربيعة حتى جاء الفَلَج — وهو ماء — فوجد النَّعَم بعضَه قريبًا من بعض، ووجد الناس قد احتملوا، فليس فى النَّعم إلا من لا طَبَاخ(٣) به من راعٍ أو ضعيف؛ فجاءهم عينُهم بذلك، فركبت بكر بن وائل يريدونهم، حتى إذا كانوا منهم بحيثُ يسمعون أصواتهم، سمِعوا الصَّهيل وأصواتَ الرجال؛ فقالوا لعينهم: ما هذا ويلك؟! قال: والله ما أدرى، وإن هذا لَمَا لم أعهد، فأرسلوا من يعلَم عِلمَهم؛ فرجَع فأخبرهم أن الرجال قد رجَعوا، ورأى

(١) فى النقائض (ص ٤٧١): «قتله خليف بن عبد العزى بن عائذ النهدى»، وأول كلام المؤلف هنا وآخره يؤيد ما أثبتناه وهو أنه من «نهد». وفى الأصول: «من جهم» وهو تحريف.

(٢) جباتهم: نواحيهم، واحده جنبة بالفتح. وفى م: «حيفاتهم» والحيفة (بالكسر): الناحية أيضا.

(٣) الطباخ (رواه الإيادى بفتح الطاء والأزهرى بضمها): القوة والسمن.

جمعًا عظيما وخيولا كثيرة[1]، فكرّوا راجعين من ليلتهم، وأصبحت بنو كعب فرأوا الأثر فاتّبعوهم، فأصابوا من أخرياتهم رجالًا وخيلا، فرجعوا بها .

خداش بن زهير وهبيرة بن عامر

قال : وأما قوله :

لو تستطيعون أن تُلقوا جُلودكم * وتجعلوا جلد عبد الله سِرْبالا

فإن السبب في ذلك أن هُبيرة[2] بن عامر بن سَلَمة بن قُشير، لقي خِداش[3] بن زهير البكائيّ، فتنافرا على مائة من الإبل، وقال كل منهما لصاحبه : أنا أكرم وأعزّ منك؛ فحكّما في ذلك رجلا من بني ذي الجَدّين، فقضى بينهما أن أعزّهما وأكرمهما أقربهما من عبد الله بن جعدة نسبًا؛ فقال خِداش[3] بن زُهَير : أنا أقرب إليه، أمّ عبد الله بن جَعدة عمّتي — وهي أُميمة بنت عمرو بن عامر — وإنما أنت أدنى إليه منّي منزلةً بأب؛ فلم يزالا يختصمان في القرابة لعبد الله دون المُكاثرة بآبائهما إقرارًا له بذلك، حتى فلَج[4] هبيرةُ القُشَيْريّ وظفر .

عبد الله بن جعدة

قال أبو عمرو : وكان عبد الله بن جَعْدة سيّدًا مُطاعا، وكانت له إتاوةٌ بعكاظ يُؤتَى بها، يأتيه[5] بها هذا الحيُّ من الأزْد وغيرهم؛ فجاء سُمَير[6] بن سَلَمة القُشيريّ وعبدُ الله جالسٌ على ثياب قد جُمعت له من إتاوته، فأزله عنها وجلس مكانه؛ فجاء رِياح[7] بن عمرو بن رَبيعة بن عُقَيل — وهو الخليع، سُمّي بذلك لتخلّعه عن

(١) كذا في ط ، ء ، م . وفي سائر الأصول : « وخلقا كثيرا » .

(٢) كذا في ط ، ء ، م وكتاب النقائض وفيما سيأتي في كل الأصول . وفي باقي الأصول هنا : « زهير » وهو تحريف . (٣) كذا في ط ، ء ، م وكتاب النقائض وكذلك صححه الأستاذ الشنقيطي في نسخته . وفي باقي الأصول : « خراش » بالراء، وهو تحريف . (٤) فلج : فاز وغلب . (٥) كذا في ط ، ء ، م . وفي باقي الأصول : « ... ويأتيه بها ... » بزيادة الواو، وهو تحريف . (٦) في ط ، م ، ء : « فجاء سليمان بن سلمة ... » . (٧) كذا في ط ، ء وكذلك صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطي في نسخته . وفي م : « رماح » بالميم . وفي باقي الأصول : « رباح » بالباء الموحدة، وكلاهما تحريف .

الملوك لا يُعطيهم الطاعة — فقال للقشيرىّ : مالَكَ ولشيخنا تُنزله عن إتاوته ونحن ها هنا حولَه ! فقال القشيرىّ : كذبتَ، ما هى له ! ثم مدّ القشيرىّ رجلَه فقال : هذه رجلى فآضربها إن كنتَ عزيزا؛ قال : لا ! لعمرى لا أضرب رجلَك ؛ فقال له القُشيرىّ : فامْدُدْ لى رجلَك حتى تعلم أأضربها أم لا؛ فقال : ولا أمدّ لك رجلى، ولكن أفعلُ ما لا تُنكره العشيرة وما هو أعزّ لى وأذلّ لك؛ ثم أهْوَى الى رجل القشيرىّ فسحَبه على قفاه ونحّاه، وأقعد عبدَ الله بنَ جَعْدةَ مكانَه .

قال : وعبد الله بن جعدة أوّل من صنع الدّبّابة(١)، وكان السبب فى ذلك أنهم انتجعُوا(٢) ناحيةَ البحرين ، فهجموا على عبد لرجل يقال له كَوْدَن(٣) فى قصر حَصين ، فدخَن العبدُ ودعا النساءَ والصبيانَ، فظنوا أنه يُطعمهم ثريدا، حتى اذا امتلأ القصر منهم أغلقه عليهم، فصاح النساء والصبيان، وقام العبد ومن معه على شُرَف القصر، فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا رماه ؛ فلما رأى ذلك عبد الله بن جعدة صنع دبّابة على جذوع النخل وألبسها جلودَ الإبل، ثم جاء بها والقومُ يحملونها حتى أسندوها إلى القصر ، ثم حفروا حتى خرقوه(٤) ؛ فقتل العبدَ ومن كان معه وآستنقذ صبيانَهم ونساءهم . فذلك قول النابغة : ١٣٧/٤

وِيومَ دعا وِلدانَكم عبدُ كَوْدَنٍ * فخالُوا لدى الدّاعى ثريدًا مُفلفلَا
وفى ابنَ زِياد وهو عُقبة خيرِكم * هبيرةُ ينزو فى الحديد مُكَبَّلا

يعنى هبيرةَ بن عامر بن سَلَمة بن قُشير ، وكان عبد الله بن مالك بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة خرج ومعه مالك بن عبد الله بن جعدة، حتى مرّوا على بنى زياد(٥)

(١) الدبابة : آلة تتخذ من جلود وخشب للحرب يدخل فيها الرجال و يقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه وهم فى جوفها فتقيهم ما يرمون به من فوقهم .

(٢) الانتجاع : طلب الكلا ومساقط الغيث .

(٣) فى م : «كوذن» بالذال المعجمة .

(٤) كذا فى ط ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «حفروه» .

(٥) فى ط ، ء : «بنى زيد العبسيين» . وفى م : «بنى زيد والعبسيين» ، وكلاهما تحريف .

العبسيّين والرجال غُيَّبٌ، فأخذوا ٱبنًا لأَنَس(١) بن زياد وٱنطلقوا به يرجون الفِداء؛ وٱنطلق عمُّه عُمارة بن زِياد حتى أتى بنى كعب، فلقى هُبَيرةَ بن عامر بن سَلَمة بن قشير، فقال له : يا هبيرة إن الناس يقولون: إنك بخيل؛ قال: مَعَاذَ الله! قال: فهَبْ لى جُبّتك هذه؛ فأَهْوَى ليخلَعها، فلما وقَعتْ(٢) فى رأسه وثَب عليه فأسره، ثم بعث إلى بنى قُشير : علىّ وعلىّ إن قبلتُ من هُبَيْرة أقلّ من فِدية حاجبٍ(٣) الا أن يأتونى بابن أخى الذى فى أيدى بنى جَعْدة؛ فمشتْ بنو قُشير إلى بنى جعدة، فٱستوهبوه منهم فوهبوه لهم، فٱفتدَوْا به هُبَيْرَةَ .

وحوح أخو النابغة

وأما خبرُ وحوح أخى النابغة الذى تقدّم ذكره مع نسب أخيه النابغة، فإن أبا عمرو ذكر أن بنى كعب أغارت على بنى أسد فأصابوا سَبْيًا وأَسْرى، فركِبتْ بنو أسد فى آثارهم حتى لحقوهم بالشُّرَيْف(٤)، فعطفت بنو عُدَس بن ربيعة بن جعدة، فذادوا بنى أسد حتى قتلوا منهم ثلاثين رجلًا وردّوهم، ولم يظفَروا منهم بشىء . وتعلّقت ٱمرأة من بنى أسد بالحَكَم بن عمرو بن عبد الله بن جعدة وقد أردفها خلفَه، فأخذت بضفيرته ومالت به فصرعته، فعطَف عليه عبدُ الله بن مالك بن عُدَس وهو أبو صَفْوان، فضرب يدها بالسيف فقطعها وتخلّصه . وطُعِن يومئذ وحوح بن

(١) كذا فى ط، ى، م، وهو أنس بن زياد العبسىّ ويسمى أنس الفوارس، وله حديث فى يوم أقرن . (راجع النقائض ص ١٩٤، ٦٧٩) . وفى سائر الأصول : «أوس»، وهو تحريف .

(٢) فى ط، ى، م : «وقفت» بالفاء .

(٣) هو حاجب بن زرارة، وهو من الذين يضرب المثل بفدائهم فى الوفرة، ومثله فى ذلك بسطام بن قيس والأشعث بن قيس بن معديكرب الكندى . (راجع كتاب ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه — حرف الفاء) . وسيأتى خبر أسر حاجب بن زرارة هذا وفدائه فى الأغانى (ج ١٠ ص ٤٢ طبع بولاق) .

(٤) كذا فى ط، ى، والشريف (بصيغة التصغير) : ماء لبنى نمير، وقيل : إنه واد بنجد . وفى سائر الأصول : «السديف» (بالسين والدال المهملتين) وهو تحريف .

قيس أخو النابغة الجعدىّ، فارتُثَّ(١) فى معركة القوم، فأخذه خالد بن نَضْلة الأسدىّ، وعطَف عليه يومئذ أخوه النابغة، فقال له خالد بن نَضْلة: هَلُمَّ إلىّ وأنت آمن، فقال له النابغة: لا حاجةَ لى فى أمانك، أنا على فرسى ومعى سلاحى(٢) وأصحابى قريب، ولكنّى أُوصيك بما فى العَوْسجة(٣) (يعنى أخاه وحوح بن قيس)؛ فعدَل اليه خالد فأخذه وضمّه اليه ومنَع مِنْ قتله وداواه حتى فُدِى بعد ذلك. قال: ففى ذلك يقول مُدْرِك العَبْسىّ(٤):

أقمتُ على الحِفاظِ وغاب قَرْحٌ * وفى قَرْحٍ عن الحسب ٱنفراجُ
كذلك فعلُنا وجِبالُ عَمّى * وردْنَ بوحوحٍ فَلَجَ(٥) الفِلَاجِ(٦)

شعر النابغة الجعدى

ومما قاله النابغة فى هذه المفاخرة وغُنّى فيه قولُه وقد جُمِع معه كلّ ما يغنّى فيه من القصيدة —:

صوت

هل بالدّيارِ الغداةَ من صَمَمِ * أم هَلْ بِرَبْعِ الأَنيسِ من قِدَمِ
أم ما تُنادِى من ماثلٍ دَرَجَ السَّيلُ عليه كالحوضِ مُنهدِمِ
غرّاءُ كالليلةِ المباركةِ القمراءِ تَهْدِى أوائلَ الظُّلَمِ
أُكْنِى بغير ٱسمها وقد علِمَ اللهُ خَفِيّاتِ كلِّ مُكْتَتَمِ

(١) ارتث: ضرب فى الحرب فأثخن وحمل وبه رمق. (٢) فى ط، ء، م: «وعلىّ سلاحى». (٣) العوسجة: واحدة العوسج وهو شجر شائك له ثمر أحمر مدوّر، ولعله يريد بالعوسجة حظيرة أو مظلة متخذة من شجر العوسج. (٤) فى حـ: «النقعسىّ». (٥) فلج (بالتحريك): مدينة بأرض اليمامة لبنى جعدة وقشير وكعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وفلج أيضا: مدينة قيس بن عيلان بن مضر، ويقال لها: فلج الأفلاج. وأصل الفلج النهر أو الماء الجارى، ولعله يقال أيضا: فلج الفلاج، كما ورد فى الشعر هنا، لأن فعلا (بالتحريك) يجمع على أفعال وفعال. (٦) فى هذا الشعر إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ.

كأنّ فاها إذا تبسّم من * طِيبِ مَشَمٍّ وطيبِ مُبتَسَمِ [1]

١٣٨/٤ يُسَنّ [2] بالضَّرْوِ من بَرَاقِشَ أو * هَيْلانَ [3] أو ضامرٍ من العُتُمِ

عروضه من المنسرح . وفى الأوّل والثانى والثالث من الأبيات خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالخنصر فى مجرى البنصر، [4] ذكره إسحاق ولم ينسُبه إلى أحد ، وذكر ابن المكّىّ والهشامىّ أنه لمعبد، وأظنه من منحول يحيى، وذكر حبش أنه لإبراهيم . وفى الثالث وما بعده لابن سريج رمل بالبنصر، وذكر حبش أنّ فيها لإسحاق رملًا آخر، ولابن مِسْجَح فيها ثقيل أوّل بالبنصر .

أوّل من سبق الى الكناية عمن يعنى بغيره

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال : أوّلُ من سبَق الى الكناية عن اسم من يَعْنِي بغيره فى الشعر الجعدىُّ، فإنه قال :

أَكْنِي بغير اسمها وقد علم اللّه خَفِيّاتِ كلِّ مكتتمِ

فسبَق [5] الناسَ جميعا إليه واتّبعوه فيه . وأحسنُ من أخذه وألطفُه فيه أبو نُوَاس حيث يقول :

أسألُ القادمين من حَكَانِ [6] * كيف خلّفتمُ أبا عثمانِ

فيقولون لى جِنانٌ كما سرَّ * ك فى حالها فسَلْ عن جِنانِ

مالهمْ لا يُبارِكُ اللّهُ فيهمْ * كيف لم يُغْنِ عندهم كِتمانى

(١) فى ط ، ء : «وحسن مبتسم» . (٢) يسنّ (يستاك) . والضرو : شجر يستاك به . وبراقش وهيلان : مدينتان عاديتان باليمن خربتا . (٣) فى اللسان (مادة برقش) ومعجم ما استعجم للبكرى ومعجم البلدان لياقوت (فى الكلام على براقش) : «أو ناضر» . والعتم (بضمتين) : شجر الزيتون . (٤) فى ط ، ء : «فى مجرى الخنصر» . (٥) كذا فى ط ، ء ، حـ . وفى سائر الأصول : «يسبق» وهو تحريف . (٦) حكان (بالتحريك) : اسم لضياع بالبصرة سميت بالحكم بن أبى العاص الثقفىّ . وهذا اصطلاح لأهل البصرة اذا سموا ضيعة باسم زادوا عليه ألفا ونونا، حتى سموا عبد اللان فى قرية سميت بعبد الله . وكانت هذه الضيعة لبنى عبد الوهاب الثقفيين موالى جنان صاحبة أبى نواس (انظر معجم ياقوت فى اسم حَكَان) .

ذكره الفرزدق وتحدّث عن شعره

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى أبو بكر الباهلىّ قال حدّثنى الأصمعىّ قال :

ذكر الفرزدقُ نابغةَ بنى جعدة فقال : كان صاحبَ خُلْقان عنده مُطْرَفٌ بألفٍ، وخِمارٌ(١) بوافٍ(٢)، (يعنى درهما) .

وفد على ابن الزبير ومدحه فوصله

وحدّثنى خبرَه مع ابن الزبير جماعةٌ ، منهم حبيبُ بن نصر المهلّبىّ وعمر بن عبد العزيز بن أحمد والحرمىّ بن أبى العلاء ووَكيع ومحمد بن جرير الطبرىّ حدّثنيه مِنْ حِفْظه، قالوا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا أخى هارون بن أبى بكر(٣) عن يحيى ابن إبراهيم عن سليمان بن محمد(٤) بن يحيى بن عُروة عن أبيه عن عمّه عبد الله بن عُروة قال :

أَقْحَمت(٥) السنةُ نابغةَ بنى جعدة، فدخل على ابن الزبير المسجدَ الحرام، فأنشده :

حَكَيتَ لنا الصِّدِّيقَ لمّا وَلِيتَنا * وعثمانَ والفاروقَ فارتاح مُعدِمُ
أتاك أبو ليلى يَجُوب به الدُّجى * دُجَى الليلِ جوّابُ الفلاةِ عَثَمْثَمُ(٦)
لتجبُرَ منه جانبًا زَعْزَعَت(٧) به * صُروفُ الليالى والزمانُ المُصمِّمُ

(١) الخمار (بالكسر) : النصيف وهو ما تغطى به المرأة رأسها، وقد يطلق على العمامة، لأن الرجل يغطى بها رأسه كما تغطيه المرأة بخمارها؛ وفى حديث أم سلمة «أنه كان يمسح على الخف والخمار» أى العمامة .
(٢) الذى فى معاجم اللغة أن الوافى درهم وأربعة دوانق أو درهم وداناقان، يعنى الفرزدق أن فى شعره الجيد المتين والردىء الضعيف . وقال المرزبانى فى كتابه الموشح فى كلامه على النابغة الجعدىّ بعد أن ذكر قول الفرزدق هذا : «قال الأصمعىّ : وصدق الفرزدق، بينا تجد النابغة فى كلام أسهل من الزلال وأشدّ من الصخر إذ لان ... » ثم ذكر قصيدته التى منها :

سما لك هم ولم تطرب وبت ببث ولم تنصب

وبيّن ما فيها من شعر جيد وآخر ردىء . (٣) هذه كنية أبيه بكار . (٤) فى ب و س : «سليمان محمد» . ولعل لفظة «ابن» سقطت سهوا أثناء الطبع (٥) أقحمته : ألقته ورمت به . والسنة : الجدب، أى أخرجه الجدب من البادية وأدخله الريف حيث الخضرة والماء . (٦) العثمثم : الجمل الشديد الطويل . (٧) فى ط ، ء : «ذعذعت» بالذال المعجمة وهى بمعنى «زعزعت» .

فقال له ابن الزبير : هوّن عليك أبا ليلى ، فإنّ الشعر أهونُ وسائلك عندنا ، أمّا صفوةُ مالنا فلآل الزبير، وأما عَفوته(1) فإنّ بنى أسد(2) بن عبد العزّى تشغلُها عنك وتيْمًا معها ، ولكن لك فى مال الله حقّان : حقّ برؤيتك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وحقّ بشَرِكتك أهلَ الإسلام فى فيْئهم ، ثم أخذ بيده فدخل به دارَ النَّعَم ، فأعطاه قلائِصَ(3) سبعًا وجَملًا رَجيلا(4) ، وأوْقر له الإبلَ بُرًّا وتمرا وثيابا ، فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحبّ صِرْفا ، فقال ابن الزبير : ويح أبى ليلى ! لقد بلغ به الجَهْدُ ، فقال النابغة : أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ما وَلِيتْ قريش فعدَلت واستُرحِمت فرَحِمتْ وحَدَّثت فصَدَقتْ ووعدت خيرًا فأنجزت فأنا والنبيّون فُرّاطُ(5) القاصفين" وقال الحرمىّ : "فُرّاطٌ لما ضُمُنٌ" . قال الزُّبَيرىّ : كتبَ يحيى ابن مَعين هذا الحديث عن أخى .

---

(1) عبارة ابن الأثير فى النهاية (مادة عفا) ونقلها عنه صاحب اللسان : « ... أنه قال للنابغة : أما صفو أموالنا فلآل الزبير، وأما عفوه فإن تيما وأسدا تشغله عنك . قال الحربىّ : العفو: أحل المال وأطيبه . وقال الجوهرىّ : عفو المال ما يفضل عن النفقة . وكلاهما جائز فى اللغة والثانى أشبه بهذا الحديث» ، وهذا التوجيه الأخير لابن الأثير . وأما عفوة المال والطعام والشراب (بالفتح) وعفوته (بالكسر عن كراع) : فهى خياره وما صفا منه وكثر . والظاهر أنها لا تلائم سياق الحديث ، لذلك نرى أن رواية النهاية فى هذا الأثر أصح مما ورد فى الأصول هنا . (2) بنو أسد : قبيلة منها الزبير بن العوّام والد عبد الله هذا . وتيم : قبيلة منها أبو بكر الصدّيق رضوان الله عليه وهو جدّ ابن الزبير لأمه . (3) القلائص : جمع قلوص وهى الشابة من الإبل بمنزلة الجارية من النساء . (4) فى حـ : « رحيلا» بالحاء المهملة ، والرجيل والرحيل من الإبل : القوى على السير . (5) كذا فى النهاية فى غريب الحديث والدر النثير للسيوطى (مادتى فرط وقصف) ، وفيه رواية أخرى أشار إليها السيوطى فى الدر النثير (مادة قصف) وهى "فراط القاصفين" ، وبهذه الرواية ورد الحديث فى م واللسان (مادتى فرط وقصف) . وقد وردت كلمة "القاصفين" فى أكثر الأصول ههنا مضطربة ، ففى ط ، ء : "فراط لما صفن وقال الحرمىّ ... الخ" . وفى باقى الأصول : "فراط لما ضمين وقال الحرمىّ ... الخ" . الفرّاط : المتقدمون إلى الشفاعة أو إلى الحوض . والقاصفون : المزدحمون . وضمن : كافلون .

ضربه أبو موسى الأشعرى أسواطا فهجاه

٣٩: ٤

أخبرنى أبو الحسن الأَسَدىّ أحمد بن محمد بن عبد الله بن صالح وهاشم ابن محمد الخُزَاعىّ أبو دُلَف قالا حدّثنا الرِّيَاشىّ قال قال أبو سليمان عن الهَيْثم بن عدىّ [قال](١) :

رَعَتْ بنو عامر بالبَصرة فى الزرع ، فبعث أبو موسى الأشعرىّ فى طلبهم ، فتصارخوا : يا آلَ عامر، يا آل عامر! فخرج النابغة الجعدىّ ومعه عُصبة له ، فأُتِىَ به الى أبى موسى الأشعرىّ ، فقال له : ما أخرجك ؟ قال : سمعتُ داعيةَ قومى ؛ قال : فضربه أسواطا ، فقال النابغة :

رأيتُ البَكْرَ بَكْرَ بنى ثمودٍ * وأنت أراك بَكْرَ الأشعَرينا
فإن يَكُنِ ٱبنُ عَفّانٍ أمينا * فلم يَبْعَثْ بك البَرَّ الأمينا
فيا قبرَ النبىّ وصاحِبَيْهِ * ألَا يا غَوْثَنا لو تسمَعُونا
ألَا صلّى إلهُكمُ عليكم * ولا صلّى على الأُمراء فِينَا

خبره مع علىّ ومعاوية

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ويحيى بن علىّ بن يحيى قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا بعض أصحابنا عن ٱبن دَأْب(٢) قال :

لما خرج علىٌّ رضى الله تعالى عنه إلى صِفِّين خرج معه نابغةُ بنى جَعْدة ، فساق به يومًا فقال :

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ب ، س .

(٢) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ويكنى أبا الوليد كان هو وأبوه وأخوه من العلماء بأشعار العرب وأخبارهم وأيامهم وكان أثيرا عند الهادى وله معه أخبار طويلة . (أنظر مروج الذهب للمسعودى ج ٦ ص ٢٦٤ — ٢٦٥ طبع أوروبا والمحاسن والمساوى ص ٦١٣ — ٦١٤ طبع أوروبا) .

قد علِم المِصْرانِ[1] والعِــراقُ * أنّ عليًّا فحْلُها العَتَـاقُ[2]

أبيــضُ جَحْجَاحٌ له رُواقُ * وأُمّــه غالَى بها الصَّــداقُ

أكرمُ من شُــدَّ به نِطاقُ[3] * إنّ الأُلى جارَوْكَ لا أَفَاقوا

لهــم سِياقٌ[4] ولكم سِــياقُ * قــد علمتْ ذلــكمُ الرِّفاقُ

سُقتم إلى نَهْجِ الهُدَى وساقُوا * إلى الــتى ليس لهـا عِراقُ[5]

* فى مِلّةٍ عادتُها النِّفاقُ *

فلما قَدِم معاويةُ بن أبى سفيان الكوفةَ، قام النابغةُ بين يديه فقال :

ألم تاتِ أهلَ المَشْرِقينِ رسالتى * وأىُّ[6] نَصيحٍ لا يَبيتُ على عَتْبِ

مَلَكتمْ فكان الشرُّ آخرَ عهــدِكمْ * لئن لم تَدارَكْكمْ حُلومُ بنى حَرْبِ

وقد كان معاويةُ كتب إلى مروان فأخذ أهلَ النابغة ومالَه؛ فدخل النّابغةُ على معاوية، وعنده عبدُ الله بن عامر ومروان، فأنشده :

مَنْ راكِبٌ يأتى ٱبنَ هنــدٍ بحاجتى * عــلى النَّأى[7] والأنباءُ تُنْمَى وتُجلَبُ

ويُخْــبِر عنّى ما أقول ٱبنَ عامرٍ * ونعم الفــتى يأوِى إليــه المُعصَّبُ[8]

---

(١) المصران : الكوفة والبصرة . (٢) كذا فى أكثر الأصول . والذى فى معاجم اللغــة أن العتاق (وزان غراب) : الخمر الحسنة القــديمة . ولعله يريد بجعلها العتاق فحلها الكريم . وفى م : «الفتاق» بالفاء والنون . (٣) فى ط ، ء ، م : «بها» . (٤) كذا فى حـ ، م وكذلك صححه المرحوم الشنقيطى بنسخته . وفى سائر الأصول : «سباق» بالباء الموحدة وهو تصحيف . (٥) يريد الى مضلة لا نهاية لها ولا غاية . (٦) فى ط ، ء : «وإن» . (٧) فى ط ، ء : « ... ... لحاجتى * بكوفان ... » وكوفان هى الكوفة ، وهى أيضا قرية بهراة . (٨) المعصب هو الذى عصبته السنون أى أكلت ماله ، والمعصب أيضا : الذى يعصب بطنه بالخرق من الجوع .

فإنْ تأخذوا أهــلى ومالى بظِنّــةٍ * فإنّى لَحَــرّابُ الرجالِ مُحَــرِّبُ (١)

صَــبورٌ على ما يكره المــرءُ كلِّه * سِوى الظلمِ إنى إن ظُلمت سأغضَبُ

فآلتفت معاويةُ إلى مروان فقــال : ما ترى ؟ قال : أرى ألّا تردّ عليــه شيئاً ؛ فقال : ما أهونَ والله عليك أن ينجحر هــذا فى غار ثم يقطع عرضى علىّ ثم تأخذه العربُ فتَروِيه، أَمَا (٢) والله إن كنتَ لِمن يرويه! أُردُد عليه كلّ شىء أخذتَه منه .

شعره فى عقال بن خويلد وسببه

وهذا الشعر يقوله النّابغةُ الجعدىّ (٣) لعِقَال بن خُوَيلد العُقَيلىّ يُحذِّره غِبَّ الظلم لمّــا أجار بنى وائل بن مَعْن، وكانوا قتلوا رجلًا من جَعْدَة، فحذّرهم مثلَ حرب البَسوس إن أقاموا على ذلك فيهم .

١٤٠/٤ قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ : كان السببُ فى قول الجعدىّ هذه القصيدةَ أن المُنتشر الباهلىّ خرج فأغار على اليمن ثم رجع مُظفَّرا . فوجد بنى جعدة قد قتلوا آبنا له يقال له سِيدان (٤)، وكانت باهلةُ فى بنى كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ثم فى بنى جعدة، فلمّــا أن علم ذلك المُنتشر وأتاه الخبرُ أغار على بنى جعدة ثم على بنى سُبيع فى وَجْهــه ذلك، فقتــل منهم ثلاثةَ نفر؛ فلما فعل ذلك تصدّعت باهلةُ، فلحِقتْ فرقة منهم يقال لهم بنو وائل بعِقال بن خويلد العقيلىّ، ولحِقتْ فرقة أخرى يقال لهم بنو قُتيبة وعليهم حَجْــلٌ الباهلىّ بيزيد بن عمرو بن الصَّعِق الكلابىّ، فأجارهم يزيد، وأجار عِقالٌ وائلًا . فلما رأت ذلك بنو جَعدة أرادوا قِتالَم، فقال لهم عقال : لا تقاتلوهم

(١) كذا فى أكثر الأصول . وحربه : أغضبه، يريد أن يصف نفسه بأنه شديد الكيد والنكاية وفى ب، س : «مجرب» بالجيم .

(٢) فى ط، ء : «أم والله» ويكون معناها الاضراب مثل "بل" .

(٣) فى ب، س، حـ : «نابغة الجعدىّ» بدون أل .

(٤) فى ط، ء : «سذان» وفى م : «سيدار» .

فقد أجرتُهم؛ فأمّا أحدُ الثلاثة القتلى منكم فهو بالمقتول، وأمّا الآخران فعليّ عَقْلُهما[1]؛ فقالوا: لا نقبل إلا القتالَ ولا نُريد من وائل غِيَراً[2] (يعنى الدية)؛ فقال: لا تفعلوا فقد أجرتُ القومَ؛ فلم يزل بهم حتى قبلوا الدية. وانتقلت وائل إلى قومهم. فقال النابغة فى ذلك قصيدتَه التى ذكر فيها عِقالا[3]:

فأبلِغْ عِقالًا أنّ غايةَ داحسٍ[4] * بكفّيك فاستأخِرْ لها أو تقدّمِ
تُجِيرُ علينا وائلًا فى دمائنا[5] * كأنك عما نابَ[6] أشياعَنا[7] عَمِ
كُلَيبٌ لعَمْرِى كان أكثرَ ناصرًا * وأيسرَ جُرْمًا منك ضُرِّجَ بالدّمِ
رمى ضَرْعَ نابٍ[8] فاستمرّ بطعنةٍ * كحاشيةِ البُرْدِ اليَمانى المسهَّمِ[9]
وما يَشْعُرُ الرمحُ الأصمُّ كعوبُه * بثَرْوةِ[10] رَهْطِ الأبلخ المتظلِّمِ[11]

(١) العقل: الدية. (٢) الغير (وزان عنب): قيل: إنه مفرد جمعه أغيار، وقيل: هو جمع غيرة (بالكسر) وهى الدية. (٣) عبارة ط، ء: «... قصيدته وهذه الأبيات التى ذكر فيها عقالا منها».
(٤) داحس: اسم فرس أضيفت اليه حرب كانت بين عبس وذبيان، وهى حرب داحس، وذلك أن قيس بن زهير صاحب داحس تراهن هو وحذيفة بن بدر على عشرين بعيرا وجعلا الغاية مائة غلوة والمضمار أربعين ليلة، فأجرى قيس داحسا والغبراء، وحذيفة الخطار والحنفاء، فوضعت بنو فزارة رهط حذيفة كمينا فى الطريق فردوا الغبراء ولطموها وكانت سابقة، فهاجت الحرب بين عبس وذبيان أربعين سنة. (عن القاموس مادّة دحس). والنابغة يهدّد عقالا فى هذه القصيدة بحرب كحرب داحس.
(٥) فى ط: «بدمائنا». (٦) فى حـ وهامش ط والموشح للمرزبانى: «نال» باللام.
(٧) فى كتاب الموشح للمرزبانى: «أشياعها»، ويكون المعنى على هذه الرواية أن النابغة يهدّد عقالا ويحذره ما أصاب وائلا منهم من بأس. (٨) الناب: الناقة المسنة. (٩) المسهم: المخطط بصور على شكل السهام، وفى حديث جابر: أنه كان يصلى فى برد مسهم أخضر، أى فيه وشى كالسهام. (١٠) فى رواية: «بنزوة ...» كما فى كتاب الموشح. (١١) كذا فى ط، ء والموشح للمرزبانى. والأبلخ (بالخاء المعجمة فى آخره): العظيم فى نفسه الجرىء على ما أتى من الفجور. والمتظلم: الذى يظلم الناس حقوقهم، وهذا الوصف هو الذى يناسب كليبا لعتوه. وفى باقى الأصول: «الأبلج المتوسم» بالجيم. والمتوسم: المتحلى بسمة الشيوخ.

وقال لِجَسّاسٍ أَغِثْنِى بِشَرْبَةٍ * تَفَضَّلْ بها طَوْلاً علىَّ وأَنْعِمِ
فقال تجاوزتَ الأَحَصّ[1] وماءَه * وبطنَ شُبَيْثٍ وهو ذو مُتَرَسَّمِ[2]

* * *

كليب وائل ومقتله وحرب البسوس وما قيل فيها من الشعر

وكان السببُ[3] فى قتل كُلَيب بن رَبيعة — فيما ذكره أبو عُبيدةَ عن مُقاتل الأحول بن سِنَان بن مَرْثَد بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مَرْثَد أخى بنى قيس ابن ثَعْلبةَ، ونسختُ بعضَه من رواية الكَلْبىّ، وأخبرنا به محمدُ بن العباس اليَزيدىّ عن عمّه عبيدِ الله عن ٱبن حَبِيب عن ٱبن الأعرابىّ عن المفضَّل، فجمعتُ من روايتهم ما ٱحْتِيجَ الى ذكره مختصرَ اللفظ كاملَ المعنى — أنّ كُلَيبا كان قد عزّ وسادَ فى رَبيعة فبغَى بَغْيًا شديدا، وكان هو الذى يُنزِلهُم منازلَهم ويُرحِّلهم، ولا ينزِلُون ولا يرحَلُون إلا بأمره. فبلغ من عِزّه وبغيه أنه ٱتخذ جِرْوَ كلبٍ[4]، فكان إذا نزل منزلاً به كَلأٌ قذف ذلك الجِرْوَ فيه فيَعْوِى، فلا يَرعَى أحدٌ ذلك الكلأَ إلا بإذنه، وكان يَفعل هذا بحِياض الماء، فلا يَرِدُها أحدٌ إلا بإذنه أو مَن آذَنَ بحَرْبٍ،

(١) سيذكر أبو الفرج فى سياق هذا الخبر أن الأحص وشبيثا نهيان (النهى: الغدير)، وفى القاموس أنهما موضعان بنجد. وفى كتاب معجم ما استعجم أن الأحص واد، وأن شبيثا ماء معروف لبنى تغلب. وهذا النظم للنابغة مأخوذ من قول جساس حين طعن كليبا فقصم صلبه فوقع كليب وهو يفحص برجله ثم قال لجساس: «أغثنى بشربة»، فقال له جساس: «تجاوزت شبيثا والأحص»، يعنى: ليس هذا وقت طلب الماء. وقد صار فيما بعد مثلا يضرب لمن يطلب شيئا فى غير وقته. ولفظ المثل فى الميدانى «تخطى إلىّ شبيثا والأحص». (٢) المترسم: موضع الماء لمن طلبه (عن معجم ما ٱستعجم).

(٣) الى هنا ينتهى حديث المؤلف عن النابغة الجعدى ثم استطرد الى الكلام عن حرب بكر وتغلب وما كان بين كليب وجساس بمناسبة ذكرهما فى شعر النابغة من غير أن يعقد لذلك عنوانا خاصا. ولذلك وضعنا هذه النجوم للدلالة على الفصل بين الخبرين ووضعنا فى أعلى الصفحة عنوان [حرب بكر وتغلب] بين قوسين مربعين للاشارة الى أنه زيادة من عندنا ولم يضعه المؤلف. (٤) كان اسم "كليب" "وائلا". وسبب تسميته "بكليب" أنه كان عنده كليب — تصغير كلب، وهو ما عبر عنه هنا «بجرو كليب» — يرمى به فحيث بلغ عواء هذا الكليب كان حمى لا يرعى؛ ومن ذلك قيل المثل: "أعز من كليب وائل". ثم غلب هذا الاسم عليه حتى ظنوه ٱسمه. (انظر كتاب مجمع الأمثال للميدانىّ).

فضرب به المثلُ فى العزّ، فقيل : « أعزُّ من كُلَيبِ وائلٍ » . وكان يَحمِى الصيدَ، ويقولُ : صيدُ ناحية كذا وكذا فى جِوَارِى؛ فلا يَصيدُ أحدٌ منه شيئا؛ وكان لا يمرّ بين يديه أحدٌ إذا جلس، ولا يحتبِى أحدٌ فى مجلسه غيرُه؛ فقتله جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ .

وقال أبو عُبيدةَ : قال أبو بَرْزَةَ القَيْسىّ [(١)] وهو من ولد عمرو بن مَرْثَد :

وكان كليبُ بنُ ربيعة ليس على الأرض بَكْرِىّ ولا تَغْلِبِىّ أجار رجلا ولا بعيرا إلا بإذنه، ولا يَحمِى حِمًى إلا بأمره، وكان إذا حَمَى حِمًى لا يُقْـرَبُ؛ وكان لمُرّةَ بنِ ذُهْلِ بنِ شَيْبان بن ثَعْلبةَ عشرةُ بنينَ جَسَّاسٌ أصغرُهم، وكانت أختُهم عند كليب. ١٤١ / ٤

وقال مُقاتِلٌ وفِرَاسٌ : وأمُّ جسَّاسٍ هَيْلَةُ بنتُ مُنقِذ بن سلمانَ [(٢)] بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مَنَاةَ، ثم خلَف عليها سعدُ بن ضُبيعةَ بنِ قيس بن ثعلبةَ بعد مرّة بنِ ذُهْل، فولدتْ له مالكا وعوْفًا وثعلبةَ . قال فِراسُ بن خَنْدَق [(٣)] البَسُوسىّ [(٤)] : فهى أُمّنا . وخالة جسّاس البَسُوس — وقال أبو بَرْزَةَ : البَسُوسِيّةُ — وهى التى يُقال لها : «أشأمُ من البَسُوسِ [(٥)] » . فجاءت فنزلتْ على ابن أختها جَسّاس فكانت جارةً لبنى مُرّة، ومعها ابنٌ لها، ولهم ناقةٌ خَوّارةٌ [(٦)] من نَعَم بنى سعد ومعها فَصيل .

أخبرنى علىّ بنُ سليمان قال قال أبو بَرْزَةَ : وقد كان كُليب قبـل ذلك قال لصاحبته أُختِ جَسّاس : هل تَعْلَمِينَ على الأرض عربيّا أمنعَ مِنّى ذِمّةً؟ فسكتت ثم أعاد عليها الثانية فسكتتْ ثم أعاد عليها الثالثة، فقالت : نعم أخِى جساسٌ ونَدْمانُه [(٧)]

(١) فى ط، ء : «أبو بردة» بالدال المهملة، وكذلك ورد هذا الاسم فيهما فى كل المواضع التى سيذكر فيها فيما بعد. (٢) فى ط، ء، م : «سلمان» . (٣) كذا فى ط، م، ء وكتاب النقائض فى أكثر من موضع والطبرى (قسم أول ص ١٠٦١) . وفى باقى الأصول : «فراس بن خندف» بالفاء بدل القاف، وهو تحريف . (٤) فى النقائض : «القيسى» . وهذه الكلمة ساقطة من ط، ء . (٥) كذا فى مجمع الأمثال (ج ١ ص ٣٣٠ طبع بولاق) وهى بنت منقذ التميمية وهى خالة جساس . وفى الأصول : "بسوسة" بزيادة التاء فى الآخر . (٦) ناقة خوّارة : رقيقة حسنة .
(٧) الندمان : الذى يرافقك وينادمك على الشراب، وقد يكون جمعا .

آبن عمّه عمرو المُزْدَلِف (١) بنُ أبى رَبيعة بن ذُهْل بن شَيْبان . وزعم مقاتِل : أن امرأته كانت أختَ جَسّاس ، فبينا هى تَغسِل رأسَ كليب وتُسَرِّحُه ذاتَ يوم إذ قال : مَنْ أعزّ وائل؟ فصمتَتْ (٢)، فأعاد عليها؛ فلما أكثر عليها قالت : أَخَوَايَ جَسّاسٌ وهَمّامٌ ؛ فنزع رأسَه من يدها وأخذ القوسَ فرمى فصيلَ ناقةِ البَسُوس خالةِ جَسّاس وجارةِ بنى مُرّة فقتله ؛ فأغمضُوا على ما فيه وسكتوا على ذلك. ثم لَقِيَ كُليبٌ آبنَ البَسُوس (٣) فقال : ما فعل فصيلُ ناقتِكم؟ قال : قتلتَه وأخليتَ لنا لبنَ أُمّه؛ فأغمضوا على هذه أيضا . ثم إنّ كليبا أعاد على آمرأته فقال: مَنْ أعزّ وائل؟ فقالت : أخواى؛ فأضمرَها وأسرّها فى نفسه وسكت، حتى مَرّتْ به إبلُ جسّاس، فرأى الناقةَ فأنكرها، فقال : ما هذه الناقةُ ؟ قالوا : لخالة جَسّاس؛ قال : أَوَ قد بلغ من أمر آبن السَّعْديّة أن يُجيرَ علىّ بغير إذنى ! إِرْمِ ضَرْعَها يا غلامُ. قال فِراسٌ: فأخذ القوسَ فرمى ضرعَ الناقة فآختلط دمُها بلبنها ؛ وراحت الرُّعاةُ على جسّاس فأخبروه بالأمر؛ فقال : احلبُوا لها مِكيالَىْ لبنٍ بِمحلَبها ولا تذكُروا لها من هذا شيئا ؛ ثم أغمضوا عليها أيضا. قال مُقاتِلٌ: حتى أصابتهم سَمَاءٌ، فغدا فى غِبِّها يَتَمَطَّر (٤)، وركب جَسّاسُ بن مُرّةَ وآبنُ عمه عمرُو بن الحارث بن ذُهْل — وقال أبو بَرْزَةَ : بل عمرو ابن أبى رَبيعة — وطعن عمرٌو كليبًا فحطَم صُلبَه؛ وقال أبو بَرْزَةَ: فسكت جَسّاسٌ،

(١) كذا فى أكثر الأصول، والمزدلف لقب عمرو بن أبى ربيعة بن ذهل وهو ابن عم جساس ابن مرة، لقب به لأنه ألقى برمحه فى حرب فقال: ازدلفوا إليه، كما قال ابن دريد، أو لاقترابه من الأقران فى الحروب وازدلافه إليهم، كما نقله ابن حبيب . (عن القاموس وشرحه مادة زلف) . وفى ب، س : « ... وندمانه ابن عمه عمرو والمزدلف ... ... » بزيادة واو العطف سهوا من الطابع .

(٢) فى ط، ء : « فضمزت »، وضمزت : سكتت . (٣) فى م : « جساسا » .

(٤) يتمطر : يتنزه . وقوله : « فى غبها » كذا فى الأصول، ولم نجد فى معاجم اللغة التى بين أيدينا أن كلمة "غب" وهى بمعنى "بعد" تجر بفى . وهذا الاستعمال نفسه ورد فى اللسان والقاموس وشرحه بدون حرف الجر .

حتى ظَعَنَ[1] ابنا وائل؛ فمرّت بكرُ بن وائل على نِهْيٍ[2] يقال له شُبَيْثٌ فنفاهم كُلَيبٌ عنه وقال: لا يذوقون منه قطرةً، ثم مرّوا على نِهْيٍ آخر يقال له الأحَصُّ فنفاهم عنه وقال: لا يذوقون منه قطرةً، ثم مرّوا على بطن الجَرِيب[3] فمنعهم إيّاه، فمضَوْا حتى نزلوا الذَّنائب[4]، واتّبعهم كليبٌ وحَيُّه حتى نزلوا عليه، ثم مرّ عليه جسّاس وهو واقفٌ على غدير الذنائب فقال: طردتَ أهلَنا عن المياه حتى كِدتَ تقتلُهم عطشًا! فقال كليبٌ: ما منعناهم من ماءٍ إلا ونحن له شاغلون، فمضى جسّاسٌ ومعه ابنُ عمه المزدلِفُ. وقال بعضُهم: بل جسّاسٌ ناداه فقال: هذا كفعلك بناقة خالتى، فقال له: أوَ قد ذكرتَها! أمَا إنى لو وجدتُها فى غير إبل مُرّة لاستحللتُ تلك الإبلَ بها. فعطف عليه جسّاسٌ فرسَه فطعنه برمح فأنفذ حِضْنَيْه[5]، فلما تَداءمَه[6] الموتُ قال: يا جسّاس اسقِنى من الماء، قال: ما عَقَلْتُ استسقاءكَ الماءَ منذُ ولدتْكَ أمُّك إلا ساعتَكَ هذه! . قال أبو بَرْزة: فعطَف عليه المُزدلِف[7] عمرو بن أبى ربيعة فاحتزّ رأسَه. وأمّا مقاتلٌ فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذُهل الذى طعنه فقصَم صُلْبَه. [قال][8]: وفيه يقول مُهلهِلٌ:

قتيلٌ ما قتيلُ المرءِ عمرٍو * وجسّاسِ بنِ مُرّةَ ذو ضَرِيرِ[9]

(١) كذا فى ب. وفى سائر الأصول: «طعن» بالطاء المهملة. (٢) النهى (بالكسر فى لغة أهل نجد، وغيرهم يقوله بالفتح): الغدير، وهو أيضا الموضع الذى له حاجز ينهى الماء أن يفيض منه. (٣) الجريب: واد عظيم بين أجلى وبين الذنائب وحبر، تجىء أعاليه من قبل اليمن حتى يصب فى الرمة. والرمة: فضاء به أودية كثيرة بأرض نجد. قال الهمدانى: هذا الجريب جريب نجد، وفى تهامة جريب آخر. (عن معجم ما استعجم ومعجم البلدان لياقوت). (٤) الذنائب: موضع بنجد. (٥) الحضن: ما دون الإبط الى الكشح. (٦) تداءمه: تراكم عليه وتزاحم. (٧) فى الأصول: «... المزدلف بن عمرو بن أبى ربيعة» بزيادة كلمة "ابن" وهو تحريف. (راجع الحاشية رقم ٨ ص ٣٥ من هذا الجزء). (٨) زيادة عن ط، ء، م. (٩) الضرير: الشدة، ويقال: فلان ذو ضرير إذا كان ذا صبر على الشرّ ومقاساة له. وذو ضرير هنا صفة لقتيل.

وقال العباسُ بن مِرْداسٍ السُّلَمِىّ يُحذِّر كُلَيبَ[1] بن عَهْمةَ السُّلَمِىّ ثم الظَّفَرِىّ لما مات حربُ بنُ أُميةَ وخَنَقَتِ الجنُّ مِرداسًا وكانوا شركاء فى القَرية[2] فجحدهم كُليبٌ حظَّهم منها — وسنذكر خبرَ ذلك فى آخر هذه الأخبار إن شاء الله تعالى — يُحذِّره غِبَّ الظلم فقال :

أكُليبُ مالكَ كلَّ يوم ظالمًا ＊ والظلمُ أنكدُ وجهُه ملعونُ
فافعَلْ بقومك ما أرادَ بوائلٍ ＊ يومَ الغَديرِ سَمِيُّكَ المطعونُ

وقال رجل من بنى بكر بن وائل فى الإسلام وهى تُنحَلُ للأعشى :

ونحن قهَرنا تَغلِبَ ٱبنةَ وائلٍ ＊ بقتلِ كُلَيبٍ إذ طغَى وتَخَيَّلَا[3]
أبأْناه[4] بالناب التى شقَّ ضَرعَها ＊ فأصبحَ مَوْطُوءَ الحِمَى مُتَذَلِّلَا

قال : ومَقتَلُ كُلَيبٍ بالذَّنائب عن يسار فَلْجَةَ[5] مُصعِدًا الى مكة، وقبرُه بالذنائب. وفيه يقول المهلهلُ :

ولو نُبِشَ المقابرُ عن كُلَيبٍ ＊ فيُخبَرَ[6] بالذنائب أىُّ زِيرِ

(١) كذا ورد هذا الاسم فى جميع الأصول هنا وكتاب النقائض (ص ٩٠٧) . وورد فى الأصول التى بين أيدينا من الأغانى فى أول أخبار أبى سفيان التى تقع فى ج ٦ ص ٩٢ طبع بولاق : «كليب بن أبى عهمة السلمىّ» . (٢) ذكر أبو الفرج فى ج ٦ ص ٩٢ و ج ٢٠ ص ١٣٥ طبع بولاق : أنّ حرب بن أمية لما انصرف من حرب عكاظ هو وإخوته مرّ بالقرية وهى إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام، فقال له مرداس بن أبى عامر : أما ترى هذا الموضع ؟ قال بلى ؛ قال : نعم المزدرع هو، فهل لك أن نكونا شريكين فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزدرعه بعد ذلك ؟ قال نعم ؛ فأضرما النار فى الغيضة ، فلما ٱستطارت وعلا لهبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كثير ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها ، فلم يلبث حرب بن أمية ومرداس بن أبى عامر أن ماتا ، فأما مرداس فدفن بالقرية ، ثم ٱدّعاها بعد ذلك كليب بن أبى عهمة السلمى ثم الظفرى . وقال أبو الفرج عند إيراده هذا الخبر فى ذلك الموضع : «وهذا شىء قد ذكرته العرب فى أشعارها وتواترت الرواية بذكره، فذكرته، والله أعلم» . (٣) تخيل : تكبر . (٤) أباء القاتل بالقتيل : قتله به . (٥) فلجة : منزل على طريق مكة من البصرة بعد أبرق حجر . (٦) نصب «فيخبر» لما فى «لو» من معنى التمنى . «وأى زير» مبتدأ محذوف الخبر، كأنه قال : أى زير أنا .

قال أبو بَرْزَةَ : فلما قتله أمال يَدَه بالفرس حتى انتهى الى أهله . قال: وتقول أخته حين رأته لأبيها : إن ذا لجسّاسٌ أتى خارجا ركبتاه ؛ قال : والله ما خرجت ركبتاه إلا لأمر عظيم ! . قال : فلما جاء قال : ما وراءكَ يا بُنَيَّ ؟ قال : ورائى أنى قد طعنتُ طعنةً لتُشغلَنّ بها شيوخُ وائل زمنا ؛ قال : أقتلتَ كليبا ؟ قال نعم ؛ قال : وَدِدتُ أنكَ وإخوتَكَ كنتم مِتّم قبل هذا ، ما بى إلا أن تتشاءمَ بى أبناءُ وائل . وزعم مُقاتِلٌ أن جسّاسا قال لأخيه نَضْلَةَ بن مرّة — وكان يُقال له عَضُدُ الحمار — :

وإنى قد جَنيتُ عليكَ حرباً * تُغِصُّ الشيخَ بالماء القَراحِ
مُذَكَّرَةً[1] متى ما يَصْحُ عنها * فَتًى نَشِبَتْ[2] بآخرَ غيرِ صَاحِ
تُنَكِّلُ عن ذُبابِ[3] الغَيِّ قوماً * وتدعُو آخرينَ الى الصّلاحِ

فأجابه نَضْلَةُ :

فإن[4] تَكُ قد جَنيتَ علىّ حرباً * فلا وَانٍ ولا رَثُّ السِّلاحِ

قال أبو بَرْزَةَ :

وكان همّامُ بن مُرّة آخى مُهَلْهِلًا وعاقدَه ألّا يَكْتُمَه شيئا ، فجاءت [اليه][5] أَمَةٌ له فأسرّت إليه قتلَ جسّاس كليبا ، فقال [له][5] مُهلهلٌ : ما قالت ؟ فلم يُخبره ، فذكّره

---

(١) مذكرة : شديدة . (٢) فى ط ، ى : «تشبب لآخر ...» . (٣) كذا فى ط ، ى ، م . والمعنى الذى يمكن أن يراد من معانى الذباب هنا وهو مضاف إلى الغىّ : الجنون أو الشرّ ، أى إنها تصرف قوما عن جنون غيهم وطيشهم وتردّهم إلى صوابهم . وفى باقى الأصول : «عن ذباب الغىّ» . وورد هذا الشطر فى كتاب بكر وتغلب ابنى وائل (طبع مطبعة نخبة الأخبار سنة ١٣٠٥ هـ ، ومنه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠ أدب ش) فى:

* تنكل دانيات البغى قوما *

(٤) فى ط ، ى ، م : «إن تك ...» بدون فاء . وهذا على أنه أوّل القصيدة ، وحينئذ يكون فيه الخرم ، وبحر الوافر مما يجوز فيه الخرم . (٥) زيادة عن ط ، ى .

العهدَ بينهما؛ فقال: أخبرَتْ أنّ جسّاسا قتلَ كليبا؛ فقال: آستُ[١] أخيكَ أضيق من ذلك. وزعم مُقاتلٌ: أنّ همّاما كان آخَى مُهَلْهِلًا وكان عاقده ألّا يكتمَه شيئا؛ فكانا جالسَيْنِ، فمرّ جسّاسٌ يَرْكُضُ به فرسُه مُخْرِجًا فَخِذَيه؛ فقال همّام: إنّ له لأمرًا، والله ما رأيتُه كاشفًا فَخِذَيه قطُّ فى رَكْض؛ فلم يلبثْ إلا قليلا حتى جاءته الخادم فسارّته أنّ جسّاسًا قتلَ كليبا؛ فقال له مُهلهلٌ: ما أخبرَتْكَ؟ قال: أخبرتْنِي أن أخى قتلَ أخاكَ؛ قال: هو أضيقُ آستًا من ذلك. وتحمّل القومُ، وغدا مُهلهلٌ بالخيل.

وقال المفضّلُ فى خبره: فلما قُتِلَ كليبٌ قالت بنو تَغلِبَ بعضُهم لبعض: لا تَعجَلُوا على إخوتكم حتى تُعْذِرُوا بينكم وبينهم؛ فانطلق رهطٌ من أشرافهم وذوى أسنانهم حتى أتَوْا مُرّةَ بنَ ذُهْل، فعظّمُوا ما بينهم وبينه، وقالوا له: اخترْ منّا ١٤٣ / ٤ خِصَالا: إمّا أن تَدْفعَ إلينا جسّاسًا فنقتلَه بصاحبنا فلم يَظْلِمْ مَنْ قتل قاتلَه، وإمّا أن تدفعَ إلينا همّاما، وإمّا أن تُقِيدَنا من نفسك؛ فسكتَ، وقد حضرتْه وجُوه بنى بكر بن وائل فقالوا: تكلّمْ غيرَ مخذول؛ فقال: أمّا جسّاسٌ فغلامٌ حديثُ السنّ ركِب رأسَه فهرَب حين خاف فلا عِلْمَ لى به، وأمّا همّامٌ فأبُو عَشَرةٍ وأخو عشرة[٢]، ولو دفعتُه إليكم لَصَيَّحَ[٣] بنوه فى وجهى وقالوا: دفعتَ أبانا للقتل بجَرِيرة غيره؛ وأمّا أنا فلا أتعجّلُ الموتَ، وهل تَزِيدُ الخيلُ على أن تجولَ جولةً فأكونَ أوّلَ قتيل! ولكن هل لكم فى غير ذلك؟ هؤلاء بنِيَّ، فدُونكم أحدَهم فاقتلُوه به، وإن شئتم فلكم ألفُ ناقةٍ تَضمَنُها

(١) تضرب العرب ضيق الاست مثلا فى الذلة والضعف. قال فى اللسان: «ويقال للرجل الذى يستذل ويستضعف: آست أمك أضيق وآستك أضيق من أن تفعل كذا وكذا». (٢) فى أمثال العرب للفضل الضبي (المطبوع بمطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ ص ٥٦) زيادة: «وعم عشرة» بعد قوله: «... وأخو عشرة». (٣) صيح الرجل: بالغ فى الصياح.

لكم بكرُ بنُ وائل ؛ فغضبوا وقالوا : إنّا لم نأتك لتُرْذِلَ[1] لنا بنيكَ ولا لِتَسُومَنَا اللبن ؛ فتفرّقوا، ووقعت الحربُ. وتُكُلِّمَ فى ذلك عند الحارث بن عُبَادٍ، فقال : «لا ناقة لى فى هذا ولا جمل»، وهو أوّل من قالها وأرسلها مثلا . قالوا جميعا : كانت حربهم أربعين سنة، فيهنّ خمسُ وقَعاتٍ مُزَاحَفات، وكانت تكون بينهم مُغَاوَرات[2]، وكان الرجل يلقى الرجلَ والرجلانِ الرجلين ونحو هـذا . وكان أوّلُ تلك الأيام يوم عُنَيْزَةَ، وهى عند فَلْجَةَ، فتكافئوا فيه لا لبكر ولا لِتَغْلِبَ؛ وتصديق ذلك قولُ مُهَلْهِلٍ :

يوم عنيزة

كأنّا غُــدوةً وبَنِى أبينــا * بجَنْبِ عُنَيْزةٍ رَحَيَـا مُدِيرِ
ولولا الريحُ أُسمِـعَ مَنْ بحُجْرٍ[3] * صليلَ البِيضِ تُقرَعُ بالذُّكورِ

فتفرّقوا، ثم غبروا زمانا . ثم التقَوْا يوم وارِدَاتٍ[4]، وكان لتغلِبَ على بكرٍ، وقتلوا بكرا أشدَّ القتل، وقتلوا بُجَيرًا، وذلك قولُ مُهَلْهِلٍ :

يوم واردات

فإنّى قــد تركتُ بِوارِداتٍ * بُجَيـرًا فى دَمٍ مثـلِ العَبِيرِ
هتكتُ به بيوتَ بنى عُبَادٍ * وبعضُ الغَشْمِ[5] أشفَى للصدورِ

قال مُقَاتِلٌ : [إنه[6]] إنما التُقِطَ تَوًّا . وسيجىء حديثُه[7] أسفلَ من هذا . التوّ : الفرد، يقال : وجدته تَوًّا، أى وحده .

---

(١) كذا فى ط ، ء وأمثال العرب للفضل الضبي، وفسرها بقوله : «أى تعطينا رذال بنيك» . ورذال الشىء (بالضم) : أردؤه . وفى باقى الأصول : «لتؤدّى لنا بنيك»، وهو تحريف .

(٢) يقال : غاور القوم اذا أغار بعضهم على بعض . (٣) فسر أبو على القالى فى أماليه (ج ٢ ص ١٣٤ طبعة دار الكتب المصرية) "حجرا" بأنها قصبة اليمامة، وضبطها القاموس بالفتح، ووردت مضبوطة فى ط بالضم، وحجر (بالضم) : موضع باليمن . والصليل : الصوت . والذكور : السيوف .

(٤) واردات : موضع عن يسار طريق مكة . (٥) الغشم : الظلم . (٦) زيادة عن ط ، ء .

(٧) فى ب ، س ، حـ : «... أسفل من هذا حديثه» . بزيادة كلمة «حديثه»، والظاهر أنه زيد سهوا من الناسخ .

قال أبو بَرْزَةَ : ثم انصرفوا بعد يوم واردات غيرَ بنى تَغْلبة بن عُكَابَةَ ورَأَّسُوا على أنفسهم الحارثَ بن عُبَادٍ، فاتَّبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة، حتى التقَوْا بالحِنْوِ(١)، فظهرت بنو ثعلبة على تَغْلِب .

يوم القصيبات

قال مقاتل : ثم التقَوْا يومَ بطن السِّرو، وهو يوم القُصَيبات(٢)، وربما قيل يوم القُصَيبة(٣)، وكان لبنى تَغْلِب على بَكْرٍ، حتى ظنَّت بكرٌ أن سيقتلونها(٤) — قال مقاتل : وقتلوا يومئذ همّامَ بن مرّة — . ثم التقَوْا يومَ قِضَةَ وهو يومُ التحالُقِ ويومُ الثَّنِيَّة(٥) . ويومُ

يوم قضة

قِضَةَ ويومُ الفَصِيلِ لبَكْر على تَغْلِب . قال أبو برزة : اتَّبعتْ تغلب بكرا فقطعوا رَمَلاتِ خَزَازَى(٦) والرَّغَامَ ثم مالوا لبطن الحِمَارة(٧)، فوردت بكرٌ قِضَةَ فسقتْ وأسقتْ

(١) الحنو : موضع فى ديار بكر وتغلب . (٢) القصيبات : موضع فى ديار بكر وتغلب .

(٣) كذا فى م وبه يستقيم الكلام . وفى باقى الأصول : « ... وربما قيل القصيبة وهى القصبات لبنى تغلب ... » . (٤) فى ط ، ء ، م : «أن سيقتلوها» و «أن» يجوز فيها أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون ناصبة للفعل بعد الظن ، ولكن وجود السين فى الفعل بعدها يعين أنها مخففة ، فيجب رفع الفعل . وفى ب ، س ، حـ : « ... أن سيقتلوا معا » . وفى كتاب الكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٢٩٥ طبع أوربا) — ولعله هو الصحيح — : « ... حتى ظنوا أنهم لن يستقيلوا » .

(٥) الثنية هنا : الطريقة فى الجبل كالنقب . ويوم الثنية معطوف على «يوم التحالق» على أنه تفسير آخر لـ«يوم قضة» كما يعينه ايراد الخبر فى كتاب معجم ما استعجم فى كلامه على «واردات» ، ونصه بعد أن ذكر الأيام التى قبله : « ... والخامس يوم قضة وهو يوم التحالق ويوم الثنية ، وقال أبو عبيدة : وهو أول يوم شهده الحارث بن عباد ... » . وظاهر أن الثنية التى أضيف اليها هذا اليوم هى الثنية التى وقع فيها الجمل فسدّها حين طعنه عوف بن مالك ليسدّ الطريق دون قومه ثم تحالقوا لتعرفهم النساء ، كما سيجىء ذلك بعد أسطر .

(٦) خزازى (ويقال فيه أيضا خزاز كسحاب وخزاز بالبناء على الكسر كقطام) : جبل فى ناحية منعج دون إمرة وفوق عاقل ، على يسار طريق البصرة إلى المدينة ، بإزاء حمى ضرية . والرغام : اسم رملة بعينها (كما فى القاموس) ، وذكر ياقوت فى معجم البلدان أنها من نواحى اليمامة . وفى كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى (طبع ليدن ص ١٥٣) بعد أن عرض لذكر القصبتين اللتين ذكرتا فى أخبار بنى وائل وإحداهما قصبة الرغام ، قال : « ... والرغام جماع منها سفوح وأرطاة والردان والطويل ، وكل ذا فيه نخل كثير ، ورميلة هى رملة الرغام مشرفة على ثرمداء ... » . (٧) كذا فى الأصول . والحمارة (بلفظ تأنيث الحمار) : اسم حرة . غير أن سياق عبارة الهمدانى (فى كتابه صفة جزيرة العرب ص ١٥٢ — ١٥٣) يدل على أن التى تصاقب الرغام هى «الحمادة» بالدال لا الحمارة بالراء . والحمادة (بالفتح) كما فى معجم ياقوت : ناحية باليمامة أيضا .

ثم صدرت وحلّئوا[1] تغلب، ونهضوا فى نُجْعة[2] يقال لها مُوَيبة لا يجوز فيها إلا بعير بعير؛ فلحق رجل من الأوس بن تغلب بغُلَيِّم من بنى تيم اللات بن ثعلبة يطرد ذَوْدًا[3] له، فطعن فى بطنه بالرمح ثم رفعه[4] فقال: تَحَدَّبى أمّ البوّ على بوّك. فرآه عوف بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة، فقال: أنفذوا[5] جمل أسماء (ابنته) فإنه

١٤٤/٤ أمضى جمالكم وأجودها منفذًا، فإذا نفذ تبعته النَّعَم؛ فوثب الجمل فى المُوَيبة، حتى اذا نهض على يديه وارتفعت رجلاه ضرب عُرْقوبيه وقطع بطان الظَّعينة فوقع فسدّ الثنية — ثم قال عوف: أنا البُرَكُ أبرك حيث أُدرك، فسُمّى البُرَك — ووقع الناس الى الأرض لا يرون مجازًا، وتحالقوا لتعرفهم النساء؛ فقال جحدر بن ضُبَيعة بن قيس أبو المسامعة — واسمه ربيعة؛ قال: وإنما سُمّى جحدرًا لقصره[6] —: لا تحلقوا رأسى فإنى رجلٌ قصير، لا تَشينونى، ولكنّى أشتريه منكم بأوّل[7] فارس يطلع عليكم من القوم؛ فطلع ابن عَناق فشدّ عليه فقتله. فقال رجل من بكر بن وائل يمدح مِسْمَع ابن مالك بذلك:

يابنَ الذى لما حلقنا اللِّمَمَا * ابتاع منا رأسه تكرُّمَا
* بفارسٍ أوّلِ مَنْ تقدّما *

وقال البكرى:

ومنّا الذى فادى من القوم رأسه * بمستلئم[8] من جمعهم غيرِ أعزلا
فادى إلينا بَزَّه[9] وسلاحه * ومنفصلًا من عنقه قد تزيّلا

(١) حلئوا تغلب: منعوها الماء. (٢) فى ط، ى: «نجفة» بالفاء. (٣) الذود: ثلاثة أبعرة إلى التسعة وقيل إلى العشرة وقيل غير ذلك، ولا يكون إلا من الإناث، وهو يستعمل بمعنى الواحد وبمعنى الجمع. (٤) فى حـ: «دفعه». (٥) فى ط، ى: «قدموا».
(٦) عبارة ط، ى: «قال: وانما بجحدره قصره». (٧) فى ط، ى: «بأكرم فارس».
(٨) المستلئم: لابس اللأمة: وهى السلاح كلها. يقال: استلأم الرجل اذا لبس ما عنده من عدّة: رمح وبيضة ومغفر وسيف ونبل ودرع. (٩) البز (بالفتح): نوع من الثياب. وفى ط، ى: «ثوبه».

قال : وكان جَحْدَرٌ يرتجز يومئذ ويقول :

رُدّوا علىّ الخيلَ إن ألَمّتِ * إن لم أقاتلهم فجُزّوا لِمّتِى

وزعم عامر بن عبد الملك المِسْمَعىّ أنه لم يقلها ، وأن صخر بن عمرو السُّلَمىّ قائلُها ، فقال مِسْمَع : كَرْدِين (كذب)[1] عامر . وقال البَكْرىّ :

ومِنّا الذى سَدّ الثنيةَ غُدْوةً * على حَلْفَــةٍ لم يُبْقِ فيها تَحَلُّلا

بجَهْدِ يمينِ الله لا يطلُعونها * ولمّا تُقاتِلْ جَمْعَهم حين أسْهَلا

وأمّا مقاتِل فزعم أنهم قالوا : اتّخِذوا عَلَمًا يعرِف به بعضُكم بعضا ، فتحالقوا[2] . وفيه يقول طَرَفة[3] :

صــوت

سائِلوا عنّا الذى يَعرِفنا * بِقُوَانا[4] يومَ تَحْلاقِ اللِّمَمْ

يومَ تُبْدِى البِيضُ عن أسْوُقِها[5] * وتَلُفُّ الخيلُ أعْراجَ النَّعَمْ

(١) كذا فى ط ، م ، ى . وكردين : كلمة فارسية معناها : حائد عن الصواب . وقد رجح لدينا أن كلمة « كذب » أثبتت تفسيرا من المؤلف لكلمة « كردين » فوضعناها بين علامتى التفسير اشارة إلى ذلك . وفى حـ : « كذب ابن كاذب عامر » . وفى ب ، س : « كاذب بن كاذب عامر » . (٢) كذا فى ط ، ى . وفى باقى الأصول : « فتحالفوا » بالفاء ، وهو تصحيف . (٣) ذكر هذان البيتان فى ديوان طرفة ضمن قصيدة أثبتها له أبو عبيدة والمفضل وأبو عمرو الشيبانى ، وزعم الأصمعى أنها مصنوعة وأنه أدرك قائلها (عن شرح ديوانه ص ١٠٤ طبع مدينة شالون سنة ١٩٠٠ م) . (٤) كذا فى حـ ، س ، وعدة أصول من ديوان طرفة . وفى باقى الأصول : « بوفانا » بالفاء وهو تحريف . (٥) أسْوُق : جمع لساق ، همزت الواو فيه لتحمل الضمة ، أى يوم تكشف النساء البيض عن سيقانها من الفزع . وتلف : تجمع . وأعراج : جمع عرج (بالفتح ويكسر) وهو القطيع من الإبل نحو الثمانين أو منها إلى تسعين أو هو مائة وخمسون وفويقها أو من خمسمائة إلى ألف . والنعم (بالتحريك وقد تسكن عينه) : الإبل .

غنّى فى هذين البيتين ٱبن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن الهشامىّ، وذكر أحمد بن المكىّ أنه لمعبد .

همام بن مرة ومقتله

وزعم مقاتل أنّ همّام بن مُرّة بنِ ذُهْل بن شَيْبان، لم يزلْ قائدَ بكر حتى قُتل يوم القُصَيبات، وهو قبل يوم قِضَة، [و يوم قِضَة] على أثَرِه[1] . وكان من حديث مقتل همّام أنه وجد غلاما مطروحا، فالتقطه وربّاه وسمّاه ناشرةَ فكان عنده لَقيطا؛ فلما شَبّ تبيّن أنه من بنى تَغْلِب؛ فلما ٱلتقَوْا يومَ القُصَيبات جعل همّام يقاتل، فإذا عطِش رجع إلى قِرْبة فشرِب منها ثم وضع سلاحَه؛ فوجد ناشرةُ من همّام غفلةً، فشدّ عليه بالعنَزة[2] فأقصده فقتله، ولحِق بقومه تغلِب. فقال باكى همّام :

لقد عَيْل الأقوامَ[3] طعنةُ ناشِرَهْ * أناشِرُ لا زالتْ يمينُك آشِرَهْ[4]

الحارث بن عباد وأخذه بثأر ابنه بجير

١٤٥ / ٤

ثم قتل ناشرةَ رجلٌ من بنى يَشْكُر . فلما كان يومُ قِضَة وتجمعتْ إليهم بكر، جاء إليهم الفِنْد الزِّمّانِىّ أحد بنى زِمّان بن مالك بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل من اليمامة، قال عامر بن عبد الملك المِسْمَعىّ : فرأسوه عليهم؛ فقلت أنا لِفراس

---

(١) كذا فى ط، ء : وهو الموافق لما أجمعت عليه المصادر التى بين أيدينا ومنها كتاب الأغانى نفسه فيما تقدّم فى أول هذا الخبر: من أن يوم القصيبات كان قبل يوم قضة ثم كان بعده يوم قضة. وقد وضعنا هذه الزيادة التى نعتقد أنها سقطت سهوا من الناسخ ليستقيم بها الكلام. وفى باقى الأصول : « ... يوم القصيبات وهو بعد يوم قضة القصيبات على أثره ... » وهو على ما فيه من اضطراب يخالف ما أثبته الأغانى نفسه قبلا . (٢) العنزة (محركة) : شبه العكازة أطول من العصا وأقصر من الرمح ولها زج من أسفلها . (٣) فى م، حـ واللسان (مادة أشر) : «الأيتام» بدل الأقوام . وعيلهم الطعنة : أفقرتهم وأحوجتهم، إذ كان المطعون معتمدهم وسندهم . (٤) آشرة : قال فى اللسان (مادة أشر) بعد أن ذكر البيت : « أى لا زالت يمينك مأشورة (مشقوقة) أو ذات أشر، كما قال عز وجل (خلق من ماء دافق) أى مدفوق، ومثل قوله عز وجل (عيشة راضية) أى مرضية، وذلك أن الشاعر إنما دعا على ناشرة لا له، بذلك أتى الخبر وإياه حكت الرواة . وذو الشىء قد يكون مفعولا كما يكون فاعلا ... الخ » .

ابن خَنْـدَق[١] : إن عامرًا يزعم أن الفِنْد كان رئيس بكر يوم قِضَة ؛ فقال : رحم الله أبا عبد الله ! كان أقلّ الناس حظًّا فى عِلم قومه. وقال فِراس : كان رئيسَ بكر بعد همّام الحارثُ بن عُبَاد . قال مقاتل : وكان الحارث بن عُبَاد قد آعتزل يوم قتـل كُلَيب، وقال :لا أنا من هذا ولا ناقتى ولا جملى ولا عِدْلى، وربمـا قال: لست من هذا ولا جملى ولا رَحْلى، وخذل بكرًا عن تَغلِبَ، واستعظم قتلَ كُلَيب لسؤدده فى ناقة . فقال سعد بن مالك يحضض الحارثَ بن عُبَاد :

يا بؤسَ للحـــرب الـــتى * وضعتْ أراهطَ[٢] فآستراحوا
والحـــربُ لا يَبْـــقَ لصـا * حبها[٣] التَّخَيُّـــلُ[٤] والمِـــراحُ
إلّا الفتى الصـــبّارُ فى النَّ * جَدات والفـــرسُ الوَقَاحُ[٥]

فلمّـا أُخذ بُجَـيْر[٦] بن الحارث بن عُبَاد تَوًّا بوارِدات ــ وإنمـا سُلّ ولم يؤخذ فى مُزَاحفة ــ قال له مُهَلْهِل: مَن خالُك يا غلام؟ ! . قال[٧] آمرؤ القيس بن أَبَان التَّغْلَبِىّ لمهلهل: إنى أرى غلامًا لَيُقْتَلَنّ به رجل لا يُسأل عن خاله، وربما قال عن حاله ــ

---

(١) أنظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٥ من هٰذا الجزء . (٢) أراهط : جمع أرهط الذى هو جمع رهط . وقال سيبويه : إن أراهط جمع لرهط على غير قياس . (٣) بين سطور ط : «بجاحمها» وكتبت أمامها كلمة «صح» . وجاحم الحرب : موقدها ومثيرها . وفى ء : «لحاجمها» بتقديم الحاء على الجيم وهو مصحف عما ثبت فى رواية ط . (٤) التخيل : التكبر. والمراح : الأشر والبطر . (٥) الوقاح (بالفتح) : الصلب القوىّ . (٦) كذا فى ب، سـ . وسيرد فى سياق كلام المؤلف بعد قليل أن بجيرا ابن أخى الحارث وأن أبا برزة قال : إنه ابن الحارث نفسه . ونسبه على أنه ابن أخى الحارث هو، كما ورد فى حـ ، : «فلما أخذ بجير بن عمرو ابن مرة بن عباد الحارث عم أبيه» . و «الحارث عم أبيه» جملة حالية سيقت لبيان ما بين بجير والحارث من آصرة قربى . وفى ط ، ء ، م : «ولما أخذ بجير بن عمرو بن مرة بن الحارث بن عباد توا بواردات ...» وغير خاف ما فيها من تحريف . (٧) كذا فى ب، سـ . وفى سائر الأصول : «قال يقول امرؤ القيس...» . ولو كان فى ب، سـ : «فقال» بالفاء ، كما ورد فى جميع الأصول فيما يأتى، لكان أوجه .

قال : فكان والله آمرؤ القيس هو المقتول به، قتله الحارث بن عُبَاد يوم قِضَة بيده — فقتله مهلهل . قال : فلمّا قتَل مهلهل بُجَيْراً قال : بُؤْ بِشِسْع نعل كُلَيب[1]؛ فقال له الغلام : إن رَضِيتْ بذلك بنو ضُبَيعة بن قيس رضيتُ . فلما بلغ الحارثَ قتلُ بُجَير ابنِ أخيه — وقال أبو بَرْزَة : بل بجير آبن الحارث بن عُبَاد نفسه — قال : نِعْمَ الغلامُ غلامٌ أصلح بين آبنَيْ وائلٍ و باء بكُلَيب . فلما سمعوا قول الحارث : قالوا له : إنّ مهلهلًا لمّـا قتله قال له : بُؤْ بشِسْع نعل كليب — وقال مهلهل :

كُلُّ قتيـلٍ فى كُلَيبٍ حُلَّامْ[2] * حتى ينالَ القتلُ آلَ هَمَّـامْ

وقال أيضا :

كُلُّ قتيـلٍ فى كُلَيبٍ غُرَّهْ[3] * حتى ينالَ القتـلُ آلَ مُرَّهْ

— فغضب الحارث عنـد ذلك فنادى بالرَّحيل[4] . قال مقاتل : وقال الحارث ابن عُبَاد :

قَـرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامةِ[5] مِنِّى * لَقِحتْ[6] حربُ وائلٍ عن حِيالِ

لا بُجَـيرٌ أغنَى قتيـلًا ولا رهـ * ـطُ كُلَيبٍ تَزَاجروا عن ضَلالِ

لم أكن من جُنَاتِهـا علم اللّـ * ـهُ وإنّى بحرّها اليومَ صـالِ

(١) باء دمه بدمه : عدله وكافأه ، وباء فلان بفلان : قتل به .

(٢) قتيل حلام : ذهب باطلا . وأصل الحلام (بضم الحاء وتشديد اللام وتخفيفها) : الصغير من ولد الغنم ، ويقال فيه حلان أيضا ، وقد روى بهما بيت مهلهل ، والشطر الثانى فى رواية «حلان» : «حتى ينال القتل آل شيبان» . يقول : كل من قتل فى كليب ناقص عن الوفاء به إلا آل همام أو شيبان . (عن اللسان مادة حلم ببعض تصرف) . (٣) الغرة : العبد والأمة . ومعنى هـذا البيت لمعنى الذى قبله . (٤) فى م : «فدنا بالرجل» بالجيم . ومن معانى الرجل (بالكسر) : الجيش ، شبه لكثرته برجل الجراد وهو الكثير منه . (٥) النعامة : اسم فرس كانت للحارث بن عباد . (٦) أصل اللقاح الحمل . وعن بمعنى بعد . وحيال : مصدر حالت الأنثى إذا لم تحمل . والمراد أن حرب وائل هاجت بعد سكون .

قال : ولم يصحّح عامر ولا مِسْمَع غير هذه الثلاثة الأبيات . وزعم أبو بَرْزة قال : كان أوّل فارس لقى مهلهلا يوم واردات بُجَير بن الحارث بن عُبَاد، فقال : مَنْ خالُك يا غلام ، وبوّأ نحوه الرمح[1] ؛ فقال له آمرؤ القيس بن أبَان التَّغْلِبيّ — وكان على مقدّمتهم[2] في حروبهم — : مهلًا يا مهلهل ! فإنّ عمّ هـذا وأهلَ بيته قد آعتزلوا حربَنا ولم يدخلوا في شيء ممّا نكره، ووالله لئن قتلته ليُقتلَنّ به رجلٌ لا يُسأل عن نسبه ؛ فلم يلتفتْ مهلهل إلى قوله وشدّ عليه فقتله ، وقال : بُؤْ بِشِسْع نعل كليب ؛ فقال الغلام : إن رَضيتْ بهذا بنو ثَعْلبة[3] فقد رضيتُه . قال : ثم غبَروا زمانا ، ثم لقِي همّامَ بن مرّة فقتله أيضا . فأتى الحارثَ بن عُبَاد فقيل له : قتل مهلهل هماما ؛ فغضِب وقال : رُدّوا الجِمالَ على عَكَرها[4] « الأمرُ مخلوجةٌ ليس بسُلْكَى[5] » ؛

وجدّ في قتالهم . قال مقاتل : فكان حَكَمَ بكر بن وائل يومَ قِضَةَ الحارثُ بن عُبَاد ؛ ١٤٦/٤

وكان الرئيسَ الفِنْدُ، وكان فارسَهم جَحْدَرٌ، وكان شاعرَهم سعدُ بن مالك بن ضُبَيعة، وكان الذي سَدّ الثنيّةَ عوفُ بن مالك بن ضُبَيعة، وكان عوفٌ أنبه من أخيه سعد . وقال فِرَاس بن خَنْدق[6] : بل كان رئيسَهم يوم قِضَة الحارثُ بن عُبَاد . قال

أسر مهلهل ونجاته ثم لحاقه باليمن وشعره في ذلك

مقاتل : فأسَر الحارثُ بن عباد عَديًّا — وهو مهلهل — بعد آنهزام الناس وهو لا يعرفه ؛

(١) بوّأ نحوه الرمح : قابله به وسدّده نحوه . (٢) عبارة ط ، ء : « وكان على مقدّمتهم ... » . (٣) كذا في أكثر الأصول . وثعلبة جدّ أعلى من جدود آل عباد الذين منهم بجير هذا، إذ آل عباد من ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وينتهي نسب ثعلبة الى بكر بن وائل . وفي ب ، س : «بنو تغلب» ، وهو تحريف . (٤) العكر : (محركة وقد تسكن) جمع عكرة : وهي القطيع الضخم من الإبل ، أي ردوا ما تفرق من الإبل الى معظمها . (٥) في لسان العرب (مادة خلج) : « الرأي مخلوجة ليس بسلكى » . وفي فرائد اللآل (ص ٣٢) ومجمع الأمثال (ج ١ ص ٢٩) : «الأمر سلكى وليس بمخلوجة» . والسلكى : الطعنة المستقيمة وهي التي تقابل المطعون فتكون أسلك فيه . والمخلوجة : المعوجة . يضرب هذا المثل في آستقامة الأمر ونفي ضدّها .

(٦) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٥ من هذا الجزء .

فقال له : دُلَّنى على المهلهل ؛ قال : ولى دمى ؟ قال : ولك دمُك ؛ قال : ولى ذِمّتك وذمّةُ أبيك ؟ قال : نعم ، ذلك لك ؛ قال : فأنا مُهَلْهِل . قال : دُلَّنى على كُفءٍ لبُجَيْر ؛ قال : لا أعلمه إلا آمرأَ القيس بن أَبَان ، هذاك عَلَمُه ؛ فجزّ ناصيته[1] وقصَد قصْد آمرئ القيس فشدّ عليه فقتله . فقال الحارث فى ذلك :

لَهْفَ نفسى على عَدِىٍّ ولم أعـ * ـرِفْ عَدِيًّا إذ أمكنتْنى اليدانِ
طُلَّ[2] مَنْ طُلَّ فى الحروب ولم أو * تِرْ بُجَيْـرًا أَبَأْتُه[3] آبنَ أبانِ
فارسٌ يَضرِب الكتيبةَ بالسيـ * ـف وتسمو أمامَـه العينانِ

وزعم مُحْجر أنّ مُهَلْهِلا قال : لا والله أو يعهَدَ لى غيرُك ؛ قال الحارث : آختر مَنْ شئت ؛ قال : أختار الشيخَ القاعد عَوْف بن مُحَلِّم ؛ قال الحارث : يا عوفُ أجِرْه ؛ قال : لا ! حتى يقعدَ خَلْفى ؛ فأمره فقعد خلفه ؛ فقال : أنا مُهَلْهِل . وأمّا مقاتل فقال : إنما أخذه فى دَوْرِ الرَّحَى[4] وحَوْمة القتال ولم يقعد أحد بعدُ ، فكيف يقول الشيخَ القاعدَ ! . قال مقاتل : وشدّ عليهم جَحْدَرٌ ، فاعتوره عمرو وعامر ، فطعن

---

(١) الناصية : الشعر فى مقدم الرأس فوق الجبهة ، وكان من عادة العرب أنهم اذا أنعموا على الرجل الشريف بعد أسره جزوا ناصيته وأطلقوه فتكون الناصية عند من جزها يفخر بها . وربما جزت ناصية الأسير شريفا كان أو غير شريف وأخذت للافتخار ، والعرب متفاوتون فى ذلك . قال زهير من قصيدة مدح بها هرم بن سنان المزى أحد الأجواد فى الجاهلية :

عظمت دسيعته وفضـله * جز النواصى من بنى بدر

وقالت الخنساء مفتخرة :

جـززنا نواصى فرسانها * وكانوا يظنون ألا تجـزا
ومن ظن ممن يلاق الحروب * بألا يصاب فقد ظن عجـزا

(٢) طل دم القتيل : ذهب هدرا . (٣) أباء القاتل بالقتيل : قتله به .

(٤) فى ط ، ء ، م : «أخذه فى المرحى» . والمرحى : حومة الحرب .

عمرًا بعالية[1] الرمح وطعن عامرًا بسافلته فقتلهما عِداءً[2] وجاء يزّهما . قال عامر بن عبد الملك المِسْمَعى : فحدّثنى رجلٌ عالم قال : سألنى الوليدُ بن يزيد : مَنْ قتلَ عمرًا وأخاه عامرا؟ قلت : جَحْدَر؛ قال : صدقتَ، فهل تدرى كيف قتلهما؟ قلت : نعم، قتل عمرًا بسِنَانِ[3] الرمح، وقتل عامرًا بزُجّه . قال : وقتل جحدرٌ أيضا أبا مِكْنَف . قال مقاتل : فلمّا رجع مُهلهل بعد الوَقْعة والأَسْر الى أهله ، جعل النساء والولدانُ يستخبرونه : تسأل المرأة عن زوجها وأَبنها[4] وأخيها، والغلامُ عن أبيه وأخيه؛ فقال:

ليس مثــلى يُخَبِّر الناسَ عن آ * بائهم قُتِّـلوا ويَنْسَى القِتالا
لم أَرِمْ[5] عَرْصةَ الكتيبةِ حتّى أن * تعل الوَرْدُ[6] من دماءٍ نِعالا
عَرَفَتْــه رِماحُ بكرٍ فمـا يا * خُذن إلا لَبَانَه[7] والقَــذَالا
غلَبــونا، ولا محــالةَ يــومًا * يَقلِبُ الدهرُ ذاك حالًا فحالا

ثم خرج حتّى لحِق بأرض اليمن ، فكان فى جَنْبٍ[8] ، فخطب إليه أحدُهم ابنتَــه فأبى أن يفعل، فأكرهوه فأنكحها إياه؛ فقال فى ذلك مهلهل :

---

(١) عالية الرمح : سنانه . وسافلته : زجه . وزج الرمح : حديدة فى أسفله . (٢) يقال: عادى الفارس بين صيدين و بين رجلين اذا طعنهما طعنتين متواليتين ، والعِداء بالكسر ، والمعاداة : الموالاة والمتابعة بين الاثنين يصرع أحدهما على إثر الآخر فى طلق واحد، وأنشد لامرئ القيس :

فعادى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

(٣) فى ب ، س، حـ : «بعالية الرمح» . (٤) فى ب، س، حـ : «وأبيها» .
(٥) لم أرم : لم أبرح . (٦) الورد من الخيل : بين الكميت والأشقر؛ أو هو الأحمر الضارب الى الصفرة . (٧) كذا فى أكثر الأصول، واللبان : الصدر . وفى ب ، س : «لباته» بالتاء بدل النون، واللبة : المنحر . (٨) جنب : حى باليمن من مذحج، وهم ستة رجال: منبه والحارث والعلى وسيحان وشمران وهفان يقال لهم جنب لأنهم جانبوا أخاهم صداء . (راجع معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٧٧ طبع أوربا) .

أنكحها فقدُها الأراقمَ[1] في * جَنْبٍ وكان الحِباءُ[2] من أَدَمِ
لو بأبانَيْنِ[3] جاء يخطبها * ضُرِّج ما أنفُ خاطبٍ بدمِ
أصبحتُ لا مُنْفِسًا[4] أصبتُ ولا * أُبْتُ كريمًا حُرًّا من النَّدَمِ
هانَ على تَغْلِبٍ بما لَقِيَتْ * أختُ بني المالِكِين من جُشَمِ
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا * يُغْنُون من عَيْلَةٍ ولا عَدَمِ

١٤٧/٤ ثم إنّ مهلهلا انحدر، فأخذه عمرو بن مالك بن ضُبَيعة، فطلب اليه أخواله بنو يَشْكُر — وأمّ مهلهل المرادة[5] بنت ثعلبة بن جُشَم بن غُبْر[6] اليشكرية، وأختها مَنّة[7] بنت ثعلبة أمّ حَيّ[8] بن وائل، وكان المُحَلِّل[9] بن ثعلبة خالَهما — فطلب إلى عمرو أن يدفعه إليه فيكون عنده ففعل[10]، فسقاه خمرا، فلما طابت نفسه تغنّى:

طَفْلَةٌ[11] ما ابنةُ المُحَلِّل بيضا * ءُ لَعُوبٌ لذيذةٌ في العِناقِ

---

(١) الأراقم: حيّ من تغلب. (٢) كذا في ط، ء وعيون الأخبار (ج ٣ ص ٩١) طبع دار الكتب المصرية، وكذلك صححها المرحوم الشنقيطي بنسخته. وفي باقي الأصول: «الخباء» بالخاء المعجمة، وهو تصحيف وقد وقع في هذا التصحيف ابن دريد كما في المزهر للسيوطي (ج ٢ ص ١٨٦) (٣) أبانان: جبلان، قيل: يقال لأحدهما أبان الأبيض وللآخر أبان الأسود، وقيل: هو تثنية أبان ومتالع غلب أحدهما، كما قالوا العمران والقمران في أبي بكر وعمر وفي الشمس والقمر. (انظر معجم البلدان لياقوت). (٤) المنفس: المال الكثير الذي له قدر وخطر. (٥) في ط، ء: «المرداة». وفي حـ: «المرتادة». (٦) كذا في ط، ء، وهو الموافق لما في شرح القاموس «مادة غبر» وفي الأصول «عبد» وهو تحريف. (٧) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «أمية». (٨) كذا في ط، ء، م. وفي باقي الأصول: «بنت ثعلبة حي من وائل». (٩) كذا في ط، ء، م والطبري (قسم ٢ ج ٣ ص ٨٨٤ طبع أوربا). وفي باقي الأصول وهامش الطبري: «المجلل» بالجيم. (١٠) في ط، ء، م: «ففعل المحلل ثم شرب مهلهل يوما وهو عند المحلل خمرا...». (١١) الطفلة: الرخصة الناعمة.

حتى فرغ من القصيدة، فأدّى ذلك مَنْ سَمِعه من المُهَلهِل إلى عمرو، فحَوّله إليه وأقسم ألّا يذوق عنده خمرا ولا ماء ولا لبنا حتى يَرِدَ رَبِيبُ الهِضَابَ (جمل له كان أقلّ وروده فى الصيف الخِمْس)[1]؛ فقالوا له: يا خيرَ الفتيان، أرسلْ إلى ربيبٍ فلْتُؤتَ به قبل وروده، ففعل فأَوْجره[2] ذَنُوباً من ماء؛ فلما تحَلّل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة، وهو أوبأُ ماءٍ رأيته، فمات. فتلك الهِضَاب التى كان يرعاها رَبِيبٌ يقال لها هِضاب ربيب، طالما رعيتُهنّ ورأيتهنّ. قال مقاتل: ولم يُقاتل معنا من بنى يَشْكُرَ ولا من بنى لُجَيْم ولا ذُهْل بنِ ثَعْلبة غيرُ ناس من بنى يَشْكر وذُهْلٍ قاتلتْ بأَخَرةٍ[3]، ثم جاء ناس من بنى لُجَيم يوم قِضَةَ مع الفِنْدِ. وفى ذلك يقول سَعْد ابن مالك:

القبائل التى انضمت الى بكر فى حربهم مع تغلب

إنّ لُجَيْماً قد أبَتْ كلُّها * أن يُرْفِدونا رجلًا واحدَا
ويَشْكُرٌ أضحتْ على نأيها * لم تَسْمَعِ الآنَ لها حامدَا
ولا بنو ذُهْلٍ وقد أصبحوا * بها حُلولاً خَلَقًا[4] ماجدَا
القائدى الخيلِ لأرض العِدَا * والضاربين الكوكبَ الوافِدَا[5]

وقال البَكْرىّ:

وصَدّتْ لُجَيمٌ للبراءة إذ رأتْ * أهاضيبَ[6] موتٍ تُمطِرُ الموتَ مُعْضِلَا
ويَشْكُرُ قد مالتْ قديمًا وأَرْتعتْ * ومَنّتْ بقُرْباها اليهم لِتُوصَلا

وقالوا جميعا: ماتَ جَسّاسٌ حَتْفَ أنفه ولم يُقْتَل.

(١) الخمس بالكسر: من أظماء الإبل وهو أن ترد الإبل الماء فى اليوم الخامس. (٢) أوجره ذنوبا من ماء: أى جعله فى فيه. والذنوب: الدلو التى لها ذنب، ولا تكون ذنوبا إلا وهى ملأى، ولا تسمى خالية ذنوبا.
(٣) بأخرة: أخيرا، يقال جاء أخرة وبأخرة (بفتح الهمزة والخاء وبضم الهمزة). (٤) كذا فى حـ. وفى ب، سـ: «حلولا خلقا ماجدا». وفى ط، ء: «حلوما حلقا ماجدا». وفى م: «حلوما خلفا ماجدا».
(٥) كذا فى ب. والكوكب: سيد القوم وفارسهم، والرجل بسلاحه. والوافد: القادم. وفى باقى الأصول: «الواقدا» بالقاف، ولعله تصحيف. (٦) الأهاضيب: جمع أهضوبة وهى الدفعة من المطر.

عدد القتلى من بكر وتغلب والاستشهاد على ذلك بشعر مهلهل

قال عامر بن عبد الملك : لم يكن بينهم من قتْلى تعدّ ولا تذكر إلا ثمانيةَ نفرٍ من تَغْلب وأربعةٌ من بَكْر عدّدهم مُهلهِلٌ فى شِعْرَيْهِ(١)، يعنى قصيدتَيْه :

أليلتَنا بذى حُسُمٍ(٢) أنيرِى * إذا أنتِ انقضَيتِ فلا تَحُورِى

فإن يكُ بالذَّنائب طال ليلى * فقد أبكى من الليل القصيرِ

فلو نُبِش المقابرُ عن كُلَيب * فيَعْــلَمَ بالذنائب أىُّ زِيرِ

بيوم الشَّعْثمَيْنِ أُقَــرّ(٣) عينًــا * وكيف لِقاءُ من تحت القُبورِ

وإنّى قــد تركتُ بوارِداتٍ(٤) * بُجَيرًا فى دمٍ مثــلِ العَبيرِ(٥)

هتكتُ به بيوتَ بنى عُبَادٍ * وبعضُ الغَشْم أشفَى للصّدورِ

على أنْ ليس يُوفَى من كُلَيْبٍ * إذَا برزتْ مخبّأةُ الخُــدورِ

١٤٨
٤

---

(١) كذا فى ط، ى. وفى سائر الأصول : «فى شعره يعنى من قصيدته». (٢) ذو حسم : موضع بالبادية. وتحورى : ترجعى. (٣) يوم الشعثمين : هو يوم واردات، كما فى العقد الفريد، بيد أن شعر الأخطل الآتى يدل على أنه يوم الذنائب. والشعثمان هما شعثم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر ابن ذهل بن ثعلبة، كما فى العقد الفريد، وقيل : هما شعثم وشعيث، وقيل فى اسميهما غير ذلك. وأضيف هذا اليوم إليهما لأنهما قتلا فيه. وقد جمعهما الأخطل فى قصيدة يفتخر فيها بقومه بنى تغلب على "شعاثم"، يريد أبنى معاوية ومن قتل معهما فى ذلك اليوم، فقال :

بقــوم هُمُ يوم الذنائب أهلكوا «شعاثم» رهط الحارث بن عباد

وقال أبو على القالى فى أماليه : "الشعثمان : موضــع معروف". وردّ قوله هذا بأنه لم يذكره أحد ممن شرح حرب البسوس وذكر أيامها. (راجع شرح شواهد المغنى للبغــدادى ج ٢ ص ٢٣٤ من النسخة المخطوطة المحفــوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢ نحو ش والعقــد الفريد ج ٣ ص ٩٥). وأقرّ عينا : جواب «لو» الشرطية فى البيت الذى قبل هذا البيت. ورواية الأمالى : « لقرّ عينا » باللام. وقد تقدّم فى ص ٣٨ أن هذا الفعل نصب لمـا فى « لو » من معنى التمنى. (٤) واردات : موضع عن يسار طريق مكة، وبه سمى "يوم واردات". (٥) العبير : الزعفران.

وهمّامَ بن مُرّةَ قد تركنا * عليه القَشْعَمان(1) من النسورِ
ينوء بصدره والرمحُ فيه * ويَخْلِجه(2) خِدَبٌّ كالبعيرِ
فلولا الريحُ أُسْمِعَ مَنْ بِحُجْرٍ * صليلَ البِيضِ تُقْرَعُ بالذكورِ(3)
فِدًى لبنى شَقِيقةَ يوم جاءوا * كأُسْدِ الغَابِ لَجّتْ فى الزَّئيرِ
كأنّ رماحَهم أَشْطانُ(4) بئرٍ * بعيدٍ بين جالَيْها(5) جَرُورِ
غداةَ كأنّنا وبنى أبينا * بجَنْب عُنَيْزةٍ رَحَيا(6) مُدِيرِ
تَظَلّ الخيلُ عاكفةً عليهم * كأنّ الخيلَ تُرْحَضُ(7) فى غديرِ

فهؤلاء أربعة من بنى بكر بن وائل. وقال أيضا:

طَفْلةٌ ما ٱبنةُ المحلّل بَيْضا * ءُ لَعُوبٌ لذيذةٌ فى العِنَاقِ
فٱذهَبِى ما إليكِ غيرَ بعيدٍ * لا يُؤَاتى العِناقُ مَنْ فى الوَثاقِ
ضربتْ نحرَها إلىّ وقالتْ * يا عَدِيًّا لقد وَقَتْكَ الأَواقى(8)
ما أُرَجِّى فى العيش بعد نَدَا مَا * ىَ أراهم سُقُوا بكأس حَلَاقِ(9)

---

(1) القشعم: النسر الذكر العظيم. ويروى كما فى الأمالى لأبى على القالى ج ٢ ص ١٣٢ طبع دار الكتب المصرية: «عليه القشعمين» على أنه معمول لتركنا، وبالرفع على أنه جملة حالية استغنت فى الربط بالهاء عن الواو. على أنه يجوز أن يكون القشعمان مفردا وتلحق حركة الاعراب فيه النون لا الألف، وقد تضم القاف والعين كما فى ثعلبان وقد تفتحان كما فى عقربان. (2) يخلجه: يجذبه. والخدب: الضخم. (3) تقدّم تفسير هذا البيت فى ص ٤١ فى الحاشية رقم ٣ من هذا الجزء. (4) الأشطان: جمع شطن وهو الحبل الشديد الفتل يستقى به. (5) جال البئر: ناحيتها. والجرور من الآبار: البعيدة القعر. (6) فى شرح شواهد المغنى للبغدادى: «قال أبو عبيد البكرى فى شرح نوادر القالى المسمى (قرة النواظر فى شرح النوادر): الرحيان اذا أدارهما مدير أثرت إحداهما فى الأخرى وهما من معدن واحد، وكذلك هؤلاء هم من أصل واحد يماحقون و يقتتلون». (7) ترحض: تغسل. (8) الأواقى: جمع واقية. (9) الحلاق: المنية معدولة عن الحالقة لأنها تحلق أى تقشر، وبنيت على الكسر لأنه حصل فيها العدل والتأنيث والصفة الغالبة.

بعـــد عمرٍو وعامرٍ وحُـــيَيٍّ * ورَبيعِ الصُّدُوفِ[1] وٱبْنِي عَنَاقِ
وامرئِ القيسِ مَيِّتٍ يومَ أَوْدَى * ثم خَـــلَّى علىَّ ذاتَ العَـــرَاقِي[2]
وكُلَيبٍ سَمِّ[3] الفـــوارسِ إذ حُــمَّ * رَمَاهُ الـــكُماةُ بالإِيفاقِ[4]
إنّ تحتَ الأحجارِ حَدًّا[5] ولِينًا * وخَصِيمًا أَلدَّ ذا مِغْـــلاقِ[6]
حيّـــةٌ في الوِجَارِ[7] أَرْبَدُ لا تَنْـــ * ـفَعُ منه السليمَ نَفْثـــةُ راقِ

فهؤلاء ثمانية من تغلب . قال عامر : والدليل على أنّ القَتْلى كانوا قليلًا أنّ آباء القبائل هم الذين شهِدوا تلك الحروبَ، فعُدُّوهم وعُدُّوا بنيهم وبنى بنيهم، فإن كانوا خمسمائة فقد صدَقوا، فكم عسى أن يبلغ عددُ القتلى والقبائل. قال مِسْمَع : إنّ أخى مجنون، وكيف يحتجّ بشعر المُهَلهِل، وقد قتل جَحْدرٌ أبا مِكْنَف يومَ قِضَةَ فلم يذكره فى شعره ، وقَتل اليشكرىُّ ناشِرةَ فلم يذكره فى الشعر، وقُتِل حَبيبٌ يومَ وارِدات ، وقَتل سعدُ بن مالك يوم قِضَةَ ٱبنَ القَبِيحة فلم يُذْكر، فهؤلاء أربعة . وقال البَكْرىّ :

تركنا حَبيبًا يومَ أَرْجفَ جمعُـه * صريعًـا بأعلى وارداتٍ مُجَـدَّلا

---

(١) كذا فى أكثر الأصول وفى شرح شواهد العينى المطبوع بهامش خزانة الأدب للبغـدادى (ج ٤ ص ٢١٣ طبع بولاق) ، وقد فسره العينى بقوله : «الصدوف بفتح الصاد المهملة و فى آخره فاء : اسم فرس الربيع الذى أضيف اليها وقيل : اسم آمرأة» . و فى س : «الصدوق» بالقاف ، وهو تصحيف .
(٢) ذات العراق : الداهية . (٣) فى ب ، س : « شمّ » بالشين ، وهو تصحيف .
(٤) كذا فى شرح شواهد العينى ، والايفاق (بكسر الهمزة وسكون الياء بعدها فاء و بعد الألف قاف) : إيتار السهم ليرمى به ، من أوفقت السهم اذا وضـعته على فوقه . وفى الأصول : « بالاتفاق » وهو تصحيف . (٥) كذا فى م ، حـ . والحدّ : الحدة . وفى سائر الأصول : « جدا » بالجيم . (٦) المغلاق : اللسان البليغ كأنه يغلق بخصمه ، ويروى : «معلاق» بالغين المعجمة ، كأنه يغلق الحجة على خصمه . (٧) الحية يطلق على الذكر والأنثى . والوجار : جحر الضبع و يستعار لغيرها . والأربد : الذى يضرب لونه الى السواد .

وقال مُهَلهِل أيضا :

لستُ أرجــو لَذّةَ العيش ما * أزَمَتْ[1] أجــلادُ قِدٍّ بِساقِى
جَلَّلونى جِــلْدَ حَوْبٍ[2] فقــد * جعــلوا نَفْسِى عنــد الـتَّرَاقِى

وقال آخر[3] يفخَر بيوم واردات :

ومُهَــراقُ الدماء بواردات * تَبِيــد المُخْــزِياتُ وما تَبِيــدُ

فقلتُ لعــامر : ما بالُ مِسْمَع وما احتجّ به من هؤلاء الأربعــة ؟ فقال عامر : وما أربعــةٌ إن كنتُ أغفلتهُم[4] فيما يقــولون ! إنّهم قتلوا يوم كذا[5] ثلاثةَ آلاف، ويوم كذا[5] أربعةَ آلاف، والله ما أظنّ جميع القوم كانوا يومئــذ ألفا ! فهاتوا فعُدُّوا أسماءَ القبائل وأبناءهم وأنزِلوا معهم [الى][6] أبناء أبنائهم، فكم عسى أن يكونوا !

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأغانى

١٤٩/٤

صــــوت

أَزْجُرِ العــين أنْ تُبَكِّى الطُّلولَا * إنّ فى الصدر من كُلَيبٍ غليلَا
إنّ فى الصدرِ حاجةً لن تَقَضَّى * مادعا فى الغصون داعٍ هَــديلَا
كيف أنســاكَ يا كُلَيبُ ولمّــا * أَقضِ حزنًا ينُــوبُنى وغَليــلَا

---

(١) أزمت : تقبضت وانضمت . (٢) كذا صحح هذه الكلمة المرحوم الشيخ الشنقيطى فى نسخته . والحوب (بالحاء المهملة المفتوحة والواو) : الضخم من الجمال . والبعير اذا زجر قيل له حوب ولذلك سمى حوبا بزجره كما سمى البغل عدسا بزجره وسمى الغراب غاقا بصوته . وفى ط ، ء ، م : « جوب » بالجيم والجوب الترس ، وهو بعيد عن السياق . وفى باقى الأصول « حرف » بالحاء المهملة والراء . والحرف الناقة الضامرة الصلبة . (٣) هو جرير البجلى وقيل : هو الأخطل . « انظر اللسان مادة هرق » . (٤) كذا فى ط ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «لأعقلهم» . (٥) كذا فى ط ، ء ، م . وفى باقى الأصول : «ويوم كذا وكذا ... ...» . (٦) الزيادة عن ط .

أيهــا القلبُ أَنجِزِ اليومَ نَحْبـا[1] * من بني الحِصْنِ[2] إذ غَدَوْا وذُحولَا[3]
كيف يبكي الطلولَ مَنْ هو رهنٌ * بِطِعَانِ الأنامِ جِيــلًا فجيــلَا
أنبَضُــوا[4] مَعْجِسَ القِسِيِّ وأبرقْـ * ـنا كما تُوعِدُ الفحولُ الفحــولَا
وصــبَرْنا تحت البَوَارِقِ حتّى * رَكَدتْ فيهمُ السيوفُ طويلَا
لم يُطيقوا أنْ ينزِلوا ونزلْنا * وأخو الحربِ مَنْ أطاق النزولَا

الشعر لمُهلهِل — قال أبو عُبَيدة : اسمه عَدِيّ ، وقال يعقوب بن السِّكِّيت : اسمه آمرؤ القيس — وهو ابن رَبيعة بن الحارث بن زُهَير بن جُشَم بن بَكْر بن حَبيب ابن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِب؛ وإنمــا لُقِّب مُهَلهِلًا لِطيب شعره ورِقّتــه، وكان أحدَ من غَنَّى من العرب فى شــعره . وقيل : إنه أوّلُ من قَصَّد القصائدَ وقال الغــزلَ؛ فقيــل : قد هَلْهَلَ الشعرَ، أى أرَقّه . وهو أوّل مَنْ كَذَب[5] فى شــعره . وهو خال آمرئ القيس بن حُجْر الكِنْديّ . وكان فيه خُنْثٌ ولين، وكان كثيرَ المحادثة للنّساء، فكان كُلَيب يسمّيه « زِيرَ النِّساء »؛ فذلك قوله :

ولو نُبِش المقابرُ عن كُلَيبٍ * فيَعْــلَمَ بالذنائب أىُّ زِيرِ

الغناء لابن مُحْرِز فى الأوّل والثــانى من الأبيات ثقيــلٌ أوّلُ بالسبّابة فى مجرى الوسطى . وللغَرِيض فيهما لحنٌ فى هذه الطريقة والإصبع والمجرى[6]، والذى فيــه نَشِيجةٌ منها[7] لابن مُحرز . ولمَعْبَد لحنان أحدهما فى الأوّل والسادس ثقيل أوّل مطلق

(١) النحب : النذر . (٢) الحصن : هو ثعلبة بن عكابة . (٣) الذحول : جمع ذحل وهو الثأر . (٤) أنبض الرامى القوس وعن القوس : جذب وترها لتصوّت . والمعجس كمجلس : مقبض القوس . (٥) حكم عليه بهذا لقوله : « فلولا الريح ... » البيت، لأن قتالهم كان بالجزيرة وحجر قصبــة اليمامة، وبين الموضعين مسافة عظيمة . (راجع أمالى أبى على القالى ج ٢ ص ١٣٤ طبع دار الكتب المصرية وكتاب الشعر والشعراء ص ١٦٤) . (٦) فى ط : «والإصبع فى المجرى» . (٧) لعل الصواب : «منهما» على أن يكون مرجع الضمير اللحنين .

فى مجرى البنصر، والآخر خفيفُ ثقيــلٍ أوّل بالبنصر . ولإبراهيم فى الأوّل والرابع ثقيــلٌ أوّل بالخنصر فى مجرى الوســطى . ولإسحاق فى الأوّل والثالث ماخُورِىّ . ولعَلُّويَه فى الأوّل والثانى خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر، ولمـالك فيهما خفيف رمل بالسبّابة فى مجرى الوسطى . ولابن سُرَيج فى السادس والسابع خفيفُ رملٍ بالسبّابة فى مجرى البنصر . ولابن سُرَيج أيضا فى الأوّل والثامن خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر. وللغَرِيض فى الأوّل والثانى خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر . وللهُذَلِىّ فى الأوّل والثانى والسابع خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه . ولمـالك فى الأوّل والثـانى والخامس خفيفُ ثقيــلٍ أوّل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو ابن بانة .

ومنهـا :

صــــوت

تَـكلتْنِى عنــدَ الثَّنِيَّــةِ أُمِّى (١) * وأتاهـا نَـعِىُّ عَمِّى وخالى

إنْ لَمْ اَشْفِ النفوسَ من حَىِّ بكرٍ * وعَــدِىٌّ تَطَـاهُ بُزْلُ الجِمَـالِ (٢)

غنّاه ابن سُرَيج ثقيلًا أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى من رواية إسحاق، وغنّاه الغريض ثقيلًا أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

---

(١) فى ط ، ى ، م : « على » . (٢) رواية هذا البيت فى كتاب بكر وتغلب ابنى وائل :

إن لم آشف النفوس من تغلب الغد * ر بيــوم تــذل بزل الجمال

ولعله : « يُذِلُّ بزل الجمال » وبهذا يكون البيت واضح العبارة والمعنى . وقد ورد فى ب ، س عقب هذين البيتين جملة : « الشعر مجهول » ، وهى حشو لأن هذا الشعر لحارث بن عباد كما سيذكر المؤلف بعد قليل .

١٥٠/٤

ومنها :

صـــوت

قَــرِّبَا مَرْبِطَ النَّعامة مِنِّى * لَقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ[1]
قَــرِّباها فى مُقْــرَبَاتٍ[2] عِجَالٍ * عابساتٍ يَثِبْنَ وَثْبَ السَّعالِى
لم أكن من جُنَاتِها علم اللهُ وإنّى بحَرِّها اليــوم صالِ

الشعر للحارث بن عُبَاد . والغناء للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . وفيه لحن آخر يقال إنه لابن سُرَيج .

ومنها :

صـــوت

يالَبَكْرٍ أَنْشِروا لى كُلَيْباً * يالَبَكْرٍ أينَ أينَ الفِــرارُ
يالَبَكْرٍ فاظعَنوا[3] أو حُــلُّوا * صَرَّح الشرُّ وبان السِّرارُ

الشعر لمُهَلْهِل . والغناء لابن سُرَيج، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة فى مجرى البنصر من رواية إسحاق . وغنّاه الأبْجَر خفيف رملٍ بالوسطى من رواية عمرو .

ومنها :

صـــوت

أليلتَنا بذى حُسُمٍ أَنِيرِى * اذا أنتِ انقضيتِ فلا تَحُورِى
فإن يكُ بالذَّنائب طال ليلِى * فقد أبكى من الليل القصيرِ

(١) تقدّم شرح هذا البيت فى الحاشيتين رقم ٥ ، ٦ ص ٤٧ من هذا الجزء. (٢) المقربات : جمع مقربة وهى الفرس التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها . والسعالى : جمع سعلاة وهى الغول أو ساحرة الجن . ورواية هذا البيت فى كتاب بكر وتغلب :

قربا مربط النعامة منى * ساريات يقفزن قفز السعالى

وهى رواية غير جيدة . (٣) فى ط ، ء : «يالبكر اظعنوا...» بدون فاء .

كأنّ الجَدْىَ جَدْىَ(١) بناتِ نَعْشٍ * يُكَبّ(٢) على اليدين بمستدير(٣)

وتَحْبُو(٤) الشِّعْرَيانِ(٥) الى سُهَيلٍ * يَلُوح كقِمَّة(٦) الجمل الكبير

فلولا الريحُ أُسمِعَ أهلُ حَجْرٍ * صَلِيلَ البِيض تُقْرَعُ بالذُّكورِ

الشعر لمُهَلْهِل . والغناء لابن مُحْرِز فى الأوّل والثانى ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وله فى الأبيات كلها خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلقٌ فى مجرى الوسطى، عن إسحاق جميعا . وفى الأبيات كلِّها على الوِلَاء للأبْجَر ثانى ثقيلٍ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو . ويقال : إن فيها لحنًا للغَرِيض أيضا .

المهلهل بن كليب وثأره لأبيه من خاله جساس

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا الحسن بن الحسين السُّكَّرِىّ قال حدّثنا محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابىّ عن المُفَضَّل عن أبى عُبَيْدة :

---

(١) قال ابن سيده : الجدى من النجوم جديان : أحدهما الذى يدور مع بنات نعش، والآخر الذى بلزق الدلو وهو من البروج ولا تعرفه العرب . وكلاهما على التشبيه بالجدى فى مرآة العين .

(٢) يكب : ينكس . يقال : كب فلان فلانا اذا صرعه فأكب هو ؛ وهذا من النادر ، وهو أن يكون الفعل المجرد من الهمزة متعديا وذو الهمزة لازما .

(٣) كذا فى ب، س، حـ . وفى ط، ء، م : «كمستدير» .

(٤) تحبو : تدنو؛ يقال : حبا الشىء الى كذا اذا دنا اليه أو اتصل به . وفى الأصول الموجود بها هذا البيت : «تخبو» بالخاء المعجمة؛ وظاهر أنه تصحيف، ورواية كتاب بكر وتغلب (ص ٧٠) : «تحنو» بالحاء المهملة والنون . والبيت ساقط من ط ، ء .

(٥) الشعريان : كوكبان ، أحدهما فى الجوزاء، وطلوعه بعدها فى شدّة الحر ، ويقال له الشعرى اليمانية وتلقب بالعبور ، والآخر فى الذراع ويقال له الشعرى الغميصاء، وتزعم العرب أنهما أختا سهيل . وسهيل : كوكب يمانى .

(٦) رواية كتاب بكر وتغلب : «كهيئة» .

أن آخِرَ مَنْ قُتِـل فى حرب بكر وتغلب جَسّاسُ بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان ، وهو قاتلُ كُلَيب بن رَبيعة، وكانت أخته تحت كُلَيب، فقتله جَسّاس وهى حامل، فرجعتْ الى أهلها ووقعت الحربُ، فكان من الفريقين ما كان؛ ثم صاروا إلى الموادعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان ؛ فولدت أختُ جَسّاس غلاماً فسمّته الهِجْرِس[1] وربّاه جساس، فكان لا يعرف أباً غيره، وزوّجه ابنته . فوقع بين الهِجْرِس وبين رجل من بنى بكر بن وائل كلامٌ؛ فقال له البكرىّ : ما أنت بمنتهٍ حتى نُلْحِقك بأبيك؛ فأمسك عنه ودخل الى أمه كئيبا، فسألته عما به فأخبرها الخبر؛ فلما أوَى إلى فراشه ونام الى جنب امرأته وضع أنفَه بين ثدييها، فتنفّس تَنَفُّسةً تَنَفَّط[2] مابين ثدييها من حرارتها؛ فقامت الجارية فَزِعةً قد أقلّتها رِعدةٌ حتى دخلتْ على أبيها، فقصّت عليه قصّة الهِجْرِس؛ فقال جسّاس : ثائرٌ وربِّ الكَعْبة! وبات جسّاس على مثل الرَّضْف[3] حتى أصبح ؛ فأرسل الى الهِجْرِس فأتاه، فقال له : إنما أنت ولدى ومنّى بالمكان الذى قد علمتَ،

151/4 وقد زوّجتك ابنتى وأنت معى ، وقد كانت الحرب فى أبيك زماناً طويلا حتى كِدْنا نتفانى، وقـد اصطلحْنا وتحاجزْنا ، وقد رأيتُ أن تدخل فيما دخل فيه النـاسُ من الصلح، وأن تنطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أُخِذ علينا وعلى قومنا؛ فقال الهِجْرِس : أنا فاعل، ولكنّ مثـلى لا يأتى قومَه إلا بلأْمته[4] وفرســه؛ فحمله جَسّاس على فرس وأعطاه لأْمةً ودِرْعا؛ فخرجا حتى أتيَا جمـاعةً من قومهما ، فقصّ عليهـم جسّاس

---

(١) كذا فى ط ، ى وابن الأثير (ج ١ ص ٣٩٣) طبع ليدن . وفى باقى الأصول اختـلاف فى عطف بعض هذه الأفعال على بعض بالواو أو بالفاء . (٢) تنفط : احترق . (٣) الرضف (بالفتح، واحده رضفة) : الحجارة المحماة يوغر (يسخن) بها اللبن، ويقال : هو على الرضف اذا كان قلقا مشخوصا به أو متغاظا . (٤) لأمته : سلاحه . وتطلق اللأمة على كل عدّة للحرب من درع ورمح وبيضة ومغفر وسيف ونبل .

ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا اليه من العافية، ثم قال : وهـذا الفتى ابن أختى قد جاء ليـدخلَ فيما دخلتم فيه ويَعْقِد ما عَقَدتم؛ فلما قَرّبوا الدمَ (١) وقاموا الى العَقْـد أخذ المِجْرِس بوَسَـط رُمحه، ثم قال : وفَرَسى وأُذُنَيْـه، ورُمحى وَنَصْلَيْه، وسيفى وغِرَارَيْه، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه؛ ثم طعن جسّاسا فقتله، ثم لَحِق بقومه؛ فكان آخر قتيلٍ فى بكر بن وائل .

ترحيل أخت كليب لجليلة عن مأتم زوجها وشعر جليلة فى ذلك

قال أبو الفرج : أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنى عمّى عن العبّاس ابن هشام عن أبيه عن الشَّرْقِىّ (٢) بن القُطَامِىّ قال :

لمّا قتل جسّاس بن مُرّة كُلَيبَ بنَ ربيعة ، وكانت جليـلةُ بنت مُرّة أختُ جساس تحت كليب ، اجتمع نساء الحىّ للمأتم، فقلن لأُخت كُليب : رَحِّلى جَليلةَ عن مأتمك، فإنّ قيامها فيـه شماتةٌ وعارٌ علينا عنـد العرب؛ فقالت لهـا : يا هذه اُخرُجى عن مأتمنا، فأنتِ أختُ واترِنا وشقيقةُ قاتِلنا؛ فخرجت وهى تَجُرّ أعطافَها ؛ فلقيها أبوها مُرّة ، فقال لهـا : ما وراءكِ يا جليلة؟ فقالت : ثُكْلُ العَدَد، وحزنُ الأبد ، وفَقْـدُ حليل؛ وقتْلُ أخٍ عن قليـل ؛ وبين ذينِ غرسُ الأحقاد، وتفتّتُ الأكباد ؛ فقال لها : أوَ يَكُفُّ ذلك كرمُ الصَّفح وإغلاءُ الدِّيات؟ فقالت جليلةُ : أُمنيّةٌ مخدوعٍ وربِّ الكعبة! أبِالبُدْنِ تدعُ لك تَغْلِبُ دمَ ربِّها! .قال : ولمّا رَحَلت جليلةُ قالت أُخت كُلَيب : رِحلةُ المعتدى وفِراقُ الشامت، ويلٌ غدًا لآل مُرّة ، من الكرّة بعد الكرة! . فبلغ قولُها جليلةَ، فقالت : وكيف تَشْمَتُ الحُرّةُ بهَتْك سِترِها

(١) كان من عادة العرب أن يحضروا فى جفنة طيبا أو دما أو رمادا فيدخلوا فيـه أيديهم عنـد التحالف ليتمّ عقدهم عليه باشتراكهم فى شىء واحد .

(٢) فى بعض الأصـول : «الشرقى» بالفاء، وهو تصحيف ، وقد ضبطه السمعانى بفتح الشين وسكون الراء والقطامى بضم القاف وفتح الطاء وكسر الميم . وضبط كذلك بالعبارة فى تهذيب التهذيب والخلاصة بفتح الشين والراء وقطامى بضم القاف وفتح الميم .

وتَرقَّبِ وِتْرها ! أسعد الله جَدّ أُختى، أفلَا قالت : نَفْرة الحياء، وخوف الاعتداء ! .
ثم أنشأتْ[1] تقول :

يابنــةَ الأقوامِ إنْ شئتِ فلا * تَعجَلِي باللَّــوْم حتى تسألِي
فإذا أنتِ تبيَّنتِ الــذى * يُوجِبُ اللَّـومَ فلُومِى وٱعذِلِى
إنْ تكن أُختُ امرئٍ لِيمَتْ على * شَـفَقٍ منها عليـه فٱفعـلى
جَلّ عنـدى فعلُ جَسّاسٍ فيا * حَسْرتى عمـا ٱنجلتْ أو تنجلى
فعـلُ جَسّاسٍ على وَجْدِى به * قاطعٌ ظَهْرِى ومُدْنٍ أجَلِى
لَوْ بِعَينٍ فُقِئتْ عينى سوى * أُختِها فٱنفقأتْ لم أحْفِـلِ
تَحمِـلُ العـينُ قَذَى العـينِ كما * تَحمِـلُ الأُمّ أذَى ما تَفْتَلِى[2]
يا قتيــلاً قَـوّض الدهرُ به * سَـقفَ بيتَىَّ جميعًا من عَلِ
هـدمَ البيتَ الذى ٱسـتحدثتُه * وٱنثَنَى فى هـدمِ بيتى الأوّلِ
ورمانى قتــلُه من كَثَبٍ[3] * رميـةَ المُصْمِى به المُسـتأصِلِ
يانِسائى دونكنّ اليـومَ قد * خَصَّـنى الدهرُ برُزْءٍ مُعْضِلِ
خَصّنى قتــلُ كُلَيب بلَظًى * مِن ورائى ولَظًى مُسْتقبِلِ[4] ١٥٢/٤

---

(١) قال أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى فى الجزء الثالث من أشعار النساء بعد أن ذكر هذه الأبيات ونسبها لجليلة كما ذكر المؤلف هنا : « ووجدت بخط حرمىّ بن أبى العلاء قال محمد بن خلف بن المرزبان : هذه الأبيات لفاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن مرّة أخت كليب ومهلهل ابنى ربيعة التغلبيين ترثى أخاها كليبا وقتله زوجها جساس » اهـ .

(٢) تفتلى : تربّى، وفى الأصول : « تعتلى » بالعين المهملة، وهو تحريف .

(٣) من كثب : من قرب . وأصماه : قتله فى مكانه .

(٤) كذا فى ط ، ء ، م ، وهو الموافق لما فى الجزء الثالث من أشعار النساء للمرزبانى (ص ٥٠) ونهاية الأرب (ج ٥ ص ٢١٥) طبع دار الكتب المصرية . وفى سائر النسخ : « من أسفل » .

ليس من يبكي ليومين كمن * إنما يبكي ليوم (١) يجتلي (٢)
يشتفي المدرك بالثأر وفى * دَرَكِى ثأرِىَ ثُكْلُ المُثْكِلِ (٣)
ليته كان دَمِى فاحتلبوا * بَدَلاً منه دمًا من أكحلى (٤)
إننى قاتلةٌ مقتولةٌ * ولعلّ اللهَ أن يرتاحَ لِي

(١) هذه رواية نهاية الأرب . وفى الأصول : «ليوميه» . (٢) كذا فى نهاية الأرب . وفى أكثر الأصول : «يجل» . وفى ب، س : «يحل» وهما تحريف . (٣) المثكل : التى لازمها الحزن . ورواية ط، م، ء : «ثكل مثكل» . ورواية أشعار النساء :

درك الثأر شافيه وفى * درك الثأر قتلَ مثكل

(٤) كذا فى الجزء الثالث من أشعار النساء للزبانى . والأكحل : عرق فى الذراع يفصد ، وقيل : هو عرق الحياة ويدعى نهر البدن ، ولا يقال فيه عرق الأكحل . وفى الأصول :

ليته كان دما فاحتلبوا * دررا منه دمى من أكحلى

ولو كانت الرواية فيه .

ليته كان دما فاحتلبوا * بدلا منه دمى من أكحلى

لكان أجود .

ذكر الهـــذلي وأخباره

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبـد الملك قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : نسب الهـــذلي وصناعته

الهُذَليان أخوَانِ يقال لهما سعيد وعبد آل ابنـا مسعود ؛ فالأكبر منهما يقال له سَعيد، ويُكنى أبا مسعود، وأمه آمرأة يقال لهـا أمّ فَيْعل، وكان كثيرا ما يُنسب اليها ، وكان ينقش الحجارة بأبي قُبَيس، وكان فتيانٌ من قريش يَرُوحون إليـه كلَّ عشـيّة فيأتون بَطْحاء يقال لهـا بطحاء قريش فيجلسون عليها ، ويأتيهم فيُغَنّي لهم ويكون معهم. وقد قيل : إن الأكبر هو عبد آل، والأصغر سعيد .

قال هارون وحدّثني الزبير بن بَكّار قال حدّثني حمزة بن عُتْبة اللهبيّ : كان يغني فتيان قريش وهو يزاول صناعته في نقش الحجارة

أنّ الهذليّ كان نَقّاشا يعمل البُرَم من حجارة الجبل، وكان يُكنى أبا عبدالرحمن، وكان إذا أمسى راح فأشرف على المسجد ثم غنّى، فلا يلبث أن يُرى الجبل كقُرْص الخَبيص[(1)] صُفْرةً وحمرةً من أرْدِية قريش، فيقولون: يا أبا عبد الرحمن، أعِد، فيقول: أمّا والله وهاهنا حجر أحتاج إليـه لم يَرِدِ الأبطحَ فلا ؛ فيضعون أيديَهم في الحجارة حتّى يقطعوها له ويَحْدُروها الى الأبطح ، وينزل معهـم حتى يجلس على أعظمها حجرًا ويغنّي لهم .

---

(١) الخبيص : نوع من الحلواء يعمل من التمر والسمن .

قال هارون وحدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبى مسعود بن أبى جَنَاح(1) قال أخبرنى أبو لَطيف وعُمارة قالا :

تغنّى المـذلىّ الأكبرُ، وكان من أَنفسِهم ، وكان فِتْيَانُ قريش يَرُوحون كلَّ عشيّةٍ حتى يأتوا بَطْحاءَ يُقال لهـا بطحاءُ قريش قريبا من داره ، فيجلِسون عليهـا ويأتيهم فيُغنّيهم .

أجازه الحارث بن خالد لما سمع غناءه

قال : وأخبرنى ابن أبى طَرَفة عن الحسن بن عَبّـاد الكاتب مولى آل الزُّبَير قال :

هجم الحارثُ بن خالد، وهو يومئـذ أمير مكة، على الهذلىّ وهو مع فتيان قريش بالمَفْجَر(2) يُغنّيهم وعليه جُبّةُ صوف، فطرح عليه مُقطَّعاتِ خَزّ، فكانت هـذه أوّلَ ما تحرّك لها .

تزوج بنت ابن سريج وأخذ عنها غناء أبيها وانتحل أكثره

قال هارون : وحدّثنى حمـاد عن أبيه قال :

ذكر ابن جامع عن ابن عَبّاد أن آبن سُرَيج لمـا حضَرته الوفاةُ نظر إلى آبنتـه فبكى، فقالت له : ما يُبكيك ؟ قال : أخشى عليكِ الضيعةَ بعـدى ! فقالت له : لا تخف فمـا من غنائك شىء إلا وقد أخذتُه ؛ قال : فغنّينى فغنّته، فقال: قد طابت نفسى، ثم دعا بالهذلىّ فزوّجها منـه ؛ فأخذ الهذلىّ غناء أبيهـا كلَّه عنهـا فآنتحل أكثره؛ فعامّة غناء الهذلىّ لآبن سُرَيج ممـا أخذه عن ابنته وهى زوجتُه .

---

(1) فى ط، ء، م : « عن أبى مسعود عن أبى جناح » .

(2) المفجر بالفتح ثم السكون وفتح الجيم : موضع بمكة ما بين الثنيـة التى يقال لهـا الخضراء الى حلف دار يزيد بن منصور (انظر معجم البلدان لياقوت) .

حدره الحارث بن خالد من منى ثم أذن له فرجع اليها

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنى عمر بن شبّة قال حدّثنى محمد بن يحيى أبو غسّان قال :

كان الهذلىّ منزلُه بمِنًى، وكان فِتيان قريش يأتونه فيُغنّيهم هناك، ثم أقبل مرّة حتى جلس على جمرة العقبة فغنّى هناك، فحدَره الحارثُ من مِنًى، وكان عاملا على مكة، ثم أذِن له فرجع إلى منى .

١٥٣/٤

قصته مع فتية من قريش غناهم فطربوا له واستعادوه

قال هارون : وحدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفلىّ قال حدّثنى أبى قال :

كان الهذلىّ النقّاشُ يغدو إليه فتيان قريش وقد عَمِل عملَه بالليل، ومعهم الطعامُ والشراب والدراهم . فيقولون له : غنّنا ؛ فيقول لهم : الوظيفةَ[1] ، فيقولون : قد جئنا بها ؛ فيقول : الوظيفةَ الأخرى، أنزِلُوا أحجارى، فيُلقون ثيابهم ويأتزرون بأُزُرهم وينقُلون الحجارة ويُنزِلونها ، ثم يجلِس على شُنْخُوبٍ[2] من شَناخيب الجبل فيجلسون تحته فى السّهل فيشربون وهو يُغنّيهم حتى المساءِ ، وكانوا كذلك مدّة؛ فقال له يوما ثلاثةُ فتيةٍ من قريش : قد جاءك كلّ واحد منا بمثل وظيفتك على الجماعة من غير أن تُنقَص وظيفتُك عليهم، وقد آختار كل واحد منا صوتا من غنائك ليجعلَه حظَّه اليومَ، فإن وافقتِ الجماعةُ هوانا كان ذلك مشتركا بيننا ، وإن أَبَوْا غنّيتَ لهم ما أرادوا وجعلتَ هذه الثلاثةَ الأصواتِ لنا بقيةَ يومنا ؛ قال : هاتوا ، فآختار أحدُهم :

* عفَتْ عرَفَاتٌ فالمصايفُ من هندِ *

وآختار الآخرُ :

* ألمّ بنا طيفُ الخيال المهجّدُ[3] *

(١) الوظيفة : ما يقدر من عمل وطعام ورزق وغير ذلك . (٢) الشنخوب : رأس الجبل وأعلاه . (٣) هجدت الرجل (بالتضعيف) : أيقظته .

وآختار الآخر :

هجَرْتُ سُعدَى فزادنى كَلَفَا *

فغنّاهم إياها، فما سمِع السامعون شيئا كان أحسنَ من ذلك ؛ فلما أرادوا الانصراف قال لهم : إنى قد صنعت صوتا البارحة ما سمعه أحد ، فهل لكم فيه ؟ قالوا : هاتِه مُنْعِمًا بذلك ؛ فآندفع فغنّاهم :

أأن هتَفتْ وَرْقاءُ ظِلْتَ سفاهةً * تُبَكِّى على جُمْلٍ لِوَرْقاءَ تَهتِفُ

فقالوا : أحسنتَ والله ، لا جرمَ لا يكون صَبُوحُنا فى غدٍ إلا عليه ، فعادوا وغنّاهم إياه وأعطَوْه وظيفتَه، ولم يزالوا يستعيدونه إياه باقىَ يومهم .

نسبة ما فى هذا الخبر من الأصوات

من ذلك :

صوت

عَفتْ عَرَفاتٌ فالمَصايف من هندِ * فأَوْحشَ ما بين الجَرِيبَيْنِ[1] فالنَّهْدِ[2]

وغَيَّرها طولُ التقادُمِ والبِلَى * فليستْ كما كانتْ تكونُ على العَهْدِ

الشعر للأَحْوص، وقيل : إنه لعمر . والغناء للهذلىّ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر فى مجرى البنصر .

---

(١) كذا فى ديوان عمر بن أبى ربيعة (ج ٢ ص ٢٣١ طبع مدينة ليبسك) . والجريب : يطلق على مواضع كثيرة . وما أثبتناه قريب مما ورد فى نسختى ب ، س فقد وردت فيهما هذه الكلمة هكذا : «الحربيين» . وفى ط ، م ، ء : «الحربين» وكلاهما تحريف . وفى جـ : «الحريمين» بالميم . والحريم اسم لمواضع كثيرة فى بغداد وغيرها . (٢) النهد (ويقال له عين النهد) : اسم موضع بالفرع على الطريق من مكة الى المدينة . روى الزبير عن رجاله أن أسماء بنت أبى بكر قالت لابنها عبد الله : يا بنىّ أعمر الفرع . فعمل عبد الله بن الزبير بالفرع عين الفارعة والسنام ، وعمل عروة أخوه عين النهد وعين عسكر . (انظر بقية الكلام على ذلك فى معجم ما استعجم ج ٢ ص ٧٠٧) .

ومنهـا :

صــــوت

من المـائة المختـارة

ألمّ بنـا طَيْفُ الخيـال المهجِّدُ * وقد كادت الجوزاءُ فى الجوّ تَصْعَدُ
ألمّ يُحَيِّينـا ومِن دون أهلهـا * فَيَافٍ تَغُـورُ الريحُ فيهـا وتُنجِدِ

عروضه من الطويل . لم يقع لنا اسم شاعره ونسبه . والغناء للهُذَلىّ ثقيـل أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر، وهو اللحن المختار، وفيه ليحيى المَكّىّ هَزَجٌ . ولحنُ الهذلىّ هذا ممـا آختير للرشيد والواثق بعده من المـائة الصوت المذكورة .

ومنهـا :

صــــوت

هجرتُ سُـعْدَى فزادنى كَلَفَا * هِجرانُ سُعْدَى وأَزمعتْ خُلُفَا
وقَـدْ على حُبّهـا حلفتُ لهـا * لو أنّ سُعْدَى تُصـدِّق الحَلِفَا
ما عَلِقَ القلبُ غـيرَها بَشَراً * ولا سـواها مِن مَعْلَقٍ عَرَفا
فـلم تُجِبنى وأعرضتْ صَلَفًا * وغادرتـنى بحبّهـا كَلِفَا

١٥٤/٤

الغناء للهذلىّ ثانى ثقيلٍ بالسبابة فى مجرى الوسطى .

رقص أشعب ابنه وقال هذا ابن مزامير داود

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشِّيعىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال : زوّج آبنُ سريج لمـا حضرتْه الوفاةُ الهذلىَّ الأكبر بابنتـه ، فأخذ عنهـا أكثر غناء أبيها، وادّعاه فغلَب عليه . قال : وولدتْ منه آبنا؛ فلما أُيْفع جاز يوما بأشعبَ وهو جالس فى فِتْيـةٍ من قريش ، فوثَب فحمله على كتفه وجعل يرقِّصه ويقول : هـذا آبن دفَّتى المصحف وهـذا آبنُ مزامير داود ؛ فقيل له : ويلك ! ما تقول

ومن هذا الصبيّ؟ فقال : أوَ ما تعرفونه! هذا آبن الهذليّ من آبنة آبن سُرَيج، وُلِد على عُود، وآستهلّ(١) بغناء، وحُنِّك(٢) بملوى(٣)، وقُطعت سرّته بوتر(٤) وخُتن بمضراب .

إسحاق الموصلى وحديثه عن مطرف أخذه من ابراهيم ابن المهدى

وذكر يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن عيسى الماهانىّ قال : دخلت يوما على إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ فى حاجة ، فرأيت عليه مُطْرَف خزّ أسود ما رأيت قطّ أحسن منه؛ فتحدّثنا الى أن أخذنا فى أمر المطرف، فقال : لقد كان لكم أيّامٌ حسنة ودولة عجيبة؛ فكيف ترى هذا ؟ فقلت له : ما رأيتُ مثلَه؛ فقال : إنّ قيمته مائة ألف درهم، وله حديث عجيب؛ فقلت : ما أقوّمه إلا بنحو مائة دينار؛ فقال إسحاق: شَرِبنا يوما من الأيام فبتُّ وأنا مُثْخَن(٥)، فآنتبهت لرسول محمد الأمين ، فدخل علىّ فقال : يقول لك أمير المؤمنين : عجِّل ؛ وكان بخيلا على الطعام، فكنتُ آكل قبل أن أذهب اليه؛ فقمت فتسوّكت وأصلحت شأنى ، وأعجلنى الرسولُ عن الغداء فقمت معه فدخلت عليه، وإبراهيم بن المهدىّ قاعد عن يمينه وعليه هذا المطرف وجُبّة خزّ دَكْناء(٦)؛ فقال لى محمد : يا إسحاق، أتغدّيت ؟ قلت : نعم يا سيّدى؛ قال : إنك لنَهِم، أهذا وقتُ غداء ! فقلت : أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبى خُمار فكان ذلك مما حدانى على الأكل؛ فقال لهم : كم شربنا ؟ فقالوا : ثلاثةَ أرطال، فقال : اسقُوه إياها ؛ فقلت : إن رأيتَ أن تُفرّق علىّ! ؛ فقال : يُسقَى رِطلين ورِطلا؛ فدُفع إلىّ رطلان فجعلت أشربهما

(١) استهلّ الصبيّ : رفع صوته بالبكاء عند الولادة . (٢) التحنيك : أن تمضغ التمر ثم تدلكه بحنك الصبي ، وفى حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم : أنه كان يحنك أولاد الأنصار .
(٣) الملوى : من أجزاء العود (انظر الكلام على العود وأجزائه فى مقدمة الجزء الأوّل من هذا الكتاب طبع دار الكتب المصرية) . (٤) فى ط ، ى ، م : «بزير» والزير : أحد أوتار العود .
(٥) يقال : أثخنته الجراحة : أوهنته وأضعفته ، والمراد هنا غلبة السكر عليه . (٦) الدكناء : المائلة إلى السواد .

وأنا أتوهم أن نفسى تسيل معهما، ثم دُفع إلىّ رِطل آخر فشربته، فكأنّ شيئا انجلى عنى؛ فقال غنّنى :

* كُليبٌ لعمْرِى كان أكثرَ ناصراً *

فغنّيته، فقال : أحسنتَ وطرِب؛ ثم قام فدخل — وكان كثيرا [ما] يدخل إلى النساء ويَدَعُنا — فقمت فى إثْر قيامه، فدعوت غلاما لى، فقلت: اذهب إلى بيتى وجِئنى بِبزْماوَرْدَتين(١) ولُفَّهما فى منديل واذهب رَكْضًا وعجِّل، فمضى الغلام وجاءنى بهما، فلما وافى البابَ ونزل عن دابّته انقطع فنفَق(٢) من شدّة ما ركض عليه، وأدخل إلىّ البَزْماوَرْدتين، فأكلتُهما و رجَعتْ نفسى إلىّ وعدتُ إلى مجلسى؛ فقال لى إبراهيم : لى إليك حاجة أُحبّ أن تقضيَها لى؛ فقلت : إنما أنا عبدك وآبن عبدك، فقل ما شئت؛ قال : تُردّد علىّ : "كليب لعمرى" وهذا المِطْرَف لك؛ فقلت : أنا لا آخذ منك مطرفا على هذا، ولكننى أصير إلى منزلك فألقيه على الجوارى وأردّده عليك مِرارا؛ فقال : أُحبّ أن تردّده علىّ الساعةَ وأن تأخذ هذا فإنه من لُبْسك وهو من حاله كذا وكذا؛ فردّدت عليه الصوت مرارا حتى ١٥٥/٤ أخذه، ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء وجلس، ثم قعدنا فشرب وتحدّثنا؛ فغنّاه إبراهيم : "كليب لعمرى"، فكأنى والله لم أسمعه قبلَ ذلك حُسْنا؛ وطرِب محمد طربا شديدا وقال : أحسنت والله! يا غلام، عَشْرَ بِدَرٍ لعمّى الساعةَ! فجاءوا بها؛ فقال : يا أمير المؤمنين، إن لى فيها شريكا؛ قال : من هو؟ قال : إسحاق؛ قال : وكيف؟ فقال : إنما أخذتُه منه لمّا قمتَ؛ فقلت أنا : ولِمَ! أضاقت الأموالُ على أمير

---

(١) البزماورد : طعام يسمى لقمة القاضى، وفخذ الست، ولقمة الخليفة، وهو مصنوع من اللحم المقلى بالزبد والبيض. (انظر الحاشية رقم ٢ ج ٤ ص ٣٥٣ من هذه الطبعة).

(٢) نفق : مات. وذكر الضمير لأن الدابة تطلق على الحيوان مذكرا كان أو مؤنثا، والدابة هنا مذكر.

المؤمنين حتى تُريد أن تُشرِك فيما يُعطِى! قال : أمّا أنا فأُشرِكك وأميرُ المؤمنين أعلم؛ فلما آنصرفنا من المجلس أَعطانى ثمانين ألفا ، وأعطانى هذا المِطْرَف، فهذا أُخِذ به مائةُ ألف درهم، وهى قيمتُه .

صـــوت

من المـائة المختـارة

من رواية جَحْظَة عن أصحابه :

عَلِّلِ القـــومَ يشربُوا * كى يَلَذُّوا ويَطْرَبُوا
إنمـا ضَلَّل الفـؤا * دَ غـــزالٌ مُرَبَّبُ(١)
فرشـتْه على النمّـا * رِق سُعْدَى وزينبُ
حالَ دون الهوى ودو * نَ سُرى الليلِ مُصعبُ(٢)
وسِـياطٌ على أكفِّ رجـالٍ تقـلَّبُ

الشعر لعُبَيد الله بن قيس الرُّقَيّات. والغناء فى اللحن المختار لمالك بن أبى السَّمْح، ولحنه من الثقيل الأول بالسبابة فى مجرى الوسطى . وفيه لإسحاق ثقيلٌ أوّل مطلق فى مجرى البنصر . ولابن سُرَيج فى الرابع والخامس والأوّل ثانى ثقيـل فى مجرى الوسطى . ولمعبد فى الثانى وما بعده خفيفُ ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى .

(١) كذا فى أكثر الأصول وكذلك صححها الأستاذ الشنقيطى فى نسخته، يقال : رب الصبي وربيه أى رباه . وفى ب ، س ، وديوانه طبع أوربا : «مربرب» .

(٢) هو مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى كما فى كتاب المعارف لابن قتيبة (ص ١٢٣ طبع جوتنجن) وكما سيذكره المؤلف بعد قليل فى ترجمة عبيد الله بن قيس الرقيات .

ذكر عبيد الله بن قيس الرقيّات ونسبه وأخباره

نسب عبيد الله بن قيس الرقيات من قبل أبويه

هو عُبَيْــد الله بن قيس بن شُرَيْح[1] بن مالك بن رَبيعة بن أُهَيب بن ضِبَاب بن حُجَير بن عبــد بن مَعِيص[2] بن عامر بن لؤىّ بن غالب . وأمّه قتيلة بنــتُ وَهْب بن عبــد الله بن رَبيعة بن طَرِيف بن عَدِىّ بن سَــعْد بن لَيْث بن بَكْر بن عبــد مَنَاة ابن كِنَانة .

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى محمــد بن محمــد بن أبى قُلَامةَ العُمَرىّ قال حدّثنى محمد بن طلحة ، قال الزبير وحدّثنيه أيضا محمد بن الحسن المخزومىّ ، قالا جميعا :

كان يقال لبنى مَعِيص بن عامر بن لؤىّ و بنى مُحارِب بن فِهْر: الأَجْرَبان من أهل تِهَامة ، وكانا متحالفين ، وإنمــا قيل لهما الأجربان من شــدّة بأسهما وعَرِّهما[3] من ناوأهما كما يُعَرّ الجرب .

سبب لقبه بالرقيات

وإنمــا لُقّب عبيدُ الله بنُ قيس الرُّقَيَّات لأنه شَبّب بثلاث نسوة سُمّين جميعا رُقَيَّة ، منهنّ رقيّة بنت عبد الواحد بن أبى سعد بن قيس بن وهب بن أُهْبان[4] بن ضِبَاب بن حُجَير بن عبد بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَىّ ، وآبنة عم لها يقال لها رُقَيَّة ،

---

(1) كذا فى ط ، ى وديوانه المخطوط بقلم الشيخ الشنقيطى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٨ أدب ش وديوانه المطبوع بفينا سنة ١٩٠٢ وخزانة الأدب للبغدادى (ج ٣ ص ٢٦٧ طبع بولاق) . وفى باقى الأصول : « سريج » بالسين والجيم ، وهو تصحيف . (2) كذا فى ديوانه المخطوط والمطبوع والخزانة وشرح القاموس مادّة معص . وفى ط ، ى : « معيض » بالضاد المعجمة ، وفى باقى الأصول : « بغيض » ، وكلاهما تحريف .

(3) يقال : عره بمكروه يعره عرا : أصابه به . والمراد هنا إلحاقهما الشر بأعدائهما كما يلحق الجرب الشرّ بمن يصيبه . (4) فى خزانة الأدب : «وهبان» بالواو .

وٱمرأة من بنى أميّة يقال لهـا رقيّة . وكان هواه فى رقيّة بنت عبد الواحد، وكان عبد الواحد — فيما أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء عن الزبير — ينزل الرَّقّة . وإياه عَنَى ٱبنُ قيس بقوله : ١٥٦/٤

ماخيرُ عيش بالجزيرة بعـد ما * عثَر الزمانُ ومات عبدُ الواحدِ

وله فى الرقيّات عدّة أشعار يُغنَّى فيها تُذكر بعقب هـذا الخبر . والأبيات الثانيـة التى فيهـا اللحن المختار يقولها فى مُصْعَب بن عبد الرحمن بن عَوْف الزُّهْرىّ ، وكان صاحبَ شُرْطة مروانَ بنِ الحَكَم بالمَدينة .

مصعب بن عبد الرحمن والى المدينة

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى عمّى قال: لمـا وَلِى مروانُ بن الحكم المدينـةَ وَلّى مصعبَ بنَ عبـد الرحمن بن عوف شُرْطتَه ، فقال: إنى لا أَضبِط المدينة بحَرَس المدينة، فٱبغِنى رجالًا من غيرها، فأعانه بمـائتى رجل من أهـل أَيْلة(١)، فضبطها ضبطا شـديدا . فدخل المِسْوَرُ(٢) بنُ مَخْرمةَ على مروانَ فقال : أَمَا ترى ما يشكوه الناسُ من مصعَب ! فقال :

ليس بهـذا من سِيَاقٍ عَتْبُ * يمشى القَطُوفُ وينامُ الركبُ(٣)

وقال غيرُ مصعَب فى هـذا الخبر وليس من رواية الحـرمىّ : إنه بقى إلى أن وَلِى عمُرو(٤) بن سعيد المدينةَ وخرج الحسينُ رضى الله تعالى عنه وعبد الله بن الزبير ؛

(١) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم ممـا يلى الشأم ، وقيل : هى فى آخر الحجاز وأوّل الشأم .

(٢) هو المسور بن مخرمة بن نوفل الزهرى قتل فى حصار مكة مع ابن الزبير . (انظر الطبرى فى حوادث سنة ٦٤ هـ) .

(٣) السياق : السوق . والقطوف من الدواب : البطىء ، والمراد وصف الرجل بحسن السياسة وأنه يبلغ الغاية من غير أن يعنف فى السوق أى إنه يسوس الناس من غير أن يجهدهم .

(٤) هو عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق ، ولاه يزيد بن معاوية إمرة المدينة سنة ٦٠ هـ . (انظر الطبرى فى حوادث السنة المذكورة) .

فقال له عمرو : اِهدِمْ دورَ بنى هاشم وآلِ الزبير؛ فقال : لا أفعل؛ فقال : انتفَخَ سَحْرُكَ يابنَ أُمّ حُرَيْثٍ ! أَلْقِ سيفَنا ! فألقاه ولحِق بابن الزبير . وولّى عمرُو بن سعيد شُرْطتَه عمرَو بن الزبير بن العوّام وأمره بهدم دُور بنى هاشم وآل الزبير، ففعل و بلغ منهم كلَّ مبلغ، وهدَم دار ابن مُطيع[2] التى يقال لها العَنْقاءُ، وضرَب محمدَ بن المنذر بن الزبير مائةَ سوط، ثم دعا بعُروة بنِ الزبير ليضربَه، فقال له محمد: أتضرِب عُروة! فقال : نعم يا سَبَلانُ[3] إلا أن تحتمِل ذلك عنه؛ فقال: أنا أحتمِله، فضربه مائةَ سوط أخرى ؛ ولحِق عُرْوةُ بأخيه . وضرب عمرٌو الناسَ ضربًا شديدا، فهرَبوا منه الى ابن الزبير، وكان المِسْور بنُ مَخْرَمة أحد من هرَب منه ؛ ولما أَفْضَى الأمرُ إلى ابن الزُّبَير أقاد منه وضرَبه بالسوط ضربًا مُبرِّحا فمات فدفنه فى غير مقابر المسلمين ، وقال للناس ، فيما ذُكر عنه ، : إن عمرًا مات مرتدًّا عن الإسلام .

هو شاعر قريش

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنى الزُّبَيْرُ قال :

سألتُ عمّى مُصعبًا ومحمدَ بن الضحّاك ومحمدَ بن حسن عن شاعر قريش فى الإسلام، فكلّهم قالوا : ابنُ قيس الرقيّات، وحُكِى ذلك عن عدىّ وعن الضحاك ابن عثمان، وحكاه محمد بن الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن اليَرْبُوعىّ . قال الزبير : وحدّثنى بمثله غَمَامةُ بن عمرو السَّهْمىّ عن مِسْوَر بن عبد الملك اليَرْبوعىّ .

---

(١) انتفخ سحرك : كلمة تقال للجبان . والسحر : الرئة . (انظر الحاشية رقم ١ ج ٤ ص ١٨٧ من هذه الطبعة) . (٢) هو عبد الله بن مطيع أخو بنى عدىّ بن كعب، ولى الكوفة لعبد الله ابن الزبير . (انظر الطبرى فى حوادث سنة ٦٠ هـ) . (٣) كذا فى جميع الأصول، ولعلها لقب له أو محرفة عن سبلانى (بزيادة ياء مشدّدة) . والسبلانىّ : الطويل السبلة (بالتحريك) وهى شعرات تكون فى المنحر، وهى أيضا مقدم اللحية، وما على الشفة العليا من الشعر بجمع الشاربين، أو لعلها كلمة تهكمية لها مغزى خاص .

عرض شعره على طلحة الزهرى فمدحه

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ والحرمىّ بن أبى العلاء وغيرهما قالوا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْرىّ عن عمه محمد بن عبد العزيز :

أنّ ٱبن قيس الرقيّات أتى إلى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرىّ فقال له : ياعمّى، إنى قد قلتُ شعرا فٱسمعه فإنك ناصحٌ لقومك، فإن كان جيِّدا قلتُ، وإن كان رديئا كففتُ؛ فقال له : أنشِد، فأنشده قصيدته التى يقول فيها :

مَنَع اللهوَ والهــوى * وسُرَى الليلِ مُصْعَبُ
وسِياطٌ على أكُـفِّ رجالٍ تقــلَّبُ

فقال : قل يا ٱبنَ أخى فإنك شاعر .

١٥٧
ـــ
٤

كان زبيرى الهوى وخرج على عبد الملك ثم استجار بابن جعفر فعفا عنه

وكان عُبيد الله بن قيس الرقيّات زُبيرىَّ الهوى، وخرج مع مُصعَب بن الزبير على عبد الملك؛ فلما قُتِل مصعب وقُتل عبدُالله هرَب فلجأ إلى عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب، فسأل عبدَ الملك فى أمره فأمّنه .

وأخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ والحرمىّ بن أبى العلاء وغيرهما قالوا حدّثنا الزُّبَيرىّ (١) قال حدّثنى عبد الله بن البَصير (٢) البَرْبَرىّ مولى قيس بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال :

قال عبيدُالله بن قيس الرقيّات: خرجتُ مع مصعب بن الزبير حين بلغه شُخُوصُ عبد الملك بن مروان إليه، فلما نزل مصعب بن الزبير بمَسْكِن (٣)، ورأى معالمَ الغَدْر

---

(١) فى م، حـ : «الزبير» بدون ياء . (٢) فى حـ : «عبد الله بن النضير اليزيدىّ» وسيرد فى ص ٩٠ من هذا الجزء : «عبد الله بن النضير» فى كل الأصول . (٣) مسكن : موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق، به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير فى سنة ٧٢ هـ وبه قتل مصعب، وقبره هناك معروف (عن معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٥٢٩) .

ممن معه، دعانى ودعا بمالٍ ومناطقَ، فملأ المناطقَ من ذلك المال وألبسنى منها، وقال لى: انطلِق حيثُ شئت فإنى مقتول، فقلت له: لا والله لا أرِيمُ[1] حتى أرى[2] سبيلَك، فأقمتُ معه حتى قُتل، ثم مضيتُ إلى الكوفة، فأوّلُ بيتٍ صرتُ اليه دخلته، فإذا فيه امرأةٌ لها ابنتان كأنهما ظَبيتانِ، فَرقيتُ فى درجةٍ لها إلى مَشربة[3] فقعدتُ فيها، فأمرتْ لى المرأةُ بما أحتاجُ اليه من الطعام والشراب والفَرْش والماءِ للوُضوء، فأقمتُ كذلك عندها أكثرَ من حولٍ، تقيم لى ما يُصلِحنى وتغدو علىّ فى كل صباح فتسألنى بالصّباح والحاجة[4]، ولا تسألنى مَنْ أنا ولا أسألها من هى، وأنا فى ذلك أسمع الصِّياحَ فىّ والجُعْلَ، فلما طال بى المُقام وفقدتُ الصياح فىّ وغَرِضتُ[5] بمكانى غدتْ علىّ تسألنى بالصباح والحاجة، فعرّفتها أنى قد غَرِضت وأحببت الشُّخوصَ إلى أهلى، فقالت لى: نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى، فلمّا أمسيتُ وضرَب الليل بأرواقه رَقِيتْ إلىّ وقالت: إذا شئتَ! فنزلتُ وقد أعدّتْ راحلتين عليهما[6] ما أحتاج إليه ومعهما عبد، وأعطتِ العبدَ نفقةَ الطريق، وقالت: العبدُ والراحلتان لك، فركبتُ وركب العبدُ معى حتى طَرَقتُ أهلَ مكة، فدققتُ منزلى، فقالوا لى: من هذا؟ فقلت: عُبيد الله بن قيس الرقيّات، فوَلْوَلوا وبَكَوْا[7]، وقالوا: ما فارقَنا طلبُك إلا فى هذا الوقت، فأقمتُ عندهم حتى أَسْحَرتُ، ثم نهضتُ ومعى العبدُ حتى قَدِمتُ المدينةَ، فجئتُ عبدَالله بن جعفر بن أبى طالب عند المساء وهو يُعَشّى أصحابَه، فجلستُ معهم وجعلتُ أتعاجَمُ وأقول: يار يار[8]

---

(١) لا أريم: لا أبرح. (٢) فى ط، ء: «حتى آتى سبيلك».

(٣) المشربة: الغرفة والعلية. (٤) يريد: كيف أصبحت وما حاجتك؟ (٥) غرض: ضجر. (٦) فى ب، سه: «عليهما». (٧) أسحر: دخل فى السحر.

(٨) يار: كلمة فارسية، ومعناها: الصاحب والشفيق والمعين.

آبن طيّار[(١)]، فلما خرج أصحابُه كشفتُ له عن وجهى، فقال : آبنُ قيس؟ فقلت : آبنُ قيس، جئتـك عائذا بك، قال : وَيْحَك! ما أجدَّهم فى طلبك وأحرصَهم على الظَّفَر بك ! ولكنى سأكتب الى أمّ البنين بنتِ عبد العزيز بن مروان فهى زوجةُ الوليد بنِ عبد الملك، وعبدُ الملك أرقُّ شيءٍ عليها. فكتب إليها يَسألُها أن تَشفع له إلى عمّها، وكتب إلى أبيها يسأله أن يكتب إليها كتاباً يسألها الشفاعةَ؛ فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسألها : هل من حاجة ؟ فقالت : نعم لى حاجةٌ؛ فقال : قد قضيتُ كلّ حاجةٍ لكِ إلا آبنَ قيس الرقيّات؛ فقالت : لا تَستثنِ علىّ شيئا ! فنفَح[(٢)] بيده فأصاب خدّها، فوضعتْ يدَها على خدّها؛ فقال لها : يابنتى ارفعى يدَك، فقـد قضيتُ كلّ حاجة لكِ وإن كانت آبنَ قيس الرقيّات؛ فقالت : إنّ حاجتى آبنُ قيس الرقيات تُؤمّنه، فقد كتب إلىّ أبى يسألنى أن أسألك ذلك؛ قال : فهو آمِن، فمُرِيه يحضُر مجلسى العَشيّة؛ فحضر آبنُ قيس وحضر النـاسُ حين بلغهم مجلسُ عبد الملك، فأخّر الإذنَ، ثم أذِن للناس، وأخّر إذنَ آبن قيس الرقيّات حتى أخذوا مجالسهم، ثم أذِن له؛ فلما دخل عليه قال عبد الملك : ياأهلَ الشأم، أتعرفون هذا ؟ قالوا : لا ؛ فقال : هذا عُبَيدُ الله بنُ قيسٍ الرقيّات الذى يقول : ١٥٨/٤

كيف نومى على الفِراش ولمّـا[(٣)] * تَشْـمَلِ الشأمَ غارةٌ شَـعْواءُ
تُذهِل الشيخَ عن بَنيه وتُبدِى * عن خِدامِ[(٤)] العقيلةُ العذراءُ

(١) الطيار : لقب جعفر بن أبى طالب والد عبدالله هذا، وكان قد قطعت يداه فى غزوة مؤتة فأثابه الله بذلك بجناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء . (انظر سيرة آبن هشام ج ٢ ص ٧٩٥ طبع أوربا) .

(٢) نفح بيده : ضرب بها ضربة خفيفة .

(٣) كذا فى ط ، ء ، م وكذلك صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطى فى نسخته وهى الرواية المشهورة . وفى ب ، س ، حـ : «الى» .

(٤) الخدام : جمع خدمة (بالتحريك) وهى الخلخال . وقد أورد صاحب اللسان هذين البيتين فى مادة خدم ثم قال : «أراد وتبدى عن خدام العقيلة . وخدام هاهنا فى نية عن خدامها ، وعدّى تبدى بعن لأن فيه معنى تكشف كقوله : * تصدّ وتبدى عن أسيل وتتق * أى تكشف عن أسيل أو تسفر عن أسيل» .

مدح عبد الملك بما لم يرضه فأمنه وقطع عطاءه فتعهد له به ابن جعفر طول حياته

فقالوا : يا أمير المؤمنين أسمِعنا ذمّ هذا المنافق؛ قال : الآن وقد أمّنتُه وصار في منزلي وعلى بساطي! قد أخرجتُ الإذن له لتقتلوه فلم تفعلوا؛ فاستأذنه ابنُ قيس الرقيّات أن يُنشده مديحه فأذن له، فأنشده قصيدته التي يقول فيها (١) :

عاد له من كَثيرةَ الطربُ * فعينُه بالدموع تنسكبُ
كوفيّةٌ نازحٌ محلّتُها * لا أَمَمٌ دارُها ولا صَقَبُ
والله ما إن صَبَتْ إليّ ولا * إن كان بيني وبينها سببُ (٢)
إلا الذي أورثتْ كثيرةُ في ال * قلب وللحبّ سَوْرةٌ عجبُ

حتى قال فيها :

إنّ الأغرّ الذي أبوه أبو ال * عاصي عليه الوقارُ والحُجُبُ
يعتدل التاجُ فوق مَفْرِقه * على جبينٍ كأنه الذهبُ

فقال له عبد الملك : يابن قيس تمدحني بالتاج كأني من العجم، وتقول في مُصعب :

إنما مُصعبٌ شهابٌ من الله تجلّت عن وجهه الظلماءُ
ملكُه ملكُ عِزّةٍ ليس فيه * جبروتٌ منه ولا كبرياءُ

أمّا الأمان فقد سبق لك، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاءً أبدًا!.

قال : وقال ابن قيس الرقيّات لعبد الله بن جعفر : ما نفعني أماني، تُركتُ حيًّا كميتٍ لا آخذ مع الناس عطاءً أبدًا؛ فقال له عبد الله بن جعفر : كم بلغتَ من السنّ؟ قال : ستين سنة؛ قال : فعمّر نفسك؛ قال : عشرين سنة من ذي قِبَلٍ (٣)؛

(١) سيشرح أبو الفرج بعض هذا الشعر فيما يأتي. (٢) في ديوانه المخطوط :

والله ما إن صبتْ إليّ ولا * يعلم بيني وبينها سببُ

(٣) يقال : أفعل ذلك من ذي قبل (وزان سبب وعنب) : أي أفعله في المستقبل.

فذلك ثمانون سنة؛ قال : كم عطاؤك؟ قال : ألفا درهم؛ فأمر له بأربعين ألف درهم، وقال : ذلك لك علىّ إلى أن تموت على تعميرك نفسك؛ فعند ذلك قال عبيد الله بن قيس الرقيّات يمدح عبد الله بن جعفر :

تَقَدَّتْ بِىَ الشَّهْباءُ نحوَ آبنِ جعفرٍ * سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها (١)
تزور آمرأً قد يعلمُ اللهُ أنه * تَجُودُ له كفٌّ قليلٌ غِرارُها
أتيناك نُثْنِى بالذى أنت أهلُهُ * عليك كما يُثْنِى على الروض جارُها
فواللهِ لولا أن تزورَ آبنَ جعفرٍ * لكان قليلًا فى دِمَشْقَ قرارُها
إذا مُتَّ لم يُوصَلْ صديقٌ ولم تُقَمْ * طريقٌ من المعروف أنت منارُها
ذكرتُكَ أن فاض الفراتُ بأرضنا * وفاض بأعلى الرَّقَّتَيْنِ (٢) بِحارُها
وعندىَ مما خوّل اللهُ هَجْمَةٌ (٣) * عطاؤكَ منها شَوْلُها وعِشارُها
مباركةٌ كانت عطاءَ مُبارَكٍ * تُمانِحُ (٤) كُبراها وتَنْمِى صِغارُها

اعترض عليه عبدالملك فى شعره فأجابه

أخبرنا الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا مُصْعَب بن عبدالملك قال : ١٥٩/٤

(١) سيشرح أبو الفرج بعض هذا الشعر فيما يأتى . (٢) كذا فى ديوانه ص ١٦٤ طبع أوروبا ومعجم البلدان (ج ٢ ص ٧٩٩ ، ٨٠١) وكذلك صححه الأستاذ الشنقيطى بنسخته . والرقتان يراد بهما الرقة والرافقة ، كما يقال العراقان للبصرة والكوفة . والرقة : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام . والرافقة : بلد متصل البناء بالرقة يقع على الفرات أيضا بينه وبين الرقة ثلثمائة ذراع . وفى الأصول : « الرقتين » بزيادة ميم ، وهو تحريف . (٣) الهجمة من الإبل : أولها أربعون الى ما زادت أو ما بين السبعين الى المائة . والشول : جمع شائلة وهى من الإبل ما أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية فارتفع ضرعها وخف لبنها ، والعشار : جمع عشراء — بضم العين وفتح الشين كنفساء ونفاس ولا ثالث لهما فى اللغة — وهى التى مضى لحملها عشرة أشهر . (٤) مانحت الناقة : درّت فى الشتاء بعد ما ذهبت ألبان الإبل .

قال عبـد الملك بن مروان لعُبيد الله بن قيس الرقيّات : وَيْحَك يآبنَ قيس ! أَما آتقيتَ اللهَ حين تقول لآبن جعفر :

تزورُ آمرأً قـد يعـلم اللهُ أنه * تَجودُ له كفٌّ قليـلٌ غِرارُها

ألّا قلتَ : قد يعلم الناسُ ولم تقل : قد يعلم الله ! فقال آبن قيس : قد والله علمه اللهُ [وعلمته أنت](1) وعلمتُه أنا وعلمه الناسُ .

رواية أخرى في شفاعة ابن جعفر له عند عبد الملك

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حمّاد بن إسحاق :

قرأتُ على أبي أن عُبيدَالله بن قيس الرقيّات منعه عبدُ الملك بن مروانَ عطاءَه من بيت المـال وطلبه ليقتلَه ، فآستجار بعبد الله بن جعفر ، وقصـده فألفاه نائما ، وكان صديقا لسائب خاثر ، فطلب الإذنَ على آبن جعفر فتعذّر ، فجاء سائب خاثر ليستأذنَ له عليـه ؛ قال سائبٌ : فجئت من قِبَلِ رِجْلِ عبدِ الله بن جعفر فنبحتُ نُباحَ الجِرْوِ الصغير ، فآنتبه ولم يَفتح عينيه ، وركَلَني بِرِجْله ، فدُرتُ إلى عند رأسه ، فنبَحتُ نُبَاحَ الكلب الهَرِم ، فآنتبه وفتح عينيه فرآني ؛ فقال : مالكَ ؟ ويحكَ ! فقلت : آبنُ قيس الرقيّات بالباب ، قال : آئذن له ، فأذنتُ له ، فدخل إليه فرحّبَ ابنُ جعفر به وقرّبه ، فعرّفه آبن قيس خبرَه ، فدعا بظَبْيَةٍ(2) فيهـا دنانيرُ ، وقال : عُدَّ له منها ؛ فجعلتُ أعُدُّ وأترنّم(3) وأُحَسِّنُ صوتي بجُهْـدي حتى عددتُ ثلثمائة دينـار ، فسكتُّ ؛ فقال لي عبـد الله : مالكَ ويلكَ سكتَّ ! ما هـذا وقتُ قطع الصوت الحسنِ ، فجعلتُ أعُدّ حتى نَقَدَ ما كان في الظَّبية ، وفيها ثمانمائة دينار ، فدفعتُها اليه ؛ فلمـا قبضها قال لآبن جعفر : اسأل أمـيرَ المؤمنين في أمري ؛ قال : نعم ، فإذا

(١) هذه الجملة ساقطة من ط ، ء ، م . (٢) الظبية : الجراب ، وقيل : الجراب الصغير خاصة . (٣) في ط ، ء ، م : « وأطرب » .

دخلتَ اليه معى ودعا بالطعام، فكُلْ أكلًا فاحشا . فركب آبنُ جعفر، فدخل معه إلى عبد الملك؛ فلما قُدِّم الطعامُ جعل يُسِيء الأكلَ؛ فقال عبدُ الملك لآبن جعفر: مَنْ هذا ؟ فقال : هذا إنسان لا يجوز إلا أن يكون صادقاً إن آستُبقِ ، وإن قُتل كان أكذبَ الناس؛ قال : وكيف ذلك! قال : لأنه يقول :

ما نقَموا من بنى أُميّـةَ إلّا أنهم يحلُمُون إن غَضِبُوا

فإن قتلتَه لغضبك عليه أكذبتَه فيما مدحكم به ؛ قال : فهو آمنٌ ، ولكن لا أعطيه عطاءً من بيت المـال؛ قال : ولِمَ وقد وهبتَه لى ؟ فأُحِبّ أن تَهَب لى عطاءَه أيضا كما وهبتَ لى دَمه وعفوتَ لى عن ذنبه؛ قال : قد فعلتُ، قال : وتعطيه ما فاته من العطاء؛ قال : قد فعلتُ، وأمرتُ له بذلك .

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى قال :

كان آبن قيس الرقيّات منقطعاً الى آبنِ جعفر، وكان يَصِـلُه ويقضى عنـه دَينَـه، ثم آستأمن له عبدَ الملك فأمّنـه، وحرَمه عطاءَه ؛ فأمره عبدُ الله أن يُقدِّر لنفســه ما يكفيه أيامَ حياته ففعل ذلك ، فأعطاه عبـدُ الله ما سأل وعوّضـه من عطائه أكثرَ منه ؛ ثم جاءت عبدَ الله صِلةٌ من عبد الملك وآبنُ قيس غائبٌ، فأمر عبـدُ الله خازنَه نخبأ له صِلتَه ، فلما قدِم دفعَها إليه؛ وأعطاه جاريةً حسناءَ؛ فقال آبنُ قيس :

إذا زرتُ عبدَ الله نفسى فداؤه * رجعتُ بفضـلٍ من نَداهُ ونائلِ
وإن غِبتُ عنه كان للوُدّ حافظًا * ولم يكُ عنّى فى المَغيب بغافـلِ
تداركَنى عبـدُ الإله وقد بدَتْ * لذى الحِقد والشَّنْآن منّى مَقاتلى ١٦٠ / ٤
فأنقذنى من غَمرة الموت بعد ما * رأيتُ حِياضَ الموت جمَّ المَناهل
حَبانِىَ لمـّا جئتُــه بعطيّــةٍ * وجاريةٍ حسناءَ ذاتِ خَلاخل

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأغانى

منهـا :

صـــوت

عادَ له من كَثِيرةَ الطَّرِبُ * فعينُه بالدمـوع تنسكِبُ
كُوفيّةٌ نازحٌ مَحَلّتُهـا * لا أَمَمٌ دارُها ولا صَقَبُ
والله ما إن صَبَتْ إلىّ ولا * يُعرَفُ بينى و بينها سَبَبُ
إلا الذى أورثَتْ كثيرةُ فى الـ * ـقلب وللحبّ سَوْرةٌ عَجَبُ

عروضه من المنسرح، غنّاه معبدٌ ثقيلا أوّلَ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى.

قوله : «لا أَمَمٌ دارُها» يعنى أنها ليست بقريبة . ويقال : ما كلّفتنى أَمَمـا من الأمر فأفعـلَه : أى قريبا من الإمكان ؛ ويقـال : إن فلانا لأَمَمٌ من أن يكون فعل كذا وكذا . قال الشاعر :

أَطْرقتْـه أسمـاءُ أم حَلَمَـا * بل لم تكن من رِحَالنا أَمَمَـا[(١)]

أى قريبةً . وقال الراجز :

كلّفها عمرٌو نِقَالَ الضِّبْعانْ[(٢)] * ما كُلِّفَتْ من أَمَمٍ ولا دَانْ

(١) هذا البيت من المنسرح، وقد دخل على التفعيلة الأولى منه الخبـل، وهو حذف الثانى والرابع الساكنين، وروايته فى ط، ى :

أطرقتـه أسماء أم حلما * بل لم تكن من رحلنا أمما

وعلى هذه الرواية يكون من الكامل . ولم نعثر عليه فى مصـدر آخر حتى نستطيع ترجيح إحدى الروايتين .

(٢) كذا فى ط، ى . وفى ب، سـ : « نقال الصيعان » وفى حـ، م : « نقال الصنعان » . ونحن لم نوفق الى صاحب هـذا الرجز ولا ماقيل فيه حتى نتبين وجه الصواب فيه أو المراد منه . على أنه لا يبعد أن يكون هذا البيت فى ناقة أو فرس، وتكليفها نقال الضبعان مسايرتها له ومناقلتها إياه . والضبعان (بالكسر) : ذكر الضبع .

وقال آخر :

إنك إن سألت شيئا أَتمّا * جاء به الكَرِىّ[1] أو تجشّما

والصَّقَبُ : الملاصقة . تقول : والله ما صاقبتُ فلانا ولا صاقبنى ، ودارُ فلانٍ مصاقِبةٌ لدار فلان؛ وفى الحديث : "الجارُ أحقُّ بصَقَبِه" أى بما لاصقه، أى إنه أحقُّ بشفعته . والسَّوْرَةُ : شِدّة الأمر، ومنه يقال : ساور فلان فلانا، وتَساوَرَ الرجلان اذا تَغالبا وتَشادّا؛ وقيل إن السَّوْرةَ : البقيَّةُ أيضا .

ومنهـا :

صـــوت

ما نَقَـمُوا من بنى أُميَّـة إلّا أنهم يَحلُمُون إن غَضِبوا

وأنهمُ سـادةُ الملوك فمـا * تَصلُح إلّا عليهمُ العَربُ

غنّت فى هذين البيتين حَبَابةُ[2]، وهما من القصيدة التى أوّلهـا :

* عاد له من كَثيرةَ الطَّربُ *

قال الأصمعىّ : كَثيرةُ هـذه آمرأة نزل بهـا بالكوفة فآوته . قال آبنُ قيس : فأقمتُ عندها سنةً تَرُوحُ وتَغْدُو علىّ بما أحتاج اليه،ولا تسألُنى عن حالى ولا نسبى؛ فبينا أنا بعد سنة مُشْرِفٌ من جَنَاح[3] إلى الطريق ، إذا أنا بمُنادِى عبدِ الملك يُنادِى ببراءة الذمّة ممن أُصِبتُ عنـده ؛ فأعلمتُ المرأةَ أنى راحلٌ؛ فقالت : لا يَرُوعَنَّك ماسمِعتَ، فإن هذا نداءٌ شائعٌ منذُ نزلتَ بنا، فإن أردتَ المُقَام ففى الرُّحْب والسَّعَة، وإن أردتَ الانصرافَ أعلمتَنى؛ فقلتُ لهـا : لا بدَّ لى من الانصراف؛ فلما كان الليـلُ، قَدَّمتْ الىّ راحلةً عليها جميعُ ما أحتاجُ إليه فى سفرى؛ فقلتُ لهـا : مَن

(١) الكرىّ : الذى يكرى الدواب . (٢) كذا فى م . وفى سائر الأصول : «وهى» بالإفراد.

(٣) الجناح : الروشن (الروشن : الكوة) يقال : أشرع فلان جناحا الى الطريق أى روشنا .

أنتِ — جُعِلْتُ فِداءَكِ — لأُكافِئَكِ؟ قالت : ما فعلتُ هذا لتُكافِئَنى ؛ فٱنصرفتُ ولا والله ما عرفتُها إلا أنى سمعتُها تُدعى بٱسمها "كثيرة"، فذكرتُها فى شعرى .

فتك عبد الله بن على ببنى أمية لشعر له

١٦١/٤ وذكر الزبيرُ بن بكّار عن عمّه مصعب أن عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس صاحبَ بنى أميّة بنهر أبى فُطْرُس، إنما بعثه على قتلهم أنه أنشده بعضُ الشعراء ذاتَ يوم مديحًا مدَح به بنى هاشم ؛ فقال لبعضهم : أينَ هذا مما كنتم تَمْدَحُون به ! فقال : هيهات أن يُمدحَ أحدٌ بمثل قول ٱبن قيس فينا :

ما نقَمُوا من بنى أميّـة إلا أنهم يَحلُمُون إن غَضِبُوا

البيتين ؛ فقـال له عبـدُ الله بن علىّ : ألَا أرى المطمعَ فى المُلْك فى نفسـك بعدُ ياماصّ كذا من أُمه ! ثم أوْقع بهم .

سمع الرشيد قينة تغنى بشعره فى مدح بنى أمية فغضب فحرفتـه

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزبير ابن بكّار قال حدّثنى عمّى عن جدّى[1] عبد الله بن مُصعب قال :

اعترض هارونُ الرشيد قَيْنةً فغنّتْ :

ما نقَموا من بنى أميّـة إلّا أنهم يَحلُمُون إن غضبوا

فلمـا ٱبتدأتْ به تغيّر وجهُ الرشـيد، وعلِمتْ أنهـا قد غَلِطتْ وأنها إن مرّت فيه قُتِلتْ، فغنّتْ :

ما نَقَمُوا من بنى أميّـة إلّا أنهم يجهلُون إن غَضِبوا
وأنهم معدِنُ النّفاق فمـا تَفسُدُ إلا عليهم العربُ

(١) فى ط ، ء ، م : « حدّثنى عمى مصعب » بحذف جدّه من السند . والزبير بن بكار عمه مصعب بن عبد الله بن مصعب وجدّه عبد الله بن مصعب .

فقال الرشيد ليحيى بن خالد : أسمعتَ يا أبا علىّ؟ فقال : يا أمير المؤمنين تُبتاعُ وتُسنَى[(١)] لها الجائزةُ ويُعجَّلُ لها الإذنُ لِيَسكُن قلبُها؛ قال : ذلك جزاؤها، قُومِى فأنتِ منّى بحيث تُحِبّين . قال : فأُغْمِىَ على الجارية . فقال يحيى بن خالد :

جُزِيتَ أميرَ المؤمنين بأَمْنِها * من الله جناتٍ تفوز بِعَدْنِها

ومنها :

صــــوت

تَقَدّتْ بِىَ الشَّهْباءُ نحوَ ٱبن جعفرٍ * ســواءٌ عليها ليلُها ونهـارُها

تَزُورُ آمرأً قــد يَعـلمُ اللهُ أنه * تجـودُ له كفٌّ بطىءٌ غِرارُها

ووالله لولا أن تزورَ آبنَ جعفـرٍ * لكان قليــلاً فى دِمَشقَ قـرارُها

عَروضُه من الطويل . غنّاه مَعْبدٌ ثانىَ ثقيلٍ بالبنصر . قوله : "تَقدّتْ" أى سارت سيرا ليس بعَجِلٍ ولا مُبطِئ، فيقال: تَقدّى فلانٌ إذا سار سيرَ مَنْ لا يخاف فوتَ مَقْصِده فلم يَعْجَل. وقوله : «بطىءٍ غِرَارُها» يعنى أن منعَها المعروفَ بطىءٌ. وأصل الغِرَار : أن تمنعَ الناقةُ دِرّتَها، ثم يُستعار فى كل ما أشبه ذلك؛ ومنه قول الراجز :

إنّ لكلّ نَهَلاتٍ شِرّهْ * ثم غِرَارًا كغِرار الدِّرّهْ

وقال جَميلٌ فى مثل ذلك :

لاحتْ لعينك من بُثينةَ نارُ * فدموعُ عينـكَ دِرّةٌ وغِرارُ

---

(١) تسنى : تجزل حتى تكون سنية . وفى ب ، سـ : «تثنى» بالثاء المثلثة ، وهو تحريف .

شيء مما عيب عليه في شعره

قال الزّبيرُ : وهذا البيتُ مما عِيبَ على آبن قيس ، لأنه نَقَضَ صدرَه بعَجُزه ، فقال في أوّله : [إنه][1] سار سيرا بغير عَجَل ، ثم قال :

* سَواءٌ عليها ليلُهـا ونهارُها *

وهذا غايةُ الدَّأَب[2] في السَّير، فناقض معناه في بيت واحد . ومما عِيبَ على آبن قيس الرقيّات قولُه — وفي هذين البيتين غناء — :

صـــوت

تُرضِعُ شِبْلَيْنِ وَسْطَ غِيلِهما[3] * قـد ناهزا للفِطَام أو فُطِما

١٦٢/٤ ما مرّ يومٌ إلّا وعنـدهما * لحمُ رجال أو يُولَغـانِ[4] دَمَا

— غنّاه الغريضُ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاقَ من رواية عمرو بن بانةَ — وهي قصيدة مدح بها عبدَ العزيز بن مروانَ، وفيها يقول :

أَعْنِي آبنَ ليلَى عبدَ العـزيز بِبا * بِلْيونَ[5] تَغـدُو جِفَانُه رُذُما[6]

---

(١) الزيادة عن ط ، ء . (٢) كذا في ط ، ء ، م . وفي سائر الأصول : «وهذه» . (٣) الغيل (بالكسر) : موضع الأسد . وفي اللسان (مادة نهز) : «في مغارهما» .

(٤) ولغ السبع والكلب وكل ذي خطم يلغ وولغ يولغ مثل وجل يوجل : شرب ماء أو دما .

(٥) كذا في ديوانه (ص ٢٥٥ طبع فينا) واللسان (مادة رذم) . وبابليون : حصن بناه الفرس أيام تملكهم لمصر، وكان يسميه العرب قصر الشمع وكان على الضفة الشرقية من النيل قرب الكنيسة المعلقة في مصر القديمة فتحه عمرو بن العاص وبفتحه تم الصلح مع المقوقس . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤ ورقم ١ ص ١٨ من الجزء الأول من النجوم الزاهرة طبع دار الكتب المصرية) وعبد العزيز بن مروان هـذا كان واليا على مصر من قبل أبيـه مروان وأقره عليها أخوه عبد الملك بعـد مبايعته بالخلافة (راجع ولاة مصر وقضاتها للكندي ص ٤٤ ، ٤٨ ، ٤٩ طبع بيروت والمقـريزي ج ١ ص ٣٠٢ والنجـوم الزاهرة ج ١ ص ١٧٢ طبع دار الكتب المصرية) . (٦) الرذم (بضمتين أو فتحتين وبكلتيهما روى البيت) : جمع رذوم؛ قال الجوهري «وجفان رذم ورذم مثل عمود وعمد وعمد ولا تقل رذم (بالكسر) » . والرذوم من الجفان : التي كأنها تسيل دسما لامتلائها . وذهب آبن سـيده الى أن روايته بالتحريك ، كما رواه الأصمعيّ، إنما هي تسمية بالمصدر . (ملخص عن اللسان مادة رذم) .

الواهبَ النُّجْبَ[(١)] والولائدَ كالـ * ـغزلانِ والخيلَ تعلُكُ اللُّجُمَا

وكان قال فى قصيدته هذه : « أو يالغان دما » بالألف، وكذلك رُوِى عنه، ثم غيّرته الرواة .

قال يونس عنه : إنه ليس بفصيح ولا ثقة

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال : سمعتُ ٱبن الأعرابىّ يقول : سئل يونس عن قول ٱبن قيس الرقيّات :

ما مرّ يوم إلا وعنـدهما * لحم رجال أو يُولَغان دمَا

فقال يونس : يجوز يولَغانِ ولا يجوز يالغان ؛ فقيـل له : فقد قال ذلك ٱبن قيس الرقيّات وهو حِجازىّ فصيح؛ فقال : ليس بفصـيح ولا ثقة، شَغَل نفسَـه بالشرب بتَكريتَ[(٢)] .

انتقـد ابن أبى عتيق شـعرا له

أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبى : أوَ بلغك أن ٱبن أبى عتيق أُنشد قولَ ٱبن قيس :

* سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها *

فقال : كانت هذه يٱبنَ أمّ فيما أرى عمياءَ .

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنـا الزبير بن بكار قال حدّثنى عمى مصعب عن جدّى [عن][(٣)] هشام بن سليمان المخزومىّ قال :

---

(١) كذا فى أكثر الأصول، والنجب (بضمتين وقد يسكن كما هنا) : جمـع نجيب وهو الكريم الحسيب من الإنسان والحيوان . والولائد : جمـع وليدة وهى الصبية والأمة . وتعلك اللجم : تلوكها وتحركها فى فيها . وفى، ط ، ء : «البخت» بالباء والخاء وهى الإبل الخراسانية، معرب وقيل عربى .

(٢) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، وهى الى بغداد أقرب ، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا .

(٣) التكملة عن ط ، ء ، م .

قال آبن أبي عتيق لعُبَيد الله بن قيس وقد مرّ به فسلّم عليه فقال : وعليك السلام يا فارس العمياء، فقال له : ما هذا الآسم الحادث يا أبا محمد! بأبي أنت ! قال : أنت سمّيتَ نفسك حيث تقول :

* سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها *

فما يستوى الليلُ والنهارُ إلا على عَمْياء(١)، قال : إنما عنيتُ التعبَ ، قال : فبيتك هذا يحتاج إلى تَرْجُمان يترجم عنه .

ومنها :

صـــوت

ذكرتُكَ أنْ فاضَ الفراتُ بأرضنا * وفاضت بأعلى الرَّقَّتَيْنِ(٢) بِحارُها
وحَوْلِيَ مما خوّل اللهُ هَجْمَةٌ * عطاؤكَ منها شَوْلُها وعِشَارُها
فجئناكَ نُثْنِي بالذي أنتَ أهلُه * عليك كما أَثْنَى على الروض جارُها
إذا متَّ لم يُوصَلْ صديقٌ ولم تُقَمْ * طريقٌ من المعروف أنت منارُها

ــ الشولُ : النُّوق التى شالت بأذنابها وكرِهت الفحل ، وذلك حين تلقح ، واحدتها شائل ــ غنّاه حَكَمٌ الوادِى ثقيلًا أوّل بالوسطى .

حكم الوادي ودنانير

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال قال لى أبى :

قال حكم الوادى : دخلت يوما على يحيى بن خالد فقال لى : يا أبا يحيى، ما رأيك فى خمسمائة دينار قد حضرتْ؟ قلت : ومَنْ لى بها؟ قال : تلقِي لحنك فى :

* ذكرتكَ أن فاض الفراتُ بأرضنا *

(١) فى ط ، ء ، م : « إلا على أعمى » . (٢) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٨٠ من هذا الجزء .

على دنانير فهاهى ذه، وهذا سَلامٌ واقف معك ونُخرِجها إليك، وأنا راكب إلى أمير المؤمنين، ولست أنصرف من مجلس المظالم إلى وقت الظهر، فكُدَّها فيه، فإذا أحكمتْه فلك خمسمائة؛ فقالت دنانير: يا سيِّدى، أبو يحيى يأخذ خمسمائة دينار وينصرف وأنا أبقى معك أُقاسيك عُمرى كلَّه! فقال لها: إنْ حفظتِيه فلكِ ألف دينار، وقام فمضى؛ فقلت لها: يا سيِّدتى آشغَلى نفسكِ بذا، فإنك أنتِ تهبين لى الخمسمائة الدينار بحفظكِ إيّاه وتفوزين بالألف الدينار، وإلا بطَل هذا، فلم أزَلْ معها أكُدُّها ونفسى وتُعنّينى حتى آنصرف يحيى، فدعا بماء وطَسْتٍ، ثم قال: يا أبا يحيى، غَنِّ الصوتَ كما كنتَ تُغنّيه ـ فقلتُ: هلكتُ! يسمعُه منّى، وليس هو بمن يَخفَى عليه، ثم يَسمعُه منها فلا يرضاه ـ فلم أجدْ بُدًّا من الغناء؛ ثم قال: غَنّيه أنتِ الآنَ؛ فغنّتْ؛ فقال: والله ما أرى إلا خيرًا؛ فقلتُ: جُعِلتُ فداءَكَ! أنا أمضُغ هذا منذ أكثرَ من خمسين سنةً كما أمضُغ الخبز، وهذه أخذتْه الساعةَ وهو يَذِلُّ لها بعدى وتَجترئُ عليه ويزدادُ[1] حسنا فى صوتها؛ فقال: صدقتَ، هاتِ يا سَلامُ خمسمائةِ دينار ولها ألفَ دينار، ففعل؛ فقالت له: وحياتِكَ يا سيِّدى لأشاطِرَنّ أستاذى الألفَ الدينار؛ قال: ذلك إليكِ، ففعلَتْ؛ فآنصرفتُ وقد أخذتُ بهذا الصوتِ ألف دينار. ١٦٣/٤

رجع الحديث إلى عُبيد الله بن قيس الرقيات

شعر ابن قيس الرقيات فى كثيرة التى نزل بها بالكوفة

قال الزبير بن بكار حدّثنى عبد الله بن النَّضير عن أبيه:

أن آبن قيس الرقيّات قال فى الكوفيّة التى نزل عليها:

بانتْ لِتَحزُنَنا كَثيرهْ[2] ❋ ولقد تكون لنا أميرهْ

(١) كذا فى ط، ى، م. وفى باقى الأصول: «وتزداد» بالتاء. (٢) هذان البيتان من قصيدة عدد أبياتها خمسة وعشرون بيتا، وهى مذكورة فى ديوانه المخطوط بقلم المرحوم الشيخ الشنقيطى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٨ أدب ش وديوانه المطبوع بفينا (ص ١١٥).

حَلَّتْ فَلَالِيجَ السَّوَا (١) * دِ وحَلَّ أهلى بالجزيره

قال : ولقد رحل من عندها وما يتعارفان .

قال : وقال فيها أيضا — وفيه لحنٌ من خفيف الثقيل لآبن المكىّ — :

صـــوت

لَجّتْ بحبّكَ أهلَ العِراق * ولولا كَثِيرةُ لم تَلْجَج

فليتَ كثــيرةَ لم تَلْقَنِى * كثيرةَ أختَ بنى الخزْرج

سعيد بن المسيب وابن قيس الرقيات

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عبدالله بن عاصم القَحْطانىّ قال حدّثنى أبى عن عبد الرحيم بن حَرْمَلَةَ قال :

كنتُ عند سعيد بن المسيّب، فجاء آبنُ قيس الرقيّات، فهَشّ وقال : مَرْحبًا بظُفُر من أظفار العَشِيرة ، ما أحدثْتَ بعدى ؟ قال : قد قلتُ أبياتا وأستفتيك فى بيت منها فآسمعها ؛ قال : هات ؛ فأنشده :

هل للديار بأهلها عِلْمُ * أم هل تُبِينُ فينطقَ الرسمُ

قالت رُقيّــةُ فِيمَ تَصرِمُنا * أَرُقَىَّ ليس لوجهكِ الصَّرمُ

تَخطو بخَلْخَالَيْنِ حَشْوُهما * ساقَانِ مارَ (٢) عليهما اللحمُ

ياصاحِ هل أبكاكَ موقفُنا * أم هل علينا فى البُكا إثمُ

فقال سعيد : لا والله ما أبكانى؛ قال آبنُ قيس الرقيّات :

بل ما بكاؤك منزلًا خَلَقًا * قَفْــرًا يلُوح كأنه الوَشْمُ (٣)

(١) فلاليج السواد : قراه ، واحدها فلوجة . والمراد بالسواد العراق ، سمى بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار. (٢) مار : تردّد وتحرّك وآضطرب . (٣) كذا فى ط ، ء ، م ، وهو الموافق لما فى ديوانه المخطوط والمطبوع (ص ١٣٠) . وفى باقى الأصول : « الرسم » بالراء والسين وهو تحريف ، والعرب كثيرا ما تشبه هذا التشبيه قال طرفة :

لخــولةَ أطلال ببرقة ثهمد * تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

فقال سعيد : اِعتذر الرجل . ثم أنشد :

أتلبثُ فى تَكْرِيتَ لا فى عَشِـيرةٍ ... شهودٍ ولا السلطانُ منكَ قريبُ

وأنت آمرؤٌ للحزم عنـدك منزلٌ ... وللدِّين والإسلام منك نصيب

١٦٤/٤ فقال سـعيدٌ : لا مُقامَ على ذلك ، فآخرُجْ منهـا ؛ قال : قد فعلتُ ؛ قال : قد أصبتَ أصاب الله بكَ .

نسبةُ ما فى هذا الخبر من الغناء

صــــوت

قامَتْ بِخَلْخَالينِ حَشْوُهما ... ساقان مارَ عليهمـا اللحمُ

يا صاحِ هل أبكاك موقِفُنا ... أم هل علينا فى البكا إثمُ

غنّى فيهما آبنُ سُرَيجٍ رملًا بالبنصر .

ابن قيس الرقيات وعمر بن أبى ربيعة

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنـا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا محمـد ابن عبد الله البَكْرِىّ وهارونُ بن أبى بكر عن عبد الجبّار بن سعيد المُساحِقىّ عن أبيه عن سعيد بن مُسْلِم بن وَهْب مولى بنى عامر بن لؤىّ عن أبيه قال :

دخلتُ مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نَوْفَل بن مُسَاحِقٍ وإنه لمُعتَمِدٌ (١) [على يدى] إذ مررنا بسعيد بن المسيّب فى مجلسه فسلّمنا عليـه فردّ سلامَنـا ؛ ثم قال لنوفل (٢): يا أبا سعيد مَنْ أشعرُ، أَصَاحبُنا أم صاحبُكم؟ يعنى: عبيدُ الله بن قيس

(١) الزيادة والتصحيح عن الأغانى (ج ١ ص ١١٣ طبع دار الكتب المصرية) . وفى م : « وإنه لمعتمد علىّ » وفى ط ، ء : « وإنه لمعتمد إذ مررنا بسعيد الخ » . وفى باقى الأصول : « لمعتمر بالراء » وهو تحريف . وقد سبق ذكر هذا الخبر هناك مع بعض مغايرة فى الأبيات الآتية بعد ، فانظره والحواشى التى كتبت على الشعر هناك. (٢) فى ب ، س : « ثم قال نوفل » وهو تحريف .

الرقيّات أو عمرُ بن أبي ربيعة؛ فقال نوفل : حين يقولان ماذا ؟ فقال : حين يقول صاحبنا :

خليـــليَّ ما بالُ المَطِيّ كأنّما * نَراها على الأدبار بالقوم تَنكُصُ

وقد أبعدَ الحادِى سُراهنّ وٱنتحَى * بهنّ فما يَألُو عَجُولٌ مُقلِّص

[وقد قُطِّعتْ أعناقُهُنّ صَبابة * فأنفُسنا مّما تُكلَّف شُخَّص](١)

يَزِدْنَ بنا قُرْباً فيزدادُ شَوقُنا * إذا زاد طولُ العهدِ والبعدُ يَنقُص

ويقول صاحبُكم ما شئتَ؛ قال : فقال له نوفلٌ : صاحبكم أشهر بالقول في الغزل أمتع اللهُ بك، وصاحبُنا أكثرُ أفانينَ شعرٍ؛ قال : صدقتَ؛ فلما ٱنقضى ما بينهما من ذكر الشعر، جعل سعيدٌ يستغفر اللهَ ويَعقِد بيده ويَعُدُّه بالخمس كلِّها حتى وفّى مائةً .

قال البكريّ في حديثه عن عبد الجبّار : فقال مُسلِمُ بن وَهْب : فلما فارقناه قلتُ لنوفل : أتُراه ٱستغفرَ اللهَ من إنشادِه الشعرَ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كلّا ! هو كثيرُ الإنشاد والٱستنشاد للشعر، ولكنّي أحسَبُه للفخر بصاحبه .

وفد على حمزة بن الزبير فوصله

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال :

ٱستأذن عُبيدُ الله بن قيس الرقيات على حمزةَ بن عبد الله بن الزبير، فقالت له الجاريةُ : ليس عليه إذنٌ الآنَ؛ فقال : أَمَا إنه لو علم بمكاني ما ٱحتجب عنّي ! قال : فدخلتِ الجاريةُ على حمزةَ فأخبرتْه، فقال : ينبغي أن يكونَ هذا ٱبنَ قيس الرقيّات، ٱئذَني له، فأذِنتْ له؛ فقال : مَرْحباً بك يا ٱبنَ قيس، هل من حاجة

(١) الزيادة عن ط، ء، م والأغاني في الموضع الذي أشير إليه في الصفحة السابقة .

نَزعتْ بك؟ قال : نعم، زوجتُ بنينَ لى ثلاثةً ببناتِ أخ لى ثلاثٍ، وزوجتُ ثلاثة من بنى أخ لى بثلاثِ بناتٍ لى؛ قال : فلبنيكَ الثلاثةِ أربعمائةِ دينارٍ أربعمائة دينارٍ، ولبنى أخيك الثلاثةِ أربعمائةِ دينارٍ أربعمائةِ دينارٍ، ولبناتك الثلاثِ ثلثمائة دينارٍ ثلثمائة دينارٍ، ولبنات أخيك الثـلاثِ ثلثمائةِ دينارٍ ثلثمائة دينارٍ، هل بقيتْ لك من حاجة يأبنَ قيس؟ قال : لا والله إلا مؤونة السفر؛ فأمر له بمـا يُصلِحُه لسفره حتى رِقاعِ أخْفافِ[1] الإبل .

١٦٥/٤

ذكر ما قاله آبن قيس الرقيات وغُنِّى فيه

صـــوت

أمسَتْ رُقيّة دونهـا البِشْرُ[2] * فالرَّقة السَّوداء[3] فالغَمْـرُ

غناه يونس ثقيلًا أوّلَ بالوسطى، وفيه لعَزّةَ الْمَيلاءِ ثانى ثقيلٍ .

ومنهـا :

صـــوت

رُقَىّ بعَيْشكم لا تَهجُرينـا * ومَنِّينا المُـنَى ثم آمطُلِينا

عِدِينـا فى غَدٍ ما شئتِ إنّا * نُحِبُّ وإن مطَلْتِ الواعِدينا

(١) فى الأصول «خفاف» بدون ألف، وقد صحح المرحوم الشيخ الشنقيطى هـذه الكلمة بإثبات الألف فى نسخته . وهو الموافق لمـا فى كتب اللغـة من أن الخف للبعير يجمع على أخفاف والخف الذى يلبس يجمع على خفاف .

(٢) البشر : اسم جبل يمتدّ من عرض الى الفرات من أرض الشام من جهـة البادية، وهو من منازل بنى تغلب بن وائل . (عن معجم البلدان لياقوت) . والغمر : علم على مواضع كثيرة .

(٣) كذا فى ط، ء، م وديوانه (ص ٢٧٥ طبع أوربا) وهو الموافق لمـا فى معجم ياقوت عند الكلام على البشر . والرقة السوداء : قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة . وفى باقى الأصول : «الرقة البيضاء»، وهى مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام، معدودة فى بلاد الجزيرة . (انظر ياقوت فى اسم الرقة) .

أَغَرَّكِ أنني لا صبرَ عندى * على هَجْرٍ وأنّكِ تَصْبِرِينا
ويومَ تَبِعْتُكم وتركتُ أهلى * حَنِينَ العَوْدِ[1] يَتَّبِعُ القَرِينا

عَرُوضُه من الوافر . غنّاه ابنُ مُحْرِز ثانىَ ثقيلٍ بالسبّابة فى مجرى الوسطى .

ومنها :

صوت

رُقَيَّةُ تَيَّمَتْ قلبى * فوا كَبِدى من الحبِّ
نهانِى إخوتى عنها * وما بالقلب من عَتْبِ

غنّاه مالكٌ ثانىَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة . وقد ذكَرتْ بَذْلُ أنّ فيه لابن المكىّ لحنا .

فضل ابن أبى عتيق شعره على شعر كثير

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى سعيد بن عمرو ابن الزُّبير[2] قال حدّثنى إبراهيم بن عبدالله قال :

أنشد كُثَيِّرٌ ابنَ أبى عَتيق كلمتَه التى يقول فيها :

ولستُ بِراضٍ من خليلٍ بنائلٍ * قليلٍ ولا أرضَى له بقليلِ

فقال له : هذا كلامُ مكافِئٍ ليس بعاشقٍ، القُرَشيان أقنعُ وأصدقُ منك : ابنُ أبى ربيعة حيث يقول :

ليتَ حَظِّى كلَحْظَةِ العينِ منها * وكثيرٌ منها القليلُ المُهَنّا

وقولُه أيضا :

فعِدِى نائلًا وإن لم تُنيلِى * إنه يُقْنِعُ المحبَّ الرجاءُ

(١) العود (بالفتح) : الجمل المسن وفيه بقية . وقال الجوهرى : هو الذى جاوز فى السن البازل والمخلف، جمعه : عودة كديكة .

(٢) فى ط ، ء، م : « إبراهيم بن أبى عبد الله » .

وٱبنُ قيس الرقيّات حيث يقول :

رُقَيَّ بعيشكم لا تهجُرينا ✽ ومَنّينا المُنَى ثم ٱمطُلينا
عِدينا فى غَدٍ ما شئتِ إنّا ✽ نُحِبّ وإن مَطلتِ الواعِدينا
فإمّا تُنجِزى عِدَتى وإمّا ✽ نَعيشُ بما نُؤمِّل منك حِينا

قال : فذكرتُ ذلك لأبى السائب المخزومىّ ومعه ٱبنُ المولَى، فقال : صدق ٱبن أبى عتيق وفّقه الله، ألا قال المديون كثيّر كما قال هذا حيث يقول :

وأبكِى فلا ليلَى بكَتْ من صبابةٍ ✽ لِباكٍ ولا ليلَى لذى الودّ تَبذُلُ
وأخنَعُ بالعُتْبَى إذا كنتُ مذنبًا ✽ وإن أذنبَتْ كنتُ الذى أتنصّلُ

صادف رقية بنت عبد الواحد فى الطواف فشبب بها

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال سمعت عُبيدةَ بنَ أشْعب بن جُبَيْر قال حدّثنى أبى قال حدّثنى فِنْدٌ مولى عائشةَ بنت سعد بن أبى وقّاص قال :

حجّتْ رُقَيةُ بنتُ عبد الواحد بن أبى سعد العامريّةُ، فكنتُ آتيها وأُحدّثُها فتَستَظرِف[1] حديثى وتَضحكُ منّى، فطافتْ ليلةً بالبيت ثم أهوَتْ لِتستلمَ الركنَ ١٦٦/٤ الأسودَ وتقبّله، وقد طفتُ مع عُبيدالله بن قيس الرقيّات، فصادف فراغُنا فراغَها ولم أشعُر بها، فأهوى ٱبنُ قيس يستلمُ الركنَ الأسودَ ويُقبّله، فصادفها قد سبقتْ إليه، فنفَحتْه بُردْنها[2] فٱرتدَع، وقال لى : مَن هذه؟ فقلتُ : أوَ لا تعرفُها! هذه رقيّةُ بنتُ عبد الواحد بن أبى سعد، فعند ذلك قال :

مَنْ عَذِيرى ممن يَضِنّ بمبذو ✽ لٍ لغيرى علىّ عند الطّوافِ

(١) فى ط، ء، م : «فتستطرف» بالطاء المهملة. (٢) نفحته : أصابته. والردن : الكم، وقيل : مقدمه، وقيل : أصله. والردع : أثر الطيب، وارتدع : تطلب بالطيب.

يريد أنها تُقَبِّل الحجرَ الأسودَ وتَضَنّ عنه بقبلتها . وقال فى ذلك :

حَدِّثونى هل على رجلٍ * عاشـــقٍ فى قُبْلةٍ حَرَجُ

وفيــه غناءٌ يُنسب بعد هــذا الخبر . قال : ولمـا نفَحته بُرْدُنهـا فاحت منه رائحةُ المسك حتى عَجِب مَنْ فى المسجد، وكأنمـا فُتِحتْ بين أهل المسجد لَطِيمةُ(١) عطّارٍ، فسبّح مَنْ حولَ البيت . قال : وقال فِنْدٌ : فقلتُ بعد انصرافها لابن قيس : هل وجدتَ رائحةَ رُدْنها لشيءٍ طِيبًا ؟ فعند ذلك قال أبياتَه التى يقول فيها :

صـــــوت

سائلا فِنْـدًا خليلى * كيف أَرْدانُ رُقَيّهْ
إنّنى عُلِّقت خَوْدًا * ذاتَ دَلٍّ بَخْـتَرِيَّهْ(٢)

غنّاه فِنْدٌ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حَبَش .

نسبة هذا الصوت الذى فى الخبر المتقدّم وخبره
وهو أيضا مما قاله ابن قيس فى رقيّة

صـــــوت

حَبَّ ذاكَ الدَّلُّ(٣) والغُنُجُ * والتى فى عينهـا دَعَجُ
والتى إن حَدّثتْ كذبتْ * والتى فى وعـدها خَلَجُ(٤)

(١) اللطيمة : وعاء المسك . (٢) الخود : الفتاة الشابة الحسنة الخلق . والبخترية : المتبخترة فى مشيها، وهى مشية المتكبر المعجب بنفسه، أو هى حسنة المشى والجسم . (٣) الدل والدلال من المرأة : تدللها على زوجها وذلك أن تريه جراءة عليــه فى تغنج وتشكل كأنها تخالفه وليس بها خلاف، أو هو حسن الحديث وحسن المزح والهيئة . والغنج (بالضم وبضمتين) : حسن الدل . والدعج : شدة سواد العين مع سعتها . (٤) الخلج : الأضطراب وعدم الثبات على حال، والمراد أنها لاضطرابها لا تثبت على حال فى الوفاء بوعدها .

وتَرى فى البيت صورتَها * مِثْلَما فى البِيعَة[1] السُّرُجُ
خبِّرونى هل على رجلٍ * عاشقٍ فى قُبلةٍ حَرَجُ

الشعر لآبن قيس الرقيّات يقوله فى رقيّة بنت عبد الواحد . والغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلقٌ فى مجرى البنصر . وفيه خفيفُ ثقيلٍ آخر لآبن مُحْرِز من رواية عمرو بن بانة، وقيل : بل هو هذا .

عود الى تفضيل ابن أبى عتيق له على كثير

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى سليمان ابن عَيّاش السَّعْدىّ قال حدّثنى سائبٌ راويةُ كثيّر قال :

كان كثيّرٌ مديونا، فقال لى يوما ونحن بالمدينة : اذهب بنا الى ابن أبى عَتيق نتحدّث عنده، قال : فذهبت اليه معه، فآستنشده ابنُ أبى عَتيق، فأنشده قوله :

* أبائنةٌ سُعْدَى نعم ستَبِينُ *

حتى بلغ إلى قوله :

وأخلفنَ ميعادى وخُنَّ أمانتى * وليس لمن خان الأمانةَ دِينُ

فقال له ابن أبى عَتيق : أَعَلى الأمانة تَبِعتَها! فآنكفّ وآستغضب نفسه وصاح وقال :

كَذَبْنَ صفاءَ الودّ يوم مَحِلّه * وأنكدْنَنى من وعدهن ديونُ

فقال له ابن أبى عَتيق : وَيْلَك! هذا أملح لهنّ وأدعى للقلوب إليهنّ ، سيِّدُك ابن قيس الرقيّات كان أعلَمَ منك وأوضعَ للصواب موضعَه فيهنّ؛ أمَا سمعتَ قوله : ١٦٧/٤

حَبّ ذاكَ الدلُّ والغُنُجُ * والتى فى عينها دَعَجُ
والتى إن حَدّثتْ كذبتْ * والتى فى وعدها خَلَجُ

(١) البيعة : متعبد النصارى أو اليهود .

وتَرى فى البيت صورتَها * مثلما فى البِيعَـة السُّرُجُ

خبِّرونى هل على رجلٍ * عاشقٍ فى قُبـلةٍ حَرَجُ

قال : فسكن كُثَيِّر وآستحلى ذلك، وقال : لا! إن شاء الله، فضحك آبن أبى عَتيق حتى ذُهِبَ به .

أنشد أبو السائب المخزومى شعره فمدحه

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الرحمن بن عُمَر الزُّهْرىّ قال : أنشدتُ أبا السائب المخزومىّ قولَ آبن قيس الرقيّات :

صـــوت

قد أتانا من آل سُعْدَى رسولُ * حبَّـذا ما يقـول لى وأقـولُ

مِنْ فتاةٍ كأنها قَرْنُ شمسٍ * ضـاق عنهـا دَمَالِجُ(١) وحُجُولُ

حَبَّـذا ليلتى بِمِـزَّة(٢) كلبٍ * غال عنّى بها الكَوَانِينَ غُـولُ

فقال لى : يآبنَ الأمير ما تُرَاه كان يقول وتقول ؟ فقلت :

حديثًا كما يسرى النّدى لو سمعتَه * شفاكَ مِنَ آدواءٍ كثيرٍ وأسقَمَا

فطرِب وقال : بأبى أنت وأمى ! ما زلتُ أُحبّك، ولقـد أُضعِف حبِّى إياك حين تفهم عنى هذا الفهم .

(١) دمالج : جمع دملج وهو المعضد من الحلى (حلية تلبس فى العضد) . والحجول : جمع حجل وهو الخلخال . يريد أنها بضة سمينة ضاقت عنها دمالجها وحجولها .

(٢) فى الاصول «بمزة كلب» بالراء المهملة وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه عن معجم ياقوت فى آسم المزة بكسر الميم وتشديد الزاى المعجمة، وعن تصحيح الاستاذ الشنقيطى أيضا فى نسخته . قال ياقوت : وهى قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق، بينها و بين دمشق نصف فرسخ وبها فيما يقال قبر دحية الكلبى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . والكوانين : الثقلاء من الناس . والغول (بالضم) : الداهية .

غنّى فى هذه الأبيات ابن سُرَيج ثقيلًا أوّل بالوسطى. ولمالكٍ فيها ثانى ثقيل، كلاهما عن الهِشَامىّ.

أنشد أشعب من شعره محمد بن عبد الله فمدحه

أخبرنى محمد بن جعفر الصَّيْدَلانىّ النحوىّ صهرُ المبرّد قال حدّثنى طلحة ابن عبد الله أبو إسحاق الطَّلْحىّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان قال: أنشد أشعبُ بن جُبَير أبى أبياتَ عُبيد الله بن قيس الرقيّات التى يقول فيها:

قد أتانا من آل سُعْدى رسولٌ * حبّذا ما يقول لى وأقولُ

فقال أبى: وَيْحَك يا أشعب! ما تُراه قال وقالت له؟ فقال:

حديثًا لو انّ اللحمَ يَصْلَى بحرّه * غريضًا(١) أتى أصحابَه وهو مُنْضَجُ

ذكر شوقًا ووصف توقًا، ووعد ووفى، والتقيا(٢) بمِزّة كَلْب فشفَى واشتفى، فذلك قوله:

حبّذا ليلتى بمِزّة كلبٍ * غال عنّى بها الكَوَانينَ غُولُ

فقال له: إنك لعلّامة بهذه الأحوال؛ قال أجلْ! بأبى أنت! فاسأل عالمًا عن علمه.

ومما فى المائة الصوت المختارة من شعر عبيد الله بن قيس الرقيّات

صوت

من المائة المختارة

ياقلبُ وَيْحك لا تذهبْ بك الحُرَقُ * إنّ الأُلَى كنتَ تهواهم قد انطلقُوا

وذُكر أنه لوضّاح(٣)، وقد أُخرج فى موضع آخر.

---

(١) غريضا: طريا. (٢) كذا فى ط، ء، م. وفى سائر الأصول: «فالتقيا».

(٣) هو وضاح اليمن عبد الرحمن بن إسماعيل الشاعر؛ وله ترجمة فى الأغانى (ج ٦ ص ٣٢ طبع بولاق).

١٦٨/٤

ذكر مالك بن أبي السَّمْح وأخباره ونسبه

نسبه وكنيته وبعض صفاته

هو مالك بن أبي السَّمْح . واسم أبي السمح جابر بن ثعلبة الطائي أحد بني ثُعَل[(١)] ثم أحدُ بني عمرو بن دَرْماء[(٢)] . ويكنى أبا الوليد . وأمه قرشيّة من بني مخزوم ، وقيل : بل أمّ أبيه منهم ، وهو الصحيح .

وقال ابن الكلبي : هو مالك بن أبي السمح بن سليمان بن أوْس بن سِماك[(٣)] ابن سعد بن أوس بن عمرو بن دَرْماء أحد بني ثُعَل . وأمّ أبيه بنت مُدْرِك بن عوف بن عُبَيد بن عمرو بن مخزوم . وكان أبوه منقطعًا إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويتيمًا في حِجْره أوصى به أبوه إليه . فكان ابن جعفر يكفُله ويمُونه ، وأدخله وسائرَ إخوته في دِعوة بني هاشم ، فهم معهم إلى اليوم . وكان أحولَ طويلًا أحْنَى[(٤)] . قال الوليد بن يزيد فيه يعارض الحسينَ بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس بن عبد المطلب في قوله فيه :

أبيضُ كالبدر أو كما يَلْمَع الـ * ـسارقُ في حالكٍ من الظُّلَمِ

فقال له الوليد : بل أنت .

أحولُ كالقردِ أو كما يَرْقُب الـ * سارقُ في حالكٍ من الظُّلَمِ

أساتذته في الغناء وموته في خلافة المنصور

وأخذ الغناءَ عن جَميلة ومَعْبد وعُمَر[(٥)] حتى أدرك الدولة العباسيّة ، وكان منقطعًا الى بني سليمان بن عليّ ، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور .

---

(١) بنو ثعل (كصرد) : حي من طيّ ، وليس بمعدول إذ لو كان معدولا لم يصرف .

(٢) بنو درماء : أولاد عمرو بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل الطائي ، ودرماء أمهم ، وكانوا بالشأم بقلعة الداروم وما يجاورها . (انظر القاموس وشرحه في مستدرك مادة درم) . (٣) هذا الاسم ساقط في ط ، ى ، م . (٤) أحنى : في ظهره احديداب . (٥) هو عمر الوادي المغني ، وقد كان معاصرا له وكان أستاذا مبرزا في الغناء (انظر ترجمته في الأغاني ج ٦ ص ١٤١ طبع بولاق)

كان أبوه منقطعا الى ابن جعفر والسبب فى ذلك

أخبرنى الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد : قرأت على أبى :

أنّ السبب فى ٱنقطاع أبى السَّمْح الى ابن جعفر أنّ السَّنةَ أَقْحَمَتْ طيِّئاً، فكان ثَعلبةُ جدُّ مالك أحدَهم، فوُلِد أبو السَّمْح بالمدينة؛ وكان صديقاً للحسين بن عبد الله الهاشمىّ، وكان سببُ ذلك مودّةٌ كانت بينه و بين آل شُعَيب السَّهْميين[1]؛ فلما تزوّج حسين عابِدة بنت شُعَيب السَّهْميّة[2] خاصّهم بسببها؛ وكان جدّ مالك معه وعونًا له مع من عاونه، فنَشِبتْ بذلك حالٌ بينه و بين بنى هاشم، حتى وُلد مالك فى دُورهم، فصارت دِعْوَته فيهم .

أدرك الدولة العباسية وقدم على سليمان بن على فأجازه

أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأتُ على أبى :

وعُمِّر مالك حتى أدرك دولةَ بنى العباس ، وقَدِم على سليمان بن علىّ بالبصرة، فمَتّ إليه بخُؤولته فى قريش، ودِعْوته لبنى هاشم، وانقطاعِه الى ابن جعفر، فعجّل له سليمانُ صلتَه وكساه وكتب له بأَوْساقٍ[3] من تمر .

ملازمته فى أول أمره باب حمزة ابن الزبير وأخذه الغناء عن معبد

أخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى مَيْمون بن هارون قال حدّثنى القاسم بن يوسف قال أخبرنى الوَرْدانىّ قال :

كان مالك بن أبى السَّمْح المغنّى من طيِّئ، فأصابتهم حَطْمةٌ[4] فى بلادهم بالجبلين، فقَدِمتْ به أمه وبإخوةٍ له وأَخَواتٍ أيتامٍ لا شىء لهم؛ فكان يسأل الناسَ على باب

(١) هو شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص كما سيذكره المؤلف فى ص ١٠٧ من هذا الجزء. وقد اضطربت الأصول هنا فى ذكره فى هذا السطر والذى يليه بين «سعيد» و «شعيب» . (راجع كتاب المعارف لابن قتيبة ص ١٤٦) .

(٢) كذا فى ط ، ء وفيما سيأتى فى أكثر الأصول . وفى سائر الأصول هنا : «عائذة» .

(٣) الأوساق : جمع وسق (بالفتح) وهو ثلاثمائة وعشرون رطلا عند أهل الحجاز وأربعمائة وثمانون رطلا عند أهل العراق على اختلافهم فى مقدار الصاع والمدّ .

(٤) الحطمة : السنة والجدب . والمراد بالجبلين أجأ وسلمى لأنهما جبلا طيّئ (انظر معجم ياقوت فى الكلام عليهما) .

حمزة بن عبد الله بن الزُّبَير ، وكان معبدٌ منقطعًا إلى حمزة يكون عنده فى كل يوم يغنّيه ؛ فسمع مالك غناءه فأعجبه واشتهاه ، فكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى الليل ، فلا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئا ولا يَرِيمُ موضعَه ، فينصرف إلى أمه ولم يكتسب شيئا ، فتضربه ، وهو مع ذلك يترنّم بألحان معبد و يؤدّيها دَوْرًا دورا فى مواضع صَيْحاته و إسجاحاته ونَبَراته نَغَمًا[(1)] بغير لفظ ولا رواية شىء من الشعر ؛ وجعل حمزةُ كلّما غدا وراح رآه ملازمًا لبابه ؛ فقال لغلامه يوما : أدخل هذا الغلامَ الأعرابىّ إلىّ ؛ فأدخله ؛ فقال له : من أنت؟ فقال : أنا غلام من ١٦٩/٤
طيئ أصابتْنا حَطْمةٌ بالجبلين فحطّتْنا إليكم ومعى أمّ لى و إخوةٌ ، وإنى لزمت بابَك فسمعت من دارك صوتا أعجبنى ، فلزمتُ بابَك من أجله ؛ قال : فهل تعرف منه شيئا ؟ قال : أعرف لحنَه كلَّه ولا أعرف الشعرَ ؛ فقال : إن كنتَ صادقًا إنك[(2)] لَفَهِمٌ . ودعا بمَعْبَد فأمره أن يغنّى صوتا فغنّاه ، ثم قال لمالك : هل تستطيع أن تقوله ؟ قال نعم ؛ قال : هاته ؛ فاندفع فغنّاه فأدّى نَغَمَه بغير شعر ، يؤدّى مَدّاته ولَيّاته وعَطَفاته ونَبَراته وتعليقاته لا يَخْرِم حرفا ؛ فقال لمعبد : خذ هذا الغلام إليك وخَرِّجه ، فَلَيكوننّ له شأن ؛ قال معبد : ولِمَ أفعل ذلك؟ قال : لتكون محاسنُه منسوبةً إليك ، و إلّا عدَل إلى غيرك فكانت محاسنُه منسوبةً إليه ؛ فقال : صدق الأمير ، وأنا أفعل ما أمرتَنى به . ثم قال حمزة لمالك : كيف وجدتَ ملازمتَك لبابنا؟ قال : أرأيتَ لو قلتُ فيك غيرَ الذى أنت له مستحقٌّ من الباطل أكنتَ ترضى بذلك؟ قال لا ؛ قال : وكذلك لا يسرُّك أن تُحمَدَ بما لم تفعل ؛ قال نعم ؛ قال : فوالله ما شَبِعتُ على

---

(١) قال فى اللسان (مادّة نبر) : «ونبرة المغنى : رفع صوته عن خفض» . (٢) لعله جواب لما قبله على تقدير القسم ، أى على تقدير : لئن كنت ... الخ ، ولو كان جوابا للشرط من غير تقدير القسم لوجب اقترانه بفاء الجزاء .

بابك شَبْعةً قطُّ ولا انقلبتُ منه إلى أهلى بخير؛ فأمر له ولأمّه ولإخوته بمنزل، وأجرى لهم رزقًا وكسوة، وأمر لهم بخادم يخدُمهم وعبدٍ يسقيهم الماء، وأجلس مالكا معه فى مجالسه، وأمر معبدًا أن يطارحه، فلم يَنْشَبْ[1] أن مهر وحذَق؛ وكان ذلك بعقب مقتل هُدْبةَ بن خَشْرَم؛ فخرج مالك يومًا فسمع امرأة تنوح على زِيَادة الذى قتله هُدْبةُ بن خَشْرَم بشعر أخى زِيَادة[2] :

أبعد الذى بالنَّعْفِ[3] نَعْفِ كُوَيْكِبٍ * رهينةَ رَمْسٍ ذى تراب وجَنْدلِ

أُذَكَّرُ بالبُقْيَا على من أصابنى * وبُقْيَاى أنّى جاهدٌ غيرُ مؤتَلِى

فلا يَدْعُنى قومى لزيد بن مالك * لئن لم أُعجِّلْ ضربةً أو أُعجَّلِ

وإلّا أنَلْ ثأرِى من اليوم أو غدٍ * بنى عمّنا فالدهرُ ذو مُتَطَوَّلِ

أنختمْ علينا كَلْكَلَ الحرب مرّةً * فنحن مُنِيخُوها عليكم بكَلْكَلِ

فغنّى فى هذا الشعر لحنين، أحدهما نحا فيه نحو المرأة فى نوحها ورقّقه وأصلحه وزاد فيه، والآخر نحا فيه نحو معبد فى غنائه؛ ثم دخل على حمزة فقال له : أيها الأمير، إنى قد صنعت غناءً فى شعر سمعت بعض أهل المدينة يُنشده وقد أعجبنى، فإن أذِن الأميرُ غنّيتُه فيه؛ قال : هاته، فغنّاه اللحنَ الذى نحا فيه نحو معبد؛ فطَرِب حمزة وقال له : أحسنتَ يا غلام، هذا الغناء غناء معبد وطريقتُه؛ فقال : لا تَعْجَل أيها الأمير واسمع منّى شيئا ليس من غناء معبد ولا طريقتِه؛ قال : هاتِ، فغنّاه اللحنَ الذى تشبّه فيه بنوح المرأة، فطرِب حمزة حتى ألقى عليه حُلّةً كانت عليه

(١) يقال : لم ينشب أن فعل كذا أى لم يلبث . وحقيقته : لم يتعلق بشىء غيره ولا اشتغل بسواه.

(٢) هو عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة بن زيد المقتول، كما فى الشعر والشعراء فى ترجمة هدبة بن خشرم (ص ٤٣٦ طبع أوربا) والأغانى (ج ٢١ ص ٢٧١ طبع أوربا) فى ترجمة هدبة المذكور.

(٣) النعف : ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل كالخيف .

قيمتها مائتا دينار ، ودخل معبد فرأى حُلّة حمزة عليه فأنكرها ، وعلم حمزةُ بذلك فأخبر معبدًا بالسبب ، وأمر مالكا فغنّاه الصوتين ؛ فغضب معبد لما سمع الصوت الأوّل وقال : قد كرهتُ أن آخذ هذا الغلام فيتعلّمَ غنائى فيدّعيَه لنفسه ؛ فقال له حمزة : لا تَعْجَل واسمع غناءً صَنَعه ليس من شأنك ولا غنائك ، وأمره أن يغنّى الصوت الآخر فغنّاه ، فأطرق معبد ؛ فقال له حمزة : والله لو آنفرد بهذا لضاهاك ثم يتزايد على الأيام ، وكلما كبِر وزاد شخْتَ أنت ونقصتَ ، فلأن يكون منسوبا إليك أجملُ ؛ فقال له معبد وهو منكسر : صدق الأميرُ . فأمر حمزةُ لمعبد بخِلْعة من ثيابه وجائزةٍ حتى سكَن وطابت نفسُه ؛ فقام مالك على رجله فقبّل رأس معبد ، وقال له : يا أبا عبّاد أساءك ما سمعتَ منّى ؟ والله لا أُغَنّى لنفسى شيئا أبدًا ما دمتَ حيّا ، وإن غلبتْنى نفسى فغنّيتُ فى شعر استحسنتُه لا نسبتُه إلا اليك ، فطِبْ نفسًا وآرضَ عنّى ؛ فقال له معبد : أوَ تفعل هذا وتَفِى به ؟ قال : إى والله وأزيد ؛ فكان مالك بعد ذلك إذا غنّى صوتا وسئل عنه قال : هذا لمعبد ، ما غنّيت لنفسى شيئا قطّ ، وإنما آخُذ غناء معبد فأنقله إلى الأشعار وأحسّنه وأزيد فيه وأنقُص منه .

١٧٠ / ٤

كان يغنى ليلة الخميس

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا الحسن ابن عُتْبة اللهبىّ عن عبد الرحمن بن محمد بن عُبيد الله أحدِ بنى الحارث بن عبد المطّلب قال :

خرجتُ من مكة أُريد العراق ، فحملتُ معى مالكَ بن أبى السَّمْح من المدينة ، وذلك فى أيام أبى العبّاس السّفاح ، فكان إذا كانت عَشيّةُ الخميس قال لنا : يا معشر الرُّفقة إن الليلة ليلةُ الجمعة وأنا أعلم أنكم تسألونى الغناءَ ، وعلىّ وعلىّ إن غنّيتُ ليلة

الجمعة ، فإن أردتم شيئا فالساعةَ اقترحوا ما أحببتم ، فنسأله فيغنّينا ، حتى إذا كادت الشمس أن تغيب طرِب ثم صاح : الحريقَ فى دار شَلْمَغَان ، ثم يمرّ فى الغناء فما يكون فى ليلة أكثرَ غناءً منه فى تلك الليلة بعد الأيمان المغلّظة .

مالك بن أبى السمح وسليمان بن على

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان سليمان بن علىّ يسمع من مالك بن أبى السَّمْح بالسَّراة[(١)]، لأنه كان إذا قدِم الشأمَ على الوليد بن يزيد، عدَل إليهم فى بدْأته وعوْدته لانقطاعه إليهم ، فيَبَرُّونه ويَصِلُونه؛ فلما أفْضَى إليهم الأمرُ رأى سليمانُ مالكا على باب ٱبنه جعفر؛ فقال له : يابنىّ، لقد رأيتُ ببابكَ أشبهَ الناس بمالكٍ؛ فقال له جعفر: ومَنْ مالكٌ ؟ — يوُهمه أنه لا يعرفه — فتغافل عنه سليمانُ لئلا ينبهه عليه فيطلبه، وتوهّم أنه لم يعرفه ولا سمع غناءه .

قال حمّاد : وحدّثنى أبى عن جدّى إبراهيم أنه أخبره أنه رأى مالكا بالبصرة على باب جعفر بن سليمان، أو أخيه محمد، ولم يعرفه ، فسأل عنه بعد ذلك فعرفه وقد كان خرج عن البصرة؛ قال : فمالى حسرةٌ مثل حسرتى بأنى ما سمعتُ غناءه .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد ابن يحيى قال :

كان مالك بن أبى السَّمْح يتيماً فى حِجْر عبد الله بن جعفر، وكان أبوه أبو السمح صار إلى عبد الله بن جعفر وٱنقطع إليه ، فلما احتُضر أوْصَى بمالكٍ إليه ، فكفَله وعاله وربّاه ، وادخله فى دعْوة بنى هاشم[(٢)]، فهو فيهم إلى اليوم . ثم خطب حسينُ

(١) يريد بالسراة هنا مكانا بعينه لم نستطع تعيينه من معاجم البلدان .

(٢) فى ط ، ء ، م : « وأدخلهم فى دعوة بنى هاشم فهم فيها الى اليوم » .

ابن عبدالله بن عُبَيدالله بن العبّاس العابدةَ[1] بنتَ شُعَيب [بن محمد][2] بن عبد الله بن عمرو ابن العاص، فمنعه بعضُ أهلها منها وخطَبها لنفسه، فعاون مالكٌ حُسَينًا، وكانت العابدةُ تستنصحه، وكانت بين أبيها شعيبٍ وبينه مودّةٌ، فأجابت حُسَيناً وتزوّجته، فانقطع مالكٌ إلى حسين؛ فلمــا أفضى الأمرُ إلى بنى هاشم قدِم البصرةَ على سليمان ابن علىّ، فلما دخل إليه مَتَّ بصحبته عبدَ الله بن جعفر ودعْوته فى بنى هاشم وانقطاعه إلى حسين؛ فقال له سـليمان: أنا عارفٌ بكلّ ما قلته يامالك، ولكنّك كما تعلم، وأخاف أن تُفسـد علىّ أولادى، وأنا واصلُك ومُعطيك ما تريد وجاعل لك شيئا أبعث به إليك ما دمتَ حيًّا فى كل عام، على أن تخرج عن البصرة وترجع الى بلدك؛ قال: أفعلُ جعلنى الله فِداك؛ فأمر له بجائزة وكُسْوة وحمله وزوّده الى المدينة.

١٧١/٤

مالك بن أبي السمح فى كبره

أخبرنى عمّى الحسن بن محمد قال حدّثنا هارون بن محمــد بن عبد الملك قال حدّثنى محمــد بن هارون بن جَنَاح قال أخبرنى يعقوب بن إبراهيم الكُوفىّ عمن أخبره قال:

دخلتُ المدينةَ حاجًّا فدخلت الحَمّام، فبينا أنا فيه إذ دخل صاحب الحمام فغسله ونظّفه، ثم دخل شيخ أعمى له هيئةٌ، مؤتزرٌ بمنديل أبيض؛ فلمــا جلس خرجتُ الى صاحب الحَمّام فقلت له: من هذا الشيخ؟ قال: هــذا مالك بن أبى السمح المغنّى، فدخلتُ عليــه فقلت له: ياعمّاه، مَنْ أحسنُ النــاس غِناءً؟ فقال: ياَبن أخى، «على الخَبير سَقَطْتَ»[3]، أحسنُ الناسِ غناءً أحسنُهم صوتا.

(١) فى حـ هنا: «العائذة» بالذال المعجمة. وانظر الحاشية رقم ٢ ص ١٠٢ من هذا الجزء.

(٢) التكملة عن كتاب المعارف لابن قتيبة (ص ١٤٦) وانظر الحاشية رقم ١ ص ١٠٢ من هذا الجزء).

(٣) هذا مثل يضرب حين يقع السائل على العليم بالأمر الذى يسأل عنه.

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أبو أيوبَ المَدِينىّ قال حدّثنى أبو يحيي العِبَادِىّ عن إسحاق قال :

كان فتيةٌ من قريش جلوسًا فى مجلس ، فمرّ بهم مالك بن أبى السَّمْح ، فقال بعضهم لبعض : لو سألْنا مالكًا فغنّانا صوتا ! فقام اليه بعضهم فسأله النزولَ عندهم، فعدَل اليهم؛ فسألوه أن يغنّيهم؛ فقال : نعمْ والله بالحُبِّ والكرامة ، ثم اندفع يغنّى، وأوقع بالمِقْرَعة على قَرَبُوس[1] سَرْجه، فرفع صوتَه فلم يقدِر، ثم خفَضه فلم يقدر، فجعل يبكى ويقول : وا شَبَاباه .

أخبرنى عمّى قال حدّثنى هارون بن محمد عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه عن جدّه أنه كان فى هؤلاء الفِتْية الذين كانوا سألوه الغناءَ؛ وذكر باقىَ الخبر مثل ما ذكره إسحاق .

مالك بن أبى السمح وعجاجة المخنث

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أبو أيوبَ المَدِينىّ قال حدّثنى عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن عمّه قال حدّثنى صالح بن أبى الصَّقْر قال :

قدِم مالك بن أبى السَّمْح المغنّى البصرةَ ، فلقيه عَجَاجَةُ المخنّثُ، وكان أشهرَ مَنْ بها من المخنّثين، وقال له : فَدَيْتُكَ يا أبا الوليد ، إنى كنتُ أُحبّ أن ألقاك وأن أعرِض عليك صوتًا من غنائك أخذتُه عن بعض المخنّثين، فإن رأيتَ أن تنزلَ عندى فعلتَ؛ فنزل مالك عنده فبسط له المخنّثُ جَرْدَ[2] قطيفةٍ كانت عنده بجلس، ثم أخذ عَجَاجةُ الدفَّ فغنّى :

---

(١) القربوس (بفتح القاف والراء) : حنو السرج أى جانبه وهو الخشبة التى بها اعوجاج . ولكل سرج أربعة قرابيس : اثنان مقدّمان واثنان مؤخران . (٢) الجرد (بالفتح) : الخلق من الثياب ، وفى حديث أبى بكر رضى الله عنه « ليس عندنا من مال المسلمين إلا جرد هذه القطيفة » أى الذى انجرد وخلق .

حَبَّ إنّ الخمارَ كان عليها * شاهدًا يوم زارتِ الجَوْشَنِيّه[1]

قد سَبَتْه بِدَلّها حين جاءت * تتهادَى في مِشيةٍ بَختَرِيّه

فجعل مالك يقول له : وَيْلَك ! مَنْ قال هـذا ! لعنه اللهُ ! وَيْحكَ مَن غنّى هذا ! قبّحه الله ! وَيْحَكَ مَنْ روى عنّى هـذا ! أخزاه اللهُ ! ثم قام فركب وهـو يضحك عجبًا من عَجّاجة .

مالك ومعبد وابن عائشة عنـد يزيد ابن عبد الملك

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أخبرني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن آبن جَنَاح قال حدّثني مصعب بن عثمان قال حدّثني عبـد الله بن محمـد بن يحيى بن عُروة بن الزُّبَير قال حدّثني مالك بن أبي السَّمْح قال :

قَدِمنا على يزيدَ بن عبد الملك أوّلَ قُدومنا عليـه مع معبد وآبنِ عائشةَ، فغنّيناه ليلةً فاطربْناه، فأمر لكل واحد منّا بألف دينار وكتب لنا بها إلى كاتبـه ، فغدوْنا عليه بالكتاب، فلما رآه أنكره وقال : أيُؤمر لمثلكم بألف دينار ألف دينار ! لا والله ولا حُبًّا ولا كرامةَ ! . فرجعنا إلى يزيدَ فأخبرناه بمقالته وكررنا عليـه ؛ فقال : كأنه آستنكر ذلك ؟ فقلنا : نعم ؛ فقال : مثله والله يستنكره ودعاه ؛ فلما حضر ورآنا عنده آستأمره فيها، فأطرق مُسْتَحِيًا ؛ وقال له : إنى قد قلتها لهم ولا يَجْمُلُ أن أرجع عما ١٧٢/٤ قلت، ولكن قطِّعها عليهم . قال مالك : فمات والله يزيد، وقد بقى لكل واحد منا أربعُمائة دينار .

غنى جعفرا ومحمدا ابنى سليمان بن على فلامهما أبوهما

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال قرأت على أبي ، وحدّثنا الحسن بن محمد قال :

---

(١) الجوشنية : لعلها نسبة الى جوشن الذى هو بطن من غطفان .

لمّا انهزم عبد الله بن علىّ من أبى مسلم قَدِم البصرةَ، وكان عند سليمان بن علىّ، وكان مالك بن أبى السمح يومئذ بها، فاستزاره جعفر ومحمد فزارهما، وغنّاهما مالك فى جَوْف الليل فى دار سليمانَ بن علىّ، وبلغ الخبرُ سليمانَ، فدخل عليهم فعذَل جعفرا ومحمدا، وقال: نحن نتوقّعُ الطامّةَ الكبرى وأنتم تسمعون الغناء! فقالا: ألَا تجلس وتسمع! ففعل، فغنّاهم مالك:

صـــوت

ما كنتُ أوّلَ مَنْ خاسَ[1] الزمانُ به * قد كنتُ ذا نَجْدةٍ أخْشَى وذا باسِ
أبْلِغْ أبا معبدٍ عنّى وإخوتَه * شوقى إليهم وأحزانى ووَسْوَاسِى

فخرج وتركهم ولم يُنكر عليهم شيئا.

مدحه الحسين بن عبد الله بشعر

وفى مالك بن أبى السمح يقول الحسين [بن عبد الله][2] بن عُبَيد الله بن العبّاس:

صـــوت

لا عيشَ إلا بمالكِ بن أبى الـ * ـسمح فلا تَلْحَنى ولا تَلُمِ
أبيضُ كالبدر أوكما يَلْمَع الـ * بارقُ فى حالكٍ من الظُّلَمِ
مَنْ ليس يَعصيكَ إن رَشَدتَ ولا * يَهتِكُ حقَّ الإسلام والحُرَمِ
يُصيبُ مِن لَذّة الكريم ولا * يَجهَلُ آىَ الترخيص فى اللَّمَمِ[3]
يارُبَّ ليلٍ لنا كحاشيةِ الـ * بُرْدِ ويومٍ كذاكَ لم يَدُمِ
نَعِمتُ فيه ومالكَ بنَ أبى الـ * ـسمح الكريمَ الأخلاقِ والشِّيَمِ

(١) يقال: خاس الزمان به إذا غدر به. (٢) التكملة عن الأغانى ص ١٠١ من هذا الجزء وأمالى القالى (ج ٣ ص ١٢٨ طبع دار الكتب المصرية). (٣) اللمم: مقاربة الذنب من غير مواقعة وقيل: هو ما دون الكبائر من الذنوب وفى التنزيل العزيز: (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) أى صغائر الذنوب.

— غنّاه مالكٌ فى الأوّل والثانى والثالث رملًا بالبنصر فى مجراها — فيقال : إنّ مالكا قال له : لا والله ولا إن غَوَيتَ أيضا أَعصِيك؛ ذكر ذلك الزبير عن عمّه مصعب . ويقال : إنه قال هذه المقالةَ للوليد بن يزيدَ، فسُرّ بذلك وأجزل صلته .

عن الوليد فلم يطربه ثم غناه ثانيا فأطربه

أخبرنى الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال حدّثنى أبى قال قال ابن الكلبىّ :

قال الوليد بن يزيد لمَعْبد قد آذتنى وَلْوَلتُكَ(1) هذه، وقال لٱبن عائشة : قد آذانى آستهلالُك هذا، فٱنظُرا لى رجلا يكون مذهبه متوسّطا بين مذهبَيْكما؛ فقالا له : مالكُ بن أبى السّمح؛ فكتب فى إشخاصه إليه وسائرِ مُغَنّى الحجاز المذكورين؛ فلمّا قَدِم مالكٌ على الوليد بن يزيد فيمن معه من المغنّين نزل على الغَمْر بن يزيد، فأدخله على الوليد فغنّاه فلم يُعجِبه؛ فلما ٱنصرف الغَمْر قال له : إن أمير المؤمنين لم يُعجبه شىءٌ من غنائك؛ فقال له : جعلنى الله فداك! اطلُب لى الإذنَ عليه مرّةً واحدة، فإن أعجبه شىء ممّا أُغنّيه وإلا ٱنصرفتُ إلى بلادى . فلما جلس الوليدُ فى مجلس اللهو ذكره الغَمْر وطلب له الإذنَ، وقال له : إنه هابك فحَصِرَ؛ قال : فأْذَنْ له، فبعث إليه؛ فأمر مالكٌ الغلامَ فسقاه ثلاثَ صُرَاحِيّاتٍ(2) صِرْفا؛ فخرج حتى دخل

١٧٣ / ٤ عليه يَخْطِرُ فى مِشيته . وقال غير ابن الكلبىّ : إنه قال لفرّاش للوليد : اِسْقِنى عُسًّا(3) من شراب ولك دينار، فسقاه إيّاه وأعطاه الدينار؛ ثم قال له : زِدْنى آخرَ فأزيدك

(1) فى حـ : «وأوأتك» . والوأوأة : صياح ابن آوى، وقيل : ليست خاصة به .
(2) صراحيات : جمع صراحية وهى إناء من آنية الخمر ولا يعرف أصلها . وقيل عربية صحيحة استعملها الفرس والروم لزجاجة معروفة يوضع فيها الشراب . (راجع القاموس وشرحه واللسان مادة صرح، والمخصص ج ١١ ص ٥٨، وشفاء الغليل ص ١٤٤) . (3) العس : القدح الضخم يروى الثلاثة والأربعة . وجمعه : عسسة .

آخرَ، ففعل حتى شرِب ثلاثةً، ثم دخل على الوليد يخطِر فى مِشيته؛ فلما بلغ بابَ المجلس وقف ولم يسلم، وأخذ بحَلْقةِ الباب فقعقعها، ثم رفع صوتَه فغنَّى:

لا عَيْشَ إلا بمالكِ بنِ أبى الـ ... ـسَّمْح فلا تَلْحَنِى ولا تَلُمِ

فطَرِب الوليد، ورفع يديه، حتى بدا إبطاه إليه مادًّا لهما، وقام فاعتنقه قائما، وقال له: ٱدنُ يٱبنَ أخى، فدنا حتى اعتنقه، ثم أخذ فى صوته ذلك، فلم يزالوا فيه أيامًا، وأجزل صلته حين أراد الانصرافَ. قال: ولما أتى مالكٌ على قوله:

أبيضُ كالسيف أوكما يَلْمَعُ الـ ... ـبارقُ فى حالكٍ من الظُّلَمِ

قال له الوليد:

أحْولُ كالقِرْد أوكما يَرْقُبُ الـ ... ـسَّارقُ فى حالكٍ من الظُّلَمِ

كان يأخذ أغانى غيره ويغيرها، ورأى إسحاق فى ذلك

وكان مالك طويلا أَجْنَى(١) فيه حَوَلٌ. وقد قال قوم: إن مالكا لم يصنع لحنًا قطُّ غيرَ هذا — أعنى: «لا عيشَ إلّا بمالك بن أبى السَّمح» — وإنه كان يأخذ غناءَ الناسِ فيزيدُ فيه وينقُصُ منه وينسُبه الناس إليه، وكان إسحاق يُنكرذلك غايةَ الإنكار، ويقول: غناءُ مالكٍ كلُّه مَذْهبٌ واحد لاتَبايُنَ فيه، ولو كان كما يقول الناس لاختلف غناؤه، وإنما كان إذا غَنَّى ألحانَ مَعْبَدٍ الطِّوَالَ خفَّفها وحَذَف بعض نَغَمها، وقال: أطاله مَعْبَد ومطّطه، وحذفتُه أنا وحسّنتُه، فأمّا ألّا يكونَ صنع شيئا فلا.

(١) كذا فى أكثر الأصول، والأجنى (بالقصر) لغة فى الأجنأ (بالهمز) وهو الذى أشرف كاهله على صدره. وفى م: «أحنى» (بالحاء المهملة) والأحنى: الأحدب.

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حمّاد : قرأتُ[1] على أبي وذكر بكّار بن النبّال[2] :

أن الوليد قال لمالك : هل تصنع الغناء؟ قال : لا، ولكنّي أَزيدُ فيه وأَنقُص منه؛ فقال له : فأنت المُحَلِّي إذًا .

قال إسحاق وذكر الحسن بن عُتبة اللّهبي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الهاشميّ الحارثيّ[3] الذي يقال له سَنابِل — وفيه يقول الشاعر :

فإن هي ضَنَّتْ عنكَ أو حِيلَ دونَها * فدَعْها وقُلْ في آبن الكرامِ سَنابِلِ

— قال : خرجتُ من مكة أريد أبا العبّاس أميرَ المؤمنين، فمررت على المدينة فحملت معي مالكَ بن أبي السَّمْح، فسألته يومًا عن بعض ما يُنْسَب إليه من الغناء؛ فقال : يا أبا الفضل، عليه وعليه إن كان غنّى صوتًا قطّ، ولكنّي آخذُه وأُحسّنه وأُهيئه وأُطيّبه، فأُصيب ويخطئون فيُنسَبُ إليّ . قال إسحاق : وليس الأمرُ هكذا، لمالكٍ صنعةٌ كثيرة حسنة، وصنعته تجْري في أسلوب واحد، ويُشبِه بعضُها بعضًا، ولو كان كما قيل لاختلَف غناؤه . وقد قيل : إنّ مالكًا كان يَنتفِي من الصنعة لأنّ أكثر الأشراف هناك كانوا يُنكِرون عليه، فكان يَتبذّل به عند من يراه، ويُنكِره عند من يذُمّه، لمحلّه في بني هاشم .

(١) وردت هذه العبارة في حـ هكذا : «قرأت على أبي بكر وذكر بكار أن ابن الوليد... الخ»، وهو تحريف، إذ لم تعرف لحماد رواية عن أبي بكر ولكنه يروي كثيرا عن أبيه . كما أن المذكور في سياق الخبر هو الوليد لا ابنه . (٢) في ء : «البتال» . وورد في ط مهملا من غير نقط .

(٣) في ط، ء : «الجاري» .

وأخبرنى بخبره سَنَابِلَ هذا محمدُ بن مَزْيَد قال حدثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى حمزة بن عُتْبَة اللّهبى عن سَنَابِل، فذكر الخبر وخالف ما رواه إسحاق أنّ الحسن ابن عتبة حدّثه وحكاه عن حمزةَ بن عُتْبة أخيه .

أخذ صوتا من حمار

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه عن محمد بن يَزيد اللّيثيّ قال :

١٧٤
٤

سُئل مالك بن أبى السَّمْح عن صنعته فى :

* لاحَ بالدَّيْر من أُمامةَ نارُ *

فقال : أخذتُه والله من خَرْبَنْده(1) بالشأم يَسُوق أَحْمِرَةً ، فكان يترنّم بهذا اللّحن بلا كلام، فأخذتُه فكسوتُه هذا الشعر .

أخذ صوتا من حائك

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

نزل مالكُ بن أبى السَّمْح عند رجل بمكةَ مخزوميٍّ، وكان له غلامٌ حائك، فأتاه آتٍ فقال : أمَا سَمِعتَ غناء غلامك الحائك؟ قال : لا ! أوَ يُغنّى؟ قال : نعم بشعر لأبى دَهْبَل الجُمَحيّ؛ فبعث إليه فأتاه ، فقال : تَغَنّه ؛ فقال : ما أُحسنُ ذاك إلا على حَفّى(2)؛ فخرج مولاه ومعه مالكٌ إلى بيته ، فلما جلس على حَفّه تغنّى :

* تطاولَ هذا الليلُ ما يَتَبلّجُ *

(1) كذا فى ب ، س ، م . والخربنده : المكارى ، وهى كلمة فارسية مركبة من «خر» وهو الحمار و «بنده» وهو الخادم . وفى سائر الأصول : «خربندج» . والعرب تضع بدل الهاء فى آخر الكلمة الفارسية جيما أو قافا للتعريب ؛ مثل طازج وفالوذج فى تازه و پالوده ، وخندق وفستق فى كنده وپسته .

(2) كذا فى حـ . والحف (بالفتح) : المنوال والمنسج ، وهو أيضا القصبة التى تجىء وتذهب . وفى سائر الأصول : «حق» بالقاف ، وهو تصحيف .

فأخذه مالكٌ عنه وغنّاه فنسبه الناس إليه؛ وكان يقول: والله ما غنّيته قطّ ولا غنّاه إلّا الحائك.

نسبة هذين الصوتين

صوت

لاحَ بالدَّيرِ من أُمامةَ نارُ * لمحبٍّ له بيثرِبَ دارُ
قد تراها ولو تشاءُ من القُرْ * بِ لأغناكَ عن نَداها(١) السِّرارُ

الشعر للأحوص، ويقال: إنه لعبدالرحمن بن حسّان بن ثابت. والغناء لمالك ابنَ أبي السَّمْح ثقيل أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وفيه لحن لمعبد ذكره إسحاق.

صوت

تَطاوَلَ هذا الليلُ ما يَتَبَلَّجُ * وأعيتْ غَواشِي سَكْرَتِي ما تَفرَّجُ
أَبِيتُ بِهَمٍّ ما أنامُ كأنما * خِلالَ ضُلوعِي جمرةٌ تَتَوهَّجُ
فَطَوْرًا أُمنِّي النفسَ من تُكْتَمَ(٢) المُنَى * وطورًا إذا ماجَ بي الحبُّ أَنْشِجُ(٣)

عروضه من الطويل، الشعر لأبي دَهْبَل، والغناء لمالك بن أبي السَّمْح ثقيل أوّلُ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة.

---

(١) الندى (بالفتح مقصورا): بعد الصوت.

(٢) كذا في أكثر الأصول. وتكتم (على وزن الفعل المبنى للمجهول): اسم المرأة المشبب بها. وفي م: «يكتم الهوى». وفي الشعر والشعراء (ص ٣٩١): «عمرة المنى».

(٣) نشج (من باب ضرب): غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

هرب مع ابن عائشة يوم مقتل الوليد

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جدّه قال :

قال ابن عائشة : حضرتُ الوليدَ بن يزيد يوم قُتل ، وكان معنا مالك بن أبى السَّمْح وكان من أحمق النّاس ، فلما قُتل الوليد قال : اهرُب بنا ؛ فقلت : وما يريدون منا؟ قال : وما يؤمنك أن يأخذوا رأسَيْنا فيجعلوا رأسه بينهما ليُحسِّنوا أمرَهم بذلك! ؛ قال ابن عائشة : فما رأيت منه عقلاً قطّ قبل ذلك اليوم .

لما كبر كان يعلم ابنه الغناء

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال قال الزبير بن بكار حدّثتنى ظَبْيَةُ قالت : رأيتُ مالكَ بن أبى السّمح وهو على مَنامته يُلْقِى على ابنه وقد كَبِر وانقطع :

صــوت

اِعتادَ هـذا القلبَ بَلْبالُهُ [(١)] * إذ قُرِّبتْ للبيْن أجمالُهُ
خَوْدٌ [(٢)] إذا قامتْ إلى خِدْرها * قامت قَطُوفَ [(٣)] المَشْيِ مِكْسالُهُ
تَفْتَرُّ [(٤)] عن ذى أُشُرٍ باردٍ * عَذْبٍ إذا ما ذِيقَ سَلْسالُهُ

الشعرُ لعمرَ بن أبى ربيعة ، ولمالك بن أبى السَّمْح فيه ثلاثة ألحان : خفيفُ ثقيل [(٥)] مطلق فى مجرى الوسطى ، وثقيل أوّل بالوسطى فى مجراها جميعا عن إسحاق ، وخفيف [(٦)] رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وقيل : إنه لابن سُرَيج . وفيه رَمَلٌ يُنسب إلى ابن جامع وابن سريج .

١٧٥
٤

(١) البلبال (بفتح الباء) : شدة الهم والوسواس . (٢) الخود : الفتاة الشابة الحسنة الخلق .
(٣) قطوف المشى : ضيقة الخطى بطيئة المشى . (٤) تفتر : تبسم . والأشر (بضمتين و بضم ففتح) : حدّة ورقة فى أطراف الأسنان . (٥) فى ح : « خفيف أوّل مطلق ... الخ » .
(٦) فى ط ، ء ، م : « خفيف ثقيل بالوسطى ... الخ » .

شعر فى رثائه

أخبرنى وكيع قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عُبَيدة : سمعتُ مُنشِداً يُنشد لنفسه يَرثى مالكا بهذه القصيدة :

يا مالِ إنى قَضَتْ نفسى عليكَ وما * بينى و بينَك من قُرْبَى ولا رَحِمِ
إلا الذى لك فى قلبى خُصِصتَ به * من المودّة فى سِتْرٍ وفى كَرَمِ

قال إسحاق قال أبو عُبَيدة : هو مالك بن أبى السمح . [انقضت أخباره] (١) .

صـــوت
من المـائة المختارة

من رواية هارون بن الحسن بن سَهْل وابن المَكّىّ وأبى العُبَيس ومن روى جَحْظةُ عنـه :

ألا لا تَجلَّلْها (٢) يُعالُوكَ فوقَها * وكيف تَوَقَّى ظهرَ ما أنتَ راكبُهْ
هُم قتلوه كى يكونوا مكانَه * كما غدرتْ يوماً بكسرى مَرازِبُهْ
بنى هاشمٍ رُدّوا سِلاحَ آبنِ أُختِكم * ولا تَنْهَبوه لا تَحِلُّ مَناهِبُهْ

عروضه من الطويل. البيت الأول من الشعر لرجلٍ من بنى نَهْد جاهلىّ، و باقى الأبيات للوليد بن عُقْبة بن أبى مُعَيط . والغناء لابن مُحرِز، ولحنه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن يونس و إسحاق، وهو اللحن المختار . وفيه للغَرِيض ثقيل أوّلُ بالسّبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمَعْبد ثقيل أوّلُ آخرُ مطلق فى مجرى الوسطى عن عمرو وعن الهشامىّ . وفيه لسَلْسَل فى الثانى والثالث ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حَبَش . وفيه لعَطَرَّد خفيف ثقيل .

(١) زيادة عن م .
(٢) تجلل الرجل البعير : علا ظهره . وعالى فلان الشىء : رفعه .

خبر النَّهْدِىّ فى هذا الشعر

وخبر الوليد بن عُقبة وقد مضى نسبه فى أوّل الكتاب

الحارث بن مارية وزهير بن جناب

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرنى عمى عن ابن الكلْبى عن أبيه عن عبد الرحمن المَدَائنى، وكان عالما بأخبار قومه، قال وحدّثنيه أبو مِسْكين (١) أيضا، قالا :

كان الحارث بن مارِيَة الغسّانى الجَفْنِىّ مُكرِما لزُهير بن جَنَاب الكَلْبىّ يُنادمه و يحادثه، فقَدِم على الملِك رجلان من بنى نَهْد بن زيد يقال لهما حَزْنٌ وسَهْلٌ ابنا رِزَاح، وكان عندهما حديثٌ من أحاديث العرب، فاجتباهما الملكُ ونزلا بالمكان الأثير منه، فحسدهما زُهير بن جَنَاب، فقال : أيها الملك، هما والله عَيْنٌ لذى القَرْنين عليك (يعنى المُنذرَ الأكبر جدَّ النعمان بن المنذر)، وهما يكتبان إليه بعَوْرتك وخَلَلِ ما يريان منك، قال : كلّا ! فلم يزل به زهير حتى أَوْغَر صدرَه، وكان إذا ركب يبعث إليهما ببعيرين يركبان معه، فبعَث إليهما بناقة واحدة، فعرَفا الشرّ فلم يركب أحدهما وتوقّف، فقال له الآخر :

فإلّا تَجَلَّلْها يَعالُوكَ فوقَها * وكيف توقَّى ظهرَ ما أنت راكِبُهْ

فركبها مع أخيه، ومَضى بهما فقُتِلا، ثم بحث عن أمرهما بعد ذلك فوجده باطلا فشتَم زُهيرا وطرده، فانصرف إلى بلاد قومه، وقدِم رِزَاحٌ أبو الغلامين إلى الملك، وكان شيخًا عالما مُجرِّبا، فأكرمه الملك وأعطاه دِيَةَ ٱبنيه، و بلغ زهيرًا مكانُه، فدعا ٱبنًا له يقال له عامر، وكان من فِتيان العرب لسانًا و بيانا، فقال له : إنّ رِزَاحًا قد قدِم على الملك، فالحَقْ به واحتَلْ فى أن تكفِيَنِيه، وقال له : اذْمُمْنى ١٧٦/٤

(١) فى ط، م، ء : «ابن مسكين».

عند الملك ونَل مِنّى، وأثِّر به آثارا ؛ فخرج الغلام حتى قدِم الشأم، فتلطّف للدخول على الملك حتى وصل إليه، فأعجبه ما رأى منــه ؛ فقال له : من أنت ؟ قال : أنا عامرُ بنُ زُهَـيرِ بن جَنَـاب ؛ قال : فلا حيّاك الله ولا حيّـا أباك الغادرَ الكذوبَ السّاعىَ ! فقال الغلام : نعم ، فلا حيّاه الله ! أُنظُر أيهـا الملك ما صنَع بظهرى ! وأراه آثارَ الضرب، فقَبِل ذلك منه وأدخله فى نُدمائه ؛ فبَيْنا هو يحدّثه يوماً إذ قال له : أيها الملك، إنّ أبى وإن كان مُسيئا فلستُ أدَعُ أن أقول الحقّ، قد والله نصحك أبى، ثم أنشأ يقول :

فيالكِ نَصْـــحةً لمّـا نَذُقْها * أراها نصحةً ذهبتْ ضَلالَا

ثم تركه أيّامًا، وقال له بعــد ذلك : أيها الملك، ما تقــول فى حيّة قد قُطِع ذَنَبُهـا وبقِىَ رأسُها ؟ قال : ذاك أبوك وصَنِيعُه بالرجُلين ما صَنَع ؛ قال : أبيتَ اللّعنَ ! والله ما قَدِم رِزاحٌ إلا ليثأرَ بهما ؛ فقـال له : وما آيةُ ذلك ؟ قال : اسـقِهِ الخمر ثم ابْعَث إليه عَيْنًا يأتك بخبره، فلمـا انْتَشَى صرَفه إلى قُبّته ومعه بنتٌ له، وبعث عليه عيونًا، فلما دخل قُبّته قامت إليه ابنته تُسانده فقال :

دَعِينى من سِنادِكِ إنّ حَزْنًا * وسَهْلًا ليس بعدهمـا رُقودُ
ألَا تَسَلين عن شِـبْلَىْ ماذا * أصابهما إذا اهترش الأُسُودُ (١)
فإنّى لو ثأرتُ المــرءَ حَزْنًا * وسَهْلًا قد بدا لكِ ما أُريد

فرجع القومُ إلى الملك فأخبروه بمـا سمعوا، فأمر بقتــل النّهدىّ رِزَاح، وردّ زُهيرًا إلى موضعه .

---

(١) الاهتراش : التقاتل والتواثب .

شعر للوليد بن عقبة أجابه عنه الفضل ابن العباس

وقد أنشدنى محمد بن العباس اليَزيدى قال : أنشدنا محمد بن حَبيب أبيات الوليد هذه على الوِلاء[1]، وهى :

أَلَا مَن لِلَيْلٍ لا تَغُور كواكبُهْ * إذا لاح نجمٌ لاح نجم يراقبُهْ[2]
بنى هاشمٍ رُدّوا سلاحَ ابن أختكم[3] * ولا تَنْهبوه لا تَحِلُّ مناهبُهْ
بنى هاشمٍ لا تَعْجَلوا بإقادةٍ[4] * سواءٌ علينا قاتلوه وسالِبُهْ
فقد يُجْبَر العظمُ الكسيرُ ويَنْبرِى * لذى الحقّ يومًا حقُّه فيطالبُهْ
وإنّا وإيّاكم وما كان منكم * كصَدْعِ الصَّفا لا يَرْأَبُ الصَّدعَ شاعبُهْ
بنى هاشمٍ كيف التعاقُد[5] بيننا * وعند علىٍّ سيفُه وحَرائبُهْ[6]
لَعَمْرُكَ لا أنسى ٱبنَ أَرْوَى وقتلَه * وهل يَنسيَنّ الماءَ ما عاش شارِبُهْ
هُمُ قتلوه كى يكونوا مكانَه * كما غَدَرتْ يومًا بكِسْرَى مَرازِبُهْ
وإنّى لمجتابٌ إليكم بجحفلٍ * يُصِمُّ السَّميعَ جَرْسُه[7] وجَلائبُهْ

وقد أجاب الفضلُ بن عبّاس بن عُتْبة بن أبى لَهَب الوليدَ عن هذه الأبيات، وقيل : بل أبوه العبّاس بن عُتبة المجيبُ له أيضا . والجواب :

---

(١) الولاء : المتابعة ، يقال : افعل هذه الأشياء على الولاء أى متابعة . (٢) فى حـ ، م والاستيعاب (ج ٢ ص ٢٦٢) : « إذا لاح نجم غار نجم يراقبه » . (٣) فى ط ، م ، ى : « ابن عمكم » . وعثمان بن عفان يمت الى بنى هاشم بالخؤولة والعمومة وقد روى فى ص ١١٧ من هذا الجزء : «ابن أختكم» فى جميع النسخ . وكذلك فيما سيلى قريبا . (٤) فى حـ : « لا تعجلوا بإقادة » .
(٥) فى ط ، م ، ى : « التعاذر » وسيرد قريبا بروايتين أخريين هما : « كيف التوادد » و« كيف التواصل » . (٦) كذا فى ط ، ى . والحرائب : جمع حريبة وهى مال الرجل الذى يعيش به ، وقيل : ما يسلب من المال . وفى م : « بجائبه » . وفى سائر الأصول : «حرائبه» وهما تحريف ، وسيرد قريبا : « نجائبه » . (٧) الجرس : الصوت .

١٧٧/٤

صــــوت

فلا تسألونا بالسلاح فإنه * أُضِيعَ وألقاه لَدى الرَّوْع صاحبُهْ
وشَبَّهتَه كسرى وقد كان مثلَه[1] * شبيهًا بكسرى هَدْيُه وعصائبُهْ

ذكر أحمد بن المكيّ أنّ لابن مِسْجَح فيه لحنا وأن لحنه من الثقيل الأوّل بالسّبابة في مجرى الوسطى، وقال غيره: إنه من منحول أبيه يحيى إلى ابن مسجح.

(١) في الاستيعاب (ج ٤ ص ٥٣٢): «وما كان مثله».

ذكر باقى خبر الوليد بن عُقْبة ونسبه

نسب الوليد بن عقبة وولايته الكوفة ثم عزله وحدّه بالشراب

الوليـدُ ابنُ عقبة بن أبى مُعَيط، وقد مضى نسبه مع أخبار ابنه[1] أبى قَطِيفة. ويكنى الوليدُ أبا وَهْب. وهو أخو عثمان بن عفّان لأمّه، أمهما أَرْوَى بنت كُرَيز، وأمها البَيْضاء بنت عبد المطلب. وكان من فِتيان قريش وشعرائهم وشُجعانهم وأجوادِهم[2]، وكان فاسقا، وَوَلِىَ لعثمان رضى الله عنه الكوفةَ بعد سعد بن أبى وَقّاص، فشرب الخمرَ وشُهِد عليه بذلك، فحدّه وعزَله. وهو الذى يقول يرثى عثمانَ رضى الله عنه ويُحرِّض معاوية:

رثاؤه عثمان وتحريضه معاوية على الأخذ بثأره

والله ما هنـدٌ بأُمّك إن مضى النهـارُ ولم يَثْأر بعثمان ثائرُ
أيقتُل عبـدُ القوم سيّدَ أهلِه * ولم تقتـلوه ليت أمّكَ عاقـرُ
وإنا متى نقتلْهمُ لا يُقِـدْ بهـم * مُقيدٌ[3] فقد دارت عليك الدوائر

كان يجالس عثمان على سريره فقال شعرا ولاه به الكوفة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال:

لم يكن يجلس مع عثمان رضى الله عنه على سريره إلا العباسُ بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حَرْب والحَكَمُ بن أبى العاصى والوليد بن عُقْبة، فأقبل الوليدُ يوما فجلس، ثم أقبل الحكم، فلما رآه عثمان زَحَلَ[4] له عن مجلسه، فلما قام الحكم قال له الوليد: والله يا أمير المؤمنين، لقد تلجلج فى صدرى بيتان قلتُهما حين رأيتك

(١) كذا فى م، حـ، وفى سائر الأصول: «أبيه» وهو تحريف. (٢) فى ط، ى: «جوداتهم». وجوداء (وزان كرماء): من جموع جواد. (٣) فى ب، س، حـ: «وقد». (٤) زحل: تنحى وتباعد.

آثرت عمّك على آبن أُمّك؛ فقال له عثمان رضى الله تعالى عنه : إنه شيخ قريش، فما البيتان اللذان قلتهما؟ قال قلت :

رأيت لعمّ المـــرء زُلْفَى قـرابةٍ * دُوَيْنَ أخيه حادثًا لم يكن قِدْمَا

فأمّلتُ عَمْرًا أن يَشِبّ(١) وخالدا * لكى يدعُوانى يوم مَزْحمةٍ عمّا

يعنى عمرا وخالدا آبنى عثمان . قال : فرقّ له عثمان، وقال له : قد ولّيتك العراق (يعنى الكوفة) .

خلف سعد بن أبى وقاص على الكوفة وقصته معه حين قدم عليه

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عمر بن شبّة قال حدّثنى بعضُ أصحابنا عن آبن دأْب قال :

لمـا ولّى عثمان رضى الله عنـه الوليدَ بن عقبـة الكوفةَ قدِمها وعليهـا سعد بن أبى وَقّاص، فأُخبِر بقدومه؛ فقال : وما صنع ؟ قال : وقف فى السوق فهو يحدّث الناس هنـاك ولسنا نُنكر شيئا من شأنه ؛ فـلم يلبث أن جاءه نصفَ النهار، فاستأذن على سعد فأذِن له، فسلّم عليه بالإمرة وجلس معه ؛ فقال له سعد : ما أَقدمك أبا وهب ؟ قال : أحببتُ زيارتك ؛ قال : وعلى ذلك أجئتَ بريدا ؟ قال : أنا أرْزَنُ من ذلك، ولكن القوم آحتاجوا إلى عملهم فسرّحونى إليه، وقد آستعملنى أمير المؤمنـين على الكوفة ؛ فمكث طويلا ثم قال : لا والله ما أدرى أصلَحتَ بعدنا أم فسَدنا بعدك! ثم قال :

١٧٨/٤

خُذينى فجُرّينى ضِـباعُ وأَبْشِرى(٢) * بلحم آمرئٍ لم يَشهد اليوم ناصرُه(٣)

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «يشيب» . (٢) فى س : «وإنما» .

(٣) فى ب، س : «ناشره» .

فقال : أما والله لَأَنَا[1] أَقْوَلُ للشعر وأَرْوى له منك ، ولو شئتُ لأجبتُك ، ولكنّى أَدَعُ ذلك لما[2] تعلم ؛ نعم والله قد أُمِرتُ بمحاسبتك والنظرِ فى أمر عُمّالك ؛ ثم بعث إلى عمّاله فحبَسهم وضيّق عليهم ، فكتبوا إلى سعد يستغيثون ، فكلّمه فيهم ؛ فقال له : أَوَ للمعروف عندك موضع؟ قال : نعم والله ! فخلّى سبيلَهم .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى عمر قال حدّثنا جَنّاد[3] بن بِشْر قال : حدّثنى جَرير[4] عن مُغيرة[5] بنحوه .

قال أبو زيد عمر بن شَبّة أخبرنا أبو بكر الباهلىّ قال حدّثنا هُشَيم عن العَوّام بن حَوْشَب :

أنه لمّا قدِم على سعد قال له سعد : ما أدرى أَكِسْتَ بعدنا أم حَمُقْنا بعدك؟ فقال : لا تَجْزَعَنّ أبا إسحاق ، فإنما هو المُلْك يتغدّاه قومٌ ويتعشّاه آخرون ؛ فقال له سعد : أراكم والله ستجعلونه مُلْكا .

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عمر قال حدّثنا المدائنى عن بشر بن عاصم عن الأعمش عن شَقِيق[6] بن سَلَمة قال :

قدِم الوليد بن عقبة عاملًا لعثمان على الكوفة وعبد الله بن مسعود على بيت المال ، وكان سعد قد أخذ مالا ، فقال الوليد لعبد الله : خُذْه بالمال ، فكلّمه عبد الله بمحضر من الوليد فى ذلك ؛ فقال سعد : آتى أميرَ المؤمنين ، فإن أخذنى به

(١) فى ط ، ء : «أم» . (٢) كذا فى س : وفى سائر الأصول : «لما لا تعلم» . (٣) فى حـ : «حيان» . (٤) هو جرير بن عبد الحميد ابن قرط الضبى كما فى تهذيب التهذيب . (٥) هو المغيرة بن مقسم الضبى كما فى تهذيب التهذيب .
(٦) كذا فى حـ ، م . وهو شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدى الراوى وهو الذى يروى عنه الأعمش . وفى سائر الأصول : «سفيان» وهو تحريف . (راجع تهذيب التهذيب ، والاستيعاب فى اسم شقيق) .

أذيتُـه . فغمزَ الوليد عبدَ الله، ونظر إليهما سعد فنهض وقال : فعلتماها! ودعا اللهَ أن يُغرِىَ بينهما وأدّى المـال .

صلى بالناس الصبح أربع ركعات

أخبرنى أحمـد قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال حدّثنا هارون بن مَعروف قال حدثنا ضَمْرة بن رَبيعة عن ابن شَوْذب قال : صـلّى الوليد بن عُقْبة بأهـل الكوفة الغداةَ أربعَ ركعات، ثم التفت إليهم فقال : أأزيدكم؟ فقال عبد الله بن مسعود : ما زلنا معك فى زيادة منذُ اليوم .

شعر الحطيئة فيه

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن حُمَيـد قال حدّثنا جَرِير[1] عن الأَجْلح[2] عن الشَّعبىّ[3] فى حديث الوَليد بن عُقْبة حين شهدوا عليه [قال[4]]: قال[5] الحطيئـة[6] :

شهِد الحطيئةُ يوم يلقى ربَّه * أنّ الوليـدَ أحقّ بالعُـذْرِ[7]
نادى وقد تمّت صـلاتُهم * أأزيدكم ـ سُكراً ـ ومايدرى
فأبَوْا أبا وَهْب ولو أذِنوا * لقَـرَنْتَ بين الشفع والوِتْرِ
كَفُّوا عِنانَك إذ جريتَ ولو * تركوا عِنـانك لم تزل تجرى

وقال الحطيئة أيضا :

تكلّم فى الصـلاة وزاد فيها * عَلانيَـةً وجاهر بالنِّفـاقِ
ومَجّ الخمرَ فى سَنَن المُصـلّى * ونادى والجميعُ إلى افتراق
أزيدكمُ على أن تحمَدُونى * وما لكمُ ومالى من خَلاق

(١) هو جرير بن عبد الحميد المذكور فى الصفحة السابقة . (٢) هو الأجلح بن عبـد الله بن حجية الكندى كما فى تهذيب التهذيب . (٣) هو أبو عمرو عامر بن شراحيـل الشعبى كما فى تهـذيب التهذيب وابن خلكان . (٤) زيادة يقتضيها السياق . (٥) فى ب، حـ، سـ : «فقال» . (٦) هـذه الكلمة ساقطة فى س . (٧) هذا البيت من الكامل الضرب الأحذ المضمر، و باقى الأبيات من الكامل الأحذ الثالث .

شرب الخمر وصلى بالناس فضرب الحد

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال قال حماد بن إسحاق حدّثنى أبى قال ذكر أبو عُبَيدة وهشام بن الكلبيّ(١) والأصمعىّ قالوا :

كان الوليد بن عقبة زانيا شِرِّيب(٢) خمر، فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلّىَ بهم

١٧٩ / ٤ الصبحَ فى المسجد الجامع، فصلّى بهم أربعَ رَكَعات، ثم التفت إليهم وقال لهم : أزيدكم؟ وتقيّأ فى المحراب، وقرأ بهم فى الصلاة وهو رافع صوته :

عَلِق القلبُ الرَّبابَا * بعد ما شابَتْ وشابا

فشخَص أهلُ الكوفة إلى عثمان، فأخبروه خبرَه وشهدوا عليه بشُربه الخمرَ، فأُتى به، فأمر رجلا بضربه الحدَّ، فلما دنا منه قال له : نَشَدْتُك اللهَ وقَرَابتى من أمير المؤمنين فتركه، فخاف علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه أن يُعطِّل الحدُّ، فقام إليه فحَدَّه، فقال له الوليد : نَشَدْتُك بالله وبالقرابة، فقال له علىّ : اسكت أبا وَهْب فإنما هلكتْ بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدودَ، فضربه وقال : لَتدعُوَنِّى قريشٌ بعد هذا جلّادَها . قال إسحاق : فأخبرنى مُصْعَب الزُّبيرىّ قال : قال الوليد ابن عُقْبة بعد ما جُلد : اللّهمّ إنهم شهدوا علىّ بزور، فلا تُرْضِهم عن أمير ولا تُرْضِ عنهم أميرا، فقال الحطيئة يكذّب عنه :

شهِد الحُطَيئةُ يومَ يلقى ربَّه * أنّ الوليد أحقُّ بالعُـــذْرِ
خلَعوا عِنانَك إذ جريتَ ولو * تركوا عِنانَك لم تزَل تجْـرى
ورأوْا شمائلَ ماجدٍ أَنِفٍ(٣) * يُعْطِى على الميسـور والعُسْر
فنُزِعتَ مكذوبًا عليك ولم * تَنْزِعْ(٤) إلى طمَعٍ(٥) ولا فقــر

---

(١) فى ب، حـ، س : «قال» والمناسب ما أثبتناه . (٢) فى ط، ء : «دنيا» والدنى (كغنىّ) : الساقط الضعيف . (٣) الأنف (وزان كتف) : الذى يأبى أن يضام . (٤) فى حـ : «طبع» والطبع : الدنس . (٥) فى ديوان الحطيئة (ص ١٨٦ طبع مدينة ليزج، ونسخة خطية منه بدار الكتب المصرية رقم ٣ أدب ش) : * تردد الى عوز ولا فقر *

فقال رجل من بنى عِجْل يردّ على الحطيئة :

نادَى وقد تَمّتْ صلاتُهـــمُ * أأزيدكم ـ ثَمِلًا ـ وما يَدْرِى
لِيَزيدَهم خَيْرًا ولو قَبِـــلوا * لقَرَنْتَ بين الشَّـــفْعِ والوَتْرِ
فأَبَوْا أبا وَهْب ولو فعـــلوا * وصلتْ صَلاتُهُمُ إلى العَشْرِ

وروى العبّاس بن مَيْمون طائع[1] عن آبن عائشةَ قال حدّثنى أبى قال :

لمـا أُحضر عثمانُ رضى الله عنه الوليدَ لأهـل الكوفة فى شُرْب الخمـر، حضَر الحُطَيئةُ فآستأذن على عثمان وعنده بنو أُمية متوافرون، فطَمِعوا أن يأتىَ الوليدَ بعذر، فقال :

شَهِد الحُطَيئةُ يوم يلقى ربَّه * أنّ الوليـــد أحقُّ بالعـــذرِ
خلعوا عِنانَك إذ جريتَ ولو * تركوا عِنانك لم تزل تجـــرى
ورأَوْا شمائلَ ماجدٍ أَنِفٍ * يُعطى على الميســور والعُسْرِ
فنُزِعتَ مكذوبًا عليـــك ولم * تَنْزِع إلى طمعٍ ولا فقـــرِ

قال : فسُرُّوا بذلك وظنّوا أن قــد قام بعذره، فقــال رجل من بنى عِجْــل يردّ على الحُطَيئــة :

نادى وقد تَمّتْ صلاتُهـــمُ * أأزيدكم ـ ثَمِلًا ـ وما يَدْرِى
فأَبَوْا أبا وَهْبٍ ولو فعـــلوا * وصلتْ صلاتُهُمُ إلى العَشْرِ

فوجَمَ القومُ وأطرقوا، فأمر به عثمانُ رضى الله تعالى عنه فحُدّ .

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ط ، م ، ء : « العباس بن ميمون طابع » ، وورد فيما تقدّم فى حـ فى أخبار الحكم بن عبدل ونسبه (ج ٢ ص ٤٢٢ طبع دار الكتب المصرية) : « العباس بن محمد بن طائع » . ولم نعثر على اسمه فى المراجع التى بين أيدينا .

قصة رجل معيطى شهد عليه عند الأمير

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ(١) قال حدّثنى محمد بن الفَضْل مِنْ حِفْظه قال حدّثنا عمر بن شَبّة من حفظه، ونسخت من كتاب لهارون ابنِ الزيات بخطه عن عمر بن شبة، وروايتُه أتمّ، فحكيتُ لفظه، قال:

شهِد رجل عند أبى العَجّاج، وكان على البصرة، على رجل من المُعَيْطيِّين شهادة،
١٨٠/٤ وكان الرجل الشاهد سكرانَ؛ فقال المشهود عليه وهو المُعَيْطىّ: أعزّك الله إنه لا يُحسن أن يقرأ من السكر؛ فقال الشاهد: بلى إنى لأُحسن؛ فقال: اقرأْ؛ فقال:

عَلِق القلبُ الرَّبابا * بعد ماشابت وشابا

قال: وإنما تَمَاجن بذلك على المُعَيْطىّ، ليَحكى به ما صنع الوليدُ بن عُقْبة فى مِحْراب الكوفة وقد تقدّم للصلاة وهو سكرانُ، فأنشد فى صلاته هذا الشِّعر؛ وكان أبو العجّاج مُحمَّقا فظنّ أن هذا قرآن، فقال: صدق الله ورسوله، وَيْلكم! فلم تعلمون ولا تعملون! . ولقد رُوِى أيضا فى الشهادة على الوليد فى السُّكر غيرُ ماذُكِر من زيادته فى الصلاة .

ثبت لدى عثمان أنه سكر فأمر بجلده الحد

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال عرضت على المَدَائنىّ عن مبارك بن سَلّام عن فِطْر(٢) بن خَليفة عن أبى الضُّحى(٣) قال:

---

(١) كذا فى ط، ء، م . وفى سائر الأصول «المكىّ» ، وأبو الفرج يروى كثيرا عن الصولىّ كما تقدّم غير مرة فى الأجزاء السالفة . (٢) كذا فى التهذيب والمعارف لابن قتيبة والطبرى (ق ١ ص ٣١٨١) وفى جميع الأصول: «قطن» بالقاف والنون وهو تحريف . (٣) كذا فى ط، م، ء، واسمه: مسلم بن صبيح الهمدانى أحد شيوخ فطر بن خليفة المتقدّم . وفى سائر الأصول: «أبو الضحاك» وهو تحريف . (راجع التهذيب والخلاصة فى اسم مسلم بن صبيح) .

كان أبو زَيْنب الأَزْدِى وأبو مُوَرِّع[1] يطلبان عَثْرة الوليد بن عُقْبة، فجاءا يوما فلم يحضُر الصلاة، فسألا عنه وتلطّفا حتى علما أنه يشرب، فاقتحما عليه الدارَ فوجداه يَقِيء، فاحتملاه وهو سكرانُ فوضعاه على سريره وأخذا خاتَمَه من يده، فأفاق فافتقد خاتَمه فسأل عنه؛ فقالوا: لا ندرى وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك؛ فقال: صِفُوهما لى؛ فقالوا: أحدهما آدَم[2] طويلٌ حسنُ الوجه، والآخرُ عريض مربوع عليه خَمِيصة[3]؛ فقال: هذا[4] أبو زَينب وأبو مُوَرِّع. ولقى أبو زينب وصاحبُه عبدَ الله بن حُبَيش[5] الأسدى وعلقمة بن يَزيد[6] البَكْرى وغيرَهما فأخبَراهم، فقالوا: اشخَصوا إلى أمير المؤمنين فأَعْلِموه؛ فقال بعضهم: لا يَقبل قولَنا فى أخيه؛ فشخَصوا إليه وقالوا: إنا جئناك فى أمرٍ ونحن مُخْرِجوه إليك من أعناقنا، وقد قلنا: إنك لا تقبلُه، قال: وما هو؟ قالوا: رأينا الوليدَ وهو سكرانُ من خمر قد شرِبها وهذا خاتَمُه أخذناه وهو لا يَعقِلُ؛ فأرسل إلى علىّ رضى الله تعالى عنه فشاوره؛ فقال: أرى أن تُشخِصه، فإن شهدوا عليه بمَحْضَرٍ منه حدَدْتَه؛ فكتب عثمان رضى الله تعالى عنه إلى الوليد بن عُقبة فقدِم عليه، فشهد عليه أبو زينب

---

(١) كذا فى ط، ى، م وهو أبو مورّع الأسدى كما فى الطبرى وابن الأثير. وفى حـ: «ابن مزرع». وفى ب، سـ «أبو مزرع»، وكلاهما تحريف. (٢) الآدم: الأسمر. (٣) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان. (٤) فى الأصول: «هذا». (٥) كذا فى ب، حـ، سـ. وفى سائر الأصول: «خنيس». (٦) كذا فى ب، سـ. وفى م: «علقمة بن زيد». وفى حـ: «عقبة بن يزيد». وفى ط، ى: «عقبة بن زيد»، ولم نوفق الى وجه الصواب فيه.

وأبو مُوَرِّع وجُنْدَب الأَسْدِىّ(١) وسعد بن مالك الأشعرىّ، ولم يَشْهد عليه إلّا يمانٍ(٢)؛ فقال عثمان لعلىّ : قم فاضربه؛ فقال علىّ للحسن : قم فاضربه؛ فقال الحسن : مالك ولهذا ! يكفيك غيرُك؛ فقال علىّ لعبد الله بن جعفر : قم فاضربه، فضربه بمِخْصرة(٣) فيها سيرٌ له رأسان، فلما بلغ أربعين قال له علىٌّ : حَسْبُك .

ما وقع بين عثمان وعائشة بسبب الوليد بن عقبة

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدائنىّ عن الوَقّاصىّ(٤) عن الزُّهْرىّ قال : خرج رهطٌ من أهل الكوفة إلى عثمان فى أمر الوليد، فقال: أكلّما غضب رجلٌ منكم على أميره رماه بالباطل! لئن أصبحتُ لكم لأنكّلنّ بكم؛ فاستجاروا بعائشة؛ وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتا وكلاما فيه بعضُ الغِلْظة، فقال : أما يجد مُرّاق أهلِ العراق وفُسّاقُهم ملجأً إلا بيتَ عائشة ! فسمعتْ فرفعتْ نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : تركتَ سنّةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبِ هذه(٥) النعل؛ فتسامَع الناسُ فجاءوا حتى ملئوا المسجدَ، فمن قائل : أحسنتْ، ومن قائل: ما للنساء ولهذا! حتى تحاصبوا(٦) وتَضاربوا بالنّعال؛ ودخل رهطٌ من أصحاب رسول الله صلى ١٨١/٤

---

(١) كذا فى ب، حـ، سـ . وفى سائر الأصول : «الأزدى» . والأسد «بإسكان السين» : لغة فى الأزد، يقال فى أزد شنوءة : أسد شنوءة . (٢) يريد أن كل شهوده من اليمن، وقد جاء فى نهاية الأرب (حـ ٢ ص ٢٩٧) فى الكلام على يمن : أن الأشعر والأزد قبيلتان منها، وقد جاء فى الطبرى (ق ١ ص ٢٨٤٩) أن أبا مورّع وأبا زينب أزديان . وقد سقطت هذه الجملة من ط، م، ء . (٣) المخصرة : ما اختصره الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو مقرعة أو عنزة أو عكازة وما أشبهها، وقد يتكأ عليها . (٤) كذا فى ط، م، ء . واسمه : عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد ابن أبى وقاص، وهو ممن يروون عن الزهرى . وفى سائر الأصول : «الرقاشى» . ولم نجد فى المراجع التى بين أيدينا رقاشيا له رواية عن الزهرى . (٥) فى جميع الأصول : «هذا» وهو تحريف لأن النعل مؤنثة . (٦) فى ط، م، ء : «تحاصبوا» .

الله عليه وسلم على عثمان، فقالوا له: اتّق الله ولا تُعطِّل الحدّ، واعزِل أخاك عنهم؛ فعزله عنهم.

ضرب عثمان رجلا شهد عليه

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدَائنيّ عن أبي محمد النّاجي عن مَطَر الورّاق قال:

قدِم رجل المدينةَ فقال لعثمان رضي الله عنه: إني صلّيتُ الغداةَ خلفَ الوليد ابن عُقْبة، فالتفتَ إلينا فقال: أأزيدكم؟ إني أجِد اليومَ نشاطا، وأنا أشَمّ منه رائحة الخمر؛ فضرب عثمانُ الرجل؛ فقال الناس: عُطِّلَتِ الحدود وضُرِبت الشهود.

الوليد بن عقبة وعديّ بن حاتم

أخبرني أحمد قال حدّثني عُمر قال حدّثنا أبو بكر البَاهِليّ عن بعض من حدّثه قال:

لما شُهِد على الوليد عند عثمان بشُرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخوص، فخرج وخرج معه قوم يَعْذِرونه، فيهم عديّ بن حاتم، فنزل الوليدُ يوما يَسُوق بهم، فقال يرتجز:

لا تحسَبنّا قد نَسِينا الإيجافْ[1] * والنَّشَوات من عَتِيق أو صافْ

* وعَزْفَ قَيْناتٍ علينا عُزّافْ *

فقال عَدِيّ: إلى أين تذهب بنا! أقِمْ!.

أخبار تتعلق بجلد الوليد الحدّ

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال عَرَضْتُ على المَدَائنيّ عن قَيْس بن الرّبيع عن الأَجْلَح[2] عن الشَّعْبيّ[3] عن جُنْدَب قال:

---

(١) الإيجاف: العنق في السير، وهو سير فسيح واسع للإبل. (٢) انظر الحاشية رقم ٢ ص ١٢٥ من هذا الجزء. (٣) انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٢٥ من هذا الجزء.

كنتُ فيمن شهِد على الوليد، فلما استَتْمَمْنا عليه الشهادةَ حبسه عثمان، ثم ذكر باقىَ خبره وضَرْبَ علىّ عليه السلام إيّاه. وقولَ الحسن: «مالَكَ ولهذا!»، فزاد فيه: فقال له علىّ: لست إذًا مسلما، أو من المسلمين.

حدّثنا إبراهيم بن عبد الله المخزومىّ قال حدّثنا سَعيد بن محمد المخزومىّ قال حدّثنا ٱبن عُلَيّة[1] قال حدّثنا سَعيد بن أبى عَرُوبة عن عبد الله الدَّاناج[2] قال سمعت الحُضَين[3] بن المُنْذِر أبا ساسانَ يحدّث، وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر ابن شَبّة قال حدّثنا محمد بن حاتم قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَيّة قال حدّثنا سعيد بن أبى عَرُوبة قال حدّثنا عبد الله الدَّاناج عن حُضَين أبى ساسانَ قال:

لما جِىء بالوليد بن عُقْبة إلى عثمان بن عَفّان وقد شَهِدوا عليه بشرب الخمر، قال لعلىّ: دونَك ابنَ عمك فأقِمْ عليه الحَدّ. فأمَر به بجَلْده أربعين. ثم ذكر نحوَ هذا الحديث وقال فيه: فقال علىّ للحسن: بل ضَعُفْتَ ووَهَنْتَ وعَجَزْتَ، قُمْ يا عبدَ الله بنَ جعفر، فقام بجَلْده وعلىّ يَعُدّ حتى بلَغ أربعين. فقال علىّ: أَمسِكْ،

---

(١) كذا فى أكثر الأصول وهو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، وعلية: أمه، وهذا هو الصواب. وفى ط، ء: «علبة» بالباء الموحدة. (راجع المؤتلف والمختلف فى أسماء نقلة الحديث ص ٩٨، والطبقات ق ٢ حـ ٧ ص ٧٠، وتهذيب التهذيب فى اسم سعيد بن أبى عروبة).

(٢) كذا فى حـ، وهو عبد الله بن فيروز الداناج البصرى. والداناج (بفتح الدال والنون): العالم، معرّب دانا. وهو ممن يروى عن حضين ويروى عنه سعيد بن أبى عروبة. وفى سائر الأصول: «عبد الله الرياحى» وهو خطأ. (راجع القاموس مادة: دنج، والخلاصة فى أسماء الرجال ص ٢١٠ طبع بولاق، وتهذيب التهذيب فى اسم عبد الله بن فيروز الداناج، وسعيد بن أبى عروبة، وحضين بن المنذر).

(٣) هو حضين بن المنذر الرقاشى أبو ساسان صاحب راية علىّ يوم صفين، ولا يعرف حضين بالضاد المعجمة غيره (راجع المؤتلف والمختلف فى أسماء نقلة الحديث ص ٣٣، والمشتبه ص ١٦٦، وتهذيب التهذيب فى اسم حضين، والقاموس مادة حضن).

جلَد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم أربعين ، وجلد أبو بكر أربعين ، وأتمّها عمرُ ثمانين، وكُلٌّ سُنّة .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد قال :

لما ضرب عثمانُ الوليدَ الحدّ قال : إنك لتضربني اليومَ بشهادة قوم لَيقتُلُنَّكَ عامًا قابلا .

كان أبو زبيد من ندمائه و شعرا فيه لماء

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ عن عمّه عبيد الله قال أخبرني محمد بن حَبيب عن ابن الأعرابيّ قال، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر ابن شَبّة قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد ، وأخبرني إبراهيم ابن محمد بن أيوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلِم، قالوا جميعا :

كان أبو زُبَيد الطائى نديمًا للوليد بن عُقْبة أيّامَ ولايته الكوفةَ ، فلما شُهِد عليه بالسكر من الخمر وخرج من الكوفة قال أبو زُبَيد — واللفظ في القصيدة لليَزيديّ لأنها في روايته أتمّ — :

١٨٢ / ٤

من يرى العِيرَ لابن أَرْوَى(١) على ظهـ * ـر المَرْوَرَّى(٢) حُداتُهنّ عِجَالُ
مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبي وَهْـ * ـبٍ خَلاءٌ تَحِنُّ فيه الشَّمالُ
يعرف الجاهلُ المُضَلَّل أنّ الدهـ * ـر فيه النَّكراء والزِّلزالُ
ليت شعري كذاكُمُ العهدُ أم كا * نوا أُناسًا كمن يزول فزالوا
بعد ما تعلمين يا أمَّ زيدٍ * كان فيهم عِزٌّ لنا وجَمالُ
ووجوهٌ بودّنا(٣) مشرقاتٌ * ونَوَالٌ إذا أُريد النَّوالُ

(١) ابن أروى هو الوليد بن عقبة وأروى أمه وأم عثمان بن عفان كما تقدّم في أوّل الترجمة . (٢) سيشرح أبو الفرج هذه الكلمة في أول صفحة ١٣٥ . (٣) في ط ، ء ، م : « تودّنا » بالتاء .

أصبح البيتُ قد تبدّل بالحىّ * وجوهًا كأنّها الأَقْتالُ[1]
كلُّ شىء يَحتال فيه الرجالُ * غير أنْ ليس للمنايا آحتيال
ولَعَمْرُ الإلٰهِ لو كان للسيـ * ـفِ مَصَالٌ[2] أو للّسان مَقَال
ما تناسيتُك الصفاءَ ولا الـوُ * دَّ ولا حال دونك الأشغال
ولحرّمتُ لَحْمَك المُتَعَضِّى[3] * ضَلّةً[4] ضَلّ حِلْمُهم ما آغتالوا
قولُهم شُرْبُك الحرامَ وقد كا * ن شرابٌ سوى الحرام حَلال
وأبَى الظّاهرُ العداوةِ إلّا * شَنَآنًا وقولَ مالا يُقال
من رجالٍ تقارضوا مُنْكَراتٍ * ليَنالوا الذى أرادوا فنالوا
غيرَ ما طالبين ذَحْلًا[5] ولكن * مال دهرٌ على أُناس فمالوا
مَن يَخُنْك الصّفاءَ أو يتبدّلْ * أو يَزُلْ مِثْلَ ما تَزُولُ الظّلال
فآعلَمَنْ أنّنى أخوك أخو الـوُ * دِّ حياتى حتى تزولَ الجبال
ليس بخلًا عليك عندى بمالٍ * أبدًا ما أَقَلّ[6] نعلًا قِبال
ولك النّصر بآللسان وبالكـ * ـفِّ إذا كان لليدين مَصَال

نسبة ما فى هذا الشعر من الغناء

صوت

من يَرى العيرَ لآبن أَرْوَى على ظهـ * ـر المَرْوَرَى حُداتُهن عِجَالُ
مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبى وَهْـ * ـبٍ خلاءٌ تَحِنّ فيه الشَّمال

(١) الأقتال: الأعداء، جمع قتل (بالكسر) . و يطلق أيضا على الصديق، فهو من أسماء الأضداد.
(٢) يقال: صال على قرنه يصول اذا وثب عليه واستطال. (٣) كذا فى ط، ء. والمتعضى: المتقطع والمتفرق. وفى سائر الأصول: «المتقصى»، وهو اسم مفعول من تقصى الشىء إذا طلبه وبالغ فى البحث عنه. (٤) فى ط، ء: «حدّة». (٥) الذحل: الثأر.
(٦) أقل الشىء: حمله ورفعه. وقبال النعل (بالكسر): زمامها وهو السير الذى يكون بين الإصبعين. وفى الشعر والشعراء (ص ١٦٨ طبع أوربا): «ما أقل سيفا حمال».

عَروضه من الخفيف . المَرْوَرَى : جمع مَرَوْرَاة وهى الصحراء . غنى الدَّلَال فيــه خفيفَ ثقيل بإطلاق الوتر فى مَجْرى البِنْصر عن إسحاق وغيره .[1]

لام أهل الكوفة الوليد لأنه أنزل أبا زبيد بدار عقيل على باب المسجد

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

لمـا قدِم الوليــدُ بن عُقْبة الكوفةَ قَدِم عليه أبو زُبَيــد ، فأنزله دارَ عَقيل بن أبى طالب على باب المسجد وهى دارُ القِبْطى[2] ، فكان مما ٱحْتَجّ به عليه أهلُ الكوفة أنّ أبا زُبَيد كان يخرج إليه من داره يخترق المسجدَ وهو نصرانىّ[3] فيجعلُه طريقًا .

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى عُبيد الله[4] عن أبى حَبيب[5] ابن جَبَلة عن ٱبن الأعرابىّ :

أن أبا زُبَيد وفَد على الوليد حين استعمله عثمانُ على الكوفة ، فأنزله الوليد دارًا لعَقِيل بن أبى طالب على باب المسجد ، فٱستَوْهبها منه فوهَبها له ، فكان ذلك أوّلَ الطَّعْن عليه من أهل الكوفة ؛ لأن أبا زُبيد كان يخرج من منزله حتى يَشُقّ الجامعَ إلى الوليد ، فيَسْمُرُ عنــده ويشرب معه ويخرج فيَشُقّ المسجدَ وهو سكران ، فذلك نبّههم عليه . ١٨٣ ٤

---

(١) فى ط ، ى ، م : « خفيف ثقيل الأوّل بإطلاق ... الخ » . (٢) كذا فى جميع الأصول . (٣) كذا فى أكثر الأصول ، وقد كان أبو زبيد نصرانيا . وفى م هنا : «وهو سكران» كما سيرد فى جميع الأصول فى الخبر الآتى . (٤) هو عبيد الله بن محمد اليزيدى . (٥) كذا فى م . وفى ط ، ى : « عبيد الله عن ابن جبلة ... الخ » . وفى سائر الأصول : « عبيد الله بن أبى حبيب عن ابن الأعرابى » . ولعل صحة هــذا السند هى : « حدّثنى عمى عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابى » لأن الذى عرفت روايته عن ابن الأعرابى وتسمى بابن حبيب هو أبو جعفر محمد بن حبيب ، وقد قرأ على ابن الأعرابى كتاب النوادر وتوفى سنة ٢٤٥ هـ ، وحبيب : أمه نسب اليها لعدم معرفة أبيه . وقد ورد هذا السند بعينه فى صفحتى ١٢٣ و ١٣٧ وهو يؤيد صحة ماذهبنا إليه . (راجع إنباه الرواة ق ١ ج ٢ ص ٩٢ ومعجم الأدباء ج ٦ ص ٤٧٣ و بغية الوعاة ص ٢٩ طبع مصر) .

عمر صدقات تغلب ثم عزله

قال : وقد كان عمرُ بن الخطّاب رضى الله تعالى عنه ولّى الوليدَ بن عُقْبة صَدَقاتِ بنى تَغْلِب، فبلَغه عنه بيتٌ قاله وهو :

إذا ما شَدَدْتُ الرأسَ مِنّى بمِشْوَذٍ[1] * فغَيَّك[2] مِنّى[3] تَغْلِبَ بنةَ وائلِ

فعزَله .

أبو زبيد لأنه ص له إبلا بها بنى تغلب

وكان أبو زُبَيد قد آستودع بَنِي كنانةَ بن تَيْم بن أُسامة بنِ مالك بن بكْر ابن حَبيب بن غَنْم بن تَغْلب إبلًا فلم يردّوها عليه حين طلبها ، وكانت بنو تغلب أخوالَ أبى زُبَيد ، فوجد الوليدُ بنى تغلبَ ظالمين لأبى زُبَيد ، فأخذ له الوليدُ بحقّه؛ فقال يمدح الوليد :

يا ليت شِعرى بأنْباءٍ أُنَبَّؤُها * قد كان يَعْيا بها صَدْرى وتَقْديرى

عن آمرِئٍ ما يَزِدْه اللهُ من شَرَفٍ * أفرَحْ به ومُرَىٌّ غيرُ مسرور

(يعنى مُرَىّ بن أَوْس بن حارِثة بن لَأْم) . وهى طويلة يقول فيها :

إنّ الوليدَ له عندى وحُقّ له * وُدُّ الخليلِ ونُصْحٌ غيرُ مَذْخورِ

لقد رعانى وأدنانى وأظهَرنى * على الأعادى بنصرٍ غيرِ تَعْذيرِ[4]

فشَذَّب[5] القومَ عنّى غيرَ مكترِثٍ * حتى تناهَوْا على رغمٍ وتَصْغيرِ

نفسى فداءُ أبى وَهْبٍ وقَلّ له * يا أُمَّ عمرٍو فحُلِّى اليومَ أو سِيرِى

وفى رواية آبن حَبيب : " يا أمّ زيد " ، يعنى : يا أم أبى زُبَيْد .

---

(١) المشوذ : العمامة . (٢) يريد غيا لك ما أطوله منى . (راجع اللسان مادة شوذ) .

(٣) كذا فى ب ، حـ ، س واللسان (مادة شوذ) وفى سائر الأصول : «عنى» .

(٤) كذا فى ط ، ء ، م . والتعذير فى الأمر : التقصير فيه . وفى سائر الأصول : «تقدير» .

(٥) شذب : طرد ودفع .

أقطع أبا ز أرضا وا فدحه بـ

أخبرني محمد بن العبّاس عن عمّه عن محمد بن حَبِيبَ عن ٱبن الأعرابيّ قال : كان الوليد بن عُقْبة قد ٱستعمل الرَّبيع بن مُرَيّ بن أَوْس بن حارثة بن لَأْم الطائيّ على الحِمَى فيما بين الجزيرة وظَهْر الحِيرة، فأجدبتِ الجزيرةُ، وكان أبو زبيد في تَغْلِب، فخرج بهم ليُرْعِيَهم، فأبى عليه الأَوْسيّ وقال : إن شئتَ أن أُرعيَك وحدَك فعلتُ وإلّا فلا؛ فأتى أبو زُبَيد الوليدَ بن عُقْبة، فأعطاه ما بين القصور الحُمْر من الشأم إلى القصور الحُمْر من الحِيرة وجعله له حِمًى، وأخذها من الآخر. هكذا روى ٱبن حبيب. وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال : كانت الجُنَيْنة (١) في يد مُرَيّ بن أَوْس، فلمّا قدِم الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ ٱنتزعها منه ودفَعها إلى أبي زُبَيْد. والقول الأوّل أصح، وشِعْر أبي زُبَيد يدلّ عليه في قوله في الوليد بن عُقْبة يمدحه :

لَعَمْرُ أبيك يا ٱبنَ أبي مُرَيّ ❊ لَغَيرُك من أباح لها (٢) الدّيارا
أباح لها (٢) أَبارِقَ (٣) ذات نَوْر ❊ تَرَعَّى القَفَّ (٤) منها والعَرارا (٥)
بحمد الله ثم فتى قريش ❊ أبي وهبٍ غدتْ بُطُنًا غِزارا (٦)
أباح لها ولا يُحْمَى عليها ❊ إذا ما كنتمُ سَنةً جِزارا

يريد جزرا من الجدب والشدّة.

(١) الجنينة : علم على مواضع كثيرة. (انظر معجم البلدان لياقوت في الكلام على الجنينة).

(٢) في ط، ء، م : «لنا». (٣) الأبارق : جمع الأبرق كسر تكسير الأسماء لغلبته. والأبرق : البرقة إذا اتسعت وهي أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين مختلطة، وتنبت أسنادها وظهورها البقل والشجر نباتا كثيرا يكون إلى جنبها الروض أحيانا. (٤) القف (بفتح القاف) : ما يبس من البقول وتناثر حبه وورقه فالإبل ترعاه وتسمن عليه. (٥) كذا في حـ، م. والعرار (بالفتح) : نبت أصفر طيب الريح؛ وقيل : هو بهار البر، واحدته عرارة. وفي سائر الأصول : «القفارا». ويناسب هذه الرواية : القف (بضم القاف) : وهو ما غلظ من الأرض وارتفع، وقيل : يكون في القف رياض وقيعان. (٦) غزارا : جمع غزيرة، وهي من الإبل الكثيرة اللبن.

فتًى طالت يداه إلى المعالى * وطَحْطَحتا(١) المُقطَّعة(٢) القِصارا

وهى أبيات .

منه سعيد العاص هذه ن فقال شعرا

قال عمر بن شَبَّة فى خبره خاصّة : فلما عُزِل الوليدُ ووَلِيَها سعيد انتزعها منه(٣) وأخرجها من يده، فقال : ١٨٤/٤

ولقد مُتّ غيرَ أنّىَ حىٌّ * يوم بانت بودّها خنساءُ
من بنى عامرٍ لهـا شِقُّ نفسى * قسمةً مثلَ ما يُشَقّ الرداء
أُشرِبَتْ لونَ صُفرةٍ فى بياضٍ * وهى فى ذاك لَدْنةٌ غَيْداء(٤)
كلُّ عينٍ ممّن يراها من النا * س إليها مُديمةٌ حَوْلاء
فانتهوا إن للشدائد أهلًا * وذَرُوا ما تُزَيِّن الأهواء
ليتَ شعرى وأين مِنِّىَ ليتٌ * إنّ ليتًا وإنّ لوًا عَناء
أىُّ ساعٍ سعى ليقطع شِربى * حين لاحت للصابح الجَوزاء(٥)
واستظلّ العصفور كَرْهًا مع الضبـ * ـبِ وأوفَى فى عُوده الحِرْباء(٦)
ونفى الجُنْدُبُ الحصا بكُراعَيـ * ـه وأذْكَت نيرانَها المَعْزاء(٧)
من سَمُوم كأنها حَرُّ نارٍ * سَفَعَتْها(٨) ظَهيرةٌ غَرّاء

(١) كذا فى ط ، ء . وطحطح الرجل ماله : فرقه . وفى ب ، س : « طحطحن » .
(٢) المقطعة : الثياب القصار أو هى برود عليها وشى . (٣) كذا فى حـ ، م . وفى سائر الأصول : « وقال ... الخ » . (٤) اللدنة : الناعمة . والغيداء : المتثنية من النعمة وهى أيضا الطويلة العنق . (٥) الشرب (بالكسر) : المورد . والصابح : الذى يصبح إبله الماء أى يسقيها صباحا . والجوزاء : نجم يقال : إنه يعترض فى جوز السماء أى وسطها ، وإذا طلعت الجوزاء اشتدّ الحرّ . والعرب تقول : إذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء . (٦) ستأتى رواية فيه فى الصفحة التالية : « واستكن » . (٧) الجندب : الجراد الصغير . وكراعا الجندب : رجلاه . والمعزاء : الأرض الحزنة الغليظة ذات الح[illegible] . [illegible] هى الصحراء فيها إشراف وغلظ . (٨) يريد أنها أثرت فيها بحرارتها .

وإذا أهلُ(١) بلدةٍ أنكرونى * عرفتنى الدَّوِّيَّةُ(٢) المَلْساءُ
عرفتْ ناقتى الشمائلَ منّى * فهى إلّا بُغامَها(٣) خَرْساء
عرفتْ ليلَها الطويلَ وليلى * إنّ ذا الليلَ(٤) للعيون غِطاء

نسبة ما يغنّى فيه من هذا الشعر

صوت

أىُّ ساعٍ سعى ليقطع شِرْبى * حين لاحت للصابح الجَوْزاءُ
واستكنّ العصفورُ كَرْهاً مع الضبّ وأوفى فى عوده الحِرْباء
وإذا الدارُ أهلُها أنكرونى * عرفتنى الدَّوِّيَّة المَلْساء
عرفتْ ناقتى الشمائلَ منّى * فهى إلا بُغامَها خَرْساء
عرفتْ ليلَها الطويلَ وليلى * إنّ ذا الليلَ للعيون غِطاء

عروضه من الخفيف . غنّاه ابنُ سُرَيج خفيفَ رمل مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وغنّى داود بن العبّاس الهاشمىّ فى الخامس ثم الثالث خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو .

شعر أبى زبيد فى تشوّقه للوليد

قال(٥) ابن حبيب فى خبره : وقال أبو زُبَيْد يتشوّق إلى الوليد لمّا خرج عن الكوفة :

---

(١) سترد فيه رواية أخرى بعد أسطر : «وإذا الدار أهلها أنكرونى» . (٢) الدوّيّة : الفلاة ، سميت بذلك لما يسمع فيها من دوىّ . (٣) بغام الناقة : صوت لا تفصح به ، وقيل : إذا قطعت الحنين ولم تمدّه . (٤) فى م والخزانة للبغدادىّ (ج ٣ ص ٢٨٢) : «النوم» . (٥) كذا فى حـ ، ء . وفى سائر الأصول : «فقال» .

لَعَمْرِى لئن أَمْسَى الوليــدُ ببلدةٍ (١) * سواى لقد امسيتُ للدهرِ مُعْوِرا (٢)

[قال آبن حبيب : "ويروى سوىّ لقد ..." وهى لغة طيّئ (٣)] .

خلا أنّ رزقَ الله غادٍ ورائحٌ * وأنّى له راجٍ وإن سِرتُ أشهرا

وكان هو الحصنَ الذى ليس مُسلِمى * إذا أنا بالنَّكْرَاء هَيَّجتُ (٤) معشرا

إذا صادفوا دونى الوليــدَ كأنما * يرون بوادى ذى حَمَاسٍ (٥) مُزَعْفَرا (٦)

خضيبَ بنانٍ ما يزال براكب * يَخُبّ وضاحِى جلده قــد تقشّرا (٧)

وهى طويلة .

البيد على بن طالب ... سكته

حدّثنى إسحاق بن بَنَان الأَنْماطِىّ قال حدّثنا حُبَيش بن مُبَشِّر قال حدّثنا عُبيد الله بن موسى (٨) قال حدّثنا آبن أبى لَيْلى عن الحَكَم (٩) عن سَعيد بن جُبَيْر عن آبن عبّاس قال :

١٨٥ / ٤

قال الوليــد بن عُقْبة لعلىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنــه : أنا أحَدُّ منك سِنانًا، وأبسطُ منك لسانا، وأملأُ للكتيبة طِعانا؛ فقال له علىّ رضى الله تعالى عنه : أُسكتْ ! فإنمـا أنت فاسق؛ فنزل القــرآنُ : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِــقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ .

(١) فى حـ : «سوى تا» بإضافة سوى إلى اسم الإشارة وهو تا . أى سوى هذه البلدة . (٢) كذا فى أكثر الأصــول . والمعور : الذى لا حافظ له . وفى حـ ، م : «مثارا» أى محـلا لثاره .
(٣) زيادة عن م . يشير إلى جواز قلب ألف المقصور ياء عند إضافته إلى ياء المتكلم . وقد وردت هذه الزيادة فى حـ أيضا باختلاف فى كلمة سوى فكتبت فيها : «سوى تا» . (٤) فى حـ : «هايجت» .
(٥) ذو حماس : موضع تلقاء عرعر، وقيل : هو مأسدة . (راجع معجم ما استعجم حـ ١ ص ٢٨٦) .
(٦) المزعفر : الأسد الورد، لأنه ورد اللون، وقيل : لما عليه من أثر الدم . (٧) فى ط ، ء ، م : «تسيرا» وهو بمعنى تقشر . (٨) كذا فى أكثر الأصول، وهو عبيد الله بن موسى ابن باذام العبسى أحد الذين يروون عن ابن أبى ليلى محمد بن عبد الرحمن . وفى م : «عبد الله» وهو تحريف . (راجع الطبرى ق ١ ص ٢٨٩ ، وتهذيب التهذيب فى اسم محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى) .
(٩) هو الحكم بن عتيبة الكندى أبو محمد كما فى تهذيب التهذيب .

أرسله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق فأخبره بردتهم فأرسل خالدا فكذبه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمر بن شَبّة قال حدّثني محمد بن حاتم قال حدّثنا يونس بن محمد قال حدّثنا شيبانُ[1] عن قَتادة[2] في قوله تعالى : ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ قال : هذا ٱبنُ أبي مُعَيط الوليدُ بن عُقْبة، بعثه النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى بني المُصْطَلِق مُصَدِّقا، فلما رأوه أقبلوا نحوه فهابَهم، فرجَع إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهم قد ٱرتدّوا عن الإسلام؛ فبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبّت ولا يعجَل؛ فٱنطلق حتى أتاهم ليلًا فبعث عيونَه؛ فلمّا جاءوه أخبروه بأنهم متمسّكون بٱلإسلام وسمعوا أذانَهم وصَلاتَهم؛ فلمّا أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يُعجِبه، فرجع إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره.

شكته زوجه الى النبي صلى الله عليه وسلم فأجارها منه فأخفر جواره فدعا عليه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عُبيد الله بن موسى قال حدّثنا نُعَيم بن حَكيم عن أبي مَرْيَم[3] عن عليّ[4] :

أنّ ٱمرأة الوليد بن عُقْبة جاءت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم تَشْتكي الوليدَ وقالت : إنه يضربها؛ فقال لها : "ٱرجعي وقولي إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أجارني"، فٱنطلقتْ فمكثتْ ساعةً، ثم رجعتْ فقالت : ما أَقْلَع عنّي؛ فقطعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم هُدْبَةً من ثوبه ثم قال : "ٱمضي بهذا ثم قولي إنّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أجارني"؛ فٱنطلقتْ فمكثتْ ساعة ثم رجعتْ فقالت : يارسول الله ما زادني إلّا ضَرْبا؛ فرفع يديْه وقال : "اللهمّ عليكَ الوليدَ" مرّتين أو ثلاثا.

مسح النبي صلى الله عليه وسلم على رءوس الصبيان يوم الفتح ولم يمسه

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة، وحدّثني أبو عُبَيد الصَّيْرَفيّ قال حدّثني الفضلُ بن الحسن البصريّ[5] قال حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثنا أيوب بن عمر قال

(١) هو شيبان بن عبد الرحمن التميمي كما في تهذيب التهذيب. (٢) هو قتادة بن دعامة بن قتادة أبو الخطاب السدوسي كما في تهذيب التهذيب. (٣) هو أبو مريم الثقفي كما في تهذيب التهذيب. (٤) هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه. (٥) كذا في أكثر الأصول. وفي ط، ء : «المصري».

حدّثنا عمرُ بن أيّوب قال حدّثنا جعفر بن بُرْقان عن ثابت بن الحَجّاج عن أبى موسى[1] عبد الله الهَمْدانى :

أنّ الوليد بن عُقْبة قال: لمـا فتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكّة، جعل أهلُ مكّة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسَحُ على رءوسهم، فجىء بى إليه وأنا مُخَلَّق[2] فلم يَمْسَسْنى، وما منعه إلا أن أُمّى خلَّقتنى بخَلُوق فلم يمسسنى منْ أجل الخلوق.

كان عنده كاهن فقتله جندب بن كعب خشية الفتنة

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عُمَر قال حدّثنا خَلَف بن الوليد قال حدّثنا المُبارَك ابن فَضَالة عن الحسن[3] :

أن الوليد بن عُقْبة كان عنده ساحرٌ يُرِيه كَتيبتيْن تَقْتتِلان، فتحمِل إحداهما على الأخرى فتهزِمها؛ فقال له الساحر: أيَسُرُّك أن أُرِيَك هـذه المنهزمةَ تغلِب الغالبةَ فتهزِمها ؟ قال: نعم؛ وأُخْبِر جُنْـدَبٌ بذلك، فاشْتمل على السيف ثم جاء فقال: أفرِجوا، فضربه حتّى قتله، ففزِع الناسُ وخرجوا؛ فقال: يأيها الناس لا عليكم، إنمـا قتلت هذا الساحر لئلا يَفْتِنَكم فى دينكم؛ فحبسه قليلا ثم تركه.

قتل دينار بن دينار لإطلاقه رجلا أمر بحبسه

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شَـبّة قال حدّثنا عمر بن سَعيد الدِّمَشْقِىّ، وحدّثنا سَعيد بن عبد العزيز عن الزُّهْرِىّ[4] :

أنّ رجلا من الأنصار نظر إلى رجل يَسْتعلِن بالسِّحْر، فقال: أوَ إن السِّحْر لَيُعْلَن به فى دين محمد! فقتله؛ فأُتِىَ به الوليدَ بن عُقْبة فحبَسه؛ فقال له دينار بن دينار: فيم حُبِستَ؟ فأخبره فخلَّى سبيلَه؛ فأرسل الوليد إلى دينار فقتله.

١٨٦ / ٤

(١) فى ط، ء، م : «عن أبى عبد الله الهمدانى عن أبى موسى» وفى سائر الأصول : «عن أبى عبيد الله الهمدانى عن أبى موسى». والصواب ما أثبتناه عن تهذيب التهذيب فى اسم ثابت بن الحجاج. (٢) المخلق: المطيب بالخلوق، وهو ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران. (٣) هو الحسن البصرى. (٤) هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى.

جندب بن كعب الأسدى وشىء من سيرته

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا موسى بن إسماعيل قال حدّثنا حمّاد ابن سَلَمة قال حدّثنا أبو عِمْران الجَوْنىّ :

أنّ ساحرًا كان عند الوليد بن عقبة ، فجعل يدخل فى جوف بقرة ويخرج منه ؛ فرآه جُنْدَبٌ ، فذهب إلى بيتـه فاشتمل على سـيف ، فلما دخل الساحرُ فى جوف البقرة ، قال : أَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ، ثم ضرب وَسَطَ البقرة فقطَعها وقطَع الساحرَ فى البقرة فأنذعر الناسُ(1) ، فسجنه الوليدُ وكتب بذلك إلى عثمان رضى الله عنه ؛ وكان [السجّان](2) يفتح له البابَ بالليل فيذهب إلى أهله فإذا أصبح دخل السجنَ .

أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا حجّاج بن نُصَـيْر قال حدّثنا قُرّة(3) عن محمد بن سِيرِينَ قال :

انطُلِق بجُنْدَب بن كعب إلى سجن خارج من الكوفة وعلى السـجن رجلٌ نصرانىّ ، فلما رأى جنـدبَ بن كعب يصوم النهارَ ويقوم الليلَ ، قال النّصرانىّ : والله إنّ قومًا هـذا شرُّهم لقومُ صِدْقٍ ، فوكّل بالسجن رجلًا ودخل الكوفةَ فسأل عن أفضل أهل الكوفة ، فقالوا : الأشعث بن قيس ؛ فأستضافه ، فجعل يَرى أبا محمد ينام الليل ثم يُصبح فيدعو بغَدَائه ؛ فخرج من عنده فسأل : أىّ أهل الكوفة أفضـل ؟ فقالوا : جرير بن عبد الله ؛ فوجده ينـام الليل ثم يُصبح فيدعو بغدائه ، فاستقبل القبلةَ ثم قال : ربّى ربُّ جُنْدَب ودِينى على دين جندب ، وأسلم .

حدّثنى عمى الحسن بن محمد قال حدّثنا الخزّاز(4) عن المَدَائنىّ عن علىّ بن مُجَاهد عن محمـد بن إسحاق عن يزيد بن رُومَانَ عن الزُّهْرىّ وغيره ، قالوا :

(1) فى حـ ، ط ، ء : «فابذعرّ» . وابذعرّ الناس : تفرقوا . (2) زيادة عن حـ .
(3) هو قرة بن خالد السدوسى . (راجع تهذيب التهذيب فى اسم قرة وحجاج بن نصير) . (4) هو أحمد بن الحارث الخزاز الذى تقدّم ذكره كثيرا فى رجال السند .

لما آنصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المُصْطَلِق، نزل رجلٌ فساق بالقوم ورجَز، ثم نزل آخرُ فساق بالقوم ورجَز، ثم بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُواسِىَ أصحابَه، فنزل بجمل يقول: "جُنْدَبٌ وما جُنْدَب والأَقْطَع[(1)] [(2)] الخير زيد"، فدنا منه أصحابُه وقالوا: يارسول الله ما يَنفعنا مَشْيُك مخافةَ أن تَلْسَعك دابّةُ الأرض أو تُصيبك نكبةٌ؛ فركب ودنَوْا منه فقالوا: لقد قلتَ قولا ما ندرى ما هو؟ قال: «وما ذاك»؟: قالوا: قولك "جُنْدَب وما جُنْدَب والأقطع الخير زيد"، فقال: "رجلان يكونان فى هذه الأُمّة يضرب أحدُهما ضربةً يفرِّق بين الحق والباطل وتُقطع يدُ الآخر فى سبيل الله فيُتْبِع اللهُ آخرَ جسده بأوّله"؛ فكان زَيْدَ بن صُوحَان، قُطعت يدُه يوم جَلُولاءَ[(3)] وقُتل يومَ الجَمَل مع علىّ. وأما جُنْدَب فإنه رجل دخل على الوليد بن عُقْبة وعنده ساحرٌ يكنى أبا شَيْبان يأخذ أُعْيُنَ الناس فيُخرِج مَصارينَ بطنه ثم يُعيدها فيه؛ فجاء من خلفه فقتله، وقال:

الْعَنْ وليدًا وأبا شَيْبَانِ * وآبنَ حُبَيْش راكبَ الشّيطانِ
* رسولَ فِرْعونَ إلى هامانِ *

ولاية سعيد بن العاص الكوفة بعد الوليد بن عقبة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا إبراهيم بن المُنْذر الحِزَامىّ[(4)] قال حدّثنى آبن وَهْب[(5)] عن يونس عن الزُّهْرىّ قال:

---

(1) فى س: «وجعل يقول رجزا وجعل يقول الخ». (2) الأقطع: المقطوع اليد.
(3) جلولاء: اسم لبلدة ونهر عليه عدّة قرى من سواد بغداد، فى طريق خراسان من بغداد. وهناك كانت وقعة جلولاء المشهورة التى كانت للسلمين على الفرس، وبين جلولاء وبين مدينة خانقين سبعة فراسخ.
(4) قد ورد هذا الاسم فى جميع الأصول مضطربا والصواب ما أثبتناه. راجع تهذيب التهذيب فى اسم ابراهيم بن المنذر، وعبد الله بن وهب. (5) هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشى شيخ ابراهيم بن المنذر وأحد الذين يروون عن يونس بن يزيد. وقد ذكر فى جميع الأصول: «أبو وهب» وهو تحريف. (راجع التهذيب فى ترجمة ابراهيم بن المنذر، وعبد الله بن وهب، ويونس بن يزيد).

نزع عثمانُ بن عفّان الوليدَ بن عقبة عن الكوفة وأمّر عليها سَعيد بن العاص .

قال أبو زيد : فحدّثنى عبد الله بن عبد الرحمن قال حدّثنا سَعيد بن جامع الهُجَيْمىّ قال :

لمّا أقبل سعيد من المدينة عامدًا للكوفة بعد ما خرج واليًا لعثمان جعل يرتجز ١٨٧/٤ فى طريقه :

وَيْلَ نُسَيّاتِ[1] العِراق منّى * كأنّنى سَمَعْمَعٌ[2] من جِنّ

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عمر قال حدّثنى المَدَائنىّ عن أبى عَلْقَمة عن سعيد ابن أشوع[3] قال قال عدىّ بن حاتم :

قدِم سعيدُ بن العاص الكوفةَ فقال : اِغسِلوا هذا المنبر ، فإن الوليد كان رَجِسا نَجِسا ؛ فلم يصْعَده حتى غُسِل ، عيبًا على الوليد . وكان الوليدُ أسنَّ منه وأسخى نفسًا وألينَ جانبا وأرضى عندهم ، فقال بعضُ شعرائهم :

يا وَيْلَنا قد ذهب الوليدُ * وجاءنا من بعده سعيدُ

* ينقُص فى الصّاع ولا يَزيدُ *

وقال آخر :

فَرَرتُ من الوليد إلى سَعيد * كأهل الحِجْر[4] إذ جزِعوا فباروا

يَلِينا من قريش كلّ عامٍ * أميرٌ مُحْدَثٌ أو مستشار

لنا نارٌ نُحرِّقنا[5] فنَخْشى * وليس لهم فلا يَخْشَوْن نار

(١) فى م : «ويل لشبان» . (٢) السمعمع : السريع الخفيف والخبيث اللبق .

(٣) كذا فى حـ ، وهو سعيد بن عمرو بن أشوع الهمدانى الكوفى القاضى . وفى سائر الأصول : « سعيد بن أسرع » وهو تحريف . (راجع القاموس وشرحه مادة شوع وتهذيب التهذيب فى سعيد بن أشوع) . (٤) الحجر : اسم ديار ثمود بوادى القرى بين المدينة والشام . (راجع معجم ياقوت حـ ٢ ص ٢٠٨) . (٥) فى حـ : «تخوفنا» .

زيارة الوليد الكوفة بعد عزله وما حصل بينه وبين أهلها

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدَائنىّ قال :

قدِم الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ زائرًا للمُغيرة بن شُعْبة ، فأتاه أشرافُ أهل الكوفة يسلّمون عليه ، فقالوا : والله ما رأينا بَعْدَك مثلَك ؛ فقال : أخيرًا أم شرًّا؟ فقالوا : بل خيرًا ؛ قال : ولكنّى والله ما رأيتُ بعدكم شرًّا منكم ؛ فأعادوا الثناء عليه ؛ فقال : بعضَ ما تُثْنون به ، فوالله إن بُغْضَكم لتَلَف ، و إن حبّكم لصَلَف .

ما حصل بينه وبين قبيصة بن جابر بحضرة معاوية

قال أبو زيد : وذكروا أن قَبِيصة بن جابر كان ممن كثَّر[1] على الوليد ؛ فقال معاوية يومًا والوليدُ وقبيصةُ عنده : يا قَبِيصة ، ما كان شأنُك وشأنُ الوليد ؟ فقال : خيرا يا أمير المؤمنين ، فى أوّلِ وَصَل الرَّحِمَ وأحسن الكلامَ فلا تسألنّ عن الشكر وحُسْن الثناء ، ثم غضِب على النـاس وغضِبوا عليه وكنّا منهم ، فإمّا ظالمون فنستغفر الله ، و إمّا مظلومون فغفر الله له ، وخُذْ فى غير هـذا يا أمير المؤمنين ، فإنّ الحديثَ يُنْسِى القديم ؛ قال : ولِمَ؟ فوالله لقد أحسن السِّيرةَ و بَسَط الخيرَ وكفّ الشرّ ؛ قال : فأنت أقدرُ على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل ؛ قال : اسكُت لا سَكَتَّ ، فسكَتَ وسكَتَ القومُ ؛ فقال له : مالك لا تحدّث؟ قال : نهيتَنى عما كنتُ أُحِبّ فسكتُّ عما أكره .

دفن هو وأبو زبيد فى موضع واحد وشعر أشجع السلمىّ فى ذلك

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عُمَر قال حدّثنى المَدَائنىّ قال :

مات الوليد بن عُقْبـة فُوَيق الرَّقّة ، ومات أبو زُبَيـد ، فدُفِنا جميعا فى موضع واحد . فقال فى ذلك أشجع السُّلَمِىّ وقد مرّ بقبرَيْهما :

مررتُ على عظامِ أبى زُبَيْدٍ * وقـد لاحتْ ببَلْقَعَةٍ صَلُودِ[2]
وكان له الوليدُ نَدِيمَ صِـدْقٍ * فنـادَمَ قـبرُه قبرَ الوليـد

---

(١) أى أكثر القول فى عيبه والتشنيع عليه .
(٢) البلقع والبلقعة : الأرض القفر . والصلود من الأرض : الغليظة الصلبة التى لا تنبت شيئا .

وما أدرِى بمن تَبْـدا المنايا * بأحمدَ[1] أو بأشجـعَ أو يزيد

خرج غازيا للروم وقال شعرا

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ٱبن الكلبيّ عن أبيه قال: خرج الوليد بن عُقْبة غازيًا للروم وعلى مقدّمته عُتْبة بن فَرْقَد، فلقِيه الروم فقاتلوه؛ فقال له رجلٌ من العرب نصرانيٌّ: لستُ على دينِكم ولكنّي أنصحكم للنَّسَب، فالقـومُ مقاتلوكم إلى نصف النهـار، فإن رأَوْكم ضعفاءَ أفنَوْكم، وإن صـبرتم هربوا وتركوكم؛ فقال سَلْمان[2] بن رَبيعة: يا معشرَ المسلمين، ما عذرُكم عند الله غدًا إن أُصيب عُتْبةُ بن فَرْقَد وأصحابُه ولم يُغنهم أحدٌ منكم!؛ فركب معه ثلاثةُ آلاف رجل على البغال يَجْنُبون[3] الخيلَ، فلحِقوا عُتْبةَ وأصحابَه، فقاتلوا معهم قتالًا شـديدا حتى هزم الله الرومَ. فقال الوليد بن عُقْبة:

١٨٨ / ٤

أتاني من الفَجّ[4] الذى كنتُ آمنًا * بقيّـةُ شُذّاذٍ[5] من الخيـل ظُلَّعِ[6]

عليها العبيدُ يضربون جُنُوبَهـا * ونازَلَ منّا كُلُّ خِرْقٍ[7] سَمَيْـذَعِ

فإنّى زعيمٌ أن تَصِيـحَ نساؤهم * صياحَ دَجاجِ القـريةِ المتوزِّعِ[8]

---

(١) كذا ورد فيما سيأتى فى نسب أشجع وأخباره فى الجزء السابع عشر من الأغانى طبع بولاق. وأحمد ويزيد هما أخوا أشجع، وقد ماتوا جميعا كما رتبوا فى هذا الشعر، أوّلهم أحمد ثم أشجع ثم يزيد. وأحمد هذا كما قال الصولى: «شاعر قليل المدح للناس، يتغزل فى شعره ويذهب مذهب ابن أبى أمية، وكان أسنّ من أشجع». وفى جميع الأصول هنا: «بحمزة» موضع «بأحمد». (٢) كذا فى ط، ء. وهو سلمان ابن ربيعة الباهلى. وفى سائر الأصول: «سليمان»، وهو تحريف. (راجع الطبرى قسم ١ ص ٢٨٠٥، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٢١). (٣) جنب الدابة: قادها الى جنبه. (٤) الفج: الطريق الواسع بين جبلين وهو أوسع من الشعب. (٥) الشذاذ: القلال والمتفرّقون. (٦) ظلع: جمع ظالع وهو الذى فى مشيته غمز يشبه العرج. (٧) الخرق من الفتيان: الظريف فى سماحة ونجدة. والسميذع: السيد الكريم الموطأ الأكناف. (٨) المتوزع: المتفرق.

مدحه الحطيئة وكذبه الحليس النهدىّ

وقال الحطيئة يمدح الوليدَ بذلك، وكان قد وصله وكان الوليد جَوَّادا :

أرى لابن أرْوَى[1] خَلَّتين اصطفاهما * قِتالٌ إذا يَلْقَى العدوَّ ونائلُهْ
فتًى يملأ الشِّيزَى[2] ويروى بكفّه * سِنانُ الرُّدَيْنِيّ[3] الأصمّ وعامِلُهْ
يؤُمُّ العدوَّ حيث كان بجَحْفَلٍ * يُصِمُّ السميعَ جَرْسُه وصواهلُهْ
إذا حان منه منزِلُ الليل أُوقِدَتْ * لأُخراه فى أعلى اليَفَاع[4] أوائلُهْ
نَفَيْتَ[5] الجِعادَ[6] البِيضَ عن حُرِّدارهم * فلم يَبْقَ إلا حيَّةٌ أنت قاتلُهْ

فقال الحُلَيس بنُ نُعَيم النَّهدىّ يكذِّب الحُطَيئة :

وأبلغ أبا وهبٍ إذا ما لَقِيتَه * فقد حاربتك الرومُ فيمن تُحارِبُ
وفى الأرض حيّاتٌ وأُسْدٌ كثيرةٌ * عدوٌّ ولكنّ الحطيئةَ كاذب

---

(١) ورد هذا البيت فى ديوانه المخطوط رواية أبى سعيد السكرى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣ أدب ش وديوانه المطبوع بأوربا المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٨٩ أدب هكذا : «أبى لابن أروى خلتان ...» . وورد فيهما عقب هذا البيت ما نصه : «أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهى أم عثمان بن عفان رحمه الله تعالى وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب البيضاء توءمة عبد الله أبى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكان يقال لها : الحصان لا تكلم والصناع لا تعلم» .

(٢) الشيزى : خشب أسود تعمل منه القصاع ، ويطلق على ما صنع من ذلك فيقال للجفان : شيزى . وقد ورد فى ديوانه المخطوط والمطبوع ما نصه : «قال الأصمعىّ : كان يرى أنها من شيز لسوادها وإنما هى جوز قد اسودّت من الدسم» .

(٣) الرديني : الرمح نسبة إلى ردينة ، وهى امرأة رجل اسمه سمهر كان يبيع الرماح بالخط (موضع) فاذا غاب باعت ردينة مكانه ، وكانا يثقفان الرماح ، فالردينية منسوبة الى ردينة ، والسمهرية منسوبة الى سمهر . وعامل الرمح : صدره .

(٤) اليفاع كسحاب : التل .

(٥) رواية البيت فى ديوانه المخطوط والمطبوع هكذا : * نفيت الجعاد الغر من عقر دارهم *

(٦) الجعاد : جمع جعد ، يقال : رجل جعد القفا إذا كان لئيم الحسب ، ويقال : الجعد : البخيل والكريم أيضا فهو من أسماء الأضداد ، ويريد بالجعاد البيض : الروم .

بعض شعره فى مقتل عثمان لما أخذ علىّ أموال الخلافة من بيته

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا علىّ بن محمد عن أبى مِخْنَف عن خالد بن قَطَن عن أبيه قال :

لمّا قُتل عثمان أرسل علىّ فأخذ كلّ ما كان فى داره من السلاح وإبلًا من إبل الصدقة، فلذلك قال الوليد بن عُقْبة :

بنى هاشم رُدُّوا سلاحَ ٱبنِ أُختكم * ولا تَنْهَبوه لا تَحِلُّ مَناهِبُهْ

ويُروى :

* ولا تَهَبُوه لا تَحِلُّ مواهبُهْ *

بنى هاشمٍ كيف المَوادةُ بيننا * وعند علىٍّ سيفُه ونجائبُه

قتلتم أخى كيما تكونوا مكانَه * كما فعلتْ يومًا بكسرى مَرازِبُهْ

هكذا فى الخبر :

* ولا تهبوه لا تَحِلّ مواهبه *

أخبره بجاد مولى عثمان بمقتل عثمان فقال شعرا

أخبرنى الطُّوسىّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى عبد الله بن إسحاق الجَعْفَرىّ :

أن الوليد بن عُقْبة بن أبى مُعَيط لقى بِجَادًا مولى عثمان، فأخبره أنّ عثمان قد قُتل، فقال :

ليت أنّى هَلَكتُ قبلَ حديثٍ * سَلّ جسمى ورِيعَ منه فؤادى

يوم لاقيتُ بالبَلَاطِ(١) بِجادًا * ليت أنّى هلكت قبل بِجاد

(١) البلاط : موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سوق المدينـة .

وقد زيد فى هذا الشعر بيتٌ ونُقِص منه آخرُ مكانَه وغُنِّىَ فيه، وهو :

صــــوت

طـال ليـــلى وملَّنى عُـوّادى * وتجافَى عن الضـــلوع مِهادى
١٨٩/٤ من حـديثٍ نُمِى إلىّ فـا يَرْ * قَأُ دمـــعى ولا أُحِسّ رُقادى
يوم لاقيتُ بالبَــلاط بِجادًا * ليت أنّى هلكتُ قبــل بِجادِ
وبنفسى التى أُحِبّ وأهـــلى * وبمـالى وطـارفى وتِـــلادى
قالتُ لا تَغْضَبى فذلك قـــولى * بلسانى وما يُجِنُّ فـــؤادى

غنّى فيه آبن عَبّاد ثانىَ ثقيل مُطْلَق فى مجرى البنصر فى الأوّل والرابع من الأبيات، وذكر عمرو بن بانة أنه لآبن مُحْرِز، ومن الناس من يَنْسُبه إلى آبن سُرَيج فى هـذه الطريقة فى الأوّل والثانى، وذكر آبن المَكِّىّ أنه للغَرِيض ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى البنصر، ووافقـه يونس . وذكر أنّ فى هـذا الشعر لآبن سُرَيج والغريض لحنين فى الخمسـة الأبيات . وذكر حَبَش أنّ فيها لمَعْبد ثقيلا أوّل بالوُسطى، ولعبـد الله ابن العباس الرَّبِيعىّ ثانى ثقيـلٍ بالوسطى، وللغَـريض خفيف رملٍ بالوسطى، ولسُلَيم ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وذكر أحمد بن عُبَيد أن فيه رَمَلا لآبن جامع فى البيت الأوّل وحده، وأنّ فيه هَزَجا لا يُعرَف صانعه .

غنت جارية للأمين من شعره فتطير

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى هبة الله بن إبراهيم بن المهدىّ قال حدّثنى أبى قال :

أرســل إلىّ محمد بن زُبَيدة فى ليلةٍ من ليالى الصيف مُقْمِرة : ياعمِّ إنّ الحرب بينى وبين طاهر بن الحســين قد سكنتْ، فصِرْ إلىّ، فإنى إليك مشتاقٌ، فجئتـه

وقد بُسِط له على سطح زُبَيدة، وعنده سليمان بن جعفر عليه كِساءٌ رُوذَبارِىّ[1] وقَلَنْسُوَة طويلة، وجَوَاريه بين يديه، وضَعْفُ جاريتُه عنده، فقال لها: غَنِّينى فقد سُرِرتُ بعمومتى؛ فآندفعت تغنّيه:

هُمُ قَتَــلوه كى يكونوا مكانه * كما فَعَلَتْ يومًا بكسرى مَرَازِبُهْ
بنى هاشمٍ كيف التواصُلُ بيننا * وعنــد أخيه سـيفُه ونجائبُــه

هكذا غنّت؛ وإنمـا هو:

* وعنــد علىّ سـيفُه ونجائبُــهْ *

فغضِب وتطيّر وقال لهـا: ما قِصّتك وَيْحَك! اِنْتَهى وٱنتهى وغنّينى ما يسُرّنى! فآندفعتْ وغنّت:

هــذا مَقامُ مُطَـرِّدٍ * هُدِمتْ منازلُه ودورُهْ

فآزداد تَطَيُّرا، ثم قال لها: وَيْحَك! اِنتهى، غنّينى غير هذا؛ فغنّت:

كُلَيبٌ لَعَمْرِى كان أكثرَ ناصرًا * وأيسرَ جُرْمًا منك ضُرِّج بالدم

فقال لها: قومى إلى لعنــة الله! فوثبتْ وكان بين يديه قَدَحُ بَلُّور وكان لحبّــه إيّاه سمّاه بٱسمه محمدا، فأصابه طَرَفُ ذيلها فسقط على بعض الصوانى فآنكسر وتفتّت؛ فأقبل علىّ وقال: أرى والله ياعمّ أن هذا آخرُ أيامنا؛ فقلت: كلا! بل يُبْقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرّك؛ قال: ودِجْلةُ والله يا بنىّ هادئة ما فيهـا صوتُ مجداف ولا أحدٌ يتحرّك وهى كالطَّسْت هادئة، فسمِعتُ هاتفا يهتف: «قُضِىَ الأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ». قال: فقال لى: أسمعتَ ما سمعتُ ياعمّ؟ فقلتُ: وما هو؟ وقد والله سمعتُه — فقال: الصوتُ الذى جاء الساعةَ من دِجْلة؛ فقلتُ: ما سمعتُ شيئا؛

---

(١) روذبارى: نسبة إلى روذبار وهو ٱسم يطلق على مواضع كثيرة فى أصبهان وبغداد وغيرهما.

وما هذا إلا توهّم؛ فإذا الصوت قد عاد يقول: «قُضِيَ الأمرُ الذى فيه تستفتيان».
فقال: انصرف يا عمّ بيّتك الله بخير، فمحالٌ ألّا تكون الآن قد سمعتَ ما سمعتُ؛
فانصرفتُ، وكان آخرَ العهدِ به. ١٩٠/٤

وفد على معاوية فخدعه عن مال له ثم استجدى معاوية فوبخه وشعره فى ذلك وصلة معاوية له

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ومحمد بن يحيى الصُّولىّ واللفظ له، قالا حدّثنا محمد بن زكريا الغَلّابىّ قال حدّثنا عبد الله بن الضّحّاك عن هشام بن محمد عن أبيه، قال محمد: وحدّثنا عبد الله[1] بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن جميعا عن مُطَرِّف بن عبد الله عن عيسى بن يزيد، قال:

وفد الوليدُ بن عُقْبة، وكان جَوَادا، على معاوية؛ فقيل له: هذا الوليد بن عُقْبة بالباب؛ فقال: والله لَيَرجِعَنّ مُعْطيًا[2] غيرَ مُعْطًى، فإنه الآن قد أتانا يقول: علىّ دَيْن وعلىّ كذا وكذا؛ يا غلام ائذن له، فأذِنَ له؛ فسأله وتحدّث معه، ثم قال: أمَا والله إن كنّا لنُحبّ إيثارَ[3] مالك بالوادى وقد أعجب أميرَ المؤمنين، فإن رأيت أن تَهَبه ليزيد فعلتَ؛ فقال الوليد: هو ليَزِيدَ، ثم خرج وجعل يختلف إلى معاوية أياما، فقال له يوما: أُنظُر يا أمير المؤمنين فى شأنى، فإنّ علىّ مؤونةً وقد أرهقنى دَيْن؛ فقال له معاوية: ألا تستحى لحَسَبك ونَسَبك! تأخذ ما تأخذ فتبذّره ثم لا تنفكّ تشكو دَيْنا!؛ فقال له الوليد: أفعل، ثم انطلق مكانَه[4] فصار إلى الجزيرة، فقال:

فإذا سُئلتَ تقول لا * وإذا سألتَ تقول هاتِ
تأبَى فعالَ الخير لا * تُرْوِى وأنت على الفُراتِ
أفَلا تميل إلى نَعَمْ * أو تَرْك لا حتى المماتِ

(١) فى ح: «عبيد الله». (٢) فى م «مغيظا». (٣) فى ط، ء، م: «إتيان».
(٤) يريد أنه انطلق من فوره.

قال : فبلغ معاويةَ مَقْدَمُه الجزيرةَ، فخافه وكتب إليه : أن أقبِلْ إليّ ؛ فكتب إليه :

أَعِفُّ وأَستَحْيِي(١) كما قد أمرتَني * فأعْطِ سوايَ ما بدا لك وابْخَلِ
سأَحْدُو ركابي عنك إنّ عزيمتي * إذا نابَني أمرٌ كسَلّةِ مُنْصُلِ(٢)
وإني امرؤٌ للرأي منّي تَطرُّفٌ * وليس شَبَا قُفْلٍ عليّ بمُقْفَلِ

ورحَل إلى الحجاز ، فبعث إليه معاوية بجائزة .

[انقضت أخبار الوليد بن عقبة](٣)

٢/٥

صوت

من المائة المختارة

ربما نبّهني الإخـ * ـوانُ والليلُ بَهيمُ
حين غارتْ وتدلّتْ * في مَهاويها النجومُ
ونُعاسُ الليل في عيـ * ـنَيّ كالثّاوِي مُقيمُ
للتي تُعْصَرُ لمّا * أَينعتْ منها الكُرُومُ
أنا بالرَّيّ مقيمٌ * في قُرَى الرّيّ أَهيمُ
ما أُرَاني عن قُرَى الرّ * يّ مَدَى دهري أَرِيمُ

الشعرُ والغناءُ لإبراهيم الموصليّ . ولحنُه المختار ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . ولإبراهيم أيضا فيه خفيفُ ثقيل ، وقيل : إنه لابنه إسحاقَ . وفيه لأحمد بن يحيي المكيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن عُبَيد .

(١) كذا في حـ ، م . وفي باقي الأصول : « وأستغني » . (٢) المنصل (بضمتين وكمكرم) : السيف . (٣) زيادة عن م .

نسب إبراهيم الموصلىّ وأخباره

نسب إبراهيم الموصلىّ ونشأته

هو — فيما أخبرنا به يحيى بن علىّ بن يحيى المنجّم عن حمّاد عن أبيه، وأخبرنى به عبدُ الله بن الرّبيع عن وَسْوَاسَةَ، وهو أحمد[(١)] بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلىّ عن أبيه عن جدّه وعن حمّاد عن أبيه — إبراهيمُ بن ميمون أو ٱبن ماهان بن بَهْمَن[(٢)] ابن نسك، وكان سبب نسبه إلى ميمون أنه كتب إلى صديق له فعنْوَن كتابَه : من إبراهيم بن ماهان؛ فقـال له بعضُ فتيان الكوفة : أمَا تستحى من هذا الاسم ! فقال : هو ٱسم أبى ؛ فقـال : غيّره ؛ فقال : وكيف أغيّره ! فأخذ الكتّابَ فمحا ماهان وكتب ميمونَ، فبقِىَ إبراهيمَ بنَ ميمون .

قال إسحاق عن أبيه : وأصلُنا من فارس، ولنا بيت شريفٌ فى العجم، وكان
٣ / ٥ جدُّنا ميمون هرَب من جَوْر بعض عُمّال بنى أميّة، فنزل بالكوفة فى بنى عبد الله بن دارِم ، فكان بين إبراهيم و بين وَلَدِ نَضْـلَةَ بن نُعَيْم رَضَاع . وأمُّ إبراهيم ٱمرأةٌ من بنات الدّهاقين[(٣)] الذين هرَبوا من فارس لمـا هرب ميمون أبو إبراهيم ، فنزلوا جميعا بالكوفة فى بنى عبـد الله بن دارِم ، فتزوّجها ماهانُ[(٤)] بالكوفة فولَدتْ إبراهيمَ ومات

(١) كذا ورد هـذا الاسم فى جميع النسخ هنا وسيرد فيما سيأتى فى الصفحة التالية مضطربا فقـد ورد فى ب ، سـ : « أحمد بن أحمد بن اسماعيل » وفى ط : « محمد بن أحمد بن اسماعيل » وفى حـ : « أحمد بن اسماعيل وسوامة » وفى م : « محمد بن اسماعيل وسوامة » . (٢) فى م : « بهتر » . (٣) الدهاقين : جمع دهقان، وهو زعيم فلاحى العجم، وقيـل : رئيس الإقليم .

(٤) هو الذى يعرف بميمون كما تقدم .

فى الطاعون[1] الجارف، وخلّف إبراهيمَ طفلا. وكان مولدُ إبراهيمَ سنةَ خمس وعشرين ومائة بالكوفة، وتوفّى ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، وله ثلاثٌ وستون سنة .

مات أبوه وهو صغير فكفله آل خزيمة بن خازم

قال أحمد بن إسماعيل وَسْوَاسة[2] فى خبره : ومات ماهان وخلّف إبراهيمَ طفلا، فكفَلَه آلُ خُزَيمة بن خازِم .

وقال يحيى بن علىّ فى خبره: إنه كان لإبراهيم لما مات أبوه سنتان أو ثلاث، وخلّف معه أخوين له من غير أُمّه أكبرَ منه، فأقام إبراهيم مع أمّه وأخواله حتّى تَرَعْرع، فكان مع ولد خُزَيمة بن خازم فى الكُتّاب[3]، فبهذا السبب صار ولاؤه لبنى تَميم . وسأله الرشيدُ فقال : ما السببُ بينك وبين بنى تَميم؟ فاقتصّ عليه قِصّتَه،

---

(١) المعروف فى كتب التاريخ أن الطاعون الجارف وقع بالبصرة فى سنة تسع وستين هجرية، وهو سابع طاعون فى الإسلام، فإن الأوّل كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم، والثانى طاعون عمواس فى عهد عمر رضى الله عنه، والثالث بالكوفة فى زمن أبى موسى الأشعرى، والرابع بالكوفة أيضا فى زمن المغيرة بن شعبة، والخامس الطاعون الذى مات فيه زياد، ثم الطاعون بمصر فى سنة ست وستين، ثم الطاعون الجارف فى سنة تسع وستين، والطاعون الثامن بالشأم فى سنة تسع وسبعين، ثم الطاعون التاسع وهو طاعون الفتيات فى سنة ست وثمانين، وسمى بذلك لأنه بدأ فى النساء وكان بالشأم وواسط والبصرة، ثم طاعون غراب بالشأم فى سنة سبع وعشرين ومائة (انظر النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٤٠، ١٩٩، ٢٠٩، ٢١٢، ٣٠٤ طبع دار الكتب المصرية) . ولعل المؤلف يريد بالجارف وصف طاعون وقع بالكوفة بعد سنة خمس وعشرين ومائة (التى ولد فيها ابراهيم الموصلى) بسنتين أو ثلاث .

(٢) أنظر الحاشية رقم ١ فى الصفحة السابقة من هذا الجزء . (٣) قال الجوهرى فى الصحاح : «الكتّاب والمكتب واحد وجمعه كتاتيب» . ونقل صاحب اللسان هذا القول ثم نقل عن المبرد قوله : إن من جعل الموضع الكتّاب فقد أخطأ، وقال : المكتب : موضع التعليم والكتّاب : الصبيان . وذكر شارح القاموس عن شرح الشفاء أن استعمال الكتّاب للمكتب وارد فى كلامهم وأنه استفاض بهذا المعنى كقوله :

وأتى بكتّاب لو انبسطت يدى ※ فيهم رددتهم إلى الكتّاب

(انظر الصحاح والأساس واللسان والقاموس وشرحه مادة كتب) .

وقال : ربَّوْنا يا أمير المؤمنين فأحسنوا تربيتنا، ونشأتُ فيهم وكان بيننا رَضَاعٌ، فتولَّوْنا بهذا السبب؛ فقال له الرشيد : وَيْحك! فما أُرَاك إذًا إلّا مولاى؛ فقال: فهذه والله قصّتى يا أمير المؤمنين .

ما قيل فى سبب نسبته إلى الموصل

قال يحيى بن علىّ فى خبره : وكان سببُ قولهم إبراهيمَ الموصلىّ أنه لما نشأ وآشتدّ(١) وأدرك، صَحِب الفتيانَ وآشتهى الغناءَ فطلبه ، وآشتدّ أخوالُه عليه فى ذلك و بلغوا منه(٢)، فهرَب منهم إلى المَوْصل، فأقام بها نحوًا من سنة، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانُه من الفتيان : مرحبًا بالفتى المَوْصِلىّ، فلُقِّب(٣) به . وقال أحمدُ فى خبره : إن سبب طلبه الغناءَ أنه خرج إلى الموصل، فصَحِب جماعةً من الصعاليك كانوا يُصيبون الطريق ويُصيبه معهم ، ويجمعون ما يُفيدونه فيَقْصِفون(٤) ويشربون ويغنّون، فتعلّم منهم شيئا من الغناء وشَدَا، فكان أطيبَهم وأحذقَهم، فلما أحسّ بذلك من نفسه آشتهى الغناءَ وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه . وذكر آبنُ خُرْدَاذْبه(٥) — وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمّنه كُتُبَه — أن سببَ نسْبَتِه إلى الموصل أنه كان اذا سكِر، كثيراً ما يغنّى على سبيل الوَلَع :

(١) اشتد : قوى وهذه الكلمة مثبتة فى م ، ص وساقطة من باقى النسخ . (٢) أى استقصوا فى إيذائه وتعنيفه . (٣) فى ط ، م ، ء : «فلجت عليه» ، يريد : لصقت به وغلبت عليه . (٤) يقصفون : يرقصون و يلعبون . وفى القاموس وشرحه : «وأما القصف من اللهو واللعب فغير عربىّ . ونص الصحاح يقال : إنها مولدة . وقال آبن دريد فى الجمهرة : فأما القصف من اللهو فلا أحسبه عربيا صحيحا، وهكذا نقله الصاغانى . و يقال : هو الجلبة والإعلان باللهو . وفى الأساس : هو الرقص مع الجلبة ... الخ» . (٥) يلاحظ أن المؤلف وصف ابن خرداذبه بهذه العبارة فى غير موضع من كتابه، مع أن آبن النديم ذكر آبن خرداذبه ومؤلفاته فى كتابه الفهرست (ص ١٤٩ طبع أوربا) ولم يتهمه أو يصفه بقلة التحصيل وضعف الرواية وخصوصا كتابه : «المسالك والممالك» المطبوع بمدينة ليدن سنة ١٣٠٦ هـ فإنه معدود من المصادر القيمة التى يعوّل عليها و يوثق بها . وقد آعتمد عليه فى النقل ياقوت الحموى فى كتابه «معجم البلدان» . ووصفه المسعودى المؤرخ المشهور — وهو من معاصرى ابن خرداذبه =

أنا جت من طرق مَوْصل * أحمل قلل خَمْريا (١)

من شارب الملوك فلا * بدّ من سُكْريا

وما سمعتُ بهذه الحكاية إلا عنه؛ وإنما ذكرتُها على غَثَاثتها لشهرتها عند الناس، وأنها عندهم كالصحيح من الرواية فى نِسْبة إبراهيم إلى الموصل، فذكرتُه دالًّا على عَوَاره.

أخبرنى الحسين بن يحيى المِرْداسىّ وابنُ أبى الأزهر قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: أُسْلِمَ أبى إلى الكُتّاب فكان لا يتعلّم شيئا، ولا يَزال يُضرب ويُحْبَس ولا يَنْجَع ذلك فيه، فهرب إلى المَوْصل وهناك تعلّم الغناءَ، ثم صار إلى الرّى وتعلّم بها أيضا، ومهر وتزوّج هناك آمرأته دُوشَار — وتفسير هذا الاسم أسَدان (٢) —

= وأبى الفرج — فى مقدمة كتابه «التنبيه والإشراف» (ص ٧٥ طبع مدينة ليدن) بقوله: «... وأبو القاسم عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبه فى كتابه المعروف بالمسالك والممالك، وهو أعم هذه الكتب شهرة فى خواص الناس وعوامهم فى وقتنا هذا».

ولعل سبب هذه الخصومة التى حملت أبا الفرج على أن يتحامل على ابن خرداذبه هو المنافسة والمعاصرة. وقد وصف المسعودى المنافسة والحسد بين المعاصرين فى مقدمة كتابه التنبيه والإشراف (ص ٧٦، ٧٧) بقوله: «على أن من شيم كثير من الناس الإطراء للمتقدمين وتعظيم كتب السالفين، ومدح الماضى وذم الباقى، وإن كان فى كتب المحدثين ما هو أعظم فائدة وأكثر عائدة. وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: أنه كان يؤلف الكتاب الكثير المعانى الحسن النظم، فينسبه الى نفسه فلا يرى الأسماع تصغى اليه، ولا الإرادات تيمم نحوه؛ ثم يؤلف ما هو أنقص منه مرتبة وأقل فائدة، ثم ينحله عبد الله ابن المقفع أو سهل بن هارون أو غيرهما من المتقدمين ومن قد طارت أسماؤهم فى المصنفين، فيقبلون على كتبها ويسارعون الى نسخها، لا لشىء إلا لنسبتها الى المتقدمين، ولما يداخل أهل هذا العصر من حسد من هو فى عصرهم ومنافسته على المناقب التى يخص بها ويعنى بتشييدها. وهذه طائفة لا يعبأ بها كبار الناس، وإنما العمل على ذوى النظر والتأمل الذين أعطوا كل شىء حقه من العدل، ووفوه قسطه من الحق، فلم يرفعوا المتقدم اذ كان ناقصا، ولم ينقصوا المتأخر اذ كان زائدا، فلمثل هؤلاء تصنف الكتب وتدوّن العلوم» اه.

(١) لعل هذا الشعر من لغة العامة فى ذلك العهد كالأغانى التى يتغنى بها العامة الآن.

(٢) الأسد بالفارسية: «شير». ولعل «شار» لغة أو لهجة فى هذه اللفظة. و «دو» بمعنى اثنين.

وطال مُقامُه هناك، وأخذ الغناءَ الفارسيَّ والعربيَّ، وتزوّج بها أيضا شاهَكَ أمّ إسحاقَ آبنِه وسائرِ ولده . قال : وفي دُوشار هـذه يقول إبراهيمُ، وله فيه غِناءٌ من الهَــزَج، :

دُوشَـارُ يا سـيّدتي * يا غايتي ومُنْيَــتِي

و يا سروري من جميـ * ـع الناس رُدِّي سِتّتي

أوّل مال وصله على الغناء من خادم لأبي جعفر، أنفقه في تعلم صنعة الغناء

٤/٥ قال إسحاقُ وحدّثني أبي قال : أوّلُ شيء أُعطِيتُه بالغناء أنّي كنتُ بالرَّيّ أُنادم أهلَها بالسَّـوِيّة لا أَرْزَؤُهم شيئا ، ولا أُنفِقُ إلا من بقيّـة مالٍ كان معي آنصرفتُ به من الموصل ؛ فمرّ بنا خادم أنفـذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عمّاله برسالة، فسمِعَني عند رجل من أهل الرّيّ، فشُغِف بي وخلَع عليّ دُوّاجَ سَمّورٍ[1] له قيمة، ومضى بالرسالة ورجع وقد وصَله العاملُ بسبعة آلاف درهم وكساه كُسوةً كثيرة ، فجاءني إلى منزلي الذي كنتُ أسكنه فأقام عندي ثلاثةَ أيام، ووهَب لي نصف الكُسوة التي معه وألفَيْ درهم، فكان ذلك أوّلَ ما آكتسبتُه بالغناء، فقلتُ : والله لا أُنفق هذه الدراهم إلا على الصناعة التي أفادَتْنيها ، ووُصِف لي رجل بالأُبُلّة[2] يقال له جُوانُويَه[3] كان حاذقا، فخرجتُ إليه وصحِبتُ فتيانَها، فأخذتُ عنهم وغنّيتهم فشُـغِفوا بي .

---

(١) دوّاج سمور : ضرب من الثياب يتخذ من جلد حيـوان يشبه السنور وهي فراء ثمينة تتخذ للينها وخفتها وإدفائها وحسنها . وفي صـ : «دراج سمور» بالراء ، وهو تحريف .

(٢) الأبلة (بضم الهمزة والباء الموحدة وتشـديد اللام وفتحها) : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، لأن البصرة مصرت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنـه ، وكانت الأبلة حينئذ مدينـة فيها مسالح من قبل كسرى وقائد .

(٣) في م : «خولويه» .

قصته مع جوانويه الذى أراد أن يتعلم منه ثم سبب اتصاله بالمهدى

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه قال :

لما أتيتُ جُوانُويَه لم أصادفه فى منزله ، فانتظرتُه حتى جاء ، فلمّا رآنى احتشمنى وكان مجوسيًا ، فأخبرتُه بصناعتى والحالِ التى قصدتُه فيها، فرحّب بى وأفرد لى جَناحا فى داره، ووكّل بى أختَه[1]، فتقدمتْ إلىّ ما أحتاج إليه، فلما كان العَشِىُّ عاد إلى منزله ومعه جماعةٌ من الفُرْس ممّن يُغنّى، فنزلتُ إليه، فجلسنا فى مجلس قد صُفّى[2] لنا فيه نبيذٌ وأُعِدّتْ لنا فاكهة ورَيَاحِينُ، فجلسنا وأخذوا فى شأنهم وضربوا وغنّوا، فلم أجد عند أحدٍ منهم فائدةً ، وبلغتِ النَّوْبةُ إلىّ، فضربتُ وغنّيتُ، فقاموا كلُّهم إلىّ وقبّلوا رأسى، وقالوا : سَخِرتَ منّا، نحن إلى تعليمك لنا أحوجُ منك إلينا، فأقمتُ على تلك الحال أيّاما ، حتى بلَغ محمدَ بن سليمان بن علىّ خبرى ، فوجّه إلىّ فأحضرنى وأمرنى بملازمته، فقلتُ له : أيها الأمير، إنى لستُ أتكسّب بالغناء وإنما ألتذُّ فلذلك تعلّمتُه، وأريد العَوْدَ إلى الكوفة، فلم أنتفع بذلك عنده وأخذنى بملازمته، وسألنى: من أين أنا؟ فانتسبتُ إلى الموصل، فلزِمتنى وعُرِفتُ بها، ولم أزل عنده أثيرًا مكرّما حتى قدِم عليه خادمٌ من خدَم المهدىّ، فلما رآنى عنده قال له : أميرُ المؤمنين أحوجُ إلى هذا منك، فدافَعه عنّى، فلما قدِم الرسولُ على المهدىّ سأله عما رأى فى طريقه ومَقْصِده، فأخبره بذلك حتى انتهى إلى ذكرى فوصَفَنى له، فأمره المهدىّ بالرجوع إلى محمد وإشخاصى إليه، ففعل ذلك وجاء فأشخصنى إلى المهدىّ، فحَظِيتُ عنده وقدّمنى .

أوّل هاشمىّ صحبه وأوّل خليفة سمعه

قال وَسْواسة فى خبره عن إسحاق فحدّثنى أبى قال :

---

(١) فى م : « جارية » . (٢) فى مختار الأغانى لابن منظور (ص ١٠٣ طبع مصر) : « هيّئ » .

كان أوّل هاشمىّ صَحِبته علىُّ[1] بن سليمان بن علىّ أخو جعفر ومحمد ، وكان قتاهم ظَرْفًا ولهوًا وسماحةً ، ووصَفنى له جُوانُويه ومضى بى إليه ، فوقعتُ من قلبه كلَّ مَوْقِع . وأوّلُ خليفة سمِعنى المهدىّ ، وُصِفتُ له فأخذنى من علىّ بن سليمان ، وما سمِع قبلى من المغنّين أحدا سوى فُلَيْح بن أبى العَوْراء وسِيَاط ، فإن الفضل بن الرَّبيع وصلهما به .

نهاه المهدى عن الشرب ومصاحبة ابنيه موسى وهارون فلما أبى ضربه وحبسه

قال إسحاقُ : فحدّثنى أبى قال : كان المهدىّ لا يَشرب فأرادنى على مُلازمته وترك الشرب فأبيتُ عليه ، وكنتُ أغيبُ عنه الأيامَ ، فإذا جئته جئتُه مُنْتَشِيًا ، فغاظَه ذلك منّى فضرَبنى وحبَسنى ، فحذَقتُ الكتابةَ والقراءةَ فى الحبس ، ثم دعانى يوما فعاتَبنى على شربى فى منازل الناس والتَّبذُّل معهم ؛ فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، إنما تعلّمتُ هذه الصناعةَ للذّتى وعِشرتى لإخوانى ، ولو أمكننى تركُها لتركتُها وجميعَ ما أنا فيه لله جلّ وعزّ ؛ فغضِب غضباً شديدا وقال : لا تَدْخل على موسى وهارون ألبتّةَ ، فوالله لئن دخلتَ عليهما لأفعلنّ ولأصنعنّ ؛ فقلتُ : نعم ؛ ثم بلغه أنى دخلتُ عليهما وشربتُ معهما ، وكانا مُستهترَيْن بالنبيذ ، فضربنى ثلثمائة سوط ، وقيّدنى وحبَسنى .

قال أحمدُ بن إسماعيل فى خبره قال عمّى إسحاق فحدّثنى أبى :

أنه كان معهما فى نزهة لهما ومعهم أبَانُ الخادمُ ، فسَعَى بهما وبى إلى المهدىّ وحدّثه بما كنّا فيه ، فدعانى فسألنى فأنكرتُ ، فأمر بى فجُرِّدتُ فضُربت ثلثمائة وستين سوطا ؛ فقلتُ له وهو يضربنى : إن جُرْمى ليس من الأجرام التى يحلّ لك بها سَفْكُ

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « عيسى » وهو تحريف . (راجع المعارف لابن قتيبة ص ١٩٠)

دمي، والله لو كان سرّ ابنيك تحت قدمي ما رفعتُهما عنه ولو قُطعتا ، ولو فعلتُ ذلك لكنتُ في حالة أبانَ السّاعي العبدِ؛ فلمّا قلتُ له هذا ضربني بالسيف في جَفْنه(١) فشجّني به، وسقطتُ مغشيًّا عليّ ساعةً، ثم فتحتُ عينيّ فوقعتا على عينَيِ المهديّ، فرأيتُهما عينَيْ نادمٍ؛ وقال لعبد الله بن مالك : خُذْه إليك . قال : وقَبْل ذلك ما تناول عبد الله بن مالك السوط من يد سَلّام الأبرش فضربني ، فكان ضربُ عبد الله عندي بعد ضرب سَلّام عافيةً، ثم أخرجني عبدُ الله إلى داره وأنا أرى الدنيا في عيني صفراءَ وخضراء [وحمراء](٢) من حرّ السَّوْط ، وأمَره أن يتّخذ لي شبيهًا بالقبر فيصيّرني فيه ؛ فدعا عبدُ الله بكَبْش فذُبح وسُلخ وألبسني جلدَه ليسكن الضربُ ، ودفعني إلى خادم له يقال له أبو عثمان سَعيد التركيّ فصيّرني في ذلك القبر، ووكّل بي جاريةً له يقال لها جَشّة(٣) ؛ فتأذّيتُ بتزّ كان في ذلك القبر(٤) وبالبقّ ، وكان فيه حَلِيٌّ(٥) أستريح إليه، فقلتُ لجشّة: اطلُبي لي آجُرّة عليها لحم وكُنْدُر(٦) يذهب عنّي هذا البقَّ، فأتتني بذلك ، فلما دخّنتُ أظلم القبرُ عليّ وكادت نفسي تخرُج من الغمّ، فآسترحتُ من أذاه إلى التزّ فالصقتُ به أنفي حتى خَفّ الدُّخان ، فلمّا ظننتُ أني قد آسترحتُ ممّا كنتُ فيه، إذا حيّتان مُقبلتان نحوي من شقّ القبر تدُوران حولي بحفيف شديد، فهممتُ أن آخذ واحدةً بيدي اليمنى والأُخرى بيدي

---

(١) جفن السيف : غمده . (٢) زيادة عن م . (٣) في ح : «حسنة» .

(٤) كذا في م ، وهو قريب مما جاء في مختار الأغاني لابن منظور (ص ١٠٤ طبع مصر) فقد ذكر فيه : «فتأذيت بنتن كان في ذلك القبر وبالبق» . وفي سائر الأصول : «فتأذيت بتز عيسى باذ وبالبق في ذلك القبر» . وعيسى باذ : محلة كانت بشرقي بغداد منسوبة الى عيسى بن المهدي، وكانت إقطاعا له .

(٥) كذا في ط ، ء . والحليّ (وزان غنيّ) : يبيس ضرب من الكلأ يسمى النصيّ . وفي سائر الأصول : «وكان فيه خلاء» . (٦) الكندر (بضم فسكون فضم) : اللبان الذكر .

اليسرى فإمّا علىّ و إمّا لى، ثم كُفيتُهما، فدخلنا من الثّقب الذى خرجنا منه، فمكثتُ فى ذلك القبر ما شاء الله، ثم أُخرجتُ منه؛ ووجّهتُ إلى أبى عثمان الخادمِ أسأله أن يبيعنى جَشَةَ لأُكافئها عمّا أولتْنى ففعل، فزوّجتُها من حاجبٍ لى، ولم تزل عندنا . قال إسحاق : مكثتْ عندنا حتى ماتت، و بقيتْ بنتٌ لها يقال لها جُمعة، فزوّجتُها من مولًى لى فى سنة أربع وثلاثين ومائتين .

قال إبراهيم : وقلتُ فى الحبس [وأنا مقيّد](١) :

أَلَا طال ليلِى أُراعى النجوم * أُعالِج فى السّاق كَبْلًا ثقيلا
بدارِ الهَوَانِ وشرِّ الديار * أُسامُ بها الخسفَ صبراً جميلا
كثيرَ الأخلّاء عند الرّخاء * فلمّا حُبستُ أراهم قليلا
لطول بلائى مَلّ الصديقُ * فلا يأمَنَنّ خليلٌ خليلا

قال : ثم أخرجنى المهدىّ وأحلفنى بالطّلاق والعِتاق وكلّ يمين لا فُسْحة لى فيها ألّا أدخلَ على ٱبنيه موسى وهارون أبدا ولا أُغنّيهما، وخلّى سبيلى . قال :

صنع وهو فى الحبس لحنا فى شعر أبى العتاهية

وصنعتُ فى الحبس لحناً فى شعر(٢) أبى العتاهية لمّا حبَسه المهدىّ بسبب عُتْبة، وهو : ٦/٥

صوت

أيا وَيْحَ قلبِي من نَجِيّ البَلَابِلِ * و يا ويحَ ساقِى من قُرُوح السّلاسلِ
و يا ويحَ نفسى وَيْحَها ثم ويحها * ألَمْ تَنْجُ يوماً من شِباك الحبائل
و ياويحَ عَيْنِى قد أضرّبها البُكا * فلم يُغْنِ عنها طِبٌّ ما فى المَكاحِل
ذَرِينى أُعَلِّلْ نفسىَ اليوم إنها * رهينةُ رَمْسٍ فى ثَرًى وجَنادل
ذَرِينى أُعَلَّلْ بالشّراب فقد أرَى * بقيّةَ عيشى هذه غيرَ طائل

(١) زيادة عن حـ . (٢) كذا فى حـ ، م . وفى سائر الأصول : « من شعر ... الخ » .

الشعر لأبي العتاهية، وذكر حمّاد أنه لجدّه إبراهيم. والغناء لإبراهيم رَمَلٌ بالوسطى في الثلاثة الأبيات الأُوَل، وله في البيتين الأخيرين ثقيلٌ أوّل بالوسطى.

طلبه الهادى لما ولى الخلافة وكان استتر منه برا بيمينه للهديّ

قال حمّاد: فلما وَلِيَ موسى الهادي الخلافةَ آستترجدّي منه ولم يَظهر له بسبب الأيمان التي حلّفه بها المهديّ، فكانت منازلُنا تُكبَس في كل وقت وأهلُنا يُروَّعون بطلبه حتى أصابوه فمضَوْا به إليه، فلما عاينه قال: يا سيّدي، فارقتُ أمّ ولدي وأعزّ خلق الله عليّ، ثم غنّاه لحنَه في شعره:

صـــوت

يابنَ خيرِ الملوك لا تَترُكَنّي * غَرَضًا للعدوّ يرمي حِيالي[(1)]
فلقد في هواك فارقتُ أهلي * ثم عرّضتُ مهجتي للزوال
ولقد عِفْتُ في هواك حياتي * وتغرّبتُ بين أهلي ومالي

الشّعرُ والغِناءُ لإبراهيم خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى. قال إسحاق: فموّله[(2)] والله الهادي وخوّله، وبحَسْبك أنه أخذ منه في يوم واحد مائةً وخمسين ألفَ دينار[(3)]، ولو عاش لنا لبنَيْنا حِيطانَ دُورِنا بالذهب والفضة.

ما وصل إليه من الأموال وما تركه وشيء عن مروءته

قال حمّاد قال لي أبي: نظرتُ إلى ما صار إلى جدّك من الأموال والغَلّات[(4)] وثمن ما باع من جواريه، فوجدتُه أربعةً وعشرين ألفَ ألفِ درهم سوى أرزاقه الجارية، وهي عشرة آلاف درهم في كلّ شهر، وسوى غَلّات ضِياعه، وسوى الصِّلات النَّزْرَة التي لم يحفظها؛ ولا والله ما رأيتُ أكمَل مروءةً منه، كان له طعامٌ

---

(١) كذا في ط، ء، م. وفي سائر الأصول: «حبالي» بالباء، وهو تصحيف.

(٢) موّله وخوّله: أعطاه مالا وخولا. (٣) في مختار الأغاني: «درهم».

(٤) في ط، ء، م: «والصلات».

مُعَـدّ فى كل وقت؛ فقلت لأبى : أكان يُمكنه ذلك؟ فقال : كان له فى كل يوم ثلاثُ شِيَاه : واحدةٌ مقطَّعةٌ فى القدور، وأخرى مسلوخةٌ ومعلّقة، وأخرى حيّة، فإذا أتاه قومٌ طَعِمُوا مافى القدور، فإذا فرغتْ قُطّعت الشاة المعلّقة ونُصبت القدور وذُبحت الحيّـة فعلّقت وأُتِىَ بأخرى فجُعلتْ وهى حيّة فى المطبخ؛ وكانت وظيفتُه لطعامه وطِيبه وما يُتّخذ له فى كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يُجرِى وسوى كُسْوته؛ ولقـد آتفق عنـدنا مرّةً من الجـواري الودائع لإخوانه ثمانون جاريةً، مامنهنّ واحدة إلا و يُجْرِى عليها من الطعام والكُسوة والطِّيب مثلَ ما يُجرِى لأخصّ جواريه ، فإذا رُدّت الواحدة منهنّ إلى مولاها وصَلها وكساها، ومات وما فى ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار، وعليه من الدّين سبعمائة دينار قُضِيَتْ منها .

اشترى منه الرشيد جارية وسأل له الحطيطة من ثمنها فكان منه ما دل على سمو نفسه

أخبرنى محمـد بن خَلَف وَكِيعٌ ويحيى بن علىّ بن يحيى وآبن المَـرْزُبان قالوا ٧/٥
أخبرنا حمّاد بن إسحاق قال :

كان أبى يحدّث أن الرشيد آشترى من جَدّى جاريةً بستة وثلاثين ألفَ دينار، فأقامت عنده ليلةً ، ثم أرسل إلى الفضلِ بن الربيع : إنا آشترينا هذه الجاريةَ من إبراهيم ، ونحن نحسب أنها من بابَتِنا[(١)] وليست كما ظننتُها ، وما قَرِبتُها، وقد ثقُل علىّ الثمنُ و بينك و بينه ما بينكما، فآذهب إليه فسَلْه أن يَحُطّنا من ثمنها ستةَ آلاف دينار؛ قال: فصار الفضلُ إليه فآستأذن [عليه][(٢)] فخرج جدّى فتلقّاه؛ فقال : دَعْنى من هذه الكرامة التى لا مُؤْنة بيننا فيها، لستُ ممّن يُخدع ، وقد جئتُك فى أمرٍ أَصْدُقُك عنه، ثم أخبره الخبرَ كلّه ؛ فقال له إبراهيم : إنه أراد أن يبلوَ قَدْرك عندى ؛ قال : ذاك

(١) البابة : الوجه والطريق ، و يقال : هذا شىء من بابتك ، أى يصلح لك (راجع الحاشية رقم ٩ ص ١٧٩ من الجزء الأوّل من هذا الكتاب طبع دار الكتب المصرية) . (٢) زيادة عن م .

أراد! قال: فمالي كلُّه صدقةٌ فى المساكين إن لم أُضعِّفه لك، قد حَطَطْتُك[١] آثنى عشر ألف دينار؛ فرجع الفضلُ إليه بالخبر؛ فقال: وَيْلَك! ادفعْ إلى هذا مالَه، فما رأيتُ سُوقةً قطُّ أنبلَ نفسًا منه . قال أبى : وكنتُ قد أتيتُ جدَّك فقلتُ : ما كان لحطيطةِ هذا المالِ معنًى وماهو بقليل، فتغافَل عنّى وقال: أنت أحمقُ، أنا أعرَفُ الناسِ به ، والله لو أخذتُ المالَ منه كَمَلًا[٢] ما أخذتُه إلا وهو كاره ، و يحقِد ذلك علىّ وكنتُ أكون عنده صغيرَ القَدْر، وقد مَنَنْتُ عليه وعلى الفضل، وآنبسطتْ نفسُه ونَشِط وعظُم قَدْرى عنده، و إنما آشتريتُ الجاريةَ بأربعين ألف درهم، وقد أخذتُ بها أربعة وعشرين ألف دينار، فلما حُمل المالُ إليه بلا حَطيطة دعانى فقال لى : كيف رأيتَ يا إسحاقُ! مَن البصيرُ أنا أم أنت ؟ فقلتُ : بل أنت جعلنى الله فداءك .

حوار الفضل بن يحيى له وقد رآه خارجا من عند الفضل بن الربيع

حدّثنى وَكيع قال حدّثنا حمّاد قال حدّثنى أبى قال :

لَقِىَ الفضلُ بن يحيى أبى وهو خارج من عند الفضل بن الرّبيع، وكانا متجاورَيْن فى الشّمّاسيّة[٣]، فقال : من أين يا أبا إسحاق ؟ أمن عند الفضل بن الربيع؟ قلت : نعم، غيرَ معتذرٍ من ذلك؛ فقال : خروجٌ من عند الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى ! هذان والله أمران لا يجتمعان لك ! فقال : والله لئن لم يكن فىّ ما يتّسع لكما حتى يكون الوفاءُ لكما جميعا واحدا ما فىّ خيرٌ، والله لا أترك واحدا منكما

(١) كذا فى ط ، ى . وفى م : « حطّطه » . وفى سائر الأصول : « حططت » .

(٢) كملا (بفتحتين) أى كاملا وافيا . قال الليث : هكذا يتكلم به فى الجمع والوحدان سواء، لا يثنى ولا يجمع وليس بمصدر ولا نعت وإنما هو كقولك : أعطيه المال كله . (انظر المصباح المنير واللسان مادة كمل) .

(٣) الشماسية : محلة مجاورة لدار الروم التى فى أعلى مدينة بغداد وإليها ينسب باب الشماسية . وفيها كانت دار معز الدولة أبى الحسين أحمد بن بويه .

لصاحبه، فمن قَبِلنى على هـذا قَبِلنى، ومن لم يقبلنى فهو أعلم؛ فقال له الفضل بن يحيى : أنت عندى غير متَّهم، والأمرُ كما قلتَ، وقد قَبِلتُك على ذلك .

كان فى الحبس فذكر للرشيد فأحضره فغناه فوصله

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال حدّثنى أبى :

أن الرشيد غضب عليه فقيّده وحبسه بالرَّقَّة(١)، ثم جلس للشرب يوما فى مجلس قد زيّنه وحسّنه، فقال لعيسى بن جعفر : هل لمجلسنا عيبٌ؟ قال : نعم، غَيْبةُ إبراهيمَ الموصلىِّ عنه؛ فأمر بإحضارى فأُحضِرتُ فى قيودى ، ففُكّتْ عنّى بين يديه ، وأمرهم فناولونى عُودا وقال : غنّنى يا إبراهيم؛ فغنّيته :

تَضَوَّعَ مِسكًا بطْنُ نَعْمانَ(٢) أَنْ مشتْ * به زينبٌ فى نِسْوةٍ خَفِراتِ(٣)

فأستعاده وشرِب وطرِب ، وقال : هَنَأْتَنى يومى وسأُهْنِئُك بالصِّلة ، وقد وهبتُ لك الهَنِيءَ والمَرِىءَ(٤)، فأنصرفتُ ، فلما أصبحتُ عُوِّضتُ منهما مائتى ألف درهم .

نسبة هذا الصوت

صوت

٨/٥

تَضَوَّعَ مِسكًا بطنُ نَعْمانَ أَنْ مشتْ * به زينبٌ فى نِسْوةٍ خَفِراتِ

مَرَرْنَ بفَخٍّ(٥) رائحاتٍ عَشِيّةً * يُلَبِّين للرّحمن مُعْتَمِراتِ

(١) الرقة : مدينة على الجانب الشرقى من الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام . (٢) بطن نعمان : واد بين مكة والطائف كثير الأراك . (٣) فى م : «عطرات» . (٤) يريد أنه أقطعه ضيعتهما ؛ والهنىء والمرىء كما فى ياقوت : نهران بإزاء الرقة والرافقة حفرهما هشام بن عبد الملك وأحدث فيهما مدينة «واسط الرقة» . قال ياقوت نقلا عن البلاذرى : ثم ان تلك الضيعة (أعنى الهنىء والمرىء) قبضت فى أوّل الدولة العباسية وانتقلت الى أم جعفر وزادت فى عمارتها ، ثم قال : وهما يسقيان عدّة بساتين، مستمدهما من الفرات ومصبهما فيه . (٥) فخ : موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال ؛ روى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم اغتسل به قبل دخوله مكة ، وبه كانت وقعة الحسين وعقبة ، وبه مقابر المهاجرين كل من جاور بمكة منهم فمات يوارى هناك . (معجم ما استعجم للبكرى) .

يُخَمِّرْنَ(١) أطرافَ البَنَانِ من التُّقَى * ويَقْتُلْنَ بالألحاظ مُقْتَدِراتِ(٢)
ولمَّا رأتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أعرضتْ * وكُنَّ مِنَ انْ يَلْقَيْنَه حَذِراتِ

الشعر للنُّمَيْرِيِّ(٣) الثَّقَفيّ. والغناء لابن سُرَيج ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق ويحيى المَكّيّ وعمرو بن بانة . وذكر حَبَشٌ أن فيه لعَزَّةَ المَيْلاءِ لحنًا من الثقيل الأوّل .

أنشده يحيى بن خالد بيتا فثناه وغنى فيه فأجازه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد وأحمد بن جعفر جَحْظة قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال، وأخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد جميعا عن إسحاق عن أبيه قال :

رأيت يحيى بن خالد خارجا من قصره الذى عند باب الشَّمَّاسيّة يريد قصرَه الذى بباب البَرَدَانِ(٤) وهو يتمثّل :

صـــوت

هَـوًى بِتِهامةَ وهوًى بنجدٍ * فأَبْلَتْنِى(٥) التَّهائمُ والنُّجودُ

قال أبى : فزِدْتُه عليه :

أُقِيمُ بذا وأَذْكُرُ عهدَ هـذا * فَلِي ما بين ذَيْنِ هوًى جديدُ

---

(١) يخمرن : يغطين . (٢) روى المبرد هذا البيت فى الكامل هكذا :

يخبّئن أطراف البنان من التقى * ويخرجن شطر الليل معتجرات

ومعتجرات : مختمرات بالمعاجر، والمعجر : ثوب تشده المرأة على رأسها . (٣) هو محمد بن عبد الله ابن نمير، شاعر غزل ، من شعراء الدولة الأموية ، مولده ومنشؤه بالطائف . وكان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج بن يوسف ، وله فيها أشعار كثيرة يتشبب بها . وله ترجمة فى الأغانى (ج ٦ ص ٢٤ طبع بولاق) . (٤) البردان (بفتح الباء الموحدة والراء والدال المهملتين) : قرية من قرى بغداد عامرة وهى على شاطئ دجلة الشرقىّ ، و بينها و بين بغداد خمسة فراسخ . (٥) فى م : « فأبكتنى » بالكاف .

قال : وصنعت فيه لحنًا — قال الصُّولىّ فى خبره : وهو من خفيف الثَّقيل — ثم صِرتُ إليه فغنّيته إيّاه ، فأمر لى بألف دينـار وبدابّته التى(١) كانت تحتـه يومئذ بسَرْجِها ولجامها ، فقلت له : جزاك الله من سـيِّد خيرًا ، فإنك تأتى الأنفُسَ وهى شواردُ فتُقِرّها ، والأهواءَ وهى سَقيمة فتُصِحّها ؛ فأمر لى بألف دينار أخرى .

قال إبراهيم : ثم ضَرَب الدهرُ من ضَرْبه(٢) ، فبينا أنا أسير معه إذ لقِيه العبّاس ابن الأحنف ، وكان ساخطا عليه لشىء بلغه عنه ، فترجَّل له وأنشده :

صـــــوت

بالله يا غضبانُ إلّا رَضِيتْ * أذاكرٌ للعهدِ أم قد نسِيتْ

فقال : بل ذاكرٌ يا أبا الفضل ؛ فأضفتُ إلى هذا البيت :

لو كنتُ أبغى غيرَ ماتشتهى * دعوتُ أن تُبْلَى كما قد بُليتْ

وصنعت فيه لحنا — قال الصُّولىّ فى خبره : هو ثقيل أوّل — قال : وغنّيتُه به ، فأمر لى بألفىْ دينار وضحِك ؛ فقلت : من أىّ شىء تضحك ياسـيّدى ؟ لا زلتَ ضاحكا مسرورا ! فقال : ذكرتُ ما جرى فى الصوت الأوّل وأنه كان مع الجائزة دابّةٌ بسرجه ولجامه(٣) ، ولن تنصرف الليـلةَ إلا على مثله ، فقمتُ فقبّلت يدَه ؛ فأمر لى بألفىْ دينار آخرين ، وقال : تلك الكرّة شكرْتَ على الجائزة بكلام فزدناك ، والآن شكرتَ بفعلٍ أوجب الزيادة ، ولولا أنّى مُضيقٌ فى هـذا الوقت لضاعفتُها ، ولكنّ الدهرَ بيننا مستأنَفٌ جديد .

غنى الرشيد فى طريقه إلى طوس بشعر له فاستحسن الغناء دون الشعر

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهدىّ عن أبيه قال :

(١) فى ط ، ء : « بدابته الذى كان ... » والدابة تطلق على المذكر والمؤنث . (٢) أى مرّ من مروره ومضى بعضه . (انظر اللسان مادة ضرب) . (٣) كذا فى ط ، ء ، وهو الذى يوافق الضمير فى : « الا على مثله » . وفى باقى الأصول : « بسرجها ولجامها » .

لمّـا نَزَل الرشـيدُ فى طريقه إلى طُوس[1] بشِـبْداز[2] جلس يشرب عنـده، فكان إبراهيمُ الموصليّ أوّلَ من غنّاه، فآبتدأ بهذا الصوت، والشعرُ له، :

٩/٥

صـــوت

رأيتُ الدِّينَ والدُّنيا * مُقيمَيْن بشِـــبْدازِ
أقاما بينَ حَجّاجٍ[3] * وغازٍ أيّمـا غازِ

— وهو من الثقيل الأوّل — فأمر له بألف دينار، ولم يَستحسن الشعرَ، وقال له : يا إبراهيم صَنْعتُك فيه أحسن من شـعرك؛ فخجل وقال : يا سيّدى شـغَل خاطرى الغناءُ فقلت لوقتى ما حضَرنى؛ فضحك الرشيد من قوله وقال له : صدقتَ .

كان كثير الأصدقاء من الأشراف

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

كان جدُّك محبًّا للأشراف كثيرَ الأصدقاء منـه ، حتى إنْ كان الرشـيدُ لَيَقولُ كثيرا : ما أعرف أحدًا أكثرَ أصدقاءَ من إبراهيم .

كان مع الغناء كاتبا وشاعرا وخطيبا

قال إسحاق : وما سمعتُ أحسنَ غناءً من أربعة : أبِى، وحَكَمٍ الوادى، وفُلَيْحِ ابن أبى العَوْراء، وسِيَاط؛ فقلت له : وما بلغ من حِذْقهم ؟ قال : كانوا يصنعون فيُحسنون، و يؤدّون غناءَ غيرِهم فيُحسنون؛ فقلت : فأيّهم كان أحذق؟ قال: كانوا

---

(١) طوس (بضم أوّله وسين مهملة) : مدينة معروفة ما بين الرىّ ونيسابور فى أوّل عمل خراسان وفيها دفن هارون الرشيد . قال ابن حوقل : وعلى ربع فرسخ منها قبر على بن موسى الرضا . (٢) كذا فى ط ، ء . وشبداز : موضع بين حلوان وقرميسين تبعد عن قرميسين يسرة بأقل من فرسخين . وفى سائر الأصول : « شيراز » وهو تحريف . (راجع معجم البلدان فى الكلام على شبداز والمسالك والممالك لابن خرداذبه فى كلامه على الطريق من مدينة السلام الى أقاصى خراسان ص ١٨ طبع مدينة ليدن) .

(٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « أقاما مع حجاج » . والحجاج : الكثير الحج . يريد أن الدين والدنيا قد اجتمعا للرشيد الذى كان كثير الحج والغزو .

بمنزلة خطيب أو كاتب أو شاعر يُحسن صناعته ، فإذا انتقل عنها إلى غيرها لم يبلُغ منها ما يبلُغ من صناعته ، وكان جدُّك كرجل مفوَّه ، إن خطب أجْزل ، وإن كتب رسالة أحْسن ، وإن قال شعرا أحْسن ، ولم يكن فيهم مثلُه .

هو أوّل من علم الجوارى الحسان الغناء وشعر أبى عيينة فى ذلك

أخبرنى الحسين بن يحيى قال حدّثنا حمّاد عن أبيه ، وأخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذْبه ، وأخبرنى إسماعيل بن يونس عن عُمر بن شبّة جميعا عن إسحاق قال :

لم يكن الناس يعلّمون الجاريةَ الحسناء الغناءَ ، وإنما كانوا يعلّمونه الصُّفْرَ والسُّودَ ؛ وأوّل من علّم الجوارىَ المُثمّناتِ أبى ، فإنه بلغ بالقيان كلَّ مَبلغ ، ورفع من أقدارهنّ . وفيه يقول أبو عُيَيْنة بن محمد بن أبى عُيَيْنة المهلّبىّ وقد كان هوِى جاريةً يقال لها أمان فأغلَى بها مولاها السَّوْمَ ، وجعل يردّدها إلى إبراهيم وإسحاق ابنه فتأخذ عنهما ، فكلما زادت فى الغناء زاد فى سَوْمه ، فقال أبو عُيَينة :

قلتُ لمّا رأيتُ مولَى أمانٍ * قد طَغَى سومُه بها طُغْيانَا
لا جَزَى اللهُ المَوْصلىّ أبا إسـ * ـحاقَ عنّا خيراً ولا إحسانَا
جاءنا مُرسَلا بوَحْيٍ من الشيـ * ـطان أغلَى به علينا القِيانا
من غِناءٍ كأنه سَكَرات الـ * ـحبّ يُصْبِى القُلوبَ والآذانا

شعر ابن سيابة فيه

وقال فيه ابن سيابةَ[1] :

صــوت

ما لإبراهيمَ فى العِلْـ * ـمِ بهذا الشأن ثانِى
إنما عُمْر أبى إسـ * ـحاق زَيْنٌ للزمانِ

(١) هو إبراهيم بن سيابة مولى بنى هاشم ، وله ترجمة فى الجزء الحادى عشر من الأغانى طبع بولاق .

جَنّــةُ الدُّنيــا أبو إسـ * ـحاق في كلّ مكانِ
فإذا غَــنَّى أبو إسحا * ق أجابتْــه المَثَــاني[1]
منــه يُجْنَى ثَمَــرُ اللهـ * ـو وريحـانُ الجَنَـانِ

لإبراهيم في هذا الشعر لحنان : خفيفُ ثقيل بالبنصر، وخفيفُ رَمَل بالوسطى عن عمرو والهِشَاميّ .

شعر أبي العتاهية فيه وهو محبوس

أخبرني عمّي عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي دِعَامة[2] قال :

كان سَلْمٌ الخاسر عند أبي العتاهية، فأخبره سلم أنّ الرشيد حبَس إبراهيم الموصليّ في المُطْبِق[3]، فأقبل عليه أبو العتاهية فقال :

سَــلْمُ ياسَــلْمُ ليس دونك سِــتْرُ[4] * حُبِس المَوْصِــلِيُّ فالعيشُ مُرُّ
مااستطابَ اللّذاتِ مُذْ سَكَنَ المُطْـ * ـبِقَ رأسُ اللّذات في النـاس حُرُّ
تَرَكَ الموصِــليُّ مَنْ خَلَق اللهُ جميعـا وعيشُهــم مُقْشَــعِرُّ
حُبِس اللهوُ والسرور فمـا في الـ * أرض شيءٌ يُلْهَى به أو يُسَــرُّ

١٠/٥

وأنشــدني بعضُ أصحابنا عن ابن المَرْزُبان عن أحمــد بن أبي طاهر عن ابن أبي فَنَن لأبي العتاهية يخاطب إبراهيم الموصليّ لمّا حُبس :

أيا غَمِّي لغَمِّــك يا خليــلي * ويا وَيْــلي عليك ويا عَوِيلي
يَعِــزُّ عليّ أنّــك لا تراني * وأنّي لا أراكَ ولا رســولي
وأنك في محلّ أذًى وضَنْكٍ * وليس إلى لقــائك من سبيلِ
وأني لستُ أملِك عنك دفعًا * وقد فُوجِئتَ بالخَطْب الجليل

(١) سهل الهمز في «إسحاق» لضرورة الشعر . (٢) هو علي بن يزيد أبو دعامة ، وقد مر في الجزء الرابع من هذا الكتاب ص ٨ طبع دار الكتب المصرية . (٣) المطبق : السجن تحت الأرض .
(٤) في حـ : «سرّ» .

قصته مع إبراهيم ابن المهدى فى لحن غناه عند الرشيد

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثنا عبد الله بن عمر قال حدّثنى أبو تَوْبة صالحُ بن محمد عن القَطِرانىّ المغنّى عن محمد بن جبر، وكان المهدىّ رباه، قال حدّثنى إبراهيم بن المهدىّ قال :

انصرفتُ ليلةً من الشَّمّاسيّة فمررتُ بدار إبراهيمَ الموصلىّ، وإذا هو فى رَوْشَن[1] له وقد صنَع لحنه :

أَلَا رُبَّ نَدمانٍ علىّ دموعُه * تَفِيضُ على الخدّين سَحًّا سُجُومُها[2]

وهو يُعيده ويلعَب به بنَغَمه ويُكرِّره لتَسْتَوِى له أجزاؤه، وجواريه يضربْن عليه، فوقفتُ تحت الرَّوْشَن حتى أخذتُه ثم انصرفت إلى منزلى، فما زلتُ أعيده حتى بلغتُ فيه الغايةَ، وأصبحتُ فغدوتُ إلى الشَّمّاسيّة وٱجتمعنا عند الرشيد، فٱندفع إبراهيم فغنّاه أوّلَ شىء غنّى، فلمّا سمعه الرشيد طرِب وٱستحسنه وشرب عليه، ثم قال له : لمن هذا يا إبراهيم؟ قال : لى ياسيِّدى، صنعتُه البارحة؛ فقلت : كذَب يا أمير المؤمنين، هذا الصوت قديمٌ وأنا أُغنّيه؛ فقال لى : غَنّه ياحبيبى، فغنّيتُه كما غنّاه؛ فبُهِت إبراهيمُ وغضِب الرشيد، وقال له[3] : يابن الفاجرة! أتكذِبنى وتدّعى ما ليس لك!. قال : فظلّ ابراهيمُ بأسوأ حال؛ فلمّا صلّيتُ العصر قلت للرشيد : يا أمير المؤمنين، الصوتُ وحياتِك له وما كذَب، ولكنّى مررتُ به البارحةَ وهو يردّده على جارية له فوقفتُ حتى دار لى وٱستوى فأخذتُه منه؛ فدعا به الرشيد ورضى عنه، وأمر له بخمسة آلاف دينار .

---

(١) الروشن : خشب يخرج من حائط الدار الى الطريق ولا يصل الى جدار آخر يقابله وهو الشرفة .

(٢) سجوم الدمع : سيلانه كثيرا كان أو قليلا . (٣) فى الأصول ما عدا حـ : «وقال لى يابن الفاجرة» ولا يستقيم به الكلام . وكلمة "لى" ساقطة من حـ .

نسبة هذا الصوت

صوت

ألا رُبَّ نَدْمانٍ علىَّ دموعُه * تَفِيضُ على الخَدَّين سَحًّا سُجُومُها
حَلِيمٍ إذا ما الكأسُ دارتْ وهَرَّها[(١)] * رجالٌ لديها قد تَخِفّ حُلومُها

الغناء لإبراهيمَ رَمَلٌ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق .

قصته مع إبراهيم ابن المهدى وابن جامع عند الرشيد

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا أبى عن طَيَّاب[(٢)] بن إبراهيم الموصلىّ قال : كان إبراهيم بن المهدىّ يُقدِّم ابنَ جامع ولا يُفضِّل عليه أحدا ، فأخبرنى إبراهيم ابن المهدىّ قال : كنّا فى مجلس الرشيد وقد غلَب النبيذُ على ابن جامع ، فغنّى صوتا فأخطأ فى أقسامه ، فألتفت إلىّ إبراهيمُ فقال : قد خَرِى[(٣)] قد خرى أستاذك فيه ! وفهمتُ صدّقه فيما قال ، قال : فقلت له : انتَبِهْ أيها الشيخ وأعِدِ الصوت ، ففَطِن وأعاده وتحفّظ فيه وأصاب ، فغضب إبراهيم وأقبل علىّ فقال :

١١ / ٥

أُعلِّمه الرِّماية كلَّ يومٍ * فلمّا اسْتَدّ[(٤)] ساعدُه رمانى

وتنكّر لى وحلَف ألّا يكلّمنى ، فقلت للرشيد بعد أيام : إنّ لى حاجةً ، قال : وما هى؟ قلت : تأمر إبراهيمَ الموصلىّ أن يرضى عنّى ويعودَ إلى ما كان عليه ، فقال :

---

(١) هرّ فلانٌ الكأس : كرهها . (٢) كذا فى أكثر الأصول هنا وفيما يأتى فى جميع الأصول فى أكثر من موضع . وفى ط ، ء هنا : « طباب » بالباء الموحدة من تحت . (٣) فى حـ : « قد خزى أستاذك فيه » بالزاى وبدون تكرار . (٤) كذا فى ط ، ء ، مـ وإحدى روايتى حـ ، وهى الرواية المشهورة . واستدّ : استقام . وفى سائر الأصول « اشتدّ » بالشين المعجمة . قال الأصمعىّ : اشتدّ بالشين المعجمة ليس بشىء . وقال ابن برّى : هذا البيت ينسب الى معن بن أوس قاله فى ابن أخت له . وقال ابن دريد : هو لمالك بن فهم الأزدى ، وكان اسم ابنه سليمة ، رماه بسهم فقتله فقال البيت . قال ابن برّى : ورأيته فى شعر عقيل بن علفة يقوله فى ابنه عميس حين رماه بسهم . وبعده :

فلا ظفرت يمينك حين ترمى * وشلت منك حاملة البنان

ومَنْ إبراهيم حتى يُطلب رضاه ! فقلت : يا أمير المؤمنين، إن الذى أُريده منه لا يُنالَ إلا برضاه؛ فقال : قم إليه يا إبراهيم فقبِّل رأسه؛ [فقام إلىّ ليقبّل رأسى]؛ فلما أكبَّ علىّ قال : تَعُود ؟ قلت : لا؛ قال : قد رضيتُ عنك رِضًا صحيحا، وعاد إلى ما كان عليه .

خرج مع الرشيد الى الحيرة وغناه فأجازه

أخبرنى أبو الحسن أحمد بن يحيى بن علىّ بن يحيى قال : سمعتُ جدّى عليًّا يحدّث عن إسحاق قال :

قال أبى : خرجتُ مع الرشيد إلى الحيرة، فساعةَ نَزل بها دعا بالغداء فتغدّى ثم نام، فاغتنمتُ قائلته فذهبتُ فركبت أَدُور فى ظهر الحيرة، فنظرت إلى بستان فقصدته فإذا على بابه شابٌّ حسن الوجه، فآستأذنته فى الدخول فأذن لى، فدخلت فإذا جَنّة من الجنان فى أحسن تُرْبة وأغزرِها ماءً، فخرجتُ فقلت له : لمن هذا البستان؟ فقال : لبعض الأَشاعِثة؛ فقلت له : أيباع؟ فقال : نعم وهو على سَوْم؛ فقلت : كم بلغ؟ فقال : أربعةَ عشرَ ألفَ دينار؛ قلت : وما يُسَمَّى هذا الموضع ؟ قال : شُمَارَى؛ فقلت :

صــــوت

جِنانَ شُمَارَى ليس مثلَكِ مَنْظَرٌ * لذى رَمَدٍ أعيا عليه طبيبُ
تُرابُكِ كافورٌ ونَوْرُكِ زهرةٌ * لما أَرَجٌ بعد الهُدُوّ يطيب

(١) فى حـ ، م : «تطلب» . (٢) الزيادة عن م . (٣) الأشاعثة : منسوبون الى الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندى أبى محمد الصحابى، وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه وعن عمر رضى الله عنه، ونزل الكوفة ومات بها فى آخر سنة أربعين هجرية وهو ابن ثلاث وستين سنة . (٤) فى حـ : «ونبتك» . (٥) فى حـ : «وطيب» .

قال : وحَضَرتْني فيه صَنْعةٌ حسنة ؛ فلما جلس الرشيد وأمر بالغناء غنّيته إياه أوّلَ ما غنّيتُ ؛ فقال : وَيْلَكَ ! وأين شُمَارَى ؟ فأخبرته القصّة ، فأمر لى بأربعةَ عشرَ ألفَ دينار ؛ وغمزنى جعفر بن يحيى فقال : خذ توقيعَه بها إلىّ ؛ وتشاغل الرّشيدُ عنّى ، فأعدتُ الصوتَ ، فقال : وَيْلَكم ! أَعطُوا هذا دنانيره ؛ فوثبتُ وقلت : يا سيّدى ، وَقِّع لى بها الى جعفر بن يحيى ؛ فقال : أفعلُ ، ووقّع لى بها إليه ؛ فلمّا حصَل التوقيعُ عند جعفر أطلق لى المالَ وخمسةَ آلاف دينار من عنده ؛ فلما حصَلَ المالُ عندى كان أحبَّ إلىّ وأحسنَ فى عينى من شُمَارَى .

عرض الرشيد أبياتا ليجيزها الشعراء ثم أمره فغنى فيها

أخبرنى[1] جعفر بن قُدَامة قال أخبرنى أبو العَيْناء قال :

خرج الفضلُ بن الرَّبيع يوماً من حضرة الرشيد ومعه رقعةٌ فيها أربعة أبيات ، فقال : إن أمير المؤمنين يأمر كلَّ مَن حضَر ممن يقول الشعر أن يُجيزها ، وهى :

أَهْدَى الحبيبُ مع الجَنُوب سلامَه * فَارْدُدْ إليه مع الشَّمال سلامَا
واعرِفْ بقلبك ما تَضَمَّن قلبُه * وتَداوَلَا بهوا كما الأيّاما
وإذا بكيتَ له فأيقِنْ أنه * ستجود أدْمُعه عليك رِهَاما[2]
فاحبِس دموعَك رحمةً لدموعه * إن كنتَ تحفظُ أو تَحُوط ذِماما

فلم يوجد من يُجيزها ، فأمر إبراهيمَ فغنّى فيها لحناً من خفيف الثقيل .

١٢/٥

انقطع عن الرشيد فى سفره عند خمار وشعره فى ذلك

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى أبو العبّاس البصرى[3] قال حدّثنى عبدالله بن الفَضْل بن الرَّبيع قال سمعت أبى يقول :

(١) هذا الخبر الذى يبتدئ من قوله : « أخبرنى جعفر » الى قوله : « لحنا من خفيف الثقيل » ساقط من ط ، ء ، م .
(٢) الرهام : جمع رهمة (بالكسر) وهى المطر الضعيف .
(٣) فى حـ : «النصرى» بالنون .

لمّـا خرج الرشـيدُ إلى الرَّقّة[1] أخْرَج معه إبراهيمَ الموصلىّ ، وكان به مشغوفا ، ففقده فى بعض المنازل أيّاما وطلبه فلم يُخبره أحد بقصّـته ، ثم أتاه ، فقال له : وَيْحك ! ما خبرُك وأين كانت غَيْبتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين، حديثى عجيب ، نزلنا بموضع كذا وكذا، فوُصِف لى خَمّارٌ، من ظَرْفه ومن نظافة منزله كيت وكيت، فتقـدّمتُ أمام ثَقَلى[2] وأتيته مُخِفًّا ، فوافيتُ[3] أطيبَ منزل وأوسـعَ رَحْل وأطيبَ طعام وأسخى نفْس، من شابٍّ حسن الوجه ظريف العِشْرة، فأقمت عنده، فلمّـا أردتُ اللَّحاق بأمير المؤمنين أقْسم علىّ وأخرج لى من الشراب ما هو أطيبُ وأجود مما رأيت ، فأقمت ثلاثا، ووهبتُ له دنانير كانت معى وكُسوةً، وقلت فيه :

صـــوت

سَقْيًا لمنزل خَمّـارٍ قَصَفْتُ[4] به * وَسْط الرُّصافة يومًا بعـد يومينِ
ما زلتُ أرهَنُ أثوابى وأشْرَبُهـا * صفراءَ قد عُتِّقتْ فى الدَّنّ حَوْلين
حتى إذا نَفِـدتْ منّى بأجمعها * عاودتُـه بالرِّبا دَنًّا بدَنَّيْن
فقال «إزَلْ بشِين» حين ودَّعنى * وقد لَعَمْـرُك زُلْنا عنـه بالشَّيْنِ

— الشعر والغناء لإبراهيم خفيفُ رمل بالبنصر . قوله : "إزَلْ بشِين" كلمة سريانية ، تفسيرها : اِمْضِ بسلام، دعا له بها لمـا ودّعه — قال إبراهيم : فقال لى الرشيد : غَنّنى هذا الصوتَ، فغنّيتُه إيّاه وزَمَر عليه بَرْصُوما، فوهبَ لى الرشيد مائة ألف درهم وأقطعنى ضَيْعة ، وبعث إلى الخمّـارِ فأُحْضِر[5]، وأهْدى إلى الرشيد من ذلك الشراب فوصَله، ووهَب له إبراهيمُ عشرةَ آلاف درهم .

(١) فى حـ : «الكوفة» . (٢) الثقل (وزان سبب) : متاع المسافر وحشمه وكل شىء نفيس مصون . (٣) كذا فى م . وفى طـ ، ء : «فأتيت» . وفى سائر الأصول : «فوافقت» ، وهو تحريف . (٤) أنظر الحاشية رقم ٤ ص ١٥٦ من هذا الجزء . (٥) كذا فى طـ ، ء . وفى سائر الأصول : «فأحضره» .

قصة مع ابن جامع ورؤياه

أخبرنى الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيَد ووكيع قالوا جميعا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى أبى قال :

قال ابن جامع يومًا لأبى : رأيتُ فى منامى كأنّى و إيّاك راكبان فى محمِل، فسَفُلْتَ حتى كدتَ تَلْصَق بالأرض، وعلا الشِّقّ الذى أنا فيه، فَلأَعْلُوَنَّك فى الغناء؛ فقال إبراهيم : الرؤيا حقٌّ والتأويل باطل، إنّى و إيّاك كنّا فى ميزان، فرجحتُ بك وشالتْ كِفَّتُك وعلوتَ فلَصِقتُ بالأرض ، فلأَبْقَيَنّ بعدك ولتموتنّ قبلى . قال إسحاق : فكان كما قال أبى، علا عليه وأفاد أكثر من فوائده، ومات ابن جامع قبله وعاش أبى بعده .

ألقى على جارية عبد الله بن الربيع صوتا أعجب ابن جامع فأخذ يستميدها إياه

أخبرنى عبد الله بن الرَّبيع الرَّبيعىّ(1) قال حدّثتنى خَديجة بنت هارون بن عبد الله بن الرَّبيع قالت حدّثتنى خمار جارية أبى — وكانت قُنْدُهارِيّة(2) ، اشتراها جدّى عبد الله وهى صَبِيّة رَيِّض(3) من آل يحيى بن مُعَاذ بمائتى ألف درهم — قالت :

ألقى علىّ إبراهيمُ الموصلىّ لحنَه فى هذين البيتين :

صـــوت

إذا سَرّها أمرٌ وفيـــه مَساءتى * قضيتُ لها فيما تريد على نفسِى
وما مَرّ يومٌ أرتجى فيـــه راحةً * فأذكُرَه إلّا بكيتُ عـــلى أمسِ

(1) فى ط : « قـار » . (2) قندهارية : نسبة إلى قندهار، وهى بلد من بلاد السند أو الهند مشهورة فى الفتوح . (3) الرّيض كسيد : الدابة أوّل ما تراض، يطلق على الذكر والأنثى، يقال : غلام ريض، وناقة ريض .

ـ الشعر لأبى حَفْص الشِّطْرَنجى[١]، والغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ـ

١٣/٥ فسمعنى ابن جامع يومًا وأنا أُغَنِّيه، فسألنى: ممن أخذتَه؟ فأخبرتُه؛ فقال: أَعِيديه، فأعدتُه مِرَارا، وما زال ابن جامع يتنغَّم[٢] به معى حتى ظننت أنه قد أخذه، ثم كان كلما جاءنا قال لى: ياصَبِيَّةُ، غَنِّى ذلك الصوت، فكان صوتَه علىّ.

قصته مع مخارق فى أخذه دراهم من يحيى البرمكى وأولاده

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنى عمر بن شَبَّة قال قال مخارق:

أذِن لنا أمير المؤمنين الرشيدُ أن نُقيم فى منازلنا ثلاثةَ أيّام، وأعلمنا أنه مشتغل فيها مع الحُرَم، فمضى الجلساء أجمعون إلى منازلهم ـ وأخبرنى وَسْواسة وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلىّ بهذا الخبر فقال حدّثنى أبى عن أبيه عن مُخارق قال: اشتغل الرشيد يوما واصطبح مع الحُرَم وقد أصبحتِ السماء مُتغيِّمة، فانصرفنا إلى منازلنا. ولم يذكر فى الخبر ما ذكره عمر بن شَبّة مما قدمتُ ذكره، واتفقا هاهنا فى أكثر الحكايات، واللفظ فأكثره لرواية ابن الموصلىّ ـ قال مخارق: وأصبحت السماء مُتغيِّمة تَطِشّ طَشًّا خفيفا، فقلت: والله لأذهبنّ إلى أستاذى إبراهيمَ فأعرف خبره ثم أعود، فأمرتُ مَنْ عندى أن يُسَوُّوا مجلسًا لنا إلى وقت رجوعى؛ فجئت إلى إبراهيمَ الموصلىّ فإذا البابُ مفتوح والدِّهليز قد كُنِس والبوّاب قاعد؛ فقلت: ما خبر أستاذى؟ فقال: ادخُل، فدخلت فإذا هو جالس فى رِواق له وبين يديه قُدورٌ تُغَرغِر[٣] وأباريق تَزْهَر، والستارة منصوبة والجوارى خَلْفَها، وإذا قُدّامَه طَسْتٌ فيه رِطْلِيّة وكوزٌ وكأس، فدخلت أترنَّم ببعض الأصوات، وقلت له: ما بالُ

(١) هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز مولى بنى العباس، نشأ فى دار المهدى وتأدّب وكان لاعبا بالشطرنج مشغوفا به فلقب به لغلبته عليه، فلما مات المهدى انقطع الى علية ابنته. وله ترجمة فى الجزء التاسع عشر من الأغانى طبع بولاق. (٢) تنغم المغنى: طرّب فى الغناء.

(٣) غرغرت القدر: صاتت عند الغلى.

الستارة لستُ أسمع من ورائها صوتا ؟ فقال : اقعُد وَيْحَك ! إنى أصبحت على الذى ظننتَ، فأتانى خبرُ ضَيْعة تجاورنى، قد والله طلبتُها زمانًا وتمنّيتها فلم أملكها، وقد أُعْطِىَ بها مائةُ ألف درهم ؛ فقلت : وما يمنعك منها ؟ فوالله لقد أعطاك الله أضعافَ هذا المال وأكثر ؛ قال : صدقتَ، ولكن لستُ أطِيب نَفْسا أن أُخرِج هذا المال؛ فقلت : فمن يُعطيك الساعةَ مائةَ ألف درهم ؟ والله ما أطمع فى ذلك من الرشيد، فكيف بمن دونه ! فقال : اجلس، خذ هذا الصوت، ونَقَر بقضيب معه على الدواة وألقى علىّ :

صــــوت

نام الخَلِيُّــون من همٍّ ومن سَقَمِ * وبِتُّ من كَثْرة الأحزان لم أنَمِ

يا طالبَ الجود والمعروف مُجتهدًا * اِعْمِدْ ليحيى حليف الجود والكرم

— الشعر لأبى النضير(١)، والغناء لإبراهيم الموصلىّ ثقيل أوّل بالبنصر — قال : فأخذتُه فأحكمتُه، ثم قال لى : اِمضِ الساعةَ إلى باب الوزير يحيى بن خالد ، فإنك تجد الناس عليه وتجد الباب قد فُتح ولم يجلس بعدُ ، فآستأذِنْ عليه قبل أن يَصِل إليه أحد ، فإنه سيُنكِر عليك مجيئك ويقول : من أين أقبلتَ فى هذا الوقت ؟ فحدِّثه بقصدك إياى وما ألقيتُ إليك من خبر الضَّيْعة ، وأعلِمه أنى صنعتُ هذا

(١) ورد هذا الاسم فى حـ : «لأبى النضر» . وفى سائر الأصول : «لأبى بصير» ، وكلاهما تحريف عن «أبى النضير» . واسمه عمر بن عبد الملك البصرى مولى بنى جمح ، شاعر من شعراء البصرة صالح المذهب ليس من المعدودين المتقدمين ولا من المولدين الساقطين ، وكان يغنى بالبصرة على جوارله مولدات ، ويظهر الخلاعة والمجون والفسق ، ويعاشر جماعة ممن يعرف بذلك الشأن ، وكان أبان اللاحق يعاشره ثم تصارما وتهاجيا وهجا جواريه وافترقا على قلى ؛ ثم انقطع أبو النضير الى البرامكة فأغنوه الى أن مات . (راجع ترجمته فى الأغانى ج ١٠ ص ١٠٠ طبع بولاق) .

الصوت وأعجبنى ، ولم أرَ أحدًا يستحقه إلا فلانةَ جاريتَه ، وأنى ألقيتُه عليك حتى أحكمْتَه لتطرحَه عليها ؛ فسيدعو بهـا ويأمر بالسِّتارة أن تُنْصَب ويُوضع له كرسىّ ويقول لك : أطْرَحْه عليها بحضرتى ، فافعل وأْتنى بالخبر بعد ذلك . قال : فجئتُ بابَ يحيى فوجدتُه كما وَصَف ، وسألنى فأعلمتُـه ما أمرنى به ، ففعل كلَّ شىء قاله لى إبراهيم ، وأحضَر الجـارية فألقيتُه عليهـا ؛ ثم قال لى : تُقيم عنـدنا يا أبا المهنّأ أو تنصرف ؟ فقلت : أنصرف أطال الله بقاءَك فقد علمتَ ما أُذِن لنا فيه ، قال : يا غلام ، احمِلْ مع أبى المهنّأ عشرةَ آلاف درهم ، واْحمِلْ إلى أبى إسحاق مائةَ ألف درهم ثمنَ هذه الضَّيْعة ، فحُمِلَتِ العشرةُ الآلاف الدرهم إلىّ ، وأتيتُ منزلى فقلت : أَسَرّ يومى هذا وأُسُرّ من عندى ، ومضى الرسول إليه بالمـال ؛ فدخلتُ منزلى ونثَرتُ على من عنـدى من الجوارِى دراهمَ من تلك البَـدْرة ، وتوسّدتُها وأكلتُ وشربت وطرِبت وسُررت يومى كلَّه ؛ فلمـا أصبحتُ قلتُ : والله لآتينّ أُستاذى ولأعرِفنّ خبره ، فأتيتُه فوجدت البابَ كهيئته بالأمس ، ودخلتُ فوجدته على مثـل ما كان عليـه ، فترنّمت وطَرِبتَ فلم يتلقّ ذلك بمـا يجب ؛ فقلت له : ما الخبر ؟ ألم يأتك المـال ؟ قال : بلى ! فمـا كان خبرُكَ أنت بالأمس ؟ فأخبرته بمـا كان وُهب لى وقلت : ما ينتظر من(١) خلفَ الستارة ، فقال : ارفع السَّجْف فرفعتُه فإذا عشر(٢) بِدَر ؛ فقلت : وأىّ شىء بقِى عليك فى أمر الضيعة ؟ قال : وَيْحك ! ماهو والله إلا أن دخلتْ منزلى حتى شَحِحْتُ عليها فصارت مثلَ ما حَويتُ قديمـا ؛ فقلت : سبحان الله العظيم ! فتصنع ماذا ! قال : قم حتى أُلقِيَ عليـك صوتًا صنعتُه يفـوق ذلك الصوت ؛ فقمتُ وجلستُ بين يديه ، فألْقَى علىّ : ١٤/٥

---

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « ما كان ينتظر من خلف الستـارة » وعبارة نهـاية الأرب (ج ٤ ص ٢٥٤ طبع دار الكتب المصرية) : « فأخبرته بما كان وقلت : ما تنتظر ؟ فقال : ارفع السجف ... الخ » . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «عشرة» بتأنيث العدد .

صـــوت

ويَفْرَح بالمـــولود من آل بَرْمَكٍ * بُغاةُ النَّدَى والسيفُ والرمحُ ذو النصلِ[1]
وتَنْبسط الآمالُ فيـــه لفضـــله * ولا سيما إن كان من وَلَدِ الفَضْلِ

ـــ الشعرُ لأبى النَّضير[2]. والغناءُ لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن الهِشَامىّ، وذكر عمرو بن بانة أنه لإسحاق، وهو الصحيح . وفيه خفيف ثقيـــلٍ ، أظنه لحن إبراهيم. أخبرنى إسماعيل بن يونس عن عمر بن شَـبَّة عن إسحاق أن أباه صنع هذا الصوت فى طريقة خفيف الثقيـــل وعَرَضه على الفَضْل، فآستحسنه وأمر مخارقا بإلقائه على جواريه فألقاه على مراقش وقَضيبَ فأخذتاه عنـــه ـــ قال مُخارِق : فلما ألقى علىّ الصوتَ سمعت ما لم أسمع مثـــلَه قطُّ، وصغُر عندى الأوّل فأحكمْتُه؛ ثم قال : انهض الساعةَ إلى الفَضْـــل بن يحيى، فإنك تجِـــدُه لم يأذن لأحد بعـــدُ، وهو يريد الخَلْوة مع جواريه اليوم، فآستأذِنْ عليه وحدِّثه بحديثنا أمس، وما كان من أبيه إلينا و إليك. وأعلمه أنّى قد صنعتُ هذا الصوتَ وكان عندى أرفعَ منزلةً من الصوت الذى صنعتُـــه بالأمس ، وأنى ألقيته عليك حتى أحكمْتَه ووَجَّهْتُ بك قاصدًا لتلقيه على فلانةَ جاريتـــه ؛ فصِرتُ الى باب الفَضْـــل فوجدتُ الأمر على ما ذكَرَ، فآستأذنتُ فوصلتُ، وسألنى : ما الخبر؟ فأعلمتُه بخَبَرى فى اليوم المـــاضى وما وصل إلىّ واليه من المـــال؛ فقال : أخزَى الله إبراهيمَ فمـــا أبخله على نفسه!؛ ثم دعا خادما فقال : اضرب السِّتارة فضربها ، فقال لى : أَلْقِه ، فلمّا غنّيتُه لم أُتِمّه حتى أقبَـــل يَجُرّ مِطْرَفَه ، ثم قعـــد على وِسادة دون السِّـــتارة، وقال : أحْسَنَ والله

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « بغاة الندى والسيف والرمح والنصل » وكذلك فى نهاية الأرب (ج ٤ ص ٣٥٤ طبع دار الكتب المصرية) والقافية فيـــه مرفوعة ، وآخر البيت الثانى فيـــه : «ولا سيما إن كان والده الفضل» .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٧٩ من هذا الجزء .

أستاذُك وأحسنتَ أنتَ يا مخارق ؛ فلم أخرج حتى أخذَتْه الجاريةُ وأحكمتْه ، فسُرَّ بذلك سرورا شديدا، وقال : أقِم عندى اليوم ؛ فقلت : يا سيدى إنما بقى لنا يومٌ واحد، ولولا أنّى أُحبّ سرورَك لم أخرج من منزلى؛ فقال : يا غلام آحمِل مع أبى المهنأ عشرين ألف درهم وآحمل إلى إبراهيم مائتى ألف درهم؛ فانصرفتُ إلى منزلى بالمـال ، ففتحتُ بَدْرة فنثرت منها على الجوارى وشربت وسُررت أنا ومن عندى يومَنا؛ فلما أصبحتُ بكَّرتُ إلى إبراهيمَ أتعرّف خبَره وأُعرِّفه خبَرى ، فوجدتُه على الحال التى كان عليها أوّلًا وآخرا، فدخلتُ أترنّم وأُصفِّق ؛ فقال لى : ادْنُ؛ فقلت : ما بقى؟ فقال : اجلس وآرفع سَجْف هذا الباب فإذا عشرون بَدْرة مع تلك العشر[(١)] ؛ فقلت : ما تنتظر الآن؟ فقال : وَيْحَـك! ما هو والله إلا أن حصلتْ حتى جرتْ مجرى ما تقدّم؛ فقلتُ : والله ما أظن أحدا نال فى هـذه الدولة ما نلتَه! فلِمَ تَبْخَل على نفسـك بشىء تمنّيتَه دهرًا وقد ملّكك اللهُ أضعافَه ! ثم قال : اجلس فخُـذ هذا الصوتَ، وألْقَى علىّ صوتًا أنسانى والله صوتَىَّ الأوّلَيْن :

صـــــوت

أفى كلّ يومٍ أنتَ صبٌّ وليـــلةٍ * إلى أمّ بكرٍ لا تُفيـــق فتُقْصِرُ
أُحِبّ على الهِجران أكنافَ بيتِها * فيـا لَكَ من بيتٍ يُحَبّ ويُهْجـرُ
إلى جعفرٍ سارت بنـا كلُّ جَسْرةٍ[(٢)] * طَـواهَا سُراها نحـــوَه والتهجُّر
الى واســعٍ للمُجْتَدِين فنـاؤه * تَروح عطـاياه عليهـم وتَبْكُر

— الشعر لمروانَ بن أبى حَفْصة يمدح به جعفر بن يحيى . والغناءُ لإبراهيم، ولم تقع الينا طريقتُه — قال مُخارِق : ثم قال لى إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هذا ؟

(١) كذا فى حـ ، وفى سائر الأصول : «مع تلك العشرة» بتأنيث العدد . (٢) كذا فى ط ، ى ونهاية الأرب (حـ ٤ ص ٥٥ ٣ طبع دار الكتب المصرية) والجسرة : الناقة العظيمة . وفى سائر الأصول : «حرة» .

فقلت : ماسمعتُ قطُّ مثلَه . فلم يَزَلْ يُرَدِّده علىّ حتى أخذتُه، ثم قال لى : اِمض إلى جعفر فافعل به كما فعلتَ بأخيه وأبيه ؛ قال : فمضيتُ ففعلتُ مثل ذلك وخبّرته ما كان منهما وعرَضْتُ عليه الصوت، فسُر به ودعا خادما فأمره بضرب الستارة وأحضَر الجارية وقعد على كرسىّ، ثم قال : هاتِ يا مُخارِق ؛ فاندفعتُ فالقيتُ الصوتَ عليها حتى أخذَتْه؛ فقال : أحسنتَ والله يا مُخارق وأحسن أستاذُك، فهل لك فى المُقام عندنا اليومَ ؟ فقلت : ياسيِّدى هذا آخر أيّامنا، وإنما جئتُ لموقع الصوت منّى حتى ألقيته على الجارية؛ فقال : يا غلام احمل معه ثلاثين ألف درهم والى المَوْصلىّ ثلثمائةألف درهم؛ فصرتُ إلى منزلى بالمـال، فأقمتُ ومن معى مسرورين نشرَبُ بقيّةَ يومنا ونطرَب، ثم بكّرتُ إلى إبراهيم فتلقّانى قائمـا وقال لى : أحسنتَ يامُخارق؛ فقلت : ما الخبر؟ فقال : اجلس فجلستُ، فقال لمن خلف الستارة : خذوا فيما أنتم فيه، ثم رفع السَّجْف فإذا المـال؛ فقلت : ما خبر الضَّيْعة ؟ فأدخل يده تحت مِسورة[1] هو مُتّكئٌ عليهـا فقال : هذا صَكُّ الضيعة، سئل عن صاحبها فوُجِد ببغداد، فاشتراها منـه يحيى بن خالد، وكتب إلىّ : قد علمتُ أنك لاتسخو نفسًا[2] بشراء الضيعة من مال يحصُـل لك ولو حيزتْ لك الدّنيـا كلُّها ، وقد ابتعتُها لك من مالى ووجّهتُ لك بصَكّها ؛ ووجّه إلىّ بصكها وهذا المـال كما ترى؛ ثم بكى وقال لى : يامخارق إذا عاشرتَ فعاشر مثل هؤلاء، وإذا خنكرت[3] فخنكر لمثل هؤلاء؛

(١) المسورة : الوسادة من جلد. (٢) فى ط، ء : «لاتسخو نفسك». (٣) لعله يريد : اذا غنيت فغن لمثل هؤلاء، فقد ورد فى الأغانى (ج ١٧ ص ١٢٣ طبعة بولاق) فى تعنيف الفضل بن الربيع لحفيده عبد الله بن عباس على تعلمه الغناء : «... وفضحت آباءك فى قبورهم وسقطت الأبد الا من المغنين وطبقة الخيناكرين». وقال صاحب «كتاب الألفاظ الفارسية المعربة»، بعد أن أشار الى هذه القصة، : «هى جمع خيناكر ومعناه المغنى». وأخبرنا ممن لديهم معرفة باللغة الفارسية أن "الخيناكر" هو المغنى المضحك.

١٦/٥ هذه سمّائة ألف وضَيْعةٌ بمائة ألف وستون ألفَ درهم لك، حصّلنا ذلك أجمعَ وأنا جالس فى مجلسى لم أبرح منه، فمتى يُدْرَك مثل هؤلاء !.

طلب اليه موسى الهادى أن يغنيه وله حكمه

أخبرنى يحيى بن على بن يحيى قال أخبرنى أبى عن إسحاق قال :

كان موسى الهادى شَكِسَ الأخلاق صَعْبَ المِزاج(١)، من توقّاه وعرَف أخلاقه أعطاه ما أمّل ، ومن فتَح فاه فاتّفق له أن يفتحه بغـير ما يهواه أقصاه وأطّرحه ، فكان(٢) لا يحتجب عن نُدَمائه ولا عن المغنّين ، وكان يُكثر جوائزَهم وصِلاتِهم ويُواتِرها(٣) ؛ فتغنّى أبى عنـده يوماً ؛ فقال له : ياإبراهيم غنِّى جِنْساً من الغناء ألَذّ به وأطْرَب له ولك حُكْمُك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين، إن لم يقابلنى زُحَلُ ببَرْده رَجَوْتُ أن أُصيب مافى نفسك . قال : وكنت لا أراه يُصغى إلى شىء من الأغانى إصغاءه إلى النَّسيب والرَّقيق منه ، وكان مذهبُ ابن سُرَيْج عنده أحمدَ من مذهب مَعْبَد ، فغنّيتـــه(٤) :

وإنّى لتَعْـرونى لذِكراكِ هِزَّةٌ(٥) * كما انتفض العصفورُ بلّله القَطْرُ

فضرب بيده إلى جَيْبِ دُرّاعته(٦) فخطّها ذراعا ، ثم قال : أحسنتَ والله ! زِدْنى ، فغنّيتُ :

فياحُبَّها زدنى جَوًى كلَّ ليـلةٍ * ويا سَلوةَ الأيّام موعدُكِ الحشرُ

---

(١) كذا فى حـ ، م . وفى سائر الأصول : «المرام» . (٢) لعله : «وكان» بالواو . (٣) واتر الصلات وغيرها : جعل بعضها يتبع بعضا . (٤) فى ب ، سـ : «فغنيته قوله» بزيادة كلمة «قوله» ، ولعلها زيدت سهوا من الطابع . (٥) كذا فى هامش حـ . والأمالى (حـ ١ ص ١٤٩ طبع دار الكتب المصرية) ، وهى الرواية المشهورة فى هذا البيت والتى تلائم الشطر الثانى وما فيه من تشبيه . وفى جميع الأصول : «فترة» . والفترة : الضعف . (٦) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم . وجيبها : طوقها .

فضرب بيده إلى ذُراعته فخطّها ذراعا آخر أو نحوه، وقال : زِدْنى وَيْلَك ! أحسنتَ والله، ووجب حكمُك يا إبراهيم؛ فغنّيت :

هجرتُك حتى قِيل لا يعرف الهَوى * وزُرتُك حتى قيل ليس له صَبْرُ

فرفع صوته وقال : أحسنتَ ، لله أبوك(١) ! هات ما تريد ؛ قلت : يا سيّدى ، عَيْن مروان بالمدينة؛ فدارتْ عيناه فى رأسه حتى صارتا كأنهما جمرتان، وقال : يابنَ اللخْناء أردتَ أن تَشْهرنى بهذا المجلس فيقول الناس : أطْرَبه فحكّمه ، فتجعلنى سَمَرا وحديثا ! ياإبراهيم الحَرّانى : خُذْ بيد هذا الجاهل إذا قمتُ، فأدْخله فى بيت مال الخاصّة، فإن أخذ كلَّ ما فيه فخَلّه وإيّاه؛ فدخلتُ فأخذت خمسين ألفَ دينار .

نسبة هذا الصوت

صوت

عَجِبتُ لسعي الدّهرِ بيني وبينها * فلما آنقضَى ما بيننا سَكَن الدهرُ
فيا حُبّها زِدْنِى جَوًى كلَّ ليلة * ويا سَلْوةَ الأيّامِ موعدُك الحَشْر
ويا هجرَ ليلى قد بلغتَ بى المَدَى * وزِدْتَ على ما ليس يبلُغه الهجر
وإنى لتَعْرونى لذكراكِ هِزّةٌ * كما آنتفض العصفور بلّله القَطر
هجرتُك حتى قيل لا يَعرف الهوى * وزُرْتُك حتى قيل ليس له صبر
أمَا والذى أبْكى وأضحك والذى * أمات وأحيا والذى أمْرُه أمْر
لقد تركتنى أحسُد الوحشَ أنْ أرى * أليفَيْن منها لا يروعهما الذُّعر(٢)

ــ الشعر لأبى صَخْر الهُذَلىّ . والغناء لمَعْبَد، وأوّل لحنه "ويا هجرَ ليلى" وبعده الثانى ثم الأوّلُ من الأبيات ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو . ولآبن سُرَيْج فى السادس

(١) فى حـ : «لله درك» .
(٢) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : «النفر» .

والسابع والرابع والخامس ثقيلٌ أوّل عن الهشامىّ . ولعَريبَ فى السادس والسابع والرابع والخامس ثقيلٌ أوّل أيضا ، وللواثق فيها رَمَل، وهو مما صنعه الواثق قبلها فعارضَتْه بلحنها . وقد نَسَب قومٌ لحنَ مَعْبد إلى ٱبن سُرَيج ولحنَ ابن سريج إلى معبد . ١٧/٥

اشترى جارية لجعفر بن يحيى فاستكثر ثمنها فأجابه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

اشترى جدّك إبراهيمُ لجعفر بن يحيى جارية مغنّية بمال عظيم، فقال جعفر : أىَّ شىء تُحسن هذه الجاريةُ حتى بلغتَ بها هذا المالَ كلَّه؟ قال : لو لم تُحسن شيئا إلا أنها تَحْكى قولى :

* لِمَنِ الدّيارُ بِبُرْقَة الرَّوْحَان(١) *

لكانت تساوِيه و زِيادةً ؛ فضحك جعفر وقال : أفرطتَ !

نسبة هذا الصوت

صوت

لمن الديارُ ببُرْقَة الرَّوْحَانِ * إذ لا نبيعُ زمانَنا بزمانِ
صدَع الغوانى إذ رَمَيْن فؤادَه * صَدْعَ الزُّجاجة ما لذاك تَدانِ
إن زرتُ أهلَكِ لم أُنَوَّلْ حاجةً * وإذا هجرتكِ شَفَّنى هِجْرانى

الغناء لمَعْبد، فيما ذكره الهشامىّ وأحمد بن المكىّ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى، ونَسَبه غيرُهما إلى حُنَين، وقال آخرون : إنه للغَريض، وذكر حَبَش أنه ليَزِيد حَوْراء . وفيه لإبراهيمَ خفيفُ رملٍ بالبنصر .

(١) برقة الروحان : روضة باليمامة تنبت الرمث (وهو شجر يشبه الغضى) .

عدد أصواته

أخبرنى الحُسين عن حمّاد قال قال لى أبى :

صنَع جدُّك تِسعَمائة صوت، منها دِيناريّة ، ومنها دِرْهَميّة، ومنهما فَلْسيّة، وما رأيت أكثرَ من صنعته ؛ فأمّا ثلثُمائة منها فإنه تقدّم الناسَ جميعا فيها، وأمّا ثلثُمائة، فشاركوه وشاركهم فيها ، وأمّا الثلثُمائة الباقية، فلَعِبٌ وطَرَب ؛ قال : ثم أسقط أبى الثلثَمائة الآخرةَ بعد ذلك من غناء أبيه، فكان إذا سُئل عن صنعة أبيه قال : هى سِتُّمائة صوت .

وقال أحمد بن حَمْدون قال لى إسحاق : من غناء أبى الذى أكرهه وأستر يه صوتُه فى شعر العبّاس بن الأحنف :

* أَبْكِى ومثلى بكى من حُبّ جاريةٍ *

فما أعلم له فيه معنًى إلا آستحسانَه للشعر، فإن العباس أحسن فيه جدّا .

نسبة هذا الصوت

صوت

أبكى ومثلى بكى من حُبّ جاريةٍ * لم يَخْلُقِ الله لى فى قلبها لِينَا
هل تذكرين وُقُوفى عند بابكمُ * نصفَ النهار وأهلُ الدار لاهُونا

الشعر للعبّاس بن الأحنف، والغناء لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى .

سئل ابنه إسحاق عن طعنه على أبيه فى صوت له فأجاب

أخبرنى جَحْظة قال أخبرنى حمّاد بن إسحاق قال :

قال رجل لأبى : أَخْبِرنى عنك، لِمَ طعنتَ على أبيك فى صنعته :

قال لى فيها عَتِيقٌ مقالا * فجَرتْ مما يقول الدموعُ

قال : لأنه تعرّض لآبن عائشةَ وله فى هذا الشعر صنعةٌ ، وآبن عائشة ممن لا يُعارَض فلم يقارِبه ، وعلى أن صنعة أبى من جَيّد الغناء لو كان صنَعها فى غيرهذا الشعر، ولكنها آقترنتْ بصنعة آبن عائشة فلم تقاربْها، فسقط عندى لذلك .

نسبة هـذا الصوت

صـــوت

قال لى فيها عَتِيقٌ مقالًا * فجَرَتْ ممّا يقول الدموعُ
قال لى وَدِّعْ سُلَيمى ودَعْها * فأجاب القلبُ لا أستطيع

الشعرُ لعمر بن أبى ربيعة . والغناءُ لمَعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو ، وقيل : إنه لآبن عائشة . وفيه ثانى ثقيلٍ يُنْسَب إلى الهُذلىّ . وفيه خفيفُ ثقيلٍ يُنسب إلى آبن عائشة و إلى إبراهيم .

قصته بالرىّ مع جارية من تلميذاته

أخبرنى الحسن بن علىّ قال أخبرنى عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك (1) قال حدّثنى إسحاق عن أبيه قال :

دخلتُ الرّىّ (2) فكنتُ آلَفُ فِتيانًا من أهل النِّعم بها وهم لا يعرفوننى ، فطال ذلك علىّ إلى أن دعانى أحدهم ليلةً إلى منزله فبِتُّ عنده ، فأخرج جاريةً له ومدّ لها ستارةً فتغنّتْ خَلْفَها ، فرأيتُها صالحةَ الأداء كثيرةَ الرواية ، فشوّقتْنى إلى العراق وذكّرتْنى أيّامى بها ، فدعوتُ بعُود ، فلما جىء به آندفعتُ فغنّيتُ صوتى فى شعرى :

أنا بالرّىّ مُقـيم * فى قُرَى الرّىّ أَهِيمُ

وقد كنتُ صنعتُ هـذا اللحن قديما بالرّىّ ، فخرجت الجارية من وراء السّتارة مُبادِرةً إلىّ ، فأكبّتْ على رأسى وقالت : أستاذى والله! ، فقال لها مولاها : أىّ أُستاذِيك هذا ؟ قالت : إبراهيم الموصلىّ ، فإذا هى إحدى الجوارى اللّاتى أخذن

(1) كذا فى ط ، ء هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول فى أكثر من موضع . وفى سائر الأصول هنا : « محمد بن عبد الملك » وهو تحريف .

(2) الرىّ : مدينـة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات ، وهى محط الحاج على طريق السابلة ، وقصبة بلاد الجبال ، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا والى قزوين سبعة وعشرون فرسخا . (راجع معجم ياقوت فى كلامه عليها) .

عنّى وطال العهدُ بها ؛ فأكرمنى مولاها وبَرّنى وخلَع علىّ ، فأقمت مدّة بعد ذلك بالرَّىّ وآنتشر خبرى بها ، ثم كتب بحَمْلى إلى والى البلد فأُشخِصتُ .

أرسل وهو فى الحبس شعرا لبعض إخوانه فلما وقف عليه المهدى رق له وأطلقه

أخبرنى الحسن قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى أبو تَوْبة صالحُ ابن محمد قال حدّثنى القِطرانىّ عن محمد بن جَبْر عن يحيى المكّىّ قال :

كنّا يومًا بين يدى المهدىّ وقد حَبَس إبراهيمَ الموصلىّ وضرَبه وأمر بأن يُلْبَس جُبّةَ صوفٍ ، وكان يخرج على تلك الحال فيَطْرح على الجوارى ، فكتب إلينا ذاتَ يوم ، ونحن مُصْطبِحون وقد جادت(١) السماءُ بمطرٍ صَيِّف(٢) ، وبحضرتنا شىء من ورد مُبكِّر :

أَلَا مَن مُبْلغٌ قومًا * مِنِ آخوانى وجيرانى
هنيئا لكمُ الشُّربُ * على وَرْدٍ وتَهْتانِ(٣)
وأنّى مُفْرَدٌ وحدى * بأشجانى وأحزانى
فَمَن جفّ له جفنٌ * فجَفْناى يَسيلانِ

قال : فوقف المهدىُّ على رُقعته وقرأها فرَقّ له وأمر بطلبه فى الوقت ، ثم أطلقه بعدُ بأيّام .

شغف بجارية على اليمانى وقال فيها شعرا

أخبرنى الحسن قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى ابن المكّىّ عن أبيه قال :

كانت لعلىٍّ اليَمانىّ جاريةٌ مغنّية ، فهَوِيَها إبراهيم وآستُهِيم بها زمانا ، وقال فيها :

---

(١) فى الأصول : «جاءت» . (٢) الصيف (بتشديد الياء) : المطر الذى يجىء فى الصيف ، واحده صيفة (بتشديد الياء) ؛ يقال : أصابتنا صيفة غزيرة أى مطرة غزيرة فى الصيف .

(٣) هتنت السماء (من باب ضرب) هتنا وهتونا وهتانا وتهتانا : انصبت .

صـــــوت

كنتُ حُرًّا فصرتُ عبدَ اليمانى * من هوًى شادنٍ هواه برانى

وهو نِصْفان من قضيبٍ ودِعْصٍ(١) * زانَ صــدرَ القضيب رُمّانتان ١٩/٥

اللحنُ لإبراهيمَ فى هذين البيتين ثانى ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو . وقد زعَم قوم أن الشعر للحسين(٢) بن الضّحاك .

نصح ابنه إسحاق بعض آل نهيك فى الغناء، فلامه فلما عرف هو أدب النهيكى غنى به

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال :

كان بعض أهل نَهِيك(٣) قد تعاطى الغناء، فلمّا ظنّ أنه قد أحكمه شاورنى وأبى حاضرٌ، فقلتُ له : إن قَبِلتَ منّى فلا تُغنِّ فلستَ فيــه كما أرضى؛ فصاح أبى علىّ صيحةً شـديدةً ثم قال لى : وما يُدريك يا صبىّ ! ثم أقبل على الرجل فقال : أنت ياحبيبى بضدّ ما قال، وإن لَزِمتَ الصّناعةَ برعتَ فيها ؛ فلمـا خلا بى قال لى : يا أحمق ! ما عليك أن يُخْزِى الله مائة ألف مثل هــذا ! هؤلاء أغنياء ملوك، وهم يُعيِّروننا بالغناء، فدعهم يتهتّكوا به ويُعَيَّروا ويَفْتَضِحوا ويحتاجوا إلينا فننتفع بهم، ويَبين فضلُنا لدى الناس بأمثالهم . قال : ولَزِمه النَّهِيكىّ يأخذ عنــه ويَبَرُّه فيُجزل ، فكان إذا غنّى فأحسن قال له : بارك الله فيك، وإذا أساء قال : بارك الله عليك؛ وكثُر ذلك منه حتى عرَف النَّهِيكىّ معناه فيه، فغنّى يومًا وأبى ساهٍ عنــه فسكتَ ولم يقل له شيئا؛ فقال له : جُعلت فداك، يا أستاذى، أهذا الصوت من أصوات "فيك"

---

(١) الدعص (بالكسر) : كثيب الرمل . (٢) كذا فى ط، ء . وقد أورد له أبو الفرج ترجمة فى (ج ٦ ص ١٧٠ طبع بولاق) . وفى سائر الأصول : «الحسن»، وهو تحريف . (٣) لعله من أسرة عثمان بن نهيك أحد قوّاد المنصور والذى كلفه المنصور قتل أبى مسلم الخراسانى حين يدخل عليه .

أم "عليك"؟ فضحك أبى ولم يكن علم أنه قد فَطِن لقوله[1]، ثم قال له : والله لأُقْبِلنّ عليك حتّى تصيرَ كما تشتهى ، فإنك ظريفٌ أديب ؛ وعُنِى به حتى حَسُن غناؤه وتقدّم . وفيه يقول أبى :

أوجب اللهُ لك الحقَّ على مثلى بظَرْفكْ
لن ترانى بعد هذا * ناطقًا إلّا بوصفكْ
وترى القوّةَ فيما * تَشتهيه بعد ضعفكْ

احتكم اليه مخارق وإسحاق فحكم لإسحاق

أخبرنى إسماعيل قال حدّثنى عُمر بن شَبّة عن إسحاق، أخبرنى به الصُّولىّ عن عَوْن بن محمد عن إسحاق قال :

غنّى مُخَارِقٌ بين يدَيِ الرشيد صوتًا فأخطأ فى قِسْمته؛ فقلت له : أعِدْ فأعاده، وكان الخطأ خفيًّا؛ فقلت للرّشيد : يا سيّدى ، قد أخطأ فيه؛ فقال لإبراهيم بن المهدىّ : ما تقول فيما ذكره إسحاق ؟ قال : ليس الأمرُ كما قال ، ولا هاهنا خطأ؛ فقلتُ له : أترضى بأبى ؟ قال : إى والله، وكان أبى فى بقايا علّة ؛ فأمر الرشيدُ بإحضاره ولو محمولا، فجىء به فى مِحَفّة؛ فقال لمُخَارِق : أعِدِ الصوتَ، فأعاده؛ فقال: ما عندك يا إبراهيم فى هذا الصوت ؟ فقال : قد أخطأ فيه؛ فقال له : هكذا قال آبنك إسحاق ، وذكر أخى إبراهيم أنه صحيح ؛ فنظر إلىّ ثم قال : هاتُوا دواةً ، فأُتِى بها وكتب شيئا لم يَقف عليه أحد ثم قطعه ووَضعه بين يَدَى الرشيد، وقال لى : اكتُب بذكر الموضع الفاسد من قِسْمة هذا الصوت ، فكتبتَه وألقيتُه فقرأه وسُرّ، وقام فألقاه بين يدى الرشيد، فإذا الذى قلناه جميعا متفق؛ فضحك وعجب، ولم يَبْق

(١) كذا فى حـ . وفى ا ، م : « ولم يكن علم الله أنه ... الخ » . وفى سائر الأصول : « ولم يكن علم أبى أنه ... الخ » .

أحدٌ فى المجلس إلا قرّظ وأثْنى ووصَف، ولا أحدٌ خالَف إلّا تَجِل وذَلّ وأذْعن .

وقال أبى فى ذلك :

ليتَ منْ لا يُحسن العلـ * ـمَ كفانا شَرَّ عِلْمِهْ

فأخْبِرِ الحقَّ ٱبتداءً * وقِسِ العِلْمَ بفهمه

طيّبُ الرَّيْحان لا تعـ * ـرفه إلا بشَمِّه

حديث بين ابنه إسحاق والرشيد فى المال الذى أخذه هو من الرشيد

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى هِبَةُ الله، وحدّثنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد ابن إسحاق عن أبيه قال : ٢٠/٥

غنّى أبى يوما بحضرة الرشيد :

سَلِى هل قَلَانِى من عَشيرٍ صَحِبتُه * وهل ذَمّ رَحْلى فى الرِّفاق رفيقُ

فطرِب وٱستعاده وأمر له بعشرين ألفَ درهم، فلما كان بعد سنين[1]، خطر ببالى ذلك الصوتُ وذكرتُ قصّته، فغنّيتُه إياه؛ فطرِب وشرب، ثم قال لى : يا إسحاق، كأنى فى نفسك ذكرتَ حديثَ أبيك وأنّى أعطيتُه ألف دينار على هذا الصوت فطمِعتَ فى الجائزة!؛ فضحكتُ ثم قلت : والله يا سيّدى ما أخطأتَ؛ فقال : قد أخذ ثمنَه أبوك مرّةً فلا تطمع؛ فعجبتُ من قوله، ثم قلت : ياسيّدى، قد أخذ أبى منك أكثر من مائتَىْ[2] ألفِ دينار ما رأيتُك ذكرتَ منها غيرَهذا الألف على بَخْتِى[3] أنا؛ فقال : وَيْحَك! أكثر من مائتَىْ[2] ألف دينار؟! قلت : إى والله!؛ فوجَم وقال : أستغفر الله من ذلك، وَيْحك! فما الذى خلّف منها؟ قلت : خلّف

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «سنتين» . (٢) فى م : «مائة ألف دينار» .

(٣) قال صاحب المصباح : البخت : الحظ وزنا ومعنى وهو أعجمىّ ومن هنا توقف بعضهم فى كون البخت التى هى أصل البخاتى (أى الإبل) عربية . وفى الصحاح والقاموس وشرحه : أنه معرّب أو مولد . وفى شفاء الغليل واللسان : أن العرب تكلمت به . وقال الأزهرىّ : لا أدرى أعربىّ هو أم لا .

عليّ ديونًا مبلغها خمسةُ آلاف دينار قضيتُها عنه؛ فقال: ما أدرى أيّنا أشدُّ تضييعا! والله المستعان .

نسبة هــذا الصوت

صــــوت

سَلِى هل قلانى مِنْ عَشيرٍ صَحِبتُه * وهــل ذَمّ رَحْلى فى الرِّفاق رفيقُ
وهل يجتوى القومُ الكرامُ صَحابتى * إذا اغبرّ مَخْشِىٌّ الفجاج عَميـقُ[1]
ولو تَعلمِـين الغيبَ أيقنتِ أنّنى * لـكُم والهَدايا المُشْعَراتِ[2] صديقُ

الشعر يُنسب الى مُضَرِّس بن قُرْطٍ[3] الهِلالىّ والى قَيْس بن ذَرِيح، وفيـه بيت يقال: إنه لجَرير . والغناء مختلطٌ فى أشعار الثلاثة المذكورين، ونِسْبتُه تأتى فى أخبار قيس بن ذَرِيح، إلا أن الغناء فى هــذه الثلاثة الأبيات لمَعْبَـد ثقيلٌ أوّل بالخنصر فى[4] مجرى البنصر عن إسحاق .

رأى وهــو فى سرداب له سنورتين تغنيان فحفظ الصوت

أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سَـعْد قال حدّثتنى نَشْوة الأُشْنانية[5] قالت أخبرنى أبو عثمان يحيى المكىّ قال :

تشوّق يومًا إبراهيمُ الموصلىّ إلى سرداب له، وكانت فيـه بِرْكة ماء تدخل من موضع إليه وتخرج إلى بستان، فقال : أشتهى أن أشربَ يومى وأبيتَ ليلتى فى هذا

---

(١) كذا فى ط ، ء ، وهو الموافق لما جاء فى الأمالى (ج ٢ ص ٢٥٧ طبع دار الكتب المصرية). وفى سائر الأصول : «مَخشىّ الفجاج سحيق» . (٢) الهدايا : ما يهدى الى البيت الحرام من النعم لتنحر . والمشعرات : المعلمات بعلامة يعرف بها أنها هدى . (٣) كذا فى ط ، ء والأمالى . وفى سائر الأصول : «قرظة» وهو تحريف . (٤) كذا فى ط ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «ثقيل أول بالخنصر ومجرى البنصر» . (٥) فى ط ، ء : «نشو الأشناسية» .

السرداب ففعل ذلك، فبينا هو نائم فى نصف الليل فإذا سِنَّوْرتان[1] قد نزلتا من درجة السِّرداب، بيضاء وسوداء، فقالت إحداهما : أتراه نائمًا[2] ؟ فقالت السوداء : هو نائم ، فاندفعت السوداءُ فغنَّت بأحسن صوت :

عَفَا مُزْجٌ[3] إلى لَصَقٍ[4] ❊ إلى الهَضَبات من هَكِرِ[5]
إلى قاعِ النَّقِيرِ[6] إلى ❊ قرارِ حِلَالِ[7] ذى حَدَرِ[8]

قال : فمات إبراهيمُ فرحًا وقال : ياليتهما أعاداه ! فأعاداه مرارا حتى أخذه، ثم تحرّك فقامت السِّنَّوْرتان، وسمع إحداهما تقول للأخرى : والله لا طَرَحه على أحد إلا جُنّ ، فطرحه من غدٍ على جارية له فجُنَّتْ .

نسبة هذا الصوت

٢١/٥

الغناء فيه لمالكٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن يحيى المكّىّ وعَمْرو بن بَانَةَ .

طلب من المهضر ابن يحيى مالا لحصل له عليه ممن قضى حوائجهم

أخبرنى الحسن بن علىّ وعمّى قالا حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى أبو محمد إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال :

---

(١) السنورة : الهرّة . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب، س : «ترى نائما» .

(٣) كذا فى أكثر الأصول . ومزج (بالضم ثم السكون) : ماء بينه وبين المدينة ثلاثون فرسخا أو نحوها . وفى ب، حـ، س : «مرج» (بالحاء المهملة)، وهو تصحيف . (٤) كذا فى جميع الأصول، ولم نعثر على هذا الاسم فى المراجع التى بين أيدينا . ولعله مصحف عن «لصف» (بالفاء)، وهو بركة غربىّ طريق مكة بين المغيثة والعقبة على ثلاثة أميال من صيب غربىّ واقصة . (راجع معجم البلدان لياقوت والقاموس وشرحه فى «لصف») . (٥) هكر (بفتح أوّله وكسر ثانيه وراء مهملة) : موضع على نحو أربعين ميلا من المدينة . (٦) كذا فى ط، ء . والنقير (بفتح أوله وكسر ثانيه) : موضع بين هجر والبصرة . وفى سائر الأصول : «البقير» بالباء الموحدة، ولم نعثر عليه فى المراجع التى بين أيدينا . (٧) حلال (بكسر الحاء وتخفيف اللام) : من نواحى اليمن . (٨) كذا فى ط، ء . والحدر (بالدال المهملة) : ما انحدر من الأرض وهو الصبب . وفى سائر الأصول : «ذى حذر» بالذال المعجمة، وهو تصحيف .

أتيتُ الفضلَ بن يحيى يومًا، فقلت له : يا أبا العبّاس، جُعِلتُ فداك! هَبْ لى دراهمَ فإنّ الخليفة قد حبَس يدَه؛ فقال : وَيْحَك يا أبا إسحاق! ما عندى مال أرضاه لك، ثم قال : هَاه! إلّا أن هاهنا خَصْلةً[1] أتانا رسولُ صاحب اليمن فقضينا حوائجَه، ووجّه إلينا بخمسين ألف دينار يشترى لنا بها محبّتنا؛ فما فعلتْ ضِياءُ جاريتُك؟ قلتُ : عندى، جُعِلت فداك!؛ قال : فهو ذا، أقول لهم يشترونها منك فلا تَنْقُصْها من خمسين ألف دينار؛ فقبّلتُ رأسه ثم انصرفتُ؛ فبكّر علىّ رسول صاحب اليمن ومعه صديقٌ لى، فقال : جاريتُك فلانةُ عندَك؟ فقلت : عندى؛ فقال : اعرِضْها علىّ، فأخرجتُها؛ فقال : بكم؟ قلت : بخمسين ألفَ دينار ولا أنقُص منها دينارًا واحدا، وقد أعطانى بها الفضلُ بن يحيى أمسِ هذه العطيّة؛ فقال لى : أُريدها له؛ فقلت له : أنت أعلم، إذا اشتريتَها فصيِّرها لمن شئت؛ فقال لى : هل لك فى ثلاثين ألفَ دينار مُسَلَّمة لك؟ قال: وكان شراء الجارية على أربعمائة دينار، فلما وقع فى أذنى ذِكْرُ ثلاثين ألفا أُرْتِجَ علىّ ولَحِقنى زَمَعٌ[2]، وأشار علىّ صديقى الذى معه بالبيع، وخِفْتُ والله أن يحدُث بالجارية حَدَثٌ أو بى أو بالفضل بن يحيى، فسلّمتُها وأخذتُ المال؛ ثم بكّرتُ على الفضل بن يحيى، فإذا هو جالس وحدَه؛ فلما نظر إلىّ ضحِك، ثم قال لى : يا ضَيِّق الحَوْصَلة[3]! حرَمتَ نفسك عشرين ألفَ دينار؛ فقلت له : جُعِلتُ فداك، دَعْ ذا عنك، فوالله لقد دخلنى شىء أعجِز عن وصفه وخِفت أن تَحدُث بى حادثة أو بالجارية أو بالمشترى أو بك، أعاذك الله من

---

(١) كذا فى الأصول، وظاهر سياق الكلام يقتضى أن يكون المراد مخرجا أو فرصة ونحو ذلك . فلعل كلمة «خصلة» محرّفة عما يؤدّى هذا المعنى . (٢) الزمع (بالتحريك): شبه رعدة تأخذ الإنسان.

(٣) ضيق الحوصلة هنا كناية عن التسرّع وشدّة الحرص . وفى كتاب ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه أن ضيق الحوصلة يكنى به عن البخل .

كل سوء ، فبادرتُ بقبول الثلاثين ألف دينار ؛ فقال : لا ضَـيْر، ياغلام جئْ بالجارية، بجاء بجاريتى بعينها؛ فقال : خُذْها مبارَكًا لك فيها،فإنما أردنا منفعتك ولم نُرِدِ الجارية ؛ فلما نهضتُ[1]، قال لى : مكانَك، إنّ صاحب إرْمِينِيَة قد جاءنا فقضيْنا حوائجه ونفّذْنا كُتُبَه ، وذكر أنه قد جاءنا بثلاثين ألَف دينار يشترى لنا بها ما نُحِبّ،فاَعرِض عليه جاريتَك هذه ولا تَنْقُصها من ثلاثين ألف دينار،فانصرفتُ بالجارية و بكَّر إلىّ رسول صاحب إرْمِينِيَة ومعه صديقٌ لى آخر، فقاوَلَنى بالجارية، فقلتُ : لستُ أَنقصها من ثلاثين ألف دينار؛ فقال لى : معى على الباب عشرون ألف دينار تأخذها مُسلَّمة ، بارك الله لك فيها ؛ فدخلنى والله مثلُ الذى دخلنى فى المرّة الأولى وخفت مثلَ خوفى الأوّل، فسلّمتُها وأخذتُ المال، و بكّرت على الفضل ابن يحيى فإذا هو وحدَه ؛ فلما رآنى ضحك وضرب برجله الأرض وقال : ويحك ! حَرَمتَ نفسك عشرةَ آلاف دينار؛ فقلت : أصلحك الله، خِفتُ والله ما خفتُ فى المرّة الأولى؛ قال : لا ضَيْر، أَخرِجْ ياغلام جاريته ؛ بجاء بجاريتى بعينها، فقال: خذها، ما أردناها ولا أردنا إلا منفعتك[2]؛ فلما ولّتِ الجارية صِحْتُ بها : ارجعى فرجعتْ ؛ فقلت : أُشهِدكَ، جُعلت فِداك، أنها حُرّة لوجه الله وأنى قد تزوّجتها على عشرة آلاف درهم ، كَسَبتْ لى فى يومين خمسين ألف دينار ، فما جزاؤها إلا هذا ؛ فقال : وُفّقتَ إن شاء الله . ٢٢/٥

سمع أحد الخازرين غناءه فبهت

أخبرنى الحسن بن علىّ قال أخبرنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى إسحاق قال قال لى أبى :

---

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « ذهبت لأقوم » .

(٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « ما أردنا إلا منفعتك » .

كنت فى شبابى أُلازِم أصحابَ قُطْرُبُّل (١) و بارِى (٢) و بَنّى (٣) وما أشبه هــذه المنازل (٤)، فآتخذ فيهم الخمّــارَ اللطيفَ، يحسبونى بالشراب الجيّد ويَخْبَؤه (٥) لى، فجئت إلى بارِى يومًا فلقِينى خمّارِى ، فقال لى : يا أبا إسحاق عنــدى شىء من بَابَتِك (٦) ، وقد كنت عملتُ لَحْنِى هذا :

صــــوت

اشرَبِ الرّاحَ وكُنْ فى * شُرْبِك الرّاحَ وَقُــورَا
فاشرَبِ الرّاحَ رَوَاحًا * وظَــلامًا و بُكــورا

ـــ الشعر والغناء لإبراهيمَ خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة فى مجرى الوسطى (٧) . وفيه لمنصور زَلْزَل الضاربِ خفيفُ رَمَلٍ عن حَبَش ـــ قال : فدخلتُ بيته وبَزَلْتُ (٨) دَنّه وجعلتُ أُرجِّع الصوتَ ؛ فبُهِت ينظر إلىّ والنبيذُ يجرى حتى آمتلأ الإناء وفاض ؛ فقلت له : وَيْحَك ! شرابُك قد فاض ؛ فقال : دَعْنى من شرابى ، بالله مات لك إنسان فى هذه الأيام ؟ فقلت : لا ؛ قال : فما بال حَلْقِك هذا حزينا (٩) ؟ .

---

(١) قطربل (بضم أوّله و إسكان ثانيه وضم الراء المهملة أو فتحها، وتشديد الباء المضمومة ، و يروى بفتح أوّله وطائه) : قرية بين بغداد وعكبرا تنسب اليها الخمر ، كانت متنزها للبطالين وحانة للخمارين وقد أكثر الشعراء من ذكرها . (راجع معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى) . (٢) بارى (بكسر الراء) : قرية من أعمال كلواذى من نواحى بغداد ، كانت بها بساتين ومتنزهات ، يقصدها أهل البطالة . (٣) بنى (بكسر أوّله وتشديد ثانيه والقصر) : قرية على شاطئ دجلة من نواحى بغداد بينهما نحو فرسخين ، وهى تحت كلواذى ، وكانت فى بغداد قريتان تسميان بهذا الاسم . و إحداهما أراد أبو نواس حين قال :

ما أبعد الرشد من قلب تضمنه * قطربل فقــرى بنى فكلواذى

(انظر معجم البلدان لياقوت) . (٤) فى ط ، ى : «المواخير» . (٥) كذا فى ط ، ى ، م . وفى باقى الأصول : « فيجيئنى » . (٦) البابة : الوجه والمذهب . وفى اللسان : «يقال : هذا شىء من بابتك أى يصلح لك» . (٧) فى ط ، ى : «فى مجرى البنصر» . (٨) بزل الدنّ : ثقبه ليسيل ما به من خمر . (٩) فى ب ، س : « زين » بدون ألف فى آخره . وفى سائر الأصول : « حزين حزين » مكررا .

ألقى على مخارق صوتا فلما أخذه بكى ومدحه

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن عمّه طيّاب بن إبراهيم قال :

دخلتُ على أبى يومًا وعنده مُخارِق وأبى يُلْقِى عليه هذا الصوتَ :

صـــوت

طَـرِبتَ وأنت مَعْـنِىٌّ كئيبُ * وقد يَشتاق ذو الحَزَن الغريبُ
وشاقَـك بالمُوَقَّـر أهـلُ خاخٍ (١) (٢) * فلا أَمَمٌ هنـاكَ ولا قـريبُ
وكم لك دونهـا من عُرْض أرض * كأنّ سَرابَها الجـارى سَبِيب
لَعَمْـرُكِ إنّـنى بِرَقِـيم قَيْسٍ (٣) * وجارةِ أهلِها لأنا الحَـرِيبُ

— الشعر للأحوص ، والغناء لإبراهيمَ ماخُورِىٌّ بالبنصر عن عمرو — قال : فلمـا أخذه مخارق جعل أبى يبكى ، ثم قال له : يا مخارق ، نِعمَ وسيلة (٤) إبليس أنت فى الأرض، أنت والله بعدى صاحب اللّواء فى هذا الشأن .

---

(١) الموقر : اسم موضع من عمـل البلقاء بنواحى دمشق . ثم قال البكرىّ فى معجم ما استعجم : « وفى شعر الأحوص ما ينبئك أن الموقر من شق اليمن قال :

ألا طـرقتنا بالموقـر شـنفر * ومن دون مسراها فديد وعزور
بواد يمانـ ـ ـ تنزح جل نبتـه * غضاوأراك ينضح الماءأخضر »

(٢) خاخ : موضع بين الحرمين ، ويقال له : روضة خاخ بالقرب من حمراء الأسد بالمدينة .

(٣) لم نوفق الى « رقيم قيس » فى المراجع التى بين أيدينـا ، والموجود « الرقيم » بدون إضافة ، وهو موضع بقرب البلقاء من أطراف الشام ، كان ينزله يزيد بن عبد الملك . فلعل رقيم قيس هو هذا الرقيم . ويرجح هذا أن الشعر هنا يدل على أن «رقيم قيس» قريب من «الموقر» الذى هو بجهة البلقاء . وقد ورد « الرقيم » مع « الموقر » هذا فى شعر كثيّر يمدح يزيد بن عبد الملك :

يزرن على تنائيـه يزيدا * بأكناف الموقر والرقيم

(٤) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « نعم فتيلة ... » .

استفزه ابنه إسحاق فتفاخرا فى الغناء فحكم له

أخبرنى الحسن بن على وعمّى قالا حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال :

لمـا صنع أبى لحنه فى :

ليتَ هنـدًا أنجزتنا ما تَعِدْ * وشَفَتْ أنفُسَنا ممـا تَجِـدْ

حاصمتُه وعِبْتُه فى صنعته، وقلت له : أمَا بإزائك من ينتقد أنفاسك ويَعيب محاسنك وأنت لا تفكّر ! تجىء الى صوت قـد عمل فيـه ٱبنُ سُرَيْج لحنًا فتُعارضـه بلحن لا يقار به والشعرُ أوسعُ من ذلك! فدَعْ ما قد ٱعتَوَرَتْه[1] صناعةُ القدماء وخُذْ فى غيره، فغضب، وكنت لا أزال أُفاخره بصنعتى وأَعيب ما يُعاب من صنعته، فإن قَبِل منّى فذلك، وإن غضب داريتُه وترضّيتُه، فقال لى : ما يعلم الله أنى أدعك أو تفاخرَنى بخيرِ صوتِ صنعتَه فى الثقيل الثانى فى طريقة هذ الصوت. فلمـا رأيتُ الجدّ منه ٱخترت صنعتى فى هذا اللحن :

قل لمَنْ صَـدّ عاتبَا * ونأى عنـك جانبَا

قد بلغتَ الذى أردْ * تَ وإن كنتَ لاعبا

٢٣ / ٥

وكان ما تجاريْنـاه ونحن نَتَساير خارجَيْن إلى الصحراء نقطع فَضْـلَةَ خُمَارِنا[2]؛ فقال : مَنْ تُحبّ أن يحكم بينى وبينك؟ فقلت : من تُرَى أن يحكم هاهنا ؟ قال : أوّلُ من يطلُع [علينا][3] أُغنّيه لحنى وتُغنّيه لحنَك، فطمعتُ فيه وقلت نعم؛ فأقبلَ شيخ نَبَطىٌّ يحمل شوكًا على حمار له، فأقبل عليه أبى فقال : إنّى وصاحبى هذا قد تَراضيْنا بك فى شىء؛ قال : وأىّ شىء هو ؟ فقلنا : زعَم كلُّ واحد منّا أنه أحسنُ غناءً من صاحبه،

---

(١) اعتور الشىء : تداوله وتعاطاه . (٢) كذا فى ط، ء والخمار : بقية السكر. وفى سائر الأصول : « خمارينا » بالتثنية . (٣) زيادة عن ط، ء .

فتسمَع منّى ومنه وتحكُمْ؛ فقال : على آسمِ الله ؛ فبدَأ أبى فغنّى لحنَه، وتبِعته فغنّيتُ لحنى، فلما فرَغتُ أقبل علىّ فقال لى : قد حكمتُ عليك عافاك الله ومضى؛ فلطَمَنى أبى لَطْمةً ما مرّ بى مثلُها منه قطُّ ، وسكتُّ فما أعدتُ عليه حرفًا ولا راجعتُه بعد ذلك فى هذا المعنى حتى آفترقْنا .

نسبة هذين الصوتين

صوت

ليت هندًا أنجزتْنا ما تَعِدْ * وشَفَتْ أنفُسنا ممّا تَجِدْ
وآستبدّتْ مرّةً واحدةً * إنما العاجز من لا يَسْتَبِدّْ
زعموها سألتْ جاراتها(1) * ذاتَ يومٍ وتعرّتْ تَبْتَرِدْ(2)
أكَمَا يَنْعَتُنِى تُبْصِرْنَنِى * عَمْرَكُنّ اللهَ أم لا يقتصِدْ
فتضاحَكْن وقد قُلْن لها(3) * حَسَنٌ فى كلّ عينٍ من تَوَدّْ
حسدًا حُمّلْنَه من أجلها * وقديمًا كان فى الناس الحسد

الشعر لعمر بن أبى ربيعة . ولحنُ إبراهيم فيه ثانى ثقيلٍ بالوسطى . وفيه لآبن سُرَيج رَمَلٌ بالخنصر فى مجرى البنصر . وفيه لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ بالخنصر والبنصر عن يحيى المكّىّ ، وذكره إسحاقُ فى هذه الطريقة ولم ينسُبه إلى أحد ، وقال الهشامىّ : أدلّ شىء على أنه لمالكٍ شَبَهُه لحنه :

* إسْلَمِى يادارُ من هندٍ *

---

(1) فى ب، س : « جارتها » بالإفراد . (2) تبترد : تغتسل بالماء البارد .

(3) فى الكامل للبرد : « تهانفن » . والإهناف والمهانفة والتهانف : ضحك فيه فتور كضحك المستهزئ . وخصه بعضهم بضحك النساء . (راجع الكامل للبرد ص ٥٩٤ طبع ليبزج والحاشية رقم ٣ ص ١٨٦ من الجزء الأول من الأغانى من هذه الطبعة) .

وفيــه لمُتَيَّم ثقيلٌ أوّل . وأما لحن إسحاقَ الذى فاخر به صنعةَ أبيــه ، فقد كُتب شعرُه والصنعةُ فيه — وهما جميعا لإسحاق[1]، ولحنه ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو — فى أخبار إسحاق .

وذكر أحمد بن أبى طاهر أنّ حمّاد بن إسحاق حدّثه عن أبيه قال :

كان زلزل فى الحبس فعمل فيه إبراهيم شعرا وغناه الرشيد فأطلقه

كان الرشيد قــد وَجَد على منصور زَلْزَل لشىء بلغه عنــه ، فحبسه[2] عشرَ سنين أو نحوَها ؛ فقام الرشـيد يومًا لحاجته ، فجعل إبراهيمُ يغنّى صوتًا صنعه فى شعر كان قاله فى حبس زَلْزَل، وهو :

هــل دهرُنا بك راجـعٌ يا زَلْزَلُ * أيّامَ يبْغِينا العــدوُّ المبطِلُ
أيامَ أنت من المكاره آمِنٌ * والخيرُ مُتَّسِعٌ علينـا مُقْبِـلُ
يا بؤسَ مَنْ فقَــدَ الإمامَ وقُرْبَه * ماذا به من ذِلّةٍ لو يَعْقِــلُ
ما زلتُ بعدك فى الهموم مُرَدَّدًا * أبكى بأربعــةٍ[3] كأنّى مُثْكِلُ

— الشعر والغناء لإبراهيمَ خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو — قال: ودخل الرشيد وهو فى ذلك بمجلس فى مجالسه، ثم قال : يا إبراهيم، أىَّ شىء كنتَ تقول؟ فقال : خيرا يا سيّدى؛ فقال : هاته فتلكّأ، فغضب الرشـيد وقال : هاته فلا مكروهَ عليك؛ فردّ الغناء؛ فقال له : أتُحِبُّ أن تراه؟ فقال: وهل يُنْشَر أهل القبور ؟ فقال : هاتوا

٢٤/٥

زَلْزَلًا ، فجاءوا به وقد ابيضّ رأســه ولحيته فسُرّ به إبراهيم؛ وأمَرَه بالجلس، وأمر

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « والشعر جميعا ... » .
(٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « لحبسه عنه » بزيادة كلمة عنه .
(٣) يريد بالأربعة : الماظين والموقين العنيين ، فان الدمع يجرى من الموقين فاذا غلب وكثر جرى من الماظين أيضا .

إبراهيمَ فغنَّى وضرب عليه فَزَلْزَلَا الدنيا ، وشرب الرشيدُ على ذلك رِطلا ، وأمر بإطلاق زَلْزَل وأَسْنَى جائزتهما ورضى عنه وصرفه إلى منزله . قال : وزَلْزَلٌ أوّلُ من أحدث هذه العيدانَ الشَّبَابِيط[1] ، وكانت قديمًا على عمل عيدان الفُرْس ، فجاءت عَجَبًا من العَجَب . قال : وكانت أُخْتُ زلزل تحت إبراهيمَ ، وقد وَلَدَت منه .

حديثه عن أول أستاذ له فى الغناء

أخبرنى محمد بن مَزْيَد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

أوّلُ من تعلّمتُ منه الغناءَ مجنونٌ ، كان إذا صِيح به : يا مُضَر ، يَهِيج ويرجُم ؛ فبلغنى أنه يغنّى أصواتًا فيُجيدها ، أخذها عن قدماء أهل الحجاز ، فكنت أُدْخِله إلىّ فأُطْعِمه وأَسقيه وأَخدَعه حتى آخذ عنه ، وكان حاذقا ؛ فأوّلُ صوت أخذتُه عنه :

أَرْسِلى بالسّلام يا سَلْم إنّى * منذُ عُلِّقْتُكم غنىٌّ فقيرُ
فالغِنَى إن ملكتُ أمرَكِ والفقـ * ـرُ بأنّى أزورُ من لا يزورُ
وَيْحَ نفسى! تسلو النفوسُ ونفسى * فى هوَى الرِّيم ذِكْرُها ما يَحُور
مَنْ لنفسٍ تَتُوق أنتِ هواها * وفؤادٍ يكاد فيكِ يطير

ثم مكثتُ زمانًا آخذ عنه ، وكان إذا عاد إليه عقلُه من أحذقِ الناس وأقوَمِهم على ما يؤدّيه ؛ ثم غاب عنّى فما أعرف خبره .

وهذا الشعر للوليد بن يَزِيد . والغناء ليونس خفيفُ رَمَلٍ مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وذكر غيره أنه لعمر الوادى[2] ، وفيه لوجه القرعة ثانى ثقيل بالوسطى عن حَبَش .

---

(١) الشبابيط : جمع شبوط ، وهو ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط لين المس صغير الرأس كأنه بربط : (عود) .

(٢) فى ب ، سـ : «لعمرو الوادى» ، وهو تحريف .

خرج مع الرشيد الى الشام فأحسن اليه وخلع عليه ثيابه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال :

خرجتُ مع الرشيد إلى الشام لمّا غزا، فدعانى يومًا فدخلت إليه إلى مجلس لم أرَ أحسن منه مفروشٍ بأنواع الرُّخام، فأكل وأمرنى فأكلتُ معه، وجعلتُ أتولّى خدمتَه الى العصر، ثم دعا بالنبيذ فشرب وسقانى معه، ثم خلع علىّ خِلعةَ وَشْى من ثيابه وأمر لى بألف دينار، ثم قال: انظر يا إبراهيم، كم من يَدٍ أوليتُكَ إيّاها اليومَ! نادمتَنى مفردًا، وآكلتَنى، وخلعتُ عليك ثيابى من بدنى، ووصلتُك، وأجلستُك فى إيوان مَسْلمة بن عبد الملك تشرب معى؛ فقلت: ياسيّدى، ما ذهب علىّ شىء من تفضّلك، وإنّ نِعمَك عندى لأكثرُ من أن تُحصَى، وقبّلتُ رِجلَه والأرضَ بين يديه .

هو أوّل من غنى الرشيد بعد أن ولى الخلافة بشعره فيه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال قال دِعْبِل بن علىّ :

لمّا ولى الرشيدُ الخلافةَ وجلس للشرب بعد فراغه من إحكام الأمور ودخل عليه المغنّون، كان أوّل مَنْ غنّاه إبراهيمُ الموصلىّ بشعره فيه، وهو :

صــــوت

إذا ظُلَمُ البلادِ تجلّلتنا[1] * فهارونُ الإمامُ لها[2] ضياءُ

بهارونَ آستقام العدلُ فينا * وغاض الجَوْرُ وانفسح الرجاءُ

رأيتُ الناسَ قد سكنوا إليه * كما سكنتْ الى الحَرَم الظِّباءُ

تَبِعتَ من الرسولِ سبيلَ حقٍّ * فشأنُك فى الأمور به اقتداءُ

٢٥
٥

(١) كذا فى الأصول . ومع استقامة الكلام به لا يبعد أن يكون : « اذا ظلم البلاد ... » .

(٢) فى ط ، ء : «لنا» .

فقال له الخادم من خَلْفِ الستارة : أحسنتَ يا إبراهيم فى شعرك وغنائك، وأمر له بعشرين ألف درهم. لحنُ إبراهيمَ فى هذا الصوت ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة والوسطى عن أحمد بن المَكّيّ .

دخل على قوم يغنيهم هاشم بن سليمان فلما عرفوه أكرموه، وشعره فى ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى يَزِيد بن محمد المُهَلَّبىّ قال حدّثنى أبى قال: كنتُ أنا وأبو سَعِيد النَّهْدىّ[1] وهاشم بن سليمان المغنّى يومًا مجتمعين فى بُستانٍ لنا ونحن نشرب وهاشم يغنّينا؛ فلمّا توسّطْنا أمرَنا اذا نحن برجل قد دخل علينا البستانَ جميلِ الهيئة حسنِ الزِّىّ؛ فلمّا بصُرنا به من بعيد، وثَب هاشمٌ يعدو حتى لَقِيَه، فقبّل يدَه وعانقه، ولم يعرفه أحدٌ منا ، فجاء وسلّم سلامَ الصَّديق على صديقه ، ثم قال : خذوا فى شأنكم ، فإنى اجترتُ بكم فسمعتُ غناء أبى القاسم فاستخفّنى وأطربنى، فدخلت إليكم واثقًا بأنه لا يُعاشِر إلّا فتًى ظريفا يستحسن هذا الفعلَ ويسرّه، ولى فى هذا إمامٌ وهو عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عليه السلام ، فإنه سمع غناءً عند قوم فدخل بغير إذن ثم قال : إنما أدخلنى عليكم مغنّيكم لمّا غنّى :

قُــلْ لــكرامِ ببابنا يَلِجُوا * ما فى التّصابى على الفتى حَرَجُ

وأنا أعلم أنّ نفوسكم متعلقة بمعرفتى، فمن عرفنى فقد آكتفى، ومن جَهِلَنى فأنا إبراهيم الموصلىّ؛ فقُمنا فقبّلنا رأسه وسُررنا به أتمّ سرور، وآنعقدتْ بيننا و بينه يومئذ مودّة، ثم غاب عنّا غيبةً طويلة، و إذا هاشم قد أنفذ إلينا منه رُقعةً فيها :

أهاشمُ هل لى مِنْ سبيلٍ إلى التى * تُفـرِّقُ همَّ النفسِ فى كل مَذْهبِ
مُعَتَّقةً صرْفا كأنّ شُــعاعَها * تَضَرُّم نارٍ أو تَوَقُّــدُ كوكبِ

(١) كذا فى ب ، سـ ، م ، ا . وفى ط ، ء ، حـ : « المهرى » بالميم والراء . وسيذكر هذا الاسم فى الشعر الآتى مضطربا أيضا ففى ب ، سـ : « النهدى » . وفى م ، ا : « المهدى » . وفى حـ : « البهرى » وفى ط ، ء : « المهرى » ، و « النهدىّ » و « المهرىّ » من النسب المعروفة ولم نوفق الى وجه الصواب فى هذا الاسم .

أَلَارُبَّ يومٍ قد لهوتُ وليلةٍ * بها والفتى التَّهْدِىُّ وآبن المُهَلَّب
نُدِيرُ مُداماً بيننا بتحيّةٍ * وتفديةٍ بالنفس والأمّ والأب

سرق عقعق لابنه إسحاق خاتما له فهجاه

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان لى(١) وأنا صبىّ عَقْعَقٌ(٢) قد ربّيته وكان يتكلّم بكلّ شىء سمعه ، فسرق خاتمَ ياقوتٍ كان لأبى قد وضعه على تُكَأَتِه(٣) ودخل الخلاء ثم خرج ولم يجده ، فطلبه وضرب غلامَه الذى كان واقفا ، فلم يَقِف له على خبر ؛ فبينا أنا ذاتَ يوم فى دارنا إذ أبصرتُ العقعقَ قد نَبَش ترابا فأخرج الخاتَم منه ولعب به طويلا ، ثم ردّه فيه ودفَنه ، فأخذتُه وجئت به إلى أبى ، فسُرَّ بذلك وقال يهجو العقعق :

إذا بارك الله فى طائرٍ * فلا بارك الله فى العقعقِ
طويل الذُّنَابَى(٤) قصير الجناح * متى ما يجد غفلةً يسرق
يُقَلِّب عينين فى رأسه * كأنهما قطرتا زِئْبَق

قصته مع ابن جامع بين يدى الرشيد وما كان منه فى رضا الرشيد عن محمد الزف

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى أحمد ابن المكىّ ، وذاكرت أبا أحمد بن جعفر جَحْظة بهذا الخبر فقال حدّثنى به محمد ابن أحمد بن يحيى المكى المرتجل(٥) عن أبيه عن جدّه ، ووجدت هذا الخبر فى بعض ٢٦/٥ الكتب عن علىّ بن محمد بن نصر عن جدّه حمدون بن إسماعيل فجمعت الرواياتِ كلَّها :

---

(١) فى ب ، س ، م : «وكان» . (٢) العقعق : طائر على قدر الحمامة وهو على شكل الغراب ، وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة ، والعرب تتشاءم به وتضرب به المثل فى السرقة والخيانة والخبث .

(٣) كذا فى ط ، ء . وفى سائر النسخ : «فوضعه» . (٤) الذنابى : الذنب .

(٥) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «المرتحل» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

أنّ الرشيد قال يوماً لجعفر بن يحيى : قد طال سماعنا هذه العصابةَ على آختلاط الأمر فيها فهلمّ أُقاسمْك إياها وأُخايرك، فاقتسما المغنّين، على أن جعلا بإزاء كل رجل نظيرَه، وكان ابن جامع فى حيّز الرشيد و إبراهيم فى حيّز جعفر بن يحيى، وحضر الندماءُ لمحْنة[1] المغنّين، وأمر الرشيدُ آبنَ جامع فغنّى صوتا أحسن فيه كلَّ الإحسان وطرب الرشيد غايةَ الطرب، فلما قطعه قال الرشيد لإبراهيم : هات يا إبراهيم هذا الصوتَ فغنّه؛ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرفه، وظهر الانكسار فيه؛ فقال الرشيد لجعفر : هذا واحد، ثم قال لإسماعيل بن جامع : غنّ يا إسماعيل، فغنّى صوتا ثانيا أحسن من الأول وأرضى فى كل حال، فلما آستوفاه قال الرشيد لإبراهيم : هاته يا إبراهيم، قال : ولا أعرف هذا؛ فقال : هذان آثنان، غنّ يا إسماعيل، فغنّى ثالثا يتقدّم الصوتين الأوّلين ويفضُلهما، فلما أتى على آخره، قال : هاته يا إبراهيم، قال : ولا أعرف هذا أيضا؛ فقال له جعفر : أخزيتَنا أخزاك الله . قال : وأتمّ آبنُ جامع يومَه والرشيدُ مسرور به، وأجازه بجوائز كثيرة وخلَع عليه خِلَعا فاخرة، ولم يزَل إبراهيمُ مُنخذِلا مُنكسِرا حتى آنصرف . قال : فمضى إلى منزله، فلم يستقرّ فيه حتى بعث إلى محمد المعروف بالزّف[2]، وكان محمد من المغنّين المحسنين، وكان أسرعَ من عُرِف فى أيامه فى أَخْذ صوت يريد أَخْذَه، وكان الرشيد قد وجَد عليه فى بعض ما يجِده الملوك على أمثاله فألزمه بيتَه وتناساه؛ فقال إبراهيم للزّف : إنى آخترتك على من هو أحبّ إلىّ منك، لأمرٍ لا يصلُح له غيرك، فانظُر كيف تكون[3]! قال : أبلُغ فى ذلك محبّتك إن شاء الله تعالى؛ فأدّى إليه الخبر وقال : أريد أن تمضى الساعة

(١) المحنة : الاختبار، يقال : محنه اذا اختبره وجرّبه . (٢) فى ط ، ء : «الرف» (بالراء المهملة) . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٦ من الجزء الأوّل من الأغانى من هذه الطبعة) .

(٣) فى ب ، س ، حـ : «كيف يكون» .

إلى ابن جامع، فتُعلمــه أنك صِرت إليــه مُهنِّئا بمــا تَهَيَّأ له علىّ، وتَنَقَّصَنى[1] وتَثلِبُنى[2] وتَشتُمُنى، وتحتال فى أن تسمع منه الأصوات وتأخذها منه، ولك ما تُحبُّه من جهتى من عَرَض من الأعراض مع رضا الخليفة إن شاء الله . قال : فمضى من عنــده وآستأذن على آبن جامع فأذِن له، فدخل وسلّم عليه وقال : جئتُك مهنِّئا بما بلغنى من خبرك ، والحمد لله الذى أخزى آبنَ الجُرْمُقانيّة[3] على يدك، وكشف الفضل فى محلّك من صناعتك؛ قال : وهل بلغك خبرُنا؟ قال: هو أشهر من أن يخفى على مثلى؛ قال: وَيْحَك ! إنه يقصُر عن العِيان؛ قال : أيها الأستاذ، سُرَّنى بأن أسمعه من فيك حتى أَروِيَه عنك ، وأَسقِط بينى و بينك الأسانيدَ؛ قال : أقم عندى حتى أفعلَ؛ قال : السمع والطاعة؛ فدعا له ابن جامع بالطعام فأكلا ودعا بالشراب، ثم آبتدأ فحدّثه بالخبر حتى آنتهى إلى خبر الصوت الأوّل؛ فقال له الزفــه : وما هو أيها الأستاذ؟ فغنّاه ابن جامع إياه، فجعــل محمد يُصفّق وينعَر[4] ويشرب وابن جامع مجتهدٌ فى شأنه حتى أخذه عنه. ثم سأله عن الصوت الثانى، فغنّاه إياه، وفعل مثلَ فعله فى الصوت الأوّل، ثم كذلك فى الصوت الثالث؛ فلما أخذ الأصوات الثلاثة كلَّها وأحكمها قال له : يا أستاذ، قد بلغتُ ما أُحبّ، فتأذن لى فى الانصراف؟ قال: إذا شئتَ؛ فانصرف محمد من وجهه إلى إبراهيم؛ فلما طلع من باب داره قال له : ما وراءك؟ قال : كلّ ما تحب، أُدع لى بعُود ، فدعا له به، فضرب وغنّاه الأصوات؛ قال إبراهيم: وأبيك ٢٧/٥

(١) كذا فى ب ، سـ . وفى حـ ، ء : « وتقصبنى» بالباء الموحدة أى تعيبنى وتشتمنى .
(٢) ثلبه : عابه وتنقصه . (٣) الجرمقانى، ومثله الجرمق ، : واحد الجرامقة، وهم قوم من العجم صاروا بالموصل فى أوائل الاسلام . (أنظر القاموس وشرحه مادّة جرمق) . (٤) نعر الرجل (من بابى ضرب ومنع): صاح وصوّت بخيشومه .

هى بصُورِها(١) وأعيانها، ردّدها علىّ الآن، فلم يزل يُردّدها حتى صحّتْ لإبراهيم؛ وآنصرف الزّف إلى منزله؛ وغدا إبراهيم إلى الرشيد، فلما دعا بالمغنّين دخل فيهم، فلما بصُر به قال له : أوَ قد حضرت! أما كان ينبغى لك أن تجلس فى منزلك شهرا بسبب ما لقِيتَ من ابن جامع! قال: ولم ذلك يا أمير المؤمنين؟ جعلنى الله فداءك! والله لئن أذنتَ لى أن أقول لأقولنّ؛ قال : وما عساك أن تقول؟ قل؛ فقال : إنه ليس ينبغى لى ولا لغيرى أن يراك نشيطًا لشىء فيُعارِضَك، ولا أن تكون مُتعصّبا لحيّزٍ وجَنْبة(٢) فيغالبَك، وإلا فما فى الأرض صوتٌ لا أعرفه، قال: دَعْ ذا عنك، قد أقررتَ أمسِ بالجهالة بما سمعتَ من صاحبنا، فإن كنتَ أمسكتَ عنه بالأمس على معرفة كما تقول فهاته اليومَ، فليس هاهنا عصبيّة ولا تمييز، فاندفع فأمرّ الأصوات كلّها، وآبن جامع مُصْغٍ يسمع منه، حتى أتى على آخرها؛ فآندفع ابن جامع يحلف بالأيمان المُحْرِجة أنه ما عرفها قطّ ولا سمعها ولا هى إلا من صَنْعته، ولم تخرج إلى أحد غيره؛ فقال له : وَيْحك! فما أحدثتَ بعدى؟ قال : ما أحدثت حدَثا؛ فقال : يا إبراهيم بحياتى اصدُقنى! فقال : وحياتِك لأصدُقنّك، رميته بحَجَره(٣)، فبعثت له بمحمد الزّف وضمِنتُ له ضمانات، أولها رضاك عنه، فمضى فاحتال(٤) لى عليه حتى أخذها عنه ونقلها الىّ، وقد سقط(٥) الآن اللوم عنّى بإقراره، لأنه ليس علىّ أن أعرف ما صنعه هو ولم يُخرجه إلى الناس، وهذا باب من الغيب، وإنما يلزمنى أن يعرف(٦) هو شيئا من غناء الأوائل وأجهله أنا، وإلّا فلو لزمنى أن أروىَ صنعته للزمه أن

(١) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «بصورتها». (٢) الجنبة: الناحية.
(٣) فى أساس البلاغة: «ورمى فلان بحجيره اذا قرن بمثله». (٤) كذا فى ط، ء.
وفى سائر الأصول: «فمضى حتى احتال ... الخ». (٥) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول:
«ونقلتها حتى سقط». (٦) فى ب، س: «ألا يعرف». والظاهر أنه تحريف.

يروى صنعتى، ولزم كلُّ واحد منا لسائر(١) طبقته ونظرائه مثلُ ذلك، فمن قصّر عنه كان مذموما ساقطا؛ فقال له الرشيد : صدقتَ يا إبراهيم، ونَضَحتَ(٢) عن نفسك، وقمت بحجّتك؛ ثم أقبل على آبن جامع فقال له : يا إسماعيل، أُتيتَ أُتيتَ! دُهيتَ دُهيتَ! أبطل عليك الموصلىّ ما فعلتَه به أمسِ وآنتصف اليومَ منك؛ ثم دعا بالزّق فرضى عنه .

الأصوات التى غنى بها ابن جامع وبيان ما يتصل بها

قال علىّ بن محمد : سألت خالى أبا عبد الله بن حَمْدون وقد تجارينا هذا الخبرَ : هل تعرف أصوات آبن جامع هذه؟ فأخبرنى أنه سمع إسحاقَ يحكى هذه القصّة، وذكر أنّ الصوت الأوّل منها :

صوت

بكيتُ نعمْ بكيتُ وكلّ إلْفٍ * إذا بانت قرينتُه بكاها
وما فارقتُ لُبْنَى عن تَقالٍ(٣) * ولكن شِقْوةٌ بلغتْ مَداها

الشعر لقَيْس بن ذَرِيح . والغناء لآبن جامع ثانى ثقيلٍ بالوسطى . وفيه ليحيى المكىّ ثانى ثقيلٍ آخرُ بالخنصر والبنصر من كتابه . وفيه لإبراهيم ثقيلٌ(٤) أوّل عن المشامىّ .

قال : والثانى منها :

صوت

عفت دارَ سَلْمَى بمُفْضَى الرِّغام * رياحٌ تَعاقَبُها(٥) كلَّ عامِ
خِلافَ(٦) الحلولِ بتلك الطّلول * وسَحْبِ الذُّيول بذاك المقامِ

(١) كذا فى ط، ء، حـ . وفى سائر الأصول : «كسائر» وهو تحريف . (٢) كذا فى ط، ء . ونضح الرجل عن نفسه : دفع عنها بالحجة . وفى سائر الأصول : «نصحت» بالصاد المهملة، وهو تصحيف . (٣) كذا فى أكثر الأصول . والتقال : التباغض . وفى ب، حـ : «ثقال» (بالثاء المثلثة) وهو تصحيف . (٤) فى ط، ء : «ثقيل أوّل آخر» . (٥) فى ط، ء : «توارثها» . (٦) كذا فى ط، ء، حـ . أى بعده . وفى باقى الأصول : «خلال» باللام .

وأنس الديار وقرب الجـــوار * وطيب المَـزار وردّ السـلامِ ٢٨ ٥

ودهرٍ غَرِيرٍ[(١)] وعيش السّرور * ونأى الغَيور وحُسن الكلام

الشـعر لحمّاد الرّاوية . والغناء لابن جامع ثقيل أوّل بالبنصر؛ [(٢)] [ذكر ذلك الحَزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو] . قال ابن حمدون : وهـذا الصوت عجيب الصنعة، كثير النَّغَم، مُحكَم العمل، من صدور أغانى ابن جامع ومتقدّمِ صنعته، وكان المعتصم مُعجَبا به، وكثيرا ما كان يُسْكِت المغنّين إذا غُنّى بحضرته فلا يَسمع سائرَ يومه غيرَه .

قال : والثالث منها :

صـــــوت

نَزَفَ البكاءُ دموعَ عينك فاَستَعِرْ * عينًا لغــيرك دمعُها مِــدْرارُ

مَنْ ذا يُعـيرك عينَه تبكى بهـا * أرأيتَ عينًـا للبــكاء تُعـارُ

الشـعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ؛ وقال ابن حمدون : وعارَضه إبراهيم بعد ذلك فى [(٢)] [هذا] الشعر، فصنع فيه لحنا من الرَّمَل بالبنصر فى مجراها، فلم يَلْحَقه ولا قاربه . قال : وقد صُنع أيضا فى هذا الشعر لحنٌ خفيف فاسد الصنعة مُحدَث ليس ينبغى أن يُذكر هاهنا .

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى أبو عبد الله الحَزَنْبَلُ قال حدّثنى أحمد ابن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال :

أُنْشِد بشّارٌ قولَ العبّاس بن الأحنف :

نَزَف البكاءُ دموعَ عينك فاَستعرْ * عينا لغــيرك دمعها مــدرارُ

---

(١) كذا فى حـ ، ط ، ء . وفى سائر الأصول : «عزيز» . (٢) زيادة عن ط ، ء .

فقال بشار : لحِق والله هذا الفتى بالمحسنين، وما زال يُدخل نفسَه معنا ونحن نُخرجه حتى قال هذا الشعر .

حدّثني محمد بن يحيي قال حدّثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال :

أُنشد الرشيدُ قولَ العباس :

من ذا يُعيرك عينَه تبكي بها * أرأيت عيناً للبكاء تُعارُ

فقال : يُعيره مَنْ لا حاطَه الله ولا حفِظه .

ومما يُغَنَّى فيه من قصيدة العبّاس بن الأحنف الرائيّة التي هذا الصوت الأخير[1] منها قولُه :

صوت

الحبُّ أوّلُ ما يكون لَجَاجةً * تأتي به وتسوقُه الأقدارُ

حتى إذا سلَك الفتى لُجَجَ الهوى * جاءت أمورٌ لا تُطاق كِبارُ

غنّاه ابن جامع ثانيَ ثقيل بالبنصر . وفيه لِشاطرةَ امرأةِ منصورِ زَلْزَلٍ ثقيلٌ أوّلُ[2] بالوسطى عن الهشامي . وذكر ابن المكيّ المرتجِل أنّ هذه الأصوات الثلاثة المسروقةُ[3] من ابن جامع :

(١) في س ، ب ، م : « التي هي الصوت الآخر منها » . وفي حـ : « التي هي الصوت الأوّل منها» .

(٢) في حـ : « ثاني ثقيل أوّل بالوسطى » .

(٣) في ط ، ء : « المعروفة » .

* يا قبرُ بين بيــوت آل مُحَــرِّقٍ[1] *

و : * عفا طَرَفُ القُــرَيَّةِ[2] فَٱلكثيبُ *

وأسقط منها قوله :

* نزف البكاء دموع عينك فٱستعر *

و : * بكيتُ نعم بكيتُ وكلُّ إلف *

نسـبة هـذين الصوتين

صـوت

يا قبرُ بين بيــوتِ آل مُحَــرِّقٍ * جادت عليــك رَوَاعِدٌ وبُرُوقُ

أمّا البكاء فقــلّ عنــك كثيرُه * ولــئن بكيتُ فبٱلبكاء حقيــق[3] ٢٩ / ٥

---

(١) آل محرق هنا : هم ملوك الحيرة من لخم ، ومحرّق الذى أضيفوا اليه هو آمرؤ القيس بن عمرو ابن عدى أحد ملوكهم ، ويقال له : المحرّق الأكبر . ولقّب به أيضا من اللخميين عمرو بن هنـد من ملوكهم ، ويقال له : المحرق الثانى ، وآبن النعمان بن المنـذر شاعر . وفيهم يقول الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محرّق * تركوا منازلهم وبعد إياد

ومحرق — أيضا — : لقب الحارث بن عمرو أبي شمر ملك الشام من آل جفنة لأنه أوّل من حرق العرب فى ديارهم . ويقال لآل جفنة أيضا : آل محرّق (ملخص عن اللسان ، والقاموس وشرحه مادة حرق ، والمعارف لابن قتيبة ص ٣١٧) . (٢) القرية (بضم أوّله وفتح ثانيه وتشديد الياء تصغير قرية) : تطلق على عدّة أماكن كما ذكر ياقوت فى معجمه ، ومنها موضع بنواحى المدينة ذكره ابن هرمة فى قوله :

انظر لعلــك أن ترى بسويقة * أو بالقـرية دون مفضى عاقل

والقرية أيضا : من أشهر قرى اليمامة ، لم تدخل فى صلح خالد بن الوليـد يوم قتل مسيلمة الكذاب . والمرجح أنها هى المعنية بهذا الشعر ، وذلك لذكرها مع ملحاء التى هى واد من أعظم أودية اليمامة ، وستأتى فيما بعد عند ذكر الشعر . (٣) فى ط ، ء : « خليق » .

الشعر لرجل من بنى أسد يَرْثى خالد بن نَضْلة[1] ورجلا آخر من بنى أسد[2] كانا نديمين للنذر بن ماء السماء[3]، فقتلهما فى سُخْطه عليهما ؛ وخبرُ ذلك مشهور فى أخبار ابن جامع[4] . والغناء لأبن جامع، وله فيه لحنان : ثقيل أوّل بالوسطى، ورمل بالبنصر، وقيل : إن الرَّمَل لابن سُرَيج . وذكر حَبَشٌ أن لمحمد صاحب البَرّام فيه لحنا من الثقيل الثانى بالوسطى .

---

(١) كذا فى جميع الأصول هنا ومعجم ما استعجم للبكرى (ص ٦٩٤ طبع أوربا) والشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ١٤٤ طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ج ١ ص ٤٠١ طبع أوربا) ومعجم البلدان لياقوت (ج ٣ ص ٧٩٢ طبع أوربا) . وفى أمالى القالى (ج ٣ ص ١٩٥ طبع دار الكتب المصرية) وشرح قصيدة ابن عبدون (ص ١٣٢ طبع أوربا) والأغانى (ج ١٩ ص ٨٦ طبع بولاق) : «خالد بن المضلل» . وكلاهما محتمل هنا أن يكون هو المراد ولا سيما أنهما كانا يظلهما عصر واحد وأن كليهما أسدى . وقد عنى هذين الخالدين الأسود بن يعفر فى قوله :

فان يك يومى قد دنا وإخاله ✽ كواردة يوما الى ظِمْء منهل

فقبلى مات الخالدان كلاهما ✽ عميد بنى جحوان وابن المضلل

(٢) هو عمرو بن مسعود . وقد رثتهما هند بنت معبد بن نضلة — كما فى سيرة ابن هشام ومعجم ما استعجم للبكرى . وهذا يرجح أنه خالد بن نضلة — قالت لما قتلا :

ألا بكر الناعى بخيرى بنى أسد ✽ بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وتعنى بالسيد الصمد : خالد بن نضلة عمها .

(٣) يؤيد الأصول هنا فى أن صاحب القصة هو المنذر بن ماء السماء ما ورد فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١٩٥ طبع دار الكتب المصرية) وكتاب الأوائل لاسماعيل بن هبة الله الموصلى ، ومعجم البلدان لياقوت فى الكلام على الغريين (ج ٣ ص ٧٩٢) . والذى فى سيرة ابن هشام (ج ١ ص ٤٠١) وكتاب المعارف لابن قتيبة (ص ٣١٩) وشرح ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون (ص ١٣٢ طبع أوربا) ومعجم ما استعجم للبكرى وطبقات الشعراء لابن قتيبة : أن صاحب القصة هو النعمان بن المنذر بن ماء السماء .

(٤) بالبحث فى أخبار ابن جامع التى ذكرت فى الجزء السادس من الأغانى طبع بولاق لم نجد بينها هذا الخبر، وإنما وجد فى أخبار عبيد بن الأبرص فى الجزء التاسع عشر طبع بولاق .

ومنهـا :

صـــوت

عفا رَسْمُ[1] القُــرَيّة فالكثيبُ * الى مَلْحَاء[2] ليس بهـا عَريبُ[3]
تأبّدَ[4] رسْمُهـا وجرى عليهـا * سَفِيُّ[5] الريح والتُّربُ الغريبُ
فإنكَ وآطّراحَك وصلَ سُعْدى * لأخرى فى مودّتهـا نُكوبُ
كثاقبـةٍ لحَلْيٍ مسـتعار * بأذنيهـا فشانَهما[6] الثُّقــوبُ
فـردّت حَلْيَ جارتهـا إليهـا * وقـد بَقِيتْ بأذنيهـا نُدوبُ[7]

الشعر لابن هَرْمة . والغناء لابن جامع ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . [عن إسحاق][8] . وفيه للغريض ثانى ثقيل آخر بالبنصر عن عمرو . وقال عمرو : فيه لحنٌ للهذلىّ ، ولم يُجنّسه .

أخبرنى[9] محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى عيسى بن أيوب القُـرَشىّ قال حدّثنى غَيْث بن عبـد الكريم عن فُلَيْح ابن إسمـاعيل عن إسمـاعيل بن جعفر الفقيه مولى حَرْب[10] عن أبيه قال :

---

(١) فيما تقدم فى جميع الأصول وفى ط ، ء هنا : «طرف القرية» . (٢) ملحاء : واد من أعظم أودية اليمامة . (٣) عريب : أحد . (٤) تأبد المنزل : أقفر . (٥) السفىّ : التراب المذرى المتبدد . (٦) فى ط ، ء : «فشانتها» . (٧) الندوب : آثار الجرح فى الجسم . (٨) الزيادة عن ط ، ء . (٩) كذا ورد هـذا الخبر مقدما فى ط ، ء على الذى يليه ، وهو الذى يناسب آطراد السياق . (١٠) فى ط ، ء : «مولى خزاعة» .

مررتُ بابن هَرْمة وهو جالس على دُكّان(1) فى بنى زُرَيق، فقلت له: يا أبا إسحاق، ما يُجلسك هاهنا؟ قال: بيت كنت قلتــه ثم آنقطع علىّ الروىّ فيه وتعــذّر علىّ ما أشتهيه، فأبغضته وتركته؛ قلت: ما هو؟ قال:

فإنك وآطّراحَك وصلَ سُعْدَى * لأخرى فى مودّتها نُكوبُ

قال: قلته ثم آنقُطِع بى فيه؛ فمرّت بى جُوَيْرِية صــفراء مليحة كنتُ أستحسنها أبدا وأُكلّمها إذا مرّت بى، فمرّت اليوم فرأيتُها وقد وَرِم وجهها وتغــيّر خَلْقُها، [عمّــا أعرِف](2)، فسألتُهــا عن خبرها فقالت: [كان فى بنى فلان عُرْسٌ أردت حضوره](2) فاستعار لى أهلى حَلْياً وثقبوا أذنى لألبَسه فورِم وجهى وأُذناى كما ترى، فردّوه ولم أشهد العُرْس؛ قال آبن هَرْمة: فآطّرَد لى الشعرُ فقلت:

كثاقبــةٍ لحَــلْىٍ مســتعارٍ * بأذنيهــا فشانَهما الثقــوبُ
فــردّت حَلْى جارتهــا إليهــا * وقـــد بقيت بأذنيهــا نُدوبُ

سرق إبراهيم بن المهدى شعره ولحنه وغنى به الرشيد

أخبرنى الحسين بن القاسم قال حدّثنى العبّاس بن الفَضْل قال حدّثنى أبى قال: قال الرشيد لإبراهيم بن المهدىّ و إبراهيم الموصلىّ وابنِ جامع وابنِ أبى الكَنّات: باكِرونى غدًا، وليكن كلّ واحد قد قال شعرا إن كان يقدِر أن يقولَه، وغنّى فيــه لحنا، وإن لم يكن شاعرا غنّى فى شعر غيره. قال إبراهيم بن المهــدىّ: فقمتُ فى السَّحَر وجَهَدت أن أقدِر على شىء أصنعه فلم يتّفق لى، فلمّا خِفْتُ طلوع الفجر دعوتُ بغلمــانى وقلت لهم: إنى أُريد أن أمضى إلى موضع ولا يَشْـعرُ بى أحد

(١) الدكان: الدكة المبنية للجلوس عليها.　(٢) الزيادة عن ط، ء.

حتى أصيرَ إليه، وكانوا يَبيتون[1] على باب دارى ، فقمت فركبت وقصدتُ دارَ إبراهيمَ الموصلىّ، وكان قد حدّثنى أنه إذا أراد الصنعة لم ينَمْ حتى يُدبّر ما يحتاج إليه، وإذا قام لحاجته فى السَّحر اعتمد على خشبة له فى المُسْترَاح[2] ، فلم يزل يَقرَع عليها حتى يَفرُغَ من الصوت ويرسَخَ فى قلبه، فجئت حتى وقفت تحت مُسْترَاحه ، فإذا هو يُردّد هذا الصوت :

صــــوت

إذا سُكِبتْ فى الكأس قبل مِزاجها * ترى لونَها فى جِلدة الكأس مُذْهَبَا
وإن مُزِجتْ راعت بلونٍ تخاله * إذا ضُمّنته الكأسُ فى الكأس كوكبَا
أبوها نِجاءُ[3] المُزْنِ والكَرْمُ أُمُّها * فلم أرَ زَوْجًا[4] منه أشهى وأطيبَا
بجاءتك صَفْرا[5] أشبهت غيرَ جنسها * وما أشبهت فى اللون أُمًّا ولا أبا

قال : فما زلتُ واقفا أستمع منه الصوتَ حتى أخذتُه ؛ ثم غدَوْنا إلى الرشيد ، فلمّا جلسنا للشّرب خرج الخادمُ إلىّ فقال : يقول لك أمير المؤمنين : يَابْنَ أمّ غنّنى ؛ فآندفعتُ فغنّيتُ هذا الصوت والموصلىّ فى الموت حتى فرَغتُ منه، فشرب عليه وأمر لى بثلثمائة ألف درهم ؛ فوثب إبراهيم الموصلىّ فحلف بالطلاق وحياة ٣٠/٥

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «وكانوا فى زبيديات لى يبيتون فيها على باب دارى فقمت فركبت فى إحداها وقصدت ... » . ولم ندر ما الزبيديات التى كانوا يبيتون فيها ثم ركب هو إحداها . ولعلها ضرب من العجل (العربات) نسب الى زبيدة زوج الرشيد . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «فى الحش» . والحش (مثلث الحاء) فى الأصل : البستان، وأطلق على موضع قضاء الحاجة والمتوضأ لأنهم كانوا يذهبون عند قضاء الحاجة الى البساتين . والجمع : حشوش .

(٣) النجاء : جمع النجو وهو السحاب الذى قد هراق ماءه ثم مضى ، وقيل : هو السحاب أوّل ما ينشأ .

(٤) الزوج : النوع والصنف . (٥) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «مخائل صفرا» وهو تحريف .

الرشيد أنّ الشعر له قاله البارحة وغنّى فيه، ماسبقه إليه أحدٌ؛ فقال إبراهيم: ياسيّدى، فمن أين هو لى أنا لولا كذبُه وبُهْتُه(١)! وإبراهيم يضطرب ويضِجّ(٢)، فلمّا قضيتُ أرَبًا من العَبَث به قلتُ للرشيد: الحقُّ أحقّ أن يُتّبع، وصَدَقتُه، فقال للموصلىّ: أمّا أخى فقد أخذ المال ولا سبيل إلى ردّه، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضا مما جرى عليه، فلو بدأتَ أنتَ بالصوت لكان هذا حظَّك؛ فأمر له بها فحُمِلَتْ إليه.

سأله محمد بن يحيى أن يقيم عنده فى يوم مهرجان وله كل الهدايا التى تهدى إليه، فلما صارت إليه فرّقها جميعا

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن مخارق قال:

أتى إبراهيمُ الموصلىّ محمدَ بن يحيى بن خالد فى يوم مِهْرجان، فسأله محمدٌ أن يقيمَ عنده؛ فقال: ليس يمكننى لأن رسول أمير المؤمنين قد أتانى(٣)؛ قال: فتمرّ بنا إذا انصرفتَ ولك عندى كلُّ مايُهْدَى إلىّ اليومَ؟ فقال: نعم، وترك فى المجلس صديقا له يُحْصِى ما يُبعث [به](٤) إليه؛ قال: فجاءت هدايا عجيبةٌ من كلّ ضَرْب؛ قال: وأُهدِىَ إليه تِمْثالُ فيلٍ من ذهب عيْناه ياقوتتان؛ فقال محمد للرجل: لا تخبره بهذا حتى نبعثَ به إلى فلانة ففعل؛ وانصرف إبراهيم إليه فقال: أَحضِرنى ما أُهدى لك، فأحضره ذلك كلَّه إلا التمثالَ، وقال: لا بدّ من صِدْقك، كان من الأمر كذا وكذا؛ فقال: لا! إلّا على الشريطة وكما ضَمِنْتَ، فجِيءَ بالتمثال؛ فقال إبراهيم: أليس الهديّة لى فأعملَ فيها ما أريد؟ قال: بلى، قال: فرُدَّ التمثال على الجارية؛ وجعل يُفرّق الهدايا على جلساء محمد شيئا شيئا وعلى جميع من حضر من إخوانه وغلمانه وعلى من فى دُور الحُرَم(٥) من جواريه حتى لم يبقَ منها شىء، ثم أخذ من

(١) البهت (بالضم): الافتراء والكذب. (٢) فى ط، ء: «ويصيح». (٣) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «لأن رسول أمير المؤمنين قاعد». (٤) الزيادة عن ط، ء. (٥) فى ب، س: «فى دور الخدام».

المجلس تُفَاحتــين لمّــا أراد الانصراف وقال : هــذا لى ، وآنصرفَ ؛ فجعل محمــد يَعْجَب من كِبَر نفسه ونُبْله .

زاره الرشـيد ليلا وغنته جواريه

وقال أحمد بن المَرْزُبان حدّثنى بعض كتّاب السلطان :

أنّ الرشيد هبّ ليلةً من نومه ، فدعا بحمار كان يركبه فى القَصْر أسودَ قريبٍ من الأرض فركبه ، وخرج فى دُرّاعة وَشْيٍ مُتلثِّمًا بعمامة وشيٍ ملتحفًا بإزارِ وَشْيٍ ، بين يديه أربعُمائة خادم أبيضَ(١) ســوى الفرّاشين ، وكان مسرورٌ الفَرْغانىّ(٢) جريئا عليــه لمكانه ٣١/٥ عنده ، فلمــا خرج من باب القصر قال : أين يريد أميرُ المؤمنين فى هــذه الساعة ؟ قال : أردتُ منزل الموصلىّ . [قال مسرورٌ(٣) :] فمضى ونحن معه و بين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم ؛ فخرج فتلقّاه وقبّــل حافرَ حمــاره وقال له : يا أمير المؤمنــين ، أفى مثل هــذه الساعة تظهــر ! قال : نعم ، شــوقٌ طَرَق لك بى ؛ ثم نزل فجلس فى طَرَف الإيوان وأجلس إبراهيم ؛ فقال له إبراهيم : ياسيّدى أتنشّط لشيء تأكله؟ فقال : نعم ، خَاميز(٤) ظبي ، فأُتِى به كأنمــا كان مُعَدًّا له ، فأصاب منه شيئا يسيرا ، ثم دعا بشراب حُمِل معه ؛ فقال الموصلىّ : يا سيّدى ، أَوُغنّيك أم تغنّيك إماؤك؟ فقــال : بل الجوارى ؛ فخــرج جوارى إبراهيمَ فأخذنَ صــدرَ الإيوان وجانبيه ؛ فقال : أيضربْنَ كلُّهن أم واحدة ؟ فقال : بل تَضرب اثنتان اثنتان وتُغنّى واحدة

(١) فى ط ، ء : « أســود » . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى باقى الأصول : « منذر الفرغانى » . ولم نعثر على هذا الاسم فيما بين أيدينا من الكتب التى تحدّثت عن حياة الرشيد الخاصة والعامة . (٣) الزيادة عن ط ، ء . (٤) الخاميز : اسم أعجمى تعريبه عامص وآمص ، و بعضهم يقول : عاميص وآميص ، وهو طعام يتخذ من لحم عجل بجلده ، أو مرق السكباج (الأكارع تطبخ بمرق فيه عصــير الليمون ثم تغرف بمرقتهــا وتترك حتى تبرد و يجمد المرق فيكون فى قوام الفالوذج ، وهو أيضا لحم أو سمك يطبخ بخل) المبرد المصفى من الدهن .

فواحدة، ففعلن ذلك حتى مرّ صدرُ الإيوان وأحدُ جانبيه والرشيدُ يسمع ولا ينشط[1] لشيء من غنائهنّ، إلى أن غنّت صبيّةٌ من حاشيته[2] :

يا مُورِىَ الزَّند قــد أعيتْ قوادحُه * اِقبِسْ إذا شئتَ من قلبي بمقباسِ
ما أقبحَ الناسَ فى عيني وأسمجَهم * إذا نظرتُ فلم أبصرك فى الناسِ

قال : فطرِب لغنائهــا وآستعاد الصــوتَ مرارا وشرب أرطالا ، ثم سأل الجاريةَ عن صانعه فأمسكتْ ، فآســتدناها فتقاعَسَت ، فأمَر بهــا فأُقيمت حتى وُقِفتْ[3] بين يديه ، فأخبرته بشيء أسرّته إليــه ، فدعا بحماره فركبه وآنصرف ، ثم التفت إلى إبراهيم فقال : ما ضَرّك ألّا تكون خليفة ! ؛ فكادت نفسُه تخرج ، حتى دعا به وأدناه بعــد ذلك . قال : وكان الذى خبّرته [به][4] أن الصنعة فى الصوت لأخته عُلَيّة بنت المهدىّ ، وكانت الجارية لها وجّهتْ بها إلى إبراهيم يُطارحها ، فغار الرشيد . ولحنُ الصوت خفيفُ رَمَل .

شعره فى ابنة خمارة كان يألفها

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان أبى يألف خَمّارةً بالرَّقة يقال لهــا بِشرة[5] تنزل المَنِيءَ[6] والمَرِىء ، وكانت لهــا بنت من أحسن النــاس وجها فكان أبى يتحلّاها[7] ، ثم رحل الرشــيد عن الرّقة إلى بلاد الروم [فى بعض غزواته][4] ، فقال أبى فيها :

---

(١) فى ط ، ى : « ولاينبسط » . (٢) أى من حاشية الايوان . وفى ط ، ى ومختار الأغانى : « من حاشية الصفة » . والصفة : شبه البهو الواسع الطويل السمك ، وهى أيضا : طرته ، أى طرفه وحرفه . (٣) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : « أوقفت » بزيادة الهمزة ، وهى لغة رديئة . (٤) الزيادة عن ط ، ى . (٥) فى شرح القاموس (مادة بشر) : « وبِشرة بالكسر اسم جارية عون بن عبدالله » ، ثم ذكر البيت إلا أنه نسبه الى اسحاق لا الى أبيه . (٦) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٦٦ من هذا الجزء . (٧) تحلى الشىء واستحلاه واحلولاه بمعنى .

أَيَا بنتَ بِشْرةَ ما عاقَنِي * عن العهد بَعْدَكِ من عائقِ
نَفَى النومَ عنّى سنا بارقٍ * وأشهقنِى فى ذُرَى شاهقِ

قال : وفيها يقول [أيضا[1]] من أبيات له ، وله فيها صنعة من الرَّمَل الأوّل :

صـــوت

وزعمتِ أنِّى ظـالمٌ فهجرتِنى * ورَمَيتِ فى قلبى بسهمٍ نافذِ
ونَعَمْ ظلمتُكِ فاغفرِى وتجاوَزِى * هـذا مَقامُ المسـتجيرِ العائذِ

ذكر حمّاد فى هذا الخبر أن لحن جدّه من الرَّمَل . ووجدتُ فى كتاب أحمد بن المكىّ أنّ له فيهما لحنين : أحدهما ثقيل أوّل والآخر ثانى ثقيل .

أغانيه فى السجن

حدّثنى عيسى بن الحسين[2] الورّاق قال حدّثنى عبدالله بن أبى سعد[3] قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعىّ قال :

حبس الرشيدُ إبراهيمَ الموصلىّ عنـد أبى العبّاس (يعنى أباه عبـد[4] الله بن مالك) فسمعناه ليلةً وقد صنع هذا اللحن وهو يكرره حتى يستوى[5] له :

٣٢/٥

يا أخِـلاءِ قد مَلِلْتُ مكانى * وتذكّرتُ ما مضى من زمانى
شُرْبِىَ الراحَ إذ تقـومُ علينـا * ذاتُ دَلٍّ كأنّهـا غصنُ بانِ

قال : وغنّى فى الحبس أيضا :

أَلَا طال ليلى أُراعى النجوم * أُعالِجُ فى السّاق كَبْلًا[6] ثقيلَا

(١) زيادة عن ط ، ء . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « الحسن » ، وهو تحريف . (٣) فى ب ، س فى هذا الموضع : « عبد الله بن أبى محمد » ، وهو تحريف . (٤) كان صاحب الشرطة فى أيام المهـدى فالهادى فالرشيد وكان من أكابر القوّاد وتولى أرمينيـة وأذربيجان . (انظر الحاشية رقم ١ من كتاب التاج للجاحظ ص ٨١ طبع بولاق) . (٥) كذا فى ط ، ء . وفى باقى الأصول : «حتى تستوى له» . (٦) الكبل (بالفتح و يكسر) : القيد .

زعم علويه الأعسر أنه دخل عليه في مرضه في علته وهو يترنم فأنكر ابنه إسحاق ذلك

حدّثني عيسى قال حدّثني عبد الله قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني علّويه الأعسر قال :

دخلتُ على إبراهيم الموصليّ في عِلّته التي توفّي فيها وهو في الأَبْزَن(١) وبه القُولَنج(٢) الذي مات فيه، وهو يترنّم بهذا الصوت :

صـــوت

تغيّر مني كلُّ حُسْنٍ وجِدّةٍ * وعاد على تَغْرى فأصبح أَثْرَما

وحَلّ أطرافى فزالتْ فصوصُها * وحَنّى عظامى عُوجَها والمُقَوَّما

قال محمد : فحدّثتُ بهذا الحديث إسحاقَ الموصليّ، فقال : كَذَبَ ابنُ الزانية ! والله ما كان يجترئ [أن](٣) يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس للناس إلا بعد جَهْد، فكيف يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس في الأَبْزَن .

نسبة هذا الصوت

الشعر والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان ماخُوريّ بالوسطى عن عمرو، وثاني ثقيل عن ابن المكيّ .

غنت المقتدر إحدى جواريه لحناله

حدّثني جَحْظة قال :

كان المقتدر يدعونا في الأحايين ، فكان يحضُر من المغنّين إبراهيمُ بن أبي العُبَيْس وكُنَيْز وإبراهيم بن قاسم وأنا ووَصِيف الزّامر ، وكان أكثر ما نُدْعَى له أنّ جواريه

(١) الأبزن (مثلث الهمزة) : حوض من حديد أو من نحاس مصنوع على شكل التابوت على قدر قامة الإنسان أو أقصر منها، عليه غطاء مثقوب، يضع فيه الأطباء المريض ويخرجون رأسه من الثقب فيداوونه بصب المطبوخات أو الماء المغلي بالأدوية الحارة . (٢) القولنج (وقد تكسر لامه أو هو مكسور اللام وتفتح القاف وتضم) : مرض معوى مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح .

(٣) زيادة يقتضيها السياق . وفي ط، ء : «ما كان غيرى يدخل على أبي إسحاق ... الخ» .

[كنّ](١) يطالبنه بإحضارنا ليأخذن منّا أصواتا قد عرفنها ويسمعننا، فنغنّى فيأخذن ما يستحسنّه، فإذا انصرفنا أمر لكلّ واحد من إبراهيم وكُنيز دُبّة وإبراهيم بثلاثمائة دينار، ولى بمائتى دينار، ولوصيف بمائتى دينار، ولسائر من لعلّه أن يحضُر معنا بمائتين إلى المائة الدّينار(٢) إلى الألف الدّرهم، فيكون(٣) إذا حضرنا من وراء ستارة وهو جالس مع الجوارى، فإذا أراد اقتراح شىء جاءنا الخدم فأمرونا أن نغنّيه، وبين يدى كلّ واحد منا قِنّينة فيها خمسة أرطال نبيذ وقدحٌ ومغسَلٌ(٤) وكوزُ ماء؛ فغنّتْ يومًا صَلِفَةُ جارية زِرْياب بصنعة إبراهيم الموصلىّ:

تغيّر منّى كلُّ حُسنٍ وجِدّةٍ * وعادَ على ثغرى فأصبح أثرما

فشربتُ عليه، فاستعاده المقتدر مرارا وأنا أشرب عليه، فأخذ إبراهيم بن أبى العُبَيس بكتفى وقال: يامجنون! إنما دُعيتَ لتُغنّىَ لا لتَغنّى وتطرب وتشرب، فلعلّك تسكر، حَسْبُك! فأمسكتُ طمعًا أن تردّه بعد ذلك، فما فعلتْ ولا اجتمعنا بعدها، وما سمعتُ قبل ذلك ولا بعده أحدا غنّى هذا الصوتَ أحسنَ مما غنّته. قال: وكان المقتدر(٥) ابتاعها من زِرْياب.

رأى سوداء بمكة تبكى زوجها بشعر فبحث عنه حتى ردّه إليها

٣٣ / ٥ أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبد الله(٦) بن أبى سعد قال حدّثنى أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن علىّ قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ عن أبيه قال:

---

(١) الزيادة عن ط، ء. (٢) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «بمائتين المائة الدينار إلى المائة الدرهم». (٣) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «فنكون» بالنون. (٤) المغسل (بكسر السين وفتحها): ما يغسل فيه. (٥) كذا فى ب، س. وفى سائر الأصول: «المعتضد». ويلاحظ أن جميع النسخ قد اتفقت فى أوّل الخبر على أنه المقتدر. (٦) كذا فى ط، ء هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول وفيما مر فى الجزء الثالث (ص ١٩٢ من هذه الطبعة). وفى سائر الأصول هنا: «عبيد الله»، وهو تحريف.

بينا أنا بمكة أجول فى سِكَكِها إذا أنا بسوداءَ قائمةٍ ساهيةٍ باكيةٍ، فأنكرتُ حالها وأدْمَنْتُ النظر إليها، فبكَتْ وقالت :

أعمــرُو عَــلامَ تجنَّبتَنى * أخذتَ فؤادى وعذَّبْتَنِى
فلو كنتَ ياعمرُو خبّرتنى[1] * أخذتُ حِذارى فما نِلْتَنِى

فقلتُ لها : ياهذه، من عمرٌو؟ قالت : زوجى؛ قلت : وما شأنه؟ قالت : أخبرنى أنه يَهْوَانى وما زال يطلبنى حتى تزوّجتُه، فلبِث معى قليلا ثم مضى إلى جُدَّةَ وتركنى؛ فقلتُ لها : صِفِيه لى؛ قالت : أحسنُ مَن أنت رائيه سُمرةً وأحلاهم حلاوةً وقدًّا؛ قال : فركبتُ رواحلى مع غِلمانى وصرتُ إلى جُدَّةَ، فوقفتُ فى موضع المَرْفأ أتبصَّرُ مَن يحمل من السفن، وأمرتُ مَن يَصوت : ياعمرُو ياعمرُو، وإذا أنا به خارجًا[2] من سفينة على عنقه صَنٌّ[3] فيه طعامٌ، فعرفتُه بصفتها ونعتِها إياه، فقلتُ :

أعمــرُو عَلامَ تجنَّبتَنِى * أخذتَ فؤادى وعذَّبتَنِى

فقال : هِيه[4]! أرأيتَها وسمعتَ منها؟ فقلتُ : نعم، فأطرق هُنَيهةً يبكى، ثم آندفع فغنّى به أملحَ غناءٍ سمعتُه، ورَدّده علىّ حتى أخذتُه منه، وإذا هو أحسنُ الناس غناءً؛ فقلتُ له : ألَا ترجِع إليها؟ فقال : طلبُ المعاش يمنعُنى؛ فقلتُ : كم يكفيكَ معها فى كلّ سنةٍ؟ فقال : ثلثُمائةِ درهم — قال إسحاق : قال لى أبى : فوالله يابُنَىّ لو قال ثلثمائة دينــارٍ لطابتْ نفسى بها — فدعوتُ به فأعطيتُه ثلاثةَ آلافِ درهم، وقلتُ له : هذا

(١) فى ط ، ى : «حذرتنى» . (٢) فى الأصول : «خارج» . (٣) كذا فى أكثر الأصول . والصنّ (بالفتح) : شبه السلة المطبقة ، يجعل فيها الطعام والخبز . وفى ب ، س : «ضبن» بالضاد والباء ، والضبن : الحمل ، وهو لا يلتئم مع ما بعده . (٤) هيه (بكسر الهاء الأخيرة وفتحها) : معناه طلب الحديث والاستزادة منه .

لعشر سنين على أن تُقيمَ معها ، فلا تَطلب المعاش إلا حيثُ هى مقيمةٌ معك، ويكون ذلك فضلا، ورددتُه معى إليها .

كان يغنى الرشيد ليلة فبلغه ما أغضبه فما زال يغنيه حتى سرّ الرشيد وأجزل صلته

أخبرنى حبيبُ بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنا علىّ بن محمد النّوفلىّ(1) قال حدّثنا صالح بن علىّ (يعنى الأضجم(2)) عن إبراهيم الموصلىّ — قال : وكان صالح جارَه — قال :

بينا أنا عَشيّةً(3) فى منزلى إذ أتانى خادم من خَدَم الرشيد فاستحثّنى بالركوب [إليه] فخرجتُ شبيهًا بالراكض ، فلما صرتُ إلى الدّار عُدِل بى عن المدخل إلى طرق لا أعرفها ، فانتُهِى بى إلى دارٍ حديثةِ البناء ، فدخلتُ صَحنًا واسعا ، وكان الرشيد يشتهى الصّحون الواسعة ، فإذا هو جالس على كرسىّ فى وسط ذلك الصّحْن ، ليس عنده أحد إلا خادمٌ يسقيه ، وإذا هو فى لِبْسَتِه التى كان يلبَسُها فى الصيف : غلالةٌ(4) رقيقة مُتَوشّح عليها بإزار رَشِيدِىّ(5) عريضِ العَلَم مُضَرَّج(6) ، فلما رآنى هَشَّ لى وسُرّ ، وقال : ياموصلىّ ، إنى اشتهيتُ أن أجلس فى هذا الصّحن فلم يتّفق لى إلا اليوم ، وأحببتُ ألّا يكون معى ومعك أحدٌ ، ثم صاح بالْخُدّام(7) ، فوافاه مائةُ وَصِيف ، وإذا هم بالأَزِقّة مستترون بالأساطين(8) حتى لا يراهم ، فلما ناداهم جاءوا جميعا ، فقال : مُقطَّعة لإبراهيم ، وكان هو أوّل من قطع المُصَلّيات ، فأُتيتُ بمقعد فأُلقِى لى تُجاه وجهه بالقرب منه ؛

(1) كذا فى ط ، ء ، وهو الموافق لما جاء فى الأغانى (ج ٣ ص ١٧٤ من هذه الطبعة) والطبرى (قسم ٣ ص ٥٩٦ طبع أوربا) . وفى سائر الأصول : « محمد بن يحيى النوفلى » .
(2) فى ب ، س « الأضخم » بالخاء المهملة ، وهو تصحيف . (انظر الطبرى قسم ٣ ص ٥٩٦) .
(3) زيادة عن ط ، ء . (4) الغلالة : الشعار الذى يلبس تحت الثياب وعلى شعر الجسد .
(5) فى مختار الأغانى : « سندى » . (6) مضرج : مصبوغ بضرب من الصبغ أحمر .
(7) عبارة ط ، ء : « ... ثم صاح ياغلام ... الخ » . (8) الأساطين : الأعمدة .

ودعا بعود فقال : بحياتي أطربني بما قدرتَ ؛ قال : ففعلتُ واجتهدتُ في ذلك ونشطتُ ورجوتُ الجائزةَ في عشيّتي ؛ فبينا أنا كذلك إذ جاءه مسرورٌ الكبيرُ، فقام مقامَه الذي كان إذا قامه علِم الرشيدُ أنه يريد أن يُسارّه بشيء ، فأومأ إليه بالدنوّ ، [فدنا](١) فألقى في أذنه كلمةً خفيفةً(٢) ثم تنحّى . فاستشاط غضبًا واحمرّتْ عيناه وانتفختْ أوداجُه ، ثم قال : حتّامَ أصبرُ على آل بني أبي طالب ! والله لأقتلنّهم ولأقتلنّ شيعتَهم ولأفعلنّ ولأفعلنّ ! ؛ فقلتُ : إنا لله ! ليس عند هذا أحدٌ يُخرِجُ غضبَه عليه ، أحسبه والله سيوقِعُ بي ، فاندفعتُ أغنّي : ٣٤ / ٥

صــــوت

نِعمَ عونًا على الهموم ثلاثُ * مُترَعاتٌ من بعدهنّ ثلاثُ
بعدها أربعٌ تَتِمّةُ عشرٍ * لا بِطاءٌ لكنّهنّ حِثاثُ(٣)
فإذا ناولتْكهنّ جوارٍ * عطِراتٌ بيضُ الوجوهِ خِناثُ
تمّ فيها لك السرورُ وما طَيْـ * ـيَبَ عيشًا إلا الخِناثُ الإناثُ

قال : وَيْلك ! اسقِني ثلاثا لا أُمُتْ همًّا(٤) ، فشرب ثلاثا متتابعة ، ثم قال : غنّ فغنّيتُ ، فلما قلتُ :

ثلاثُ * مُترَعاتٌ من بعدهنّ ثلاثُ *

قال : هاتِ وَيْلك ثلاثا ! ، ثم قال لي : غنّ ، فلما غنّيته قال : حُثّ عليّ بأربع تتِمّة العشر ، ففعل ؛ فوالله ما استوفى آخرَهنّ حتى سكِر ، فنهض ليدخل ، ثم قال : قم ياموصليّ فانصرفْ ، يامسرورُ ، أقسمتُ عليك بحياتي وبحقّي إلّا سبقتَه(٥) إلى منزله

(١) زيادة عن ط ، ء . (٢) في ب ، س ، حـ : « خفية » .
(٣) حثاث : مسرعات . (٤) كذا في ط ، ء ، أ . وفي سائر الأصول : « لا أموت » .
(٥) كذا في ط ، ء . وفي سائر الأصول : « إلا شيعته » .

بمائة ألف درهم، لا أُستأمر فيها ولا فى شىء منها؛ فخرجتُ والله وقد أَمِنتُ خوفى وأدركتُ ما أمّلتُ، ووافيتُ منزلى وقد سَبَقتنى المائةُ الألفِ الدرهمِ إليه .

أخذ عن ابن جامع فى سكره صوتا غنى به الرشيد فطرب وقرّ به

أخبرنى عمّى [1] قال حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعد قال حدّثنى يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدّثنى عبدُ الله بن العباس بن الفضل بن الرّبيع قال :

خرج [رسول] [2] الرشيد ذاتَ ليلةٍ إلى المغنّين فقال : غنُّوا :

ياخليلىَّ قد مَلِلْتُ ثَوائى * بالمُصلّى [3] وقد سَئِمتُ البَقيعا [4]
بلِّغانِى [5] ديارَ هندٍ وسُعْدَى * وارجِعانى فقدهَويتُ الرجوعَا

قال : فغنّاه ابنُ جامع ، فلمّا فرَغ منه طرِب الرشيدُ وشرِب؛ فقال له إبراهيم الموصلىّ : ياسيّدى، فأسمعه من تُبَيْطِك فغنّاه، فجعل ابنُ جامع يزحَف من أوّل البيت الى آخره، وطَرِب هارونُ فقال : ارفعُوا الستارةَ؛ فقال له ابن جامع : منّى والله أخذه يا أمير المؤمنين ؛ فأقبل على إبراهيمَ فقال : بحياتى صَدَق ؟ قال : صدق وحياتِك ياسيّدى؛ قال : وكيف أخذتَه وهو أبخل [6] الناس إذا سُئل شيئا؟ قال: تركتُه يغنّيه وكان إذا سكِر يَسترسلُ فيه فيغنّيه مُستوِياً ولا يتحرز منّى، فأخذتُه على هذا منه حتّى وفَيتُ [7] به .

---

(١) كذا فى ط ، ء والطبرى (قسم ٣ ص ٣٢٢ طبع أوربا) . وفى سائر الأصول : « الحسين » ، وهو تحريف . (٢) التكملة عن ط ، ء ، إذ المعروف عن الخلفاء أنهم كانوا يجلسون وراء ستارة بينها وبين الندماء عشرون ذراعا ، وكان يوكل بهذه الستارة حاجب ينهى الى المغنين ما يريده الخليفة . (انظر كتاب التاج للجاحظ ص ٣٧ طبع بولاق) فى كلامه على الرشيد وغيره من ملوك الإسلام والفرس ، وسيأتى فى بقية الخبر ما يؤيد ذلك . (٣) فى ط ، ء : «شئت» . (٤) المصلى والبقيع : موضعان بالمدينة . (٥) فى ط ، ء : «بلغانى ... وارجعانى» . (٦) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «قال : وكيف أخذته؟ قال : هو أبخل الناس إذا سئل شيئا ، فتركته ... الخ» . (٧) يريد : جئت به وافيا تاما لم أنقص منه شيئا .

كانت لزلزل جارية مطبوعة فلما مات عنها أخبر هو بها الرشيد فابتاعها وأعتقها

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال :

كان بَرْصُوما الزامرُ وزَلْزَلٌ الضاربُ من سَواد أهل الكوفة من أهل الخُشْنة[1] والبَذَاذَةِ والدناءة . فقدم بهما أبي معه سنةَ حجّ ، ووقفهما على الغناء العربيّ وأراهما وجوهَ النَّغَم وثقّفهما حتى بلغا المبلغَ الذي بلغاه من خدمة الخليفة ، وكانا أطبعَ أهلِ دهرهما في صناعتهما ، فحدّثني أبي قال : كان لزلزل جاريةٌ قد ربّاها وعلّمها الضربَ وسألني مطارحتَها [فطارحتُها][2] ، وكانت مطبوعةً حاذقة ؛ قال : فكان يَصُونُها أن يسمعها أحدٌ ، فلما مات بلغني أنها تُعرَض في ميراثه للبيع ، فصرتُ إليها لأعترِضَها ؛ فغنّتْ :

أقفــرَ من أوتاره العــودُ * فالعــودُ للأوتار معمودُ
وأوحش المزمارُ من صوته * فما لَه بعــدكَ تغريدُ
مَنْ للمزامير وعيدانهـا * وعامرُ اللّذات مفقــود
الخمــرُ تبكي في أباريقهـا * والقَيْنَــةُ الخمْصَـانةُ الرُّود[3]

٣٥
٥

قال : وهذا شعر رثاه به صديق له كان بالرَّقّة[4] ؛ قال : فأبكت والله عيني وأوْجعت قلبي . فدخلتُ على الرشيد فحدّثته بحديثها ، فأمر بإحضارها فحضرتْ ؛ فقال لها : غنّي الصوتَ الذي حدّثني إبراهيم عنك أنك غنّيته ، فغنّته وهي تبكي ؛ فرقّ الرشيدُ لها وتَغَرْغَرت عيناه[5] ، وقال لها : أتحبّين أن أشتريَكِ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ،

---

(١) كذا في أكثر الأصول . والخشنة (بضم أوله وتسكين ثانيه) : الخشونة ، ورجل ذو خشنة : صعب لا يطاق . والبذاذة : رثاثة الهيئة . وفي أ : « الخسة » بالسين المهملة . (٢) زيادة عن ط ، ء . (٣) الرؤد (وزان قفل وسهلت همزته) : الشابة الناعمة الحسنة . (٤) كذا في ط ، ء . وفي باقي الأصول « رثاه به صديق له كان يألفه فأبكت ... الخ » .
(٥) كذا في ط ، ء . وفي سائر الأصول : « فغنته وهي تبكي فتغرغرت عينا الرشيد ... الخ » .

لقد عرَضتَ علىّ ما يقصُر عنه الأملُ، ولكن ليس من الوفاء أن يملكنى أحد بعد سيّدى فينتفعَ بى؛ فآزداد رِقّةً عليها ، وقال : غنّى صوتا آخر ، فغنّت :

العينُ تُظهِر كتمانى وتُبديهِ * والقلبُ يكتم ما ضمّنتُه فيهِ

فكيف ينكتم المكتومُ بينهما * والعينُ تُظهره والقلبُ يُخفيه

فأمر بأن تُبتاعَ وتُعتَق، ولم يزل يُجْرِى عليها إلى أن ماتت .

قصته مع الرشيد بشأن الجارية التى عرض بها فى مجلسه

أخبرنا محمد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن جدّه قال :

قال لى الرشيدُ يوماً: يا إبراهيم، بكّرْ علىّ غدًا حتى نَصْطبحَ؛ فقلتُ[1] له: أنا والصبحُ كفَرَسَىْ رِهَانٍ ؛ فبكّرتُ فإذا أنا به خاليًا[2]، و بين يديه جاريةٌ كأنها خُوطُ بانٍ أو جَدْلُ عِنان، حُلْوةُ المنظر، دَمِثةُ الشمائل، وفى يدها عودٌ؛ فقال لها: غنّى،فغنّتْ فى شعر أبى نُوَاس وهو :

تَوَهّمه قلبى فأصبح خدُّه * وفيه مكانَ الوَهْم من نظرى أُثْرُ[3]

ومرّ بفكرى خاطرًا فجرحتُه * ولم أر جسماً قطُّ يجرحُه الفِكْرُ

وصافَحه قلبى فآلمَ كفَّه * فمِنْ غَمْزِ قلبى فى أنامله عَقْرُ

قال إبراهيمُ : فذهبتْ والله بعقلى حتى كِدتُ أن أفتضحَ ، فقلتُ : مَنْ هذه يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : هذه التى يقول فيها الشاعر :

لها قلبى الغداةَ وقلبُها لى * فنحن كذاك فى جَسَدَيْنِ رُوحُ

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « فكنت أنا والصبح ... الخ » .

(٢) فى الأصول : «خال» بالرفع ، والقواعد تأباه ، إذ هو حال من الضمير فى «به» .

(٣) أثر الجرح (بالضم و بضمتين أيضا) : أثره يبقى بعد ما يبرأ .

ثم قال لها : غَنّي، فغنَّتْ :

صـــوت

تقول غداةَ البَيْنِ إحدى نسائهم * لِيَ الكَبِدُ الحرَّى فسِرْ ولكَ الصَّبرُ
وقــد خنَقتْهــا عَبْرةٌ فدموعُهــا * على خدِّها بِيضٌ وفى نحرِها صُفر

— الشعرُ لأبي الشِّيص . والغناء لعمرِو بن بانةَ، خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى من كتابه . وفيه لمُتَيَّم ثانى ثقيــلٍ وخفيفُ رَمَلٍ آخر — قال : فشرب وسقانى ثم سقاها، ثم قال : غنِّ يا إبراهيم، فغنَّيتُ حسبَ مَا فى قلبي غيرَ مُتَحَفِّظ من شيء :

تَشَرَّبَ قلبي حبَّهــا ومشَى به * تَمَشِّي حُمَيَّا الكأس فى جسم شارِبِ
ودبَّ هـــواها فى عِظامى فشَفَّها * كما دبَّ فى المَلْسوع سمُّ العقارب

قال : ففَطِن بتعريضى، وكانت جهــالةً منّى ؛ قال : فأمرنى بالانصراف، ولم يدعُني شهراً ولا حضرتُ مجلسَه ؛ فلما كان بعد شهر دَسَّ إلىّ خادماً معه رُقعةٌ، فيها مكتوب :

قد تخوّفتُ أن أموتَ من الوَجْـ * ـدِ ولم يَدْرِ مَنْ هوِيتُ بمــا بِى
٣٦/٥ يا كتابى فاقرَ السَّلامَ على مَنْ * لا أُسمِّى وقــل له يا كتابى
إنَّ كفًّا إليــكَ قــد بعثتْني (١) * فى شَــقاءٍ مُواصَــلٍ وعذاب

فأتانى الخــادمُ بالرقعة، فقلت له : ما هذا ؟ قال : رقعة الجارية فلانة التى غنَّتك بين يدى أمير المؤمنين، فأحسستُ القصّةَ فشتَمتُ الخادمَ ووثبتُ عليــه وضربتُه ضربا شَفَيتُ به نفسى وغيظى ، وركبتُ إلى الرشــيد من فَوْرى فأخبرتُه القصَّــةَ

(١) فى ط ، ء ومختار الأغانى : « إن كفا إليكم كتبتنى » .

وأعطيته الرقعة ؛ فضحك حتى كاد يستلقى ، ثم قال : على عَمْدٍ فعلتُ ذلك بك لأمتحنَ مذهبَك وطريقتَك، ثم دعا بالخادم ؛ فلما خرج رآنى فقال لى : قطع الله يديك ورجليك، وَيْحك! قتلتَنى ؛ فقلت : القتلُ والله كان بعضَ حقّك لمّا وردت به علىّ ، ولكن رحمتُك فأبقيتُ عليك ، [وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتىَ فى عقوبتك بما تستحقه . فأمر لى الرشيدُ بصلةٍ سنيّة(١)] ، واللهُ يعلم أنى ما فعلتُ الذى فعلتُ عَفافًا ولكن خوفا .

سأله الرشيد كيف يصنع ألحانه فأجابه

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال :

أخبرنى أبى أنه سمع الرشيدَ وقد سأل جَدّى إبراهيمَ كيف يصنع إذا أراد أن يصوغ الألحانَ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أُخرِجُ الهمّ من فكرى وأُمثّل الطربَ بين عينىّ ، فتسوغ(٢) لى مسالكُ الألحان [التى أريد(١)] فأسلكها بدليل الإيقاع ، فأرجع مُصيبا ظافرا بما أريد ؛ فقال : يحقّ لك يا إبراهيم أن تُصيبَ وتظفَر ، وإنّ حُسْن وصفك لمُشاكِلٌ حُسْنَ صنعتك وغنائك .

فراسة يونس الكاتب فيه

أخبرنى ابن المَرْزُبان قال حدّثنى حمّاد عن أبيه عن جدّه قال :

أدركتُ يونس الكاتبَ وهو شيخ كبير فعرَضت عليه غنائى ؛ فقال : إن عشتَ كنتَ مُغنّىَ دهرك .

كان أحد من يتصرّفون فى كل مذهب من الأغانى

قال حمّاد قال لى محمد بن الحسن : كان لكلّ واحد من المغنّين مذهب فى الخفيف والثقيل ، وكان مَعْبد ينفرد بالثقيل ، وابنُ سُرَيج بالرَّمَل ، وحَكَمٌ بالهَزَج ،

---

(١) الزيادة عن ط ، ء ومختار الأغانى . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى حـ : «فيشرع» . وفى سائر الأصول : «فيسرع» .

ولم يكن في المُغنّين أحد يتصرّف في كل مذهب من الأغاني إلا ابنُ سريج و إبراهيمُ جدّك وأبوك إسحاق .

رآه ثمامة بن أشرس مع يزيد حوراء مصطبحين يغنيان فأعجب بما كانا فيه

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن الطّيّب السَّرَخْسِيّ قال حدّثني أحمد بن ثابت العَبْديّ عن أبي الهُذَيل العلّاف رأسِ المعتزلة عن ثُمَامةَ بن أَشْرس قال : مررتُ بإبراهيم الموصليّ و يزيدَ حَوْراء وهما مُصطبِحان(1) ، وقد أخذا بينهما صوتا يُغنّيانه : هذا بيتا وهذا بيتا ، وهو :

صــــوت

أيا جبَلَيْ نَعْمانَ بالله خَلِّيا * سبيلَ الصَّبا(2) يَخْلُص إليّ نسيمُها

فإنّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تنسّمتْ * على نفس مهمومٍ تجلّت همومُها

قال ثُمامة : فوالله ما خِلتُ أنّ شيئا بقي من لذّات الدنيا بعد ما كانا فيه .

طلب الخلوة في بيته يوما فزعم أن إبليس زاره وطارحه الغناء

أخبرنا محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم قال: سألتُ الرشيد أن يهب لي يومًا في الجمعة لا يبعث فيه إليّ بوجه ولا بسبب، لأخلوَ فيه بجواريّ و إخواني، فأذِن(3) لي في يوم السبت، وقال لي : هو يوم أستثقله ، فالْهُ فيه بما شئتَ، فأقمتُ(4) يوم السبت بمنزلي وتقدّمتُ في إصلاح(5) طعامي وشرابي بما آحتجتُ إليه، وأمرتُ بوّابي فأغلقَ الأبوابَ وتقدّمتُ(6) إليه ألّا يأذنَ

(1) كذا في ط ، ء . وفي سائر الأصول : « مصطحبان » . (2) كذا في ط ، ء . وفي سائر الأصول : « نسيم الصبا » . (3) كذا في ط ، ء . وفي سائر الأصول : «فقال : هو ... الخ » . (4) كذا في ط ، ء . وفي سائر الأصول : « فأقمت في يوم ... الخ » . (5) في ب : « في اصطلاح » وهو تحريف . (6) تقدمت اليه : أمرته .

علىّ لأحد، فبينا أنا فى مجلسى والخدمُ قد حَفُّوا (١) بى وجَوارىّ يترَدَّدْن بين يدىّ، إذا أنا بشيخ ذى هيئة وجمال، عليه خُفّان قصيران وقميصان ناعمان، وعلى رأسه قَلَنْسُوَةٌ ٣٧/٥ لاطئة (٢)، وبيده عُكّازة مُقَمَّعة بفضّة، وروائحُ المسك تفوح منه حتى ملأ البيتَ والدار؛ فداخلنى بدخوله علىّ مع ما تقدّمت فيه غيظٌ ما تداخلنى قطّ مثلُه، وهممتُ بطرد بوّابى ومَنْ حجبنى لأجله؛ فسلّم علىّ أحسنَ سلام فرددت عليه، وأمرته بالجلوس فجلس، ثم أخذ [بى] (٣) فى أحاديث الناس وأيام العرب وأحاديثها وأشعارها حتى سَلَّى (٤) مابى من الغضب، وظننت أنّ غلمانى تحرَّوْا مَسَرَّتى بإدخالهم مثلَه علىّ لأدبه وظَرْفه؛ فقلتُ: هل لك فى الطعام؟ فقال: لا حاجة لى فيه؛ فقلت: هل لك فى الشراب؟ فقال: ذلك إليك، فشربتُ رطلًا وسقيتُه مثلَه؛ فقال لى: يا أبا إسحاق، هل لك أن تُغنّى لنا شيئا من صَنْعتك وما (٥) قد نَفَقْتَ به عند الخاصّ والعامّ؟ فغاظنى قولُه، ثم سهّلتُ على نفسى أمرَه فأخذتُ العود فجسستُه ثم ضربت فغنّيتُ؛ فقال: أحسنت يا إبراهيم؛ فآزداد غيظى وقلت: ما رضى بما فعله من دخوله علىّ بغير إذن وآقتراحه أن أغنّيه حتى سمّانى ولم يكنّنى ولم يُجمِل مخاطبتى!. ثم قال: هل لك أن تزيدنا؟ فتذمّمتُ (٦) فأخذتُ العود فغنّيتُ؛ فقال: أجدتَ يا أبا إسحاق!

---

(١) فى ب، س، م: «والحرم». (٢) يقال: تقلس باللاطئة وهى قلنسوة صغيرة تلطأ (تلزق) بالرأس. (٣) زيادة عن ط، ء، حـ. (٤) لعله ضمن «سلى» معنى أذهب وأزال، على أنه لا يبعد أن يكون أصله «سل». وفى ط، ء: «سلا». (٥) كذا فى ب، س، حـ ومختار الأغانى لابن منظور. وفى ط، ء: «من صنعتك ما قد نفقت به ... الخ». وفى م: «من صنعتك ما قد تمنيت به ... الخ». (٦) تذمم الرجل: استنكف، يقال: لولم أترك الكذب تأثما لتركته تذمما، أى مجانبة للذم.

فأتمّ[1] حتى نكافئك ونُغنّيَك ؛ فأخذت العود وتغنّيت وتحفّظتُ وقمتُ بما غنّيته إياه [قياما][2] تامًّا ما تحفّظت مثله ولا قمتُ بغناء كما قمتُ به له بين يدَىْ خليفة قطُّ ولا غيره، لقوله لى: أكافئك؛ فطرب وقال: أحسنتَ[3] ياسيِّدى، ثم قال: أتأذن لعبدك بالغناء؟ فقلت : شأنَك، وآستضعفتُ عقلَه فى أن يغنّينى بحضرتى بعد ما سمعه منّى؛ فأخذ العود وجسّه وحبسه[4]، فوالله لخِلْتُه ينطِق بلسانٍ عربىّ لحسن ما سمعتُه من صوته، ثم تغنّى :

صــــوت

ولى كَبِدٌ مقـروحةٌ مَنْ يبيعنى * بها كَبِدًا ليستْ بذات قُـروحِ
أباها علىّ النـاسُ لا يشترونها * ومَنْ يشـترى ذاعِلّةٍ[5] بصحيحِ
أئنّ من الشوق الذى فى جوانحى * أنينَ غَصيصٍ بالشراب جَريحِ

قال إبراهيمُ : فوالله لقد ظننتُ الحيطانَ والأبوابَ وكلَّ ما فى البيت يجيبه ويُغنّى معه من حسن غنائه، حتى خلتُ والله أنّى أسمعُ أعضائى[6] وثيابى تجاوبه، وبقيتُ مبهوتًا لا أستطيعُ الكلامَ ولا الجوابَ ولا الحركةَ لِمَا خالط قلبى؛ ثم غنّى :

صــــوت

ألا يا حماماتِ اللِّوَى عُدْنَ عَوْدةً * فإنّى إلى أصـواتكنّ حزينُ
فعُدْنَ فلمّا عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَنى * وكدتُ بأسرارى لهنّ أُبينُ

---

(١) فى ط، ء ومختار الأغانى : «فأتمم مزارك» . والمزار : كلمة فارسية من معانيها الأنشودة والمقالة .

(٢) الزيادة عن ط، ء . (٣) فى ط، ء : «أحسنت ياسيدى ويا أوثق عددى» .

(٤) فى ط، ء : «من ضربه» . (٥) فى ط، ء : «ذا عرّة» . والعرّة : الجرب .

(٦) كذا فى ط، ء . وفى سائر الأصول : «أنى وعظامى وثيابى ... الخ» .

دَعَوْنَ بتَرْدَاد الهَــدِير كأنما * سُــقِينَ حُمَيًّا أو بهن جُنونُ
فــلم تَرَ عينى مثلهن حمائمًا * بكَينَ ولم تَدْمَع لهن عيونُ

— لم أعرف فى هذه الأبيات لحنًا يُنسب إلى إبراهيم، والذى عرفتُه لمحمد بن الحارث ابن بُسْخُنَّر(١) خفيفُ رمل — فكاد، والله أعلم، عقلى أن يذهب طربًا وارتياحًا لما سمعتُه، ثم غنّى :

صـــوت

أَلَا يا صَبا نجد متى هِجْتِ من نجــد * لقد زادنى مَسْراكِ وَجْدًا على وَجد
٣٨/٥ أَأَن هتفتْ وَرْقاءُ فى رَوْنَقِ الضُّحَى(٢) * على فَنَنٍ(٣) غضِّ النبـاتِ من الرَّنْد(٤)
بكيتَ كما يبكى الحــزينُ صبابةً(٥) * وذُبْتَ من الحــزنِ المبرِّح(٦) والجَهْد(٧)
وقــد زعمــوا أنّ المحبَّ إذا دنا * يَمَلُّ وأنّ النأى يَشْفِى من الوَجْد
بكلٍّ تداوينا فلم يُشْــفَ ما بنـا * على أنّ(٨) قرب الدار خيرٌ من البعد

---

(١) كذا فى ط، ء. وقد صححه الأستاذ الشنقيطى فى عدّة مواضع بنسخته الخاصة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٤٤ أدب ش). وقد ورد فى سائر الأصول «بشخير» وهو تصحيف.

(٢) رونق الضحى : حسنه وإشراقه. (٣) كذا فى ط، ء وشرح الحماسة للتبريزى (ج ٣ ص ١٤٥). وفى سائر الأصول وديوان ابن الدمينة المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة تحت رقم (٦ أدب ش): «غصن». (٤) الرند: شجر طيب الرائحة من شجر البادية. وقد ورد هذا البيت فى أكثر الأصول بعد البيت الذى يليه، وقد وضعناه كما ورد فى ط، ء لانسجام الكلام بذلك.

(٥) روى هذا البيت فى شرح الحماسة هكذا :

بكيت كما يبكى الوليــد ولم تكن * جليدا وأبديت الذى لم تكن تبدى

(٦) كذا فى ط، ء، م والأغانى (ج ١٥ ص ١٥٦ طبع بولاق) وهو الموافق لما جاء فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى وديوانه. وفى سائر الأصول : «إذا نأى». (٧) فى ط، ء : «يسلى».

(٨) فى ط، ء وشرح الحماسة : «على ذاك قرب ... الخ».

ثم قال : يا إبراهيم ، هـذا الغناء الماخُوريّ خُـذه وأنحُ نحوَه في غنائك وعلِّمه جَوارِيَك، فقلتُ : أُعِدْه عليّ، فقال : لستَ(1) تحتاج، قد أخذتَه وفرغتَ منه، ثم غاب من بين يديّ(2)، فارْتعتُ(3) وقمت إلى السيف فجَرّدته، وعدوتُ نحو أبواب الحُرَم فوجدتُها مُغْلقةً، فقلتُ للجواري : أيّ شيء سمعتنّ عنـدي؟ فقلن : سمعنا أحسنَ غناءٍ سُمِـعَ قطّ، فخرجتُ متحيرًا إلى باب الدار فوجدتُه مُغْلقًا، فسألتُ البوّابَ عن الشيخ، فقال لي : أيّ شيخ هو؟ والله مادخل إليك اليومَ أحد، فرجعتُ لأتأمّل أمري، فإذا هو قد هتَف [بي](5) من بعض جوانب البيت : لا بأسَ عليك يا أبا إسحاق، أنا إبليس وأنا كنت جليسَك ونديمَك اليومَ، فلا تُرَعْ. فركبت إلى الرشـيد وقلت : لا أُطرفه(6) أبدًا بطُرْفة مثلِ هذه، فدخلت إليه فحدّثته بالحديث، فقال : وَيْحَك! تأمّل(7) هـذه الأصواتَ، هل أخذتَهـا؟ فأخذت العـود أمتحنها، فإذا هي راسخة في صـدري كأنها لم تزل، فطرب الرشيد [عليها](5) وجلس يشرب ولم يكن عزَم على الشراب، وأمر لي بصلةٍ وحُمْلانٍ(8) وقال : الشيخ كان أعلم بمـا قال لك من أنك أخذتَها وفرغتَ منها، فليتَه أمتعَنا بنفسه يومًا واحدًا كما أمتعك .

---

(1) كذا في ط، ء . وفي سائر الأصول . «ليس» . (2) في ط، ء ومختار الأغاني: «من بين عينيّ» . (3) كذا في ط، ء ومختار الأغاني . وفي سائر الأصول: «فارتفعت» . (4) في ب، س : «فقمت» وهو تحريف . (5) الزيادة عن ط، ء ومختار الأغاني . (6) أطرفه : أتحفه وأتاه بحديث الجديد . (7) كذا في ط، ء ومختار الأغاني . وفي سائر الأصول : «الأبيات» . (8) الحملان (بالضم) . ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة .

نســـبة هـــذه الأصـــوات

أمّا الصوت الأوّل فالذى أعرفه فيه خفيفُ رَمَـلٍ لمحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، ولم يقع إلىّ فيه صنعةٌ لإبراهيم . والصوت الثانى الذى أوّله :

* ألا ياصبا نجدٍ متى هِجْتِ من نجدِ *

فشعرُه ليزيدَ[1] بن الطَّثْرِيّة[2] ، والغناءُ لإبراهيم خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيـه لمحمد بن الحسن بن مصعَب ثانى ثقيل بالوسطى عن الهشامىّ وعمرو . وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحنا لدَحْمان ولحنا لابنه الزُّبَير ، ولم يَذْكر فى أىّ طريقةٍ هما . —

هكذا حدّثنا آبن أبى الأزهر بهذا الخبر، وما أدرى ما أقول فيه، ولعل إبراهيمَ صنع هذه الحكاية ليتنفّق بها ، أو صُنعتْ وحُكيتْ عنه . إلا أنّ للخبر أصلًا الأشبهُ بالحق منه ما حدّثنى به أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وأحمد بن عبيد الله بن عمّار قالا حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ عن أبيه قال :

صنعتُ لحنا فأعجبنى، وجعلت أطلب شعرا فعَسُر ذلك علىّ، ورأيتُ فى المنام كأنّ رجلا لَقِينى فقال: يا إبراهيم، أأعياك شعرٌ لغنائك هذا الذى تُعْجَب به ؟ قلت نعم؛ قال : فأين أنت من قول ذى الرُّمّة حيث قال :

(١) كذا فى جميع الأصول والأمالى لأبى على القالى (ج ٢ ص ١٠٤ طبع دار الكتب المصرية) . وقد نسبت هذه الأبيات فى الأغانى (ج ١٥ ص ١٥٦ طبع بولاق) وشرح الحماسة للتبريزى (ج ٣ ص ١٤٥) لعبد الله بن الدمينة ، وهى مذكورة فى ديوانه . (٢) فى ب ، حـ : « الطبرية » بالياء الموحدة، وهو تصحيف .

ألا يا آسْلَمِي يادارَ مَيّ على البِلَى * ولا زال مُنْهَلًّا بجَرْعائِك القَطْرُ (١)
وإن لم تكوني غيرَ شَامٍ بقَفْرةٍ (٢) * تَجُرُّ بها الأذيالَ صَيْفِيَّةٌ (٣) كُدْرُ ٣٩ / ٥

قال: فآنتبهتُ وأنا فَرِحٌ (٤) بالشعر، فدعوتُ مَنْ ضرب عليّ وغنّيتُه فإذا هو أوفق ... الله، فلمّا علمتُ [ذلك، وعملتُ] (٥) هذا الغناء في شعر ذي الرمة، تنبّهتُ عليه وعلى شعره فصنعتُ فيه ألحانًا ماخُورِيّةً، منها:

صـــوت

أَمَـنْزِلَتَيْ مَيٍّ سَـلامٌ عليكما * هل الأزمُنُ اللائي مَضَيْنَ رواجعُ
وهل يَرجِعُ التسليمَ أو يكشِفُ العَمَى * ثلاثُ الأَثافي (٦) أو رسـومٌ بلاقعُ

صنعةُ إبراهيمَ في هذين الشعرين جميعا من الماخُورِيّ بالوسطى، وهو خفيف الثقيل الثاني. وأخباره كلها في هذا المعنى تأتي في أخبار ذي الرُّمّة مشروحةً.

(١) الجرعاء: الرملة المستوية لاتنبت شيئا. (٢) كذا في جميع الأصول وديوان ذي الرمة طبع أوربا. والشام: جمع شامة، وهي بقعة تخالف لون الأرض؛ أي وإن أصبحت جزءا أسود من الأرض قد فقد كل ما كان له من معالم. وقد ذكر ذو الرمة هذا المعنى أيضا في قوله:

كأن ديار الحيّ بالزرق خلقة * من الأرض أم مكتوبة بمداد

أي كأنها خلقة من الأرض سوداء. والزرق: كثيب بالدهناء. (٣) الصيفية: رياح الصيف. والكدر: جمع كدراء وهي التي في لونها غبرة. (٤) في ب، حـ: «جموح». (٥) الزيادة عن ط، ء. (٦) كذا في ط، ء ها. وفيما سيأتي في الأغاني (ج ١٦ ص ١٢٩ طبع بولاق) والمخصص (ج ١٧ ص ١٠٠، ١٢٥):

* * ثلاث الأثافي والديار البلاقع *

وورد في كثير من كتب الأدب ومنها ديوان ذي الرمة هكذا:

* ثلاث الأثافي والرسوم البلاقع *

وكذلك أوردته أكثر معاجم اللغة شاهدا على تعريف المضاف إليه في العدد. وفي باقي الأصول هنا: «ثلاث أثاف أو رسوم بلاقع». والأثافي: الأحجار التي توضع عليها القدر، واحدها أثفية (بضم الهمزة وكسرها).

سأل الرشيد أن يخصه بالغناء فى شعر ذى الرمة وكان الرشيد يؤثره

حدّثنى [محمد بن](١) مَزْيد(٢) قال حدّثنى حمّاد عن أبيه قال قال [لى](١) أبى :

قال [لى](١) جعفر بن يحيى يوما وقد علم أنّ الرشيد أذِن لى وللمغنّين فى الانصراف يومئذ: صِرْ إلىّ حتى أهَبَ لك(٢) شيئا حسنا، فصِرْتُ إليه فقال لى : أيّما أحبُّ إليك : أهَبُ لك الشىء الحسن الذى وعدتُك به، أم(٣) أرشدك إلى شىء تكسِب به ألفَ ألفِ درهم؟ فقلت : بل يرشدنى الوزير ــ أعزّه الله ــ إلى هذا الوجه فإنه يقوم مقام إعطائه إيّاى هذا الحَسَن(٤)؛ فقال: إنّ أمير المؤمنين يحفَظ شعر ذى الرُّمّة حفظ الصِّبا(٥) و يُعجبه و يؤثره، فإذا سَمِع فيه غناءً، أطرب به أكثر مما يُطربه غيره مما لا يحفظ شعره؛ فإذا غنّيتَه فأطربتَه وأمر لك بجائزة، فقُم على رجليك قائما وقبِّل الأرض بين يديه وقل له : لى حاجة غيرُ هذه الجائزة أريد أن أسألها أميرَ المؤمنين، وهى حاجة تقوم عندى مقامَ كلّ فائدة ولا تَضُرّه ولا تَرْزَؤه؛ فإنه سيقول لك : أىّ شىء حاجتُك؟ فقل: قطيعةٌ تُقْطِعُنيها سهلةٌ عليك لا قيمةَ لها ولا منفعةَ فيها لأحد؛ فإذا أجابك إلى ذلك، فقل له : تُقطعنى شعرَ ذى الرمّة أُغنّى فيه ما أختاره وتحظُر على المغنّين جميعا أن(٦) يداخلونى فيه، فإنى أُحبّ شعره وأستحسنه فلا أُحبّ أن يُنقصه علىّ أحدٌ منهم، وتَوَثَّقْ منه فى ذلك؛ فقبِلتُ ذلك القولَ منه ، وما انصرفت من عنده بعد ذلك إلا بجائزة؛

(١) التكملة عن طـ ، ء . (٢) كذا فى طـ ، ء ، وهو الصواب لأن «وهب» يتعدى الى المفعول الأوّل باللام ، وقد جاء فى التنزيل (لأهب لك غلاما زكيا) . وأنكر سيبويه أن يقال : أهبك كذا؛ ونقل عن أبى عمرو أنه سمع أعرابيا يقول لآخر : انطلق معى أهبك نبلا . وفى سائر الأصول : «حتى أهبك» . (٣) يراد هنا التعيين ، فلهذا وضعنا «أم» بدل «أو» التى وردت فى الأصول . (٤) كذا فى طـ ، ء . وفى سائر الأصول : «المال» . (٥) فى صـ ، ء : «كأنه حفظ الصبىّ» . (٦) كذا فى طـ ، ء ، ا . وفى سائر الأصول «ألا يداخلونى» .

وتوخّيتُ وقت الكلام في هذا المعنى حتى وجدتُه، فقمت فسألت كما قال لي، وتبيّنتُ السرور في وجهه، وقال: ما سألتَ شَطَطًا، قد أقطعتك سُؤْلَك (١). فجعلوا يتضاحكون من قولي ويقولون: لقد آستضخمتَ القطيعة وهو ساكت. فقلت: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في التوثّق؟ قال: تَوَثَّقْ كيف شئت. فقلت: بالله وبحق رسوله وبتُرْبة أمير المؤمنين المهديّ إلّا جعلتني على ثقة من ذلك بأن (٢) [تحلف لي أنك] لا تُعطي أحدًا من المغنّين جائزة على شيء يُغَنّيه في شعر ذي الرُّمّة فإن ذلك ويُغنّي؛ فحلف مجتهدًا لهم لئن غنّاه أحد منهم في شعر ذي الرُّمّة لا أثابه بشيء ولا برّه ولا سمع غناءه. فشكرتُ فعله وقبّلت الأرض بين يديه وآنصرفنا. فغنّيت مائة صوت وزيادة (٣) في شعر ذي الرُّمّة، فكان إذا سمع منها صوتا طَرِب وزاد طربُه ووصلني فأجزَل، ولم ينتفع به أحدٌ منهم غيري؛ فأخذتُ منه والله بها ألفَ ألفِ درهم وألفَ ألفِ درهم.

رأى في منامه من أرشده الى الغنا في شعر ذي الرمة فغنى به الرشيد فأجزل صلته

أخبرني (٤) جعفر بن قُدامة بن زِيَاد الكاتب قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أبو خالد الأسْلَميّ قال حدّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ قال:

قال إبراهيم الموصليّ: أُرْتِج عليّ فلم أجد شعرا أصوغ فيه غناءً أُغَنّي فيه الرشيدَ، فدخلتُ إلى بعض حُجَر داري مغموما، فأسْبلتُ الستورَ عليّ وغلبتني عيني، فتمثّل لي

٤٠/٥

(١) كذا في ط، ء. وفي سائر الأصول: «وقال: أقطعتك ... الخ». (٢) زيادة عن ط، ء. (٣) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «وزيادة عليها في شعر ... الخ».

(٤) كذا ورد هذا السند في ط، ء. وقد ورد في سائر الأصول هكذا: «أخبرني جعفر بن قدامة آبن زياد الكاتب قال حدّثني هارون بن عمرو الجرجاني قال ... الخ».

فى البيت شيخٌ أَشْوَهُ الخِلْقة، فقال لى : ياموصلىّ، مالى أراك مغموما؟ قلت : لم أُصِبْ شِعْراً أُغنّى فيه الرشيدَ الليلةَ؛ قال : فأين أنت عن قول ذى الرُّمّة :

أَلَا يا ٱسْلَمِى يادارَ مىّ على البِلَى ☼ ولا زال مُنْهَلاًّ بجَرْعائكِ القطرُ (١)
وإن لم تكونى غيرَ شام بقَفْرة ☼ تَجُرّ بها الأذيالَ صَيْفيةٌ كُدْرُ (٢) (٣)
أقامت بها حتى ذَوَى العودُ فى الثَّرَى ☼ وساق الثريّا فى مُلاءته الفجرُ (٤) (٥) (٦)
وحتى ٱعتلى البُهْمَى من الصيف نافِضٌ ☼ كما نَفَضَتْ خيلٌ نواصيَها شُقْرُ (٧) (٨)

قال : وغنّانى فيه بلحن وكرّره حتى عَلِقتُه (٩) فانتبهت وأنا أُديره، فناديت جاريةً لى وأمرتُها بإحضار عود، وما زلتُ أترنّم بالصوت وهى تضرب حتى ٱستوى [لى] (١٠)؛ ثم صرتُ إلى هارون فغنّيته إيّاه، فأَسْكَتَ المغنّين (١١)، ثم قال : أَعِد فأعدتُ، فما زال ليلتَه يستعيدُنيه، فلمّا أصبح أمر لى بثلاثين ألف درهم وبفرش البيت الذى كنّا فيه، وقال : عليك بشعر ذى الرُّمّة فغنِّ فيه؛ فصنعتُ فيه غناءً كثيرا، فكنتُ أغنّيه به [فيُعجبه] (١٠) ويُجزل صِلتى .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٣٦ من هذا الجزء . (٢) فى ط ، ء وديوانه طبع أوربا : «فإن لم» بالفاء . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٣٦ من هذا الجزء . (٤) فى ط ، ء : « أقاموا » بالواو . (٥) فى شرح الشواهد الكبرى للإمام العينى (الموضوع على هامش الخزانة للبغدادى ج ٤ ص ٧ طبع بولاق) : «وأتوى» . (٦) ملاءة الفجر : بياضه، شبه بالملاءة وهى الثوب الأبيض . (٧) فى ديوانه وشرح الشواهد الكبرى المذكور « اعترى » (٨) البهمى : الواحد والجمع : نبت تجد به الغنم وجدا شديدا ما دام أخضر، فإذا يبس وعظم خرج له شوك مثل شوك السنبل ثم كان كلأ يرعاه الناس حتى يصيبه المطر من عام مقبل وينبت من تحته حبه الذى سقط من سنبله . والناقض : يبس يقع فيها فينقضها، وهذا فى أول القيظ قبل شدة الحر، قاله أبو عمرو . ناقض : يريد ريح صيف . وشبه شوك البهمى إذا وقعت عليه فابيض بنواصى خيل شقر . (انظر شرح ديوان ذى الرمة طبع أوربا) . (٩) كذا فى ط ، ء وديوانه . [illegible] حتى علمته وحفظته، يقال : علق فلان أمرا : إذا علمه . وفى سائر الأصول : «عقلته» . (١٠) زيادة عن ط ، ء . (١١) فى ط ، ء : «فأمسك المغنون وسكتوا ثم قال . . . إلخ» .

غنى الرشيد ومعه زلزل وبرصوما فأطربوه

أخبرني عمّي وابن المَرْزُبان والحسن بن عليّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله السُّلَمِيّ قال حدّثنا أبو غانم مولى جَبَلة بن يزيد[1] السُّلَمِيّ قال :

اجتمع إبراهيم الموصليّ وزَلْزَلٌ وبَرْصوما بين يَدَي الرشيد، فضرب زلزلٌ وزمر بَرْصوما وغنّى إبراهيم :

صــوت

صَحَا قلبي وراعَ[2] إلى عقلي * وأقْصَر باطلي ونَسِيتُ جهلي
رأيتُ الغانياتِ وكُنَّ صُوراً[3] * إليّ صَرَمْنني وقطَعْن حبلي

فطرِب هارون حتى وثَب على رجليه وصاح : يا آدم، لو رأيت من يحضرني[4] من ولدك اليومَ لسرّك! ، ثم جلس وقال : أستغفر الله .

الشعر الذى غنّى فيه إبراهيم لأبي العتاهية. والغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر .

غاضب الرشيد جارية يحبها فغناه بشعر للعباس بن الأحنف فترضاها

حدّثني جَحْظة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان الرشيد يَجِد بماردةَ وَجْداً شديداً ، فغضبت عليه وغضب عليها ، وتمادى بينهما الهجرُ أياماً ، فأمر جعفرُ بن يحيى العباسَ بن الأحنف فقال :

راجِعْ أحبّتك الذين هجرتَهم * إنّ المُتَيَّم قلّما يَتَجنّبُ
إنّ التجنُّبَ إن تطاولَ منكما * دبَّ السُّلُوُّ له فعزَّ المطلبُ

(١) فى ط ، ء : «مولى يزيد بن جبلة» . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وراع بمعنى : رجع . وفى ب ، س : «راغ» بالغين المعجمة ، وهو تصحيف . (٣) كذا فى حـ . وصور إلى كذا (من باب علم) إذا مال عنقه ووجهه إليه فهو أصور والأنثى صوراء والجمع : صور . وفى سائر الأصول : «صورا» . (٤) فى حـ ، ء : «من يحسرنى» .

وأمر إبراهيمَ الموصلىّ فغنّى فيه الرشيد ؛ فلما سمعه بادر إلى ماردةَ فترضّاها ، فسألتْ عن السبب فى ذلك فعرفتْه ، فأمرت لكل واحد من العبّاس و إبراهيم بعشرة آلاف درهم ، وسألتِ الرشيدَ أن يكافئهما عنها ، فأمر لهما بأربعين ألف درهم .

نال أوّل جائزة خرجت لشاعر من الرشيد

أخبرنى جعفر بن قُدامة عن حمّاد عن أبيه قال :

أوّلُ جائزة خرجتْ لشاعر من الرشيد لمّا وَلِىَ الخلافةَ جائزةٌ لإبراهيم[1] ، فإنه قال يمدحه لمّا وَلِى :

صـــــوت

٤١ / ٥

أَلم تَرَ أنّ الشمسَ كانتْ مريضةً ... فلمّا وَلِى هارونُ أشرق نُـــورُها

فأَلبستِ[2] الدّنيـا جمالًا بوجهــه ... فهـارونُ وَاليهـا ويحيى وزيرُها

وغنّى فيه ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وأمر له يحيى بخمسين ألف درهم .

قامر الرشيد بالنرد فتقامر له

أخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن[3] مالك قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ :

أنّ أباه لَعِب يوما مع[4] الرشيد بالنّرْد فى الخلْعة التى كانت على الرشيد والخلعة التى كانت عليــه هو ، فتقامرَ[5] للرشـيد ، فلمّا قَمَره قام إبراهيم فنزع ثيـابه ، ثم قال للرشيد : حُكْمُ النّرد الوفاءُ به ، وقد قُمِرْتُ ووفَّيتُ لك ، فالْبس ما كان علىّ ؛

(١) كذا فى ط ، ء . وابراهيم هذا هو ابراهيم الموصلى صاحب الترجمة ، وفى ابن خلكان فى ترجمة يحيى البرمكىّ ج ٢ ص ٣٦٠ الى ٣٦٦ بعد أن ذكر قصة هذا الشعر قال : «وفى ذلك يقول الموصلىّ وأظنه ابراهيم النديم أو ابنه اسحاق» . وفى سائر الأصول : «لأبى فائد» وهو تحريف . (٢) فى ط ، ء : «تلبست» . (٣) كذا فى ط ، ء ، وفيما سبق فى مواضع كثيرة فى جميع الأصول وفيما سيأتى أيضا . وفى سائر الأصول هنا : «محمد بن عبد الملك» ، وهو تحريف . (٤) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «معه» وهو تحريف . (٥) كذا فى ط ، ء ، ولعله يريد أنه تظاهر بالغلب للرشيد . وفى سائر الأصول : «فتقامر الرشيد» .

فقال له الرشيد : وَيْلَك! أنا ألبس ثيابك ! ، فقال : إى والله إذا أنصفتَ ، وإذا لم تُنصف قدَرتَ وأمكَنك ، قال : ويلك! أوَ أفتدى منك؟ قال : نعم ، قال : وما الفداء ؟ قال : قل أنتَ يا أمير المؤمنين فإنك أولَى بالقول ، فقال : أعطيك كلّ ما علىّ ، قال : قُرْ به يا أمير المؤمنين وأنا أستخير الله فى ذلك ، فدعا بغير ما عليه فلبسه ونزع ما كان عليه فدفعه إلى إبراهيم .

فطنة ابن جامع وإبراهيم فى صناعة الموسيق

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدثنى عُمَر بن شَبّة قال حدّثنى علىّ بن عبد الكريم قال :

زار ٱبنُ جامع إبراهيمَ [الموصلىّ][1] ، فأخرج إليه ثلاثين جارية فضربن جميعا طريقةً واحدة وغنّين ، فقال ٱبن جامع : فى الأوتار وَتَرٌ غير مستوٍ ، فقال إبراهيم : يا فلانةُ شُدّى مَثْنَاكِ ، فشدّته فٱستوى ، فعجبتُ أوّلًا من فطنة ٱبن جامع لوتر فى مائة وعشرين وترا غيرِ مستو ، ثم ٱزداد عَجَبى من فِطْنة إبراهيم له بعينه .

غناؤه عند خمار بالرقة

أخبرنى إسماعيل بن يونس وحَبيب بن نَصر [المُهَلَّبىّ][1] قالا حدثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم قال حدّثنى أبى قال :

كنّا مع الرشيد بالرَّقّة وكان هناك خَمّار أقصده أشترى منه شرابا حسنا طيّبا ، وربما شربت فى حانته ، فأتيته يومًا فبَزَل[2] لى دَنًّا فى باطِيَة[3] له ، فرأيت لونه حسنا صافيا ، فٱندفعتُ أغنّى :

---

(١) زيادة عن ط ، ى . (٢) كذا فى ط ، ى . وبزل الدن : ثقبه ، ويقال : بزل الشراب اذا صفاه . وفى سائر الأصول : «فنزل» بالنون ، وهو تصحيف . (٣) الباطية : إناء من الزجاج يملأ من الشراب ويوضع بين الشرب يغترفون منه .

صـــوت

اِسْـــقِنى صَهْبَاءَ صِرْفًا * لم تُـــدَنَّسْ بِمـــزَاجِ
اِسْـقِنى والليـلُ داجٍ * قبـلَ أصوات الدَّجاج
يا أبا وَهْب خليـــلى * كلُّ همٍّ لأنفـــراج
حين تَوَّهتَ(١) بقلـــبى * فى أعاصـــير الفِجَاج(٢)

— الغناء فى هـذه الأبيات لإبراهيمَ هَزَجٌ بالوسطى عن عمرو . وفيها لِسيَاط ثانى ثقيلٍ بالِخنْصر فى مجرى البِنْصر عن إسحاق — قال : فدَهِش الخمّار يسمع صوتى ، فقلت له : وَيْحَك ! قد فاض النبيذ من الباطِيَة ؛ فقال : دَعْنى من النبيذ يا أبا إسحاق ، مالى أرى صوتك حزينًا حَرِيقا(٣) ، ماتَ لك باللهِ إنسان ؟ ، فلما جئتُ إلى الرشيد حدّثته بذلك فجعل يضحك .

قصته مع الجوارى اللاتى عقنـه عن موعد الرشـيد وخروج الرشيد إليهن معه متخفيا

وذكر أحمد بن أبى طاهر أنّ المدائنىّ حدّث قال :

[قال(٤)] إبراهيم الموصلىّ قال لى الرشـيد يوما : يا إبراهيم ، إنى قد جعلت غدا للحَرِيم ، وجعلت ليلته للشرب مع الرجال ، وأنا مقتصرٌ عليك من المغنّين ، فلا تشتغل غدًا بشىء ولا تشرب نبيذا ، وكن بحضرتى فى وقت العشاء الآخرة ؛ فقلت : السمعُ والطاعةُ لأمير المؤمنـين ؛ فقال : وحقِّ أبى لئن تأخرتَ أو آعتلَلْتَ بشىء لأضربنّ عنقك ، أفهمتَ ؟ فقلت : نعم ، وخرجتُ فما جاءنى أحد من إخوانى إلا آحتجبت عنه

---

(١) كذا فى ط ، ء ، حـ . وفى سائر الأصـول : « نوهت » بالنون ، وهو تصحيف .

(٢) الفجاج : جمع فجّ وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين وهو أوسع من الشعب . وفى ط ، ء ، حـ : « فى أعاصير العجاج » بالعين المهملة بدل الفاء .

(٣) فى ط ، ء ، حـ : « حرقا » .

(٤) زيادة عن ط ، ء .

ولا قرأت رقعة لأحد، حتى إذا صلّيت المغرب ركبت قاصدًا إليه، فلما قرُبت من فناء داره مررت بفناء قصر، وإذا زَنْبيلٌ[1] كبير مُستوثَق منه بحبال وأربع عُرَى أَدَم وقد دُلِّىَ من القصر، وجاريةٌ قائمة تنتظر إنسانا قد وُعِد ليجلس فيه، فنازعتْنى نفسى إلى الجلوس فيه، ثم قلت: هذا خطأ، ولعله أن يجرى سبب يعوقنى عن الخليفة فيكون الهلاكُ، فلم أزل أنازع نفسى وتنازعنى حتى غلبتْنى، فنزلت فجلست فيه، ومُدّ الزنبيل حتى صار فى أعلى القصر، ثم خرجت فنزلت، فإذا جوارٍ كأنهنّ المَها جلوسٌ، فضحِكْنَ وطَرِبْنَ، وقلن: قد جاء والله من أردناه؛ فلما رأيْنَنى من قريب تبادرْنَ إلى الحِجاب وقُلْن: يا عدوّ الله، ما أدخلك إلينا؟ فقلت: يا عدوّاتِ الله، ومن الذى أردتُنّ إدخالَه؟ ولِمَ صار أولى بهذا منّى؟ فلم يزَل هذا دأْبَنا وهنّ يضحكن وأضحك معهنّ؛ ثم قالت إحداهنّ: أمّا من أردناه فقد فات، وما هذا إلا ظريف، فهلمّ نعاشِرْه عشرةً جميلة؛ فأُخرج إلىّ طعام ودُعيت إلى أكله، فلم يكن فىّ فضلٌ إلّا أنّى كرِهت أن أُنسب إلى سوء العشرة، فأصبتُ منه إصابة مُعَذِّر[2]، ثم جىء بالنبيذ فجعلنا نشرب، وأُخرجن إلىّ ثلاث جَوارٍ لهنّ فغنّين غناء مليحا، فغنّتْ إحداهنّ صوتا لَمعبد، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر: أحسن إبراهيمُ، هذا له؛ فقلت: كَذَبتِ ليس هذا له، هذا لمعبد؛ فقالت: يافاسقُ، وما يُدْرِيك الغناءَ ما هو!؛ ثم غنّت الأخرى صوتا للغَريض، فقالت [تلك][3]: أحسن إبراهيم، هذا له أيضا؛ فقلت: كذبتِ يا خبيثةُ، هذا للغريض؛ فقالت: اللهم أخْزِه، ويلك!

(١) فى ط، ء: «زبيل» وهى بمعنى «الزنبيل». (٢) كذا فى ط، ء. والمعذر: المقصر. وفى باقى الأصول: «إصابة مقــدرة»، بالقاف والدال المهملة. (٣) زيادة عن ط، ء.

وما يدريك! ثم غنّت الجارية صوتا لى، فقالت تلك: أحسن آبنُ سُرَيج، هذا له[1]؛ فقلت: كذبتِ هذا لإبراهيم، وأنت تنسُبين غناء الناس إليه وغناءه إليهم؛ فقالت: وَيْحَك! ومايدريك! ؛ فقلت: أنا إبراهيم، فتباشرنَ بذلك جميعا وطرِبْنَ كلُّهن وظهرْنَ كلُّهن لى وقلْنَ: كتمتَنا نفسَك وقد سررتَنا[2]؛ فقلت: أنا الآن أستودعكنّ الله؛ فقلن: وما السبب؟ فأخبرتهنّ بقصتى مع الرشيد؛ فضحكن وقلن: الآن والله طاب حبسك، علينا وعلينا إن خرجتَ أسبوعا؛ فقلت: هو والله القتل؛ قلن: إلى لعنة الله. فأقمت والله عندهنّ أسبوعا لا أزول، فلما كان بعد الأسبوع ودَّعْتَنى وقلن: إن سلّمك الله فأنت بعد ثلاث عندنا، قلت نعم؛ فأجلسْنَنى فى الزنبيل وسُرِّحتُ؛ فمضيت لوجهى حتى أتيت دارَ الرشيد، و إذا النداء قد أُشيع ببغدادَ فى طلبى وأنّ من أحضرنى فقد سُوِّغ ملكى وأُقطِع مالى؛ فآستأذنتُ فتبادر الخدمُ حتى أدخلونى على الرشيد؛ فلما رآنى شتمنى وقال: السيفَ والنِّطع! إيه يا إبراهيم، تهاونتَ بأمرى وتشاغلتَ بالعوامّ عما أمرتك به وجلستَ مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدتَ علىّ لذّتى[3]! ؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا بين يديك، وما أمرتَ به غيرُ فائت، ولى حديث عجيب ما سُمع بمثله قطُّ وهو الذى قطعنى عنك ضرورةً لا آختيارا، فآسمعْه، فإن كان عذرًا فاقبلْه و إلّا فأنت أعلم؛ قال: هاته فليس يُنجيك؛ فحدّثته، فوجَم ساعةً ثم قال: إن هذا لعجبٌ، أفتُحْضِرنى معك هذا الموضعَ؟ قلت: نعم، وأُجلسك معهنّ إن شئتَ قبلى حتى تحصل عندهنّ، و إن شئت فعلى موعد؛ قال: بل على موعد؛ قلت: أفعل؛ فقال: ٥٣/٤ انظر؛ قلت: ذلك حاصلٌ إليك متى شئت؛ فعدَل عن رأيه فىّ وأجلسنى وشرب

(١) كذا فى ط، ى . وفى سائر الأصول: «هذا له أيضا» بزيادة كلمة «أيضا»؛ وهو تحريف. (٢) كذا فى ط، ى . وفى سائر الأصول: «سررتنا» . (٣) كذا فى ط، ى . وفى سائر الأصول: «حتى فسدت لذتى» .

وطرب، فلما أصبحتُ أمرني بالانصراف وأن أجيئه من عندهنّ، فمضيت إليهنّ في وقت الوعد، فلما وافيتُ الموضعَ إذا الزنبيل معلّق، فجلست فيه ومدّه الجواري فصعدت، فلما رأينني تباشرْنَ وحمِدْنَ الله على سلامتي، وأقمتُ ليلتي[1]، فلما أردت الانصراف قلت لهنّ: إن لي أخا هو عِدْلُ[2] نفسي عندي، وقد أحبّ معاشرتكن ووعدتُه بذلك، فقلن: إن كنت ترضاه فرحبًا به، فوعدتهن ليلةَ غدٍ وانصرفتُ وأتيت الرشيدَ وأخبرته، فلما كان الوقتُ خرج معي متخفّيا[3] حتى أتينا الموضع، فصعِدت وصعِد بعدى ونزلْنا[4] جميعا، وقد كان الله وفّقنى لأن قلت لهن: إذا جاء صديق فاسترْنَ عني وعنه ولا يسمعْ لكُنّ نَطْقة، وليكن ما تخترْنَه من غناء أو تَقُلْنَه من قولٍ مُراسَلةً، فلم يتعدّيْنَ ذلك وأقمْنَ على أتمّ سِتْرٍ وخَفَر، وشربنا شربا كثيرا، وقد كان أمرني ألّا أُخاطبَه بأمير المؤمنين، فلما أخذ منّى النبيذُ قلت سهوا: يا أمير المؤمنين، فتواثبْنَ من وراء الستارة حتى غابت عنّا حركاتهن، فقال لي: يا إبراهيم لقد أفلَتَّ من أمر عظيم، والله لو برزتْ إليك واحدة منهن لضربتُ عنقك، قم بنا، فانصرفنا، وإذا هنّ له، قد كان غضب عليهن فحبسهنّ في ذلك القصر، ثم وجّه من غد بخَدَم فردّوهنّ إلى قصره، ووهب لي مائة ألف درهم، وكانت الهدايا والألطاف تأتيني بعد ذلك [منهنّ][5].

عن الرشيد فأجزل صلته

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبي قال:

---

(١) كذا في ط، ى. وفي سائر الأصول: «يلتين». (٢) العدل: المثل.

(٣) كذا في ط، ى. وفي سائر الأصول: «مختفيا». (٤) كذا في ط، ى. وفي سائر الأصول: «وبتنا». (٥) زيادة من ط، ى.

دخلت على الرشيد [يوما] (١) فقال لى : أنا اليوم كسلانُ خاثِر (٢)، فإن غَنّيتنى صوتا يوقظ نشاطى أحسنتِ صلتك؛ فغنيتُه :

ولم يُرَ فى الدنيـا مُحبّان مثلُنا * على ما نلاقى من ذَوِى الأعين الخُزْرِ
صَفِيّانِ لا نرضى الوُشاةَ إذا وَشَوْا * عفيفانِ لا نَغْشَى (٣) من الأمر ما يُزْرِى

فطرِب، ودعا بالطعام فأكل وشرب، وأمر لى بخمسين ألف درهم .

طلب اليه يحيى بن خالد أن يمتحن صوتا لدنانير ثم أجازه

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال قال لى أبى قال لى يحيى بن خالد :

إنّ آبنتك دَنانيرَ قد عمِلتْ صوتا أعجبنى وأُعجِبتْ أيضا هى به، فقلتُ لها : لا تُعْجَبِى به حتّى أَعْرِضَه على أبيك أبى إسحاق؛ فقلتُ له : والله ما فى معرفة الوزير — أعزّه الله — به ولا بغيره من الصنائع مَطْعَن (٤)، وإنه لأصحُّ العالَم تمييزا وأثقبُه فِطْنةً، وما أعجبه إلّا وهو صحيحٌ حَسَن؛ فقال : إن كنتَ كما تقولُ أيضا، فإنّ أهلَ كلّ صناعة يُمارسونها أفهمُ بها ممّن يَعلَمها عن عُرُض من غير مُمارسة، ولو كنّا فى هذه الصناعة متساوِيَيْن لكان الاستظهارُ برأيك أجودَ، لأنّ ميلى إلى صانعة الصوت ربما حسّن عندى ما ليس بالحسن، وإنما يتمّ سرورى به بعد سماعك إياه وآستحسانك له على الحقيقة؛ فمضيتُ فوجدت ستارةً منصوبةً وأمرًا قد تُقدّم فيه قبلى؛ فجلستُ فسلّمت على الجارية، وقلت لها : تغنّينى الصوتَ الذى

(١) زيادة عن ط، ء . (٢) كذا فى ط، ء . وخثرت نفسه : [illegible] . وفى سائر الأصول : «حائر» وهو تحريف . (٣) كذا فى ط، ء . وفى سائر الأصول : «نخشى» بالخاء المعجمة وهو تحريف . (٤) فى ط، ء : «بهذه الصناعة ولا غيرها من الصنائع ... الخ» .

ذكره لى الوزير أعزه الله؛ فقالت : إن الوزير قال لى : إن آستجاده فعرّفينى ليتمّ سرورى به ، وإلّا فآطوِ الخبرَ عنى لئلّا تزول رُتبتـه عندى ؛ فقلتُ : هاتيه حتى أسمعه؛ فغنّت تقول :

٤٤/٥

نفسى أكنتْ عليكِ مدَّعياً * أم حين أزْمَعَ بينُهم خُنْتِ

إن كنتِ هائمةً بذكرهمُ * فعلى فراقهمُ ألا مُتِّ

قال : فأحسَنتْ والله وما قصّرتْ ، فآستعدتُه لأطلب فيه موضعاً لأُصلحه فيكون لى فيه معنى فما وَجدتُ؛ قلت : أحسنْتِ والله يا بُنيّة ما شئتِ ؛ ثم عدتُ إلى يحيى فحلفت له بأيمان رضيها أنّ كثيرًا من حُذّاق المغنّين لا يُحسنون أن يصنعوا مثله ، ولقد آستعدتُه لأرى فيه موضعا يكون لى فيه عملٌ فما وجدت؛ فقال : وصفُكَ لها من أجله[1] يقوم مقام تعليمك إياها، فقد والله سررتنى وسأسرّك، فلمّا انصرفتُ أتبعنى بخمسين ألف درهم .

قصته مع فتاة شاعرة بحضرة الرشيد

حدّثنى عمى وآبن المَرْزُبان قالا حدّثنا آبن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبدالله السُّلَمىّ قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق، ولم يقل عن أبيه، قال :

والله إنى لفى منزلى ذاتَ يوم وأنا مفكّرٌ فى الرّكوب مرّةً وفى القعود مرّة، إذا غلامى قد دخل ومعه خادم الرشيد يأمرنى بالحضور من وقتى، فركبتُ وصرتُ اليه؛ فقال لى : اجلس يا إبراهيم حتى أُرِيَك عجبًا، فجلستُ؛ فقال : علىّ بالأعرابية وآبنتها؛ فأُخرِجَتْ إلىّ أعرابيّة ومعها بُنَيّة لها عشرٌ أو أرجح؛ فقال : يا إبراهيم، إن هذه الصَّبِيّة تقول الشعر ، فقلتُ لأمّها : ما يقول أمير المؤمنين؟ فقالت : هى هذه قدّامك فسلْها ، فقلت : ياحبيبة ، أتقولين الشعر؟ فقالت نعم؛ فقلت : أنشدينى بعضَ ما قلتِ، فأنشدتْنى :

(١) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : « من أجلك » .

صــــوت

تقـول لأتراب لهـا وهى تَمْتَرى[(١)] * دموعًا على الخدَّيْن من شدّة الوجدِ
أكلُّ فتـاةٍ لا محـالةَ نازلٌ * بها مثلُ مابى أم بُليتُ به وحدى
بَرانِى له حبٌّ تنشَّبَ فى الحَشى * فلم يُبْقِ من جسمى سوى العظم والجلد
وجدتُ الهوى حُلْوًا لذيذا بَدِيئُه[(٢)] * وآخرُه مرٌّ لصاحبــه مُرْدِى

قال الشَّبّى[(٣)] فى خبره : قال إسحـاق : وكان أبى حاضرا ، فقال : والله لا تبرَحْ يا أمير المؤمنين أوْ نصنعَ فى هـذه الأبيات لحنا ؛ فصُغْتُ فيها أنا وأبى وجميعُ من حضر . وقال الآخرون : قال إبراهيم : فما بَرِحتُ حتى صنعتُ فيه لحنًا وتغنّيتُ به وهى حاضرة تسـمع . قال ابن المَرْزُبان فى خبره ، ولم يذكره عمّى ، : فقالت : يا أمير المؤمنين، قد أحسنَ رِوَايةَ ماقلتُ، أفتأذَن لى أن أكافئه بمدح أقوله فيه ؟ قال : افعلى؛ فقالت :

صــــوت

ما لإبراهـيم فى العلـ * ـم بهذا الشأن ثانِى
إنمـا عُمْرُ أبى إسـ * ـحاقَ زينٌ للزمان
منــه يُجنَى ثمرُ اللهـ * ـو وريحـانُ الجنان
جنّة الدنيـا أبو إسـ * ـحاق فى كلّ مكان

قال : فأمر لهـا الرشيد بجائزة ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم، فوهبتُ لهـا شَـــطْرَها .

(١) تمترى دموعا : تستدرّها وتستخرجها . (٢) فى الأصول : «بديته» وهو تحريف .

(٣) الشبى : هو أبو زيد عمر بن شبة ، منسوب الى والده شبة ، وعمر بن شبة هو الذى تقدم فى الخبر . وفى الأصول : « الشعبي » ، وهو تحريف .

اللحن الذى صنعه إبراهيم فى شعر الأعرابيّة ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وفيه لعلّويه ثانى ثقيـل . وأما الشعر الثانى فهو لآبن سيابَةَ لا يُشَكّ فيه . ولإبراهيم فيه لحن من خفيف الثقيل .

٤٥ / ٥

غنى الرشيد وغناه غيره فأجازهم، وغناه علويه فغضب عليه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كنت أخذتُ بالمدينة من مجنونٍ بها هذا الصوت، وغنّيتُه الرشيدَ وقلتُ :

صـــوت

همـا فتـاتانِ لمّـا[1] تعـرِفا[2] خُلُقى * وبالشّـبابِ على شَيْبى تُدِلّانِ[2]
رأيتُ عِرْسَىَّ لمّـا ضَمّنى كِبَرى * وشَخْتُ أزمعتَا صرمى وهِجْرانى
كلُّ الفعَال الذى يفعلْنَه حَسَنٌ * يُصبى فؤادى ويُبْدى سِرّ أشجانى
بَلِ آحذَرا صَوْلةً من صَوْل شيخكما * مَهْلًا على الشيخ مَهْلًا يافتاتانِ

فطَـرِب وأمر لى بظَبْيـة[3] كانت مُلْقاة بين يديه ، فيهـا ألفُ دينار مسيَّفة[4] ؛ وكان آبن جامع حاضرا ، فقال : اسمع يا أمير المؤمنين غنـاء العقلاء ودع غناء المجانين، وكان أشدَّ خَلْقِ الله حسـدًا، فغنّاه :

صـــوت

ولقـد قالت لأتراب لهـا * كالمَها يلعبْـن فى حُجْـرتها
خُذْن عنّى الظّلَّ لا يَتْبَعُنى * ومَضَتْ[5] سَـعْيًا إلى قُبّتها

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « لم » ولا يستقيم بها الوزن . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « يعرفا » و « يدلان » بالياء المثناة من تحت، ومرجع الضمير مؤنث . (٣) الظبية : الجراب، وقيل : الجراب الصغير خاصة . (٤) يقال : درهم مسيف إذا كانت جوانبه نقية من النقش . (٥) فى ط ، ء : « وعدت » .

فطَرِب وشَرب ، وأمر له بألف وخمسمائة دينار . ثم تَبِعه محمد بن حمزة وَجْهُ القَرْعة [فغنَّى][1] :

صوت

يَمْشُون فيها بكلِّ سابغةٍ * أُحكِم فيها القَتِيرُ[2] والحَلَقُ
يُعرَف إنصافُهم إذا شهِدوا * وصبرُهم حين تَشْخَص الحَدَق

فاستحسنه وشرِب عليه، وأمر له بخمسمائة دينار . ثم غنَّى علّويه :

صوت

يَحْمَدْنَ دَيْنِى بالنّهار وأقتضى * دَيْنِى إذا وَقَذَ[3] النُّعاسُ الرُّقَّدا
وأَرَى الغَوانِىَ لا يُواصِلْنَ آمرأً * فقَدَ الشّبابَ وقد يَصِلْنَ الأَمْرَدَا

فدعا به الرشيد وقال له : ياعاضَّ بَظْرِ أُمِّه ! أتغنِّى فى مدح المُرْد وذمّ الشَّيب وسِتارتى منصوبة وقد شِبْتُ وكأنك تعرّض بى ! ثم دعا مسرورًا فأمره أن يأخذ بيده فيضربَه ثلاثين دِرّة ويُخرجَه من مجلسه ، ففعل ؛ وما آنتفعنا به بقيّة يومنا ولا آنتفع بنفسه، وجفا علّويه شهرا، ثم سألناه فيه فأذِن له[4] .

[قال أبو الفرج][5]: لإبراهيم أخبار مع خُنْث المعروفة بذات الخال، وكان يهواها، جعلتُها فى موضع آخر من هذا الكتاب[6] ؛ لأنها منفردة بذاتها مستغنية عن إدخالها فى غِمار أخباره . وله فى هذه الجارية شعر كثير فيه غناء له ولغيره؛ وقد شرَطْتُ أن

(١) زيادة عن ط ، ء . (٢) القتير : رءوس المسامير فى الدرع . (٣) وقذه النعاس : أسقطه وغلبه . (٤) فى الأصول هنا ، ما عدا ط ، ء ، بعد هذا الكلام هذه العبارة : «نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى لم يذكرها» ، ولعلها زيدت سهوا من النساخ ، اذ لا معنى لها فى سياق الكلام . (٥) زيادة عن ط ، ء . وفى باقى الأصول : «ولإبراهيم» بزيادة الواو . (٦) هذا الموضع يقع فى الجزء الخامس عشر طبع بولاق ص ٧٩ — ٨٥

الشىء من أخبار الشعراء [و] المغنّين إذا كانت هذه سبيلَه أُفرِده ، لئلا يَقطع بين القرائن والنظائر ممـا تُضاف إليه وتدخل فيه .

شعره ومرضه وزيارة الرشيد له وموته

أخبرنى محمّد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى قال :

٤٦/٥ سمعتُ إسحاق الموصلىّ يقول : لمّـا دخلتْ سنة ثمان وثمانين ومائة اشتدّ أمر القُولَنْج على أبى ولزِمه، وكان يعتاده أحيانا ، فقعـد عن(١) خدمة الخليفة وعن نوْبته فى داره، فقال فى ذلك :

صـــوت

مَـلّ والله طبيـبى * من(٢) مُقاساة الذى بى

سوف أُنْعَى عن قريب * لعـدوٍّ وحبـيب

وغنّى فيه لحنًا من الرَّمل، فكان آخِرَ شعرٍ قاله وآخِرَ لحنٍ صنعه .

أخبرنى الصُّولىّ عن محمد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه :

أن الرّشيد ركب حمارا ودخل إلى إبراهيم يعوده وهو فى الأَبْزَن جالس، فقال له : كيف أنت يا إبراهيم ؟ فقال : أنا والله ياسيّدى كما قال الشاعر :

سَـقيمٌ مَلّ منه أقربوه * وأَسْلَمه المُداوِى والحميمُ

فقال الرشيد : إنّا لله! وخرج، فلم يَبْعُد حتى سمِع الواعيةَ(٣) عليه .

---

(١) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، سـ : « فقعد فى الأبزن عن خدمة ... الخ » .

(٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «عن» . (٣) كذا فى ط ، ء ، حـ . والواعية : الصراخ على الميت . وفى سائر الأصول : «الناعية» .

أمر الرشيد ابنه المأمون أن يصلى عليه مع آخرين

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنى عمر بن شبّة قال :

مات إبراهيم الموصلىّ سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، ومات فى ذلك اليوم الكِسَائى النحوىّ والعباس بن الأحنف الشاعر وهُشَيمة الخَمّارة[(١)]، فرُفع ذلك إلى الرشيد، فأمر المأمونَ أن يصلّىَ عليهم، فخرج فصُفُّوا بين يديه، فقال: مَنْ هـذا الأوّل ؟ قيل: إبراهيم، فقال : أخّروه وقدّموا العبّاس بن الأحنف، فقُدّم فصلّى عليهم؛ فلما فرغ وآنصرف، دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخُزاعىّ فقال: ياسيِّدى، كيف آثرتَ العبّاسَ بالتّقدمة على من حضر؟ قال : لقوله :

وسعَى بها ناسٌ فقالوا إنّها * لهى التى تَشْقَى بها وتُكابِدُ[(٢)]
فجحدتُهم ليكونَ غيرَكِ ظنُّهم[(٣)] * إنّى ليُعجِبنى المحبّ الجاحد

ثم قال : أتحفظها ؟ قلت نعم ؛ فقال : أَنشدنى باقيَها، فأنشدتُه :

لمّـا رأيتُ الليلَ سدّ طَريقَه * عنّى وعذّبنى الظـلام الراكد
والنّجم فى كَبِـد السماء كأنه * أعمى تحـيَّر ما لديـه قائد
ناديتُ مَنْ طَرَد الرُّقادَ بصدّه * عمّـا[(٤)] أُعالج وهـو خِلْوٌ هاجد
ياذا الذى صدّع الفؤادَ بهجره * أنت البَلاءُ طريفُه والتّـالد
ألقيتَ بين جفون عينى حُرْقةً * فإلى متى أنا ساهرٌ يا راقـد

(١) هكذا وردت مضبوطة فى ط (بضم الهاء وفتح الشين)، وهى : آمرأة كانت تبيع الخمر، وكانت جارة لإسحاق الموصلى ، وقد رثاها بأبيات يرميها فيها بالقيادة . (انظر ترجمة إسحاق الموصلى فيما سيأتى من هذا الجزء) . (٢) فى ط ، ء : «وتجاهد» . (٣) فى ط ، ء : «همهم» .
(٤) كذا فى ط ، ء وديوانه . وفى سائر الأصول : «عنى» .

فقال المأمون : أليس من قال هذا الشعر حقيقا بالتقدمة ؟ فقلتُ : بلى والله يا سيِّدى .

ذهاب برصوما الزامر مع ابنه إسحاق إلى المجلس الذى كان يجلس فيه وبكاؤه عليه

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى أبى قال :

قال لى بَرْصُوما الزامر : أمَا فى حقّى وخِدْمتى ومَيْلى إليكم وشكرى لكم ما أَستوجِبُ به أن تَهَبَ لى يوما من عُمْرك تَفعل فيه ما أُريد ولا تخالفنى فى شىء ؟ فقلتُ : بلى ووعدتُه بيوم ؛ فأتانى فقال : مُرْ لى بِخِلْعة ، ففعلتُ وجعلتُ فيها جبّةَ وَشْى ؛ فلبِسها ظاهرةً وقال : امضِ بنا إلى المجلس الذى كنتُ آتى أباك فيه ؛ فمضينا جميعا إليه وقد خَلَقتُه وطيّبتُه ؛ فلما صار على باب المجلس رمَى بنفسه إلى الأرض فتمرّغ فى التّراب وبكى وأخرج نايه وجعل ينوح فى زَمْره ويدور فى المجلس ويقبّل المواضع التى كان أبو إسحاق يجلس فيها ويبكى ويَزْمُر حتّى قضى من ذلك وَطَرا ، ثم ضرب بيده إلى ثيابه فشقّها[1] ، وجعلت أُسَكِّتُه وأبكى معه ، فما سكن إلا بعد حين ؛ ثم دعا بثيابه فلبِسها وقال : إنما سألتك أن تخلع علىّ لئلا يقال : إن برصوما إنما خرّق ثيابه ليُخْلَع[2] عليه ما هو خير منها ؛ ثم قال : امضِ بنا إلى منزلك فقد اشتفَيْتُ مما أردت ؛ فعُدت إلى منزلى وأقام عندى يومه ، وانصرف بخلعة مجدّدة . ٤٧/٥

المراثى التى قيلت فيه

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال حدّثنى القاسم بن[3] يزيد قال :

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « يشقها » . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « ليخلع عليه هو خيرا منها » . (٣) فى ط ، ء : « القاسم بن يزيد الموصلى » .

لمّا مات إبراهيم الموصلىّ دخلت على إبراهيم بن المهدىّ وهو يشرب وجواريه يغنّين، فذكرنا[1] إبراهيمَ الموصلىّ وحذقه وتقدّمه، فأفضْنا فى ذلك وإبراهيمُ مُطْرِق، فلمّا طال كلامنا وقال كلّ واحد منا مثلَ ما قاله صاحبه، اندفع إبراهيم بن المهدىّ يغنّى فى شعر لابن سيابة يرثى [به][2] إبراهيمَ — ويقال: إن الأبيات لأبى الأسد[3] —:

تولَّى الموصلىُّ فقد تولَّتْ * بشاشاتُ المَزَاهرِ والقِيانِ
وأىُّ بشاشةٍ بَقِيَتْ فتبقَى * حياةُ الموصلىّ على الزمانِ
ستَبْكيه المَزاهِرُ[4] والمَلاهى * وتُسْعِدُهنّ عاتقةُ الدِّنانِ
وتَبْكيه الغَوِيّةُ إذ تولّى * ولا تبكيه تالِيَةُ القُرانِ[5]

قال: فأبكى من حضره وقلت أنا فى نفسى: أفتراه هو إذا مات من يبكيه: المحرابُ أم المصحف؟! قال: وكان كالشامت بموته.

أخبرنى يحيى بن علىّ قال قال أنشدنى حمّاد قال: أنشدنى أبى لنفسه يرثى أباه، وأنشدها غير يحيى وفيها زيادة على روايته،:

أقولُ له لمّا وقفتُ بقبره * عليك سلامُ الله يا صاحبَ القبرِ
أيا قبرَ إبراهيم حُيِّيتَ حُفْرةً * ولا زِلتَ تُسْقَى الغيثَ من سَبَلِ[6] القَطْرِ

(١) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «فذكرن». (٢) زيادة عن ط، ء.
(٣) كذا فى ط، ء. وهو نباتة بن عبد الله الحمانى، من شعراء الدولة العباسية، وقد أورد له أبو الفرج ترجمة فى (ج ١٢ ص ١٧٤ طبع بولاق)، وقد ذكرت فى ترجمته هذه الأبيات يرثى بها إبراهيم الموصلى. وفى سائر الأصول: «الأسل» باللام، وهو تحريف. (٤) فى حـ: «المزامر» بالميم.
(٥) القران: القرآن. (٦) السبل (بالتحريك): ما سال من المطر.

لقد عزّنى[1] وَجْدى عليك فلم يَدَعْ * لقلبى نصيبًا من عَزاء ولا صبر
وقد كنتُ أبكى من فِراقك ليلةً * فكيف وقد صار الفِراقُ إلى الحشر

أخبرنى أحمد بن محمد بن إسماعيل [بن إبراهيم][2] الموصلىّ الملقب بوَسْوَاسة[3] قال : أنشدنى حمّاد لأبيه إسحاق يرثى أباه إبراهيم الموصلىّ :

سلامٌ على القبر الذى لا يُجيبنا * ونحن نُحَيّى تُربَه ونخاطبُه
ستَبكيه أشرافُ المُلوك إذا رَأَوْا * مَحلّ التصابى قد خلا منه جانبُهْ
ويَبكيه أهلُ الظَّرْف طرًّا كما بكى * عليه أمير المؤمنين وحاجبُه
ولمّا بدا لى اليأسُ منه وأَنْزَفَتْ[4] * عيونُ بواكيه ومَلّتْ نوادبُه
وصار شفاءُ النفس[5] من بعض ما بها * إفاضةَ دمع تَسْتَهِلّ سواكبُه
جعلتُ على عينىّ للصبح عَبرةً * ولِلّيل أخرى ما بدتْ لى كواكبُه

قال : وأنشدنى أيضا حمّاد لأبيه يرثى أباه :

عليك سلامُ الله من قبرِ فاجع * وجادك من نَوْء السِّماكين وابلُ[6]
٤٨/٥ هَل انتَ مُحيٍّ القبرِ أم أنت سائل * وكيف تُحيّا تُربةٌ وجنادل
أظَلُّ كأنى لم تُصبنى مصيبةٌ * وفى الصّدر من وَجْدٍ عليك بلابل
وهوّن عندى فَقْدَه أنّ شخصه * على كل حال بين عينىّ ماثل

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدثنى أبو أيوب المَدينىّ قال أنشدنى إبراهيم بن علىّ ابن هشام لرجل يرثى إبراهيم الموصلىّ :

---

(١) عزه الوجد : غلبه . (٢) زيادة عن ط ، ى . (٣) فى الأصول : «وسواسة» ولقب تتعدّى بالباء . (٤) أنزفت العين : فنى ماؤها ، و يقال أنزف الرجل البئر اذا استخرج ماءها كله ؛ فهو لازم متعد . (٥) كذا فى ط ، ى . وفى باقى الأصول : «شفاء الناس» . (٦) وردت هذه الأبيات فى ط ، ى بزيادة هاء للوصل على رويها وورد فيها الشطر الأخير من البيت الثانى هكذا : «وكيف يحيا تربه وجنادله» .

أصبح اللهو تحت عَفْر الترابِ * ثاوياً فى محلّة الأحبابِ
إذ ثوى الموصلىّ فانقرض اللهـ * ـو بخير الإخوان والأصحاب
بكت المُسْمِعاتُ حُزْناً عليه * وبكاه الهوى وصَفْوُ الشراب
وبكتْ آلةُ المجالس حتى * رحِم العودُ دمعةَ المِضراب(١)

ذكره ابنه اسحاق عند الرشيد وبكى فلاطفه ووصله

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال :

دخلتُ إلى الرشيد بعَقِب(٢) وفاة أبى ، وذلك بعد شهر من يوم وفاته ، فلمّا جلستُ ورأيت موضعه الذى كان يجلس فيه خالياً دَمَعَتْ عينى ، فكفَفْتُها وتصبّرتُ ؛ ولمحنى الرشيد فدعانى اليه وأدنانى منه ، فقبّلتُ يده ورجلَه والأرض بين يديه ، فاستعبر ، وكان رقيقا ، فوثبت قائما ثم قلت :

فى بقاء الخليفة الميمون * خَلَفٌ من مُصيبة المحزونِ
لا يَضير المصابَ رُزْءٌ إذا ما * كان ذا مَفْزَعٍ الى هارون

فقال لى : كذاك والله هو ، ولن تفْقِد من أبيك ما دمتُ حيّاً إلا شخصَه ؛ وأمر بإضافة(٣) رزقه الى رزقى ؛ فقلت : بل يأمر أميرُ المؤمنين به الى ولده ، ففى خدمتى إياه ما يُغْنِينى ؛ فقال : اجعلوا رزق إبراهيم لولده وأَضْعِفوا رزق إسحاق .

---

(١) فى ط ، ء : « دمعة المحراب » . ومن معانى المحراب صدر البيت وأكرم موضع فيه .
(٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «بعقيب» . والعقيب : المعاقب ، ويستقيم الكلام به على تقدير محذوف ، أى بوقت عقيب وقت وفاة أبيه ، أو على أن يكون مصغرا . (٣) فى ط ، ء : « بإفاضة » .

صـــــوت

من المـائة المختـارة

أحد الأصوات من المائة المختارة

يادارَ سُـــعْدى بالجِزْع[1] من مَلَلٍ[2] * حُيِّيتِ من دِمْنـــةٍ[3] ومن طَلَلِ
إنِّى اذا ما البخيـــلُ أَمَّنهـا * باتت ضَمُـــوزًا[4] مـــنِّى على وَجَلِ[5]
لا أُمتِـع العُوذَ بالفِصـال ولا * أَبتـاع إلا قَرِيبـــةَ الأَجلِ

العوذ: الإبل التى قد نُتِجتْ، واحدتها عائذ . يقول : أنحرُها وأولادَها للأضياف فلا أُمتِعها . والضَّمُوز : المسكة عن أن تجترّ . ضمَز الجملُ بجرّته إذا أمسك عنها، ودسع[6] بها إذا استعملها . يقول : فهذه الناقة من شـدة خوفها على نفسها مما رأت من نحر نظائرها قد امتنعتْ من جِرّتها فهى ضامِزةٌ .

الشعر لابن هَرْمة . والغنـاء فى اللحن المختـار لمَرْزوق الصراف[7] ثقيـلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر فى مجـرى البنصر عن إسحاق ، ويقال إنه ليحيى بن واصـل . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لدَحْمانَ لحنًا من الثقيل الأوّل بالبنصر، [وأن فيه لابن مُحْرِز لحنا من

---

(١) الجزع (بالكسر و يفتح) : منعطف الوادى ووسطه أو منقطعه . وفى ط ، ء : «الخيف» وهو ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء . (٢) ملل (بالتحريك) : منزل على طريق المدينة الى مكة بينه وبين المدينة ثمانية وعشرون ميلا . (٣) فى ب : «دجنة» بالجيم، وهو تحريف .
(٤) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «باتت ضمورا» وهو تصحيف . (٥) ورد هذا البيت والذى بعده فى الأمالى (ج ٣ ص ١١٠ طبع دار الكتب المصرية) بتقديم الذى بعده عليه، وهو الأنسب ليرجع الضمير فيه الى مذكور . وفى تفسير المؤلف البيتين ما يشعر بهذا الترتيب .
(٦) كذا فى ط ، ء . ودسع الرجل : قاء ملء الفم . وفى ب ، سـ : «رسغ» (بالراء والغين المعجمة) . وفى سائر الأصول : «رسع» بالراء والعين المهملة، وكلاهما تحريف .
(٧) كذا فى ط ، ء ، أ هنا وفيما سبق فى جميع الأصول فى الجزء الرابع فى آخر ترجمة فليح بن أبى العوراء . وفى سائر الأصول هنا : «لمرزوق الضراب» .

٤٩/٥ الثقيل الثانى بالبنصر [(١)] فى الثالث ثم الثانى، ووافقه ابن المكىّ. قال : وفيه لدَحْمان خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى فى الأول والثالث ؛ وذكر الهِشامىّ أنّ هذا اللحن بعينه ليونس وأن الثقيل الثانى لإبراهيم، وأنّ لمَعْبد فيه لحنا من الثقيل الأوّل بالوسطى، وأن فيه للهُذَلىّ خفيفَ ثقيل، وأن فيه رَمَلا ينسب إلى ابن مُحْرِز [أيضا] (١) .

شىء من ذكر ابن هَرْمة أيضا

طلب يحيى بن عروة من ابنة ابن هرمة زادا فردّته فذكرها بقول أبيها

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهْرِىّ ونَوْفل بن مَيْمون عن يحيى بن عُرْوة بن أُذَينة قال :

خرجتُ فى حاجة لى، فلمّا كنت بالسَّيالة (٢) وقفت على منزل إبراهيم بن علىّ بن هَرْمة، فصِحتُ : يا أبا إسحاق، فأجابتنى ابنتُه : من هذا؟ فقلت : انْظُرى، فخرجتْ إلىّ فقلت : أَعْلِمى أبا إسحاق؛ فقالت : خرج والله آنفا؛ قال : فقلت : هل من قِرًى؟ فإنى مُقْوٍ (٣) من الزاد؛ قالت : لا والله، ماصادفتَه حاضرا؛ قلت : فأين قولُ أبيك :

لا أُمْتِع العُوذَ بالفِصال ولا ❊ أبتاع إلا قريبةَ الأجلِ

قالت : بذاك (٤) والله أفناها ـ أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب ابن عَبَاية بمثل هذا الخبر سواء، وزاد فيه : ـ قال : فأخبرت إبراهيم بن هَرْمة بقولها ، فضمّها إليه وقال : بأبى أنت وأمى ! أنت والله ابنتى حقا ، الدارُ والمَزْرعةُ لك .

---

(١) زيادة من ط ، ء . (٢) السيالة (بفتح أوله وتخفيف ثانيه) : أوّل مرحلة لأهل المدينة اذا أرادوا مكة . (٣) أقوى القوم : فنى زادهم . (٤) فى ط ، ء ، ح : « فذاك » .

ذكر بشعره فى الكرم فانتهب غنمه الناس وكان بخيلا

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى نَوْفل بن ميمون قال حدّثنى مُرَقِّع(١) قال :

كنت مع آبن هَرْمة فى سَـقيفة أمّ أُذَيْنَة(٢)، فجاءه راعٍ بقطعة(٣) من غنم يشاوره فيما يبيع منها، وكان قد أمره ببيع بعضها؛ قال مُرَقِّع : فقلت : يا أبا إسحاق، أين عزَب عنك قولك :

لا غنمى مُدّ فى الحياة لهـا * إلا لدَرْك(٤) القِـرَى ولا إبلى

وقولُك فيها أيضا :

لا أُمتِـع العُوذَ بالفصال ولا * ولا أَبتاع إلا قَرِيبةَ الأجلِ

فقال لى : مالك أخزاك الله ! من أخذ منهـا شيئا فهـو له ؛ فآنتهبناها(٥) حتى وقف الراعى وما معه منها شىء .

وحدّثنا بهذا الخبر أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفلىّ عن أبيه :

أن آبن هَرْمةَ كان اشترى غنما للربح(٦)، فلقيه رجل فقال له : ألست القائل :

لا غنمى مُدّ فى الحياة لهـا * إلا لدَرْك القِـرَى ولا إبلى

قال : نعم ؛ قال : فوالله إنى لأحسَبك تدفع عن هذه الغنم المكروهَ بنفسك ، وإنك لكاذب؛ فأحفظه [ذلك](٧) فصاح : من أخذ منهـا شيئا فهو له ؛ فآنتهبها الناس جميعا؛ وكان ابنُ هَرْمة أحدَ البخلاء .

(١) فى ط ، ى : « موقع » بالواو . (٢) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «سفينة ابن أذينة» . (٣) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «بقطيعة» ، وهو تحريف (٤) فى ط ، ى : « إلا دراك » . (٥) كذا فى حـ . وفى ط ، ى : « فانتهبنا » . وفى سائر الأصول : «فانتهبناها له ...» . (٦) كذا فى حـ ، ط ، ى . وفى سائر الأصول : «للذبح» ، وهو تحريف . (٧) زيادة عن ط ، ى .

أوّل شعر قاله ابن هرمة

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنى الزُّبير بن بكّار قال حدثنى نوفل بن ميمون قال حدّثنى زُفَر بن محمد الفِهْرى(١) : أن هذه القصيدة أولُ شعر قاله ابن هرمة .

سمع مزيد بيتا له فى الفخر فتهكم به

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبى : حدّثنا عبد الله بن الوَليد الأَزدِىّ قال حدّثنى جعفر بن محمد بن زيد بن علىّ بن الحسين(٢) قال :

سمع مزيد(٣) قول ابن هَرْمة :

لا أُمْتِـع العُوذَ بالفِصَال ولا * أبتاعُ إلّا قريبــةَ الأَجَلِ ٥٠ / ٥

قال : صدَق ابن الخبيثة ، إنّما كان يَشترى الشاة للأضحى فيَذْبحها من ساعته .

ذهب اليه قوم من قريش للعبث به فكان بينهم حوار ظريف

أخبرنا وَكيع قال حدّثنا حمّاد عن أبيه [عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن محمد بن زيد عن أبيه](٤) قال :

اجتمع قوم من قريش أنا فيهم ، فأحببْنا أن نأتى ابنَ هَرْمة فنعبَثَ به ، فتزوّدنا زادا كثيرا ثم أتيناه لنقيم عنده ، فلما انتهينا اليه خرجَ إلينا فقال : ما جاء بكم؟ فقلنا : سمعنا شعرك فدعانا اليك لما سمعناك قلت :

---

(١) فى ط ، ى : « زفر بن الحارث الفهرى » . (٢) كذا فى ط ، ى وهو الموافق لما جاء فى كتاب المعارف لابن قتيبة (ص ١١١ طبع أوربا) . وفى سائر الأصول : « الحسن » . (٣) كذا فى ط ، ى وكتاب البخلاء للجاحظ (ص ٩ طبع أوربا) وعيون الأخبار طبع دار الكتب المصرية (انظر مقدمته ص م حاشية رقم ٣) . وفى شرح القاموس (مادة زبد) : مزبد كمحدث اسم رجل صاحب النوادر ، وضبط كمعظم ، ووجد بخط الذهبى ساكن الزاى مكسور الباء . (باختصار) . وفى سائر الأصول : « مزيد » بالياء المثناة التحتية ، وهو تصحيف . (٤) التكملة عن ط ، ى .

إنّ آمرأ جعل الطريقَ لبيته * طُنُبًا (١) وأنكر حقه للئيم

وسمعناك تقول :

وإذا تنوّر طارق مُستنبِحٌ (٢) * نَبَحتْ فدلّته على كلابِي

وعوين يَستعجِلْنه فلقِينه * يَضرِبْنه بشَراشِرِ (٣) الأذناب

وسمعناك تقول :

كم ناقةٍ قد وجأْتُ (٤) مَنحرها * بمُستهَلّ الشُؤبوب أو جَمَلِ

لا أُمتع العُوذَ بالفِصال ولا * أبتاع إلّا قريبةَ الأجَلِ

قال : فنظر إلينا طويلًا ثم قال : ما على وجه الأرض عصابةٌ أضعفُ عقولًا ولا أسخفُ دينًا منكم ؛ فقلنا له : يا عدوّ الله يا دعىّ، أتيناك زائرين [و] (٥) تُسمعنا هذا الكلام! ؛ فقال: أمَا سمعتم الله تعالى يقول للشعراء: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالَا يَفْعَلُونَ﴾ أفيُخبركم الله أنّى أقول ما لا أفعلُ وتريدون منّى أن أفعلَ ما أقول! ؛ [قال] (٥) فضحكنا منه وأخرجناه معنا، فأقام عندنا فى نزهتنا يَشركُنا فى زادنا حتى آنصرفنا إلى المدينة .

إعجاب الأصمعى:

أخبرنا عمّى قال حدّثنى محمّد بن سعيد الكُرَانىّ عن عبد الرحمن بن أخى الأصمعىّ عن عمّه قال :

---

(١) الطنب (بضم النون وتسكينها) : حبل الخباء والسرادق ونحوهما ، وقد يستعار للطرف والناحية . فلعله يريد أنه أقام بيتـه على الطريق فكانت الطريق طرفا له . وفى الحديث : "ما بين طنبي المدينة أحوج منى اليها" أى ما بين طرفيها . وفى حـ : «ضرب الطريق... طرقا ... الخ» . (٢) فى ط ، ء : «راكب» . (٣) شراشر الأذناب : أطرافها . (٤) وجأه : ضربه بسكين ونحوه . (٥) زيادة عن ط ، ء .

الحَكَمُ الخُضْرِىّ، وٱبن مَيَّادة، ورُؤْبة، وٱبن هَرْمة، وطُفَيل الكِنانىّ، ومَكين العُذْرِىّ، كانوا على ساقة[1] الشعراء، وتقدّمهم ٱبن هَرْمة بقوله :

لا أُمتع العُوذ بالفِصال ولا * أبتـاع إلّا قريبـةَ الأجل

قال عبـد الرحمن : وكان عمّى مُعْجَبًا بهـذا البيت مُستحِسنًا له ، وكان كثـيرا ما يقول : أمَا تَرَوْن كيف قال ! والله لو قال هـذا حاتم لمـا زاد ولكان كثيرا ؛ ثم يقول : ما يؤخّره عن الفحول إلا قُرْبُ عهده . انتهى .

تفضيل مروان بن أبى حفصة له

أخبرنى محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى ووَكيع عن حَمّاد عن أبيه قال : قلت لمروان بن أبى حَفْصة[2] : مَنْ أشعر المُحْدَثين من طبقتكم عندك؟ لا أَعْنيك ؛ قال : الذى يقول :

لا أمتع العوذ بالفصال ولا * أبتـاع إلا قريبـةَ الأجل

ناقض ابن الكوسج شعرا له فتهدده مواليه إن لم يأتوه به مربوطا

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدثنا أبو أيّوب المَدِينىّ عن أبى حُذَافة قال : لمـّا قال ٱبن هَرْمة :

لا أُمتع العوذ بالفِصال ولا * أبتـاع إلا قريبـةَ الأجل

قال ٱبن الكَوْسَج مولى آل حُنَين يجيبه :

ما يشرب الباردَ القَراحَ ولا * يذبح من جَفْرةٍ[3] ولا حَمَـلِ[4]

كأنّه قِـرْدَةٌ يلاعبهـا * قردٌ بأعلى المِضاب من مَلَل

---

(١) الساقة : المؤخرة، يقال : فلان فى ساقة الجيش أى فى مؤخرته . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «مروان بن حفصة» ، وهو تحريف . (٣) الجفرة : من أولاد الشاء إذا عظم واستكرش، قال أبو عبيـد : اذا بلغ ولد المعزى أربعة أشهر وجفر جنباه وفصل عن أمه وأخذ فى الرعى فهو : جفر، والأنثى جفرة . (٤) كذا فى ط ، ء ، حـ ، وهو الأنسب للمعنى . وفى سائر الأصول : «جمل» بالجيم .

قال : فقال ٱبن هَرْمة : لئن لم أُوتَ به مربوطا لأفعلنّ بآل حُنَين ولأفعلنّ؛ فوهبوا لٱبن الكَوْسج مائة درهم وربطوه وأَتَوْا به ٱبن هَرْمة فأطلقه[1] ؛ فقال ٱبن الكوسج : واللهِ لئن عاد لمثلها لأعودنّ[2] .

٥١ / ٥

* * *

غنى ابن جامع الرشيد ما شغله به عن غيره فعلم إبراهيم مخارقا لحنا تفوّق به عليه

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني هارون بن مُخَارِق عن أبيه قال :

كُنّا عند الرشيد في بعض أيامنا ومعنا ٱبن جامع، فغنّاه ٱبن جامع ونحن يومئذ بالرَّقّة :

هـاج شـوقًا فِراقُكَ الأحبابا * فتناسيتَ أو نَسِيتَ الرِّبابا
حين صاح الغرابُ بالبَيْن منهم * فتصامَمْتَ إذ سمعتَ الغُرابا
لو علمنا أنّ الفِراق وَشِيكٌ * ما ٱنتهينا حتى نزورَ القِبابا
أو علمنا حين ٱستقلّتْ نَوَاهم * ما أقمنا حتى نَزُمّ[3] الرِّكابا

— الغناء لٱبن جامع رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وله فيه أيضا ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو. وذكرتْ دَنَانِيرُ عن فُلَيح أنّ فيه لٱبن سريج وٱبن مُحْرِز لحنين — . قال : فٱستحسنه الرشيد وأُعجب به وٱستعاده مرارًا وشرب عليه أرطالا حتى سكر، وما سمع غيرَه ولا أقبل على أحد، وأمر لٱبن جامع بخمسة آلاف دينار؛ فلمّا ٱنصرفنا قال لي إبراهيم : لا تَرِمْ[4] منزلَك حتى أصير إليك؛ فصرت

(١) عبارة ط ، ء : «فأطلقه وقال : والله لئن عاد الى مثلها لأعودنّ» . وهي تفيد أن المهدّد ابن هرمة لا ابن الكوسج، على خلاف ما يفيده باقي الأصول . (٢) الى هنا انتهى المؤلف من أخبار ابن هرمة وعاد الى ابراهيم الموصلي، ولهذا عنونا به هذه الصفحة وما بعدها الى أخبار إسحاق . (٣) زم البعير: خطمه ووضع فيه الزمام . (٤) رام المكان يريمه : برحه، وأكثر مايستعمل منفيا .

إلى منزلى، فلم أُغَيِّر ثيابى حتى أعلمنى الغلام بموافاته؛ فتلقيتُه فى دِهْليزى[١]، فدخل وجلس وأجلسنى بين يديه ثم قال لى: يا مُخَارِق، أنت فَسِيلةٌ[٢] منّى وحَسَنى لك وقبيحى عليك، ومتى تركنا آبنَ جامع على ما ترى غَلَبَنا على الرّشيد، وقد صنعتُ صوتًا على طريقة صوته الذى غنّاه أحسنَ صنعةً منه وأجود وأشجى، وإنما يَغلبنى عند هذا الرجل بصوته، ولا مَطْمَنَ على صوتك، وإذا أطربتَه وغلبتَه عليه بما تأخذه منى قام ذلك لى مقام الظَّفَر[٣]؛ وسيُصبح أمير المؤمنين غدًا فيدخل الحمام ونحضُر ثم يخرج فيدعو بالطعام ويدعو بنا ويأمر آبنَ جامع فيردّ الصوت الذى غناه ويشرب عليه رِطلًا ويأمر له بجائزة، فاذا فعل فلا تنتظره أكثر من أن يردّ ردّته حتى تُغَنّىَ ما أُعلّمك إياه الساعةَ، فإنه يُقبل عليك ويَصلك، ولستُ أُبالى ألّا يصلنى بعد أن يكون إقبالُه عليك؛ فقلت: السمع والطاعة؛ فألقى علىّ لحنَه:

* يا دارَ سُعْدَى بالجِزْع من مَلَلِ *

وردّده حتى أخذتُه[٤] وآنصرف؛ ثم بكّر علىّ فآستعاد الصوت فردّدْتُه حتى رَضِيَه، ثم ركبنا وأنا أدرسه حتى صِرْنا إلى دار الرشيد؛ فلمّا دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئا فشيئا، وكان إبراهيم أعلمَ الناس به، ثم أمر آبنَ جامع فردّ الصوت ودعا برِطل فشرِبه، ولما آستوفاه واستوفى آبن جامع صوتَه لم أَدَعْه يتنفّس حتى آندفعتُ فغنّيت صوتَ إبراهيم، فلم يَزَلْ يُصغى إليه وهو باهتٌ حتى استوفيتُه؛

---

(١) الدهليز (بالكسر): اسم الممر الذى بين باب الدار ووسطها، فارسىّ معرّب. قال يحيى بن خالد: «ينبغى للانسان أن يتأنق فى دهليزه، لأنه وجه الدار، ومنزل الضيف، وموقف الصديق حتّى يؤذن له، وموضع المعلم، ومقيل الخدم، ومنتهى حدّ المستأذن».

(٢) الفسيلة: النخلة الصغيرة تقلع من الأرض أو تقطع من الأم فتغترس.

(٣) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «قام ذلك منى». (٤) فى م: «ورددته».

فشرب وقال: أحسنتَ والله! لمن هذا الصوت؟ فقلت: لإبراهيم؛ فلم يزل يستدنيني حتى صِرتُ قُدّامَ سريره، وجعل يستعيد الصّوت فأُعيده و يشرب [عليه][1] رِطلا، فأمر لإبراهيم بجائزة سنيّة وأمر لى بمثلها؛ وجعل ٱبنُ جامع يَشْغَب و يقول : يجيء بالغناء فيَدُسّه فى أَسْتاه الصّبيان ! إن كان محسنًا فليُغنِّه هو، والرشيد يقول [له][1]: دع ذا عنك، فقد والله ٱستقاد منك وزاد عليك .

٥٢ / ٥ صـــوت

من المـائة المختـارة

تَوَلّى شـبابُكَ إلا قليــلَا * وحلّ المَشيبُ فصبرًا جميـلَا
كفى حَزَنًا بِفـراق الصِّـبا * وإنْ أصبح الشَّيبُ منه بَديلا

الشعر والغناء لإسحاق . ولحنه المختار ثانى ثقيل بالوسطى فى مجراها عن إسحاقَ ابن عمرو .

---

(١) الزيادة عن ط ، ء .

أخبار إسحاقَ بنِ إبراهيم

نسب إسحاق الموصلى وكنيته

قد مضى نسبه مَشروحًا فى نسب أبيه، ويُكْنَى أبا محمد، وكان الرشيد[1] يُولَع به فيُكْنِيه أبا صَفْوان، وهذه كُنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعب مَزْحًا.

منزلته فى العلوم وتقدير الخلفاء والناس له

وموضعُه من العِلم، ومكانُه من الأدب، ومَحَلّه من الرواية، وتقدُّمه فى الشعر، ومنزلته فى سائر المحاسن، أشهرُ من أن يُدَلّ عليه فيها بوصف؛ وأما الغناء فكان أصغرَ علومه وأدنى ما يُوسم به وإن كان الغالبَ عليه وعلى ما كان يُحسنه؛ فإنه كان له فى سائر أَدَوَاته نُظَراءُ وأكفاء ولم يكن له فى هذا نظير؛ فإنه لَحِق بمن مضى فيه وسبَق من بقى، ولَحَبَ[2] للناس جميعا طريقَه فأوضحها، وسهّل عليهم سبيلَه وأنارها؛ فهو إمامُ أهل صناعته جميعا، ورأسهم ومعلّمهم؛ يَعْرِف ذلك منه الخاصّ والعامّ، ويشهد به الموافق والمفارق[3]؛ على أنه كان أكرَهَ الناس للغناء وأشدَّهم بغضا لأن يُدعى إليه أو يُسمّى به. وكان يقول: لَوَدِدْت أن أضرب، كلما أراد مريدٌ منى أن أغنّىَ وكلما قال قائل إسحاق الموصلى المغنّى، عشرَ مَقارع، لا أُطيق أكثرَ من ذلك، وأُعْفَى من الغناء ولا ينسُبنى من يذكرنى إليه. وكان المأمون يقول: لولا ما سَبق على ألسنة الناس وشُهِر به عندهم من الغناء لولّيتُه القضاءَ بحضرتى، فإنه أولى به

---

(١) كذا فى جميع الأصول، والمعروف أن الرشيد لم يعاصر إسحاق بن ابراهيم بن مصعب فى بغداد، وأن اسحاق المصعبي وأهل بيته من أهل بوشنج من أعمال خراسان ولم يدخلوا بغداد إلا بعد دخول المأمون فيها، ومعلوم أيضا أن إسحاق المصعبي هو الذى أوقع هذه الكنية على إسحاق كما سيجىء فى شعر للموصلى بعث به اليه، والغالب أن فى الأصول تحريفا، والأجدر به أن يكون «المأمون» بدل «الرشيد» ليتسق التاريخ وتتلاءم الحوادث بعضها مع بعض (انظر التاج للجاحظ الحاشية رقم ١ ص ٣١ طبع المطبعة الأميرية).

(٢) لحب الطريق: سلكه وأوضحه، ويستعمل لازما فيقال: لحب الطريق اذا وضح. وفى ح: «ألحب» وهو بمعنى «لحب» المتعدى. (٣) لعله «المرافق والمفارق» أى القريب والبعيد.

مشايخه الذين تلقى عنهم

واعفّ وأصدق وأكثر ديناً وأمانةً من هؤلاء القضاة . وقد روى الحديثَ ولقى أهلَه : مثل مالك بن أنس، وسفيان بن عُيَينة، وهُشَيم بن بَشير[1]، وإبراهيم بن سَعْد[2]، وأبى معاوية الضَّرير[3]، وروح بن عُبادة[4]، وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز . وكان مع كراهته الغناءَ أضنَّ خلق الله وأشدَّهم بُخلًا به على كل أحد حتى على جواريه وغلمانه ومن يأخذ عنه مُنتسبا إليه مُتعصِّبا له فضلا عن غيرهم .

هو الذى صحح أجناس الغناء بطبعه من غير أن يطلع على كتب القدماء

وهو الذى صحّح أجناس الغناء وطرائقه وميّزه تمييزا لم يقدر عليه أحد قبله ولا تعلّق به أحد بعده ، ولم يكن قديما مميَّزا على هـذا الجنس، إنمـا كان يقال الثقيـل ، وثقيـل الثقيل ، والخفيف، وخفيف الخفيف. وهـذا عمرو بن بانة ، وهو من تلاميـذه، يقول فى كتابه : الرمل الأوّل، والرمل الثـانى؛ ثم لا يزيد فى ذكر الأصابع على الوسطى والبنصر ، ولا يعرف المجارىَ التى ذكرها إسحاق فى كتابه ، مثلَ ما ميّز الأجناس ، فجعل الثقيل الأول أصنـافا ، فبدأ فيه بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر، ثم تلاه بمـا كان منه بالبنصر فى مجراها، ثم بما كان بالسّبابة فى مجرى البنصر، ثم فعل هذا بمـا كان منه بالوسـطى على هـذه المرتبة ؛ ثم جعل الثقيل الأوّل صـنفين، الصنف الأوّل منهما هذا الذى ذكرناه، والصنف الثانى القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل، (٥٣/٥) وأجراه المجرى الذى تقـدّم من تمييز الأصابع والمجارى ، وألحق جميـعَ الطرائق والأجناس بذلك وأجراها على هـذا الترتيب . ثم لم يتعلّق بفهم ذلك أحدٌ بعـده فضلا عن أن يُصنّفه فى كتابه؛ فقد ألف جماعةٌ من المغنّين كتبا، منهم يحيى المكىّ

(١) هو هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمى ، يكنى أبا معاوية ، مات فى خلافة الرشيد سنة ١٨٣ هـ . (٢) هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى و يكنى أبا إسحاق ، وكان ثقة كثير الحديث وربما أخطأ فيه ، توفى ببغداد سنة ١٨٣ هـ . (٣) اسمه محمد بن خازم مولى لبنى عمرو بن سعد ، وكان ثقة كثير الحديث يدلس ، توفى بالكوفة سنة ١٩٥ هـ . (٤) هو روح بن عبادة القيسى من بنى قيس بن ثعلبة و يكنى أبا محمد وكان ثقة ، توفى سنة ٢٠٥ هـ .

وكان شيخَ الجماعة وأستاذهم ، وكلُّهم كان يفتقر إليه و يأخذ عنه غناء الحجاز، وله صنعةٌ كثيرة حسنة متقدّمة، وقد كان إبراهيم الموصلىّ وٱبن جامع يضطران إلى الأخذ عنه — ألّف كتاباً جمع فيه الغناء القديم ، وألحق فيه ٱبنهُ الغناءَ المُحْدَث إلى آخر أيّامه ، فأتيا فيه فى أمر الأصابع بتخليط عظيم، حتى جعلا أكثر ماجنّساه من ذلك مختلطا فاسدا، وجعلا بعضه، فيما زعما، تشترك الأصابع كلّها فيه؛ وهذا محال؛ ولو اشتركت الأصابع لَمَا احتيج إلى تمييز الأغانى وتصييرها مقسومةً على صِنفين: الوسطى والبنصر . والكلام فى هذا طويل ليس موضعه هاهنا ؛ وقد ذكرته فى رسالة عملتُها لبعض إخوانى ممن سألنى شرحَ هذا، فأثبته وٱستقصيتهُ استقصاءً يُستغنَى به عن غيره . وهذا كله فعله إسحاق واستخرجه بتمييزه، حتى أتى على كل ما رسمتْه الأوائلُ مثل إقْلِيدس ومَنْ قبلَه ومَنْ بعده من أهل العلم بالموسيقى، ووافقهم بطبعه وذهنه فيما قد أفنوْا فيه الدهورَ، من غير أن يقرأ لهم كتابا أو يعرفه.

فأخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجم قال :

كنت عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب، فسأل إسحاقَ الموصلىّ — أوسأله محمد ابن الحسن بن مُصعب — بحضرتى، فقال له : يا أبا محمد، أرأيتَ لو أنّ الناس جعلوا للعود وترًا خامسا للنّغمة الحادّة التى هى العاشرة على مذهبك، أين كنت تخرج منه؟ فبقى إسحاق واجمًا ساعةً طويلةً مفكرًا، وٱحمرّت أُذُناه وكانتا عظيمتين، وكان إذا ورد عليه مثل هذا ٱحمرّتا وكثُر وَلُوعه بهما ؛ فقال لمحمد بن الحسن : الجواب فى هذا لايكون كلامًا إنما يكون بالضرب، فإن كنتَ تضرب أريتُك أين تخرج! ؛ فخجل وسكت عنه مُغْضَبا ، لأنه كان أميرا وقابله من الجواب بما لا يَحْسُن، فحلُم عنه . قال علىّ بن يحيى : فصار إلىّ به وقال لى : يا أبا الحسن، إنّ هذا

الرجل سألني عما سمعتَ، ولم يبلُغ علمُه أن يستنبط مثلَه بقريحته، وإنما هو شيء قرأه من كتب الأوائل، وقد بلغني أنّ التراجمة عندهم يترجمون لهم كتب الموسيقِى، فإذا خرج إليك منها شيء فأعطِنيه؛ فوعدته بذلك، ومات قبل أن يخرج إليه شيء منها. وإنما ذكرتُ هذا بتمام أخباره كلّها ومحاسنه وفضائله، لأنه من أعجب شيء يُؤْثَر عنه: أنه آستخرج بطبعه عِلمًا رسمتْه الأوائل لا يُوصَل إلى معرفته إلا بعد علم كتاب إقليدس الأوّل فى الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعة فى الموسيقِى، ثم تعلّم ذلك وتوصّل إليه وآستنبطه بقريحته، فوافق مارسمه أولئك، ولم يَشِذّ عنه شيء يحتاج إليه منه، وهو لم يقرأه ولا له مدخلٌ إليه ولا عَرفه[1]، ثم تبيّن بعد هذا، بما أذكره من أخباره ومعجزاته فى صناعته، فضلَه على أهلها كلِّهم وتميّزه عنهم، وكونَه سماءً هم أرضُها، وبحرًا هم جداوله.

اسم أمه وجنسها

وأمّ إسحاق آمرأة من أهل الرّىّ يقال لها شاهك، وذكر قوم أنها دُوشّار التى كانت تُغنّى بالدُّفّ، فهوِيَها إبراهيم وتزوّجها. وهذا خطأ، تلك لم تلد من إبراهيم إلا بنتا، وإسحاقُ وسائرُ ولد إبراهيم من شاهكَ هذه.

٥٤ / ٥

برنامج دراسته اليومى

أخبرني يحيى بن علىّ المنجم قال أخبرني أبى عن إسحاق قال:

بقيتُ دهرًا من دهرى أُغلّس فى كلّ يوم إلى هُشَيم فأسمع منه، ثم أصير إلى الكِسائىّ أو الفَرّاء أو آبن غَزالة[2] فأقرأ عليه جزءا من القرآن، ثم آتى منصورَ

---

(١) كذا فى ب، سـ. وفى سائر الأصول: «وهو لم يقرأه ولا المدخل اليه ... الخ».

(٢) كذا فى جميع الأصول. وقد جاء فى شرح القاموس (مادة غزل): «وعبد الواحد بن أحمد بن غزال مقرئ».

زلزل[1] فيضـارِبنى طَرْقين[2] أو ثلاثة ، ثم آتِى عاتكة[3] بنت شُهْدَة فآخذ منها صوتا أو صوتين ، ثم آتى الأصمعىّ وأبا عُبَيدة فأُناشدهما وأُحدّثهما فأستفيد منهما ، ثم أصير إلى أبى فأُعلمه ما صنعتُ ومَنْ لَقِيت وما أخذتُ وأتغدّى معه ، فإذا كان العشاء رُحت إلى أمير المؤمنين الرشيد .

تعلم الضرب بالعود من زلزل

أخبرنا محمد بن مَزْيد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

أخذ منّى منصورُ زلزل إلى أن تعلّمتُ مثْلَ ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهـم .

جاء الى ابن عائشة فأكرمه

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ قال حدّثنا أحمد بن أبى خَيْثَمة قال :

كنت عند ابن عائشة فجاءه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ ، فرحّب به وقال : هاهنا يا أبا محمد إلى جَنْبى ، فلئن بعُدَتْ بيننا الأنساب ، لقد قربتْ بيننا الآداب .

تقدير المأمون له

أخبرنى الحسن[4] بن علىّ الخفّاف قال حدّثنا يَزِيد بن محمد المهلّبىّ قال حدّثنا ابن شَيِيب[5] من جلساء المأمون عنه : أنه قال يوماً وإسحاق غائبٌ عن مجلسه : لولا

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، سـ : « ثم آتى منصورا زلزلا » . وإذا اجتمع علمان لمسمى واحد جازت الإضافة والإتباع على أن يكون الثانى بدلا أو عطف بيان . (٢) كذا فى أ ، م . والطرق (بالفتح) : صوت أو نغمة بالعود ونحوه ، يقال : تضرب هذه الجارية كذا طرقا . وفى ب ، سـ ، حـ : « طرفين » بالفاء . وفى ء : « طريقين » ، وكلاهما تحريف .
(٣) عاتكة بنت شهدة : إحدى المغنيات المحسنات ، وأمها جارية الوليد بن يزيد وكانت مغنية أيضا . (انظر الكلام عليها فى الأغانى ج ٦ ص ٥٧ طبع بولاق) . (٤) فى الأصول هنا : «الحسين» ، وهو تحريف . (٥) فى حـ ، ء وهامش أ : «حدثنا من شئت من جلساء المأمون» .

ماسَبَق على ألسِنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لَوَلَّيتُه القضاء، فما أعرف مثلَه ثقةً وصدقًا وعفةً وفقهًا . هذا مع تحصيل المأمون وعقلِه ومعرفتِه .

سأل الفضل بن الربيع أن يوصى به سفيان بن عيينة فى رواية الحديث وتقدير سفيان له

أخبرنا يحيى بن على قال حدّثنا الفَضْل بن العبّاس الورّاق قال حدّثنا المُخَرِّمىّ(١) عن أبيه قال : سمعتُ إسحاق الموصلىّ يقول :

صِرتُ إلى سُفيان بن عُيَينة لأسمع منه، فتعذّر ذلك علىّ وصعُب مَرامُه ، فرأيته عند الفضل بن الرَّبيع ،فسألتُه أن يعرّفه موضعى من عنايته ومكانى من الأدب والطلب وأن يتقدّم إليه بحديثى ؛ ففعل وأوصاه بى فقال : إنّ أبا محمد من أهل العلم وحَمَلَتِه . قال : فقلت : تَفرِضُ لى عليه ما يحـدّثنى به ؛ فسأله فى ذلك ، ففرَض لى خمسةَ عشرَ حديثـا فى كل مجلس؛ فصرت إليـه فحدّثنى بما فرض لى ؛ فقلت له : أعزّك الله ، صحيح كما حدّثتَنى به ؟ قال : نعم ، وعقَد بيده شيئا ؛ قلت : أفأَرْويه عنك ؟ قال : نعم ، وعقَد بيده شيئًا آخر ، ثم قال : هـذه خمسة وأربعون حديثًـا ، وضحك إلىّ وقال : قد سرّنى ما رأيتُ من تَقَصِّيك فى الحديث وتشدُّدك فيه على نفسك ، فصِرْ إلىّ متى شئتَ حتى أحدّثك بما شئتَ .

تقدير أبى معاوية الضرير له

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى أبو الجُمَان وعَوْن ابن محمد الكِنْدىّ قالا : سمعنا إسحاق الموصلىّ يقول :

جئتُ يومًا إلى أبى معاوية الضَّرير ومعى مائة حديث ، فوجدتُ حاجبَه يومئذ رجلا ضريرا ؛ فقال لى : إنّ أبا معاوية قد ولّانى اليـوم حِجْبتَه لينفعنى ؛ فقلت : معى مائةُ حديث وقد جعلتُ لك مائة درهم إذا قرأتُها ؛ فدخل واستأذن لى فدخلت ؛

---

(١) المخرّمىّ : نسبة الى المخرّم (بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء مع الكسر) : محلة ببغداد .

فلما عرفنى أبو معاوية دعاه فقال له : أخطأتَ، وإنما جعلت لك مثلَ هذا من ضعفاء أصحاب الحديث فأمّا أبو محمد وأمثاله فلا؛ ثم أقبل علىّ يرغّبنى فى الإحسان اليه ويذكر ضعفه وعنايتَه به؛ فقلتُ له : آحتكِمْ فى أمره، فقال : مائة دينار؛ فأمرتُ بإحضارها الغلامَ، وقرأتُ عليه ما أردت وآنصرفت . ٥٥ / ٥

كان يجرى على ابن الأعرابى ثلثمائة دينار فى كل سنة وإنكار ابن الأعرابى له

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى علىّ بن محمد الأسدىّ قال حدّثنى أحمد بن يحيى الشَّيْبانى ثعلب قال :

وقف أبو عبد الله بن الأعرابىّ على المَدائنىّ، فقال له : إلى أين يا أبا عبد الله؟ فقال : أمضى إلى رجل هو كما قال الشاعر :

تَحمِلُ أشباحَنا إلى مَلِكٍ * نأخذُ من ماله ومن أدبهْ

فقال له : ومَنْ ذلك يا أبا عبد الله؟ قال : أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ . قال أبو بكر : والبيت لأبى تمّام الطائىّ .

وقد أخبرنى بهذا الخبر عن ثعلب محمد بن القاسم الأنبارىّ فقال فيه :

كان إسحاقُ يُجْرِى على آبن الأعرابىّ فى كلّ سنة ثلثمائة دينار، وأهدى له ابن الأعرابىّ شيئا من كتاب النوادر كتبه له بخطّه؛ فمرّ آبنُ الأعرابىّ يوما على باب دار الموصلىّ ومعه صديق له؛ فقال له صديقه : هذه دار صديقك أبى محمد إسحاق؛ فقال : هذه دارُ الذى نأخذ من ماله ومن أدبه .

رأى فى المنام جريرا يلقى كبة شعر فى فيه فأوّل ذلك بتوريثه الشعر

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المُهلّبىّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

رأيتُ فى منامى كأنّ جريرا جالس يُنشد شعرَه وأنا أسمع منه ، فلمّا فرَغ أخذ بيده كُبّة شَعر فألقاها فى فمى فآبتلعتها؛ فأوّلَ ذلك بعضُ من ذكرتُه له أنّه ورّثنى الشعرَ . قال يزيد بن محمد : وكذلك كان، لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه .

تعلم الضرب بالعود من زلزل وأعطاه مالا كثيرا

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا(١) حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال: قال لى أبى :

أعطيتُ منصورًا زَلْزَلًا من مالى خاصّة حتى تعلمتُ ضَرْبَه بالعود نحوًا من مائة ألف درهم سوى ما أخذتُه له من الخلفاء ومن أبى . قال : وكانت فى زلزل قبل أن يعرف الصوتَ ويَفهَمَه بلادةٌ أوّلَ ما يسمعه، حتى لو ضَرَب هو وغلامه على صوت لم يعرفاه قبلُ لكان غلامه أقوى منه؛ فاذا تَفَهّمه جاء فيه من الضَّرب بما لا يتعلّق به أحد البتّةَ .

ثناء أبى زياد الكلابى عليه حين أجاز بيتاله ارتجالا

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدثنى عمّى الفضل عن إسحاق، [وأخبرنى به الأَخْفَش عن الفضل عن إسحاق، وأخبرنى به يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق](٢)، وأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المُهلَّبىّ عن إسحاق قال:

قال لى أبو زِيَاد الكِلابىّ : أَوْلم جارٌ لى يُكنى أبا سُفيان وليمةً ودعانى لها ؛ فآنتظرتُ رسوله حتى تصرّم يومى فلم يأت، فقلت لأمرأتى :

إنّ(٣) أبا سفيان ليس بمُولِمٍ * فقُومى فهاتى فِلْقةً من حُوَارِكِ(٤)

قال إسحاق : فقلت له : أليس غيرُ هذا؟ فقال : لا، إنما أرسلتُه يتيما؛ فقلت : أفلا أُجيزه؟ قال : شأنَك؛ فقلت له :

فبيتُكِ خيرٌ من بيوتٍ كثيرةٍ * وقِدْرُكِ خيرٌ من وَلِيمة جارِكِ

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «قال» وهو تحريف . (٢) هذه الزيادة ساقطة من ب ، سـ . (٣) فى ب ، سـ : «وإن» . وظاهر من سياق الكلام أن البيت لم يتقدمه شعر . (٤) كذا فيما سيأتى فى الأصول . والفلقة : القطعة . والحوار (بالضم وقد يكسر) : ولد الناقة من حين يوضع الى أن يفطم و يفصل . وفى الأصول هنا : «قفرة من حوارك» ، وهو تحريف .

قال : فضحك ثم قال : أحسنتَ بأبى أنت وأمى، جئتَ واللهِ به قَبَلًا[1] ما انتظرتَ به القَرَبَ، وما ألوم الخليفةَ أن يجعلك فى سُمّاره ويَتَملّح بك، وإنك لمن طِراز ما رأيتُ بالعراق مثلَه، ولو كان الشباب يُشترَى لا ابتعتُه لك بإحدى عينىّ ويُمنَى يدىّ، وعلى أن فيك بحمد الله ومَنّه بقيّةً تسرّ الوَدود، وتُرغِم الحسود . هذا لفظ يزيد المُهلَّبىّ والأخفش . وأخبرنى بهذا الخبر محمد بن عبد الله بن عَمّار فقال حدّثنى عمر ابن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال قال لى إمّا شَدّاد بن عُقْبة وإما أبو مُجيب[2] :

٥٦/٥

قالت امرأةُ القتّال الكلابىّ له : هل لكَ فى فِلْقة من حُوار نطبُخها لك ؟ فقال : لا والله، نحن على وبية أبى سُفْيان ودَعْوته، وكان أبو سفيان رجلًا من الحىّ زُفّت إليه امرأتُه تلك الليلةَ، فجعل يَنظر دُخانًا فلا يراه، فقال :

إنّ أبا سفيان ليس بمُولِم * فقومى فهاتى فِلقةً من حُوارِكِ

ثم ذكر باقى الخبر على ما تقدّم من الذى قبله .

أنشد أعرابيا شعرا له فدحه

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال حدّثنى إسحاق قال :

أنشدتُ أعرابيًّا فَهِمًا شِعرا لى، فقال : أَقْفَرْتَ والله يا أبا محمد ؛ قلتُ : وما أقفرت؟ قال : رعيتَ قَفْرة لم تُرْعَ قبلك . (يريد : أبْدعْتَ) .

---

(١) القبل (بالتحريك) : الارتجال أى التكلم بكلام لم يكن قد أعدّه ؛ يقال : تكلم قبلا فأجاد ، واقتبل الكلام والخطبة اقتبالا اذا ارتجلهما ولم يكن أعدّهما . والقَبل أيضا : أن يورد الرجل إبله فيستق على أفواهها ولم يكن هيأ لها قبل ذلك شيئا . والقرب (بالتحريك) : أن يكون بين القوم وبين الماء ليلة أو عشية فيعجلون بإبلهم ويسوقونها اليه سوقا شديدا . يريد أنه جاء به ارتجالا وعفو الخاطر من غير أن يتريث به ويكد سعيا فى طلبه . (٢) كذا فى حـ وكذلك صححه المرحوم الشنقيطى فى نسخته ، وهو أبو مجيب الربعى ، كما سيأتى ذكره بعد قليل فى أخبار إسحاق . وقد جاء مضطربا فى سائر الأصول هنا .

دخل على المأمون وعقيد يغنيه فتبين خطأ في الغناء لم يتبينه أحد ممن حضر

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش وعمّي قالا حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني بعض أصحاب السلطان بمدينة السلام قال سمعتُ إسحاق الموصليّ يقول :

دخلتُ على المأمون يوماً وعَقِيدٌ يغنّيه آرتجالا وغيرُه يضرب عليه ؛ فقال : يا إسحاق ، كيف تَسمع مغنّينا هذا ؟ فقلتُ : هل سأل أميرُ المؤمنين عن هذا غيري؟ قال : نعم، سألت عمّي إبراهيمَ فوصفه وقرّظه وآستحسنه ؛ فقلتُ له : يا أمير المؤمنين — أدام الله سرورك ، وأطاب عيشك — إنّ الناس قد أكثروا في أمري حتى نَسَبتْني فرقة إلى التّزيُّد في علمي؛ فقال لي : فلا يمنعك ذلك من قول الحق إذا لَزِمك ؛ فقلت لعَقِيد : أُردُد هذا الصوت الذي غنّيتَه آنفا، وتحفّظ فيه وضَرب ضاربُه عليه ؛ فقلت لإبراهيم بن المهديّ : كيف رأيتَه ؟ فقال : ما رأيتُ شيئا يُكره ولا سمعتُه ؛ فأقبلتُ على عَقِيد فقلت له حين آستوفاه : في أيّ طريقة هذا الصوتُ الذي غنّيتَه؟ قال: في الرَّمَل؛ فقلت للضارب: في أي طريقة ضربتَ أنت ؟ قال : في الهَزَج الثقيل؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، ما عسَيتُ أن أقول في صوت يغنّي مغنّيه رَمَلا و يضرب ضاربُه هَزَجا، وليس هو صحيحا في إيقاعه الذي ضرب عليه ! . قال : وتفهّمه إبراهيمُ بن المهديّ بعدي ، فقال : صدَق يا أمير المؤمنين، الأمرُ فيه الآن بيّن؛ فغاظني ، فقلت له : بأيّ شيء بانَ الآن ما لم يكن بَيِّناً قبلُ ؟ أتُوهِم أنك استنبطتَ معرفة هذا ! وإنما قلتَه لمّا علمتَه من جهتي كما يقوله الغلمان العُجم وسائرُ من حضر اتّباعا لي واقتداءً بقولي . فقال له المأمون : صدَق، فأمسك ؛ وجعل يتعجّب من ذهاب ذلك على كل من حضر، وكأنّي في ذلك اليوم مرّتين .

إعجاب الأصمعي ببيتين له في الفخر

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني أبو عبد الله أحمد بن حَمْدون قال حدّثني أبي :

أنّ الأصمعىّ أنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لخُزَيْمة[1] بن خازم :

إذا كانتِ الأحرارُ أصلى ومَنْصِبى * ودافِـعَ ضَيْمى خازمٌ وابنُ خازمِ
عَطَستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ * يداىَ الثريّا قاعـدًا غيرَ قائمِ

قال : فجعل الأصمعىّ يَعْجَب منهما ويستحسنهما ، وكان بعـد ذلك يذكرهما ويُفضِّلهما .

سبب ولائه لخازم ابن خزيمة

قال ابن حَمْـدون : وكان السبب فى تولّى إسحاق خازمَ بنَ خُزَيمـة بن خازم ، أنّ مناظرةً جرت بينه وبين آبن جامع بحضرة الرشيد فتغالظا[2] ، فقال له ابن جامع : يا من إذا قلتُ له يا بنَ زانية لم أخَفْ أن يكذّبنى أحد ، فمضى إلى خازم بن خزيمة ، فتولّاه وآنتمى إليه ، فقبِل ذلك منه ، وقال هذين البيتين .

امتحنه المعتصم فى صوت فأجاب بأنه محدث لامرأة وكان لغريب

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال : قال إسحاق : كانت عندى صَنّاجة[3] كنت بها مُعْجَبا ، واشتهاها أبو إسحـاق المعتصم فى خلافة المأمون ، فبينا أنا ذاتَ يوم فى منزلى إذا ببابى يُدَقّ دقًّا شديدا ، فقلت : انظروا من هذا ، قالوا : رسول أمير المؤمنين ، فقلت : ذهبتْ صَنّاجتى ، تجده ذَكَرها له ذاكر فبعث إلىّ فيها ، فلمّا مَضَى بى الرسول انتهيتُ إلى الباب وأنا مُثْخَن[4] ، فدخلتُ فسلّمت ، فردّ السلام ، ونظر إلى تغيّر وجهى فقال : اسكُن فسكنتُ ، وسألنى عن صـوت وقال : أتدرى لمن هو ؟ فقلت : أسْمَعُه ثم أُخْبر أميرَ المؤمنين إن شـاء الله بذلك ، فأمر ٥٧ / ٥

(١) هو خزيمة بن خازم بن خزيمة ، كان هو وأبوه من أشراف الدولة العباسية ، وقد ولى أبوه خراسان وعمان لأبى جعفر المنصور ، وكان هو من قوّاد الرشيد المبرزين الذين قاموا له بجلائل الأعمال (انظر كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٢١٣ وتاريخ الطبرى قسم ٣ ص ٦٠٢ و ٦٤٨ و ٦٨٣ الخ) .
(٢) كذا فى ب . وتغالظا : تعاديا وتشاتما ، والمغالظة : شبه المعارضة ، يقال : مالك تغالظنى وتغالظنى ، وتعارضنى وتغايظنى . وفى سائر الأصول : « تغالطا » بالطاء المهملة ، والمغالطة : الإيقاع فى الغلط .
(٣) الصناجة : الضاربة بالصنج . والصنج (لفظ دخيل) : صفيحة مدورة [illegible] من صفر يضرب بها على أخرى مثلها للطرب .
(٤) مثخن : مهموم محزون ، يقال : أثخنه الهمّ إذا غلبه .

جاريةً من وراء الستارة فغنّته وضربتْ، فإذا هي قد شبّهتْه بالقديم ؛ فقلت : زِدْني معها عُودا آخر فإنه أثبتُ لي، فزادني عودا آخر ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، هـذا الصوت مُحْدَث لأمرأة ضاربة ؛ فقال : من أين قلت ذلك؟ فقلت : لمّا سمعته وسمعت لِينَه عرفتُ أنه من صَنْعَة النساء، ولمّا رأيت جودة مَقَاطعه علمت أن صاحبتــه ضاربة؛ فقال : من أين قلت ذلك ؟ فقلت : لأنها قد حَفِظتْ مقاطعه وأجزاءه ، ثم طلبتُ عودا آخر ليكون أثبتَ لي فلم أشكُكْ ؛ فقال : صدقتَ، الغناء لعَرِيب .

امتحن بادخال لحن رومي في شعر عربي وغني في درج أصوات، فلما سمعه عرفه واستخرجه

نسخت من كتاب ابن أبي سعيد(١) : حدّثني إسحاق بن إبراهيم الطّاهِرِيّ(٢) قال: حدّثتْني مُخارِقُ مولاتُنا قالت :

كان لمولاي الذي علّمني الغناءَ فرّاش رُوميّ ، وكان يغنّي بالروميّة صوتا مليحَ اللحن ؛ فقال لي مولاي : يا مخارق، خذي هـذا اللحنَ الروميّ فأنقُليه إلى شعر من أصواتك العربيّة حتى أمتحن به إسحاق الموصليّ فأعلمَ أين يقع من معرفته، ففعلتُ ذلك ؛ وصار إليـه إسحاق فأحتبسه مولاي ، فأقام وبعث إليّ أن أدخِلي اللحنَ الروميّ في وسط غنائك ؛ فغنّيته إياه في دَرْج أصوات مرّتْ قبله ، فأصغى إليه إسحاق ، وجعل يتفهّمه ويُقَسّمه ويتفقّد أوزانَه ومقاطعَه ويُوقِع عليه بيده، ثم أقبل على مولاي فقال: هذا صوت روميّ اللحن، فمن أين وقع إليك ؟

(١) هو أبو عبيد الله بن أبي سعيد الوراق ، وكان أخباريا نسابة راوية للشعر . وفي ب ، سـ : «ابن أبي سعد» ، وهو تحريف .
(٢) كذا في حـ (بالطاء المهملة)، وقد صححه كذلك الأستاذ الشنقيطي في نسخته . وهو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتصم والواثق ، وهو من قرابة طاهر بن الحسين، وإليه ينسب . وفي باقي الأصول هنا : « الظاهري » بالظاء المعجمة ، وهو تصحيف . على أنه سيأتي في الأصول جميعا أكثر من مرة "الطاهري" بالمهملة كما في حـ هنا .

فكان مولاى بعد ذلك يقول : ما رأيتُ شيئًا أحسن من استخراجه لحنا روميًّا لا يعرفه ولا العلّة فيه ، وقد نُقل الى غناء عربىّ وامتزجتْ نَغَمُه حتى عرَفه ولم يَخْفَ عليه .

فضل فى مجلس الواثق زلزلا على ملاحظ فتحدّاه ملاحظ فأظهر هو براعة فائقة

أخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن موسى قال حدّثنى عبد الله بن عمرو[1] عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى عَلّويه الأعسر، ووجدت هذا الخبر فى بعض الكتب عن علىّ بن محمد بن نصر الشامىّ عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل قال :

تناظر المغنّون يومًا عند الواثق ، فذكروا الضُّرّاب وحِذْقَهم ، فقدّم إسحاقُ زَلْزَلًا على مُلَاحِظ ، وللملاحظ فى ذلك الرياسة على جميعهم ؛ فقال له الواثق : هذا حَيْف وتَعَدٍّ منك ؛ فقال إسحاق : يا أمير المؤمنين ، اِجمع بينهما وامتحنْهما ، فإن الأمر سينكشف لك فيهما ؛ فأمر بهما فأُحضرا ؛ فقال له إسحاق : إن للضُّرّاب أصواتا معروفة ، أفأمتحنهما بشىء منها ؟ قال : أجلْ ، اِفعلْ ؛ فسمّى ثلاثة أصوات كان أوّلها :

* عُلِّق قلبى ظبيةَ السِّيبِ[2] *

فضربا عليه ، فتقدّم زَلْزَل وقصّر عنه ملاحظ ؛ فعجِب الواثق من كَشْفه عما ادّعاه فى مجلس واحد . فقال له ملاحظ : فما باله يا أمير المؤمنين يُحيلك على الناس ! ولم لا يضرب هو ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه لم يكن أحد فى زمانى أضربَ منى إلا أنكم أعفيتمونى ، فتَفَلَّتَ منّى ؛ وعلى أن معى بقيّةً لا يتعلّق بها أحد من

---

(١) تكرر هذا السند أكثر من مرة فى أخبار إسحاق ، وفيه عبدالله بن أبى سعد بدل عبد الله بن عمرو

(٢) السيب (بكسر أوله وسكون ثانيه) : كورة من سواد الكوفة ، وهو أيضا نهر بالبصرة فيه قرية كبيرة ، وموضع بخوارزم . (مختصر من معجم البلدان لياقوت) .

٥٨/٥ هـذه الطبقة ؛ ثم قال : يا مُلَاحِظ ، شَوِّش عودَك وهاته ، ففعل ذلك ملاحظ ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، هـذا يخلِّط الأوتار تخليط متعنِّت فهو لا يألو ما أفسدها ، ثم أخذ العـودَ بجَسِّــه ساعةً حتى عرف مواقعــه،(١) ثم قال : يا مُلَاحِظ ، غنِّ أيّ صوت شئتَ ، فغنّى ملاحظ صوتا ، وضرب عليه إسحاقُ بذلك العود الفاسد التسوية فلم يُخرجه عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نَقْرة واحدة ، ويَدُه تصعَد وتحـدر على الدَّسَاتين(٢) ؛ فقال له الواثق : لا والله ما رأيتُ مثـلك ولا سمعت به! اِطرحْ هـذا على الجوارى ؛ فقال : هيهات يا أمير المؤمنين ، هذا لا تعرفه الجوارى ولا يصلُح لهنّ ، إنمـا بلغنى أنّ الفهليذ ضرب يوماً بين يدىْ كِسْرَى فأحسن ، فحسده رجل من حُذّاق أهل صنعته ، فترقَّبه حتّى قام لبعض شأنه ، ثم خالفه إلى عوده فشـوّش بعضَ أوتاره ، فرجع فضرب وهو لا يدرى ، والملوك لا تُصْـلَح في مجالسها العيدانُ ، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسـد إلى أن فرغ ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصّة ، فامتحن العود فعرف ما فيه ، ثم قال : «زِهْ وزِهْ وزِهَانْ زِهْ»(٣) ، ووصَله بالصِّلة التى كان يصِل بها مَن خاطبه هـذه المخاطبة ؛ فلمّا تواطأت الروايةُ بهذا أخذتُ نفسى ورُضْتُها عليه وقلت : لا ينبغى أن يكون الفهليذ أقوى على هذا منّى ، فما زلتُ أستنبطه بضعَ عشرةَ سنةً حتى لم يبقَ في الأرض موضع على طبقة من الطبقات إلا وأنا أعرف نغمته كيف هى ، والمواضعَ التى يخرج النغم كلها

(١) كذا في مختار الأغانى لابن منظور . وفي الأصول : «حتى عرف مواقعه فغنى ، ثم قال ... الخ» بزيادة كلمة «فغنى» ، وظاهر أنها مقحمة . (٢) كذا في حـ . والدساتين ، والدستانات : ما عليه أطراف أوتار العود من مقدمه ، وهى كلمة فارسية ، وتسمى العرب ذلك : العتب (بالتحريك) . وفي سائر الأصول : «الرساتين» بالراء ، وهو تحريف . (٣) كلمة فارسـية ومعناها : أحسنت أحسنت .

منه فيها، من أعاليها الى أسافلها، وكلّ شيء منها يجانس شيئا غيرَه، كما أعرف ذلك فى مواضع الدَّسَاتين؛ وهذا شيء لا تَفِى(١) به الجوارى. قال له الواثق: صدقتَ، ولئن متَّ لتموتنّ هذه الصناعة معك؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم.

نسبة هذا الصوت

صـــوت

عُلِّقَ قلبى ظبيـــةَ السِّيبِ * جهلًا فقد أُغْرِى بتعذيبى
نَمَّتْ عليها حين مرَّتْ بنـا * مَجَاسِـدٌ(٢) يَنْفَحْن بالطِّيب
تَصُـدّها عنـا عَجُوزٌ لهـا(٣) * مُنْكَرَةٌ(٤) ذاتُ أعاجيب
فكلّمـا هَمْتُ(٥) بإتيانهـا * قالت: تَوَقَّ عَدْوَةَ الذِّيب

الشعر والغناء لإبراهيم، هَزَجٌ ثقيلٌ بالسبّابة فى مجرى البِنصر.

أخذت عنه جاريته دمن صوتا على غرة منه لبخله بالغناء

حدّثنى علىّ بن هارون قال حدّثنى محمد بن موسى اليَزيدىّ قال حدّثتنى دِمْن جاريةُ إسحاق الموصلىّ، وكانت من كبار جواريه وأَحْظَى مَنْ عنده، ولقيتُها فقلت لها: أىَّ شيء أخذتِ عن مولاك من الغنـاء؟ فقالت: لا والله ما أخذت أنا عنه ولا واحدةٌ من جواريه صوتًا قطُّ! كان أبخلَ بذلك، وما أخذتُ منه قطُّ إلّا صوتا واحدا، وذلك أنه انصرف من دار الخليفة وهو مُثْخَنٌ سكرا(٦)، فدخل

(١) كذا فى حـ ومختار الأغانى، إلا أنه رسم فى حـ: «ولاتفِيء» بالهمز، ولعله تحريف من الناسخ. ولاتفى: لاتأتى به وافيا، أى إن الجوارى يقصرن عنه ولايستطعن أداءه. وفى سائر الأصول: «لاتفى».
(٢) المجاسد: القمصان، واحدها مجسد (بضم الميم من أجسده بالهمز، أوجسده بالتضعيف) وهو ماصبغ بالجسد أى الزعفران. (٣) كذا فى ب، سـ. وفى سائر الأصول: «لنا». (٤) منكرة: مبغضة مكروهة. (٥) همت: أصله «هممت» حذفت إحدى الميمين تخفيفا. وشرط جواز هذا الحذف فى الماضى أن تكون عينه مكسورة نحو ظل تقول فيه: «ظللت» على الاتمام و«ظلت» (بفتح أوّله أو بكسره بنقل حركة عين الفعل الى الفاء) على الحذف. ولكن ابن الانبارى حكى «همت» فى هممت مع أنه مفتوح العين. وهم بالشىء: نواه وأراده. (٦) كذا فى أكثر الأصول. وفى ب، سـ: «وهو مثخن سكران».

إلى بيت كان ينام فيه، فرأى عودًا معلّقا فأخذه بيده، وقال لخادمه: يا غلام، صِحْ لى بدِمْن، فجاءنى الغلام فخرجتُ، فلما بلغتُ البابَ إذا هو مُستلقٍ على فراشه والعودُ فى يده وهو يصنع هـذا الصوت ويردّده، وقد اسحنفر[1] فى نغمه وتنوّق[2] فيها حتى استقام له، وهو :

٥٩/٥

صــــوت

ألا ليــلُكِ لا يَذهَبْ * ونيطَ الطَّرْفُ بالكوكبْ
وهــذا الصّبح لا يأتى * ولا يــدنو ولا يَقــرُب

فلمّا سمعتُه علمتُ أنّى [إنْ[3]] دخلتُ اليه أمْسك، فوقفتُ أستمعه حتى فرغ منه وأخذته عنه؛ فلما فرغ منه وضع العود من يده، وذكر أنه قد طلبنى فقال: يا غلام، أين دِمْن؟ فقلت : هأنذى، فقال : مذ كم أنتِ واقفة؟ فقلت : منـذ ابتدأتَ بالصوت وقد أخذته؛ فنظر إلىّ نظرَ مُغضَب أسِف، ثم قال : غنّيه، فغنّيته حتى استوفيتُه؛ فقال لى وقد فتَر وخجِل : قد بقيتْ عليكِ فيـه بقيّة أنا أصلحها لك؛ فقلت : لست أحتاج إلى إصلاحكَ إياه، وقد والله أخذتُه على رَغْمك؛ فضحك .

لحنُ هذا الصوت من الهَزَج بالبنصر، والشعر والغناء لإسحاق .

غنّى ابراهيم بن المهدىّ عند المعتصم صوتا لابن جامع فأظهر هو خطأ فيه ثم هزأ بإبراهيم

أخبرنا يحيى بن علىّ قال قال لى إسحاق :

كنتُ عند المعتصم وعنـده إبراهيم بن المهدىّ، فغنّى إبراهيمُ صوتا لابن جامع أخَلّ ببعضه، ثم قال : يا أمير المؤمنين، ترك ابنُ جامع النـاسَ يجهلُون خلقَه ولا يلحَقونه . وفى هـذا الصوت خاصّـة؛ فقلت : والله يا أمير المؤمنين، ما صدَق،

(١) كذا صححه الأستاذ الشنقيطى فى نسخته . واسحنفر فى الشىء : مضى فيه ولم يتمكث . وفى الأصول: «استخفر» . (٢) تنوّق فى الشىء : جوّده وتأنق فيه . (٣) التكملة عن أ ، ء ، م .

وماهذا الصوت بتامّ الأجزاء؛ فقال : كَذَب والله ياأمير المؤمنين؛ فقلت : ياسيِّدى، أنا أُوقِفه على نُقصانه، فُرْه فليُعِدْ يا أمير المؤمنين؛ فأعاد البيت الأول فأقامه وطمِع فى الإصابة؛ فقلت : آئتِه فى البيت الثانى ، فليردُدْه ؛ فردّه فنقَص من أجزائه وقسمته ، فعرَفتُـه فأقرّ به؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، هذه صناعتى وصناعة آبائى و إبراهيم يكلّمنى فيها ، وأنا أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد فى طريق الغناء لا يعرف منها مسألةً واحدة؛ فقال : أَوَ يُعْفِينِى أمير المؤمنين من كلامه؟ فأعفاه .

وقد أخبرنى بهذا الخبر الحسنُ بن علىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبى عن إسحاق؛ فذكر نحوًا مما ذكره يحيى،وذكر أنّ القصة كانت بين يدى المعتصم؛ وزاد فيها فقال:

أنا أسأله عن ثلاثين مسألة وأُوقِفـه على خطئه فيها ، فإن لم يُقِرّ بذلك أقرّ به مُخارِقٌ وعَلّويه؛ فقال: أَو يُعْفِينى أميرُ المؤمنين من كلامه ! فإنه يَعْدِل عندى البُخْتُج[1]؛ قلت: يا أميرَ المؤمنين، وما يفعل البُخْتُج؟ قال : يُسْلِح[2]؛ قلت : قد والله فعل ذلك كلامى به، ومنه هرب؛ فضحك وغطّى فاه وقام؛فظنّ إسحاقُ بن إبراهيم المُصعَبىّ أنّى قد أغضبته، فضرب بيده إلى السيف؛ فقلت له : لا تحسَبْ أنّى أغضبتُه؛ فما كنت لأكلّم عمّه بين يديه بهُزْء[3] من غير إذنه ، فأمسك ؛ وكان لا يُقْدِم أحد أن يكلّم الخليفةَ بحضرته بما فيه الوَهْن[4] إلا بادر إلى سيفه تعظيما للأمير و إجلالًا له .

عرف فى مجلس المأمون خطأ فى وتر بين ثمانين وترا وعشرين جارية يغنين

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم الهاشمىّ عن إسحاق، وأخبرنى الحسين بن يحيى قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

---

(١) البختج (كقنفذ كما جاء فى شرح القاموس) : العصير المطبوخ. (٢) فى جميع الأصول : «قال» وهو لا يتفق مع السياق . (٣) فى حـ : «بهرا» بالراء، والبهر : القذف والبهتان. وفى ا ، ء ، م : «بهـذا» . (٤) فى حـ ، ء : «للأمر» .

دعانى المأمون وعنده إبراهيم بن المهدىّ، وفى مجلسه عشرون جارية قد أَجْلس عَشْرًا عن يمينه وعشرا عن يساره ومعهنّ العيدانُ يضربنَ بها؛ فلمّا دخلتُ سمعتُ من الناحية اليسرى خطأ فأنكرتُه، فقال المأمون : يا إسحاق، أتسمع خطأ ؟ فقلت: نعم والله يا أمير المؤمنين؛ فقال لإبراهيم : هل تسمع خطأ؟ فقال : لا ؛ فأعاد علىّ السؤال، فقلت : بلى والله يا أمير المؤمنين، وإنه لفى الجانب الأيسر؛ فأعاد إبراهيم سَمْعَه إلى الناحية اليسرى ثم قال : لا والله يا أمير المؤمنين، ما فى هذه الناحية خطأ؛ فقلت يا أمير المؤمنين : مُرِ الجوارىَ اللواتى على اليمين يُمْسِكْنَ ، فأمرهنّ فأمسكْنَ؛ فقلت لإبراهيم : هل تَسمع خطأ ؟ فتسمّع ثم قال : ما هاهنا خطأ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، يُمْسِكْنَ وتضرب الثامنةُ. فأمسكْنَ وضربتِ الثامنة، فعرف إبراهيمُ الخطأ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين، هاهنا خطأ ؛ فقال عند ذلك لإبراهيم : يا إبراهيم، لا تُمارِ إسحاق بعدها ؛ فإن رجلا فَهِم الخطأ بين ثمانين وترا وعشرين حَلْقا لجديرٌ ألّا تماريَه ؛ فقال: صدقتَ يا أمير المؤمنين . وقال الحسين بن يحيى فى خبره: وكان فى الأوتار كلّها مَثْنًى فاسدُ التسوية . وقال فيه : فطرِب أمير المؤمنين المأمون، وقال : لله درُّك يا أبا محمد؛ فكّانى يومئذ .

٦٠ / ٥

ثناء الواثق عليه

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظَة قال حدّثنى أحمد بن حَمْدُون قال :

سمعتُ الواثق يقول : ماغنّانى إسحاق قط إلا ظننتُ أنه قد زِيد لى فى مُلْكى، ولا سمعته يغنّى غناءَ ابن سُرَيج إلا ظننت أنّ ابن سريج قد نُشِر، وإنه ليحضُرنى غيرُه إذا لم يكن حاضرا، فيتقدّمه عندى وفى نفسى بطيب الصوت(١) ، حتى إذا اجتمعا عندى رأيت إسحاق يعلو ورأيت من ظننتُه يتقدّمه ينقص ؛ و إنّ إسحاق لنعمةٌ

(١) فى ب، سـ : « بطيب الصوت » بالياء المثناة التحتية، وهو تصحيف .

من نعم المُلْك التى لم يُحظَ(١) بمثلها ؛ ولو أنّ العمر والشباب والنشاط مما يُشترى لاشتريتهنّ له بشطر ملكى .

سأل المأمون أن يكون دخوله اليه مع العلماء ثم مع الفقهاء

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجّم قال :

سأل إسحاقُ الموصلىّ المأمونَ أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرُّواة لا مع المغنّين ، فإذا أراده للغناء غنّاه ؛ فأجابه إلى ذلك ؛ ثم سأله بعد حين أن يأذن له فى الدخول مع الفقهاء ، فأذن له . قال : فحدّثنى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر أنه كان هو ومُخارِق وعَلّويه جلوسًا فى حجرة لهم ينتظرون جلوسَ المأمون وخروجَ الناس من عنده ، إذ دخل يحيى بن أكثم وعليه سَوادُه(٢) وطَويلتُه ، ويدُه فى يد إسحاق يماشيه ، حتى جلس معه بين يدى المأمون ، فكاد عَلّويه أن يُجنّ ، وقال : يا قوم ، أسمعتم بأعجب من هذا ! يدخل قاضى القضاة ويدُه فى يد مغنّ حتى يجلسا بين يدى الخليفة ! . ثم مضت على ذلك مدّة ، فسأل إسحاق المأمونَ أن يأذن له فى لُبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه فى المقصورة ؛ قال : فضحك المأمون وقال : ولا كلّ ذا يا إسحاق ! وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم ؛ وأمر له بها .

ما كان يمتاز به فى مجلس الواثق

حدّثنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى أبو عبدالله بن حَمْدون قال :

كان المغنّون جميعا يحضُرون مجلسَ الواثق وعيدانُهم معهم إلا إسحاقَ ، فإنه كان يحضُر بلا عود للشرب والمجالسة ؛ فإن أمره الخليفة أن يغنّى أحضر له عودًا ، فإذا غنّى وفرَغ سُلّ من بين يديه إلى أن يطلبه . وكان الواثق كثيرا ما يكنّيه ، رَفْعًا له

(١) فى ب ، سـ : « لم يحظ أحد بمثلها » . (٢) السواد : شعار بنى العباس كان يرتديه أشياعهم . والطويلة : قلنسوة عالية مدعمة بعيدان كان يلبسها القضاة . (انظر الحاشيتين رقم ٢ ، ٣ من الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤١٤ ، من هذه الطبعة) . وفى ب ، حـ ، سـ : « سوادة وطويلة » . وفى أ ، ء ، م : « سوادة وطويلة » ، وكلاهما تحريف .

من أن يدعوه بآسمه، وكان إذا غنّى وفرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغناءَ ولم يُعِد منه حرفا إلا أن يكون فى بعض بيت فيُتمّه، ثم يقطع ويضع العود من يده .

علىّ بن يحيى يحدث عن تفوّقه فى فنه

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه فى خبر ذَكَر إسحاقَ فيه(١)، فقال: وعارض مَعْبـداً وابن سُرَيج فأنتصف منهما، وكان إبراهيم بن المهدىّ يناظره ويجادله فى الغناء وينازعه فى صناعته، ولم يَبلُغه، وما رأيت بعد إسحاق مثلَه .

٦١/٥

عابه إبراهيم بن المهدى بترك التحريك فى الغناء فبعث هو اليه بكلام غاظه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبدالله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال قال لى محمد بن راشد الخنّاق(٢) :

سمعتُ عَلّويه يقول لإسحاق بن إبراهيم الموصلىّ : إن إبراهيم بن المهدىّ يَعيبك بتركك تحريكَ الغناء؛ فقال له إسحاق: ليتنا نَفِى بما علمناه، فإنا لا نحتاج إلى الزيادة فيه . [ثم](٣) قال له : فإنه يزعم أنّ حلاوة الغناء تحريكه، وتحريكُه عنده أن يكون كثيرَ النَّغَم، وليس يفعل ذلك، إنمـا يُسقط بعضَ عمله لعجزه عنه، فإذا فعل ذلك فهو بالإضافة إلى حاله الأولى بمنزلة الأسكدار(٤) للكتّاب، وهو حينئذ بأن يُسمّى المحذوفَ أشبهُ منه بأن يسمّى المحرّكَ؛ فضحك عَلّويه ثم قال : فإن إبراهيم يسمّى غناءكم هذا المسك المِدَادِىّ؛ قال إسحاق : هذا من لغات الحاكة؛ لأنهم يسمّون الثوب الجاقَّ(٥) الكثير العرض والطول المدادىّ ؛ وعلى هذا القياس ينبغى لنا أن نسمّى غناءه المحرّك الضِّرابىّ، وهو الخفيف السخيف(٦) من الثياب فى لغة الحاكة، حتى نُدخل الغناءَ

(١) فى الأصول : « فى خبر ذكره إسحاق فيه » .
(٢) كذا فى ب ، حـ هنا وفيما سيأتى فى أكثر الأصول، وفى سائر الأصول هنا : « الخفاف » .
(٣) زيادة يقتضيها السياق .
(٤) الأسكدار : كلمة فارسية معناها حامل البريد .
(٥) الجاق من الثياب : التليظ .
(٦) السخيف من الثياب : القليل الغزل .

فى جملة الحِيـاكة وتخرجه عن جملة الملاهى ؛ ثم قال لمَلّوبه : بحيـاتى عليك إلّا ما أعدتَ عليـه ما جرى ؛ فقال له : لا وحياتِك لا فعلتُ ؛ فإنه يعلم مَيْلى إليكم، ولكن عليك بأبى جعفر محمد بن راشد الخنّاق ؛ فكلمه إسحاق وأقسم عليه أن يُؤَدِّيه(١)، ففعل وسار إلى إبراهيم فأخبره، فجعل كلّما أخبره شيئا تغيَّظ وشتم إسحاقَ بأقبح شتم ؛ ثم جاءه ابن راشـد فأخبره(٢) ؛ فجعل كلّما أخبره بشىء من ذلك ضحك وصفّق سروراً لغيظ إبراهيم من قوله .

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنى على بن محمـد النَّوْفلىّ قال أخبرنى محمد بن راشد الخنّاق قال :

إنى لفى منزلى يومًا مع الظهر إذ دخل علىّ إسحاقُ بن إبراهيم الموصلىّ، فسُرِرتُ بمكانه ؛ فقـال : قد جاءت بى إليك حاجة ؛ قال قلت : قل ما شاء الله ؛ قال : دَعْنى فى بيتك، ودَعْ غلامَيْك عندى : بُدَيحًا وسليمانَ — وكانا خادمين مغنّيين — ومُرْهما أن يغنّيانى، وأْتنى بفلان ليغنّينى أيضا، بحياتى عليك ، وانطلِقْ إلى إبراهيم ابن المهدىّ، فانه سيُسَرّ بمكانك ، فاشرب معه أقداحا، ثم قل [له](٣) : يا سيّدى، أسألك عن شىء، فإذا قال : سَلْ، فقل له : أخبرنى عن قولك :

* ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ منّى *

أىّ شىء كان معنى صنعتك فيه ؟ وأنت تعلم أنه لا يجوز فى غنائك الذى صنعتَه فيه إلا أن تقول : "ذهبتو" بالواو، فإن قلتَ : «ذهبتُ» ولم تَمُدّها انقطع اللحن والشعر، وإن مددتَها قبُح الكلام وصار على كلام النَّبَط ؛ فقلت له : يا أبا محمد، كيف أخاطب

---

(١) كذا فى الأصول . ولعل صوابه : « يؤديه » أى يبلغه . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فجعل كلما جاءه وأخبره ... الخ» وظاهر أن كلمة «جاءه» هنا مقحمة .

(٣) الزيادة عن حـ .

إبراهيم بهـذا ؟ فقال : هو حاجتي إليـك وقد كلّفتـك إياها، فإن آستحسنتَ أن تردّنى فأنت أعلم، قال : أفعل ذلك لموضعك على ما فيـه علىّ، ثم أتيتُ إبراهيم، وجلست عنده مَليًّا، وتجارينا(١) الحديثَ إلى أن خرجْنا إلى ذكر الغناء، فخاطبته بمـا قال لى إسحاق، فتغيّر لونه وآنكسر، ثم قال : يا محمد، ليس هـذا من كلامك، هـذا من كلام الجُرْمُقَانِىّ(٢) ابن الزانية، قل له عنّى : أنتم تصنعون هذا للصناعة، ونحن نصـنعه للّهو واللعب والعَبث . قال : فخرجتُ إلى إسحـاق فحدّثتـه بذلك فقال : الجُرْمُقَانِىّ والله منا أشبهُنا بالجَرامِقة لغةً وهو الذى يقول : «ذهبتو» ؛ وأقام

٦٢/٥ عندى يومَه فرِحًا بمـا بلّغته إبراهيمَ عنه من توقيفه على خطئه .

كان محمد بن راشد صديقا له فنقل عنه حديثا لابن المهدى ففسد ما بينهما وشعره فى ذلك

قال علىّ بن محمد قال لى أبى :

كان محمد بن راشـد صديقا لإسحاق ثم فسـد ما بينهما ؛ فإنه طابق(٣) إبراهيمَ آبن المهدىّ عليه، و بلغه عنه من توقيعه أنه يذكره . وكان فى محمد بن راشد رداءة ونقلٌ للأحاديث، فقال فيه إسحاق :

ونَدْمانِ صِـدْقٍ لا تُخَاف أَذاتُه * ولا يلفِظ الأخبارَ لفظَ ابن راشِدِ
دعانى إلى ما يشـتهى فأجبتُـه * إجابةَ محمـود الخلائق ماجِـدِ
فلا خيرَ فى اللّذات إلّا بأهلهـا * ولا عيشَ إلا بالخليـل المُساعِدِ

قال : فجمع ابن راشـد عدّة من الشعراء وأمرهم بهجاء إسحاق ؛ فهجَوْه بأشـعار لم تبلغ مرادَه، فلم يُظهرها . و بلغ ذلك إسحاقَ فقال فيه :

---

(١) كذا فى الأصول . ولعله «تجاذبنا الحديث» . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٧ من هذا الجزء . (٣) طابقه على الأمر : وافقه ومالأه .

وأبيات شعر رائعات كأنها * إذا أُنشدت فى القوم من حُسنها سِحْرُ
تحفّز وأقْلَوْلَى لرَدّ جوابها[1] * أبو جعفر يَغْلِى كما غَلَتِ القِدْر
فلم يستطعها غيرَ أنْ قد أعانه * عليها أُناس كى يكون له ذكر
فيا ضيعةَ الأشعار إذ يَقْرِضونها * وأضيعُ منها من يَرى أنها شعر

قال : فعاذ محمد بن راشد بإسحاقَ وآستكفّه وصالحه، فرجع إليه .

أخذ ابراهيم بن المهدى صوتا له وغير فيه فلما عرف ذلك غضب

أخبرنى عمّى قال حدّثنى علىّ بن محمد بن نصر الشامىّ قال حدّثنى منصور ابن محمد بن واضح :

أن إبراهيم بن المهدىّ طَرَح فى منزل أبيه :

صوت

أمن آلِ لَيْلَى عرفتَ الطُّلولا * بذى حُرُضٍ[2] ماثلاتٍ مُثولا
بَلِينَ وتحسَب آياتِهنّ عن فَرْط حَوْلين رِقًا مُحِيلا[3]

— الشعر لكعب بن زُهَير[4]، والغناء لإسحاق، وله فيه لحنان: ثانى ثقيلٍ مطلقٌ فى مجرى البنصر، وماخُورِىّ بالوسطى . وفيه للزُّبَير بن دَحْمانَ خفيفُ ثقيل — قال: فجاءنا إسحاق يومًا، وأقام عند أبى، وأخرجنا إليه جوارِيَنا، ومرّ الصوت الذى طرحه إبراهيم

(١) كذا فى حـ ، وكذلك صححها الأستاذ الشنقيطى فى نسخته . وتحفز الرجل واقلولى : إذا استقل على رجليه ولما يستو قائما وقد تهيأ للوثوب . وفى سائر الأصول : «تحفر» (بالراء المهملة) ، وهو تصحيف .
(٢) ذو حرض : وادلبنى عبدالله بن غطفان، بينه وبين معدن النقرة خمسة أميال . (انظر معجم ياقوت فى اسم ذى حرض والنقرة) . (٣) فرط الشىء : مضى وذهب . وأحال : أتى عليه أحوال أى سنون .
(٤) ورد هذا الشعر فى ديوان زهير بن أبى سلمى وشرحه للأعلم الشنتمرى وثعلب وغيرهما من النسخ المخطوطة والمطبوعة المحفوظة بدار الكتب المصرية ضمن قصائده، وقد مدح به سنان بن أبى حارثة أبا هرم وهما ممدوحاه ولم يكونا ممدوحى كعب حيث يقول فيه :
إليك سنان الغداة الرحيـ * ـل أعصى النهاة وأمضى الفئولا
كما ذكره لزهير أيضا أبو عبيد البكرى و ياقوت الحموى فى معجميهما أثناء كلامهما على «حرض» ، وذكره المؤلف له أيضا فى ترجمته (ج ٩ ص ١٥٢ طبع بولاق) وقد ورد فى جميع هذه المصادر «سلمى» بدل «ليلى» وسلمى هذه محبوبته التى يشبب بها فى شعره .

ابن المهدىّ من غنائه ؛ فقال إسحاق : من أين لك هذا ؟ قال : طرحه أبو إسحاق إبراهيم بن المهدىّ أعزّه الله تعالى؛ فقال إسحاق : وما لأبى إسحاقَ أعزّه الله ولهذا الصوت! هذا أنا صنعتُه، وليس هو كما طرَحه . قال : فسأله أبى أن يغنّيه، فغنّاه وردّده حتى صحّ[1] لمن عنده؛ فقال لى أبى : اكتب إلى أبى إسحاق أن أبا محمد أعزّه الله صار إلىّ فاحتبستُه ، وأنه غنّى بحضرتى الصـوتَ الذى ألقيتَه فى منزلك الذى أسكنه ، فزعَم أنه صنَعه، وأنه ليس على ما أخذه الجوارى عنـك ، فأحببت أن أعلم ما عنـدك ، جعلنى الله فداك . قال : فكتبتُ الرُّقعة[2] وأنفذتها إلى إبراهيم . فكتب : نعم ، جُعلت فداك ، صدَق أبو محمد أعزّه الله ، الصوتُ له ، وهو على ما ذكره، لكنّى لعبت فى وسطه لعبًا أعجبنى . قال: فقرأ إسحاقُ الرقعة فغَضب غضبا شديدا، ثم قال لى: اكتب إليه: «إذا أردت ياهذا أن تلعب فالْعَبْ فى غناء نفسك لا فى غناء الناس، وما حاجتُك إلى هذا الشعر أكثر من ذلك، فاصنع أنت إن كنت تُحسن، والْعبْ فى صنعتك كما تشتهى مبتدئا باللهو واللعب غيرَ مُشارِك فى جِدّ الناس بلعبك ومُفْسد له بما لا تعلمه. يا أبا إسحاق، أيّدك الله، ليس هذا الصوت مما يتهيّأ لك أن تُمخرِق[3] فيه وتقول : جَنْدَرْتُه» . قال : وكان إبراهيم يقول : إنه يُجَنْـدِر صنعةَ القدماء و يحسّنها . ٦٣ / ٥

مناظرته إبراهيم ابن المهدى فى الغناء بين يدى المعتصم

قال علىّ بن محمد حدّثنى جدّى حَمْدُون :

أنّ إسحاق قال لإبراهيمَ بن المهدىّ بحضرة المعتصِم : ما تقول فيمن يزعُم أنّ ابن سُرَيج وابن مُحرِز ومَعْبدا ومالكا وابنَ عائشـة لم يكونوا يُحْسنون تَمـام الصَّنعة

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فردده» بالفاء بدل الواو . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فكتبته الرقعة» ، وهو تحريف . (٣) مخرق : موّه . وجندره : أصلحه وصقله . قال فى اللسان (مادة جدر) : « قال الجوهرى : وجندرت الكتاب إذا أمررت القلم على ما درس منه ليتبين . وكذلك الثوب إذا أعدت وشيه بعد ما كان ذهب ، قال : وأظنه معرّبا » .

ولا ٱستيفاءَ الغناء، و يعجزون عمـا به يكْمُل و يتمّ و يحسُن، وأنه أقدر على الصنعة منهم؟ قال : أقول : إنه جاهل أحمـق ؛ قال : فأنت تزعم أنه قد كانت بَقِيَتْ عليهم أشياءُ لم يهتدوا لهـا ولم يحسـنوها، فتنبّهتَ عليها أنت وتَمّمتَها وحسّنْتَها بحَنْدَرَتك؛ قال : فضحك المعتصم وبقى إبراهيمُ واجمًا مُطْرِقا، ولم ينتفع بنفسه بقيّةَ يومه؛ وما سمعتُه أنا ولا غيرى بعـد ذلك اليوم يتبجّح بغناء يُصلحه من غناء المتقدّمين، حتى يُطنِب فى صنعته ويُشتهى ٱستماعُه منه، كما كان يَدّعى قديما .

قال : وكان حَمْدون يقول : كان إبراهيم يأ كل المغنّين أ كلا ، حتى يحضُر إسحاق، فيُدار به إبراهيم و يطلب مكافأتَه، ولا يَدَعُ إسحاقُ تبكيتَه ومعارضتَه؛ وكان إسحاقُ آفتَه، كما أنّ لكل شيء آفة .

غنى المأمون بشعر ذى الرمة فأجازه

أخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

خرجتُ يومًا من دارى وأنا مَخْمورٌ أتنسّم الهواء، فمررت برجل يُنْشِد رجلا معه لذى الرُّمّة :

صـــوت

ألم تعلمى يا مىّ أنّى وبينَنـا * مَهَاوٍ[1] لطَرْف العين فيهنّ مَطْرَح
ذكرتُك أن مرّتْ بنا أُمُّ شادنٍ[2] * أمامَ المَطَايا تَشْـرئبّ وتَسْـنَح
من المؤلِفاتِ الرملَ[3] أدماءُ حُرّةٌ * شُعاعُ الضّحى فى مَتْنها يتوضّح

(١) مهاو : جمع مهواة وهى ما بين الجبلين . يريد الشاعر أن يصفها بأنها مهاو بعيـدة يسرح فيها البصر فلا يرده شىء . (٢) أم شادن : كنية الظبية، والشادن : ولدها الذى قد قوى وطلع قرناه واسـتغنى عن أمه . ويقال : ظبية مشدن أى ذات شادن يتبعها . وتشرئب : ترفع رأسها لتنظر، وكل رافع رأسه مشرئب . وفى ب، حـ : «تسترِيب» وهو تحريف . وتسنح : تعرض، وقيـل : تسنح : تأتى عن شمالك . (٣) كذا فى سـ، وديوان ذى الرمة (ص ٨٠) طبع كلية كمبردج . ويروى «من الآلفات الرمل»، يقال : آلف المكان وألفـه . وفى سائر الأصول : «المولعات» . ويروى : من الموطنات . والأدماء : واحدة الأدم، وهى — كما قال الأصمعىّ — : الظباء البيض تعلوهن جدد فيهن غبرة، فان كانت خالصة البياض فهى الآرام . وحرة : كريمة . ويتوضح : يبرق .

هى الشِّبْهُ أعطافًا وجِيدًا ومُقلةً ... ومَيَّةُ منها بَعْــدُ أبهى وأملَحُ

كأنَّ البُرَى[1] والعاجَ عِيجَتْ مُتُونُه ... على عُشَرٍ نَهَّى[2] به السيلَ أبطح

لئن كانت الدنيا علىَّ كما أرى ... تَبارِيحَ من مَىٍّ فَلَلموتُ أروح

فأعجبنى ، فصنعت فيه لحنا غنّيتُ به المأمونَ ، فأخذتُ به منــه مائة ألف درهم .

لحنُ إسحاق فى هذه الأبيات أوّلُ ثقيلٍ مطلقٌ فى مجرى البنصر .

دس اليه ابن الرشيد على أنهما وجوه ثم هــدية ا وقصــة . الو

حدّثنى يحيى بن محمد الطّاهرىّ قال حدّثنى ينشو مولى أبى أحمد بن الرشيد قال :

اشترانى مولاى أبو أحمد بن الرشيد، واشترى رَفيقِى محموما[3]، فدفعنا إلى وكيل له أعجمىّ خُراسانىّ ، وقال له : انحدرْ بهذين الغلامين إلى بغداد إلى إسحاق الموصلىّ ؛ ودفع إليه مائة ألف درهم ، وشِهرِيًّا[4] بسَرْجه ولِجامه ، وثلاثة أدراج[5] من فِضّــة

(١) البرى : الخلاخيل ، الواحدة برة . وكل حلقة تسميها العرب برة . والعاج : أسورة تتخذها نساء العرب من العاج ، وعيجت : لويت . والعشر : شجر ناعم لين مستــو . شبه ساعديها وساقيها بشجر العشر فى الاستواء واللين . (٢) كذا فى حـ وديوانه ووردت مصححة بخط الأستاذ الشنقيطى أيضا . ونهى الشىء : أبلغه وأوصله ، ونهاه : بلغ نهايتــه (بالتضعيف فيهما) ، وهذا المعنى غير مراد . وفى سائر الأصول : « تهمى » وهو تحريف . والأبطح : بطن الوادى . ومرجع الضمير فى « به » شجر العشر مرادا به مكانه الذى ينبت فيه . وعدّى « نهى » بالباء لأنه ضمن معنى « حبس » ، أى إن بطن الوادى حمل السيل وأبلغه المكان الذى ينبت فيه شجر العشر وحبسه به فهو لذلك ريان ممتلئ . (انظر نسخة مخطوطة من ديوان ذى الرمة بشرح الأعلم الشنتمرى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٤٠ أدب ص ٤٣). (٣) فى حـ : « بجمجا » . (٤) الشهرية (بالكسر) : ضرب من البراذين وهو بين البرذون والمقرف من الخيــل ، وفى الأساس : « بين الرمكة والفــرس العتيق » . والرمكة : البرذونة ، والجمع الشهارى . (٥) الأدراج : جمع درج (بالضم) وهو سفيط صغير تدخر فيه المرأة طيبها وأداتها ، ويجمع أيضا على درجة (بكسر ففتح) .

مملوءة طِيباً ، وسبعةَ تُخُوتٍ[1] من بَزّ خُرَاسانىّ ، وعشرةَ أسفاطٍ[2] من بَزّ مصر، وخمسة تخوتِ وَشْيٍ كوفىّ ، وخمسة تخوتِ خَزّ سُوسِىّ ، وثلاثين ألف درهم للنفقة ؛ وقال للرسول : عرِّف إسحاقَ أنّ هـذين الغلامين لرجل من وجوه أهل خُراسان ، وَجّه بهما إليه ليتفضّل و يعلّمهما أصواتًا اختارها ، وكتبها له فى دَرْج[3] ، وقال له : كلما علّمهما صوتا آدفع إليـه ألف درهم ، حتى يتعلّمـا بها مائة صوت ، فإذا علّمهـما الصوتين اللذين بعـد المـائة فادفع إليـه الشّهرىّ ، ثم إذا علمهما الثلاثة التى بعـد الصوتين ، فآدفع إليه بكل صوت دُرْجا من الأدراج ، ثم لكل صوت بعـد ذلك ٦٤/٥ تَخْتًا أو سَفَطا ، حتى يَنْفَـد ما بعثتُ به معك ؛ نفعـل ، وآنحدرْنا إلى بغداد ، فأتينا إسحـاق ، وغنّينا بحضرته ، و بلّغـه الوكِيل الرسالةَ ؛ فلم يزل يُلقى علينا الأصـوات حتى أخذناها كما أمرنا سـيّدُنا . ثم سِرْنا[4] إلى سُرّ مَنْ رأى ، فدخلنا إليـه وغنّيناه جميعَ ما أخذناه فسَرّه ذلك . وقدم إسحاقُ سُرّ مَنْ رأى ، ولقيـه مولانا ، فدعا بنا وأوصانا بما أراد ، وغدا بنـا إلى الواثق وقال : إنكما ستَرَيان إسحاقَ بين يديه ، فلا تُسلّما عليـه ولا تُوهِماه أنكما رأيتماه قطّ . وألبَسنا أقْبِيةً خُرَاسانية ومضينا معه ؛ فلمّا دخلنا على الواثق قال له : يا سيّدى ، هـذان غلامان اشتُرِيا لى من خُراسان يغنّيان بالفارسيّة ؛ فقال : غنّيا ، فضربنا ضرباً فارسيًّا وغنّينا غناءً فهليذيًّا ؛ فطَرِب الواثق وقال : أحسنتما ، فهل تغنّيان بالعربية؟ قلنا : نعم ، وآندفعنا نغنّى ما أخذناه عن إسحاق

(١) التخت : وعاء تصان فيه الثياب ، فارسىّ ، وقد تكلمت به العرب . (٢) أسفاط : جمع سفط (بالتحريك) وهو ما يعبي فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء ، وقيل : هو كالجوالق أو كالقفة .
(٣) الدرج (بالفتح و بالتحريك) : الذى يكتب فيه ، يقال : أنفذته فى درج الكتاب أى فى طيـه . وهو يطلق على الصحيفة من أى نوع ومن أى مقياس . وقد فصـل القلقشندى فى صبح الأعشى (ج ٦ ١٨٩ — ١٩٦) مقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الأقلام ومقادير البياض فى أوّل الدرج وحاشيته و بعد ما بين السطور فى الكتابات فارجع إليه . (٤) فى أ ، ء ، م : « ثم سرنا ثم دخلنا إلى سرّ من رأى » .

وهو ينظر إلينا ونحن نتغافل عنه، حتى غنّينا أصواتاً من غنائه ؛ فقام إسحاق ثم قال للواثق : وحياتك ياسيّدى وبَيْعتك، وإلاّ كلّ مِلْكٍ لى صدَقة وكل مملوك لى حُرّ إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمى ومِن قصّتهما كيت وكيت ؛ فقال له أبو أحمد : ما أدرى ما تقول! هذان اشتريتهما من رجل نخّاس خراسانىّ ؛ فقال له : بَلَغ وَلُعُك (١) إلىّ! ونخّاس خراسانىّ من أين يحسن [أن] يختار مثلَ تلك الأغانى! ؛ فضحك أبو أحمد ثم قال : صدَق، أنا احتلتُ عليه، ولو رُمْتُ أن يعلّمهما ما أخذاه منه إذا علم أنهما لى بعشرة أضعاف ما أعطيتُه لَمَا فعل ؛ فقال له إسحاق : قد تَمّت علىّ حيلتُه . وقال أبو أحمد للواثق : إن أردتَهما فخذهما ؛ فقال : لا أَفْجَعُك بهما يا عمّ، ولكن لا تمنعنى حضورَهما ؛ فقال له : قد بذلتُ لك المِلْك فلم تُؤْثِرْه ، أفتَرانى أمنعك الخدمةَ! فكانا يخدُمه بنَوْبة .

كان في الواثق مع ا... المغنين فا... الواثق با... له بعود

حدّثنى جحظة قال حدّثنى أبو عبد الله بن حَمْدون قال حدّثنى ابن فيلا الطُّنْبُورِىّ وكان قد دخل على الواثق وغنّاه، قال :

قال الواثق فى بعض العَشايا : لا يبرحْ أحدٌ من المغنّين الليلةَ، فقد عزمتُ على الصَّبُوح فى غد ؛ فأمسكوا جميعا عن معارضته إلا إسحاقَ فإنه قال له : لا وحياتِك ما أبِيتُ ؛ قال : فلا والله ما كان له عند الواثق معارضةٌ أكثر من أن قال له : فبحياتى إلاّ بَكَّرتَ (٢) يا أبا محمد . قال : فرأيت مخارقًا وعَلّويه قد تقطّعا غيظا، وبِتْنا فى بعض الحُجَر، فقالا لى (٣) : اجلس على باب الحجرة، فإذا جاء إسحاق فعرِّفنا حتى ندخل بدخوله ؛ فلم نلبث أن جاء إسحاقُ مع أحمد بن أبى دُوَاد يماشيه فى زِيِّه وسَوَادِه وطَيْلَتِه (٤) مثل طويلته ، فدخلت فأعلمتهما ؛ فقامت على عَلّويه القيامة

(١) الولع : الكذب . (٢) فى الأصول : «إلا بكر» . (٣) فى الأصول : «فقال لى» ، وهو تحريف . (٤) انظر الحاشيتين رقم ٢ و ٣ ص ٤١٤ من الجزء الأوّل من طبعة هذا الكتاب .

وقال : ياهؤلاء، خِيناً كر[1] يدخل إلى الخليفة مع قاضى القضاة ! أسمعتم بأعجبَ من هذا البَخْت قطّ !؛ فقال له مُخارِق : دَعْ هــذا عنك، فقد والله بلغ ما أراد. ولم نلبث أن خرج ابن أبى دُوَاد ودُعِىَ[2] بنا فدخلنا، فإذا إسحاق جالس فى صف الندماء لا يخرج منــه، فإذا أمره الواثق أن يُغنّى خرج عن صفّهم قليــلًا وأُتى بعود فغنّى الصوتَ الذى يأمره به، فإذا فرَغ من القَــدَح قطع الصوت الذى يأمره به حيث بلغ ولم يُتِمّه، ورجع إلى صفّ الجلساء .

، إبراهيم
ـدى فى
الرشيد

أخبرنى محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلىّ الملقّب بوَسْوَاسة قال حدّثنى حمّاد قال :

قال لى أبى : كنت عند الرشيد يوما ، وعنــده ندماؤه وخاصّته وفيهم إبراهيم

٦٥/٥ ابن المهدىّ، فقال لى الرشيد : يا إسحاق تَغَنَّ :

شَرِبتُ مُدامةً وسُقِيتُ أخرى * وراح المُنتشون وما ٱنتشيتُ

فغنّيته، فأقبل علىّ إبراهيم بن المهدىّ فقال لى : ما أصبتَ يا إسحاق ولا أحسنت؛ فقلت : ليس هذا مما تُحسنه ولا تعرفه، و إن شئتَ فغنّه، فإن لم أجدْك أنك تُخطئ فيــه منذُ ٱبتدائك إلى انتهائك فدَمِى حلال . ثم أقبلت على الرشيد فقلت : يا أمير المؤمنين، هذه صناعتى وصناعة أبى ، وهى التى قرّبتْنا منك وٱستخدمتْنا لك وأوطأتْنا بساطَك، فإذا نازعَنَاها[3] أحدٌ بلا علم لم نجِد بُدًّا من الإيضاح والذبّ؛ فقال: لا غَرْوَ[4] ولا لوم عليك؛ فقام الرشيد ليبول؛ فأقبل إبراهيم بن المهدىّ علىّ وقال :

---

(١) انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٨٣ من هــذا الجزء . (٢) فى أ ، ء ، ء : « ودعا بنا » . (٣) كذا فى حـ ، م ، ء . وفى سائر الأصول : «نازعنابها» .

(٤) فى أ ، ء : «لا عدو» . والعدو (وزان غزو) : الظلم .

وَيْلَك يا إسحاق ! أتجترئ علىّ وتقول ما قلتَ يابْنَ الفاعلة ! لا يَكْنِى ؛ فداخلنى مالم أملك نفسى معه ؛ فقلت له : أنت تشتُمنى ، وأنا لا أقدِر على إجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة، ولولا ذلك لكنت أقول لك : يابْنَ الزّانيــة ؛ أوَ تُرَى أنّى كنت لا أُحسن أن أقول لك : يابن الزانيــة ؛ ولكن قولى فى ذَمّك ينصرف جميعه إلى خالك الأعْلَم[1] ، ولولاك لذكرتُ صناعتَه ومذهبه — قال إسحاق : وكان بَيْطارا — قال : ثم سكتُّ ، وعلمتُ أنّ إبراهيم يشكونى وأن الرشيد سوف يسأل مَنْ حضر عما جرى فيخبرونه ،فتلافيتُ ذلك[2] ، ثم قلت : أنت تظنّ أنّ الخلافة تصير إليك فلا تزال تهدّدنى بذلك وتُعاديني كما تُعادِى سائرَ أولياء أخيك حَسَـدًا له ولولده على الأمر! فأنت تضعُف عنه وعنهم وتستخِفّ بأوليائهم تَشَفّيًا ،وأرجو ألّا يُخرجها الله عن يَدِ الرشيد وولده ، وأن يقتلك دونها ؛ فإن صارت إليك — وبالله العِياذ — فحرامٌ علىّ العيشُ يومئذ ،والموت أطيب من الحياة معك ، فاَصنعْ حينئذ مابدالك .

قال : فلمّا خرج الرشـيد وثَب إبراهيم فجلس بين يديه فقال : يا أمير المؤمنـين ، شتَمنى وذكر أُمّى واَستخفّ بى ؛ فغضِـب وقال : ما تقـول ؟ وَيْلَك ! قلت : لا أعلم ، فسَلْ مَنْ حضر ؛ فأقبل على مسرورٍ وحُسَين[3] ؛ فسألهما عن القصّة ؛ فجعلا يُخبرانه ووجهُه يتربّد[4] إلى أن آنتهيا إلى ذكر الخلافة ، فسُرِّى عنه ورجع لونُه ، وقال لإبراهيم : ماله ذنب ، شتمتَه فعرّفك أنه لا يقـدِر على جوابك ، ارجع إلى موضعك وأمسِك عن هـذا . فلما انقضى المجلس وآنصرف الناس ، أمر بألّا أبرَح ، وخرج كلُّ من حضر حتى لم يبقَ غيرى ؛ فساء ظنّى وأهمّتنى نفسى ؛ فأقبل علىّ وقال : ويلك

(١) الأعلم : الذى بشفته العليا أو فى جانبيها شق . (٢) عبارة مختار الأغانى لابن منظور : «فتلافيت ذلك بأن قلت ...» . (٣) مسرور وحسين : خادمان كانا للرشيد . (٤) تربد وجهه : تغير وتعبس .

يا إسحاق ! أتُرانى لم أفهم قولك ومرادك ! قد والله زنّيته(١) ثلاث مرات ، أتُرانى لا أعرف وقائعك وأقدامَك وأين ذهبت ! ويلك ! لا تَعُدْ ، حدِّثنى عنك ، لوضربك إبراهيم ، أكنتُ أقتصّ لك منه فأضربه وهو أخى ياجاهل ؟ ! أتُرَاك لو أمر غلمانَه فقتلوك أكنتُ أقتله بك؟ ! فقلت : ياأمير المؤمنين ، قد والله قتلتَنى بهذا الكلام ، ولئن بلغه ليقتلنّى ، وما أشك فى أنه قد بلغه الآن ؛ فصاح بمسرور الخادم وقال : علىّ بإبراهيم الساعة فأُحضر ، وقال : قم فآنصرف ؛ وقلت لجماعة من الخَدَم ، وكلّهم كان لى مُحِبّا وإلىّ مائلا ولى مُطيعا ، : أخبرونى بمـا يجرى ، فأخبرونى من غد أنه لمّـا دخل وبّخه وجهّله وقال له : أتستخفّ بخادمى وصَنيعتى ونَديمى وآبن نديمى وابن خادمى وصنيعتى وصنيعة أبى فى مجلسى ، وتُقْدِم علىّ وتستخفّ بمجلسى وحضرتى؟ ٦٦ / ٥ هاه هاه(٢) ! أتُقدم على هذا وأمثاله ! وأنت مالَك وللغناء ، وما يُدريك ماهو ! ومَنْ أَخَذَك(٣) به وطارحك إياه حتى نتوهّم أنك تَبلُغ مبلغَ إسحـاق الذى غُذِى به وعلّمـه وهو صناعته ! ثم تظن أنك تُخطِّئه فيما لا تدريه ، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك فلا تثبُت لذلك وتعتصم بشَتْمه ! أليس هذا ممـا يدلّ على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يُشبهك وغَلَبة لذّتك على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إياه ولم تُحكمه ، وادّعائك مالا تعلمه حتى ينسُبك الناسُ إلى الجهل المُفْرط ! ألّا تعلم — وَيْلَك — أنّ هذا سوءُ أدب وقلّة معرفة وقلّة مُبَالاة بالخطأ والتكذيب والردّ القبيح ! . ثم قال : والله العظيم وحقِّ رسوله ، وإلا فأنا نَفِيٌّ من المهدىّ ، لئن أصابه أحدٌ بسوء ، أو سقط عليه حجرٌ من السماء ، أو سقط من على دابّته ، أو سقط

(١) زنّاه (بالتشديد) : قذفه ونسبه الى الزنا . (٢) هاه هاه : تكون حكاية لضحك الضاحك وللوعيد . وتكون أيضا فى موضع آه التى للتوجع . (٣) كذا فى حـ والمختصر . وفى سائر الأصول : «ومن أخذ لحنه وطارحك ... الخ » .

عليه سقفُه، أو مات بجأة، لأقتلنّك به؛ والله ! والله ! والله ! فلا تعرِض له وأنت أعلم ، قم الآنَ فاخرج؛ فخرج وقد كاد أن يموت . فلما كان بعد ذلك دخلت إليه و إبراهيم عنده،فأعرضتُ عن إبراهيم ،وجعل ينظر إليه مرّة و إلىّ مرّة و يضحك، ثم قال له : إنى لأعلم محبّتك فى إسحاق وميلَك إليـه و إلى الأخذ عنه ، و إنّ هذا لايجيئك من جهته كما تريد إلّا بعد أن يرضَى،والرضا لايكون بمكروه، ولكن أَحسِن إليه وأَكرِمه وَاعرِف حقَّه و بِرّه وصِله ، فإذا فعلتَ ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبته بيد منبسطة ولسان منطلق؛ ثم قال لى : قم إلى مولاك وابنِ مولاك فقبِّل رأسه؛ فقمت إليه وقام إلىّ وأصلح الرشيدُ بيننا .

نسبة الصوت المذكور فى هذا الخبر

صـــــوت

أعاذلُ قـد نَهَيتِ فـما آنتهيتُ * وقد طال العتابُ فما آرعويتُ
أعاذل ماكبِرتُ وفِىّ مَلْهًى * ولو أدركتُ غايتَـك آنتهيت
شَرِبتُ مُدَامةً وسُقِيت أُخرَى * وراح المنتشون وما آنتشيت
أبيتُ مُعــذَّباً قَلِقـاً كئيباً * لِمـا ألقاه من ألم وفَوْتِ(١)

الغناء لآبن مُحْرِزٍ ثقيلٌ عن آبن المَكّىّ . وفيه رَمَلٌ بالوسطى .

أرسل إ
ذات لي
ثم غناه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: أرسل إلىّ الرشيد ذاتَ ليـلة، فدخلت إليه فإذا هو جالس وبين يديه جاريةٌ عليها قميص مُوَرّد وسَراويلُ مورَّدة وقِناعٌ مورَّد كأنها ياقوتة على وردة ؛ فلما رآنى قال لى : اجلس، فجلستُ؛ فقال لى : غنّ، فغنّيت :

---

(١) فى هذا الشعر إقواء، وهو اختلاف حركة الروىّ .

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجرىَ لمـا جَهَدتُه * وبيَّن لو يَسـتطيعُ أن يتكلَّما

فقال : لمن هذا اللحن؟ فقلت : لى يا أمير المؤمنين؛ فقال : هاتِ لحنَ ٱبن سُرَيج، فغنّيتُه إياه؛ فطرِب وشرب رِطلًا وسقى الجاريةَ رطلا وسقانى رطلا؛ ثم قال : غنِّ، فغنّيته :

صـوت

٦٧/٥

هاجَ شَوْقى بَعْـدَ ما شُيِّب أصـداغى بُرُوقُ

مَوْهِنًا[1] والـبَرْقُ ممّـا * ذا الهوى قِدْمًا يَشُوق

فقال : لمن هـذا الصوت ؟ فقلت : لى؛ فقال : قد كنت سمعت فيه لحنًا آخر؛ فقلت : نعم، لحن ٱبن مُحرِز؛ قال : هاته، فغنّيته فطرب وشرب رطلا، ثم سقى الجارية رطلا وسقانى رطلا؛ ثم قال : غنِّ، فغنّيته :

أفاطم مهـلًا بعضَ هـذا التدلُّلِ * وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمى فأجملِى

فقال لى : ليس هـذا اللحن أريد، غَنِّ رَمَـل ٱبن سُرَيج؛ فغنّيته وشرب رطلا وسقى الجارية رطلا، ثم قال : حدّثنى، فجعلتُ أحدّثه بأحاديث القِيان والمغنّين طَوْرًا، وأحاديثِ العرب وأيامها وأخبارها تارة، وأُنشِـده أشعار القدماء والمحدَثين فى خلال ذلك، إذ دخل الفضـلُ بن الرَّبيع، فحدَّثه حديثَ ثلاث جوارٍ مَلَكَهُنّ ووَصَفهنّ بالحُسْن والإحسان والظَّرْف والأدب؛ فقال له : يا عَبّاسىّ، هل تَسخُو نفسُك بهنّ؟ وهل لك من سَلْوةٍ عنهنّ؟ فقال له : والله يا أمير المؤمنين، إنى لأسخو بهنّ وبنفسى، فبها فَدَاك الله؛ ثم قام فوجّه بهنّ إليه، فغَلَبْن على قلبه، وهنّ سِحْرُ وضياء وخُنْث ذات الخال؛ وفيهنّ يقول :

---

(١) الموهن، ومثله الوهن : نحو من نصف الليل، وقيل : هو بعد ساعة منه، وقيل : هو حين يدبر الليل.

إنّ سِحْرًا وضِيــاءَ وخُنُثْ * هنّ سِحْرٌ وضِيــاءٌ وخُنُثْ

أخذتْ سِحــرٌ ولا ذنبَ لها * ثُلُثَىْ قلــبي وتِرْباها الثُّلُثْ

نزل على عبيد الله ابن محمد بن عائشة بالبصرة ونادمه

حدّثنى الصُّولِىّ قال حدّثنى مَيْمُون بن هارون عن إسحاق قال:

أتيتُ عُبَيد الله بن محمد بن عائشة بالبصرة، فلمّا دخلتُ إليه حَصِرْتُ، فقال لى: إنّ الحَصَر رائدُ[1] الحياء، والحياء عَقيدُ الإيمان، فآنبسِطْ وأَزِل الوحشة، فلئن باعدتْ بيننا الأحساب، لقد قرّبتْ بيننا الآداب، فقلت [له][2]: والله لقد سررتَنى بخطابك، وزِدْتَنى ببِرّك عجزًا عن جوابك، ولله دَرّ القُطامِىّ حيث يقول:

أمّا قــريشٌ فلن تلقاهمُ أبدًا * إلّا وهم خيرُ من يَحْـفَى ويَنْتعِـلُ

أهدى له أحمد بن هشام زعفرانا وكتب له شعرا فرد هو عليه بشعر

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهَيْثم قال حدّثنى أبو هِفّان قال:

وجّه أحمد بن هشام إلى إسحاق الموصلىّ بزعفران رَطْب وكتب إليه:

اِشربْ على الزعفرانِ الرَّطْبِ مُتّكِئًا * وآنعَمْ نَعِمْتَ بطول اللّهو والطّرَبِ

فحُرْمــة الكأس بين الناس واجبةٌ * كحرمــة الوُدّ والأرحام والأدبِ

قال: فكتب إليه إسحاق:

أُذكرْ أبا جعــفرٍ حقًّــا أُمِتُّ به * أنّى وإيّاك مَشْغوفانِ بالأدبِ

وأنّنا قد رضَــعنا الكأسَ دِرّتَهـا[3] * والكأسُ حرمتُهـا أولى من النّسبِ

ودّع الفضل بن يحيى فى خروجه الى خراسان بشعر فوصله

حدّثنا الصُّولِىّ قال حدّثنى محمد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

لمّـا أراد الفضل بن يحيى الخروجَ إلى خُراسان ودّعتُه، ثم أنشدته بعد التوديع:

---

(١) كذا صححها الأستاذ الشنقيطى فى نسخته. وفى الأصول: «زائد» بالزاى المعجمة.

(٢) زيادة عن ب، حـ، م. (٣) أصل الدرة: اللبن.

فِراقُكَ مثـلُ فراق الحياةِ * وفقدُكَ مثـلُ ٱفتقاد الدِّيَمْ
عليكَ السلامُ فكم من وفاء * أفارق فيـك وكم من كَرَمْ

قال: فضمني إليه، وأمر لى بألف دينار، وقال لى: يا أبا محمد، لو حلّيتَ هذين البيتين بصنعة وأودعتَهما من يَصلُح من الخارجين معنا، لأهديتَ بذلك إلىّ أُنْسًا وأذكرتَنى بنفسك؛ ففعلتُ ذلك وطرحتُه على بعض المغنّين؛ فكان كتابه لا يزال يَرِد علىّ ومعه ألفُ دينار يَصِلُنى بذلك كلما غُنّى بهذا الصوت. قال الصُّولِىّ: وهو من طريقة الرَّمَل. ٦٨/٥

حديثه عما حمله الأصمعى من كتب حين خرج مع الرشيد الى الرقة

أخبرنى عمى قال حدّثنى عمر بن شَبّة عن إسحاق قال:

قال لى الأصمعىّ: لمّا خرجنا مع الرشيد إلى الرَّقّة قال لى: هل حملت معك شيئا من كتبك؟ فقلت: نعم، حملتُ منها ما خفّ حملُه؛ فقال: كم؟ فقلت: ثمانيةَ عشرَ صُندوقًا؛ فقال: هذا لمّا خفّفتَ، فلو ثقّلتَ كم كنتَ تحمل؟ فقلت: أضعافَها؛ فجعل يَعجَب.

شعر إسحاق فى المعتصم حين ولى الخلافة

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال:

لمّا ولِى المعتصمُ دخلتُ إليه فى جملة الجلساء والشعراء، فهنّأه القوم نظمًا ونثرا وهو ينظر إلىّ مُستنطِقًا، فأنشدتُه:

صـــوت

لاحَ بالمَفْــرِق(١) منـك القَتِير(٢) * وذَوَى غصنُ الشّبابِ النَّضير
هزِئتْ أسمـاءُ منّى وقالتْ * أنت يآبنَ الموصلىّ كبير

(١) المفرق (كمقعد ومجلس): وسط الرأس وهو الذى يفرق فيه الشعر. (٢) القتير: الشيب، وقيل: هو أوّل ما يظهر منه.

ورأت شيبًا برأسي فصدّتْ (١) * وابنُ ستين بشَيْبٍ جديرُ
لا يَرُوعنْكِ شَيْبِي فإنّي * مع هذا الشيب حُلْوٌ مَزِيرُ (٢)
قد يُفَلُّ (٣) السيفُ وهو جُرازٌ * ويَصُولُ الليثُ وهو عَقِيرُ (٤)
يا بني العبّاس أنتمْ شِفاءٌ * وضياءٌ للقُلوبِ ونورُ
أنتمُ أهلُ الخلافةِ فينا * ولكمْ منبرُها والسريرُ
لا يزالُ المُلكُ فيكمْ مَدَى الدّهْـ * ـرِ مُقيمًا ما أقام ثَبِيرُ (٥)
وأبو إسحاق خيرُ إمامٍ * ماله في العالمين نظيرُ
ماله فيما يَرِيشُ ويَبْرِي * غيرَ توفيقِ الإلهِ وزيرُ
واضحُ الغُرّةِ للخيرِ فيه * حين يبدو شاهدٌ وبشيرُ
زانه هَدْيٌ تُقًى وجلالٌ * وعفافٌ ووقارٌ وخِيرُ
لو تُبارِي جودَه الريحُ يومًا * نَزَعَتْ وهي طَلِيحٌ (٦) حَسِيرُ

شعره في المعتصم يوم مقدمه من غزاة

قال: فأمر لي بجائزة فضّلني بها على الجماعة. ثم دخلتُ إليه يوم مقدمه من غَزَاته، فأنشدتُه قولي فيه:

صــوت

لأسماءَ رسمٌ عفا باللِّوَى * أقامَ رهينًا لطول البِلَى
تعاوَرَه الدهرُ في صَرْفه * بكَرّ الجديدين حتى عفا
إذ (٧) البينُ لم تُخْشَ رَوْعاته * ولم يصرفِ الحيَّ صَرْفُ الرَّدى

(١) في تجريد الأغاني لابن واصل: «علاني». (٢) المزير: الظريف.
(٣) الفل: ثلم يناله حد السيف. والجراز (بالضم): الماضي القطاع. (٤) عقير: مجروح أو مقطوع القوائم. (٥) ثبير: من جبال مكة بينها وبين عرفة. (٦) طليح: تعب هزيل. وحسير: كليل معي. (٧) في الأصول: «اذا».

وإذ مَيْعة[(١)] اللهو تجرى بنا * وحبلُ الوصال متينُ القُوى
فذلك دهرٌ مضى فابْكِهِ * ومَنْ ضاق ذَرْعًا بأمرٍ بكى
وهل يَشْفِينَّك من غُلَّة * بكاؤك فى إثْر ما قد مضى
إلى ٱبن الرشيد إمامِ الهدى * بعثنا المطىَّ تجُوب الفَلا
إلى مَلِك حلّ من هاشم * ذُؤَابةَ مجدٍ مُنِيف الذُّرى ٦٩/٥
إذا قيل أىُّ فتى هاشم * وسيِّدُها كان ذاك الفتى
بــه نَعَش الله آمالَنا * كما نَعَش الأرضَ صَوْبُ الحَيَا
إذا ما نوى فِعْلَ أُكْرُومة * تجاوز من جُوده ما نَوى
كساه الإلهُ رداءَ الجمال * ونورَ الجلال وهَدْىَ التقى

قال : فأمر لى[(٢)] بجائزة ، وقال : لستُ أحسُب هذا لك إلا بعد أن تَقْرِن صناعتَك فيه بالأخرى (يعنى أن أغنِّى فيه وفى : «هَزِئتْ أسماءُ منى») ؛ فصنعتُ فى :

* هزئت أسماء منى ... ... *

لحنا ، وفى :

* لأسماء رسم عفا باللّوى *

لحنا آخر وغنّيته بهما ، فأمر لى بألفىْ دينار .

نسبة هذين الصوتين

هزِئتْ أسماءُ منّى وقالت * أنت يا ٱبنَ الموصلىّ كبيرُ

لحنُ إسحاقَ فى أربعة أبيات متوالية من الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى . والآخر :

لأسماءَ رسمٌ عفا باللّوَى * أقام رَهينًا لطُول البِلَى

الغناء لإسحاقَ ثانى ثقيلٍ بالوسطى .

(١) ميعة اللهو والشباب والنهار والسكر وكل شىء : أوله وأصله .
(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «قال فأمر له» ، وهو تحريف .

غنى أحمد بن عبيد الله بن أبي العلاء لحنا له فنظر إليه مخارق شزرا ثم بين له السبب

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أحمد بن عُبَيد الله بن أبي العلاء قال : غنّيتُ يومًا بين يدى الواثق لحنَ إسحاق فى :

هَزِئَتْ أسماءُ منّى وقالت * أنت يابنَ الموصليّ كبيرُ

قال : فنظر إليّ مخارقٌ نظرا شَزْرًا وعضّ شَفَته عليّ؛ فلما خرجنا من بين يدَى الواثق قلت : يا أستاذ، لِمَ نظرتَ إليّ ذلك النظرَ؟ أأنكرتَ عليّ شيئا أم أخطأتُ فى غنائى؟ فقال لى : وَيْحَك! أتدرى أىَّ صَوْت غنّيتَ! إن إسحاق جعل صَيْحة هذا الصوت بمنزلة طريق ضيّق وَعْر صعبِ المُرْتَقَى، أحدُ جانبَيْ ذلك الطريق حرفُ الجبل، وعن جانبه الآخر الوادى؛ فإن مال مُرْتقيه عن محجّته إلى جانب الوادى هوَى، وإن مال الى الجانب الآخر نطحه حرفُ الجبل فتكسّر؛ صِرْ إليّ غدًا حتى أصحّحه لك .

بنى لحنه فى «هزئت أسماء» على أذان عبدالوهاب المؤذن

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخْفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حُدِّثت من غير وجه :

أن إسحاق بات ليلةً عند المعتصم وهو أمير، فسمع لحنا لعبد الوهاب المؤذِّن أذّن به على باب المعتصم، فأَصْغى إليه فأعجبه، فأعاد المَبيت ليلةً أخرى عنده حتى استقام له اللحن؛ فبنى عليه لحنَه :

* هزئتْ أسماءُ منّى وقالتْ *

فصد إبراهيم بن المهدىّ يوما فأرسل هو اليه غلامه بديحا بلحن له يهنيه إياه

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ :

أنّ إبراهيم بن المهدىّ فُصِد يوما، فكتب إليه إسحاقُ يتعرّف خبرَه و يدعو له بالسلامة وحسن العُقبَى، وكتب إليه : إنى سأُهدى إليك هديّةً للفَصْد حسنةً؛ فوجّه إليه بُدَيحا غلامَه، فغنّاه لحنَه فى :

* هزئتْ أسماءُ منّى وقالتْ *

فآستحسنه إبراهيم وقال له : قد قبلنا الهديّة، فإن كان أَذِن لك فى طَرْحه على الجوارى فآفعل ؛ فقال له : بذلك أمرنى، وقال لى : إنك ستقول لى هذا القول ، فقال : إن قاله لك فقل له : لو لم آمُرْك بطرحه لم يكن هديّة؛ فضحك إبراهيم ، وألقاه بُدَيح ٧٠/٥ على جواريه . وقد ذكر علىّ بن محمد بن نصر هذا الخبر، فذكر أنه كتب إلى أبيه[1] بهذه الهديّة، وهذا خطأ، لأن الشعر فى تهنئة المعتصم بالخلافة، وإبراهيم الموصلىّ مات فى حياة الرشيد، فكيف يُهدى إليه هذا الصوت ! .

غنى محمد بن الحارث بصوت له أمام مخارق فأعجب به

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال حدّثنى أحمد بن أبى العلاء[2] قال :

اندفع محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يومًا يغنّى هذا الصوت ؛ فالتفت إلينا مُخارِق فقال : خرج آبن الزانية[3] ! .

محاورة لعلويه فى مجلس الفضل آبن الربيع أو على آبن هشام ودفعه ما اتهمه به

حدّثنى عمّى قال حدّثنى أبو جعفر محمد بن الدِّهْقانة النّديم قال حدّثنى أحمد آبن يحيى المكىّ قال :

دعانى الفَضْل بن الرَّبيع ودعا عَلّويه ومخارِقا، وذلك فى أيام المأمون بعد رجوعه ورضاه عنه إلا أنّ حاله كانت ناقصة متضعضعة ؛ فلمّا اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاقَ الموصلىّ يسأله أن يصير إليه ويُعْلِمَه الحالَ فى آجتماعنا عنده؛ فكتب إليهم : لاتنتظرونى بالأكل فقد أكلت، وأنا أصير إليكم بعد ساعة؛ فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قرُب العصر، ثم وافى إسحاقُ فجلس، وجاء غلامه بقَطْرَمِيز[4] نبيذ فوضعه

(١) فى الأصول : «فذكر أنك كتبت إلى أبيه بهذه الهدية ... الخ» ، وظاهر أنه تحريف .

(٢) ورد هذا الاسم فيما سبق — قبل هذا الخبر بخبرين — : «... أحمد بن عبيد الله بن أبى العلاء» .

(٣) خرج : نبغ . (٤) القطرميز : قلة كبيرة من الزجاج . قال الشاعر :

أنا لا أرتوى بطاس وكاس * فآسقنيها بالزق والقطرميز

ناحيةً، وأمر صاحبَ الشراب بإسقائه منــه، وكان عَلّويه يغنّى الفضلَ بن الرّبيع فى لحنٍ لسِيَاط اقترحه الفضل عليه وأعجبه، وهو :

فإن تَعجَبى أو تُبصرى الدّهرَ طَمَّنى[1] * بأحـداثه طَمَّ المقصَّص بالجَــلَمْ[2]
فقد أترك الأضيافَ تَنْــدَى رِحالُهم * وأكرمهم بالمَحْض والتّامِك السَّنِم[3]

— ولحنــه من الثقيل الثــانى — فقال له إسحاق : أخطأتَ يا أبا الحسن فى أداء هذا الصوت، وأنا أُصلحه لك ؛ فجُنّ عَلّويه وآغتاظ وقامت قيامته؛ ثم أقبل على عَلّويه فقال له : ياحبيبى، ما أردتُ الوضعَ منك بما قلتُه لك، وإنما أردتُ تهذيبَك وتقويمك، لأنك منسوبُ الصواب والخطأ إلى أبى وإلىّ، فإن كرِهتَ ذلك تركتُك وقلت لك : أحسنتَ وأجملتَ ؛ فقال له عَلّويه : والله ما هــذا أردتَ، ولا أردتَ إلا مالا تتركه أبدًا من ســوء عشرتك ! أخبِرْنى عنــك حين تجىء هذا الوقتَ لمّــا دعاك الأمير وعرّفك أنه قد نشِط للآصطباح : ما حملك على الترفّع عن مُبَاكرته وخدمته مع صنائعه عندك، وما كان ينبغى أن يَشْغَلك عنه شىء إلا الخليفة ! ثم تجيئــه ومعك قُطْرَمِيزُ نبيــذ ترفّعًــا عن شرابه كما ترفّعتَ عن طعامه ومجالســته إلا كما تشتهى وحين تَنْشَط، كما تفعل الأكفاء، بل تَزيد على فعل الأكفاء؛ ثم تَعْمِد إلى صوت قد آشتهاه وآقترحه وسمعه جميعُ من حضر فمــا عابه منهم أحد فتَعيبه لتُنغِّصَك إياه لذّته ! ؛ أمَا والله لو[4] الفضل بن يحيى[5] أو أخوه جعفر دعاك إلى مثــل

(١) طمنى : غمرنى . (٢) الجلم (بالتحريك) : الذى يجز به الشعر والصوف، ومثله الجلمان بلفظ التثنية . (٣) المحض : اللبن الخالص بلا رغوة . والتامك : العظيم السنام من الإبل، ومثله السنم .
(٤) كذا فى حـ ومختار الأغانى لابن منظور (ص ١٤٧) . وفى سائر الأصول : «لولا الفضل» ، وهو تحريف . (٥) كذا فى مختار الأغانى لابن منظور. وفى الأصول : «الفضل بن يحيى وأخوه ... الخ» بالواو ، ولا تستقيم بهــا العبارة .

مادعاك إليه الأمير، بل بعضُ أتباعهم، لبادرت و باكرتَ وماتأخرتَ ولا آعتذرتَ؛ قال : فأمسك الفضلُ عن الجواب إعجابًا بمـا خاطب به عَلّويه إسحاقَ ؛ فقال له إسحاق : أمّا ماذكرتَه من تأخُّرى عنه إلى الوقت الذى حضرتُ فيه، فهو يعلم أنّى لا أتأخر عنه إلا بعائق قاطع، إن وثِق بذلك منّى و إلّا ذكرتُ له الحجة سرًّا من حيث لايكون لك ولا لغيرك فيه مدخل . وأما ترفّعى عنه، فكيف أترفّع عنه وأنا أنتسب إلى صـنائعه وأستمنحُه وأعيش من فضله مذ كنتُ، وهـذا تَضْريب[(١)] لا أُبالى به منك . وأما حَمْلى النبيذَ معى، فإنّ لى فى النبيذ شرطًا من طعمه وريحه، وإن لم أجده لم أقدِر على الشرب وتنغّص علىّ يومئذ ، و إنمـا حملته ليتمّ نشاطى و ينتفعَ بى . ٧١ / ٥ وأما طعنى على ما آختاره، فإنى لم أطعن على اختياره، و إنما أردتُ تقويمَك، ولست والله ترانى مُتبعا لك بعد هذا اليوم ولا مُقَوّما شيئا من خطئك؛ وأنا أغنّى له — أعزّه الله — هـذا الصوتَ فيعلم وتعلم و يعلم من حضر أنك أخطأتَ فيـه وقصّرت . وأما البَرَامكة وملازمتى لهم فأشهرُ من أن أجحـده ، و إنى لحقيقٌ فيـه بالمعذرة ، وأحرَى أن أشكرهم على صَنيعهم وبأن أُذيعه وأنشُره، وذلك والله أقلُّ ما يستحقّونه منّى . ثم أقبل على الفضـلِ — وقد غاظه مدحُه لهم — فقال : اسمـع منّى شيئا أُخبرك به مما فعلوه ليس هو بكبير فى صنائعهم عندى ولا عند أبى قبلى، فإن وجدتَ لى عذرا و إلا فلُمْ : كنت فى آبتـداء أمرى نازلًا مع أبى فى داره، فكان لا يزال يجرى بين غلمانى وغلمـانه وجوارىَّ وجواريه الخصـومة ، كما تجرى بين هـذه الطبقات، فيشكونهم إليه، فأتبيّن الضَّجَر والتنكُّر فى وجهه، فآستأجرت دارًا بقربه وآنتقلت إليها أنا وغلمانى وجوارىّ، وكانت دارا واسعة، فلم أرضَ ما معى من الآلة لهـا ولا لمن يدخل إلىّ من إخوانى أن يَرَوْا مثلَه عندى؛ ففكرت فى ذلك وكيف

(١) التضريب : الإغراء بين القوم .

أصنع ، وزاد فِكرى حتى خَطَر بقلبى قُبْح الأُحْدوثة من نزول مثلى فى دار بأُجرة ، وأنى لا آمَنُ فى وقت أن يَستأذن علىّ [صاحبُ دارى](١) ، وعندى من أحتشمه ولا يعلم حالى ، فيُقال صاحبُ دارك ، أو يُوجِّه فى وقت فيطلب أجرة الدار وعندى من أحتشمه ؛ فضاق بذلك صدرى ضِيقًا شديدا حتى جاوز الحدّ ؛ فأمرت غلامى بأن يُسرِجَ لى حمارا كان عندى لأمضىَ إلى الصحراء أتفرّج فيها مما دخل على قلبى ، فأَسرَجه و ركبتُ برداء ونعل ؛ فأفْضَى بى المسيرُ وأنا مفكر لا أميز الطريق التى أسلك فيها حتى هجم بى على باب يحيى بن خالد ؛ فتواثب غلمانُه إلىّ ، وقالوا : أين هـذا الطريق ؟ فقلت : إلى الوزير ، فدخلوا فآستأذنوا لى ، وخرج الحاجب فأمرنى بالدخول ، وبقيتُ خَجِلا ، قد وقعت فى أمرين فاضحين : إن دخلت إليه برداء ونعل وأعلمته أنّى قصدته فى تلك الحال كان سوءَ أدب ، وإن قلت له : كنت مجتازا ولم أقصِدك فجعلتك طريقا كان قبيحا ، ثم عزمتُ فدخلت ، فلمّا رآنى تبسّم وقال : ما هذا الزِّىّ يا أبا محمد ! احتبسنا لك بالبر والقَصْد والتفقد ثم علمنا أنك جعلتنا طريقًا ؛ فقلت : لا والله ياسيّدى ، ولكنى أَصْدُقك ؛ قال : هاتِ ؛ فأخبرته القصّة من أولها إلى آخرها ؛ فقال : هذا حقّ مستوٍ . أفهذا شغل قلبك ؟ قلت : إى والله ! وزاد فقال : لا تَشْغَلْ قلبك بهـذا ، ياغلام ، ردّوا حماره وهاتوا له خِلعة ؛ فجاءونى بخلعة تامّة من ثيابه فلبستها ، ودعا بالطعام فأكلت ووُضِع النبيذ فشربت وشرب فغنّيتُه ، ودعا فى وسط ذلك بدواة ورقعة وكتب أربعَ رِقاع ظننتُ بعضها توقيعاً لى بجـائزة ، فإذا هو قـد دعا ببعض وكلائه فدفع إليـه الرِّقاع وساره بشىء ، فزاد طمعى فى الجائزة ؛ ومضى الرجل وجلسـنا نشرب وأنا أنتظر شيئا فلا أراه إلى العَتَمَة ، ثم آتكأ يحيى فنام ، فقمت وأنا مُنكسر خائب فخرجت وقُدِّم لى

(١) التكملة عن مختار الأغانى .

حمارى؛ فلمّا تجاوزت الدارَ قال لى غلامى: إلى أين تمضى؟ قلت: إلى البيت؛ قال: قد والله بِيعتْ دارك، وأشهِد على صاحبها، وآبتيع الدَّرْبُ كلّه ووُزِن ثمنه، والمشترى جالس على بابك ينتظرك ليعرّفك، وأظنه اشترى ذلك للسلطان، لأنى رأيت الأمر فى آستعجاله وآستحثاثه أمرًا سلطانيًا؛ فوقعت من ذلك فيما لم يكن فى حِسابى، وجئت وأنا لا أدرى ما أعمل؛ فلمّا نزلت على باب دارى إذا أنا بالوكيل الذى سَارّه يحيى قد قام إلىّ فقال لى: ادخُل — أيّدك الله — دارَك حتى أدخل إلى مخاطبتك فى أمرٍ أحتاج إليك فيه؛ فطابتْ نفسى بذلك، ودخلتُ ودخل إلىّ فأقرأنى توقيعَ يحيى: "يُطلَق لأبى محمد إسحاقَ مائةُ ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها". والتوقيع الثانى إلى آبنه الفَضْل: "قد أمرتُ لأبى محمد إسحاقَ بمائة ألف درهم يبتاع له بها داره، فأطلِقْ إليه مثلَها ليُنفقها على إصلاح الدار كما يريد وبنائها على ما يشتهى". والتوقيع الثالث إلى جعفر: "قد أمرت لأبى محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع له بها منزل يسكنه، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف [درهم][1] يُنفقها على بنائها ومَرَمّتها على ما يريد، فأطلِقْ له أنت مائةَ ألف درهم يَبتاع بها فرشا لمنزله". والتوقيع الرابع إلى محمد: "قد أمرت لأبى محمد إسحاقَ أنا وأخواك بثلثمائة ألف درهم لمنزل يَبتاعه ونفقة يُنفقها عليه وفَرش يَبتذلُه، فمُرْ له أنت بمائة ألف درهم يصرفها فى سائر نفقته". وقال الوكيل: قد حملتُ المال واشتريت كل شىء جاورك بسبعين ألفَ درهم، وهذه كتب الآبتياعات بآسمى والإقرار لك، وهذا المال بُورِك لك فيه فآقبِضه؛ فقبضتُه وأصبحت أحسنَ حالًا من أبى فى منزلى وفرشى وآلتى؛ ولا والله ما هذا بأكبرِ شىء فعلوه لى، أفألام على شكر هؤلاء! فبكى

٧٢ / ٥

(١) الزيادة عن م ، ومختار الأغانى لابن منظور .

الفضل بن الربيع وكل من حضر،[1] وقالوا : لا والله لا تُلام على شكر هؤلاء . ثم قال الفضل : بحياتى غنّ الصوت ولا تبخَل على أبى الحسن بأن تُقوِّمه له ؛ فقال : أفعل ؛ وغنّاه، فتبيّن عَلّويه أنه كما قال، فقام فقبّل رأسه وقال : أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل أحد ؛ وردّده[2] إسحاقُ مرّاتٍ حتى آستوى لعلّويه .

ولقد رُوِى فى هذا الخبر بعينه أنّ هذه القصّة كانت عند علىّ بن هشام، وقد أخبرنى بهذا الخبر أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى مَيمون بن هارون وأبو عبد الله الهاشمىّ قالا :

دعا علىّ بن هشام إسحاقَ الموصلىّ وسأله أن يصطبح عنده ويُبَكِّر فأجابه ؛ فلمّا كان الغد وافاه ظهرًا وعنده مُخارِق وعَلّويه ؛ فقال له علىّ بن هشام : أين كنتَ الساعةَ يا أبا محمد؟ قال : عاقنى أمر لم أجد من القيام به بدًّا ؛ فدعا له بطعام فأصاب منه، ثم قعدوا على نبيذهم، وتغنّى عَلّويه صوتا، الشعر فيه لابن ياسين، وهو :

صـــــوت

إلهى مَنَحتَ الوُدَّ منّى بخيلةً * وأنت على تغيير ذاك قديرُ

شفاءُ الهوى بثُّ الهوى واشتكاؤُه * وإنّ آمرأً أخفى الهوى لَصَبورُ

ـــ الغناء لسليمان أخى أُحَيْحة، خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو ـــ فقال له إسحاق : أخطأتَ وَيْلَكَ ! فوضع عَلّويه العود وشرب رطلا وشرب علىّ بن هشام، ثم تناول العود وغنّى :

(١) كذا فى مختار الأغانى . وفى الأصول : « حضره » بزيادة الهاء . (٢) ردّده : أعاده مثل ردّده .

٧٣ / ٥ ## صـــــوت

ولقـد أسْمُو إلى غُرَفٍ * فى طريقٍ مُوحِشٍ جُدَدُه[1]

حوله الأحراسُ تحرُسـه * ولديه جاثمًا أسَـدُهْ

— الغنـاء لمَعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسـطى عن عمرو — فقـال له إسحاق : أخطأتَ وَيْلَك ! فوضع العود من يده ثم أقبل على إسحاق فقال له : دعاك الأمير — أعزّه الله — لتُبكّر إليه ، بجئته ظُهرًا ، وغنّيتُ صوتين يشتهيهما الأمير — أعزّه الله — علىّ تخطّأتنى فيهما ، وزعمتَ أنك لا تغنّى بين يدى الأمير — أعزّه الله — ولا تغنّى إلا بين يدى خليفة أو ولىّ عهد ، ولو دعاك بعض البرامكة لكنت تُسرع إليه ثم تغنّى مُنذُ غُدْوةٍ إلى الليل ! ؛ فقال إسحاق : إنى والله ما أردت انتقاصًا منك ، ولا أقول مثلَه لغيرك ولا أريد ازدراءً من أحد ، ولكنى أردت بك خاصّةً التقويمَ والتأديب ؛ فإن ساءك ذلك تركتُك فى خطئك . ثم أقبـل على علىّ بن هشام ، فقـال له : أعزّك الله ، إنى أُحدّثك عن البرامكة بمـا يُقيم عذرى فيما ذكره : دخلت على يحيى بن خالد يوما ، ولم أكن أردت الدخول عليـه ، وإنما ركبت متبذِّلا[2] لهمٍّ أهمّنى ، وكنت نازلًا مع أبى فى داره ، فضِقْتُ صدرًا بذلك وأحببت النُّقْلة عنه ، ونظرت فإذا يدى تَقْصُر عما يُصْلحنى ؛ ثم ذكر الخبرَ نحوًا مما قلته . وزاد فيه : أنه دخل إلى يحيى بن خالد وهو مُصْطَبِح ، فلما رآه نعِر[3] وصفّق ، وأنه وقّع له بمائتى ألف درهم ، ووقّع له كلٌّ من جعفر والفَضْل بمائة وخمسين ألفا ، وكلُّ واحد من موسى ومحمد بمائة ألف مائة ألف . وقال فيه : فبكى علىّ بن هشام ومن حضر ، وقالوا :

---

(١) جدده (بضم ففتح) : معالمه ، واحده جدّة .
(٢) التبذل : ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة الجميلة على جهة التواضع .
(٣) نعر : صاح وصوّت

لا يُرى والله مثلُ هؤلاء أبدا، وأخذ إسحاقُ العودَ فغنّى الصوتين فأتى فيهما بالعجائب، فقام عَلّويه فقبّل رأسه وقال له : أنت أستاذنا وآبن أستاذنا، وما بنا عن تقويمك غِنًى؛ ثم غنّى بعد ذلك لحنَه : «تشكّى الكميتُ الجرىَ»، ولم يزل يغنّى بقيّة يومه كلّما شرب علىّ بن هشام؛ ثم آنصرف فأتبعه علىّ بن هشام بجائزة سنيّة .

قال عبد الله بن العباس الربيعى : إنه لا يقاربه فى الصنعة أحد

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنا عَوْن بن محمد قال حدّثنى عبد الله بن العبّاس الرَّبيعىّ قال :

أحضرنى إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب، فلمّا جلست وآطمأننت، أخرج إلىّ خادمُه رقعةً، فقال : اقرأ ما فيها وآعمل بما رسَمه الأمير أعزّه الله ؛ فقرأتها فإذا فيها قوله :

صـــوت

يرتاح للدَّجْن[1] قلبى وهو مقتسَمٌ * بين الهموم آرتياحَ الأرض للمطرِ
إنى جعلتُ لهـذا الدَّجْن نِحْلته[2] * ألّا يزولَ ولى فى اللهو من وَطَر

وتحت هـذين البيتين : «تقدّمْ — جُعِلت فداك — إلى مَنْ بحضرتك من المغنّين بأن يُغنّوا فى هذين البيتين، وألْقِ جميعَ ما يصنعونه على فلانة، فإذا أخذته فأنفذْها إلىّ مع رسولى»؛ فقلت : السمعُ والطاعة لأمر الأمير أعزّه الله، فهل صنع فيهما أحد قبلى ؟ فقال : نعم، إسحاق الموصلىّ؛ فقلت : والله لو كُلِّف إبليسُ أن يصنع فيهما صنعةً يفضُل إسحاقَ فيها بل يساويه بل يقاربه، ما قدَر على ذلك ولا بلغ مبلغَه؛ فضحك حتى آستلقى، وقال : صدقتَ والله ! وهكذا يقول من يعقل لا كما يقول

(١) الدجن : إلباس الغيم الأرض، وقيل : إلباسه أقطار السماء .
(٢) النحلة : المذهب والنوع؛ يعنى أنه جعل لهذا الدجن ما يناسبه من الشراب واللهو، وكان من عادتهم أنهم يستحسنون ذلك إذا أدجن اليوم .

هؤلاء الحَمْقَى، ولكن اصنعْ فيهما على كل حال كما أمر؛ فقلت : أفعل وقد بَرِئْتُ من العُهْدة؛ فانصرفت فصنعت فيهما صنعة كانت والله عند صنعة إسحاق بمنزلة غناء القَرّادين .

أخبره أحد الخلفاء بظهور الشيب فيه فبكى وقال فى ذلك شعرا وغنى فيه

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى ميمون قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال :

قال لى المعتصم أو قال لى الواثق : لقد ضحِك الشَّيْب فى عارضَيْك؛ فقلت : نعم يا سيِّدى، وبكيت؛ ثم قلت أبياتا فى الوقت وغنّيت فيها :

تولَّى شبابُك إلا قليلَا * وحلّ المَشيب فصبرًا جميلَا
كفى حَزَنًا بفِراق الصِّبَا * وإن أصبح الشيبُ منه بَدِيلَا
ولمّا رأى الغانياتُ المَشِيـ * ـبَ أغضَيْن دونك طَرْفًا كَلِيلَا
سأندُب عهدًا مضى للصِّبا * وأبكى الشبابَ بكاء طويلَا

فبكى الواثق وحزِن وقال : والله لو قدَرتُ على ردّ شبابك لفعلت بشَطْر مُلكى؛ فلم يكن لكلامه عندى جواب إلا تقبيل البساط بين يديه .

جهد المغنون أن يأخذوا لحنا له فلم يستطيعوا أن يفوا به

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثنى حَمْدون بن إسماعيل قال : لمّا صنع أبوك لحنَه فى :

قِفْ بالديار التى عَفَا القِدَمُ * وغيَّرتْها الأرواحُ[1] والدِّيَمُ

رأيتهم (يعنى المغنِّين) يأخذونه عنه ويَجْهَدون فيه ؛ فتُوُفِّى والله وما أخذوا منه إلا رَسْمَه .

---

(١) الأرواح : جمع ريح كالأرياح والرياح .

نسبة هـــذا الصوت

صـــوت

قِفْ بالديار التى عَفَا القِدَمُ * وغيَّرتْهـا الأرواحُ والدِّيَمُ
لمّـا وقفْنا بهـا نسائلُها * فاضت من القوم أعينٌ سُجُمُ(١)
ذِكْرًا لعيشٍ مضى إذا ذكَروا * ما فات منــه فإنه سَقَمُ
وكل عيش دامت غَضَارتُه * منقطِـعٌ مرّةً ومنصرِمُ

الشعر والغناء لإسحاق، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من جميع أغانيه .

حدّثنى أبو أيّوب المَـدِينىّ قال حدّثنى هارون اليَتيم قال حدّثنى عُجَيف آبن عَنْبَسة قال :

كنت عند أمير المؤمنين المعتصم وعنده إسحاق الموصلىّ، فغنّاه :

قُلْ لمن صَدّ عاتِبًا * ونأى عنــكَ جانبًا

فأمره بإعادته، فأعاده ثلاثا، وشرب عليه ثلاثا؛ فقال له إبراهيم بن المهدىّ : قد آستحسنتَ هذا الصوت يا أمير المؤمنين، أفنأخذه؟ قال : نعم، خذوه فقد أعجبنى؛ فآجتمع جماعةُ المغنّين: مخارِقٌ وعَلّويه وعَمْرو بن بانة وغيرهم، فأمره المعتصم أن يُلقيه عليهم حتى يأخذوه؛ فقال عُجَيف : فعددتُ خمسين مرّة قد أعاده فيها عليهم وهم يظنّون أنهم قد أخذوه ولم يكونوا أخذوه . قال هارون : فنحن فى هــذا الحديث إذ دخل علينا محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، فقال له عُجَيف : يا أبا جعفر، كنت أحدّث أبا موسى بحديثنا البارحةَ مع إسحاقَ فى الصوت وأنّى عددت خمسين مرة؛ ٧٥ / ٥

(١) سجم : جمع سجوم ؛ يقال : سجمت العين الدمع (من بابى ضرب وقعد) : أسالته قليلا كان أو كثيرا، فالعين ساجمة وسجوم . ويقال : سجم الدمع (من باب قعد) : سال، فالفعل لازم متعد .

فقال محمد : إى والله ! — أصلحك الله — ولقد عددتُ أنا أكثرَ من سبعين مرّة وما فى القوم أحد إلا وهو يظن أنه قد أخذه، والله ما أخذه أحد منهم وأنا أولهم ما قدَرت — علم الله — على أخذه على الصحة وأنا أسرعُهم أخذا، فلا أدرى: ألِكَثْرة زوائده فيه أم لشدّة صعوبته، ومن يقدِر أن يأخذ من ذلك الشيطان شيئا ! .

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثنى عُجَيْف بن عَنْبَسة بهذا الخبر فذكر مثلَه سواءً .

مرّ على المعتصم شعر أعجبه وزنه دون معناه فصاغ هو فيه معنى أعجبه فأجازه

قال أبو أيّوب وحدّثنى حَمّاد عن أبيه قال :

كنت يومًا عند المعتصم، فمرّ شعر على هذا الوزن فقال : وَدِدت أنه على غير ما هو به؛ فقلت له : أنا لك به على هذا الوزن فى أحسنَ من هذا الشعر :

صوت

قُل لمن صدّ عاتبًا * ونأى عنك جانبًا

قد بلغتَ الذى أرد * ت وإن كنت لاعبا

فأعجبه، وقال لى : قد والله أحسنت ! وأمر لى بألفَىْ دينار، ووالله ما كانت قيمتهما عندى دَانِقين[1] .

الشعر والغناء فى هذين البيتين لإسحاقَ، ثانى ثقيل بالسبّابة فى مجرى الوسطى.

غضب عليه الأمين فتشفع اليه بالفضل ابن الربيع ثم دخل عليه بالأنبار وغناه فاطرب به فأجازه

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبو أيّوب المَدِينىّ قال حدّثنى ابن المكّىّ عن إسحاق قال :

غَضب علىّ المخلوعُ[2] فأقصانى وجفانى، فاشتدّ ذلك علىّ — قال : وجفانى وهو يومئذ بالأنبار — فحمَلتُ عليه بالفضل بن الربيع، فطلب إليه فشفّعه المخلوعُ ودعانى

(١) الدانق : سدس الدرهم معرب «دانك» بالفارسية . (٢) المخلوع : هو محمد الأمين الخليفة ابن هارون الرشيد .

وهو مُضْطَبِح ، فلم أزل متوقّفا وقد لبِستُ قَبَاءً وخُفًّا أحمرَ واعتصبتُ بعِصابة صفراءَ وشَدَدت وسطى بشُقّة حمراء من حرير، فلما أخذوا (١) فى الأهزاج دخلتُ وفى يدىّ صَفّاقتان وأنا أتغنّى :

صوت

اِسمع لصوتٍ طَرِيبٍ (٢) * من صَنْعةِ الأنْبارِى (٣)

صوتٍ مليحٍ خفيفٍ * يطير فى الأوْتار

— الشعر والغناء لإسحاق ، هزجٌ بالبنصر — فسُرّ بذلك محمد، وكان صوتهم فى يومهم ذلك، وأمر لى بثلثمائة ألف درهم . وأخبرنى جَحْظة بهذا الخبر عن محمد ابن أحمد بن يحيى المَكّىّ قال حدّثنى أبى أن إسحاق حدّثه بهذا الخبر، وذكر مثل ماذكره يحيى؛ وزاد فيه قال : وكان سبب تسمية محمد لى بـ"الأنبارى" أنى دخلت عليه يوما وقد لُثْتُ (٤) عمامتى على رأسى لَوْثًا غير مستحسَن، فقال لى : يا إسحاق، كأنّ عمامتك من عمائم أهل الأنبار .

أنشد الأصمعى شعرا له فأعجب به فلما علم أنه له غير رأيه فيه

أخبرنا محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى الفضل عن إسحاق، وأخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى عمّى الفَضْل عن إسحاق، وأخبرنا يحيى بن علىّ ابن يحيى قال حدّثنى أبى :

قال إسحاق : قلت فى ليلة من الليالى :

---

(١) فى ا ، ى ، م : «فلما دخلوا» . (٢) فى حـ : «ظريف» . (٣) كذا فى حـ . والأنبارى : نسبة الى الأنبار ، وهى مدينة على الفرات فى غربى بغداد بينهما عشرة فراسخ . وفى سائر الأصول : «... الأنبار» بدون ياء النسبة، وهو تحريف . (٤) لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثا : لفها وعصبها .

صــــوت

هــل إلى نظرةٍ إليــكِ سبيلُ * يُرْوَ(١) منها الصَّدَى ويُشْفَى الغليلُ

إنّ ماقلّ منك يكثُر عنــدى * وكثيرٌ ممن تحبّ القليــلُ

قال : فلمّا أصبحت أنشدتهما الأصمعيّ، فقال : هــذا الدّيباج الخُسْرُوَانىّ(٢)، هذا الوَشْى الإسكندرانىّ، لمن هذا؟ فقلت له : إنه ابن ليلته؛ فتبيّنت الحسدَ فى وجهه، وقال : أفسدتَه! أفسدتَه! أمَا إنّ التوليد فيه لبيّن. فى هذين البيتين لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر.

٧٦ / ٥

كان يعجب بمعنى ويرى أنه ماسبق إليه فلما أنشد له هذا المعنى لأعرابى حلف أنه ماسمعه

أخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى قال حدّثنى إسحاق بهذا الخبر، فذكر مثل ماذكره من قدّمت الرواية عنه، وزاد فيه : فقال لى علىّ بن يحيى بعَقِب هذا الخبر : كان إسحاق يُعْجَب بهذا المعنى ويكرره فى شعره، ويرى أنه ما سُبِق إليه؛ فمن ذلك قوله :

صــــوت

أيّهــا الظّبيُ الغَــرِيرُ * هــل لنا منــك مُجِيرُ

إنّ ما نوّلتنى منــ * ـكَ وإنْ قــلَّ كثير

— لحنُ إسحاق خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى — فقلت : إنك قد سُبِقت إلى هذا المعنى، فقال : ما علمتُ أنّ أحدا سبقنى إليه؛ فأنشدته لأعرابىّ من بنى عُقَيْل :

قِفِى وَدِّعينا ياملِيحُ بنظــرةٍ * فقد حان منّا يا مليح رحيــلُ

---

(١) جزم الفعل هنا لضرورة الشعر. (٢) الخسروانى : نوع من الثياب منسوب الى خسرو شاه من الأكاسرة.

أليس قليــلًا نظرةٌ إنْ نظرتُها * إليك وكلَّا ليس منك قليــل
عُقَيْلِيَّــةٌ أمّا مَلاثُ(١) إزارها * فوَعْثٌ وأما خَصْرها فضئيل

صـــوت

أيا جنّةَ الدنيـا ويا غايةَ المُنَى * ويا سُؤْلَ نفسى هل إليك سبيلُ
أراجعــةٌ نفسى إلىّ فأغتدى * مع الرَّكْب لم يُقْتَل عليك قتيل
فما كلَّ يومٍ لى بأرضك حاجةٌ * ولا كلَّ يومٍ لى إليك رسول

قال : فحلف أنه ما سمِع بذلك قطُّ . قال علىّ بن يحيى : وصــدق ، ماسمع بها . الغناء فى الأبيات الأخيرة من أبيات العُقَيْلىّ .

عاتبه ابراهيم بن المهدي فى ترك المجىء له فكان بينهما حوار لطيف

حدّثنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الحسين(٢) بن محمد بن أبى طالب الدِّينارىّ بمكة قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال :

عاتبنى إبراهيم بن المهدىّ فى ترك المجىء إليه، فقال لى : مَنْ جمع لك مع المودّة الصادقة رأيًا حازما، فاْجمعْ له مع المحبة الخـالصة طاعةً لازمة ؛ فقلت له : جعلنى الله فداك ، إذا ثبتتِ الأصول فى القلوب، نطقتِ الألسن بالفروع، والله يعلم أنّ قلبى لك شاكر، ولسانى بالثناء عليك ناثر(٣)، وما يظهر الودّ المستقيم ، إلا من القلب

---

(١) ملاث الشىء : الموضع الذى يدار فيــه ذلك الشىء و يلف . وملاث الإزار : مادون الخصر أى العجز وما تحته . ووعث : لين، يقـال : امرأة وعثة ، ووعثــة الأرداف ، كأن الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول هنا : « الحسن » ، ولعل هــذا تحريف ، اذ سيأتى فى جميع الأصول : «الحسين بن طالب» . والظاهر من مقارنة الأسانيد بعضها ببعض فى عدة أخبار هنا أن «الحسين بن طالب» هو «الحسين بن محمد بن أبى طالب الدينارىّ» . على أنه يبق من بعد ذلك : أجدّه « طالب » أم « أبو طالب » . (٣) فى ا ، ء ، م : « ناطق » .

السليم؛ قال : فأَبْرِئْ ساحتَك عندى بكثرة مجيئك إلىّ؛ فقلت : أجعل مجيئى إليك فى الليل والنهار نُوَبًا أتيقّظ لها كتيقّظى للصلوات الخمس، وأكون بعد ذلك مقصّرًا؛ فضحك وقال : من يقـدر على جواب المغنّين ! ، فقلت : مَن اتخذ الغناءَ لنفسه ولم يتخذه لغيره؛ فضحك أيضا، وأمر لى بخِلَع ودنانيرَ و بِرْذَوْن وخادم . و بلغ الخبرُ المعتصمَ، فضاعف لإبراهيم ما أعطانى، فرُحتُ وقد رِبحت وأربحتُ .

عتب عليه الفضل بن الربيع فكتب إليه

حدّثنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الدِّينارىّ قال حدّثنى إسحاق قال :

عتَب علىّ الفضلُ بن الرَّبيع فى شىء بلغه عنّى؛ فكتبت إليه : «إنّ لكل ذنب عفوًا وعقوبة؛ فذنوب الخاصة عندك مستورة مغفورة، فأمّا مثلى من العامّة فذنبه لا يُغفر، وكسره لا يُجبر؛ فإن كنت لا بدّ معاقِبِى فإعراضٌ لا يؤدّى إلى مقت» .

جواب الأعرابىّ الذى كان عنده الفضل بن الربيع حين سأله عما كانوا فيه

حدّثنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الدِّينارىّ قال حدّثنى إسحاق قال : ٧٧/٥

كان يختلف إلىّ رجلٌ من الأعراب ، وكان الفضل بن الربيع يقـرّبه و يستظرف كلامَه ، وكان عندى يومًا وجاء رسول الفضل يطلبه فمضى إليه؛ فقال له الفضل : فيم كنتم؟ قال : كنّا فى قِدْرٍ تَفُور، وكأس تَدُور، وغناء يَصُور(١)، وحديث لا يَحُور(٢) .

كان يصنع الشعر وينحله الأعراب

حدثنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الحسين بن طالب(٣) قال :

كان إسحاق يقول الشـعر على ألسن الأعراب ، و ينشده للأعراب ، وكان يُعَايِى بذلك أصحابَه ويُغْرِب عليهم به؛ فمن ذلك ما أنشدنيه لأعرابىّ :

---

(١) يصور : يصوت . (٢) لا يحور : لا يرجع؛ يريد أنه دائما مجدّد على غير معاد . وفى م : «لا يجور» بالجيم . (٣) تراجع الحاشية رقم ٢ من الصفحة السالفة .

لَفَظ الخُـدورُ عليكَ حُوراً عِيناً * أَنسَينَ ما جمع الكِناسُ قَطِينا (١)
فإذا بَسَمْنَ فَعَنْ كمثلِ غَمامــةٍ * أو أُقْحُـوانِ الرمـلِ باتَ مَعِينـا (٢)
وأَصَحُّ من رأتِ العيـونُ محاجِراً * ولهنّ أمرضُ ما رأيت عيـونا
وكأنمـا تلك الوجـوهُ أهِـلّةٌ * أَقْمَـرْنَ (٣) بين العَشْرِ والعشرينا
وكأنهنّ إذا نَهَضْنَ لحـاجةٍ * ينهضن بالعَقِدَاتِ (٤) من يَبْرِينـا

قال : وأنشدنى أيضا مما كان يَنسُبه إلى الأعراب وهو له :

ومكحـولة العينين من غير ما كُحْلٍ * مُهَفْهَفَة الكَشْحَين ذات شَوًى خَدْلِ (٥)
مُنَعَّمَةَ الأطـراف مُفْعَمة البُرَى (٦) * روادفُها تَحكِى الدَّهاسَ (٧) من الرملِ
صَيُودٍ لألبـاب الرجال، متى رنَتْ (٨) * إلى ذى نُهًى جَلْدِ القُوَى وافرِ العقلِ
تخلَّى النُّهى عنـه وحالفـه الصِّبا * وأسلمه الرأىُ الأصيلُ إلى الجهـلِ

---

(١) لفظ : أخرج . والقطين : اسم جمع لقاطن ، وهو من قطن بالمكان اذا أقام به وتوطنه .

(٢) معين : ريان ، يقال : معن الموضع والنبت (بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع) اذا روى من المـاء . ويقال : معن المطر الأرض اذا تتابع عليها فأرواها . فيحتمل هنا أن يكون «معين» فعيلا بمعنى فاعل على المعنى الأوّل ، وأن يكون فعيلا بمعنى مفعول على المعنى الثانى ، أى تتابع عليه المطر فأرواه .

(٣) أقمر الهلال : صار قمرا . (٤) العقدات : جمع عقدة (بفتح فكسر و بالتحريك لغة) وهى ما تراكم من الرمل وتعقد . ويبرين : من أصقاع البحرين ، وهناك الرمل المعروف بالكثرة . والظاهر أنه يريد أن يصف أعجازهن بالضخامة حتى كأنهن اذا نهضن ينهضن بكثبان يبرين . يشبه أعجازهن بالكثبان . وفى الأصول : «بالعقرات» بالراء المهملة ، وهو تحريف . (٥) الشوى : الأطراف . وخدل (بالخاء المعجمة والدال المهملة) : ممتلئ ضخم ، أى هى ممتلئة الذراعين والساقين . وفى الأصول : «جدل» بالجيم ، والتصويب للأستاذ الشنقيطى فى نسخته . (٦) البرى : جمع برة ، وهى الحلقة سوارا كانت أو خلخالا أو قرطا . يصف ذراعيها وساقيها بالامتلاء . (٧) الدهاس (بالفتح) : المكان اللين السهل الذى تغيب فيه القوائم لينه . أى إن روادفها ضخمة فى لين . ويقال : امرأة دهاس ، أى عظيمة العجيزة . (٨) فى حـ : «إذا رنت» .

شبيبة كُثْبانٍ[1] يَرُوقــك تحتها * عناقيدُ كرم جادَها غَدَق الوَبْلِ
رمتْــنى لحلّت نائطىّ[2] ولم تُصب * لها نائطىْ قلب ولا مَقتــلًا نَبْلِى

أنشد الرشيد شعرا له فأعجبه وأجازه

حدّثنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حُدّثت عن الأصمعىّ قال :

دخلت أنا وإسحاق الموصلىّ يومًا على الرشـيد فرأيناه لَقِسَ[3] النَّفْس؛ فأنشـده إسحاق يقول :

صـــوت

وآمرةٍ بالبخل قلتُ لها اقْصِرِى * فــذلِك شىءٌ ما إليــه سبيلُ[4]
أرى الناس خُلّانَ الكرامِ ولا أرى * بَخِيــلًا له حــتّى المماتِ خليل
وإنى رأيتُ البُخل يُزْرِى بأهـله * فأكرمتُ نفسى أنْ يُقال بخيــل
ومن خير حالات الفتى لو علمتِه * إذا نال خيرًا أنْ يكون يُنيــل
فعالى فعــالُ المُكْثِرين تجمُّــلًا * ومالى كما قــد تعلمين قليــل
وكيف أخافُ الفقر أو أُحْرَمُ الغِنَى * ورأىُ أمــير المؤمنين جميــل

قال : فقال الرشيد : لا تَخَفْ إن شاء الله؛ ثم قال : لله دَرّ أبيات تأتينا بها؛ ما أشدّ أصولَها، وأحسن فُصولَها، وأقلّ فضولَها ! وأمر له بخمسين ألف درهم؛ فقال له إسحاق: وصفُك والله يا أمير المؤمنين لشعرى أحسن منه، فعلام آخُذ الجائزة! فضحك الرشـيد وقال : اجعلوها لهــذا القول مائة ألف درهم . قال الأصمعىّ :

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا ، ء ، م : «شنية» بالنون قبل الياء، وهو على كلتا الروايتين غير واضح . (٢) النائط : العرق المستبطن الصلب تحت المتن . (٣) كذا فى حـ . ولقست نفسه (من باب فرح): غثت وخبثت . وفى سائر الأصول : «لقيس النفس»، وهو تحريف . (٤) وردت هذه الأبيات فى أمالى القالى (ج ١ ص ٣١ طبع دار الكتب المصرية) مع اختلاف فى بعض الكلمات .

٧٨ / ٥

فعلمتُ يومئذ أنّ إسحاق أحذقُ بصيد الدراهم منّى . وأخبرنى بهذا الخبر جعفر بن قُدامة عن حمّاد عن أبيه، وأخبرنا به يحيى بن علىّ عن أبيه عن إسحاق فذكر معنى الخبر قريبا مما ذكره الأصمعىّ والألفاظ تختلف .

دخل على الفضل ابن الربيع ابن ابنه فقال هو فيه شعرا سره ؛ وقيل : بل قاله الفضل بن يحيى فى ابنه

أخبرنا إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق، وأخبرنى به جعفر ابن قُدامة ووَكيع عن حمّاد عن أبيه قال :

كنتُ عند الفضل بن الرّبيع يوما، فدخل إليه آبن آبنه عبدُ الله بن العبّاس ابن الفضل وهو طفل، وكان يَرِقّ عليه لأن أباه مات فى حياته، فأجلسه فى حِجْره وضمّه إليه ودَمعتْ عيناه، فأنشأتُ أقول :

صوت

مَدّ لك الله الحياةَ مَدّا * حتى يكون ابنُك هذا جَدّا

مؤزّرا بمجده مُردّى(١) * ثم يُفَدّى مثلَ ما تُفَدّى

أشبه منك سُنّة وخَدّا(٢) * وشِيَماً مَرْضيّة ومجدا

كأنه أنت إذا تَبَدّى * شمائلا محمودةً وقَدّا

قال : فتبسّم الفضلُ وقال : أمْتعنى الله بك يا أبا محمد ، فقد عُوّضتُ من الحزن سرورًا وتسلّيتُ بقولك، وكذلك يكون إن شاء الله . قال جعفر بن قُدامة : وحدّثنى بهذا الحديث علىّ بن يحيى، فذكر أن إسحاق قال هذه الأبيات للفضل بن يحيى وقد دخل عليه وفى حِجْره آبنٌ له .

---

(١) مؤزر : من الإزار . ومردّى : من الرداء . (٢) كذا فى حـ وفى سائر الأصول : «وجدا» بالجيم، وهو تصحيف . والسنة : الوجه لصقالته وملاسته، أو هى الجبهة والجبينان .

غنّى فى هذه الأبيات أبو عيسى بن المتوكّل لحناً من الرَّمَل، يقال : إنه صنعه وقد وُلد للمعتمد ولدٌ ثم غنّى به . وأخبرنى ذُكَاء وجه الرزّة عن بِذْعة الكبيرة : أنّ الرمل لعَرِيبَ، وأنّ لحن أبى عيسى خفيفُ رملٍ .

دخل على الفضل ابن الربيع عائدا وقال فيه شعرا كرّ الفضل به

حدّثنى عمّى قال حدّثنى الفضل بن محمد اليَزيدىّ عن إسحاق قال :

أتيتُ الفضل بن الربيع يومًا عائدا وجاءه بنو هاشم يعودونه ؛ فقلت فى مجلسى ذلك :

إذا ما أبو العباس عِيدَ ولم يَعُد * رأيتَ مَعُودًا أكرَمَ الناسِ عائدَا
وجاء بنو العباس يبتدرونه * مِراضًا لما يشكوه مَثْنَى وواحدا
يُفَدّونه عند السلامِ وكلُّهم * مُجِلٌّ له يدعوه عمًّا ووالدا

قال : وكان الفضل مضطجعًا، فأمر خادما له فأجلسه، ثم قال لى : أعِد يا أبا محمد فأعدتُ، فأمرنى فكتبتُها، وسُرَّ بها وجعل يردّدها حتى حفظها .

غضب عليه الفضل ابن الربيع مرة فاسترضاه بشعر

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال أخبرنى أبى قال قال إسحاق، وأخبرنى الحسن ابن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله ابن مالك[(1)] عن إسحاق قال :

جاءنى الزُّبير بن دَحْمان يومًا مسلِّما فاحتبسته؛ فقال لى : أمرنى الفضل بن الربيع بالمسير إليه ؛ فقلت له :

أقِمْ يا أبا العوّام وَيْحك نَشْرَبِ * ونَلْهُ مع اللاهين يومًا ونَطْرَبِ
إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خيرُه * فخُذْه بشكرٍ واترُكِ الفضلَ يغضَبِ

(١) كذا فى حـ ، وقد ورد كذلك فى الأصول فى غير هذا الموضع غير مرة . وفى سائر الأصول هنا : « ابن أبى مالك » ، وهو خطأ .

فأقام عندى وسُرِرنا يومَنا، ثم صار إلى الفضل، فسأله عن سببِ تأخّره عنه، فحدّثه الحديثَ وأنشده البيتين، فغضِب وحوّل وجهَه عنّى، وأمر عوناً حاجبَه بألّا يُدخلنى إليه ولا يستأذنَ لى عليه ولا يُوصِلَ لى رقعةً، فقلت :

حرامٌ علىّ الكأسُ ما دُمتَ غضباناً * وما لم يعُــد عنّى رضاك كما كانا ٧٩/٥
فأحسِنْ فإنّى قــد أسأتُ ولم تَزَلْ * تُعوّدنى عنــد الإساءة إحسانا

قال : وأنشدته إيّاهما، فضحك ورضى عنّى وعاد إلى ما كان عليــه . وقد أخبرنى بهذا الخبر محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، فذكر مثلَه وزاد فيه : فقلت فى عَوْن حاجبه :

عَوْنُ يا عونُ ليس مثلَك عونُ * أنت لى عُــدّةٌ إذا كان كَوْنُ
لك عندى والله إن رَضِى الفضـ * ـل غلامٌ يُرضيــك أو بِرْذَوْنُ

قال : فأتى عَوْنٌ الفضــلَ بالشــعرَيْن جميعاً، فقرأهما وضحك وقال : وَيْحك ! إنمـا عرض لك بقوله : "غلامٌ يُرضيك" بالسّوءة، قال : قد وعدنى ما سمعت، فإن شئتَ أن تحرِمنيه فأنت أعلم ! فأمره أن يُرسِل إلىّ، فأتانى رسولُه فصرتُ إليه فرضى عنّى .

أخبرنى جَحْظة قال حدّثنى محمد بن أحمــد بن يحيى المكّىّ المرتجِل قال حدّثنى أبى قال حدّثنى الزُّبَير بن دَحْمان قال :

دخلتُ يوماً على الفضــل بن الرَّبيع مُسلِّماً، فقال لى : قد عزمتُ غداً على الصَّبُوح، فصِر إلىّ بُكرةً، فكنت أنا والصبحُ كفرَسَىْ رِهان، فلما أصبحتُ فى غدٍ جعلتُ طريقى على إسحاق بن ابراهيم فدخلت إليــه، فلمـا جلستُ قال لى : أَقِم اليومَ عندى، فعرّفته خبرى، فقال :

أقِمْ يا أبا العَـوّام وَيْحَكَ نشربِ * ونَلْهُ مع اللّاهين يومًا ونطـــربِ
إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خيرُه * فخذه بشكرٍ واتركِ الفضل يغضبِ

فقلت : إنى لا آمَنُ غضبَه، وأنا بين يديك؛ فقال لى : أنت تعلم أن صَبوح الفضل أبدًا فى وقت غَبُوق الناس، فأقِمْ وارْفُقْ بنفسك ثم آمضِ إليه ؛ فأجبته إلى ذلك؛ فلمّا شربنا طاب لى الموضع ، فأقمتُ حتى سَكِرتُ . وذكر باقىَ الخبر نحوًا مما ذكر إسحاق . انتهى .

كان المغنون يجتهدون ويطمعون فى غلبه فاذا غنى هو بذهم

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى محمد بن المَكّىّ المُرْتَجِل قال: قلت لزُرْزُورٍ الكبير : كيف كان إسحاق يَنْفُقُ[1] على الخلفاء معكم وأنت وإبراهيمُ بن المهدىّ ومُخارِقٌ أطيبُ أصواتًا وأحسنُ نَغَمَةً ؟ قال : كنّا واللهِ يابنىّ نحضُر معه فنجتهد فى الغناء ونُقيم الوَهَجَ[2] فيه ويُقبل علينا الخلفاءُ، حتى نطمعَ فيه ونظنَّ أنا قد غلَبْناه، فإذا غنّى عمِل فى غنائه أشياء من مُدارَاتِه[3] وحِذْقه ولُطفه حتى يُسقطنا كلّنا ويُقبِلَ عليه الخليفةُ دوننا ويُجيزَه دوننا ويُصغِىَ إليه، ونَرى أنفسَنا آضطرارًا دونه .

هو أوّل من أحدث التخنيث فى الغناء ليوافق صوته

حدّثنا جَحْظة قال حدّثنى محمد بن أحمد المَكّىّ قال حدّثنى أبى قال :

كان المغنّون يجتمعون مع إسحاق وكلُّهم أحسن صوتًا منه، ولم يكن فيه عيبٌ إلا صوتَه فيطمعون فيه؛ فلا يزال بلُطْفه وحِذْقه ومعرفته حتى يغلِبَهم ويبُذَّهم[4] جميعا ويفضُلَهم ويتقدّمَهم . قال: وهو أوّلُ من أحدث التخنيثَ ليوافقَ صوتَه ويشاكلَه،

(١) نفق الشىء : راج ورغب فيه . ولعله هنا مضمن معنى «يغلب» لكى تصح تعديته بـ «على» .
(٢) كذا فى أكثر الأصول . والوهج : التوقد، ولعله هنا كناية عن اضطرام الأمر وحدته فيما هم فيه من شأن الغناء . وفى حـ : «الرهج» بالراء، وهو الغبار أو ما أثير منـه .
(٣) داريت الظبى مداراة : احتلت له وختلته حتى أصـيده . ولعله يريد أن إسحاق يحتال للأنغام حتى يؤلف بينها ويأتى فى ذلك بما يعجز عنه غيره .
(٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «وينبذهم» .

لجاء معه عجبًا من العَجَب، وكان فى حَلْقه نبوٌّ عن الوتر . أخبرنى يحيى بن علىّ قال أخبرنا أبو العُبَيْس[(1)] بن حَمْدون: أنّ إسحاق أوّل من جاء بالتخنيث فى الغناء ولم يكن يُعرف، و إنما ٱحتال بحذقه لمُنافرة حَلْقه الوتر ، حتى صار يُحيبه ببعض التخنيث فيكون أحسنَ له فى السمع .

كان المغنون يتهاونون فى غيبته فاذا حضر جدّوا

أخبرنا جَحْظة قال حدّثنى الهِشامىّ عن أبيه قال :

٨٠ / ٥ كان المغنّون إذا حضروا وليس إسحاقُ معهم غنّوْا هُوَيْنَى وهم غير مفكرين ؛ فإذا حضر إسحاق لم يكن إلّا الجِدّ .

قصته مع جعفر بن يحيى ونافذ حاجبه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال :

قال لى أبى وقد ٱنصرف من دار الرشيد: رأيتُ الأمير جعفر بن يحيى يَستبطِئك ويقول : لستُ أراه ولا يَغشانى؛ فقلت : إنى لآتيه كثيرا فأُحجَب عنه و يصرفنى نافذٌ حاجبُه و يقول : هو على شُغْل ؛ قال : فبلّغه أبى ذلك ؛ فقال له : قل له : أَنِكْه أُمَّه إذا فعل؛ فأقمتُ أيّاما ثم كتبتُ إليه :

جُعِلتُ فـداءكَ من كل سوءٍ * إلى حُسْن رأيك أشكو أُنَاسَا
يَحُولون بينى وبين السلام * فلستُ أُسلِّمُ إلّا ٱختلاسا
وأنفـذتَ أمرك فى نافـذٍ * فما زاده ذاك إلّا شِمَاسا[(2)]

وقد أخبرنى الخبرَ محمدُ بن مَزْيَد عن حمّاد عن أبيه، فذكَرَ مثلَه وقال : كان خادمٌ يحجُبه يقال له : نافذ، فقال : إذا حجَبك فَنِكْه ، فلما كتبتُ إليه بهذه الأبيات بعث فأحضرنى ؛ فلما دخلتُ إليه أحضر نافذًا وقرأ الأبيات عليه، وقال لى : أفعلتَها

(1) فى ب ، س ، حـ : «أبو العنبس» بالنون والباء الموحدة . (انظر الحاشية رقم ٤ ص ٩٦ ج ١ أغانى من هذه الطبعة) . (2) شماسا : عنادا .

يا عدوّ الله! فغضب نافذٌ حتى كاد يبكى، وجعل جعفرٌ يضحك ويصفّق، ثم ما عاد بعد ذلك يتعرّض لى .

غضب المأمون عليه وشك أبى الفرج فى ذلك

حدّثنى الحسين[1] بن أبى طالب قال حدّثنى عبيد الله بن المأمون، وأخبرنا اليَزيدىّ عن عمّه عُبيد الله عن أبيه قال :

غضب المأمونُ على إسحاق بن إبراهيم، ثم كُلِّم فيه فرَضِى عنه ودعا به؛ فلمّا وقف بين يديه اعتذر وقبّل الأرض بين يديه واستقاله[2]؛ فأجابه المأمونُ جوابًا جميلا، ثم قال له فى أثناء كلامه :

فلا أنتَ أعتبتَ من زلّةٍ * ولا أنتَ بالغتَ فى المَعْذِرهْ
ولا أنتَ وليّتنى أمرَها * فأغفرَ ذنبك عن مَقْدِرهْ

هكذا فى الخبر، وأظنّه إسحاقَ بن إبراهيم الطاهرىّ لا الموصلىّ .

أنشد أبا الأشعث الأعرابىّ شعرا له فأعجب به

أخبرنا الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الحسينُ بن أبى طالب قال حدّثنى إسحاقُ قال :

أنشدتُ أبا الأشعث الأعرابىَّ شعرًا لى، فقال : والذى أصوم له مخافةً ورجاءً، إنك لمن طِرازٍ ما رأيت بالعراق شيئا منه، ولو كان شبابٌ يُشترى لاشتريتُه لك ولو بإحدى يدىّ، وإنّ فى كِبَرك لَمَا زان الجليسَ وسرّه .

حديث له مع زهراء الكلابية

أخبرنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الدِّيناريّ قال حدّثنا إسحاق قال :

قالت لى زَهْراءُ الكِلابيّة : ما فعل عبدُ الله بن خُرْداذْبه؟ فقلتُ : مات؛ فقالت : غيرَ ذميم ولا لئيم، غفر اللهُ لصَداه[3]، لقد كان يُحبّك ويُعجبه ما سرّك . قال : فقلتُ لزَهْراء : حدّثينى عن قول الشاعر :

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «الحسن» . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٩ من هذا الجزء) .
(٢) استقاله : طلب منه أن يقيله . (٣) الصدى : جسد الإنسان بعد موته .

أحبّك أنْ أخبرتُ أنّكِ فارِكٌ[1] * لزوجِك إنّى مُولَعٌ بالفوارِكِ

ما أعْجَبه من بغضها لزوجها؟ فقالت: عرّفته أنّ فى نفسها فضلةً من جمال وتمنّعا بأنفها وأُبّهةً، فأعْجبته.

غنى المعتصم وهو لقس النفس فأطربه فأجازه

أخبرنى علىُّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حُدِّثتُ عن غير واحد:

أنّ إسحاق الموصلىّ دخل على المعتصم يومًا من الأيّام فرآه لقِس النّفْس[2]، فقال له: أمَا ترى يا أمير المؤمنين طِيبَ هذا اليوم وحُسْنَه! ؛ فقال المعتصمُ: ما يدعونى حسْنُه الى شىء مما تريد ولا أنشَطُ له؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إنه يومُ أكلٍ وشُربٍ، فأشرب حتى أُنْشِطَك؛ قال: أوَ تفعل؟ قال: نعم؛ قال: ياغلمان، قدّموا الطعامَ والشرابَ ومُدّوا الستارةَ، وأحْضِروا الندماءَ والمغنّين؛ فأُتى بالطعام فأكل وبالشرابِ فشرب وحضر الندماءُ والمغنّون؛ فغنّاه إسحاق:

81/5

صوت

سُقِيتَ الغيثَ ياقصرَ السلامِ * فنِعْم محَلّةُ المَلِك الهُمَامِ

لقد نَشر الإلهُ عليك نُورًا * وخصّك بالسّلامة والسلامِ

— الشعرُ والغناءُ لإبراهيم الموصلىّ رَمَلٌ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حَبَشٌ أنّ فيه للزُّبير بن دَحْمان لحنًا من الرَّمَل بالوسطى — قال: فطرِب المعتصمُ وشرب شربًا كثيرا، ولم يبقَ أحدٌ بحضرته إلّا وصَله وخلَع عليه وحمَله؛ وفَضّل إسحاقَ فى ذلك أجمع.

(١) الفارك من النساء: التى تبغض زوجها.

(٢) فى ب، س: «لقيس النفس» بالياء بعد القاف، وهو تحريف.

أول جائزة نالها من الرشيد ألف دينار

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ٱبن مَهْرويه قال حدّثنا ٱبنُ أبى سعد قال حدّثنا علىّ بن الصبّاح عن إسحاق قال :

أوّلُ جائزة أخذتُها من الرشيد ألفُ دينـار فى أوّل يوم دخلتُ إليـه فغنّيتُه :

* عَلِق القلبُ بِزَوْعا(١) *

فٱستحسنه وٱستعاده ثلاثَ مرّات وشرب عليه ثلاثةَ أرطالٍ وأمر لى بألف دينار؛ فكان أوّلَ جائزةٍ أجازَنيها .

أبى القدح من يد غلام قبيح الوجه وقال شعرا فجىء له بوصيفة

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال :

كان أبى ذاتَ يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب، فلمـا جلسوا للشراب جعل الغِلْمانُ يَسـقُون مَنْ حضَر، وجاء غلامٌ قبيحُ الوجه إلى أبى بقَدَح نبيذٍ فـلم يأخذه، ورآه إسحاق فقال له : لِمَ لا تشرب ؟ فكتب إليه أبى :

إصْـبَحْ نديمَك أقـداحًا يُسَلْسِلُها * من الشُّـمُول(٢) وأتبِـعْها بأقـداحِ
من كفِّ رِيمٍ مَليحِ الدَّلِّ رِيقتُـه * بعـد الهُجُوعِ كمِسْـكٍ أو كتُفّاحِ
لا أشربُ الرّاحَ إلا من يدىْ رَشَأٍ * تقبيـلُ راحتِـه أشهى من الرّاحِ

فضحك وقال : صـدَقتَ والله ، ثم دعا بوصيفةٍ كأنها صورةٌ، تامّةُ الحسن لطيفةُ الخَصْر فى زِىّ غُلام عليها أقْبِيَةٌ(٣) ومِنْطَقةٌ، فقال لها : تَوَلَّىْ سَقْىَ أبى محمد؛ فما زالت تَسقيه حتى سكِر؛ ثم أمر بتوجيهها وكلِّ مالَها فى داره إليه، فحُمِلتْ معه .

كانت بينه وبين زهراء الكلابيـة مودة فكتبت اليه شعرا فرد عليها

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعـد قال حدّثنى علىّ بن الصَّبّاح قال :

---

(١) زوع : من أسماء النساء . (٢) الشمول : الخمر . (٣) الأقبية : (جمع قباء بالفتح) وهو ثوب يلبس فوق الثياب ، وقيل : ثوب يلبس فوق القميص و يتمنطق عليه .

كانت آمرأةٌ من بني كلاب يقال لهـا زَهْراء تحبّت إسحاقَ وتُناشدُه، وكانت تَميل إليه، وتَكْني عنه في عشيرتها إذا ذكَرَتْه بجُمْل، قال: فحدّثني إسحاقُ أنها كتبتْ إليه وقد غابت عنه تقول:

وَجْدي بجُمْـــل على أنّي أُجَمْجِمُـــه(1) * وجدُ السَّـــقيم بِبُرءٍ بعـــد إدْنافِ
أو وجدُ ثَكْلَى أصاب الموتُ واحدَها * أو وجدُ مُغـــتربٍ من بين أُلّاف

قال: فأجبتُها:

أَقْرِ السلامَ على الزَّهْراء إذ شَحَطَتْ * وقُلْ لهـا قد أذَقْتِ القلبَ ما خافَا
أَمَا رَثَيْتِ لمن خلّفتِ مُكتئبًا * يُذْرِي مدامعَـــه سَحًّا وتَـــوْكافا(2)
فما وَجَدْتُ على إلفٍ أُفارقُـــه * وجْدي عليـــك وقد فارقتُ أُلّافا

أنشد محمد بن عبد الله بن مالك شعرا فسأله عن قصته فلم يخبره

أخبرني عمّي قال حدّثني عبدُ الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال أنشدني إسحاقُ لنفسه:

٨٢ / ٥

سـقَى اللهُ يوم المَـاوَشانِ(3) ومجلسًا * به كان أحْلَى عندنا من جَنَى النَّحلِ
غَداةَ آجتنينا اللّهوَ غضًّا ولم نُبَلْ(4) * حِجَابَ أبي نصر ولا غَضْبةَ الفضلِ
غَـــدَوْنا صِحاحا ثم رُحْنا كأنّنـا * أطاف بنا شرٌّ شـــديدٌ من الخَبْلِ

فسألتُه أن يكتبها ففعل، فقلت له: ما حديث المَـاوَشان؟ فضحك وقال: لو لم أكْتُبك الأبياتَ لمـا سألتَ عما لا يَعْنيك، ولم يخبرني.

(1) أجمجمه: أكتمه وأخفيه. (2) يقال: وكف الدمع توكافا، إذا سال وقطر قليلا قليلا. (3) كذا في حـ ومعجم البلدان لياقوت، وهو ناحية وقرى في واد في سفح جبل أروند من همذان، وهو موضع نزه فرح. وفي سائر الأصول «الماوسان» بالسين المهملة، وهو تصحيف. (4) لم نبل: أصله نبالي، حذف حرف العلة للجازم ثم سكنت اللام للتخفيف، كما حذفت النون في «لم يك» بعد تسكينها، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين.

كان ابن الأعرابى يعجب بـه ويستحسن شـعراله

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنى أحمد بن الحارث وأبو مسلم عن ابن الأعرابىّ :

أنه كان يَصِف إسحاق الموصلىّ ويُقرّظه ويُثْنِى عليه ويذكر أدبَه وحِفْظَه وعلمَه وصدقَه، ويَستحسن قولَه :

صـــوت

هل إلى أن تنامَ عيـنى سبيلُ * إنّ عهدى بالنوم عهـدٌ طويلُ
غاب عنّى من لا أُسمّى فعيـنى * كلَّ يوم وجْدًا عليـه تَسِيل

ــ الشـعرُ والغناءُ لإسحاق رَمَلٌ بالوُسْـطى ــ قال : وكان إسحاقُ إذا غنّاه تَفيض دموعُه على لحيته ويبكى أحرَّ بكاء . وأخبرنا به يحيى بن علىّ عن أبيه عن إسحاق . وحديثُ موسى عن حمّـاد أتمُّ، واللفظُ له .

أوّل صـوت وآخر صوت صنعه

أخبرنى الصُّولىّ والحسن بن علىّ قالا حدّثنا محمـد بن موسى عن حمّـاد بن إسحاق قال :

أوّلُ صوت صنعه أبى :

إنى لأَكْنِي بأجبالٍ عن اَجبُلِها * وبِاَسم أَوْدِيـةٍ عن اسم وادِيها

وآخر صوت صنعه مختاراً :

قِفْ نُحَيِّ المَغَانِيَا * والطُّلولَ البواليـا

ثم قطع الصنعةَ حتى أمره الواثقُ بأن يعارضَ صنعته فى :

* لقد بَخِلتْ حتى لَوَ اَنّى سألتُها *

اتهمه المغنون بانتحال غناء أبيه بعد وفاته فامتحنه الرشيد ثم أذعنوا

قال حمّـاد وحدّثنى أبى قال :

كان المغنّون يَحسُدونى مُذ كنتُ غلاما، فلمّا مات أبى صنعتُ هذا الصوتَ، فهو أوّل صوت صنعتُه بعد وفاته، وهو :

أمِنْ آل ليلَى عَرفتَ الطُّلولا * بذى حُرُضٍ ماثلاتٍ مُثُولَا (١)

فقالوا للرشيد : هذا من صنعة أبيه فقد ٱنتحله ؛ فقال لى الرشيدُ فى ذلك ؛ فقلتُ : هـذا ومائةٌ بعده خيرٌ منه لهم ؛ فقال : اصنع فى شعر الأخطل :

أعاذِلَتىّ اليــومَ وَيْحكما مَهْــلَا * وكُفّا الأذَى عنّى ولا تُكثِرا العَذْلَا

فصنعتُ فيه كما أمرنى ؛ فلمّا سمعوا بذلك وما جاء بعده أذْعنوا ، وزال عن قلب الرشيد ما كان ظنّه بى . وقد ذكر غيرُ حمّاد أنّ اللحن الذى ٱختبره به الرشيدُ قولُه :

كنت صبًّا وقلبِىَ اليومَ سالٍ * عن حبيبٍ يُسىء فى كل حال

وذكر أنّ الفضل بن الرّبيع قال الشعرَ فى ذلك الوقت ودفعه إليه وأمره الرشيدُ أن يصنع فيه ففعل . وأخبرنى بذلك محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق ، وأخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد قال :

أوّلُ ما سمعه الرشيد من غناء أبى : ٨٣ / ٥

ألم تسألْ فتُخبرَكَ المَغَــانى * وكيف وهنّ مُدْمِجَج ثمانى

بَرِئْتُ من المنازل غيرَ شوق * إلى الدار التى بلِوَى أَبانِ

ديارٌ للّتى لجــلجْتُ فيهــا * ولو أعربْتُ لجّ بهــا لسانى

فكادَ يَظَلّ للعينين غَرْبٌ * برَبْعَىْ دِمنــةٍ لا يَنْطِقــان

قال : فحدّثنى أبى أن المغنّين قالوا للرشيد : هذا من صنعة أبيه ٱنتحله بعد وفاته ؛ فقلت له : أنا أَدَعُ لهم هذا ومائةَ صوتٍ بعده ؛ ثم نظروا إلى ما جاء بعد ذلك فأذْعنوا .

---

(١) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٠ من هذا الجزء .

نسبة ما فى هذه الأخبار من الغناء

صـــــوت

قِفْ نُحَيِّ المَغانيَـا * والطُّـلولَ البَواليَـا
وعلى أهلهـا فنُـحْ * وابْكِ إن كنتَ باكيا

الشعر لابن ياسين . والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

صـــــوت

أمن آلِ ليلَى عرفْتَ الطُّلولَا * بذى حُرُضٍ ماثِلاتٍ مُثولَا
بَلِيـنَ وتحسَبُ آياتِهِنَّ عن فَرْطِ حولَيْن رَقًّا مُحِيلا

الشعر لكعب بن زُهَير[1] . والغناءُ لإسحاق ثانى ثقيلٍ بالبنصر .

صـــــوت

أعاذلتىَّ اليـومَ وَيْحَكما مَهْـلَا * وكُفّا الأذى عنّى ولا تُكْثِرا العَذْلا
دعانى تَجُـدْ كفّى بمـالى فإننى * سأُصبح لا أَسْطيع جُودا ولا بُخْلا
إذا وضعوا فوق الصَّفيح[2] جنـادلًا * علىّ وخلّفتُ المَطِيّـةَ والرَّحلا
فـلا أنا مجتـازٌ إذا ما نزلتُـه * ولا أنا لاقٍ ما ثَوَيْتُ به أهـلا

الشعر للأخطل، والغناء لإسحاق، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

صـــــوت

إنّى لأَكْنِي بأجبال عَنَ اَجْبلِها * وبآسم أوديةٍ عن اسم واديها
عَمْدًا لِيَحْسَبَها الواشون غانيـةً * أخرى وتحسَبَ[3] أنّى لا أُباليها

(١) انظر الحاشية رقم ٤ ص ٢٩٠ من هذا الجزء. (٢) الصفيح: حجارة رقيقة عريضة يسقف بها القبر.
(٣) المعنى مع نصب الفعل واضح، وهو أنه يريد أن يعمى عليها كما عمى على الواشين فيجعلها تحسب أنه لا يباليها. ولا يبعد أن يرفع الفعل على أن يكون المعنى أنه ينسبها إلى الخطأ فى هذا الظن وينكره عليها.

ولا يُغيِّر وُدّى أن أهاجرها * ولا فراقُ نَوًى فى الدار أنويها
وللقَلُوصِ ولِى منها إذا بَعُدتْ * بوارحُ الشّوق تُنْضِينى وأُنْضيها

الشعر لأعرابىّ ، والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالبِنصر .

حديثه مع الواثق بشأن الأهزاج من الأغانى

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى أبو عبد الله أحمد بن حَمْدون قال :

قال إسحاق للواثق يوماً : الأهزاج من أَمْلح الغناء؛ فقال الواثق : أمّا إذا كانت مثلَ صوتك :

إنّى لأَكْنى بأَجْبال عَنَ اَجْبُلِها * وبِاَسْم أوديةٍ عن اسم واديها

فهى كذلك .

غنى لطلحة بن طاهر مراراً وأخذ جوائزه

قال أحمد بن أبى طاهر حدّثنى أحمد بن يحيى الرازىّ عن محمد بن المُثَنّى عن الحجّاج بن قُتَيبة بن مُسْلم قال :

٨٤ / ٥

قال إسحاق : بعث إلىّ طَلْحَةُ بن طاهر وقد آنصرف من وقعة للشُّراة[1] وقد أصابته ضربة فى وجهه ؛ فقال لى الغلام : أجِبْ؛ فقلت : وما يعمل ؟ قال : يشرب؛ فمضيت إليه فإذا هو جالسٌ قد عصب ضربتَه وتَقَلْنَس بقَلَنْسُوة؛ فقلت له : سبحانَ الله أيها الأمير ! ما حملك على لُبْس هذا؟ قال : التبرّم بغيره، ثم قال : غنّ :

* إنّى لأَكْنى بأَجْبال عن اَجْبُلها *

قال : فغنّيتُه إياه، فقال : أحسنتَ والله! أَعِدْ ! فأعدتُ وهو يشرب حتى صلّى العَتَمة وأنا أُغنّيه؛ فأقبل على خادم له بالحَضْرة وقال له : كم عندك ؟ قال : مقدارُ سبعين ألف درهم؛ قال : تُحْمَل معه . فلمّا خرجتُ من عنده تبِعنى جماعةٌ من الغِلْمان يسألونى، فوزّعتُ المال بينهم ؛ فرُفِع الخبر إليه فأغضبه ولم يوجّه إلىّ ثلاثاً؛ فجلستُ ليلا وتناولت الدّواةَ والقِرْطاسَ فقلت :

(١) الشراة : الخوارج .

علّمنى جُـودُك السّماحَ فما * أبقيتُ شيئاً لدىّ من صِلَتِكْ
لم أُبقِ شـيئاً إلا سَمحتُ به * كأنّ لى قُـدرةً كقـدرتك
تُتلف فى اليوم بالهبات وفى الـ * ـساعة ما تجتنيـه فى سنتك
فلستُ أدرى من أين تُنفق لو * لا أنّ ربّى يجزى على صِلتك

فلما كان فى اليوم الرابع بعث إلىّ ، فصِرتُ إليه ودخلت عليه فسلّمت ؛ فرفع بصرَه إلىّ وقال : اسقُوه رطلا فسُقِيتُه، وأمر لى بآخَر وآخرَ فشربتُ ثلاثا، ثم قال لى : غنّ :

* إنى لأ كنى بأجبال عن أجبلها *

فغنّيتُه ثم أتبعتُه بالأبيات التى قلتها ،وقد كنتُ غنّيتُ فيها لحنا فى طريقة الصوت ، فقال : ادنُ فدنوت، وقال : اجلس فجلست، فآستعاد الصوتَ الذى صنعتُه فأعدتُه . فلما فهِمه وعرَف معنى الشعر قال لخادم له : أحضِرنى فلانًا فأحضره، فقال : كم قِبَلَك من مال الضِّياع؟ قال : ثمانُمائة ألف درهم، فقال : احضُرْ بها الساعةَ ، فجىء بثمانين بَدْرة ، فقال لخادم : جئنى بثمانين غلاماً مملوكا ، فأُحضِروا ، فقال : احملوا هـذا المـال، ثم قال : يا أبا محمد ، خذ المـال والممـاليك حتى لا تحتاج أن تُعطِى لأحد منهم شيئا .

مهاجاته محمد بن راشد وما كان بينهما

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الحسين بن محمد بن طالب قال :

كان إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ كثيرَ الغِشْيان لإسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب والحضورِ لسَمَره، وكان إسحاق بن إبراهيم يرى ذلك له ويُسْنِى جوائزَه ويُواتِر(١) صِلاتِه ويشاوره فى بعض أموره ويسمع منه ؛ فأُصيب إسحاقُ ببصره قبل موته بسنتين ،

(١) يواتر : يتابع.

فترك زيارةَ إسحاقَ وغيرِه ممن كان يغشاهم ولَزِم بيتَه . وخرج إسحاق يومًا إلى بستان له بباب قُطْرَبُّل وخرج معــه ندماؤه وفيهم موسى بن صالح بن شَيْخ(1) بن عُمَيرة ومحمد ابن راشــد الخنّاق والحَرّاني ؛ فجرى ذكرُ إسحاقَ الموصليّ ، فتوجّع له إسحاق وذكر أُنسه(2) به وتمنّى حضورَه ، وذكر[ه] القومُ فأطنبوا فى نشر محاسنه وشيّعوا ما ذكره به إسحاقُ بما حَسُن موقعُه لهم عنده ؛ وذكره محمد بن راشد ذكرا لم يحمده أصحابه عليه ، وزجره إسحاق ، فأمسك عنه ؛ فلما آنصرفوا من مجلسهم نُمِيَ إلى إسحاق الموصليّ ما كان فيه القوم فى يومهم وما جرى من ذكره ؛ فكتب إلى موسى بن صالح :

أَلا قُلْ لموسَى الخيرِ موسى بنِ صالحٍ * ومَنْ هو دون الخَلْقِ إلْفِي وخُلْصَانِي(3) ٨٥/٥
ومَنْ لو سألتَ الناس عنه لأجمعوا * على أنه أفتَى(4) مَعَــدٍّ وقَحْطان
لعَمْرِى لئن كان الأميرُ تمنّانى * بمجلس لذّاتٍ ونُزْهَــةِ بُستان
لقـد زادنى ما كان منــه صَبَابةً * وجَدّدَ لى شوقًا إليــه وأبكانى
وما زال ممتنًّا عـلىّ يَخُصّــنى * بما لستُ أُحصِى من أيادٍ وإحسان
هو السـيّد القَرْم الذى ما يُرَى له * من النّـاس إن حصّلته أبدًا ثانى
نَمَتْــه رَوَابى مُصْـعَب ويَنِى له * كريمُ المَساعى فى أُرُومته بانى
يَعِــزّ علىّ أن تفوزوا بقُربه * ولستُ إليــه بالقريب ولا الدّانى
فياليتَ شـعرى هل أَرُوحَنّ مَرّةً * إليــه فيلقانى كما كان يلقانى

---

(1) كذا فى ى . وفى حـ ، م : «شيخ عميرة» . وفى أ ، ب ، سـ : «سنح بن عميرة» بالسين والنون والحاء المهملة ، وكلاهما تحريف . (راجع الطبرى فى اسمى موسى بن صالح بن شيخ وعميرة أبى شيخ بن عميرة الأسدى قسم ٣ ص ١٦٤١ ، ٩٣٥) . (2) فى جميع الأصول : «وذكر أنسه كان به» . وظاهر أن كلمة «كان» هنا مقحمة . (3) الخلصان : الخالص من الأخدان ، يستوى فيه الواحد والجمع ، يقال : هم خلصانى ، وهو خلصانى . (4) أفتى : أفعل تفضيل من الفتوة وهى الكرم والمروءة .

وهل أرَيَنْ يومًا غَضارة مُلْكه * وسلطانه لا زال فى عزّ سلطان
وهل أسمَعَن ذاك المُزاحَ الذى به * إذا جئتُــه سلَّيتُ همّى وأحزانى
إذا قال لى "يا مَرْدَ مَىْ خَرْ" وكَرّها * علىّ وكنّانى مُزاحًا[(١)] بصفوان

(هذا كلام بالفارسية تفسيره : يا رجل آشرب النبيذ)

فيالكَ من مَلْهًى أنيقٍ ومجلسٍ * كريمٍ ومن مَزْحٍ كثيرٍ بألوان
وهل يَغْمِزَنْ بى ذو الهَنَات ابنُ راشد * وذاك الكريمُ الجَدِّ من آل حَرّان
وهل أرَيَنْ موسى الكريمَ ابنَ صالح * يُنازعنى صوتًا إذا هو غنّانى

(يريد الغناء فى :

فلم أرَ كالتّجميرِ مَنْظَرَ ناظرٍ * ولا كليالى النَّفْرِ أفتنّ ذا هوى)

إذا صاح بالتجمير ثم أعاده * بتحقيق إعراب صحيح وتِبْيان
أولئك إخوانى الذين أُحِبّهم * وأُوثرهم بالودّ من بين إخوانى
وما منهمُ إلّا كريمٌ مهذّبٌ * حبيبٌ إلى إخوانه غيرُ خَوّان

فأجابه محمد بن راشد :

بعثتَ بشعر فيه أنّ رسالةً * أتتك لموسى عن جماعة إخوان
بشوق وذكرٍ للجميل ولم يكن * لموسى لعَمْرى فى سَلامته ثانى
ولكن نَطَقْنا بالذى أنت أهلُه * وما تستحقّ من صديقٍ ونَدْمان
وموسى كريمٌ لم يُحِطْ بك خُبْرُه[(٢)] * تَكَبُّرِ نَدامَى قد بلَوْكَ وإخوان
ولو قد بلاك قال فيك كقول مَنْ * فسَدْتَ عليه من خليل وخُلْصان
ولم يَعْرُه شوقٌ إليك ولم يَجِدْ * لِفَقْدِك مسًّا عند نُزهة بستان

---

(١) فى حـ : «مرارا» . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «خبرة» .

حَمِدتَ النَّدامى كلَّهم غيرَ إنسان[1] * أَلَا إنما يَجْنِي على نفسه الجاني
فلا تَعتِبِ الإخوانَ من بعدها فما[2] * تَنَقُّصُ إخوانِ المودّة من شاني

قال : فأجابه إسحاق :

عجِبتُ لمخذولٍ تعرّض جانيًا[3] * لِلَيْثٍ أبي شِبْلَين من أُسْدِ خَفّانِ[4]
أتانا بشعرٍ قاله مثلِ وجهه * تَزَخْرَفَ فيه واستعان بأعوان ٨٦/٥
فجاء بألفاظٍ ضِعافٍ سخيفةٍ * ومَضَّغها تمضيغَ أهوجَ سكران
دَعُوا الشعرَ للشيخ الذى تعرفونه * وإلّا وُسِمتم أو رُميتم بشُهبان
فإنكمُ والشعرَ إذ تدّعونه * كمُعتسِفٍ فى ظلمة الليل حَيْران
صَهٍ لا تعودوا للجواب فإنما * ترومون صَعْبًا من شماريخ ثَهْلان[5]
أنا الأسد الوَرْدُ[6] الذى لا يَفُلُّه * تظاهُرُ أعداءٍ عليه وأقران
ومن قد أردتم جاهدين سِقاطَه * فأعياكُمُ فى كلّ سرٍّ وإعلان
لَعَمْرِى لئن قلتم بما أنا أهلُه * ليستنفدَنّ[7] القولَ تعظيمُكم شاني
وجَحْدُكمُ إيّايَ ما تعلمونه * وإقرارُكم عندى بذلك سِيّان
ألا يزجُرُ الجُهّالَ عنّا أميرُنا * وموسى وذاك الشيخُ من آل حَرّان
ولا سيّما مَنْ بان للناس شرُّه * فما يَتَمارَى فى مذاهبه آثنان

ذكر فى مجلس محمد بن عمر الجرجانى فأثنى عليه

حدّثنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنى يعقوب بن إسراءيل قَرْقَارَةُ قال :

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س . « أنسه » . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فما » . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « جانبا » بالباء الموحدة ، وهو تصحيف . (٤) خفان (بفتح أوله وتشديد ثانيه) : موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحيانا وهو مأسدة . (٥) الشماريخ : رءوس الجبال وأعاليها . وثهلان : جبل باليمن ، وقيل : بالعالية . (٦) الورد : الجرىء . (٧) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « لايستبعدن القول » ، وهو تحريف .

قال لى محمد بن عمر الجُرْجانىّ وقد تذاكرنا إسحاق يوماً بحضرته : ما تذكرون من إسحاق شيئاً تقاربون به وصفه . كان والله إسحاق غُرَّةً فى زمانه ، وواحداً فى دهره علمًا وفقهًا وأدبًا ووَقارًا ووفاءً وجودةَ رأى وصحّةَ مودّة . كان والله يُخرِس الناطقَ إذا نطق ، ويُحيِّر السامعَ إذا تحدّث ، لا يَملّ جليسُه مجلِسَه ، ولا تَمُجّ الآذانُ حديثَه ، ولا تنبو النفوسُ عن مُطاولته . إن حدّثك ألهاك ، وإن ناظرك أفادك ، وإن غنّاك أطربك . وما كنتَ ترى خَصْلةً من الأدب ولا جنسا من العلم يتكلم فيه إسحاقُ فيُقدِم أحدٌ على مُساجلته ومباراته .

أمره المأمون أن يغنى فى شعر رآه مكتوبا فى بساط فأعجبه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبىّ قال حدّثنى أحمد ابن يحيى المكىّ قال :

أمر المأمون يوماً بالفَرْش الصَّيْفىّ أن يُخرَج ، فأُخرج فيما أخرج منه بِساطٌ طَبَرِىّ أو أَصْبَهْبُذانىّ(١) ، مكتوب فى حواشيه :

صـــوت

لُجّ بالعين واكْفُ ٭ مِن هَوًى لا يُساعِفُ
كلّما جفّ دمعُه ٭ هيّجتْـه المعازِفُ
إنّما الموتُ أن تفا ٭ رِقَ مَنْ أنت آلِفُ
لك حُبّان فى الفؤا ٭ د تليـدٌ وطارِفُ

قال : فاستحسن المأمون هذه الأبيات ، وبعث إلى إسحاق فأحضره وأمره أن يصنع فيها لحنا ويُعجِّل به ، فصنع فيها المَزَج الذى يُغَنَّى به اليومَ . قال أحمد :

(١) أصبهبذان : مدينة فى بلاد الديلم ، بينها وبين البحر ميلان .

وسمعها أبى منه فقال : لو كان هــذا الهَزَج[1] لحَكَم الوادى لكان قد أحسن . يريد أنّ حكمًا كان صاحبَ الأهزاج .

أعجب يحيى المكى بصنعة له ومدحه وكذلك الواثق

أخبرنى الحسن قال حدّثنى يزيد بن محمد قال حدّثنى ٱبن المكىّ قال : تذاكرنا يومًا عند أبى صنعةَ إسحاق، وقد كنّا بالأمس عند المأمون فغنّاه إسحاقُ لحنًا صنعه فى شعر ٱبن ياسين :

صـــوت

٨٧ / ٥

الطُّـلول الدَّوارِسُ * فارقتْهـا الأَوَانسُ
أَوْحشت بعد أهلها * فهى قَفْـرٌ بَسَابِسُ[2]

— الغناء لإسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر — قال : فقال أبى : لو لم يكن من بدائع إسحاقَ غيرُ هذا لكفى، "الطلول الدوارس" كلمتان، و"فارقتها الأوانس" كلمتان، وقد غنّى فيهـما ٱستهلالًا وبسيطا وصاح وسَجَح ورجَّع النغمةَ وٱسـتوفى ذلك كلَّه فى أربع كلمات وأتى بالباقى مثله؛ فمن شاء فليفعل مثلَ هذا أو ليقارِبْه . ثم قال: إسحاقُ[3] والله فى زماننـا فوق ٱبن سُرَيْج والغَـرِيض ومَعْبَـد، ولو عاشوا حتى يَرَوْه لعرَفوا فضـلَه وٱعترفوا له به . وأخبرنى عمّى عن يزيد بن محمـد المهلّبىّ : أنه كان عنـد الواثق فغنّته شَجًا هذا الصوتَ؛ فقال الواثق مثلَ هذا القول . والمذكور أنّ ابن المكىّ قاله ؛ فلا أدرى أهذا وَهَمٌ من يزيد، أو اتّفق أن قال فيه الواثق كما قال يحيى، أو ٱتّفقت عليه قريحتاهما .

أعجب هو والزبير ابن دحمان بغناء خباز فلامه الزبير على ضنه بغنائه والخباز يبتذله

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى عن إسحاق قال :

---

(١) فى حـ : «منه» . (٢) البسابس : جمع بسبس وهو القفر .
(٣) فى الأصول : « ثم قال : إسحاق والله ما فى ... الخ » بزيادة «ما» . ولعلها مقحمة من الناسخ .

أرسل إلىّ الفضـل بن الرَّبيع يومًا و إلى الزُّبَيْر بن دَحْمان، فوافق مجيئُنا شغلًا كان له ، فصِرْنا إلى بعض حُجَره، فنَعَستُ فنمتُ فإذا زُبَير يحـرّكنى فٱنتبهتُ فإذا خَبّازٌ فى مطبخ الفضل يضرب بالشُّوبَق(١) يُغنّى :

صـــوت

بِدَيْر(٢) القـائم الأقصَى * غزالٌ شَفَّنى أحْوَى
بَرَى حبِّى له جسمى * وما يَدرى بمـا ألقَى
وأُخفِى حبَّه جُهْدِى * ولا والله ما يَخْفَى

— الشـعر والغناء لإسحاق خفيفُ ثقيل بالبنصر — قال : فقال لى الزُّبير : تَضَنّ بهذا وٱنظرْ من يبتذله ! ؛ فقلت : لا أضَنّ بغناء بعد هذا .

غنى للمأمون بأصوات له فأعجب بها فلما غناها هو لم يستحسنها منه، وحوارده للمغنين

حدّثنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن الطيِّب السَّرَخْسِىّ قال حدّثنا عمر بن شَـبّة قال حدّثنى أحمد بن معاوية بن بكر قال قال لى صالح بن الرشيد :

كنّا أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المغنّين ، فيهم إسحاق وعَلّويه ومُخارِق وعمرو بن بانةَ ؛ فغنّى مخارِق فى الثقيل الأوّل :

صـــوت

أعاذِلُ لا آلوكِ إلّا خَليقـــتى * فـلا تجعـلى فوقى لسـانَك مِبْرَدَا
ذَرِينى أكنْ للمـالِ ربًّا ولا يكن * لىَ المـالُ ربًّا تَحْمَـــدِى غِبَّـــه غدا

(١) الشوبق : خشبة الخباز ، والمشهور « الشوبك » بالكاف وفتح الشين .

(٢) دير القائم الأقصى : موضع على شاطئ الفرات من الجانب الغربى فى طريق الرقة من بغداد .

ذَرِينِى يكُنْ مالى لعِرْضى وقايةً * يَقِ المَالُ[1] عِرْضى قبل أن يتبدّدا
ألم تعلمى أنّى إذا الضيفُ نابنى * وعزّ القِرَى أَقْرِى السَّدِيفَ[2] المُسَرْهَدَا

فقال له المأمون: لمن هذا اللحن؟ قال: لهذا المِزَبْرِ الجالس (يعنى إسحاق)؛ فقال المأمون لمخارق: قم فاقعد بين يدىّ وأعِدِ الصوت؛ فقام فجلس بين يديه وأعاده فأجاده، وشرب المأمون عليه رطلا، ثم التفت إلى إسحاق فقال له: غنِّ هذا الصوت؛ فغنّاه فلم يستحسنه كما آستحسنه من مخارق؛ ثم دار الدورُ إلى عَلّويه، فقال له: غنّ فغنّى فى الثقيل الأوّل أيضا:

٨٨/٥

صوت

أُرِيتُ اليومَ نارَكِ لم أُغَمِّضْ * بوَاقِصةٍ[3] ومَشْرَبُنا بَرُودُ[4]
فلم أَرَ مثلَ موقدِها ولكن * لأيّة نظرةٍ زَهَرَ[5] الوَقُودُ
فبِتُّ بليلةٍ لا نومَ فيها * أُكابدُها وأصحابى رُقود
كأنّ نجومَها رُبِطتْ بصَخْرٍ * وأَمْراسٍ[6] تدور وتستريد[7]

فقال له المأمون: لمن هذا الصوت؟ فقال: لهذا الجالس — وأشار إلى إسحاق — فقال لعلّويه: أعِدْه فأعاده، فشرب عليه رطلا، ثم قال لإسحاق: غَنِّه فغنّاه، فلم

(١) فى ب: «يفى» بالفاء. وفى س: «يبق» بالباء والقاف، وكلاهما تصحيف.
(٢) السديف: السنام وقيل: شحمه. والمسرهد: المقطع أو السمين. (٣) واقصة: منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة، وقيل: العقبة لبنى شهاب من طيّئ، و يقال لها: واقصة الحزون، وهى دون زبالة بمرحلتين. (انظر معجم البلدان لياقوت فى اسم واقصة). (٤) البرود: البارد. (٥) زهر الوقود: أضاءت ناره. (٦) الأمراس: الحبال. (٧) كذا فى الأصول «تستزيد» بالزاى المعجمة. ولعلها «تستريد» بالراء المهملة. وتستريد: تذهب وتجىء؛ اذ الشاعر يريد أن يصف ليلته بالطول حتى كأن نجومها ربطت بأمراس شدّت بصخر فهى تدور وترجع الى حيث كانت ولا تغور.

يطرَب له طَرَبَه لعلّويه. فآلتفت إلىّ إسحاق ثم قال لى: أيها الأمير، لولا أنه مجلسُ سرور وليس مجلسَ لَحَاجٍ وجِدَال لأعلمتُه أنه طرِب على خطأ، وأنّ الذى استحسنه إنما هو تزايدٌ (١) منهما يُفسد قسمةَ اللحن وتجزئتَه، وأنّ الصوت ما غنّيتُه لا ما زادا (٢). ثم أقبل عليهما فقال: يامخنّثان (٣)، قد علمتُ أنكما لم تُريدا بما فعلتماه مدحى ولا رِفعتى، وأنا على مكافأتكما قادر؛ فضحك المأمون وقال له: ما كان ما رأيتَه من طَرَبى لهما إلّا استحساناً لأصواتهما لا تقديماً لهما ولا جهلاً بفضلك.

دخل على المعتصم وبين يديه صيد فغناه فطرب وأجازه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعىّ قال حدّثنى إسحاق قال:

دخلتُ يوما على المعتصم وقد رجع من الصيد وبين يديه ظِباء مذبّحة وطيرُ ماء وغير ذلك من الصيد وهو يشرب؛ فأمرنى بالجلوس والغناء؛ فجلستُ وغنّيته:

صـــوت

إشتهَيْنا فى ربيعٍ مرّةً * زَهَمَ (٤) الوحشِ على لحم الإبِلْ
فغدَونا بطُوالٍ هَيْكَلٍ (٥) * كَسِيبِ النخل ميّاد خَضِلْ

— الشعر يقال: إنه لأعشى هَمْدان، والغناء لأحمد النُّصْبىّ (٦) خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق — فتبسّم وقال: وأين رأيت لحم الإبل! فغنّيته:

---

(١) يقال: تزايد فلان فى كلامه وتزيد: اذا تكلف الزيادة فيه وجاوز ما ينبغى. (٢) كذا فى ا، حـ، م. وفى باقى الأصول: «زاد» بدون ألف بعد الدال. (٣) فى الأصول: «يا مخنثين» بالياء. (٤) الزهم (بالتحريك): شحم الوحش من غير أن يكون فيه زهومة، أى كراهة ريح أو تغير. (٥) الهيكل: الضخم من كل الحيوان. (٦) كذا فى حـ فى ترجمته (وهى تقع فى حـ ٥ ص ١٦١ طبع بولاق) وهو منسوب الى النصب (بالفتح) وهو ضرب من الغناء أرق من الحداء. وقد ورد فى جميع الأصول هنا وكذلك فى ترجمته مضطربا.

صـــوت

لیس الفتى فيهـم إذا * شَرِب الشرابَ مُؤَنَّبا
لكن يروحُ مُرَنَّحـا * حسنَ الثيابِ مُطَيَّبا
يسـقونه صِرْفًا على * لحم الظبـاءِ مُضَهَّبـا[1]

فقال : هذا أشبه، وشَرِب . ثم غنّيته بشعر وَضّاح اليمن — قال : والغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ — :

صـــوت

أَبَى القلبُ اليمـانيّ * الذي تُحمَـدُ أخـلاقُه
و يَرْفَضُّ له الحزنُ * فمـا تُفْتَـق أرتاقه
غزالٌ أدعجُ العـين * رَبيبٌ خَدَلَّجٌ[2] ساقه
رماني فسبَى قلبي * وأرميـه فأشتـاقُه

فطرِب وقال : هـذا والله أحسن صـيد وألذُّه، وشرب عليه بقيّةَ يومه وخلَع عليّ وأمر لى بجائزة . هكذا ذُكِر فى هذا الخبر أنّ التقيل الأوّل لابن مُحْرِز وقد قيل ذلك . وذكر عمرو بن بانة أنّ الثقيـل الأوّل بالبنصر لابن طُنْبورة ، وأن لحن ابن مُحْرِز خفيفُ ثقيل . ٨٩/٥

دقته فى الوصف و إعجاب فضل اليزيدى به

حدّثنى عمى قال حدّثنى فَضْل اليَزيديّ قال :

قال لى إسحاق يوما فى عُرْض حديثه : دخلت على المعتصم ذاتَ يوم وعليه قميصٌ دَبيقيّ[3] كأنما قُدّ من جِرْم الزُّهَرة[4]، فضحِكتُ، فقال : ما أضحكك ؟ فقلت :

(1) لحم مضهب : مقطع . (2) الخدلج (بتشديد اللام) : الممتلئ الساقين .
(3) دبيقيّ : منسوب الى دبيق وهى بليـدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر، وقد خربت ولم يبق منها شيء ، وتنسب اليها الثياب الدبيقية وهى من دق الثياب كانت تتخـذ بها ، وكانت العمامة منها طولها مائة ذراع وفيها رقمات منسوجة بالذهب، تبلغ العمامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل . (راجع معجم ياقوت وشرح القاموس مادة « دبق ») . وفى ب ، س : « ديبق » بتقديم المثناة على الموحدة، وهو تصحيف . (4) الزهرة (بضم ففتح) : كوكب من السيارة معروف .

من مبالغتك فى الوصف، فتبسّم . قال الفضل : وما سمعتُ محدّثا قطُّ ولا واصفا أبلغ منه ولا أحسن لفظا وتشبيها .

تبرمه بالغناء وبالتسمية به

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينىّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله ابن مالك قال :

قال لى إسحاق : وَدِدت أنّ كل يوم قيل لى : غَنّ أو قيل لى عند ذِكْرى : المغنِّى، ضُرِب رأسى خمسةَ عشرَ سوطا، لا أقوى على أكثر منها، ولم يُقَلْ لى ذلك .

صنع لحنا على لحن أذان سمعه

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حمّاد قال: صنع أبى لحنه فى: "تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْىَ" على لحن أذانٍ سمِعه .

كثرة حفظه لأهزاج القدماء

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حمّاد قال :

تذاكرنا يومًا الهَزَج عند المأمون؛ فقال عمرو بن بانة : ما أقله فى الغناء القديم ! ؛ فقال إسحاق : ما أكثره فيه ! ثم غنّاهم ثلاثين هَزَجًا فى إصبع واحدة ومجرى واحد، ما عرفوا جميعا منها إلا نحو سبعة أصوات .

تقدير زرزور لقدرته فى الغناء

حدّثنى يحيى قال حدّثنى أخى قال حدّثنى عافية بن شَبيب قال :

قلت لزُرْزُور : مالكم تَذِلُّون لإسحاق هذا الذلّ، وما فيكم أحدٌ إلا وهو أطيب صوتا منه ، وما فى صنائعكم وَصْمة ! فقال لى : لا تقلْ ذلك، فوالله لو رأيتنا معــه لرحِمْتنا و رأيتنا نذوب كما يذوب الرَّصاص فى النار ! .

غضب عليه الفضل ابن الربيع فدحه بشعر وتوسل له بعون حاجبه

حدّثنى الصُّولِىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى إسحاق قال :

لاعَبتُ الفضل بن الربيع بالنَّرْد، فوقع بيننا خلاف، فحلف وحلفت، فغضب علىّ وهجرنى، فكتبت إليه :

يقـول أناسٌ شامتون وقـد رأَوْا * مُقامى و إغبابى الرواحَ إلى الفضلِ
لقد كان هذا خُصَّ بالفضل مرّةً * فأصبح منـه اليومَ مُنصرِمَ الحبل
ولو كان لى فى ذاك ذنبٌ علِمتـه * لَقَطَعتُ نفسى بالمَـلامة والعـذل

وعرضتُ الأبيات عليه؛ فلمّا قرأها ضحِك وقال: أشدّ من ذنبك أنك لاترى لنفسك بذلك الفعل ذنبا ؛ والله لولا أنّى أدّبتك أدبَ الرجل ولدَه ، وأنّ حسنَك وقبيحَك مضافان إلىّ لأنكرتنى؛ فأصلح الآن قلبَ عون — وكان يَحْجُبه — فخاطبته فى ذلك فكلّمنى بمـا كَرِهت؛ فقلت : أتدخل بينى و بين الأمير أعزّه الله ! ؛ وكان عون يُرْمَى بالأُبْنَة فقلت فيه :

وذاكرِ أمرٍ ضـاق ذرعًا بذكره * وناسٍ لداءٍ منـه مُتّسِع الخَـرْقِ

قال : ثم علِمت أنه لا يتمّ لى رضا الفَضْل إلا بعد أن يرضَى عون، فقلت فيه :

عَوْنُ يا عَوْنُ ليس مثلَك عونُ * أنت لى عُـدّةٌ اذ كان كونُ
لك عندى والله إن رَضِىَ الفضـ * ـلُ غلامٌ يُرْضيك أو بِرْذَوْنُ

فدخل إلى الفضل فترضّاه لى فرضِى ؛ ثم قال له : و يلك ياعون ! إنه والله إنمـا هجاك وأنت ترى أنه قد مدحك ، ألا ترى إلى قوله : « غلام يرضيك » ! هـذا تعريض بك؛ قال : فكيف أصنع به مع محلّه عند الأمير ! .

شكا اليه المأمون أصحابه ثم غناه وأطربه فأجازه

٩٠/٥ أخبرنى الصُّولِىّ قال حدّثنى عَوْن عن إسحاق، وأخبرنى بعضَ الخبر إسماعيلُ ابن يونس عن عمر بن شَبّة عن إسحاق، ولفظُ الخبر وسياقتُه للصُّولِىّ، قال :

استدنانى المأمونُ(١) يوما وهو مُسْتَلْقٍ على فِراش حتى صارت ركبتى على الفراش، ثم قال لى : يا إسحاق، أشكو إليك أصحابى : فعلتُ بفلان كذا ففعل كذا، وفعلتُ

(١) فى مختار الأغانى (ص ١٥٦) : « الأمين » .

بفلان كذا ففعل كذا ، حتى عدّد جماعةً من خواصّه ، فقلت له : أنت يا سيِّدى بتفضُّلك علىّ وحسنِ رأيك فىّ ظننتَ أنّى ممّن يُشَاوَر فى مثل هـذا ، فجاوزتَ بى حدّى ، وهذا رأىٌ يَجِلّ عنّى ولا يبلُغه قدرى ؛ فقال : ولِمَ وأنت عندى عالم عاقل ناصح ؟ فقلت : هذه المنزلة عند سيِّدى علّمتنى ألّا أقول إلّا ما أعرف ولا أطلبَ إلا ما أنال ؛ فضحِك وقال : قـد بلغنى أنّك فى هـذه الأيام صنعتَ لحنًا فى شعر الرّاعى ولم أسمعه منك ؛ فقلتُ : يا سيِّدى ، ما سمعه أحدٌ إلا جَوَارِىَّ ، ولا حضرتُ عندك للشرب منذ صنعتُه ؛ فقال : غَنِّه ؛ فقلتُ : الهيبةُ والصَّحْو يمنعانى أنْ أؤدِّيه كما تريد ، فلو آنس أميرُ المؤمنين عبدَه بشىء يُطربه ويقوى به طبعـه كان أجود ؛ قال : صدقت ، ثم أمر بالغداء فتغدّينا ، ومُدّت الستارةُ فغُنِّى من ورائها وشربنا أقداحا ؛ فقال : يا إسحاق ، أمَا جاء أوانُ ذلك الصوت؟ فقلت : بلى ياسيِّدى ، وغنّيتُه لحنى فى شعر الراعى :

صـــوت

ألم تسألْ بعارِمـةَ[1] الديارَا * عن الحىّ المُفارِقِ أين صارا[2]

بلى سألتهـا فأبتْ جوابًا * وكيف تُسائل الدِّمَنَ القِفَارا

ــ لحنُ إسحاق فى هذين البيتين خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى ــ قال : فاستحسنه وما زال يشرب عليه سائرَ يومه ، وقال لى : يا إسحاق ، لا طَلَبَ بعد وجود البُغْية ، ما أشرب بقيّةَ يومى هذا إلّا على هذا الصوت ؛ ثم وصلنى وخلَع علىّ خِلعةً من ثيابه .

---

(١) عارمة : موضع فى ديار بنى عامر بنجد ، وقيل : ماء لبنى تميم بالرمل . (انظر معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى فى الكلام على عارمة) . (٢) فى مختار الأغانى (ص ١٥٧) وشرح القاموس واللسان مادة (عرم) : «سارا» بالسين المهملة .

مدح أعرابية له

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى إسحاق قال :

كانت أعرابيّة تَقْدَم علىّ من البادية فأُفضِل عليها، وكانت فصيحة؛ فقالت لى ذات يوم: والذى يعلم مغزى كل ناطق لكأنك فى علمك وُلدتَ فينا ونشأت معنا. ولقد أريتَنى نجـدًا بفصاحتك ، وأحللتَنى الرَّبيع بسماحتك؛ فلا آطّرَدَ لى قولٌ إلّا شكرتك ، ولا تَسمتْ لى ريحٌ إلّا ذكرتك .

الحمل أبا المجيب الربعى صداقا وداعبه بشعر

حدّثنى الصُّولىّ[1] قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى المُغيرة بن محمـد المهلّبىّ عن إسحاق قال :

كان أبو المُجيب الرَّبَعىّ فصيحا عالمـا، فقال لى : يا أبا محمد، قد عزمتُ على التزوج فأعنّى وقوّنى؛ قال : فأعطيتُه دنانيرَ وثيابا . فغاب عنّى أياما ثم عاد؛ فقلت: يا أبا مُجيب، هاهنا أبيات فآسمعها؛ فقال : هاتها؛ فقلت :

ياليتَ شعرى عن أبى مُجيبِ * إذ بات فى مَجاسِـدٍ[2] وطِيبِ
معانقًـا للـرَّشأ الرَّبيبِ * أأحمـدَ[3] الحفارُ فى القَليبِ
* أم كان رِخْوًا ذابلَ القضيبِ *

قال : فقال لى : الأخيرُ والله يا أبا محمد .

عاتب الخليل بن هشام بشعر وكان بينهما تهاجر فعادا الى ما كانا عليه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى إسحاق قال :

كانت بينى و بين الخليل بن هشام صداقة ثم استوحشنا ، فمررتُ ببابه يوما، فتذمّمتُ[4] أن أجوزَه ولا أدخل إليه، فدعوتُ بدَوَاةٍ وقِرْطاس وكتبتُ إليه :

(١) فى جميع الأصول : « حدّثنى عون بن محمد الصولى » وهو خطأ ؛ فان اسم الصولى " محمد ابن يحيى " . وقد تقدّم هذا السند بنصه فى أكثر من موضع ، وسيأتى كذلك فى الخبر الذى على هذا الخبر.

(٢) المجاسد : جمع مجسد، وهو القميص الذى يلى البدن . (٣) أحمد الشىء : أتى ما يحمد عليه . والحفار: المسحاة وما يحفر به، وهو مستعمل هنا على سبيل المجاز . (٤) تذمت: استنكفت .

٩١ / ٥

رجعنا بالصفاء إلى الخليلِ * فليس إلى التَّهاجُر من سبيلِ
عتابٌ فى مُراجعةٍ وصفحٌ * أحقُّ بنا وأشبهُ بالجميـلِ

قال : ووجّهت بالرُّقعة وقصدت بابَه، فخرج إلىّ حتى تلقّانى، ورجعنا إلى ما كنّا عليـه .

تعقب فيما رويه من الأخبار فوجد صادقا

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى عبد الله بن المعتزّ عن الهِشامىّ قال :

كان أهلُنا يعتبرون(١) على إسحاق ما يقوله فى نسبة الغناء وأخباره، بأن يُجلسوا كاتبين فَهِمتين خَلْف السِّتارة، فتكتبان ما يقوله وتضبِطانه، ثم يتركونه مدّة حتى ينسى ما جرى، ثم يُعيدون تلك المسألة عليه، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفا كأنه يقرؤها من دفتر؛ فعلموا حينئذ أنه لا يقول فى شىء يُسأل عنه إلّا الحقّ .

غنى علويه لحنا لأبيه فخطأه هو فى مجلس المأمون

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى أحمد بن مَزْيَد المهلّبىّ(٢) قال حدّثنى أبى عن إسحاق قال :

كنّا عند المأمون، فغنّاه عَلّويه :

صـــوت

لعَبْـدةَ دارٌ ما تكلّمنـا الدارُ * تلُوح مَغَانيها كما لاح أسطارُ
أُسائل أحجـارًا ونُؤْيًا مُهَدَّما(٣) * وكيف يردّ القولَ نؤىٌ وأحجارُ

ــ الشعر لبَشّار، والغناء لإبراهيمَ ثانى ثقيلٍ مطلق فى مجرى الوسطى عن إسحاق ــ

قال : فقال المأمون : لمن هذا اللحن ؟ فقلت : لعبد أمير المؤمنين أبى، وقد أخطأ

(١) اعتبر الشىء : اختبره ونظر فيه وردّه إلى نظيره فحكم عليه بحكمه . (٢) كذا فى جميع الأصول، ولم يتقدم لهذا الاسم ذكر قبل ذلك ولم نعثر عليه فى كتب التراجم . والمعروف أن الصولى يروى عن محمد بن يزيد المهلبى وعن يزيد بن محمد المهلبى، كما تقدّم فى هذا الكتاب أكثر من مرة . (٣) النؤى : الحفير أو الحاجز حول الخباء أو الخيمة يدفع عنها السيل يمينا وشمالا و يبعده .

فيه عَلّويه؛ قال: فغنّه أنت فغنّيته، فاستعادنيه مرارا وشرب عليه أقداحا، ثم تمثل قولَ جرير:

وابنُ اللَّبون إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ[1] * لم يستطع صَوْلَةَ البُزْلِ القَناعِيس

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم. ووجدتُ هذا الخبر بخطّ أبي العبّاس ثَوَابة، فقال فيه: حدّثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدّثني عبد الله بن العباس الرَّبيعيّ قال: اجتمعنا بين يدي المعتصم، فغنّى عَلّويه:

* لعبدةَ دارٌ ما تكلّمنا الدار *

فقال له إسحاق: أخطأت فيه، ليس هو هكذا؛ فقال عَلّويه: أُمّ من أخذناه عنه هكذا زانية؛ فقال إسحاق: شتَمَنا قبحه الله، وسكت وبان ذلك فيه؛ وكان عَلّويه أخذه من إبراهيم.

حواره مع علويه حين أغرى الواثق بينهما

حدّثني جَحْظة قال حدّثني أبو العُبَيس بن حَمْدون عن أبيه عن جدّه قال: كان إسحاق بعد وفاة المأمون لا يغنّي إلا الخليفةَ أو وليَّ عهده أو رجلًا من الطاهريّة مثلَ إسحاق بنِ إبراهيم وطبقته؛ فاجتمعنا عند الواثق وهو وليّ عهد المعتصم، فاشتهى الواثق أن يُضَرِّب[2] بين مخارق وعَلّويه وإسحاق، ففعل حتى تهاتروا؛ ثم قال لإسحاق: كيف هما الآن عندك؟ فقال: أمّا مُخارق فَنَادٍ[3] طيّبُ الصوت؛

(١) ابن اللبون: ولد الناقة اذا كان في العام الثاني واستكمله، وقيل: إذا دخل في الثالث، والأنثى: ابنة لبون، سمي بذلك لأن أمه وضعت غيره فصار لها لبن. ولز: شدّ ولصق. والقرن (بالتحريك): الحبل الذي يقرن به البعيران. والبزل: جمع بازل، وهو البعير الذي فطر نابه أي انشق. قال الأصمعي وغيره: يقال للبعير اذا استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة وفطر نابه: بازل. والقناعيس: جمع قنعاس، وهو الجمل الضخم العظيم الشديد.

(٢) التضريب: الإغراء. (٣) كذا في مختار الأغاني، وهو الذي يناسب السياق. وفي الأصول: «فياد» بالياء المثناة من تحت بدل النون.

وأمّا عَلّويه فهو خيرحمارَيِ العِبَادىّ[1]، وهو على كل حال شُوَىْء[2] (يريد تصغيره)؛ فوثب علّويه مُغْضَبا، ثم قال للواثق: جواريه حرائرُ ونساؤه طوالقُ، لئن لم تستحلفه بحياتك وحقِّ أبيك، أن يصدُق عما أسأله عنه[3]، لأتوبنّ عن الغناء ما عِشْتُ؛ فقال له الواثق: لا تُعَرْبِدْ ياعلىّ، نحن نفعل ماسألت؛ ثم حلّف إسحاق أن يصدُق، فقال له: مَنْ أحسنُ الناسِ اليوم صنعةً بعدك؟ قال: أنت. قال: فمن أضربُ الناس بعد ثقيف؟ قال: أنت. قال فمن أطيبُ الناس صوتاً بعد مُخارق؟ قال: أنت. قال علّويه لإسحاق: أهـذا قولُك فىّ وأنت تعـلم أنى مُصَلٍّ[4] كلّ سابق فاضل، ٩٢/٥ وأنّى ثالثُ ثلاثةٍ أنت أحدهم لم يكن فى الدنيا مثلُهم ولا يكون! فـما أنت وغناؤك الذى لا يُسْمَع انخفاضا!؛ فغضب إسحاقُ، وانتهر الواثقُ عَلّويه. ثم أخذ إسحاقُ عوداً فنقل مَثْناه إلى موضـع البَمّ[5]، وزِيرَه إلى موضع المَثْلَث، وجعل البمّ والمثلثَ مكان الزيروالمَثْنى، وضرب وقال: ليغنّ من شاء منكم؛ فغنّى مُخارِق عليه:

تَقَطّع من ظَلّامةَ الوصلُ أجمعُ * أخيراً على أنْ لم يكن يَتَقَـطّعُ

وضرب عليـه إسحاقُ فلم يَبِنْ فى الأوتار خلافٌ ولا فُقِد من الإيقاع شىء ولا بان فيـه آختلال؛ فعظمُ عجبُ الواثق من فعله؛ وقام إسحاق فرقَص طرباً، فكان والله

---

(١) يشير بهذا الى المثل المشهور، وهو مايقال من أنه كان لعبادى (نسبة الى العباد قوم من العرب نزلوا الحيرة وكانوا نصارى) حماران، فقيل له: أىّ حماريك شر؟ قال: هذا ثم هـذا. ويروى أنه قال حين سئل عنهما: هذا هـذا، أى لا فضـل لأحدهما على الآخر. يضرب فى خلتين إحداهما شر من الأخرى. (انظر أمثال الميدانى حـ ٢ ص ٩٢ طبع بولاق). (٢) كذا فى مختار الأغانى. وفى الأصول: «شىء» بدون تصغير. (٣) كذا فى مختار الأغانى. وفى الأصول: «تسأله». (٤) المصلى: التالى للسابق من خيل السـباق. والسابق: الأوّل. (٥) البم: الوتر الغليظ من أوتار المزاهر. وقد جاء فى مقدّمة الجزء الأول من الأغانى من هذه الطبعة كل ما يتعلق بآلات العود وأسمائها، فارجع إليه.

أحسنَ رقصًا من كُبَيْش وعبد السلام — وكانا من أرقص الناس — فقال الواثق : لا يكمُل أحدٌ أبدا فى صناعته كمثل كمال إسحاق .

مدح لعبد الله بن طاهر فيه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى إسحاق قال : دخلت على عبد الله بن طاهر وهو يُلاعِب إبراهيمَ بن وَهْب بالشِّطْرَنْج ، فغلبه عبد الله ، وأومأ إلىّ بأن أُكايده ؛ فقلت :

قد ذهبتْ منك أبا إسحاقِ * مثلَ ذَهَابِ الشهرِ بالمُحاقِ[(1)]

فقال لى عبد الله : إنّ فضائلك يا أبا محمد لتتكاثر عندنا ، كما قال الشاعر فى إبله :

إذا أتاها طالبٌ يَسْتامُها * تكاثرتْ فى عينه كِرامُها

صنع لحنا فى بيتين وغناه الواثق فاستعاده حتى أخذه وأجازه

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال ذكر علىّ بن الحسن بن عبد الأعلى عن إسحاق قال :

أنشدتْنى أمّ محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين وأنا حاجٌّ ، فآستحسنتُهما ، وصنعت فيهما لحنا غنّيته الواثقَ ، فآستعاده حتى أخذه ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم ؛ وهما :

عسى اللهُ ياظَمْياءُ أن يعكِسَ الهوَى * فَتلقَيْنَ ما قد كنتُ منكِ لَقِيتُ

ثَراء فتحتاجى إلىّ فتعلمى * بأنّ به أَجْزيكِ حين غَنِيتُ

شوش عودا فى مجلس المعتصم وتحدّى ابن المهدى أن يضرب به ثم أظهر هو براعة فائقة

حدّثنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن مَرْوان قال قال لى يحيى بن مُعَاذ :

كان إسحاق الموصلىّ وإبراهيم بن المهدىّ إذا خَلَوا فهما أخوانِ ، وإذا آلتقيا عند خليفة تَكاشَحَا أقبحَ تكاشُح ؛ فاجتمعا يومًا عند المعتصم ؛ فقال لإسحاق : يا إسحاق ، إن إبراهيم يَثْلُبك ويَغُضّ منك ويقول : إنك تقول : إنّ مخارقا لا يُحسن شيئا

(1) المحاق (بالضم والكسر) : آخر الشهر إذا آمحق الهلال فلم ير .

ويتضاحك منك؛ فقال إسحاق : لم أقل يا أمير المؤمنين : إن مخارقا لا يُحسن شيئا، وكيف أقول ذلك وهو تلميذ أبى وتخريجُه وتخريجى! ولكن قلت : إنّ مخارقا يملك من صوته ما لا يملكه أحد، فيتزايد فيه تزايدًا لا يُبقى عليه ويتغيّر فى كل حال، فهو أحلى الناس مسموعا وأقلُّه نفعا لمن يأخذ عنه، لقلّة ثباته على شىء واحد. ولكنّى أفعل الساعةَ فعلا إن زعَم إبراهيمُ أنه يُحسنه فلستُ أُحسِن شيئا، وإلّا فلا ينبغى له أن يدّعىَ ما ليس يُحسنه . ثم أخذ عودا فشوّش أوتارَه، ثم قال لإبراهيم : غَنِّ على هذا أو يغنِّى غيرُك وتضرِب عليه؛ فقال المعتصم : يا إبراهيم، قد سمعتَ، فما عندك؟ قال : ليفعلْه هو إن كان صادقا؛ فقال له إسحاق : غنِّ حتى أضربَ عليك فأبَى؛ فقال لزُرْزُور : غَنِّ فغنَّى وإسحاقُ يضرِب عليه حتى فُرِغَ من الصوت ما علِم أحد

٩٣ / ٥ أنّ العود مشوَّش . ثم قال : هاتوا عودا آخر؛ فشوّشه وجعل كلَّ وترٍ منه فى الشدّة واللين على مقدار العود المشوّش الأوّل حتى آستوفى؛ ثم قال لزُرْزور : خذ أحدَهما فأخذه ، ثم قال : آنظر إلى يدى وآعمل كما أعمل وآضرِب ففعل؛ وجعل إسحاق يغنِّى ويضرِب وزُرْزور ينظر اليه ويفعل كما يفعل؛ فما ظنّ أحدٌ أن فى العودَ[ين](١) شيئا من الفساد لصحة نَغَمِهما جميعا الى أن فُرِغ من الصوت . ثم قال لإبراهيم : خذ الآنَ أحد العودين، فآضرب به مبدأً أو عَمُودَ طريقةٍ أو كيف شئتَ إن كنت تُحسن شيئا؛ فلم يفعل وآنكسر انكسارا شديدا؛ فقال له المعتصم : أرأيتَ مثل هذا قطُّ ؟ قال : لا، والله ما رأيتُ ولا ظننت أنّ مثله يكون .

اعجبه يوم تمثل فيه بشعر

حدّثنى أبو عبد الله محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى الفَضْل قال :

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

دعاني إسحاقُ يومًا، فمضيتُ اليه وعنده الزُّبَير بن دَحْمان وعَلّويه وحسين بن الضحّاك، فمرّ لنا أحسنُ يوم؛ فالتفت اليّ إسحاقُ ثم قال: يومُنا هذا والله يا أبا العبّاس كما قال الشاعر:

أنت والله من الأيـ * ـام لَدْنُ الطَّـرَفَيْنِ
كلَّمـا قلّبتُ عينـيَّ فهي قُـرَّةِ عَيْنِ

غنّى الواثق فشرب وخلع عليه

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:
دخلتُ يوما على الواثق فقال لي: يا إسحاق، إني أصبحت اليوم قَرِمًا(1) الى غنائك فغنِّني؛ فغنّيته:

من الظباءِ ظِباءٌ همُّها السُّخُبُ(2) * ترعى القلوبَ وفي قلبي لها عُشُبُ
لا يَغْـتَرِبْنَ ولا يَسْكُنَّ باديةً * وليس يَدْرِينَ ما ضَرْعٌ ولا حَلَبُ
إذا يدٌ سَرَقتْ فالقطـع يلزمها * والقطع في سَرَقٍ بالعين لا يجبُ

قال: فشرب عليه بقيّةَ يومه وبعضَ ليلته، وخلع عليّ خِلْعةً من ثيابه.

خرج مع الواثق الى الصالحية فحنّ الى بغداد وأنشده شعرا فأجازه وصرفه

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:
خرجتُ مع الواثق الى الصالحيّة(3) وهو يريد النزهة، فذكرتُ بغدادَ وعيالي وأهلي وولدي بها فبكيتُ؛ فقال لي: بحياتي أذكرتَ بغدادَ فبكيتَ شوقًا اليها؟ فقلت: نعم، وغنّيتُه:

(1) القرم (بالتحريك) في الأصل: شدة الشهوة الى اللحم، ثم كثر حتى قالوا: قرمت إلى لقائك.
(2) كذا في حـ، وفيما سيأتي في أكثر الأصول. والسخب (بضمتين): جمع سخاب (ككتاب) وهي قلادة تتخذ من قرنفل وغيره؛ وقال الأزهري: كل قلادة كانت ذات جوهر أو لم تكن. والمعنى: أن في الظباء صنفا (يكنى به عن النساء) همه التزين والتجمل يفتن القلوب ولا يألف إلا النعيم. وفي سائر الأصول: «السحب» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.
(3) الصالحية: محلة ببغداد تنسب الى صالح بن المنصور المعروف بالمسكين.

صـــــوت

وما زلت أبكى فى الديار وإنمـا * بكائى على الأحباب ليس على الدار

قال : فأمر لى بمائة ألف درهم وصرّفنى .

وأخبرنى محمد بن مَزْيد بهذا الخبر عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وحدّثنى به علىّ ابن هارون عن عمّه عن حمّاد عن أبيه وخبرُه أتمّ ، قال :

ما وصَلنى أحدٌ من الخلفاء قطُّ بمثل ما وصلنى به الواثق . ولقد انحدرتُ معه الى النَّجَف[1] ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، قد قلت فى النجف قصيدة ؛ فقال : هاتِها ؛ فأنشدتُه :

يا راكبَ العِيسِ لا تَعْجَلْ بنا وقِفِ * نُحَىِّ داراً لسُعْدى ثم نَنْصرِفِ

حتى أتيتُ على قولى :

لم يَنزِلِ الناسُ فى سهلٍ ولا جَبَلٍ * أصْفَى هواءً ولا أعْذَى[2] من النَّجَفِ

حُفَّتْ ببَرٍّ وبحرٍ من جوانبها * فالبَرُّ فى طَرَفٍ والبحرُ فى طرفِ

وما يَزَالُ نسيمٌ من يَمَانِيَةٍ[3] * يأتيك منها بريّا رَوْضَةٍ أُنُفِ[4] ٩٤ / ٥

---

(١) النجف (بالتحريك) : موضع بظهر الكوفة وهو دومة الجندل بعينها ، وبالقرب منه قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضوان الله عليه . (٢) كذا ورد فى معجم البلدان لياقوت (بالعين المهملة) فى الكلام على النجف . وأعذى : أطيب هواء ، يقال : عذا المكان يعذو اذا طاب هواؤه . ومنه الأرض العذاة وهى الأرض البعيدة عن الأحساء والنزوز والريف ، السهلة المريئة التى يكون كلؤها ناجعا مريئا . وفى الأصول : « أغذى » بالغين المعجمة ، وهو تصحيف .
(٣) فى معجم البلدان :

« ... ... من أيامنه * يأتيك منه ... ... »

(٤) الروضة الأنف (بضم الهمزة والنون) : التى لم يرعها أحد .

فقال : صدقتَ يا إسحاق، هي كذلك . ثم أنشدتُه حتى أتيت على قولى فى مدحه :

لا يحسَبُ الجـــودَ يُفْنِي مالَه أبدًا * ولا يرى بذلَ مايَحْوِى من السَّرَف

ومضيت فيها حتى أتممتُها؛ فطرِب وقال : أحسنتَ والله يا أبا محمد، وكنّانى يومئذ، وأمر لى بمائة ألف درهم؛ وآنحدر الى الصالحيّة التى يقول فيها أبو نُوَاس :

* بالصالحيّة من أكنافِ كَلْواذِ[1] *

فذكرتُ الصبيانَ و بغدادَ فقلت :

أتبكى على بغـــدادَ وهى قريبـــةٌ * فكيف إذا ماآزددتَ منها غدًا بُعْدَا

لعَمْرُك ما فارقتُ بغـدادَ عن قِلًى * لوَ آنَّا وجدنا عن فِـرَاقٍ لهـا بُدًّا

إذا ذكرتُ بغدادَ نفسى تَقطَّعتْ * من الشوق أو كادت تموت بها وَجْدَا

كفى حَزَنًا أن رُحْتُ لم أستطع لها * وَدَاعًا ولم أُحدِثْ بساكنها عهـدا

قال : فقال لى : ياموصلىّ، أشتقتَ الى بغداد؟ فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن من أجل الصبيان، وقد حضرنى بيتان؛ فقال : هاتهما؛ فأنشدتُه :

---

(١) كلواذا (بفتح فسكون وآخرها ألف مقصورة . ولعل أبا نواس كسرها هنا للقافية، فقد أوردها بالفتح فى قوله :

أحين ودّعنا يحـــيي لرحلته * وخلف القرك واستعلى لكلواذا):

مدينة كانت قرب بغداد فى ناحيــة الجانب الشرق منها . وهــذا الشطر من قصيدة لأبى نواس وردت فى ديوانه، وقد ورد فيها على غير رواية الأصول هنا، مطلعها :

وقائل هـــل تريد الحج قلت له * نعم اذا فنيت لذات بغــداذ

أما وقطـــربل منهـا بحيث أرى * فقبة القـــرك من أكناف كلواذ

فالصالحيــة فالكرخ التى جمعت * شــذاذ بغداذ ماهم لى بشــذاذ

والقرك (بالكسر) : قرية كانت قرب كلواذا .

حَنَنتَ الى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغار * وشاقك منهمُ قربُ المزارِ
وأبرحُ ما يكون الشوقُ يوماً(١) * إذا دَنَتِ الديارُ من الديار

فقال لى : يا إسحاق، صِرْ إلى بغداد فأقِمْ مع عيالك شهرا ثم صِرْ إلينا ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم .

صنع الواثق لحنا وأمره أن يغنى فيه فصنع هو لحنا أحسن منه

أخبرنا يحيى بن علىّ قال أخبرنى أبى قال :

لمّا صنع الواثق لحنَه فى :

أيا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقِدْنِى من التى * بها نَهِلَتْ(٢) نفسى سَقاماً وعَلَّتِ
لقد بَخِلَتْ حتى لَوَ انّى سألتُها * قَذَى العين من سافِى التراب لضَنَّتِ

أُعْجِب به إعجاباً شديدا ، فوجّه بالشعر الى إسحاق الموصلىّ وأمره أن يغنّى(٣) فيه ، فصنع فيه لحنَه الثقيل الأوّلَ ، وهو من أحسن صنعةِ إسحاق ، فلمّا سمعه الواثق عَجِبَ منه وصغُر لحنُه فى عينه ، وقال : ما كان أغنانا أن نأمر إسحاق بالصنعة فى هذا الشعر ، لأنه قد أفسد علينا لحننا . قال علىّ بن يحيى قال إسحاق : ما كان يحضُر مجلسَ الواثق أعلمُ منه بهذا الشان .

نسبة هذين الصوتين

صوت

أيا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقِدْنِى من التى * بها نَهِلَتْ نفسى سَقاماً وعَلَّتِ
لقد بَخِلَتْ حتى لَوَ انّى سألتُها * قَذَى العين من سافِى التراب لضَنَّتِ

(١) ستأتى فى الأغانى (ج ٨ ص ١٦٨ طبع بولاق) رواية أخرى لهذا الشطر :
* وكل مفارق يزداد شوقا *

(٢) النهل (بالتحريك) : الشرب الأوّل ، يقال : نهلت الإبل وأنهلتها أنا ، وهو أن تسق فى أوّل الورد فترد الى العطن (مناخ الابل ومبركها) ثم تسق الثانية وهو العلل فترّد الى المرعى .

(٣) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى سائر الأصول : « فغنى » .

الشعر لأعرابيّ . والغناء للواثق ثانى ثقيل فى مجرى البنصر . وفيه لمُخَارق رَمَلٌ ، ولعَرِيبَ رمل . ومن الناس من ينسُب هذا الشعر الى كثيِّر ، وهو خطأ من قائله .

أنشدنى هذه الأبياتَ عمّى قال : أنشدنى هارون بن علىّ بن يحيى ، وأنشدنيها علىّ بن هارون عن أبيه عن جدّه عن إسحاق أنه أنشده لأعرابيّ فقال :

٩٥
٥

صـــوت

أَلَا قاتَل اللهُ الحمامةَ غُـدْوةً * على الغصن ماذا هيّجتْ حين غنَّتِ
تَغَنَّتْ بصـوتٍ أعجميٍّ فهيّجتْ(1) * من الشوق ما كانت ضلوعى أجَنَّتِ

غنّى فى هذين البيتين عمرو بن بانة ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى .

فلو قَطَرتْ عينُ آمرئٍ من صَبَابةٍ * دمًا قطـرتْ عيـنى دمًا فألَمَّتِ
فـما سكتتْ(2) حتى أَوَيْتُ لصوتها * وقلت تُرَى هـذى الحمامةُ جُنَّتِ
ولى زَفَـراتٌ لو يَدُمْنَ قتلْنَنى * بشـوق إلى نأى(3) التى قـد تولّتِ
إذا قلت هذى زَفْرةُ(4) اليوم قد مضتْ * فمَنْ لى بأخرى فى غدٍ قـد أظلّتِ
فيا مُحْيِيَ المَوْتَى أَقِـدْنى من التى * بها نَهِلتْ نفسى سَـقَامًا وعلّتِ
لقـد بخِلتْ حتى لَوَ آنّى سألتُها * قَذَى العينِ من سَافِى التراب لضَنّتِ
فقلتُ آرحَـلا يا صاحبيّ فليتنى * أرى كلّ نفس أُعطِيتْ ما تمنّتِ

---

(1) كذا فى حـ وفيا سيأتى (ج ٨ ص ١٦٦ طبع بولاق) . وفى سائر الأصول هنا : «فهاجنى» . وقد وردت ثلاثة أبيات من هذه الأبيات فى أمالى القالى (ج ١ ص ١٣١ طبع دار الكتب المصرية) مع اختلاف فى بعض الكلمات . (2) كذا فيا سيأتى . وفى الأصول هنا : «سكنت» بالنون . (3) فيا سيأتى : « نادى » . (4) كذا فيا سيأتى . وفى الأصول هنا : «زفرة الموت» ، وهو مما يأباه سياق البيت .

حلفتُ لها بالله ما أُمُّ واحدٍ[1] * إذا ذكرَتْه آخرَ الليل حَنَّتِ
وما وَجْدُ أعرابيّةٍ قذفتْ بها * صُرُوفُ النَّوى من حيث لم تكُ ظنّتِ
إذا ذكرتْ ماءَ العِضَاهِ[2] وطِيبَه * وبَرْدَ الحِمَى من بطن خَبْتٍ[3] أَرَنَّتِ
بأكثرَ منّى لوعةً غيرَ أنّنى * أُجَمْجِمُ[4] أحشائى على ما أَجَنَّتِ

وأما لحن إسحاق فإنه غنّى فى :

* لقد بخِلتْ حتى لوَ آنّى سألتُها *

وأضاف اليه شيئا آخر ليس من ذلك الشعر، وهو :

فإن بخِلتْ فالبخل منها سجيّةٌ * وإن بذَلتْ أعطت قليلاً وأَكْدَتِ[5]

قال : ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة فى مجرى الوسطى .

كاده مخارق عند الواثق فغضب عليه ولما عرف الحق من أمره رضى عنه

أخبرنى الحسن بن علىّ ومحمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبىّ، وحدّثنى به عمّى عن أبى جعفر بن دِهْقَانةَ النّديم عن أبيه قال :

كان الواثق إذا صنع صوتا قال لإسحاق : هذا وقع الينا البارحةَ فأسمَعْه، فكان ربّما أصلح فيه الشىءَ بعد الشىء. فكاده مخارق عنده وقال له : إنما يستجيد صنعتَك إذا حضر ليُقَارِبَك ويستخرجَ ما عندك، فإذا فارق حضرتَك قال فى صنعتك غيرَ ما تسمع؛ قال الواثق : فأنا أحب أن أقف على ذلك؛ فقال له مخارق : فأنا أُغنّيه «أيا منشر

(١) كذا فى ا، ى، م ونسخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بخطه وفيما سيأتى (ج ٨ ص ١٦٦ طبع بولاق) . وفى سائر الأصول : «يا أم واحد»، وهو تحريف . (٢) العضاه : ضرب من الشجر له شوك . (٣) الخبت : الوادى العميق الوطىء ينبت ضروب العضاه، وقيل : ما اطمأن من الأرض واتسع، وهو أيضا علم لصحراء بين مكة والمدينة يقال لها خبت الجميش . وأرنت المرأة فى نوحها : صاحت مع البكاء، وقيل : الإرنان : الصيحة الشديدة والصوت الحزين عند البكاء .
(٤) يقال : جمجم شيئا فى صدره اذا أخفاه ولم يبده . يريد أنه طوى أحشاءه على ما أجنه وجعلها غطاء له . (٥) أكدت : قلت عطاءها ومنعته، وفى التنزيل العزيز : (وأعطى قليلا وأكدى) .

الموتى» فإنه لم يعلم أنه لك ولا سمعه من أحد؛ قال : فافعل. فلمّا دخل إسحاقُ غنّاه مخارق وتعمّد لأن يفسده بجَهْده، وفعل ذلك فى مواضعَ خفيّة لم يعلمها الواثق من قِسمته؛ فلمّا غنّاه قال له الواثق : كيف تَرَى هـذا الصوتَ؟ قال له : فاسدٌ غير مَرْضِيّ؛ فأمر به فسُحِب من المجلس حتى أُخرج عنه، وأمر بنفيه الى بغـداد. ثم جَرَى ذكرُه يوما. فقالت له فَرِيدةُ : يا أمير المؤمنـين، إنما كاده مخارق فأفسد عليه الصوتَ من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نَغَماً وجودةً، وإسحاق يأخذ نفسَه بقول الحق فى كل شىء ساءه أو سَرّه، ويفهم من غامض عِلَل الصنعة ما لا يفهمه غيره؛ فليُحْضِرْه أمير المؤمنين ويحلّفه بغليظ الأيمان أن يَصْدُقَه عما يسمع، وأُغنّيه إياه حتى يقف على حقيقة الصوت؛ فإن كان فاسدًا فصدَق عنه لم يكن عليه عتب، ووافقناه عليه حتى يستوى، فليس يجوز أن نترَكه[1] فاسدا إذا كان فيه فساد؛ وإن كان صحيحا قال فيه ما عنـده؛ فأمر بالكتّاب بحمـله[2] فحُمِل وأُحضِر، فأظهر الرضا عنه ولزِمه أيامًا؛ ثم أَحلفه لَيَصْدُقَنّ عما يمرّ فى مجلسه فحلف له. ثم غنّى الواثقُ أصـواتا يسأله عنها أجمع فيُخبر فيها بما عنده؛ ثم غنّته فريدةُ هذا الصوتَ وسأله الواثق عنه، فرضِـيه وآستجاده، وقال له : ليس على هـذا سمعتُه فى المرّة الأولى، وأبان عن المواضع الفاســدة وأَخبر بإفساد مُخَارِق إياها؛ فسكن غضبُه ووصل إسحاقَ وتنكّر لمُخَارِق مدّة.

٩٦ / ٥

قصة له مع الواثق بشأن الغناء والألحان

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينىّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله ابن مالك قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ :

---

(١) فى الأصـول : « ... أن يتركه .. » بالياء المثناة من تحت بدل النون، والتصويب عن مختار الأغانى.

(٢) فى الأصول : « فأمر بالكتّاب بحمله فحمله وأحضر ... » وعبارة مختار الأغانى : «فأمر بحمله فحمل وأظهر له الرضا عنه ... ».

أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطّاهرىّ، وقد كان تكلّم له فى حاجة فقُضيت، فقال له: أعطاك الله أيها الأمير ما لم تُحط به أُمنيةٌ ولا تبلُغه رغبة. قال: فآشتهى هـذا الكلامَ وآستعاده منّى فأعدتُه. ثم مكثنا ما شاء الله، وأرسل الواثق الى محمد بن إبراهيم (١) يأمره بإخراجى إليه فى الصوت الذى أمرنى به بأن أغنّى فيه، وهو:

* لقد بَخِلتْ حتّى لَوَ آنّى سألتُها *

فغنّيته إيّاه، فأمر لى بمائة ألف درهم. فخرجتُ وأقمتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدِر أن يأخذ هذا الغناءَ منّى. فلمّا طال مُقامى قلت له: يا أمير المؤمنين، ليس أحدٌ من هؤلاء المغنّين يقدِر أن يأخذ هـذا الصوت منّى؛ فقال لى: ولِمَ؟ وَيْحَك! فقلت: لأنى لا أُصحّحه ولا تسخو نفسى به لهم؛ فما فعلت الجارية التى أخذتْها منّى؟ (يعنى شجا، وهى التى كان أهداها إلى الواثق وعَمِل مجرّد أغانيها وجنّسه ونسبه إلى شعرائه ومُغنّيه، وهو الذى فى أيدى الناس إلى اليوم)؛ فقال: وكيف؟ قال: لأنهـا تأخذه منّى و يأخذونه هم منهـا؛ فأمر بهـا فأُخرجتْ وأخذتْه على المكان؛ فأمر لى بمائة ألف درهم وأَذِن لى فى الانصراف؛ وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهرىّ حاضرا، فقلت للواثق عند وَدَاعى له: أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحط به أُمنيةٌ ولم تبلُغه رغبـة؛ فآلتفت إلىّ إسحاق بن إبراهيم فقال لى: أىْ إسحاقُ أتُعيد الدعاء! فقلت: إى والله أُعيده قاض أنا أو مغنّ. وقدِمتُ بغداد، فلمّا وافى إسحاقُ جئته مُسلِّما عليه؛ فقال لى: وَيْحَك يا إسحاق! أتدرى ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده؟ قلت: لا أيها الأمير؛ قال قال لى: ويحك! كنّا أغنَى

---

(١) هو محمد بن إبراهيم بن مصعب بن زريق أخو إسحاق بن إبراهيم الطاهرى، كان من القوّاد الكبار فى أيام المعتصم والواثق والمتوكل، قتل فى خلافة المتوكل سنة ٢٣٦ هـ (راجع الطبرى ص ١٢٩٠ — ١٢٩٢، ١٢٩٨ — ١٣٠٠، ١٤٠٤، ١٤٠٦ من القسم الثالث).

الناس عن أن نبعث إسحاقَ على لحننا حتى أفسده علينا . قال عليّ بن يحيى : فحدّثني إسحاق قال : استأذنتُ الواثقَ عدّة دَفَعات في الانحدار إلى بغدادَ فلم يأذن لي، فصنعتُ لحنا في :

* خليليّ عُوجَا من صدور الرَّوَاحلِ *

ثم غنّيتُه الواثقَ فاستحسنه وعجِب من صحّة قِسْمته ومُكْث صوتِه أيّامًا، ثم قال لي: يا إسحاقُ، قد صنعتُ لحنًا في صوتك في إيقاعه وطريقته ، وأمَر من وراء السّتارة[1] فغنّوه؛ فقلت : قد والله يا أمير المؤمنين بغّضتَ إليّ لحني وسمّجتَه عندي ؛ وقد كنتُ استأذنتُه في الانحدار إلى بغداد فلم يأذن لي ؛ فلمّا صَنَع هذا اللحنَ وقلتُ له ما قلتُ، أتبعتُه بأن قلت له : قد والله يا أمير المؤمنين اقتصصْتَ منّي في « لقد بخلت» وزدتَ؛ فأذن لي بعد ذلك . ٩٧/٥

نسبة هــذا الصوت

صـــوت

خليليّ عُوجَا من صــدور الرّواحل * بجَرْعاء[2] حُزْوَى فابكيا في المنـازل
لعلّ انحـــدار الدّمع يُعقب راحةً * من الوَجْد أو يَشفِي نَجِيَّ البَـلابل[3]

الشعر لذي الرُّمّة، والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى في البيتين . وللواثق في البيت الثاني وحدَه رَمَلٌ بالبنصر .

(١) راجع أحوال خلفاء بني أمية والدولة العباسية في الشرب واللهو واحتجابهم عن الندماء والمغنين بالستارة في كتاب التاج في أخلاق الملوك للجاحظ (ص ٣١ — ٤٥ طبع المطبعة الأميرية) .

(٢) الجرعاء : الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، وقيل : هي الرملة السهلة المستوية . وحزوى (بضم أوله وسكون ثانيه مقصورا) : موضع بنجد في ديار تميم ، وقال الأزهري : جبل من جبال الدهناء. وفي ديوانه طبع أوربا ومعجم ياقوت : « بجمهور حزوى » . والجمهور : الرملة العظيمة المشرفة على ما حولها . (٣) البلابل : الهموم في الصدور .

تأسى ابن عياش بشعر ذى الرمة فى البكاء عند المصائب

أخبرنى أحمد بن عمّار قال حدّثنى يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثنى كَثِير بن أبى جعفر الحِزَامىّ[1] الكُوفىّ عن أحمد بن جَوّاس الحَنَفىّ عن أبى بكر بن عيّاش قال:

كنتُ إذا أصابتنى المصيبةُ تصبّرتُ وأمسكت عن البكاء، فأجد ذلك يشتدّ علىّ، حتّى مررتُ ذات يوم بالكُنَاسة[2]، فإذا أنا بأعرابىّ واقف على ناقة له وهو يُنشِد:

خليلىّ عُوجا منْ صُدورِ الرّواحلِ * بجَرْعاءِ حُزْوَى فآبكيا فى المنازلِ

لعلّ انحدار الدّمع يُعقِب راحةً * من الوجد أو يَشفِى نَجِىَّ البَلَابلِ

فسألتُ عنه فقيل لى: هذا ذو الرُّمّة؛ فكنتُ بعدُ إذا أصابتنى مصيبة بكيتُ فأجد لذلك راحة؛ فقلت: قاتل الله الأعرابىَّ! ما كان أعلمَه وأنصحَ لهجتَه!.

سئل أيهما أجود لحنك أم لحن الواثق فأجاب

أخبرنا يحيى بن علىّ عن أبيه قال:

قلت لإسحاق: أيّما أجودُ، لحنُك فى «خليلىّ عوجا» أم[3] لحن الواثق؟ فقال: لحنى أجودُ قِسْمةً وأكثرُ عملا، ولحنُه أطرَبُ، لأنه جعل رَدّتَه من نفس قِسْمته، وليس يقدِر على أدائه إلّا متمكّن من نفسه. قال علىّ بن يحيى: فتأمّلت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق. قال وقال لى إسحاق: ما كان بحضرة الواثق أعلمُ منه بالغناء.

فضل ابن المعتز لحنا للواثق على لحنه

أخبرنى علىّ بن هارون قال:

كان عبد الله بن المعتزّ يحلف أنّ الواثق ظلم نفسَه فى تقديمه لحنَ إسحاق فى «لقد بَخِلَتْ». قال: ومن الدّليل على ذلك أنه قلّما غُنِّى فى صوت واحد بلحنين

(١) فى جـ: «الحرامى» بالراء المهملة. (٢) الكناسة (بضم الكاف): محلة بالكوفة.

(٣) فى الأصول: «أو»، والسياق يقتضى «أم».

فسقَط أجودُهما وشُهِر الدُّون، ولا يُشْهَر من اللحنيْن إلا أجودُهما، ولحنُ الواثق أشهرُهما، وما يَرْوِى لحنَ إسحاقَ إلا العجائزُ ومن كَثُرَتْ روايتُه .

كان الواثق يعرض عليه صنعته فيصلح فيها

حدّثنى جَحْظة عن آبن المكىّ المرتَجِل عن أبيه أحمد بن يحيى قال :

كان الواثق يَعْرِض صنعتَه على إسحاقَ فيُصلِح فيها الشىءَ بعد الشىء .

آخر صوت صنعه

أخبرنا حسين[1] بن يحيى عن حمّاد :

أنّ آخر صوت صنعه أبوه : « لقد بَخِلَتْ » ، ثم ما صنع شيئا حتى مات .

غنى المعتصم بشعر أبى القنافذ فأجازها

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزَاعِىّ قال حدّثنى أبو زيد عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال :

دخل أعرابىّ من بنى سُلَيْم سُرَّ مَنْ رأى — وكان يُكْنَى أبا القَنَافِذ — فحضر بابَ المعتصم مع الشعراء فأُذِن له ؛ فلمّا مَثَل بين يديه أنشده :

مِراض العيونِ خِماص البطون * طِوال المتونِ قِصار الخُطَا

عِتَاق[2] النحورِ رِقاق الثغورِ * لِطاف الخصورِ خِدَال[3] الشَّوَى

عَطابيـلُ[4] من كلّ رَقْراقةٍ[5] * تَلُوث الإزارَ بِدِعْص[6] النَّقا

إذا هُنّ مَنَّيْنَنا نائلًا * أبَى البُخْلُ منهنّ ذاك المُنَى

إلى النَّفَر البِيضِ أهلِ البِطاح * وأهلِ السَّماح طَلَبنا النَّدَى

٩٨ / ٥

---

(١) فى الأصول : «حسن بن يحيى» ، وهو تحريف . (٢) عتاق النحور : جيلاتها .

(٣) خدال : جمع خدلة وهى من النساء : الغليظة الساق المستديرتها . والشوى : الأطراف .

(٤) عطابيل : جمع عطبولة وعطبول وهى الجارية الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق . قال ابن برى : ولا يقال : رجل عطبول إنما يقال : رجل أجيد ، إذا كان طويل العنق . (٥) جارية رقراقة : كأن الماء يجرى فى وجهها . (٦) الدعص : كثيب الرمل المجتمع .

لهــم سَطَواتٌ إذا هُيِّجوا * وحلمٌ إذا الجهـلُ حَلَّ الْحُبا[1]
يَبِيـن لك الخيـرُ فى أوجهٍ * لهـم كالمصابيح تجلُو الدُّجى
سَعَى الناسُ كى يُدركوا فضلَهم * فقصَّرعن سعيهم مَنْ سَعَى
سَعَى للخلافةِ فٱقتـادَها * و برَّز فى السَّبْق لمّا جرى

قال : فٱستحسنها المعتصم وأمرنى فغنّيت فيها ، وأمر للأعرابىّ بعشرين ألفَ درهم ولى بثلاثين ألفَ درهم ، وما خرج الناس يومئذ إلّا بهذه الأبيات .

طلب من على بن هشام نبيذا فأرسله اليـه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى فَضْل اليَزيدىّ عن إسحاق قال :

كتبت إلى علىّ بن هشام أطلب منه نبيذًا ، فبعث إلىّ بُجَانَ[2] بما التمستُ ، وكتب إلىّ : قد بعثتُ إليك بشَراب أصْلَبَ من الصَّخْر ، وأعْتَقَ من الدهر ، وأصْفَى من القَطْر .

تخلف عن عبدالله ابن طاهر فكلف لميس أن تسرق لحنا له وتذيعـه

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى أبو عبـد الله الهِشَامىّ عن أحمد المَكّىّ قال :

لمّا صنع إسحاقُ لحنَه فى الرَّمَل :

أَماوِىَّ[3] إنّ المـالَ غادٍ ورائحٌ * ويبقى من المـال الأحاديثُ والذِّكْرُ
وقد علم الأقوامُ لو أنّ حاتمـا * يريد ثَرَاءَ المـال كان له وَفْـرُ

(١) الحبا : جمع حبوة (بضم الأوّل وكسره فى المفرد والجمع) ، وهى الثوب الذى يحتبى به . والاحتباء : ضم الانسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما . و يكنى بحل الحبا عن القيام كما يكنى بعقدها عن القعود . يريد : أن للمدوحين حلما اذا استفز الجهل أهل الجهل غضبا وطيشا.

(٢) لعله يريد بجان هـذا : قهرمانا أو وكيلا لعلى بن هشام ، وقد سقطت هذه الكلمة فى جـ .

(٣) الشعر لحاتم الطائى ، يخاطب ماوية بنت عفزر وقد خطبها حاتم الى أهلها ، وله فى ذلك معها حديث طويل . (انظر كتاب الشعر والشعراء ص ١٢٦ طبع أوربا ، والأغانى ج ١٦ ص ١٠٥ طبع بولاق) .

وهو رَمَل نادرٌ، ابتداؤه صِيَاح، ثم لا يزال ينزل على تدريج حتى يقطعه على مَجْمَجَة، وكان كثيرَ الملازمة لعبد الله بن طاهر، ثم تخلّف عنه مدّة وذلك فى أيّام المأمون؛ فقال عبد الله لِلَمِيسَ جاريته : خُذِى لحنَ إسحاق فى :

* أماوِىّ إنّ المــال غادٍ ورائحٌ *

فأخليه على :

وهبّتْ شَمالٌ آخرَ الليل قَرّةٌ(١) * ولا ثوبَ إلّا بُرْدُها و ردائيا

وألقيه على كلّ جارية تعلّمينها واشهريه وألقيه على من يُجيده من جوارى زُبَيْدَة ، وقولى : أخذتُه من بعض عجائز المدينة؛ ففعلتْ، وشاع أمرُه حتّى غُنّى به بين يدى المأمون؛ فقال المأمون للجارية : ممّن أخذتِ هــذا ؟ فقالت : من دار عبد الله بن طاهر من لَمِيسَ جاريته، وأخبرتْنى أنها أخذته من بعض عجائز المدينة. فقال المأمون لإسحاقَ : وَيْلَك ! قد صِرتَ تسرق الغناءَ وتدّعيه ، اِسمع هذا الصوت ؛ فسمعه فقال : هذا وحياتِك لحنى، وقد وقع علىّ فيــه نَقْب من لصّ حاذق، وأنا أغوص عليه حتّى أعرفَه؛ ثم بكّر الى عبد الله بن طاهر فقال: أهذا حقّى وحُرْمتى وخدمتى! تأخذ لَمِيسُ لحنى فى :

* أماوىّ إنّ المــال غادٍ ورائحٌ *

فتغنّيه فى : «وهبّتْ شَمال» ! وليس بى ذلك، ولكن بى أنّها فضحتْنى عند الخليفة وادّعتْ أنها أخذتْه من بعض عجائز المدينة ؛ فضحك عبــد الله وقال : لو كنتَ تُكْثِر عندنا كما كنت تفعل لم تُقْدِم عليك لَمِيسُ ولا غيرُها؛ فاعتــذر فقبِل عذرَه، وقال له : أىّ شىء تريد ؟ قال : أريد أن تُكذّب نفسَها عند من ألقته عليها حتى

(١) قرة : باردة .

يعلم الخليفة بذلك ؛ قال : أفعل ؛ ومضى إسحاقُ إلى المأمون وأخبره القصّة ؛ فآستكشفها من لِبِّيسَ حتى وقف عليها ، وجعل يعبث بإسحاق بذلك مدّة .

غنى محمدا الأمين فى شعرله فيه فأجازه

٩٩ / ٥ حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر قال حدّثتنى شَهَواتُ[1] الصَّنّاجة التى كان إسحاق أهداها إلى الواثق :

أن محمدا الأمين لمّا غنّاه إسحاقُ لحنَه الذى صنعه فى شعره وهو الثقيل الأوّل :

صــــوت

يأيّهـا القائمُ الأمين فدتْ * نفسَك نفسى بالمـال والوَلَدِ
بَسَطْتَ للنّـاس إذ وَلِيتَهُمُ * يدًا من الجود فوق كلّ يد

فأمر له بألف ألف درهم ؛ فرأيتُها قد وصلتْ إلى داره يحملها مائةُ فرّاش .

غنى الواثق ، وهو يذيه شعرا ، عن أحسن ما فيه أعجب بجوابه وأجازه

حدّثنى جَحْظة ومحمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

غنّيتُ الواثقَ :

صــــوت

عَفَا طَرَفُ القُرَيّةِ فالكَثِيبُ * إلى مَلْحاءَ ليس بها عَرِيبُ[2]
تأبّد رسمُهـا وجرى عليهـا * سَوَافِى الريح والتُّربُ الغريبُ

— ولحنه ثقيلٌ ثانٍ — قال: فقال لى : يا إسحاق، قد أحسن ٱبنُ هَرْمَة فى البيتين، فأىّ شىء هو أحسنُ فيهما من جميعهما ؟ قال قلت : قوله : «التُّرب الغريب»، يريد أنّ الريح جاءت إلى الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضع بعيد ؛ فقال : صدقتَ وأحسنتَ ؛ وأمر لى بخمسين ألفَ درهم .

(١) فى مختار الأغانى (ص ١٥٩) : «شهوار» بزاء المهملة .
(٢) تقدّم هذا الشعر فى ص ٢١٤ من هذا الجزء مع التعليقات عليه فراجعه .

أمر ابن المدبر مغنيا أن يزيد بيتا على لحن له

حدّثنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن الحسن بن الحَرُون قال: كنّا يوماً عند أحمد بن المُدَبِّر، فغنّاه مغنٍّ كان عنده لحنَ إسحاقَ :

صـــــوت

فأصبحتُ كالحَوْمانِ[1] ينظُر حسرةً * إلى المـاء عطشاناً وقد مُنِـع الوِرْدَا

وقال ابن المُدَبِّر : زد فيه :

وأمسيتُ كالمسلوبِ مهجةَ نفســه * يرى الموتَ فى صدّ الحبيب إذا صَدّا

لحنُ إسحاق فى هذا البيت من الثقيل الأوّل بإطلاقِ الوترِ فى مجرى البنصر .

أنشد مروان بن أبى حفصة شعرا له فأدهشه

حدّثنى الأخفش قال حدّثنى محمد بن يزيد الأَزْدىّ قال حدّثنى شيخ من وَلَد المهلّب قال :

دخل مَرْوانُ بن أبى حَفْصة يوماً على إبراهيمَ الموصلىّ، فجعلا يتحدّثان إلى أن أنشد إسحاقُ بن إبراهيم مروانَ بن أبى حَفْصة لنفسه :

إذا مُضَرُ الحمراءِ[2] كانت أَرُومَتى * وقام بنصرى خازمٌ وٱبنُ خازمِ[3]

عطَستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ * يداى الثُّريّا قاعدًا غـــيرَ قائمِ

(١) الحومان : العطشان، من حام يحوم اذا عطش . وفى حـ : «كالحيران» ، ولعـل صوابها «الحرّان» ، والحرّان : الشديد العطش . (٢) قيل لمضر : مضر الحمراء (بالإضافة) لأن أباهم مضر لما اقتسم هو وربيعة الميراث أعطى مضر الذهب (وهو يؤنث) وأعطى ربيعة الخيل ، فقيل لهذا : مضر الحمراء ولذاك ربيعة الفرس . و يقال : لأنه كان شعار مضر فى الحرب العمائم والرايات الحمر . (راجع لسان العرب مادة «مضر»)

(٣) تقدّم هذان البيتان فى أوّل ترجمة إسحاق (ص ٢٧٨ من هذا الجزء) برواية البيت الأوّل هكذا :

إذا كانت الأحرار أصلى ومنصبى * ودافع ضيمى .. ... الخ

وهى الرواية التى تتفق مع الواقع ، إذ إسحاق الموصلى لم تكن أرومته مضر الحمراء بل كان أصله فارسيا . وورد فى بعض الأصول هنا : «حازم وابن حازم» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

قال : وجعل إبراهيم يحدّث مروانَ وهو عنه ساهٍ مشغول، فقال له : مالك لا تجيبنى ؟ قال : إنك والله لا تدرى ما أفرَغ ٱبنُك هذا فى أذنى .

طرب لشعر أعرابى وسكر حتى انصرف محمولا

حدّثنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنى موسى بن هارون عن يعقوب بن بِشْر قال :

كنتُ مع إسحاق الموصلىّ فى نُزْهة، فمرّ بنا أعرابىّ، فوجّه إسحاقُ خَلْفَه بغلامه زِيَادٍ الذى يقول فيه :

وقُولَا لساقِينا زِيَادٍ يُرِقّها * فقد هَدّ[1] بعضَ القوم سَقْىُ زِيادِ

قال : فوافانا الأعرابىّ، فلمّا شَرِب وسمِع حَنِين الدّواليب قال :

١٠٠/٥

صوت

بَكَرَتْ تَحِنُّ ومابها وَجْدِى * وأَحِنُّ من وَجْدٍ إلى نَجْدِ

فدموعُها تَحْيا الرِّياضُ بها * ودموعُ عَيْنِى أقرحَتْ خَدِّى

وبساكِنِى نجدٍ كَلِفتُ وما * يُغْنِى لهم كَلَفِى ولا وَجْدِى

لو قِيس وجدُ العاشقين إلى * وَجْدِى لزاد عليه ماعندى

قال : فما ٱنصرف إسحاق إلى بيته إلّا محمولا سُكْرًا، وما شرب إلّا على هذه الأبيات. والغناء فيها لإسحاق هَزَجٌ بالبِنْصَر .

قصته مع الفضل بن الربيع بشأن البساط

أخبرنى محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرنى به الحسن بن علىّ عن عبد الله بن أبى سَعْد عن محمد بن عبد الله عن إسحاق قال :

---

(١) هدّه الأمر : بلغ منه وأعياه .

دخلتُ على الفَضْل بن الرَّبيع وهو على بساط سُوسَنْجِرْدِيّ[1] ستينيّ مُذْهب يلمع عليه مكتوب : «مما أمر بصنعته حمّاد عَجْرَد» ، فقال لى : أتدرى مَنْ حمّاد عَجْرد؟ قلت : لا ، قال : حمّاد عجرد كان والىَ تلك الناحية ، أفرأيتَ مثلَه قطُّ ؟ قلتُ : لا ، فسكتَ ، ثمّ قلتُ : أهكذا يفعل الناس ؟ قال : أىّ شىء يفعلونه ؟ قلت : تَهَبُه لى ، قال : لا أفعل ، قلت : إذًا أغضبُ ، قال : ما شئتَ افْعَلْ ، فخرجتُ مُتغاضباً ، فلمّا وافيتُ منزلى إذا برسوله قد لَحِقنى بالبساط ، فكتبتُ إليه بيتين لحمْزة ابن مُضَر :

ولقد عدَدْتُ فلستُ أُحصى كلَّ ما * قــد نِلْتُ منك من المتاع المُونِق
بخَـديعتى فأراك مُنخـدِعاً لها * وفُكاهــتى وتَغَضُّــبى وتَملُّـق

— قال ابن أبى سعد فى خبره : — فلمّا دخلتُ عليه ضحِك وقال لى : البيتان خير من البساط ، فالفضلُ الآن لك علينا .

رآه ابن بانة يناظر ابراهيم بن المهدى فلم يفهم ما يقولان

أخبرنى يحيى بن علىّ وأحمد بن جعفر جَحْظة عن أبى العُبَيْس بن حَمْدون عن عمرو بن بانة قال :

رأيتُ إبراهيم بن المهدىّ يناظر إسحاقَ فى الغناء ، فتكلّما بما فهماه ولم أفهم منه شيئاً ، فقلت لهما : لئن كان ما أنتما فيه من الغناء فما نحن منه فى قليل ولا كثير .

شعره فى الواثق

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال حدّثنى إسحاق قال :

قدمتُ على الواثق فى بعض قَدَماتى ، فقال لى : أمَا اشتقتَ إلىّ ؟ فقلتُ : بلَى والله يا أمير المؤمنين ، وأنشدتُه :

---

(١) فى أ ، ء ، م هكذا : «سوه متجرد ستينى» . وفى سائر الأصول : «سوسنجرد» من غير ياء النسب . وسوسنجرد : قرية من قرى بغداد .

أشكو إلى الله بُعْـدِى عن خليفته * وما أُعالج من سُقْمٍ ومن كِبَرِ
لا أستطيع رحيلًا إن هَمَمتُ به * يوماً إليـه ولا أقوى على السَّفَرِ
أنوِى الرَّحيـلَ إليـه ثمّ يمنعنى * ما أحدَثَ الدهرُ والأيامُ فى بَصَرى

قال : [و] (١) قال وقد أشخصه إليه قصيدتَه الداليّة :

صـــوت

ضَنّتْ سعادُ غَداةَ البَيْنِ بالزادِ * وأخلفتْـكَ فما تُوفِى بميعادِ
ما أنسَ لا أنسَ منها إذ تُودِّعُنا * والحزنُ منها وإن لم تُبْدِه بادى

لإسحاق فى هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى، يقول فيها :

لمّـا أمرتَ بإشخاصى إليك هَفَا * قلبى حنيناً إلى أهلى وأولادى
ثم اعتزمتُ ولم أحفِـل بَبيْنِهِمُ * وطابتِ النفسُ عن فضلٍ وحَمّادِ ١٠١/٥
كم نعمةٍ لأبيك الخيرِ أفردَنى * بها وعمّ بأُخرى بَعْـدَ إفرادِ
فلو شكرتُ أياديكم وأنعُمَكم * لمّـا أحاط بها وَصْفِى وتَعْدادى
لأشكرَنّك ما ناح الحَمَامُ وما * حَدَا على الصبح فى إثْرِ الدُّجَى حادى

قال علىّ بن يحيى : قال لى أحمد بن إبراهيم : يا أبا الحسن، لو قال الخليفة لإسحاق : أحضِرنى فَضْلًا وحَمّادًا أليس كان قد افتضح من دَمَامةِ خَلْقهما وتخلّف شاهدِهما .

كتب إليه ابن المهدى يأسف لفقدان من يحكم بينهما :

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى هِبة الله بن إبراهيمَ بن المهدىّ قال : كتب أبى إلى إسحاق فى شىء خالفه فيه من التجزئة والقسمة : «إلى من أُحاكمك والناس بيننا حَمِير ! » .

---

(١) الزيادة عن أ، ء، م .

قصة ذهابه الى تل عزاز حين خرج مع الرشيد

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا سليمان بن أيّوب قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال حدّثنا إسحاق قال :

كنتُ مع الرشيد حين خرج إلى الرَّقّة، فدخل يوما إلى النساء، وخرجتُ فمضيتُ إلى تَلّ عَزاز(١)، فنزلتُ عند خَمّارة هناك فسقتني شرابًا لم أرَ مثلَه حُسْنًا وطيبًا وطيبَ رائحةٍ في بيت مرشوش وريحانٍ غَضّ، وبرزتْ بنتٌ لها كأنّها خُوطُ بانٍ(٢) أوجَدْل عِنان، لم أرَ أحسنَ منها قدًّا، ولا أسْيَلَ خدًّا، ولا أعتقَ وجها، ولا أبرعَ ظَرْفا، ولا أفتنَ طَرْفا، ولا أحسنَ كلاما، ولا أتمّ تماما؛ فأقمتُ عندها ثلاثًا والرشيد يطلبني فلا يقدِر عليّ؛ ثم آنصرفتُ فذهبتْ بي رُسُلُه، فدخلتُ عليه وهو غضبان؛ فلمّا رأيتُه خطَرْتُ في مِشْيتي ورقَصْتُ، وكانت فيّ فضلةٌ من السُّكر، وغنّيتُ :

صـــوت

إنّ قلبي بالتَّلِّ تَلِّ عَزَازِ * عنـد ظبي من الظِّباء الجَوازِي(٣)
شادنٍ يَسْكُنُ الشّآمَ وفيـــه * مع دَلّ العِراق ظَرْفُ الحِجاز
يا لَقومي لِبنت قَسٍّ أصابتْ * منكَ صفوَ الهوى وليستْ تُجازي
حلفتْ بالمسيح أن تُنجز الوعـ * ـدَ وليست تجـود بالإنجـاز

— الغناء لإسحاق خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة — قال إسحاق : فسكَن غضبُه، ثم قال لي : أين كنتَ ؟ فأخبرتُه، فضحك وقال : إنّ مثل هذا إذا اتّفق

(١) عزاز : ذكره ياقوت في معجمه فقال : «ذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الديرة : أن عزاز بالرقة، وأنشد عليه لإسحاق الموصلي ... » . ثم ساق ياقوت بعد ذلك البيتين الأولين من الأربعة الأبيات التالية . (٢) الخوط : الغصن الناعم . والجدل : الحبل المفتول . (٣) الجوازي (أصله بالهمز) : جمع جازئة ، وهي من الظباء التي استغنت بالرطب (الرعي الأخضر من البقل والشجر) عن الماء .

لَطَيِّبٌ، أعِدْ غناءك، فأعدته، فأُعجِب به، وأمرنى أن أُعيده ليلةً من أولها إلى آخرها؛ وأخذها المغنّون(١) منّى جميعا وشربنا إلى طلوع الفجر، ثم آنصرفنا فصلّيت الصبحَ ونمت؛ فما آستقررنا حتى أتى إلىّ رسول الرشيد فأمرنى بالحضور، فركبتُ ومضيت؛ فلمّا دخلتُ وجدت آبنَ جامع قد طرَح نفسَه يتمرّغ على دُكّان(٢) فى الدار لغَلَبَة السُّكْر عليه، ثم قال: أتدرى لِمَ دُعينا؟ فقلت: لا والله؛ قال: لكنّى أدرى، دُعينا بسبب نَصْرانيّتك الزانية، عليكَ وعليها لعنةُ الله؛ فضحكتُ. فلمّا دخلتُ على الرشيد أخبرتُه بالقصة، فضحك وقال: صدَق، عُودوا فيه فإنّى اشتقتُ إلى ما كنّا فيه لمّا فارقتمونى؛ فعُدْنا فيه يومَنا كلَّه حتى انصرفنا .

شعره الى المأمون حين وجد عليه لما ترك الغناء

أخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا يَزيد بن محمد المُهلّبىّ قال:

١٠٢ / ٥ كان إسحاق قد أظهر التوبةَ وغيّر زِيَّه وآحتجر(٣) من حضور دار السلطان. فبلغه أنّ المأمون وَجَد عليه من ذلك وتنكّر؛ فكتب إسحاقُ إليه وغنّى فيه بعد ذلك:

صــــوت

يابنَ عمِّ النبىّ سمعًا وطاعهْ * قد خلعنا الرِّداءَ والدُّرّاعهْ
ورجعنا إلى الصِّناعة لمّا * كان سُخْطَ الإمام تركُ الصِّناعه

الغناء لإسحاق رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو — وقد ذكر الغَلابىّ أن هذا الشعر لأبى العَتاهية، قاله لمّا حبسه الرشيد وأمره بأن يقول الشعر — وذكر حبش أن هذا اللحن لإبراهيم .

(١) كذا فى جميع الأصول، ولعله: «وأخذه» أى الغناء. (٢) الدكان: مقعد يقعد ويجلس عليه وهو يشبه ما يسمى بالمصطبة الآن. (٣) احتجر: امتنع. وفى ء: «احتجز» بالزاى المعجمة، ومعناه امتنع أيضا.

تفضيل لحنين له على لحنى ابن سريج ومعبد

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال :

قال لى محمد بن الحسن بن مُصعَب، وكان بصيرًا بالغناء والنَّغَم، : لحنُ إسحاق فى « تَشَكَّى الكميتُ الجرىَ » أحسنُ من لحن ابن سُرَيج، ولحنُه فى « يوم تُبْدى لنا قُتَيْلة» أحسنُ من لحن مَعْبد، وذلك من أجود صنعة معبد . قال : فأخبرتُ إسحاق بقوله ، فقال : قد والله أخذتُ بزمامَىْ راحلتيهما و زَعْزَعتُهما[1] وأَنَختُ بهما فما بلغتُهما . فأخبرتُ بذلك محمد بن الحسن ؛ فقال : هو والله يعلم أنه بَرّز عليهما ، ولكنه لا يدع تعصُّبه للقدماء .

وأخبرنى جَحظة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق :

أنّ رجلا سأل أباه فقال له : إنّ الناس قد كثّروا فى صوتيك : «تشكّى الكُمَيتُ الجرىَ» و «يوم تُبدى لنا قُتَيلة» ، وقالوا : إنهما أجود من لحنَي ابن سُريج ومَعْبد ؛ قال أبى : وَيْحك ! رُمِيت فى هذين الصوتين بمعبد وآبن سُريج وهُمَا هُمَا ، فقرُبت و وقع القياسُ بينى و بينهما ، وعلى ذلك فقد والله أخذتُ بزمامَىْ راحلتيهما وآنتصفتُ منهما .

تحليل غنائه

قرأت فى بعض الكتب أن محمد بن الحسن — أظنّه آبن مصعَب — ذكر إسحاقَ الموصلىّ فقال :

كانت صنعتُه مُحكَمةَ الأصول، ونغمتُه عجيبةَ الترتيب، وقسمتُه مُعدَّلةَ الأوزان، وكان يتصرّف فى جميع بُسُط الإيقاعات ، فأىّ بساط منها أراد أن يتغنّى فيه صوتاً قصد أقوى صوت جاء فى ذلك البِساط لحُذّاق القدماء فعارضَه: وقد كان يذهب مذهبَ الأوائل ، و يسلُك سبيلَهم ، و يقتحم طُرُقَهم ؛ فيَبْنى على الرَّسْم فيصنعه ،

(١) زعزعهما : ساقهما سوقا عنيفا .

ويحتذى على المِثال فيَحْكيه[1]، فتأتى صنعته قويّة وثيقة يجمع فيها حالتين : القوّةَ فى الطّبْع وسهولةَ المسلك ، وخُنْثًا بين كثرة النّغَم وترتيبها فى الصِّياح والإسجاح ؛ فهى بصنعة الأوائل أشبهُ منها بصنعة المتوسّطين من الطبقات ؛ فأما المتأخرون فأحسَنُ أحوالهم أن يَرْوُوها فيردّوها . وكان حسنَ الطبع فى صياحه ، حسنَ التلطُّف، لتنزيله[2] من الصّياح الى الإسجاح على ترتيب بنَغَم يشاكله ، حتّى تعتدلَ وتتزن أعجازُ الشعر فى القسمة بصدوره. وكذلك أصواتُه كلُّها، وأكثرها يبتدئ الصوت فيصيح فيه — وذلك مذهبه فى جُلّ غنائه، حتى كان كثير من المغنّين يلقّبونه الملسوعَ ؛ لأنه يبدأ بالصّياح فى أحسن نغمة فتح بها أحدٌ فاه — ثم يردّ نغمتَه فيرجّحها ترجيحا وينزّلها تنزيلا حتى يَحُطّها من تلك الشـدّة إلى ما يوازيها من اللين ، ثم يَعُود فيفعل مثل ذلك، فيخرج من شـدّة إلى لين ومن لين إلى شـدّة ؛ وهذا أشدّ ما يأتى فى الغناء وأعزّ ما يُعرف من الصّـنعة . قال يحيى بن علىّ بن يحيى وقد ذكر إسحاقَ فى صدر كتابه

١٠٣ / ٥ الذى ألّف فى أخباره [وزاد فى بعض ما صنعه][3]: «وكان إسحاق أعلمَ أهل زمانه بالغناء، وأنفذَهم فى جميع فنونه، وأضربَهم بالعود وبأكثر آلات الغناء، وأجودَهم صنعةً، وقد تشـبّه بالقديم وزاد فى بعض ما صـنعه عليه ، وعارَضَ ٱبنَ سُريج ومعبـدًا فٱنتصف منهما ؛ وكان إبراهيم بن المهدىّ ينازعه فى هذه الصناعة ولم يبلُغه فيها ، ولم يكن بعدَ إسحاقَ مثلُه » .

تشبيه لصوت له

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينىّ قال حدّثنى إبراهيم ٱبن علىّ بن هشام :

---

(١) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «فيحكه» . (٢) لعله «لتنزله» . والتنزل : النزول فى مهلة . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : «وزاد فى بعض ما صنعوا» . على أنه غير واضح وجه ارتباط هذه العبارة بما يتصل بها ، فلعلها زيدت من النساخ .

قال إسحاق وذكر صوته :

صـــوت

كان اَفتتاحَ بـلائِى النَّظرُ * فالحَيْنُ سبَّب ذاك والقَدَرُ
قد كان بابُ الصَّبرِ مُفْتَتَحًا * فاليومَ أَغْلَقَ بابَهُ النَّظـرُ

— الشعر والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ فى مجرى البنصر . وفيه لأحمد بن المكّىّ خفيفُ ثقيلٍ ، ولعَرِيبَ ثانى ثقيلٍ، جميعًا عن الهِشامىّ — قال إسحاق : ما شبّهتُ صوتى هذا إلّا بإنسان أخذ الكُرَةَ على الطَّبْطَابَة(١) وأهلُ الميدان جميعًا خَلْفَه، فلمّا بلغ أقصى ضربها أعجزها .

قصته مع يحيى بن معاذ والأمين

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن يزيد المُهلّبىّ قال حدّثنى إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن علىّ عن أبى أيّوب المَدينىّ عن آبن المكّىّ عن إسحاق قال :

صنعتُ هذا الصوت فى آخر أيام الرشيد وكان إذ ذاك يحيى بن مُعاذ يشرب النبيذ، فلمّا كان فى أيام محمد غنّيته، فآشتهاه وآشتهر به، وبعث إلى يحيى بن معاذ وأنا أُغنّيه :

اِسقِنى وآبنَ نَهِيك * وآبنَ يحيى بنِ مُعـاذِ

فلمّا حضر يحيى غنّيت :

فآسقِنِى وآسقِ نَهِيكاً * وآسقِ يحيى بنَ مُعاذِ

فبعث إليه محمد فأحضره فقـال(٢) : لتشربنّ أو لأعاقبنّك ؛ فلم يبرح حتى شرب قدحا ، وغلّفه(٣) وأمر له بمال، وسُرّ بذلك محمد ووهب لى عليه مالًا ، وآنصرفت إلى

(١) الطبطابة : خشبة عريضة يلعب بها بالكرة . (٢) سياق الكلام يقتضى أن تكون العبارة بعد البيت : « فقال محمد : لتشربن ... الخ » . مع حذف الباق، ولعله زيد سهوا .

(٣) غلفه : طيبه بالطيب . وكان من أخلاق الملك تفرده بالتطيب والتجمل ونحوهما ولا تشركه فى ذلك بطانته وندماؤه . (راجع كتاب التاج للجاحظ طبع بولاق ص ٤٦ — ٤٩) .

البيت، فجاءنى رسول يحيى بن معاذ فصرتُ إليه، فلم يزل يستحلفنى ألّا أعودَ فى هذا الصوت قُدَّامَ محمد أبدًا، وأمر لى من المـال بشىء فلم أقبله، ولم أعُدْ فيه .

نسبة هذا الصوت

صـــــوت

شعر علىّ بن هشام الذى غنى فيه

يومُنـا يـومُ رَذَاذِ * وٱصطباحٍ والتـذاذِ
فٱسقنى وٱبنَ نَهيكٍ * وٱبنَ يحيى بن مُعـاذِ
من كُمَيْتٍ(١) عُتِّقت للشـ * ـيخ كِسرى بن قُبَاذِ
ليس للمـرء من الهـمّ * سـواها من مَلاذِ

الشعر لعلىّ بن هِشام، والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو .

أخبرنى بقوله علىّ بن هشام والحسن بن علىّ قالا حدّثنا عبد الله بن أبى سعد

١٠٤/٥ قال حدّثنى أحمد بن القاسم الهاشمىّ(٢) قال حدّثنى أبو عبد الله الهلالىّ قال :

كنتُ عند علىّ بن هشام يومًا إذ رَشّت السماءُ رشًّا وطَشّت، فأنشأ علىّ يقول:

يومُنـا يـومُ رذاذِ * وٱصطباحٍ والتـذاذِ

— وذكر الأبيات الأربعة — ثم قال لغلامه : اذهب إلى أحمد بن يحيى بن معاذ وقل له : يقول لك أخوك: هذا يوم طيّب، فتعالَ أنت وغلاماك بُنَان وعثعث، فجاء إلى بابه الرسولُ وعليه غُرَماءُ له، فمنعوه الدخولَ عليه، فقال لهم: كم لكم عليه؟ قالوا: مائتا ألف درهم، فرجع الغلام إلى علىّ بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ مالهم عليه من الدَّيْن، فقال له : احمِلْ إليه مائتى ألف درهم وجِئْ به وبغلامَيْـه الساعةَ فحملها، فجاء أحمدُ بن يحيى ومعه غلاماه، فقال لعلىّ بن هشام : لِمَ تحمّلت هذا لى! أنا والله

(١) الكميت : الخمر التى فيها سواد وحمرة . (٢) فى حـ : « المشاى » .

مُنتظر مالا يجيء فأُعطيهم؛ فقال له : مالى ومالُك واحدٌ. فتغدّيتُ معهما حتى جاءت الحلواء؛ فقال : أكْثِر من الحلواء فلستَ تدخل معنا فى ديواننا (يعنى الشُّرْبَ)؛ فأكلتُ وغسلت يدىّ ؛ فقال لغلامه سِراج: احمِلْ مع أبى عبد الله الهلالىّ ثلاثين ألفَ درهم؛ فآنصرفتُ وهى معى .

تذكر فى كبره شعرا له فى صباه فبكى

أخبرنا يحيي بن علىّ قال حدّثنا سليمانُ المَدائنىّ عن آبن المَكّىّ عن أبيه قال حدّثنى إسحاق قال :

تعشّقتُ جاريةً فقلت فيها :

هل إلى أن تنام عينى سبيلُ * إنّ عهدى بالنوم عهدٌ طويلُ
غاب عنّى مَنْ لا أُسمّى فعَيْنى * كلَّ يوم عليه حُزْنًا تَسِيل

— الشعر والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو . وفيه لعَريبَ خفيفُ رَمَلٍ آخر. وفيه لمحمد بن حمزة وَجْه القَرْعة خفيفُ ثقيلٍ، وقيل : إنه لآبن المكّىّ . وفيه رَمَلٌ بالوسطى يُنسب إلى عَلّويه وإلى حسين بن مُحْرِز — قال إسحاق : ثم ملكتُها ، فكنت مشغوفا بها، حتى كَبِرتُ وآعتلّتْ علىّ عيناى ، فذكرتُ هذا الصوتَ وأيامَه المتقدّمة، فما زلتُ أبكى وأذكر دهرى الذى تولّى . وأخبرنى بهذا الخبر الحسن بن علىّ عن يزيد المُهَلّبىّ عن إسحاق؛ وليس هذا على التمام .

حكم يحيي المكى على لحن له عند المأمون

أخبرنى جَحْظة عن محمد بن أحمد بن يحيي المَكّىّ عن أبيه قال :

دعا المأمونُ بإسحاق فأُحضِرَه، فأمره أن يُغنّى فى هذا الصوت [فغنّى](١) :

هل إلى أن تَنامَ عَيْنى سبيلُ *

(١) سياق الكلام يأبى هذه الكلمة، ولعلها زيدت من النساخ .

فغنّاه، وكنتُ حاضرًا فقلت : أحسنَ والله يا أمير المؤمنين، وما عدَا بلحنه معنى شعره، فقال المأمون : فإنّا نَرُدّ الحُكمَ الى مَنْ هو أعلم بذلك منك، فبعث إلى أبى (يعنى يحيى المكىّ) فجىء به، فخبّره بما قلتُ وما قال، وأمر إسحاقَ بردّ الصوت فردّه، فقال يحيى: أحسنَ إسحاقُ فى غنائه وأحسنَ آبنى فى آستحسانه، إلّا أنّ هـذا اللحنَ يحتاج أن يُسمَعَ من غير حَلْق إسحاق، فضحك المأمون، وأمر لإسحاقَ بمال وأمر لأبى بمثله ولى بمثله . قال : ولم يكن فى إسحاق شىء يُعاب إلّا حَلْقُه، وكان يغلب النـاسَ جميعا بطبعه وحِذْقه .

ضعف بصره والسبب فى ذلك

قال : وأما السبب فى علّة عين إسحاق وضعف بصره، فأخبرنى به محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى به أبو أيّوب المَدينىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعىّ :

أنّ إبراهيم ابن أخى سَلْمَة[1] الوَصيف نازَع إسحاقَ فى شىء بين يدى الرشيد من الغناء، فردّ عليه، فشتَمه، فردّ عليه إسحاقُ وأَرْبَى فى الردّ، فقال له إبراهيم : أتردّ علىّ وأنا مولى أمير المؤمنين! فقال له : أُسكُتْ فإنك من مَوَالى العِيدَيْنِ[2]، فقال له الرشيد: وأىّ شىء موالى العيدينِ ؟ قال : يا أمير المؤمنين، يُشْتَرَى للخلفاء كلُّ صانع وكلُّ ضربٍ فى العبيـد للعتق، فيكون فيهـم الحَجّامُ والحائك والسائس، فهو أحد هؤلاء الذين ذكرتُ . قال : وخرج إبراهيم فوقف له على طريقه، فلمّا جاز عليه مُنْصَرِفًا ضرب رأسَه بمِقْرَعةٍ فيهـا مِعْوَلٌ، فكان ذلك سببَ ضـعف بصر إسحاق . و بلغ الرشـيدَ الخبرُ، فأمر بأن يُحْجَبَ عنه إبراهيمُ، وحلف ألّا يدخلَ عليه، فدسّ إلى الرشيدِ من غنّاه :

١٠٥ / ٥

(١) فى جميع الأصول هنا : «إبراهيم بن أبى سلمة» ، وقد آثرنا ما أثبتناه لأن الأصول قد اتفقت عليه عند ذكره فى المرات التالية . (٢) فى حـ ، مـ ، ب : «موالى العيرين» بالراء المهملة .

صــــوت

مَنْ لعبـــدٍ أذلّه مولاهُ * ماله شافعٌ إليــه سواهُ
يشتكي ما به إليه ويخشا * هُ ويرجوه مثلَ ما يخشاه

— الشعر لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم ابن أخي سَلَمة الوَصيف خفيفُ رَمَلٍ. وفيه لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ. وقيل: إن لابن جامع فيه خفيفَ رملٍ آخر — فلمّا غُنِّيَ الرشيدُ بهذه الأبيات، سأل عن صاحب لحنها فعُرِّفَه، فحلف ألّا يرضَى عنه حتى يرضَى إسحاقُ؛ فقام إسحاق فقال: قد رَضِيتُ عنه يا سيّدى رضاءً حسنا، وقبّل الأرضَ بين يديه شكرًا لمـا كان من قوله؛ فرضِى عنه وأُحضِر وأمره بتَرَضِّى إسحاقَ ففعل.

قصته مع إبراهيم ابن أخى سلمة بسبب الدخول على الرشيد

وأخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال:

جاء إبراهيم ابن أخى سَلَمة إلى الرشيد فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّى أُحبّ أن تشرّفنى بأن تكون نَوْبتى ونوبةُ إسحاقَ الموصلىّ فى مكان، وأن يكون دخولى إليك ودخوله فى مكان، فإنْ رأيتَ أن تجعل ذلك كما سألتُ فعلتَ؛ قال: قد فعلتُ، ولم أكن حاضرًا لمسألته. فلمّـا كان يومُ دخولى عليه جاءنى إبراهيم فدقّ بابى دقًّا عنيفًا وعرّفنى الغلامُ خبرَه؛ فقلتُ له: يدخل؛ فأبى وقال له: قل له اخرج أنت؛ فساء ظنّى واغتممتُ، فخرجتُ اليه فقلت له: ما الخبر؟ قال: إنّ أمير المؤمنين يأمرك بالحضور ويأمرك ألا تدخل الدارَ إلّا معى بعد أن أُوجِّه إليك فتركب إلىّ وتمضى معى؛ فمضيت معه على رغمى وأنا منكسر، وكنت بقيّةَ يومى على تلك الحال. ثم ركبت إلى الفضل بن الرَّبيع فشكوتُ ذلك إليه؛ فقال: ما أرى أميرَ المؤمنين يُحِلُّك هذا المحلّ، قم بنا إليه؛ فقمت معه، فدخل إلى الرشيد فقال له: يا أمير المؤمنين، إسحاقُ وخدمتُه وحقوقُ أبيه عليك وعلى أمير المؤمنين

المهدىّ تضع مقدارَه أن تجعله مضموماً إلى إبراهيم ابن أخى سَلَمة؛ قال : لا والله ما فعلتُ هذا؛ قال : إنه قد جاءنى يبكى ويحلف لئن جرى عليه هذا تاب من الغناء وتركه جملةً ، ثم لو قُتل لم يَعُدْ إليه؛ فقال : ويحك ! والله ما جرى من هذا شىء، إلّا أنّ إبراهيم ابن أخى سَلَمة جاء فقال : تشرّفنى أن تجعل نوبتى مع نوبة إسحاق ووصولى مع وصوله ففعلت؛ فقل له : يجىء متى شاء وينفرد عنه ولا يجىء معه ولا كرامةَ؛ فأخبرنى فرجعت . فلمّا كانت نوبتى جاء إبراهيم إلىّ ففعل مثلَ فعله؛ فقلت لغلامى : اخرج اليه فقل له : ولا كرامةَ لك يا زانى يابْنَ الزانية، لا أجىء معك ولا أَدَعُك تجىء معى أيضا ، وشتَمه أقبحَ شتم ؛ فخرج الغلام فأدّى اليه الرسالة ؛ فعلم أن هذا لم يجترئ عليه إلّا بعد توثّق فخجل ، فقال له : قل له : ومَنْ أكرهك على هذا ! إنما أحببتُ أن نصطحبَ ونتأنّس فى طريقنا، فإن كرِهتَ هذا فلا تفعلْه؛ وانصرَف ولم يعاودْنى بعدها . ١٠٦/٥

كان له صوت اذا غناه أخذ بلحيته وبكى

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنا أبو أيّوب المدينىّ عن ابن المكّىّ عن أبيه قال :

كان إسحاق إذا غنّى هذا الصوتَ يأخذ بلحيته ويبكى :

إذا المرءُ قاسى الدهرَ وابيضّ رأسُه * وثُلِّم تثليمَ الإناء جوانبُهْ
فللموتُ خيرٌ من حياةٍ خسيسةٍ * تُباعده طوراً وطوراً تُقاربه

الشعر لزَبّان بن سَيّار الفَزارىّ ، حدّثنى بذلك الحَرَمىّ بن أبى العَلاء عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه . والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى .

جفاه المأمون فأمر علويه أن يغنيه بشعر له فرضى عنه

أخبرنا محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، وأخبرنا يحيى بن علىّ عن أبيه عن إسحاق قال :

أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهرًا لا يسمع حرفًا من الأغانى ، فكان أوّلَ من تَغَنّى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد، ثم واظب على السماع متسترًا متشبهًا فى أول أمره بالرشيد، فأقام كذلك أربعَ حِجَج، ثم ظهر الى النُّدماء والمغنِّين . وكان حينَ أحبَّ السماعَ سأل عنِّى، فجُرِحتُ بحضرته، وقال الطاعن علىّ: مايقول أمير المؤمنين فى رجل يَتِيه على الخلافة ! قال المأمون : ما أبقَى هذا من التيه شيئا إلا آستعمله . فأمسك عن ذكرى، وجفانى من كان يصلنى، لسوء رأيه الذى ظهر فىّ ؛ فأضرّ ذلك بى؛ حتى جاءنى عَلّويه يومًا فقال لى : أتأذَن لى فى ذكرك ؟ فإنّا قد دُعينا اليوم؛ فقلت : لا ! ولكن غَنّه بهذا الشعر، فإنه سيبعثه على أن يسألك : لمن هذا؛ فاذا سألك آنفتح لك ما تريد، وكان الجوابُ أسهلَ عليك من الابتداء؛ فقال: هات ، فألقيتُ عليه لَحْنِى فى شعرى :

صــــوت

يا سَرْحةَ(1) الماءِ قد سُدّتْ مواردُه * أمَا إليــك طريقٌ غيرُ مســدودِ

لحائمٍ حامَ حــتّى لا حِــيامَ(2) له * مُحَلَّإٍ عن طــريق المـاء مطرودِ

ــ الغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن عمرو ــ قال: فمضى عَلّويه، فلما آستقرّ به المجلس ، غنّاه بالشعر الذى أمرتُه ؛ فما عدا المأمون أن يسمع الغناء حتى قال : ويحك يا عَلّويه! لمن هذا ؟ قال : يا سيّدى ، لعبد من عبيـدك جفوتَه وآطَّرحتَه من غير جُرْم؛ فقال : أإسحاق تَعْنِى؟ قال: نعم؛ قال : يحضر الساعةَ؛ فجاءنى رسوله

(1) سرحة الماء : كنى بها هنا عن المرأة، قال الأزهرى : «العرب تكنى عن المرأة بالسرحة النابتة على الماء» ، واستشهد بهذين البيتين . والمحلأ: المطرود عن الماء، يقال : حلأه عن الماء: اذا طرده ومنعه وروده . (2) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : «لا حوام له» . ولم نجد الحوام مصدرا من مصادر حام . وفى اللسان ومختار الأغانى : «لا حراك به» .

فصرت اليـه . فلمّا دخلتُ عليه قال : ادنُ فدنوت، فرفع يديه مادَّهما، فٱنكببتُ عليـه، وٱحتضنني بيديه، وأظهر من برّى وإكرامى ما لو أظهره صـديق مؤانس لصديقه لَبَرَّه .

غنى المعتضد بشعر له فدحه

أخبرنى محمد بن إبراهيم الجُرْجانى قُرَيْض قال: قال لى أحمد بن أبى العَلَاء : غنّيت المعتضدَ يومًا وهو أميرٌ صوتَ إسحاق :

يا سرحةَ المـاء قد سُدَّتْ مواردُه * أما إليـك طريقٌ غيرُ مسـدودِ

فطرب وٱستعاده مرارا، وقال : هذا والله الغناء الذى يُخالط الرُّوحَ ويُمـازِجُ اللحمَ والدم .

صوته فى شعر له، كان الناس يتهادونه كالطرف

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا أبو العُبَيْس بن حَمْدون قال أخبرنى أبى قال : لمّـا غَنّى إسحاقُ فى شعره هذا :

١٠٧ / ٥

صـــوت

لأسماءَ رَسْمٌ عفا باللّوَى * أقام رَهينًـا لطُول البِلَى

تَعاورَه الدهرُ فى صَرْفه * بكَرّ الجـديدَيْنِ حتّى عفا

ـــ الشعر لإسحاق من قصيدة مدَح بها الرشيدَ، والغناء له ثانى ثقيلٍ بالوسطى. وفيه لسُلَيم ثقيلٌ أوّلُ من رواية الهِشامىّ، وذكر حَبَشٌ أنه لإبراهيمَ بنِ المهدىّ ـــ قال: فكان الناس يتهادَوْنه كما يتهادَوْن الطُّرْفةَ والباكورةَ . وقال أبو العُبَيْس حدّثنى ٱبن مُخارق : أنّ الواثق بعث إلى أبيه مُخارق لمـّا صنع إسحاقُ هذا الصوتَ ليُلقيَه عليه، فصادفه عليلا ـــ ولم يكن أحد يلقَنُ عن إسحاق طَرْحَ الغناء كما يَلْقَنُه مُخارق ـــ فأعاد اليه الرسولَ ومعه مِحَفّة، وقال : لا بدّ أن يجىء على كلّ حال؛ فتحامل وصار إليه حتى أخذ الصوتَ عن إسحاق ورجع .

كان يحب الشجاعة والفروسية وشعر أخيه فيه حين أصابه سهم

وذكر محمد بن الحسين الكاتب عن أبي حارثةَ الباهلي عن أخيه أبي معاوية : أنّ إسحاق كان يتحلّى بالشجاعة والفُرُوسيّة ويحبّ أن يُنسَب اليهما ، ويركب الخيل ويتعلّم بها آفة من الآفات المعترضة على العقول . وكان قد شهِد بعضَ مشاهد الحروب فأصابه سهم فنكَص على عَقِبَيْه ؛ فقال أخوه طَيّاب فيه :

وأنت تكلّفتَ مالا تُطيق * وقلتَ أنا الفارسُ المَوْصِلي
فلمّا أصابتْــك نُشّابةٌ * رجعتَ الى ســنّك(١) الأوّل

حديث حمزة الزيات معه

أخبرنا يحيي بن عليّ بن يحيي عن أبيه عن إسحاق قال :
قال حمزة الزيّات القارئ(٢) : يا موصليّ ، إنّ لى فيك رأيا ، أفترضَى مع فهمك وأدبك ورأيك أن يكون عِوَضُك من الآخرة فضلَ مَطْعَم على مَطْعَم ! .

شعر الأصمعي أو ابن المنذر العروضي فيه

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال أنشدني أبو سعيد السُّكّريّ قال أنشدني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ لعمّه يقول لإسحاق :

أئنْ تغنّيتَ للشَّرْبِ الكرامِ « ألا * ردّ الخليطُ جمالَ الحيّ فانفرقوا »
وقيل أحسنتَ فاستدعاك ذاك الى * ماقلتَ ويحك لا يذهَبْ بك الخَرَقُ
وقيــل أنت حُسَانُ الناسِ كلِّهــمُ * وابنُ الحُسانِ فقد قالوا وقد صدَقوا
فــا بهــذا تقوم النــادباتُ ولا * يُثْنى عليــك إذا ما ضمّك الخِــرَقُ

قال يحيي بن عليّ : إنّ هذه الأبيات تُرْوَى لابنِ المُنْذِر العَرُوضيّ وللأصمعيّ .

(١) كذا فى الأصول . ولعله محرف عن : « الى شأنك » ونحوه مما يستقيم به الكلام .
(٢) يلاحظ أن حمزة الزيات القارئ (صاحب قراءة القرآن المعروفة) توفى سنة ست وخمسين ومائة فى خلافة أبى جعفر المنصور بمدينة حلوان وهى فى أواخر سواد العراق مما يلى بلاد الجبل (كما فى كتاب الطبقات الكبير فى الكوفيين لابن سعد — ج ٦ ص ٢٦٨ طبع مدينة ليدن سنة ١٣٢٥ ه وفهرست ابن النديم ص ٢٩ طبع أوروبا وتاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٢٣٥ طبع بولاق) وأن إسحاق الموصلى ولد سنة خمسين ومائة ، فكيف يعقل أن يكون بينهما مثل هذا الحديث وإسحاق فى هذه السن .

فسد ما بينه وبين الأصمعى وسبب ذلك وتأنيبه وشعره فيه

قال مؤلف هذا الكتاب : كان إسحاق يأخذ عن الأصمعىّ ويكثر الرواية عنه، ثم فسد ما بينهما، فهجاه إسحاق وثلبه وكشَف للرشيد معايبَه، وأخبره بقلّة شكره وبُخْله وضَعَة نفسه وأنّ الصَّنيعةَ لا تَزْكُو عنده، ووصف له أبا عُبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى بالثقة والصدق والسماحة والعلم؛ وفعل مثلَ ذلك للفَضْل بن الرَّبيع وآستعان به؛ ولم يزل حتى وضع مرتبةَ الأصمعىّ وأسقطه عندهم، وأنفذوا إلى أبى عُبَيدة مَنْ أقدمه .

أخبرنى أبو الحسن الأَسَدىّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

أنشدتُ الفضلَ بن الرَّبيع أبياتاً كان الأصمعىّ أنشدنيها فى صفة فرس :

كأنه فى الجُلِّ(١) وهو سامِى * مُشتمِلٌ(٢) جاء من الحَمّامِ

يَسُور(٣) بين السَّرج واللِّجامِ * سَوْرَ القَطامِىّ(٤) إلى اليَمامِ

١٠٨ / ٥

قال : ودخل الأصمعىّ فسمعنى أُنشدها، فقال : هاتِ بقيّتها؛ فقلت له : ألم تقل إنه لم يبقَ منها شىء؟ فقال : مابقى منها إلّا عيونها، ثم أنشد بعد هذه الأبيات ثلاثين بيتا منها، فغاظنى فعله؛ فلمّا خرج عرّفت الفضلَ بن الربيع قلّة شكره لعارفة(٥) وبخله بما عنده، ووصفتُ له فضلَ أبى عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنَّى وعلمَه ونزاهتَه وبذلَه لما عنده وآشتمالَه على جميع علوم العرب، ورَغَّبتُه فيه، حتى أنفذ إليه مالاً جليلا وآستقدمه؛ فكنتُ سببَ مجيئه به من البصرة .

أخبرنى عمّى قال حدّثنا فَضْل اليَزيدىّ عن إسحاق قال :

---

(١) الجل للدابة : كالثوب للإنسان تصان به . وقد وردت هذه الكلمة فى ب، س : «الحل» بالحاء المهملة، وهو تصحيف . (٢) اشتمل الرجل : تلفف بثوبه وأداره على جسده كله . (٣) يسور : يثب ويثور . (٤) القطامى (بفتح أوله وبضم) : الصقر . (٥) العارفة : المعروف .

جاء عطاءُ المُلْك بجماعة من أهل البَصْرة إلى قُرَيْب أبى الأصمعىّ، وكان نَذْلًا من الرجال، فوجده ملتفًّا فى كِسائه نائمًا فى الشمس، فركَضه برجله وصاح به: يا قُرَيْب، قم ويلك! فقال له: هل لقيتَ أحدًا من أهل العلم قطُّ أو من أهل اللغة أو من العرب أو من الفقهاء أو من المحدِّثين؟ قال: لا والله؛ قال: ولا سمعتَ شيئا تَرويه لنا أو تُنشدناه أو نكتبه عنك؟ قال: لا والله؛ فقال لمن حضر: هذا أبو الأصمعىّ، فآشهدوا لى عليه وعلى ما سمعتم منه، لا يَقُلْ لكم غدًا أو بعده: حدّثنى أبى أو أنشدنى أبى؛ ففضَحه. قال الفضل: ثم مرِض الأصمعىّ، وكان الحال بينه وبين إسحاق الموصلىّ آنفرجتْ؛ فعاده أبو رَبيعة، وكان يرغب فى الأدب ويَبَرّ أهلَه؛ فقال له الأصمعىّ: أقرِضْنى خمسة آلاف درهم؛ فقال: أفعل. فقال له أبو ربيعة: فأىّ شىء تشتهى سوى هذا؟ فقال: أشتهى أن تُهدى الىّ فصًّا حسنا وسيفًا قاطعا وبُرْدًا(١) حسنا وسرجا مُحَلًّى؛ فقال: أفعل، وبعث بذلك اليه لمّا عاد الى منزله. وبلغ ذلك إسحاق فقال:

أليس من العجائب أنّ قِرْدًا * أُصَيْمِعَ باهِليًّا يستطيلُ
ويزعُم أنه قد كان يُفْتِى * أبا عمرو(٢) ويسأله الخليلُ(٣)
إذا ما قال قال أبى عجِبنا * لما يأتى به ولما يقولُ
وما إن كان يَدْرِى ما دَبِيرٌ(٤) * أبوه إن سألتَ وما قَبِيلُ

(١) كذا فى حـ: وفى سائر الأصول: «برذونا». والشعر الآتى يؤيد ما أثبتناه.

(٢) هو أبو عمرو بن العلاء أحد أئمة اللغة والأدب، كان إمام أهل البصرة فى القراءآت والنحو واللغة، أخذ عن جماعة من التابعين؛ قال أبو عبيدة: أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر؛ وكان من أشراف العرب ووجهائها، مدحه الفرزدق ووثقه يحيى بن معين وغيره. مات سنة أربع وقيل: سنة تسع وخمسين ومائة.

(٣) هو الخليل بن أحمد اللغوى النحوى العروضى، الذى ابتدع علم العروض. مات سنة سبعين ومائة وقيل: سنة خمس وسبعين.

(٤) يقال: فلان لا يعرف ماقبيله وما دبيره: أى لا يعرف ما قدامه وما خلفه.

وجَــلَّله عطــاءُ المُــلْك عارًا * تزول الراســياتُ ولا يزولُ
نصحتُ أبا ربيعةَ فيه جُهْدِى * وبعضُ النصح أحيانًا ثقيــلُ
فقــل لأبى رَبيعةَ إذ عصانى * وجارَ به عن القصــد السبيلُ
لقد ضاعتْ برودُك فٱحتسبْها(١) * وضاع الفَصُّ والسيفُ الصقيلُ
وسرجٌ كان للبِرذَوْنِ زَيْنًــا * له فى إثره جَــزَعًا صهيــلُ
وأمّا الخمســةُ الآلافِ فٱعلمْ * بأنّك غَبْنَهــا لا تســتقيلُ
وأنّ قضاءها فتعزَّ عنهــا * سيأتى دونه زمنٌ طويلُ

أعجبته وصيفة عند الواثق فأنشده شعرا للرار وغناه فيه فوهبها له

حدّثنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كنت جالسا بين يدى الواثق وهو ولىّ عهــد، إذ خرجتْ وصيفةٌ من القصر كأنها خُوطُ بانٍ، أحسنُ مَنْ رأته عينى قطُّ، تَقْدُمُ عدّةَ وصائفَ بأيديهن المَذَابُّ(٢) والمناديل ونحوُ ذلك، فنظرتُ اليها نَظر دَهِش وهو يَرْمُقُنى. فلمّا تبيّن إلحاحَ نظرى ١٠٩/٥ قال: مالكَ يا أبا محمد قد ٱنقطع كلامُك و بانت الحيرةُ فيك ! فتلجلجتُ؛ فقال لى : رمتْك والله هذه الوصيفةُ فأصابت قلبَك ! ؛ فقلت : غيرُ ملوم؛ فضحك ثم قال: أنشدْنى فى هذا المعنى؛ فأنشدتُه قولَ المرّار(٣) :

أَلِكْنِى(٤) إليها عَمْرَكَ اللهَ يا فتى * بآيةِ ما قالت مــتَى هو رائحُ
وآيةِ ما قالت لهنّ عَشِــيّةً * وفى السِّترِ حُرّاتُ الوجوه مَلائحُ

(١) فى أكثر الأصول : « فاحتبسها » بتقديم الباء على السين، والتصويب عن ح .

(٢) المذاب : جمع مذبة وهى ما يذب به كالمروحة .

(٣) هو المرار بن سعيد الفقعسى وله ترجمة فى الجزء التاسع من هذا الكتاب (ص ١٥٨ طبع بولاق) .

(٤) ألكنى إلى فلان : أبلغه عنى وتحمل اليه رسالتى .

تَخَيَّرْنَ أَرْماكُنّ فارْمِينَ رمِيةً ... أخا أسدٍ إذ طرّحتْه(١) الطوارحُ
فَلَبِّسْنَ مِسْلاسَ الوِشاحِ كأنها * مَهاةٌ لها طِفْلٌ بُرُمّانَ راشحُ(٢)

فقال له الواثق : أحسنتَ بحياتي وظَرُفتَ ، اصنع فيها لحنا ؛ فإن جاء كما نريد وأطربَنا فالوصيفةُ لك ؛ فصنعتُ فيه لحنًا وغنّيته إيّاه ؛ فاصطبح عليه وشرب بقيّة يومه وليلته حتى سكر ، [و](٣) لم يقترح عليّ غيره ، وانصرفتُ بالجارية .

غنى الواثق وهو لقس النفس فأطربه

حدّثني عمّي قال حدّثني فضل اليزيديّ عن إسحاق قال :

دخلت على الواثق يوما وهو خاثر النفْس(٤) ، فأخذتُ عودًا من الخزانة ووقفتُ بين يديه فغنّيته :

من الظباءِ ظباءٌ همُّها السُّخُبُ(٥) ... ترعَى القلوبَ وفي قلبي لها عُشُبُ
أهوَى الظباءَ اللواتي لا قُرونَ لها * وحليُها الدُّرُّ والياقوتُ والذهبُ
لا يغتَرِبْنَ ولا يسكُنّ باديةً ... وليس يعرِفن ما صَرٌّ(٦) ولا حَلَبُ
وفي الذين غدَوْا ، نفسي الفداءُ لهم ، * شمسٌ تبرقَعُ أحيانا وتنتقبُ
ياحسنَ ما سرَقتْ عيني وما انتهبتْ * والعينُ تَسرِق أحيانًا وتنتهبُ
إذا يدٌ سرَقتْ فالقطعُ يلزمها * والقطعُ في سرَق العينين(٧) لا يجبُ

---

(١) صححها الأستاذ الشنقيطي في نسخته «طوّحته الطوائح» . وطوّحته الطوائح : قذفته القواذف ورمت به الحوادث . ولا يقال المطوّحات وهو من النوادر . (٢) قصر الرمان : بنواحي واسط القصب . وهي التي خربها الحجاج وسمي باسمها « واسط الحجاج » . والراشح : الصغير اذا قوى ومشى مع أمه وسعى خلفها . ويقال لأمه : راشح أيضا ومرشح (من أرشح) ومرشح (من رشح بالتضعيف) .
(٣) التكلة عن حـ . (٤) خاثر النفس : ثقيلها غير طيب ولا نشيط . (٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٥٥ من هذا الجزء . (٦) في أ ، ء ، م : « ما ضرع » . وكذلك وردت في جميع الأصول فيما مضى . (٧) في أ ، ء ، م : «في سرق بالعين» .

قال : فهَشّ إلىّ ونشِط ودعا بطعام خفيف وأكلنا وآصطبح وأمر لى بمائة ألف درهم . [و] أخبرنى به الحسن بن علىّ عن آبن مَهْرويه عن علىّ بن الحسن عن إبراهيم بن محمد الكَرْخىّ عن إسحاق، فذكر مثلَه ؛ وقال فيه : فأمر لى بعشرة آلاف درهم .

طلب من المأمون أن يدخل المقصورة معه يوم الجمعة فاشترى ذلك منه بمال

حدّثنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى [عُبَيد الله بن][1] عبد الله بن طاهر عن أخيه محمد قال :

كان إسحاق الموصلىّ يدخل فى مُبَطَّنة وطَيْلَسان مثل زِىّ الفقهاء على المأمون؛ فسأله أن يأذن له فى دخول المقصورة يوم الجمعة بدُرّاعة سوداءَ وطَيْلَسان أسود ؛ فتبسّم المأمون وقال له : ولا كلّ هذا بمرّة يا إسحاق . ولكن قد اشترينا منك هذه المسألة بمائة ألف درهم حتى لا تغتمّ، وأمر بحملها اليه فحُمِلت .

كان أبو خالد الأسلمىّ يمدحه ويقدم شعره

حدّثنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى عُبَيد الله بن عبد الله قال حدّثنى هارون ابن محمد بن عبد الملك الزيّات عن أبى خالد الأسْلَمىّ :

أنه ذكر إسحاق يومًا وكان يفضّله ويعظّم شأنه ويقدّمه فى الشعر تقديما مُفْرِطا، فقال : ما قولكم فى رجل محدَث تَشَبَّه بذى الرُّمّة وقال على لسانه شعرا وغنّى فيه ونَسَبه اليه ، فلم يَشكُكْ أحدٌ سمعه أنه له ولا فَطِن لما فعل أحد إلّا مَنْ حَصَّل شعرَ ذى الرمّة كلّه ورواه؛ فسئل أبو خالد عن هذا الشعر فقال :

١١٠ / ٥

ومَـدْرَجةٍ[2] للريح تَيْهاءَ لم تكن * ليَجْشَمَها زُمَّيْلةٌ غيرُ حازمِ
يَضِلّ بها السارى وإن كان هاديًا * وتَقْطَعُ أنفاسَ الرياح النواسمِ

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ب ، س سهوا من الطابع . (٢) المدرجة : الطريق . والتيهاء : المفازة التى لا يهتدى فيها . والزميلة : الضعيف الجبان .

تَعَسَّفتُ أَقْرِى جَوْزَها[1] بشِمِلَّةٍ * بعيدةِ ما بين القَـرَا والمَنَاسِم
كأنَّ شِرَارَ المَرْوِ[2] من نَبْذِها به * نجومٌ هَوَتْ أُخرى[3] الليالى العواتم

غنى المأمون بشعر فى اللذات فرد عليه

حدّثنى عمّى وأحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنا فَضْل اليَزيدىّ عن إسحاق قال :

غنّيتُ المأمون يومًا هذين البيتين :

لأحسنُ من قَرْعِ المَثَانى ورجعِها * تَوَاتُرُ صوتِ الثغرِ يُقْرَعُ بالثغرِ
وسكْرُ الهوى أروَى لعظمى ومَفْصِلى * من الشُّرب فى الكاسات من عاتق الخمر

فقال لى المأمون : ألا أخبرك بأطيبَ من ذلك وأحسن؟ الفراغُ والشباب والجِدَة .

أعتق غلامه فتحا لحسن جوابه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى قال :

كان لإسحاق غلام يقال له فَتْح، يستقى الماءَ لأهل داره على بغلين من بغاله دائمًا ، فقال إسحاق : قلت له يومًا : أىُّ شىء خبرُك يا فتح؟ قال : خبرى أنه ليس فى هذه الدار أحدٌ أشقى منّى ومنك ؛ قلت : وكيف ذلك؟ قال : أنت تُطعم أهل الدار الخبز وأنا أسقيهم الماء ؛ فآستظرفتُ قوله وضحكتُ منه ، [ثم] قلت له : فأىُّ شىء تحبُّ؟ قال : تُعتقنى وتَهب لى البغلين أستقى عليهما ؛ فقلت له : قد فعلت .

شعره فى أبى البصير وكان يدعى الغناء بغير علم

أخبرنى أبو الحسن أحمد بن محمد الأَسَدىّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال : كان لأبى البَصير الشاعر قِيانٌ ، وكان يتكلّم فى الغناء بغير علم ولا صواب فيُضْحَك منه ؛ فقال أبى فيه :

---

(١) جوز الشىء : وسطه ومعظمه . والشملة : الناقة السريعة . والقرا : الظهر . والمناسم : الأخفاف .
(٢) المرو : حجارة بيض رقاق براقة . (٣) فى ا ، ء ، م : « إحدى الليالى » .

سكتُّ عن الغناء فما أُمارِى * بصيرًا لا ولا غيرَ البصيرِ

مخافةَ أن أُجنَّ فيه نفسى * كما قد جُنَّ فيه أبو البصير

نهاه الرشيد عن الغناء إلا له أو لجعفر بن يحيى وقصته مع الفضل فى ذلك

أخبرنى الحسين بن يحيى المِرْداسىّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: نهانى الرشيدُ أن أغنِّىَ أحدًا غيرَه، ثم آستوهبنى جعفرُ بن يحيى وسأله أن يأذَن لى فى أن أُغنِّيَه ففعل، وآتّفقنا يومًا عند جعفر بن يحيى وعنده أخوه الفضل، والرشيدُ يومئذ بعقب علّة قد عُوفِىَ منها وليس يشرَب؛ فقال لى الفضل: انصرفْ إلىّ الليلة حتى أَهَبَ لك مائة ألف درهم؛ فقلت له: إنّ الرشيد قد نهانى(1) ألّا أغنِّىَ إلّا له أو لأخيك، وليس يخفى عليه خبرى، وأنا متَّهم عنده بالميل إليكم، ولست أتعرض له ولا أعرِّضك، ولم أُجبْه. فلمّا نكَبهم الرشيد قال: إيهِ يا إسحاق، تركتنى بالرَّقّة وجلستَ ببغداد تغنِّى للفضل بن يحيى! فحلفتُ بحياته أنّى ما جالستُه قطُّ إلّا على المذاكرة والحديث، وأنه ما سمعنى قطّ أغنِّى إلا عند أخيه جعفر، وحلفت بتربة المهدىّ أن يسأل عن هذا جميعَ مَنْ فى الدار من نسائه؛ فسأل عنه فحدّثْنه بمثل ما ذكرتُه له، وعرف خبر المائة الألف الدرهم التى بذلها لى فرددتُها عليه. فلما دخلت عليه ضحك إلىّ ثم قال: قد سألتُ عن أمرك فعرَفتُ منه مثل ما عرّفتنى، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضًا مما بذله لك الفضل.

تحدث بحديث لا إسناد فيه وسئل عن ذلك فأجاب

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى ميمون بن هارون عن إسحاق أنه كان يقول: الإسناد قيدُ الحديث؛ فتحدّث مرّةً بحديث لا إسنادَ له، فسئل عن إسناده، فقال: هذا من المُرْسَلاتِ عُرْفًا. ١١١ / ٥

(1) فى أ، ء، م: «إنه الرشيد وقد نهانى».

أنشد الفضل شعر نصيب فأجازه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى ميمون بن هارون عن أبيه، وحدّثنى عمّى عبدالله ابن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال :

أنشدتُ الفضلَ بن يحيى قولَ أبى الحَجْناء نُصَيْبٍ مولى المهدىّ فيهم :

صـــوت

عنـد المـلوكِ مَضَرَّةٌ ومنافعٌ * وأرى البَرامِكَ لا تَضُرُّ وتنفـعُ
إنْ كان شرٌّ كان غيرُهم له * أو كان خيرٌ فهو فيهم أجمـع
إنّ العروقَ إذا آستَسرّ(١) بها الثّرى * أَشِرَ(٢) النباتُ بها وطابَ المَزْرَعُ
فإذا جَهِلْتَ من آمرئٍ أعراقَه * وقديمَـه فآنظر إلى ما يصنـع

قال فقال : كأنّا والله لم نسمع هذا الشعر قطُّ، قد كنا وصلْناه بثلاثين ألف درهم، وإذًا نُجَدِّد له الساعةَ صلةً له ولك معه لحفظك الأبياتَ؛ فوصلَنا بثلاثين ألفَ درهم.

عتب عليه المأمون فى شىء فاسترضاه بشعر

وأخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسن بن يحيى الكاتب أبو الجَمّاز قال :

عتَب المأمونُ على إسحاق فى شىء؛ فكتب إليه رُقعةً وأوصلها إليـه من يده؛ ففتحها المأمون فإذا فيها قولُه :

لا شىءَ أعظمُ من جُرْمى سوى أملى * لحسنِ(٣) عفوك عن ذنبى وعن زَلَلى
فإنْ يكن ذا وذا فى القَدْر قد عَظُما * فأنت أعظمُ من جُرْمى ومن أمـلى

فضحك ثم قال : يا إسحاقُ، عذرُك أعلى قدرًا من جُرمك، وما بال بفكرى، ولا أُخْطِرُتُه(٤) بعد آنقضائه على ذكرى.

(١) استسر : خفى. (٢) أشر النبات : مرح وطال. (٣) فى أ، ء، م : «وحسن ...». (٤) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول : «أحضرته».

ما كان بينه وبين ابن بانة فى مجلس الواثق وقصيدته فى ذمه ومدح الواثق

حدّثنى عمّى قال حدّثنى يزيد بن محمد المهلّبىّ قال :

خرجنا مع الواثق الى القاطُول(١) للصيد ، ومعنا جماعةُ الجلساء والمغنّين وفيهم عمرو بن بانة وعَلّويه ومُخارق وعَقِيد ، وقدِم إسحاقُ فى ذلك الوقت فأخرجه معه ؛ فتصيّد على القاطول ثم عاد فأكل وشرب أقداحا ، ثم أمر بالبُكور الى الصَّبُوح فباكرْنا واصطبحْنا . فغنّى عمرو بن بانة لحنَ إبراهيم الموصلىّ :

صوت

بلوتُ أمورَ الناس طُرًّا فأصبحتْ * مُذَمَّمَةً عنـدى بَرَاءً من الحمد
وأصبح عنـدى من وَثِقتُ بغَيْبه * بغيضَ الأيادى كلُّ إحسانه نَكْدُ(٢)

ـــ ولحنه خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى ـــ فغنّاه على ما أخذه من إبراهيمَ بن المهدىّ وقد غيّره . فقال الواثق لإسحاق : أتعرف هذا اللحنَ؟ فقال : نعم ، هذا لحنُ أبى ولكنّه ممّا زعمَ إبراهيمُ بن المهدىّ أنه جَنْدَره وأصلحه فأفسده ودَمَر(٣) عليه ؛ فقال له : غَنِّه أنت ، فغنّاه فأتى به على حقيقته واستحسنه الواثق جدّا ؛ فغمّ ذلك عمرَو بن بانة فقال لإسحاق : أفأنت مثلُ إبراهيمَ بن المهدىّ حتّى تقول هذا فيه ! ؛ قال : لا والله ما أنا مثله ، أمّا على الحقيقة فأنا عبدُه وعبدُ أبيه ، وليس هذا ممّا نحن فيه ؛ وأمّا الغناء فما دخولك أنت بيننا فيه ! ما أحسنتَ قطُّ أن تأخذ فضلًا عن أن تغنّى ، ولا قمتَ بأداء غناءٍ فضلًا عن أن تميّز بين المحسنين ؛ وإلّا فغنّ أىَّ صوت شئت ممّا أخذتَه

(١) القاطول : اسم نهر يأخذ من دجلة فى الجانب الشرقى ، حفره كسرى أنوشروان العادل . وهو اسم نهر آخر أيضا كان حفره الرشيد فى موضع « سر من رأى » قبل أن يعمرها المعتصم ، وكان يأخذ من دجلة أيضا . (٢) النكد (بالفتح و بالضم) : قلة العطاء وألا يهنأه من يعطاه . وفى هذا الشعر إقواء ، وهو اختلاف حركة الروىّ . (٣) يقال : دمر عليه (من باب نصر) دمرا ودمورا اذا دخل بغير إذن وهجم هجوم الشرّ .

عنه وعن غيره كائنًا مَنْ كان، فإن لم أُوضح لك ولمن حضر أنه لا يَسْلَم لك صوت من نقصانِ أجزاءٍ وفساد صنعةٍ فدمي به رهنٌ؛ فأساء عمرو الجوابَ وأغلظ في القول؛ فأمضّه الواثق وشتَمَه وأمر بإقامته عن مجلسه فأُقيم. فلمّا كان من الغد دخل إسحاقُ على الواثق فأنشده: ١١٢/٥

وبجلسٍ باكرتُه بُكورا * والطيرُ ما فارقتِ الوُكورا
والصبحُ لم يَستنطقِ العُصفورا * على غَديرٍ لم يكن دُعثورا(١)
لم تَرَ عيني مثلَه غَديرا * يجري حَبابُ مائه مَسْجورا(٢)
على حصًى تحَسَبُه كافورا * تسمع للماء به خَريرا
يَنْسِجُ أعلَى مَتْنِه سطورا * نسيمُ ريحٍ قد وَنَتْ فُتورا
حتى تخالَ مَتنَه حَصيرا * والشَّربُ قد حَفُّوا به حُضورا
وأمروا الساقيَ أن يُديرا * كأسَهمُ الأصغرَ والكبيرا
وأعملوا البَمَّ معا والزِّيرا * وجاوبتْ عيدانُهم زَميرا
وقرّبوا المُغنِّيَ النِّحْريرا * مُقَدَّمًا في حِذْقه مشهورا
فهم يطيرون به سرورا * ولا ترى في شُربهم تقصيرا
ولا لِصفو عيشهم تكديرا * ولا لخُلْقٍ منهمُ نظيرا
إلا رُجَيْلًا منهمُ سِكّيرا * مُعَرْبِدًا مُوَضَّحًا شِرِّيرا
مُدَّعِيًا للعلم مستعيرا * يوم سعيًا كاذبًا مغرورا
وأن يكون عالمًا بصيرا * مُفَضَّلًا بعلمه مذكورا
عَمَرْتُه ولم يكن صَبورا * فعاذ منّي هاربًا مذعورا

(١) الدعثور: الحوض المتثلم، وقيل: هو الحوض الذي لم يتنوق في صنعته ولم يوسع.
(٢) المسجور: المملوء المسترسل.

بمعشرٍ تحسَبهم حَميرا * أشدّ منهم حُمُقًا كثيرا
لا ينطقون الدهرَ إلا زُورا * حتّى إذا كَسَّرتُه تكسيرا
كالّليث لمّا ضَغَم[1] الخنْزيرا * ولّى انهزامًا خاسئًا مدحورا
معترفًا بذُلّه مقهورا * وكنتُ قِدْمًا ضيِّقًا هَصُورا
معتليًا لقِرْنه عَقُورا * وما أخاف الزمنَ العَثُورا
إذ كنتُ بالواثق مستجيرا * قد عزّ مَنْ كان له نصيرا
إمامُ عدلٍ دبّر الأُمورا * برأيه ولم يُرِدْ مُشيرا
ترى من الحقّ عليه نورا * تَقَبَّلَ[2] المهدىَّ والمنصورا
وجدَّه الأدنى تُقًى وخيرا * وورّثه المعتصمُ التدبيرا
فأصبح الملك به مُنيرا * وأصبح العدلُ به منشورا
قد أمِنَ الناسُ به المحظورا * إذا علَا المِنبرَ والسريرا
رأيت بدرًا طالعًا منيرا * بحرًا ترى الغنيَّ والفقيرا
يرجون منه نائلًا غزيرا * واللهِ لا زلتُ له شكورا
لا جاحدَ النُّعمَى ولا كَفُورا * وكنتُ بالشكر له جديرا

أنشده الأصمعى جملة أشعار فى الفروسية

١١٣/٥ حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى ميمون بن هارون قال : سمعت إسحاقَ يقول : أنشدنى الأصمعىّ قولَ الأعشى :

إن تركبوا فركوبُ الخيلِ عادتُنا * أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزُلُ

ثم قلت له : أىّ شىء تحفظ فى هذا المعنى ؟ — وكان مع بخله بالعلم لا يبخَل بمثل هذا — فأنشدنى لرَبيعة بنِ مَقروم الضَّبىّ :

(١) ضغمه : عضه ملء فيه . (٢) تقيل الرجل أباه : أشبهه .

ولقد شَهِدتُ الخيلَ يوم طِرَادِها[1] * بسَلِيم أوْظِفَــةِ[2] القوائمِ هَيْــكَلِ
فدعَــوْا نَزَالِ[3] فكنت أوّلَ نازل * وعــلامَ أركبُه إذا لم أنزِلِ

صوت لغناء ملاحظ ومدحها بشعر

حدّثني عمّي قال حدّثنا عبــد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمّــد بن مروان قال حدّثني عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع قال :

اجتمعنا يوما إمّا قال في منزلي أو في منزل محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، ودخلنا ودخل إلينا إسحاق الموصــليّ وعنــدنا ملاحظُ تُغنّينا وقد قامت الصــلاة ، فدخل إسحاق وهي غائبة فقال : فيم كنتم ومَنْ عندكم؟ فأخبرناه بخبرها؛ فقال : لا تُعرِّفوها من أنا فيُخرِجها التصنُّع لي والتحفّظ منّي عن طبعها، ولكن دعوها وهواها حتّى ننتفعَ بها ؛ وخرجتْ وهي لا تعــرفه وجلستْ كما كانت أوّلا، وابتدأت وغنّت — والصنعة لفُلَيح بن[أبي][4]العَوراء، ولحنُه رَمَلٌ . هكذا أخبرنا إسحاق أنّ الغناء لفليح — :

صــــوت

إنّي تعلّقْتُ ظبيًا شادنًا خَرِقًا * عُلِّقْتُــه شِقوةً منّي وما عَلِقَا

قال : فطرب إسحاق وشرب حتى والَى بين خمسة أقداح من نبيــذ شديد كان بين يديه وهو يستعيدها؛ فأخذ إسحاق دواة وكتب :

---

(١) أراد بالخيــل الفرسان لا الأفراس ، ألا ترى أنه قال : يوم طرادها . والطراد من الفرسان : حمل بعضهم على بعض ، وعلى هذا ما روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : «يا خيل الله اركبي» . (راجع شرح أشعار الحماسة للتبريزي ص ٢٨ طبع أوربا) . (٢) الأوظفة : جمع وظيف وهو ما فوق الحافر من الفرس . ولكل ذي أربع ثلاثة مفاصل في رجليه : الفخذ والساق والوظيف ثم الحافر أو الخف أو الظلف . وفي يديه ثلاثة مفاصل : العضــد والذراع والوظيف ثم الحافر أو الخف أو الظلف . (راجع شرح أشعار الحماسة للتبريزي) . والهيكل : الضخم . (٣) نزال (مثل قطام) : بمعنى انزل وهو معدول من المنازلة لا بمعنى النزول الى الأرض . هكذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بهذين البيتين .

(٤) سقطت هذه الكلمة من الأصول هنا سهوا من النساخ .

سأشرب ما دامت تغـنّى ملاحظُ * وإن كان لى فى الشّيب عن ذاك واعظُ
ملاحظُ غنّينا بعيشـك ولكن * عليك لما آستحفظتَه منك حافظ
فأقسم ما غـنّى غناءَك مُحسنٌ * مُجيـدٌ ولم يَلفِظ كلَفْظك لافـظ
وفى بعض هـذا القول منّى مَسـاءةٌ * وغيـظٌ شـديد للمغنّين غائظ

حدّث الرشيد عن البرامكة فزجره

أخبرنى الحسن بن علىّ[1] قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبىّ قال حدّثنى إسحاق قال :

قال لى الرشيد يوماً : بأىّ شىء يتحدّث الناس؟ قلت : يتحدّثون بأنك تَقبِض على البرامكة وتُولّى الفضلَ بن الرّبيع الوزارةَ؛ فغضب وصاح بى : وما أنت وذاك وَيْلَك! فأمسكتُ. فلمّا كان بعدَ أيامٍ دعا بنا، فكان أوّل شىء غنّيته :

صـــوت

إذا نحن صـدّقْناكَ * فضَرّ عندك الصدقُ
طَلبنا النفـعَ بالباطِ * ـلِ إذ لم يَنفع الحقُّ
فلو قـدّم صبًّا فى * هواه الصبرُ والرِّفقُ
لقُدّمتُ على النـاس * ولكنّ الهوى رزقُ

١١٤ / ٥

— فى هـذه الأبيات خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى يُنسب الى إسحاق والى ابن جامع ، والصحيح أنه لإسحاق . وقيل : إن الشعر لأبى العتاهية — . قال : فضحك الرشيد وقال لى : يا إسحاق، قد صِرتَ حَقُودا .

غنى هو وعلويه ومخارق عند المعتصم فأجازهما دون مخارق

أخبرنى الحسن قال حدّثنا يزيد بن محمد قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « الحسين » وهو تحريف .

دخلتُ على المعتصم يومًا بسُرَّ مَنْ رأى ، فإذا الواثقُ بين يديه وعنـده عَلّويه ومُخارِقٌ، فغنّاه مخارق صوتا فلم ينشَط له، ثم غناه عَلّويه فأطربه. فلما رأيتُ طربَه لغناء عَلّويه دون غناء مُخارِق آندفعتُ فغنّيته لحنى :

صـــوت

تجنّبتَ ليـلَى أن يَلِجّ بك الهوى * وهيهات كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

فأمر لى بألف دينار ولعَلّويه بخمسمائة دينار، ولم يأمر لمخارق بشىء .

نســبة هذا الصوت

صـــوت

تجنّبتَ ليلَى أن يَلِجّ بك الهـوى * وهيهات كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

ألَا إنّما غادرتِ يا أُمَّ مالكٍ * صَدًى أينما تَذهَبْ به الريحُ يَذْهَبِ

الشعر للمجنون . والغناءُ لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وغنّى آبنُ جامع فى هذين البيتين و بيتين آخرين أضافهما إليهما ليسا من هذا الشعر، هَزَجًا بالبنصر . والبيتان المضافان :

بَرَى اللّحمَ عن أحناءِ عظمى ومَنْكِبى * هَوَى لِسُلَيمى فى الفؤاد المعـذَّبِ

وإنى سـعيدٌ أنْ رأتْ لكِ مرّةً * من الدّهر عينى منزلًا فى بَنِى أبى

غنى علويه الواثق بلحن لإسحاق فأجازها

أخبرنا الحسن بن على قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ قال :

غنّى عَلّويه بين يدَى الواثق يومًا :

صـــــوت

خليــلٌ لى ساهجُرُه * لذنبٍ لستُ أذكُرُه
ولكنّى سأرعاه * وأكتمه وأستُره
وأُظهِـرُ أنّى راضٍ * وأسكُتُ لا أُخَبِّرُه
لكى لا يعلَمَ الواشى * بمـا عندى فأُكْبِرُه

ــ الشعر والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالوسطى ــ قال: فطرِب الواثقُ طربًا شديدا، وآستحسن اللحن، وأمر لعَلّويه بألف دينار، ثم قال: أهذا اللحنُ لك؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، هو لهذا المِزْبرِ(١) (يعنى إسحاق) ــ قال: وكان إسحاقُ حاضرًا ــ فضحِك الواثق وقال: قد ظلمناه إذًا، وأمر لإسحاق بثلاثين ألف درهم.

عارض ثقيلا لابن سريج بهزج له

أخبرنا علىّ بن عبد العزيز الكاتب عن عُبيد الله بن عبد الله بن خُرْدَاذْبَه عن أبيه قال:

كان إسحاق عند الفتح بن الخاقان الكَرْخىّ وعَلّويه حاضرٌ، فغنّاه عَلّويه:

١١٥/٥

صـــــوت

عَلِقتُــك ناشئًا حتّى * رأيتِ الرأسَ مُبْيَضًّا
على يُسْرٍ وإعسـارٍ * وفَيْضِ نوالِكم قَيْضَا(٢)
ألا أُحِبُّ بأرضٍ كنـ * ـتِ تحتلّينَهـا أرضا
وأهلَكِ حبّذا ما هم * وإن أبدَوْا لِىَ البُغضا

(١) فى حـ: «المزبذ». ومن معانى المزبذ: عالم الهند. (٢) فى م: «وقبض نوالكم قبضا» بالقاف والباء الموحدة.

— الشعر لابن أُذَينة . والغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة فى مجرى البنصر، عن إسحاق . وفيه لإسحاق هَزَجٌ خفيفٌ مطلقٌ فى مجرى البنصر، عن إسحاق أيضا . وفيه للأَبْجَر ثقيلٌ أوّلُ، ولإبراهيمَ الموصليّ رَمَلٌ، جميعُ ذلك عن الهشاميّ — . قال : فغنّاه إيّاه فى الثّقيل، ثم غنّاه هَزَجًا، فقال له الفتحُ : لِمَن الثقيلُ؟ فقال: لابن سُرَيج، قال : فلِمَن الهَزَجُ ؟ قال : لهذا المَزْبِر[1] (يعنى إسحاق) ؛ فقال له الفتحُ : وَيْلكَ يا إسحاق ! أتُعارِضُ ثقيلَ ابن سُرَيج بهَزَجِك ؟ ! قال : فقبَض إسحاقُ على لِحيتِه ثم قال : على ذلك فوالله ما فاتنى إلّا بتحريكه الذَّقَن .

أخطأ المعتصم فى شعر لأبى خراش فصوّبه له

أخبرنى الحسن قال حدّثنى يزيد بن محمد قال حدّثنى إسحاق قال :

دخلتُ يومًا على المعتصم وعنده إسحاقُ بن إبراهيم بن مصعَب، واستدنانى فدنوتُ منه، واستدنانى فتوقّفتُ خوفًا من أن أكون مُوازِيًا فى المجلس لإسحاق بن إبراهيم؛ ففطِن المعتصمُ فقال : إنّ إسحاق لكريمٌ، وإنك لم تَستنزل ما عند الكريم بمثل إكرامه . ثم تحدّثنا وأفضتْ بنا المذاكرةُ الى قول أبى خِرَاش الهُذَلىّ :

حَمِدتُ إلٰهى بعد عُرْوةَ إذ نجا * خِراشٌ وبعضُ الشرّ أهونُ من بعضِ[2]

فأنشدها المعتصمُ الى آخرها، وأنشد فيها :

ولم أدرِ مَنْ ألقَى عليه رِداءَه * سوى أنه قد حُطّ[3] عن ماجِدٍ مَحْضِ

(١) فى أ، حـ، م : «المربذ» (انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٠٠ من هذا الجزء) .

(٢) هذان البيتان من قصيدة لأبى خراش الهذلىّ يرثى بها أخاه عروة بن مرة ويذكر نجاة خراش ابنه . وكان من أمرهما أن خرجا مغيرين فأسرا فقتل عروة، وقيض لخراش من ألقى عليه رداءه وهيأ له أسباب الهرب . والقصيدة مذكورة فى أوّل باب المراثى من ديوان الحماسة لأبى تمام والأغانى (ج ٢١ ص ٦٣ طبع أوروبا) وأمالى القالى (ج ١ ص ٢٧١ طبع دار الكتب المصرية) . وفى شرح التبريزىّ لديوان الحماسة والأغانى بيان مستفيض لقصة عروة وخراش فراجعهما . (٣) رواية الحماسة : «على أنه قد سل» .

والروايةُ "قد بُزّعن ماجد محض"؛ فغلطتُ (١) وأساتُ الأدبَ، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه روايةُ الكُتّاب وما أُخذ عن المعلّم؛ والصحيح "بُزّعن ماجد محض"؛ فقال لى: نعم صدقتَ، وغمزنى بعينه، يحذّرنى من إسحاق؛ وفطِنتُ لغلَطى فأمسكتُ، وعلمتُ أنه قد أشفق علىّ من بادرة تبدُر من إسحاق؛ لأنه كان لا يحتمل مثلَ هذا فى الخلفاء من أحد حتى يُعظِمَ عقوبتَه ويُطيل حبسَه، كائنا من كان؛ فنبّهنى — رحمه الله — على ذلك حتى أمسكتُ وتنبّهت .

غنى المأمون ثلاثين صوتا من أهزاج القدماء

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال قال عبيد الله بن معاوية قال عمرو بن بانة : كنّا عنـد المأمون ، فقال : ما أقلَّ الهزَج فى الغناء القديم ! ؛ وقال إسحاق : ما أكثره! ثم غنّاه نحوَ ثلاثين صوتا فى الهزَج القديم. فقلت لأصحابى : هذا الذى تزعمون أنه قليل الرواية ! .

أثنى عليه العباس ابن جرير

أخبرنا يحيى قال حدّثنا أبى عن إسحاق قال :
قال لى العباس بن جَرير : قاتلَك الله ! مذكَّرُ فِطْنة ، ومؤنّثُ طبيعة ، ما أمكرك ! .

أنشده بعض الأعراب شعرا له فدحه

حدّثنـا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى عن إسحاق قال، وأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا يزيد بن محمـد عن إسحاق قال :

أنشدتُ بعضَ الأعراب شعرًا لى أقول فيه :

أجرَتْ سوابقُ دمعِك المُهْـرَاقِ * لمّـا جرى لك سانحٌ بِفِـرَاقِ
إنّ الظعائنَ يومَ ناصِـفةِ اللّوَى (٢) * هاجتْ عليك صـبابةَ المُشْتاق

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : «فغلط وأسات ...» .

(٢) الناصفة : مجرى الماء ، وقيل : الرحبة فى الوادى . وقد ذكر ياقوت فى الكلام على ناصفة : ناصفة الشجناء ، وناصفة العمقين وغيرهما ؛ وقال : إنها مواضع ، ولم يذكر ناصفة اللوى هذه .

١١٦ / ٥

لم أنسَ إذ ألحَتْنَـا فى رِقْبَـــةٍ * منهنّ بيـــضَ ترائبٍ وتــراقِ
وأشَرْنَ إذ ودَّعْنَنَـا بأنامـــلٍ * حُمْـــرٍ كهُدّاب الدِّمَقْس رِقاقِ
ورمتْك هندٌ يوم ذاك فأقصَدَتْ[1] * بأغرَّ عَـــذْبٍ باردٍ بـــرّاق
وتنفست لمّـا رأتك صـــبابةً * نَفَسًا تصـــعَّد فى حَشًى خفّاق
ولقد حَذِرتُ فما نجوت مُسَلَّما * حتى صُرِعتُ مَصارعَ العُشّـــاق
إنّ الخـــلافة أُثبِتَتْ أوتادُها * لمّـا تحمّلها أبـــو إسحاق
مَلِكٌ أغرُّ يلوح فوق جَبينــه * نورُ الخـــلافة ساطعَ الإشـــراق
كُسِى الجلالَ مع الجمـال وزانه * هَدْىُ[2] التُّقَى ومكارمُ الأخـــلاق
صحَّتْ عروقُك فى الجياد وإنمـا * يجرى الجـــوادُ بصحّة الأعراق
ذُخْرُ المـلوكِ فكان أكثرُ ذُخْرِهم * للمُـــلك ما جمعوا من الأوْراق[3]
وذخرتَ أبنـاءَ الحروب كأنهـم * أُسْدُ العَـــرينِ على مُتون عِتاق
كم من كريمةِ مَعْشَرٍ قد أُنكِحتْ * بســيوفهم قَسْرًا بغير صَـــداق
وعزيزةٍ فى أهلهـا وقَطِينِهـا[4] * قـــد فارقتْ بَعْلًا بغير طـــلاق

قال فقال لى : أَفْلَيْتَ والله يا أبا محمد؛ فقلت له : وما أفليت؟ قال : رَعَيْتَ فلاةً لم يرعَها أحدٌ غيرك .

كان المغنون يلاشون أمامه إذا غنى

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أخى أحمد بن علىّ عن عافيةَ بن شَبيب قال : قلت لزُرْزور بن سعيد : حدِّثنى عن إسحاق كيف كان يصنع إذا حضر معكم عند الخليفـة وهو منقطعٌ ذاهبٌ وحلوقُكم ليس مثلُها فى الدنيا؟ فقـال : كان والله لا يزال بحِذْقه ورفقه وتأنّيه ولُطفه حتى نصيرَ معه أقلَّ من التراب .

(١) كذا فى حـ . وأقصدت : أصابت ولم تخطئ . وفى سائر الأصول : «فأقصرت» بالراء، وهو تحريف .
(٢) الهدى : الطريقة والسيرة . (٣) الأوراق : الدراهم . (٤) القطين هنا : الإماء والحشم .

شعره للفضل بن الربيع فى الشيب

أخبرنا يحيى قال حدّثنى أبى قال حدّثنا إسحاق قال :

دخلتُ على الفضل بن الرّبيع فقال لى : يا إسحاق ، كثُر والله شَيْبُك ! ، فقلت : أنا وذاك أصلحك الله كما قال أخو ثَقيف :

الشيبُ إن يَظْهَرْ فإنّ وراءه * عمـرًا يكون خِلالَه مُتَنَفَّسُ
لم يَنْتَقِصْ منّى المشيبُ قُلامةً * ولَنَحْنُ حين بدا ألَبُّ وأكيَسُ

قال : هاتِ يا غلام دواةً وقرطاسا ، أُكتُبْهما لى لأتسلّى بهما .

قصته مع الفضل بن يحيى ونافذ حاجبه

أخبرنا يحيى قال حدّثنى أبى قال حدّثنى إسحاق ، وأخبرنى الحسين(١) بن يحيى عن حمّاد عن أبيه(٢) ، وأخبرنى الحسن بن علىّ عن يزيد بن محمد بن عبد الملك عن إسحاق قال :

قال الفضـل بن يحيى لأبى : مالى لا أرى إسحاقَ ، عرِّفنى ما خبرُه ؟ فقال : خير . ورأى فى كلامه شيئا يُشكّك ، فقال : أعليلٌ هو ؟ فقال : لا ، ولكنه جاءك مرّاتٍ فحجَبه نافذٌ الخادم ولحِقتْـه جَفْوةٌ ؛ فقال له : فإن حجَبه بعـدها فلْيَنكْهُ . فجاءنى أبى فقال لى : الْقَه ، فقد سأل عنك ، وخبّرنى بمـا جرى . وجئتُ فحُجِبتُ أيضا ، وخرج الفضل ليركَبَ ، فوثبتُ إليه برُقعة وقد كتبتُ فيها :

جُعِلتُ فداءَك من كلّ سوءٍ * إلى حسن رأيك أشكو أُناسا
يحولون بينى وبين السـلام * فمـا إن أُسلِّمُ إلّا آختـلاسا
وأنفَـذتُ أمرَك فى نافذٍ * فمـا زاده ذاك إلا شِمَـاسا ١١٧/٥

---

(١) فى الأصول هـ : «الحسن» ، وهو تحريف . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «عن حماد عن أبيه قال حدّثنى إسحاق» . وظاهر أن جملة : «قال حدّثنى إسحاق» مقحمة من الناسخ .

فلمّا قرأها ضحك حتى غُلِب، ثم قال : أوَ قَدْ فعلتَها يا فاسق ؟! فقلت : لا والله يا سيّدى، وإنما مَزَحتُ، فخجل نافذٌ خجلاً شديدا، ولم يَعُدْ بعد ذلك لمَسَاءتى .

سأل المعتصم عن رجل غائب ماذا يعمل فأجاب

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينىّ عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى إسحاق قال :

ذكر المعتصمُ يوماً بعضَ أصحابه وقد غاب عنه، فقال: تعالَوْا حتى نقولَ ما يصنع فى هذا الوقت، فقال قوم: يلعب بالنَّرْد، وقال قوم : يغنّى، فبلغتْنى النوبةُ، فقال : قل يا إسحاق، قلت : إذًا أقول وأُصيب، قال : أتعلم الغيبَ؟ قلت : لا، ولكنّى أفهم ما يصنع وأقدرُ على معرفته، قال: فإن لم تُصِبْ ؟ قلت : فإن أصبتُ؟ قال: لك حُكمك، وإن لم تُصِبْ؟ قلتُ: لك دمى، قال: وجَبَ، قلت : وجَبَ، قال: فقل، قلت: يتنفّس، قال : فإن كان ميتا؟ قلت : تُحفظ الساعةُ التى تكلّمتُ فيها، فإن كان مات فيها أو قبلها فقد قَمَرْتَنى، فقال: قد أنصفتَ، قلت : فالحُكْم، قال: آحتكم ما شئتَ، قلت: ما حُكْمى إلّا رضاك يا أمير المؤمنين، قال : فإنّ رضاى لك، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم، أترى مَزِيدا؟ فقلت : ما أَوْلَاكَ بذلك يا أمير المؤمنين، قال: فإنها مائتا ألف درهم، أترى مزيدا؟ قلتُ : ما أحوجنى إلى ذلك يا أمير المؤمنين، قال: فإنها ثلثُمائة ألف، أترى مزيدا؟ قلت: ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين، قال : يا صفيقَ الوجه! ما نَزيدك على هذا شيئا .

مدح سفينة للأمين فأجازه

أخبرنا يحيى قال حدّثنى أبو أيوب قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى إسحاق قال :

عمِل محمد المخلوعُ[1] سفينةً فأُعجِب بها، وركِب فيها يريد الأنبارَ. فلمّا أَمعنَ وأنا مُقبِلٌ على بعض أبواب السفينة[2] صاحوا : إسحاق إسحاق، فوثبتُ فدنوتُ منه؛ فقال لى : كيف ترى سفينتى؟ فقلت : حَسَنة يا أمير المؤمنين، عمّرها الله ببقائك. فقام يريد الخلاءَ وقال لى : قلْ فيها أبياتا، فقلت، وخرج فقمتُ بالأبيات؛ فٱشتهاها جدًّا وقال لى : أحسنتَ يا إسحاق، وحياتِك لأَهَبَنّ لك عشرة آلاف دينار؛ قلت : متى يا أمير المؤمنين؟ إذا وسّع الله عليك ! فضحك ودعا بها على المكان . ولم يذكر يحيى فى خبره الأبيـات .

عرض للواثـق بشـعر فى تشوّقه الى أهله

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

غنّيتُ الواثقَ فى شعر قلتُه وأنا عنده بسُرَّ مَنْ رأى وقد طال مُقامى وٱشتقتُ الى أهلى، وهو :

صـــــوت

يا حبّذا ريحُ الجَنوبِ إذا بدتْ ❊ فى الصبح وهى ضعيفةُ الأنفاسِ

قـد حُمِّلَتْ بردَ النّـدَى وتحمّلتْ ❊ عبَقًا من الجَثْجاثِ[3] والبَسْـبَاسِ

فشرب عليه وٱستحسنه وقال لى: يا أبا محمد، لو قلتَ مكان «يا حبّذا ريحُ الجنوب» : «يا حبّذا ريحُ الشّمال» ، ألم يكن أرقَّ وأَغْذَى[4] وأصحَّ للأجساد وأقلَّ وَخامةً وأطيبَ

(١) هو الخليفة محمد الأمين بن هارون الرشيد، سمى المخلوع لأن أهل مكة والمدينة وكثيرا من عماله خلعوه وبايعوا المأمون وهو بخراسان . (٢) فى حـ : «على باب السفينة» .

(٣) الجثجاث كما فى اللسان : شجر أصفر مرّ طيب الريح تستطيبه العرب وتكثر ذكره فى أشعارها . وقال أبو حنيفة الدينورى : إنه من أحرار الشجر وهو أخضر ينبت فى القيظ، له زهرة صفراء كأنها زهرة العرفجة طيبة الريح . وقال ابن البيطار فى مفرداته : أول ما رأيته بساحل نيل مصر فى أعلاه فى صعيدها بضربة من ضيعة هناك تسمى شاهو، وهى على طريق الطرانة . وقال داود فى تذكرته : إنه يسمى باليونانية نرديسيون . والبسباس : نبات طيب الريح وهو المعروف بالفارسية باسم الرازيانج وفى مصر والشام باسم الشمار . (٤) أغذى : أصيب .

للأنفس ؟ فقلت : ما ذهب عليّ ما قاله أميرُ المؤمنين ، ولكن التفسير فيما بعدُ ؛ فقال : قل؛ فقلت :

ماذا تَهِيج من الصَّبابة والهوى * للصَّبّ بعــد ذهوله وٱليـاس

فقال الواثق : إنمـا ٱستطبتَ ماتجيء به الجَنوبُ من نسيم أهل بغداد لا الجنوبَ ، وإليهم ٱشتقتَ لا إليها ؛ فقلت : أجَلْ يا أمير المؤمنين ؛ وقمتُ فقبّلتُ يده ؛ فضحك وقال : قــد أذِنتُ لك بعد ثلاثة أيام ، فٱمضِ راشدًا ؛ وأمر لى بمائة ألف درهم . ١١٨/٥
لحنُ إسحاقَ هذا من الثقيل الأوّل .

جعفر بن يحيى البرمكى وعبد الملك ابن صالح الهاشمى

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى عن إسحاق قال :

لم أرَ قطُّ مثـلَ جعفر بن يحيى ؛ كانت له فُتُوّةٌ وظَرْفٌ وأدبٌ وحسـنُ غِناء وضربٌ بالطبل ، وكان يأخذ بأجزل حظٍّ من كل فنّ من الأدب والفتوّة . فحضرتُ بابَ أميرِ المؤمنين الرشيد ، فقيل لى : إنه نائمٌ ، فٱنصرفت ؛ فلقِيَنِي جعفرُ بن يحيى فقال لى : ما الخبر ؟ فقلت : أمير المؤمنين نائمٌ ؛ فقال : قِفْ مكانَك ؛ ومضى إلى دار أمير المؤمنين فخرج اليه الحاجب فأعلمه أنه نائم ؛ فخرج إلىّ وقال لى : قــد نام أمير المؤمنين ، فسِرْ بنا إلى المنزل حتى نخلوَ جميعا بقيّة يومنا وتغنّيني وأغنّيك ونأخذ فى شأننا من وقتنا هذا ؛ قلت نعم ، فصِرْنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا ، ودعا بالطعام فطعِمنا ، وأمر بإخراج الجوارى وقال : لِتَبْرُزْنَ ، فليس عندنا من تَحْتَشِمْنَ منه . فلمّا وُضع الشرابُ دعا بقميص حرير فلَبِسه ودعا بخَلُوق فتخلّق به ، ثم دعا لى بمثل ذلك ، وجعل يغنّيني وأُغنّيه ، ثم دعا بالحاجب فتقدّم إليه وأمره بألّا يأذن لأحدٍ من الناس كلّهم ، و إن جاء رسول أمير المؤمنين أَعْلَمَه أنه مشغول ؛ وٱحتاط فى ذلك وتقدّم فيه إلى جميع الحُجّاب والخدَم ، ثم قال : إن جاء عبدُ الملك فأْذَنوا له — يعنى رجلا كان

يأنَس به و يمازِحُه ويحضُر خَلَوَاتِه — ثم أخذْنا فى شأننا؛ فواللّه إنّا لعلى حالة سارّة عجيبة إذ رُفع السِّتْر، وإذا عبـدُ الملك بن صالح الهاشمىّ قد أقبل، وغلِط الحاجبُ ولم يفرِّق بينه وبين الذى يأنَس به جعفر بن يحيى . وكان عبدُ الملك بن صالح الهاشمىّ من جلالة القَدْر والتقشّف وفى الآمتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمرٍ جليل ، وكان أميرُ المؤمنين قـد آجتهد به أن يشربَ معـه أو عنده قدحًا فلم يفعل ذلك رَفْعًا لنفسه . فلما رأينـاه مقبِلا ، أقبـل كلٌّ واحد منّا ينظر إلى صاحبـه ، وكاد جعفر أن ينشقّ غيظا . وفهِم الرجلُ حالَنـا ، فأقبل نحوَنا ، حتى إذا صار إلى الرِّواق الذى نحن فيه نزَع قَلَنْسِيَتَه فرمَى بها مع طَيْلَسانه جانبًا ، ثم قال : أَطعِمونا شيئا ؛ فدعا له جعفر بالطعام وهو منتفخٌ غضبًا وغيظًا فطَعِم ، ثم دعا برِطل فشربه ، ثم أقبـل إلى المجلس الذى نحن فيه فأخذ بعِضَادَتَى[1] الباب ثم قال : اشرَكونا فيما أنتم فيـه ؛ فقال له جعفر : ادخل ؛ ثم دعا بقميص حرير وخَلوقٍ فلبس وتخـلّق ، ثم دعا برِطل و رِطل حتى شرب عدّة أرطال ، ثم آندفع ليغنّينا ، فكان واللّه أحسنَنا جميعا غناءً . فلما طابت نفسُ جعفر وسُرِّىَ عنه ما كان به التفت إليـه فقال له : ارفع حوائجَك ؛ فقال : ليس هذا موضعَ حوائجَ ؛ فقال : لتَفعلنّ ، ولم يزل يُلِحّ عليه حتى قال له : أمير المؤمنين علىّ واجدٌ ، فأُحبّ أن تترضّاه ؛ قال : فإنّ أمير المؤمنين قد رَضِىَ عنك ، فهاتِ حوائجَك ؛ فقال : هذه كانت حاجتى ؛ قال : ارفع حوائجك كما أقول لك ؛ قال : علىّ دَيْنٌ فادحٌ ؛ قال : هذه أربعة آلاف ألف درهم ، فإن أحببتَ أن تقبِضها فآقبِضها من منزلى الساعة ، فإنه لم يمنعنى من إعطائك إيّاها إلا أنّ قَدْرَك يجِلّ على أن يصلك مثلى ، ولكنى ضامنٌ لها حتى تُحمَلَ من مال أمير المؤمنين غدا ؛ فَسَلْ أيضا ؛ قال : آبنى ، تُكلِّمُ أميرَ المؤمنين حتى ينوّه بآسمه ؛ قال : قد ولّاه أميرُ المؤمنين مصرَ وزوّجه

(١) عضادتا الباب : خشبتاه من جانبيه .

١١٩/٥ ابنته العالية[1] ومهرها ألفَىْ ألف درهم . قال إسحاق : فقلت فى نفسى : قد سَكِر الرجل (أعنى جعفرا) . فلما أصبحتُ لم تكن لى همّةٌ إلا حضورَ دار الرشيد، و إذا جعفر بن يحيى قد بكّر، ووجدتُ فى الدار جَلَبة، و إذا أبو يوسفَ القاضى ونظراؤه قد دُعِى بهم، ثم دُعِى بعبد الملك بن صالح وٱبنه فأُدْخِلا على الرشيد، فقال الرشيد لعبد الملك : إنّ أمير المؤمنين كان واجدًا عليك وقد رضِىَ عنك ، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم، فٱقبِضها من جعفر بن يحيى الساعةَ . ثم دعا بٱبنه فقال: اشهدوا أنّى قد زوّجتُه العاليةَ بنت أمير المؤمنين وأمهرتُها عنه ألفَىْ ألف درهم من مالى وولّيتُه مصرَ[2] . قال : فلمّا خرج جعفر بن يحيى سألتُه عن الخبر، فقال: بكّرتُ على أمير المؤمنين فحكيتُ له ما كان منا وما كُنّا[3] فيه حرفًا حرفًا، ووصفتُ له دخولَ عبد الملك وما صنَع، فعَجِب لذلك وسُرّ به، ثم قلت له : قد ضَمِنتُ له عنك يا أمير المؤمنين ضَمانا، فقال : ما هو ؟ فأعلمتُه، قال : أَوْفِ له بضمانك، وأمر بإحضاره، فكان ما رأيتَ .

حمل علويه لحنا له الى أبيه فأعجب به وأثنى عليه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى فَضْل اليَزيدىّ عن إسحاق قال :

لمّـا صنعتُ لحنى فى :

* هل إلى نظرة إليك سبيلُ *

ألقيتُـه على عَلّويه ، وجاءنى رسول أبى بطَبَق فاكهـة باكُورة، فبعثتُ إليـه : برّك الله يا أبَة ووصَلكَ ! الساعةَ أبعث اليك بأحسنَ من هذه الباكورة ؛ فقال : إنى أظنّه قد أتى بآبِدة[4]؛ فلم يلبث أن دخل عليه عَلّويه فغنّاه الصوتَ، فعَجِب منه وأُعجِب به، وقال : قد أخبرتكم أنه قد أتى بآبدة. ثم قال لولده : أنتم تلومونى على

(١) كذا فى الأصول وابن الأثير (ج ٦ ص ١٤٨) والذى فى الطبرى (ص ٧٠٩ من القسم الثالث) «أم الغالية» بالغين المعجمة . (٢) الذى ذكر فى كتب التاريخ أن الذى ولى مصر من قبل الرشيد هو عبد الملك بن صالح ولم يدخلها وإنما استخلف عليها عبد الله بن المسيب الضبى . ولم نعثر فى كل هذه الكتب عند ذكر ولاة مصر عن ابن لعبد الملك هذا ، ولم نجد هذه القصة فى مصدر آخر من كتب التاريخ والأدب ، غير أن ابن طباطبا أوردها بعبارة أوسع فى الفخرى (ص ٢٨٢ طبع أوروبا سنة ١٨٩٤) . (٣) فى حـ : «ما كان منا وما كان منه» . (٤) الآبدة : الغريبة .

تفضيل إسحاق ومحبّتى له، والله لو كان ابنَ غيرى لأحببتُه لفضله فكيف وهو ابنى؛ وستعلمون أنكم لا تعيشون إلّا به. وقد ذكر أبو حاتم الباهلىّ عن أخيه أبى معاوية ابن سعيد بن سَلْم أنّ هذه القصة كانت لمّا صنع إسحاقُ لحنَه فى :

* غَيَضْنَ من عَبَراتِهن وقلن لى *

وقد ذكرت ذلك مع أخبار هذا الصوت فى موضعه .

سئل عن إبراهيم ابن المهدى فقال لا يحسن شيئا

حدّثنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى قال :

سألت إسحاق عن إبراهيم بن المهدىّ ، فقال : دَعْنِى منه، فليست له روايةٌ ولا دِرايةٌ ولا حكاية .

رثاؤه هشيمة الخمارة

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنى فَضْل اليَزيدىّ عن إسحاق قال :

كانت هُشَيْمةُ الخَمّارة جارتى ، وكانت تَخُصّنى بأطيب الشراب وجيِّده، فماتت فقلت أرثيها :

أضحتْ هُشَيْمةُ فى القبور مقيمةً * وخلتْ منازلُها من الفِتيانِ
كانت إذا هجَر المحبُّ حبيبَه * دَبّت له فى السرّ والإعلانِ
حتى يَلِينَ لما تُريد قيادُه * ويصيرَ سيِّئُه إلى الإحسانِ

قضى حاجة لإدريس بن أبى حفصة فدحه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

سألنى إدريسُ بن أبى حَفْصة حاجة، فقضيتُها له وزدت فيما سأل؛ فقال لى[1]:

إذا الرجالُ جَهِلوا المكارمَا * كان بها ابنُ الموصلىّ عالمَا
أبقاك ذو العرش بقاءً دائمًا * فقد جُعِلتَ للكرام خاتمَا
إسحاقُ لو كنتَ لقِيتَ حاتمَا * كان نَدَاه لنَداك خادمَا

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « وقال لى » .

قال حمّاد: وقال لى أبى : كان إدريسُ سخيًّا من بين آل أبى حَفْصة، فنزل به ضيفٌ، فتنمّرت آمرأتُه عليه، فقال لها : ١٢٠/٥

مِن شرّ أيّامك اللاتى خُلِقتِ لها * إذا فقدتِ نَدَى[1] صوتى وزُوّارى

تشاغل عن دعوة على بن هشام فنيل منه، وردّه على ذلك

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال :

كان علىّ بن هشام قد دعانى ودعا عبد الله بن محمد بن أبى عُيَيْنة، فتأخّرتُ عنه حتى آصطبحنا شديدا، وتشاغلتُ عنه برجل من الأعراب كان يجيئنى فأكتب عنه وكان فصيحًا؛ وكان عنـد علىّ بن هشام بعضُ من يُعادينى؛ فسألوا آبنَ أبى عُيَيْنة أن يُعاتبنى بشعر ينسُبنى فيه الى الخُلْف، فكتب إلىّ :

يا مَلِيًّا بالوعد والخُلْف والمَطْـ * ـلِ بَطيئا عن دعوة الأصحابِ
لَهِجًا بالأعراب إنّ لدينا * بعضَ ما تشتهى من الأعرابِ
قد عرَفنا الذى شُغِلت به عنّا * وإن كان غيرَ ما فى الكتابِ

قال : فكتبتُ الى الذى حمل آبن أبى عيينة على هذه الأبيات — قال حمّاد : وأظنه إبراهيم بن المهدىّ — :

قد فَهِمتُ الكتابَ أصلحك اللهُ * وعندى عليه رَدُّ الجوابِ
ولعَمْرى ما تُنصفون ولا كا * ن الذى جاء منكمُ فى حسابى
لستُ آتيك فآعلمنّ ولا لى * فيك حظٌّ من بعدِ هذا الكتابِ

عاتب على بن هشام بشعر لأنه مرض ولم يعده

قال حمّاد: قال أبى: وكتبت الى علىّ بن هشام وقد آعتللتُ أيّاما فلم يأتنى رسولُه :

أنا عليلٌ منذُ فارقتَنى * وأنت عمّن غاب لا تسألُ
ما هكذا كنتَ ولا هكذا * فيما مضى كنتَ بنا تفعلُ

فلمّا وصلتْ إليه رُقعتى ركب إلىّ وجاءنى عائدا .

(١) ندى الصوت : صداه .

شعره حين عودته من البصرة

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد قال :

لمّا خرج أبى إلى البصرة خَرْجته الأولى وعاد ،أنشدنى فى ذلك لنفسه :

صــــوت

ما كنتُ أعرف ما فى البين من حَزَنٍ * حتى تنادَوْا بأن قــد جِىء بالسُّفُنِ
قامتْ تودّعنى والعينُ تغلبها * فجَمْجمتْ(١) بعضَ ما قالت ولم تُبِنِ
مالت علىّ تفــدّينى وترشُــفُنى * كما يَميــل نســيمُ الرّيح بالغُصُن
وأعرضتْ ثم قالت وهى باكيةٌ * يا ليت معــرفتى إيّاك لم تكُن
لمّـا افــترقنا على كُرهٍ لفُــرقتها * أيقنتُ أنّى رهينُ الهمّ والحَــزَنِ

أنشده شداد بن عقبة شعرا لجميل فزاد عليه

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

أنشدنى شَدّاد بن عُقْبة لجَمِيل :

قِفِى تَسْلُ عنكِ النفسُ بالخُطّة التى * تُطيلين تخويفى بهــا ووعيــدى
فقد طالمــا من غير شكوى قبيحةٍ * رضِينا بحُــكمٍ منك غيرِ ســديدِ

قال : فأنشدتُ الزُّبير بن بَكّار هذين البيتين ، فقال : لو لم أنصرف من العراق إلا بهما لرأيتُهما غُنْما . وأنشدنى شدّاد لجميل أيضا :

بُثَيْنَ سَلِينى بعضَ مالى فإنّمــا * يُبَيَّن عنــد المــال كلُّ بخيــلِ
فإنى وتَكرارى الزيارةَ نحــوَكم * لَبَيْن يدَىْ هَجْرٍ بُثَيْنَ طويلِ ١٢١/٥

قال أبى : فقلت لشَدّاد : فهلا أزيدك فيهما(٢) ؟ فقال : بلى؛ فقلت :

فياليتَ شِعْرى هل تقولين بعــدنا * إذا نحن أزْمَعنــا غدًا لرَحيــلِ
ألا ليت أيامًا مَضَــيْنَ رواجــعٌ * وليت النَّوَى قد ساعدتْ بجميــلِ

---

(١) جمجم الكلام : لم يبينه .
(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فيها» ، وهو تحريف .

فقال شدّاد : أحسنتَ والله ! وإن هـذا الشعر لضائعٌ؛ فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : نفيتَه عن نفسك بتَسْميتك جميلًا فيه، ولم يَلْحَق بجميل، فضاع بينكما جميعا .

اجتمع هو وجماعة من المغنين عنـد إسحاق المصعبي

حدّثني جَحْظة قال حدّثني عليّ بن يحيى المُنَجِّم قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال: دعاني إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبيّ، وكان عبد الله بن طاهر عنده يومئذ، فوجّه إليّ فحضرتُ وحضَر عَلّويه ومخارقٌ وغيرُهمـا من المغنّين ؛ فبيناهم على شرابهم وهم أسرُّ ما كانوا، إذ وافاه رسولُ أمير المؤمنين فقال : أجِبْ؛ فقال : السمع والطاعة؛ ودعا بثيابه فلبسها. ثم التفت الى محمد بن راشد الخَنّاق فقال له : قد بلغني أنّك أحفظ الناس لِمـا يدور في المجالس، فآحفظ لي كلَّ صوت يمرّ وما يشربه كلُّ إنسان، حتى إذا عدتُ أعدتَ عليّ الأصوات وشربتُ ما فاتني؛ فقال : نعم، أصلح الله الأمير. ومضى الى المأمون، فأمره بالشخوص الى بابَك[1] من غدٍ، وتقدّم اليه فيما يحتاج اليه ورجع من عنده . فلمّا دخل ووضع ثيابَه قال : يامحمد، ما صنعتَ فيما تقدّمتُ به إليك؟ قال: قد أحكمتُه أعزّك الله؛ ثم أخبره بمـا شرِب القومُ وما آستحسنوه من الغناء بعده؛ فأمر أن يُجمَـع له أكثرُ ما شربه واحدٌ منهم في قدح، وأن يُعاد عليـه صوتٌ صوتٌ ممـا حفِظه له حتى يَسـتوفيَ ما فاته القومُ به، ففعـل ذلك وشرب حتى آستوفى النبيذَ والأصواتَ . ثم قال لي : يا أبا محمد، إني قد عملتُ في مُنْصَرَفي من عند أمير المؤمنين أبياتًا فآسمعها؛ فقلت : هاتِها أعزّ الله الأمير؛ فأنشدني :

صـــــوت

ألَا مَنْ لقلبٍ مُسْـلَمٍ للنوائبِ * أحاطت به الأحزانُ من كلّ جانبِ

تَبيّنَ يومَ البين أنّ اعتزامه * على الصبرمن بعض الظنون الكواذب

---

(١) هو بابك الخرّمي، وكان قد خرج على دولة بني العباس، وظهر بأذربيجان وكثر بها أتباعه وآستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين، ثم أخذ في أيام المعتصم هو وأخوه اسحاق وصلبا .

صـــــوت

حرامٌ على رامى فـــؤادِى بسهمــه * دمٌ صبّه بيــن الحَشَى والترائبِ
أراق دمًا لولا الهـــوى ما أراقــه * فهـــل بدَمِى(١) من ثائرٍ أو مُطالِبِ

قال : فقلت له : ما سمعتُ أحسنَ من هذا الشــعر قطّ ؛ فقال لى : فآصنعْ فيه ؛ فصنعت فيه لحنا ، وأحْضَرنى وصيفةً له ، فألقيتُه عليها حتى أخذَتْه ؛ وقال : إنما أردتُ أن أتسلّى به فى طريقى وتُذَكّرنى به الجاريةُ أمرَكَ إذا غنّته . فكان كلما ذكر أتانى برُّه ، إلى أن قَدِم ، عدّةَ دفعات . لم أجد لإسحاق صنعةً فى هذا الشعر ، والذى وجدتُ فيــه لعبد الله بن طاهر خفيفُ رَمَلٍ ، ذكره آبنه عُبيد الله عنه . ولمُخارِق لحنٌ من الرمل . ولعمرو بن بانة هَزَجٌ بالوسطى . ولمخارق والطاهريّة خفيفُ ثقيل .

سأل عنه المتوكل حين كف فأحضره ثم غناه فوصله

١٢٢ حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى أبو عبد الله محمد بن حَمْدون قال :
٥

سأل المتوكّل عن إسحاق الموصلىّ ، فعرف أنه قد كُفّ وأنه فى منزله ببغداد ؛ فكتب فى إحضاره . فلما دخل عليه رفَعه حتى أجلسه قُدّامَ السرير ، وأعطاه مِخَدّة ، وقال له : بلغنى أن المعتصم دفع إليك مخدّة فى أوّل يوم جلستَ بين يديه وهو خليفة ، وقال : إنه لا يُستجلب ما عند حُرٍّ بمثل الكرامة ؛ ثم سأله : هل أكل ؟ فقال نعم ؛ فأمر أن يُسقى ؛ فلما شرب أقداحا قال : هاتوا لأبى محمد عودا ؛ فجىء به ؛ فآندفع يغنّى بصوتٍ الشعرُ فيه والغناء له :

---

(١) فى حـ : « فهل يدرى ذامن ثائر أو مطالب » .

صــــوت

ما علّةُ الشيخ عيناه بأربعةٍ[1] * تغرورقان بدمعٍ ثم تنسكبُ

— قال أبو عبد الله : فوالله ما بقي غلامٌ من الغلمان الوقوف على الحَيْر[2] إلا وجدتُه يرقُص طربًا وهو لا يعلم بما يفعل — فأمر له بمائة ألف درهم . ثم قال لي المتوكل : يابن حَمْدُون، أتحسن أن تغنّيني هذا الصوت؟ فقلت نعم؛ قال : غنّه؛ فترنّمت به؛ فقال إسحاق : من هذا الذي يَحْكيني؟ فقال : هذا ابنُ صديقك حمدون؛ فقال : وَدِدتُ أنه يُحسن أن يَحْكيني؛ فقلت له : أنت عرّضتني له يا أمير المؤمنين . ثم انحدر المتوكل إلى رقّة[3] بُوصَرَا ؛ وكان يَستطيبها لكثرة تغريد الأطيار بها، فغنّى إسحاقُ :

صــــوت

أألْن هتَفتْ وَرْقاءُ في رَوْنق الضُّحَى * على غُصُنٍ غَضّ الشباب من الرَّنْدِ

بكيتَ كما يبكي الحزين صبابةً * وشوقا وتابعتَ الحَنينَ إلى نجدِ

فضحك المتوكل وقال له : يا إسحاق ، هذه أختُ فَعْلتك بالواثق لمّا غنّيتَه بالصالحيّة[4] :

طَرِبتُ إلى الأُصَيْبِيةِ الصِّغارِ * وذكَّرني الهوى قربُ المَزارِ

---

(١) يقال : عيناه تدمعان بأربعة ، أي تسيلان بأربعة آماق ، وذلك أشدّ البكاء .

(٢) كذا في حـ . والحير : اسم قصر بسر من رأى بناه المتوكل وأنفق على عمارته أربعة آلاف ألف درهم . (راجع ياقوت في الكلام على الحير) . وفي سائر الأصول : « الخير » بالخاء المعجمة والباء الموحدة ، وهو تصحيف .

(٣) الرقة : كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء . وبوصرا : قرية من قرى بغداد .

(٤) الصالحية : قرية قرب الرها من أرض الجزيرة ، اختطها عبد الملك بن صالح الهاشمي .

فكم أعطاك لمّا أذن لك فى الانصراف ؟ قال : مائة ألف درهم؛ فأمر له بمائة ألف درهم، وأذن له بالانصراف إلى بغداد . وكان هذا آخرَ عهدنا به، لأن إسحاق توفّى بعد ذلك بشهرين .

أمره الواثق أن يغنى صوتا فطير معه وغناه

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخلت على الواثق أستأذنه فى الانحدار إلى بغدادَ فوجدته مصطبحا ؛ فقال : بحياتى غنّ :

صـــوت

ألا إن أهلَ الدار قد ودّعوا الدارا * وإن كان أهلُ الدار فى الحىّ أجْوارا[(1)]

وقــد تركوا قلبى حزينًـا متيّمًا * بذكرهمُ، لو يَستطيع لقد طارا

فتطيّرتُ من اقتراحه له وغنّيته إياه، فشرب عليه مرارا، وأمر لى بثلاثين ألفَ درهم وأذن لى فانصرفت، ثم كان آخرَ عهدى به . الشعر لمُطيع بن إياس . والغناء لإبراهيم الموصلىّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو .

استنشق أحمد بن معاوية نبيذا فزحم حامل الدن فكسره وشعره فى ذلك

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا عبد الله ابن الفرج قال حدّثنا أحمد بن معاويةَ قال :

كنت فى بيتى وعَلّويه يُغنّينى :

صـــوت

أعْرَضْنَ من شَمَطٍ[(2)] فى الرأس لاح به * فهُنّ عنـه إذا أبصرنَه حِيــدُ

قد كُنّ يعهَدْنَ منّى مَنظرًا حسَنًا * وجُمّةً[(3)] حَسرتْ عنهـا العناقيدُ

---

(1) الأجوار : جمع جار وهو الذى يجاورك فى دار أو غيرها . (2) الشمط : بياض شعر الرأس يخالط سواده . (3) الجمة : مجتمع شعر الرأس .

١٢٣/٥ فوردتْ علىّ رُقعةٌ من إسحاقَ الموصلىّ يستسقينى نبيذًا ، فبعثت إليه بدَنّ مع غلام لى؛ فلما توسّط الغلامُ به الجسرَ زُحِم فكُسِر ، فرجع الغلام إلى إسحاق فأخبره الخبرَ وسأله مسألتَى(١) الصَّفحَ عنه ، فكتب إلىّ :

يا أحمد بن معاويَهْ * إنّى رُميت بداهيَهْ
أشكو إليك فأشْكِنى * كَسْرَ الغلامِ الخابيَهْ
ياليتها سلمتْ وكا * ن فداءَها ابنُ الزانيَهْ

فبعثت إليه بأربعة أدنانٍ(٢) ، وأعتقتُ الغلام بشفاعته فى أمره .

صنع صوتا أعجب به المعتصم والواثق وعجز المغنون عن أخذه عنه

أخبرنى جعفر بن قُدامة ومحمد بن مَزْيَد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق الموصلىّ قال قال لى حمدون بن إسماعيل رحمه الله :

لمّا صنع أبوك رحمه الله هذا الصوتَ :

صـــوت

قِف بالديار التى عفا القِدَمُ * وغيّرتْها الأرواحُ والدِّيَمُ
لمّا وقفنا بها نُسائلها * فاضتْ من القوم أعينٌ سُجُمُ
ذِكْرًا لعيشٍ مضى إذا ذُكِرت * ما فات منه فذكره سَقَمُ
وكلُّ عيشٍ دامتْ غَضارتُه * مُنقطِعٌ مرّةً ومُنْصَرِمُ

— ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ — أُعجِب به المعتصم والواثق جميعا؛ فقال له المعتصم : بحياتى ارْدُدْه على مخارق وعَلّويه والجماعة ليأخذوه عنك، وانْصَحْهم فيه؛ فإنهم إن أحسنوا فيه نُسب إليك إحسانُهم ، وإن أساءوا بان فضلُك عليهم ؛ فردّه عليهم أكثرَ من

(١) فى ب ، سـ : « مسألة » . (٢) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : « أدنّ » وجمع القلة لفعل المضعف أفعال مثل عم وأعمام ، وأفعل مثل كف وأكف إلا أن الكثير الأوّل . والذى ورد فى كتب ... جمعا لدنّ إنما هو دنان لا غير .

مائتى مرّة، وكانوا يقصِدون إلى منزله ويُرْدّه (١) عليهم، ومات وما أخذوا منه علم الله إلّا رَسْمَه . الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه ثقيل أوّل .

خروجه مع الرشيد إلى الرقة وقصته بدير القائم وتل عزاز

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال :

(٢) خرجنا مع الرشيد يريد الرقّة؛ فلمّا صِرْنا بالموضع الذى يقال له القائم نزلْنا، وخرج يتصيّد وخرجنا معه، فأبْعد فى طلب الصيد؛ ولاح لى دَيْر فقصدته وقد تعبتُ، فأشرفتُ على صاحبه؛ فقال : هل لك فى النزول بنا اليوم ؟ فقلت : إى والله، وإنى إلى ذلك لمحتاج؛ فنزل ففتح لى البابَ وجلس يحدّثنى، وكان شيخا كبيرا وقد أدرك دولة بنى أمية، فجعل يحدّثنى عمّن نزل به من القوم ومَوَاليهم وجيوشهم؛ وعرَض علىّ الطعامَ فأجبتُه؛ فقدّم إلىّ طعاما من طعام الدِّيارات (٣) نظيفا طيّبا، فأكلتُ منه، وأتانى بشرابٍ ورَيْحانٍ طَرِىّ فشربتُ منه، ووكّل بى جاريةً تخدُمُنى راهبةً لم أر أحسن وجهًا منها ولا أشْكَل؛ فشربتُ حتى سكِرتُ، ونِمتُ وآنتبهتُ عِشاءً؛ فقلتُ فى ذلك :

صــــوت

بدَيْر (٤) القائم الأقصَى * غزالٌ شادنٌ أحْوَى
بَرَى حُبِّى له جِسْمِى * ولا يَعْلَمُ ما ألْقَى
وأكْتُمُ حبّه جُهدِى * ولا والله ما يَخْفَى

---

(١) كذا فى م . وفى سائر الأصول : « يقصدونه إلى منزله » . (٢) ورد هذا الخبر فى مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى (ج ١ ص ٢٦٩ طبع بولاق) مع اختلاف يسير فى بعض العبارات .

(٣) الديارات : جمع دير . وهذا الجمع لدير على كثرة وروده فى معاجم البلدان وكتب الأدب، لم نعثر على نص عليه فى معاجم اللغة التى بين أيدينا . (٤) دير القائم الأقصى : على شاطئ الفرات من جانبه الغربى فى طريق الرقة . وذكر ياقوت فى معجمه وابن فضل الله العمرى فى مسالك الأبصار بعد تعريفهما لهذا الدير قالا : «قال أبو الفرج : وقد رأيته، وهو مرقب من المراقب التى كانت بين الروم والفرس، على أطراف الحدود» . ووهما أن هذه الأبيات لعبد الله بن مالك المغنى، وقال الخالدى : هى لاسحاق الموصلىّ .

وركبتُ فلحِقتُ بالمعسكر والرشيدُ قد جلس للشرب وطلبنى فلم أُوجَد . وأُخبرتُ
١٢٤/٥ بذلك ، فغنَّيتُ فى الأبيات ودخلتُ اليه ، فقال لى : أين كنتَ ؟ وَيْحَك ! فأخبرته بالخبر وغنَّيته الصوتَ ، فطرِب وشرب عليه حتى سَكِر ، وأخَّر الرحيلَ فى غدٍ ، ومَضَيْنا الى الدَّيْر ونزله ، فرأى الشيخَ وآستنطقه ، ورأى الجارية التى كانت تخدُمنى بالأمس ؛ فدعا بطعام خفيف فأصاب منه ، ودعا بالشراب ، وأمر الجاريةَ التى كانت بالأمس تخدُمنى أن تتولَّى خدمتَه وسَقْيَه ففعلتْ ، وشرب حتى طابت نفسه ؛ ثم أمر للدَّيْر بألف دينار ، وأمر بآحتمال خراجه له سَبْعَ سنين ؛ فرحَلْنا .

قال حمّاد : فحدّثنى أبى قال : فلما صِرنا بتلّ عَزاز من دابِق(١) خرجتُ أنا وأصحاب لى نتنزّه فى قرية من قُراها ، فأقمنا بها أيامًا ، وطلبنى الرشيدُ فلم يجدنى . فلمّا رجَعتُ أتيتُ الفضلَ بن الربيع ، فقال لى : أين كنتَ ؟ طلبَك أميرُ المؤمنين ؛ فأخبرته بنُزْهتنا فغضِب . وخِفتُ من الرشيد أكثر مما لقيتُ من الفضل ، فقلت :

صـــوت

إنّ قلبى بالتّــلِّ تلِّ عَزازٍ * عند ظَبْيٍ من الظِّباء الجَوازِى(٢)
شادِنٍ يسكُنُ الشآمَ وفيــه * مع ظَـرْف العراق شَكْلُ(٣) الحجاز
يا لَقَــوْمى لبنت قَسٍّ أصابتْ * منك صفوَ الهوى وليست تُجازِى
حَلَفتْ بالمسيح أن تُنجِزَ الوعـ * ـدَ وليستْ تَهُـمّ بالإنجاز

وغنَّيتُ فيه ؛ ثم دخلتُ على الرشيد وهو مُغْضَبٌ ، فقال : أين كنت ؟ طلبتُك فلم أجِدْك ؛ فآعتذرتُ اليه وأنشدتُه هذا الشعرَ وغنَّيته إياه ، فتبسّم وقال : عذرٌ وأبيك

(١) دابق : قرية قرب حلب من أعمال عزاز ، بينها و بين حلب أربعة فراسخ .
(٢) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٧٣ من هذا الجزء . (٣) الشكل (بالكسر والفتح) : الدل .

وأىُّ عذر ! وما زالَ يشربُ عليــه ويَستَعِيدُنيه ليلتَه جَمْعاء حتى آنصرفنا مع طلوع الفجر. فلمّا وصلتُ الى رَحْلى إذا برسـول أمير المؤمنين قد أتانا يَدْعونا ، فوافَيْتُ فدخلتُ ، وإذا ابنُ جامعٍ يتمرّغ على دُكّان فى الدار وهو سَكْرانُ يتململ ؛ فقال لى : يآبنَ الموصلىّ، أتدرى ما جاء بنا ؟ فقلت : لا والله ما أدرى؛ فقال : لكنّى والله أدرى دِرايةً صحيحةً ، جاءت بنا نَصْرانيّتُك الزانية ، عليك وعليها لعنة الله . وخرج الآذنُ فأذِنَ لنا، فدخلنا . فلما رأيتُ الرشـيد تبسّمت؛ فقال لى : ما يُضحكك ؟ فأخبرته بقول آبن جامع؛ فقال : صَـدَقَ(١)، ما هو إلا أن فقدتُكم فآشتقتُ الى ما كنّا فيه، فعودوا بنا، فعُدْنا فيه حتى آنقضى مجلسنا وآنصرفنا .

لحنُ إسحاقَ :

* بدَيرِ القـائمِ الأقصى *

خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى . وفيه للقاسم بن زُرْزُور ثقيلٌ أوّلُ . ولحنه فى :

* إنّ قلبى بالتَّلِّ تلّ عَزَازِ *

خفيفُ رَمَلٍ .

دخل على الرشيد ضاربا مغنيا بشعر له فطرب وأجازه

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنى حمّاد عن أبيه قال :

دخلتُ على الرشيد يومًا فى عمامة قد كَوَّرتُها على رأسى؛ فقال: ما هذه العِمامة! كأنك من الأنبار . فلمّا كان من غدٍ دعا بنا اليه ، فأمهلتُ حتى دخل المغنُّون جميعا قبلى ، ثم دخلتُ عليه فى آخرهم، وقد شددتُ وسطى بمِشَقّة حريرٍ أحمر، ولبِستُ لباسا مُشْتَهِرًا، وأخذتُ بيدى صَفّاقتَين وأقبلتُ أَخْطِر وأضرب بالصَّفّاقتَين وأُغنّى :

إِسمعْ لصـوتٍ مليحٍ * من صنعة الأنبارِى
صوتٍ خفيفٍ ظريفٍ * يطـيرُ فى الأوتارِ

(١) فى الأصول : « ما صدق » . والظاهر أن « ما » مقحمة من الناسخ .

١٢٥ فبسط يده إلىّ حتى كاد يقوم ، وجعل يقول : أحسنتَ وحياتى ! أحسنتَ أحسنتَ ! حتى جلستُ ، ثم شرب عليه بقيّةَ يومه ، وما ٱستعاد غيرَه ، وأمر لى بعشرين ألف درهم . لحنُ إسحاق فى هذا الشعر هَزَج .

غنى مغن بصوت له عند الفضل بن الربيع فأعجب به

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد قال حدّثنى أحمد بن يحيى المكّىّ قال : كنتُ عند الفضل بن الربيع ، فغنّى بعضُ مَنْ كان عنده :

صوت

كلُّ شىء منك فى عينى حَسَنْ * ونَصيبى منك همٌّ وحَزَنْ
لا تَظُنِّى أنه غيَّرنى * قِدَمُ العهد ولا طولُ الزمنْ

فقال لى : أتدرى لمن هذا ؟ فقلت : لبعض الطُّنْبُوريِّين ؛ فقال : لا ولكنه لذلك الشيطان إسحاق . لحنُ إسحاق فى هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى من مجموع أغانيه .

استسق جارية وهو فى ركب الرشيد إلى طوس فأعجبته فقال شعرا

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال :

لمّا خرجنا مع الرشيد الى طُوس كنتُ معه أُسايِرُه ، فٱستَسقَيتُ ماءً من منزلٍ نزلناه يقال له سَحْنة (١) ، فخرجتْ إلينا جاريةٌ كأنها ظبيةٌ ، فسقَتْنى ماءً ، فقلتُ هذا الشعر :

صوت

غزالٌ يَرْتَعِى جَنَباتِ وَادِ * بسَحْنَةَ قد تمكّنَ فى فؤادى
سقانى شَرْبةً كانت شِفاءً * لِعِلَّةِ حائمٍ حَرّانَ (٢) صادى

لِغَلَّةِ

(١) كذا فى الأصول ومعجم ياقوت . والذى فى المسالك والممالك لابن حوقل ، والمسالك والممالك للاصطخرى : « صحنة » بالصاد المهملة المضمومة . وهى موضع بين الدينور وهمذان . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « غرثان » . والغرثان : الجائع . والحائم : العطشان .

وغنّيته الرشيدَ ، فقال لى : أتحبُّ أن أزوّجكها ؟ فقلتُ : نعم والله يا سيّدى ؛ قال : فاَخطُبها والمهرُ علىّ وما يُصلحها ، فخطبتُها ، فأبى أهلها أن يُخرجوها من بلدهم . لحنُ إسحاق فى هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ . وفيه لعَلّويه خفيفُ رَمَلٍ .

صنع صوتا فأخذه أحد العامة وهو يردّده فاغتم ولم ينسبه لنفسه

أخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال :

قال لى أبى : ما اغتممتُ بشىء قطُّ مثلَ ما اغتممتُ بصوتٍ مليحٍ صنعتُه فى هذا الشعر :

صـــوت

كان لى قلبٌ أعيشُ به * فاَكتوَى بالنـارِ فاَحترَقا
أنا لم أُرْزَقْ محبّتَهـا * إنمـا للعبــدِ ما رُزِقا
مَنْ يكنْ ماذاقَ طعمَ رَدًى * ذاقه لا شكَّ إن عَشِقا

فإنّى صنعتُ فيه [لحنًا][1] وجعلتُ أردّده فى جَناحٍ لى سَحَرًا ، فأظنّ أنّ إنسانا من العامة مرّ بى فسمعه فأخذه ، فبكَّرتُ من غدٍ الى المعتصم لأُغَنّيَه ، فإذا أنا بسَوّاط يَسُوط[2] الناطِفَ[3] وهو يُغَنّى اللحنَ بعينه إلا أنه غناء فاسدٌ . فعجبتُ وقلتُ : تُرَى من أين لهذا السَّوّاط هذا الصوت! ولعلّ إذ غنّيتُه أن يكون قد مرّ بى هذا فسمعنى أُغنّيه ؛ وبقيتُ متحيّرًا ، ثم قلت : يا فتى ، ممن سمعت هذا الصوت ؟ فلم يجبنى وٱلتفتَ الى شريكه ، وقال[4] : هـذا يسألنى ممن سمعته ! هـذا غنائى ، والله لو سمعه إسحاق الموصلىّ لَخَرِىَ فى سَرَاويله ؛ فبادرتُ والله هاربًا خوفَ أن يمرّ بى إنسانٌ فيسمع ما جرى علىّ فأفتضح ؛ وما علم الله أنى نطقت بذلك الصوتِ بعدها .

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) ساط الشىء : خلطه . (٣) الناطف : ضرب من الحلواء لأنه ينطف قبل استضرابه ، أى يقطر قبل خثورته . (٤) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : « وقال خذ إليك . يسألنى ممن ... الخ » .

كتب اليه ابراهيم ابن المهدى فى أحجية فأجابه

١٢٦/٥

حدّثنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال :

كتب إبراهيمُ بن المهدىّ الى أبى : أىّ شىء تصحيفُ : "لايُريحُ مثلُ الأسنّة". فكتب اليه أبى : تصحيفُه : "لايَرِثُ جميلٌ إلا بُثَينَةَ"، فكتب اليه : وَيْ منك ! .

مدح جعفر بن يحيى ببيتين وغناه فيهما فوصله

أخبرنا جعفر قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال :

دخلتُ يوما على جعفر بن يحيى، فرأى شَفَتَىَّ تتحرّكانِ بشىء(1) كنتُ أعمله ؛ فقال : أتدعو أم تَصنع(2) ماذا ؟ فقلتُ : بل أمدح ؛ قال : قل ؛ فقلت :

صـــــوت

وكنتُ إذا إذنٌ عليك جَرَى لنا * تجـــلّى لنا وجهٌ أغرُّ وسِـــيمُ

علانيـــةٌ محمـــودةٌ وسريرةٌ * وفِعـــلٌ يَسُرُّ المُعْتَفِينَ كريمُ

فاحتبسنى وأمر لى بمال جليل وكُسوةٍ ، وقال : زِدِ البيتين حُسناً بأن تصنع فيهما لحنا ؛ فصنعتُ لحنا من الثقيل الثانى ؛ فلم يزل يَشربُ عليهما حتى سَكِر .

قصة دخوله بيتا طفيليا

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنه حدّثه قال :

غدوتُ يوما وأنا ضَجِرٌ من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها ، فخرجتُ وركبت بُكرةً، وعزمتُ على أن أطوفَ الصحراءَ وأتفرّجَ ، فقلتُ لغلمانى : إن جاء رسول الخليفة أو غيرُه فعرّفوه أنى بكّرتُ فى بعض مُهمّاتى، وأنكم لاتعرفون أينَ توجّهتُ ؛ ومضيتُ وطُفتُ ما بدا لى ، ثم عُدتُ وقد حَمِى النهارُ ؛ فوقفتُ فى الشارع المعروف بالمحرّم(3) فى فِناء ثَخينِ الظلّ وجَناحٍ رَحْبٍ على الطريق لأستريحَ . فلم أَلبثْ

(1) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : «لشىء» . (2) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «أم تصنع أم ماذا ؟» . (3) كذا فى معجم ما استعجم . وهى محلة ببغداد بالجانب الشرقىّ . وفى الأصول : «المحرّم» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

أن جاء خادمٌ يقودُ حمارا فارهًا عليه جاريةٌ راكبة، تحتها منديلٌ دبيقىّ[(١)] وعليها من اللباس الفاخر ما لا غايةَ بعده، ورأيتُ لها قَوَاما حسنا وطَرْفا فاترا وشمائلَ حسنةً؛ فَخَرَصْتُ[(٢)] عليها أنها مُغنّية، فدخلتِ الدار التى كنتُ واقفا عليها. ثم لم ألبث أن جاء رجلانِ شابّانِ جميلانِ، فآستأذنا فأُذن لهما فنزلا ونزلتُ معهما ودخلتُ؛ فظنّا أن صاحب الدار دعانى وظنّ صاحبُ الدار أنى معهما؛ فجلسنا، وأُتى بالطعام فأكلنا وبالشراب فوُضِع، وخرجتِ الجاريةُ وفى يدها عودٌ فغنّتْ وشربنا؛ وقمتُ قومةً، وسأل صاحبُ المنزل الرجلين عنّى فأخبراه أنهما لا يعرفانى؛ فقال: هذا طُفَيْلىٌّ، ولكنه ظريفٌ، فأجْمِلوا عِشْرتَه. وجئتُ فجلستُ، وغنّتِ الجاريةُ فى لحنٍ لى:

ذَكَرْتُكِ أن مرّتْ بنا أُمُّ شادنٍ * أمامَ المطايا تَشْرئبُّ وتَسْنَحُ
من المؤلفاتِ الرمل أَدْماءُ حُرّةٌ * شُعاعُ الضحى فى مَتْنِها يَتَوضّحُ[(٣)]

فأدّته أداء صالحا وشربت. ثم غنّتْ أصواتا شتّى، وغنّتْ فى أضعافها من صنعتى:

الطُّلولُ الدوارِسُ * فارقَتْها الأوانِسُ
أَوْحشتْ بعد أهلها * فهى قَفْرٌ بَسابِسُ

فكان أمرُها فيه أصلحَ منه فى الأوّل. ثم غنّتْ أصواتا من القديم والحديث، وغنّتْ فى أثنائها من صنعتى:

قُل لِمن صَدّ عاتبَا * ونأَى عنكَ جانبَا
قد بلغْتَ الذى أَرد * تَ وإن كنتَ لاعبَا

فكان أصلحَ ما غنّته؛ فآستعدْتُه منها لأُصحّحه لها؛ فأقبل علىّ رجل من الرجلين وقال: ما رأيتُ طُفَيليّاً أصفقَ وجهًا منك! لم تَرْضَ بالتطفيل حتى اقترحْتَ، وهذا غايةُ

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٤٥ من هذا الجزء. (٢) خرصت: ظننت وخمنت.
(٣) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٩٢ من هذا الجزء.

١٢٧/٥ المثل "طُفَيلِيٌّ مُقْتَرِحٌ"؛ فأطرَقْتُ ولم أُجِبه؛ وجعل صاحبُه يَكُفُّه عنّى فلا يَكُفّ. ثم قاموا للصلاة وتأخرتُ قليلا، فأخذتُ عودَ الجارية، ثم شددتُ طبقته وأصلحتُه إصلاحا محكما، وعُدتُ الى موضعى فصلّيتُ، وعادوا؛ ثم أخذ ذلك الرجلُ فى عَرْبَدته علىّ وأنا صامتٌ؛ ثم أخذتِ الجاريةُ العودَ فجَسّته وأنكرتْ حاله وقالت : مَنْ مَسّ عُودى؟ قالوا : ما مسّه أحدٌ ! قالت : بلى ! والله لقد مسّه حاذقٌ متقدّم وشَدّ طبقتَه وأصلحه إصلاحَ مُتَمكّن من صناعته؛ فقلتُ لها : أنا أصلحتُه؛ قالت : فبآلله خُذْه وآضرب به؛ فأخذتُه وضربتُ به مَبدأً صحيحا ظريفا عجيبا صَعْبا، فيه نَقَراتٌ محرّكةٌ، فما بقى أحدٌ منهم إلا وثَبَ [على قدميه] (١) وجلس بين يدىّ؛ ثم قالوا : بآلله ياسيّدَنا أتُغنّى؟ فقلتُ : نعم، وأُعَرّفُكم نفسى، أنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الموصلىّ، ووالله إنى لأَتِيهُ على الخليفة إذا طلبنى (٢) وأنتم تُسمِعُونَنى ما أكره منذ اليوم لأنى تملّحتُ معكم؛ فوالله لا نَطقتُ بحرف ولا جلستُ معكم حتى تُخرِجُوا هذا المُعَرْبِدَ المَقيتَ الغَثّ؛ فقال له صاحبُه : مِن هذا حَذِرتُ عليك؛ فأخذ يَعتذِر؛ فقلتُ : والله لا نطقتُ بحرف ولا جلستُ معكم حتى يُخْرَجَ؛ فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا. فبدأتُ وغنّيتُ الأصواتَ التى غنّتها الجاريةُ من صنعتى؛ فقال لى الرجلُ: هل لك فى خَصْلة؟ قلتُ : ما هى؟ قال : تُقيمُ عندى شهرا، والجاريةُ والحمارُ لك مع ما عليها من حُلِىّ؛ قلت : أفعل، فأقمتُ عنده ثلاثين يوما لا يَدرِى أحدٌ أين أنا، والمأمونُ يَطلُبنى فى كلّ موضع فلا يعرِفُ لى خبرا . فلمّا كان بعد ثلاثين يوما أسلم إلىّ الجاريةَ والحمارَ والخادمَ؛ فجئتُ بذلك الى منزلى، وركبتُ الى المأمون من وقتى؛ فلمّا رآنى قال : إسحاقُ! وَيْحَك! أين تكون؟ فأخبرتُه بخبرى؛ فقال : علىّ بالرجل

(١) زيادة عن ى . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « إذا كلمنى » .

الساعةَ، فدلّتهم على بيته فأُحضِر، فسأله المأمونُ عن القصة فأخبره، فقال له : أنت رجل ذو مروءة وسَبيلُكَ أن تُعاوَنَ عليها، وأمر له بمائة ألف درهم، وقال : لا تُعاشِرنّ ذلك المعربِدَ النَّذْلَ ٱلبتّةَ، وأمر لى بخمسين ألف درهم، وقال: أَحضِرْنى الجاريةَ، فأحضرتُها فغنّته، فقال لى : قد جعلتُ لها نوبةً فى كلّ يوم ثُلاثاء تُغَنّينى وراءَ الستارة مع الجوارى، وأمر لها بخمسين ألف درهم . فربحتُ والله بتلك الرَّكْبةِ وأَرْبَحْتُ .

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

صـــوت

ذكرتكِ أن مرّتْ بنا أُم شادنٍ * أمامَ المطايا تَشرئبّ وتَسْــنَحُ
من المؤلِفاتِ الرمــل أدماءُ حُرّةٌ * شُعاعُ الضُّحَى فى مَتنِهـا يَتوضّحُ

الشعرُ لذى الرُّمّة . والغناءُ لإسحاقَ ثقيل أوّلُ بالسبابة والوسطى، عن ابن المكّى . ومن أغانى إسحاق :

صـــوت

قل لمن صَــدّ عاتبًا * ونأى عنــك جانبـا
قد بلَغتَ الذى أرد * تَ وإن كنتَ لاعبا

الشعرُ والغناء لإسحاقَ . وقد تقدّم خبره قبل هذه الأخبار . ١٢٨ / ٥

صـــوت

الطُّـــلولُ الدّوارِسُ * فارقَتْهـا الأَوانِسُ
أَوْحشتْ بعد أهلِها * فهى قَفْــرٌ بَسابِسُ

الشعرُ لابن ياسين، شاعرٍ مجهول قليل الشعر، كان صديقا لإسحاق . والغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ . وهذا الصوت من أوابد إسحاق وبدائعه .

غنى صوت له أمام الواثق فأعجب به وحلله

أخبرنى عمّى قال حدّثنى يزيدُ بن محمد المهلّبىّ قال :

كنتُ عند الواثق ، فغنّته "شجى" التى وهبها له إسحاقُ هذا الصوتَ ، فقال لمخارق وعَلّويه : والله لو عاش مَعْبدٌ ما شقّ غبارَ إسحاقَ فى هذا الصوتِ ، فقالا (١) له : إنه لحسنٌ يا أميرَ المؤمنين ، فغضب وقال : ليس عندكما فيه إلا هذا ! ثم أقبل على أحمدَ بن المكّىّ (٢) فقال : دعْنى من هذين الأحمقين ، أوّلُ بيتٍ فى هذا الصوت أربعُ كلمات : "الطلول" كلمة ، و"الدوارس" كلمة ، و"فارقها" كلمة ، و"الأوانس" كلمة ، فآنظر هل ترك إسحاقُ شيئا من الصنعة يتصرّفُ فيه المغنّى لم يُدخِلْه فى هذه الكلماتِ الأربع ! بدأ بها نشيدا ، وتلاه بالبسيط ، وجعل فيه صِياحا ، وإسجاحا ، وترجيحا للنَّغَم ، وآختلاسا فيها ، وعمِل هذا كلَّه فى أربع كلمات ، فهل سمعتَ أحدا تقدّم أو تأخر فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟ ! فقال : صدق أميرُ المؤمنين ، قد لحق مَنْ قبله وسبق مَنْ بعده .

مر مع الواثق بدير مريم فقال فيه شعرا وغنى فيه فوصله

أخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى ميمونُ بن هارون قال حدّثنى إسحاق قال :

لمّا خرجت مع الواثق الى النَّجَف دُرْنا بالحِيرة ومرَرْنا بدِيَاراتها ، فرأيتُ ديرَ (٣) مريمَ بالحِيرة ، فأعجبنى موقعُه وحسنُ بنائه ، فقلتُ :

---

(١) فى الأصول : « فقالوا » والسياق يقتضى التثنية ، كما هو ظاهر . (٢) فى الأصول : « محمد بن المكى » . والمعروف المشهور بهذه النسبة ما أثبتناه . (٣) دير مريم أو دير مارت مريم : يطلق على ديرين ، أحدهما : دير قديم من بناء المنذر حسن الوضع بين الخورنق والسدير وبين قصر أبى الخصيب مشرف على النجف ؛ وسياق الخبر هاهنا يدل على أن هذا الدير هو المراد . والآخر : دير قديم أيضا بالشام ؛ ذكره البكرى و ياقوت واستشهدا بهذين البيتين . قال البكرى : « هو بالشام وهو دير قديم من دياراتها لا أدرى أين موضعه ؛ وقد ذكره بعض الشعراء القدماء . وغنى فيه ابن محرز قال :

نعم المحلّ لمن يسعى للذته * دير لمريم فوق الظهر معمور

ظل ظليل وماء غير ذى أسن * وقاصرات كأمثال الدمى حور

=

نِعمَ المحلُّ لمن يسعَى لِلَــذّته * ديرُ لمريمَ فوقَ الظهر معمورُ
ظِلٌّ ظليلٌ وماءٌ غيرُ ذى أَسَنٍ * وقاصِراتٌ[1] كأمثال الدُّمَى حُورُ

فقال الواثقُ : لا نَصطبِحُ والله غدًا إلا فيه ؛ وأمر بأن يُعَدَّ فيه ما يَصلُحُ من الليل ؛ وباكرناه فاَصطبَحْنا فيه على هذا الصوتِ ؛ وأمر بمالٍ نُفرِّق على أهل ذلك الدّيرِ ، وأمر لى بجائزة . لحنُ إسحاق فى هذين البيتين ثانى ثقيلٍ بالبنصر .

غنى عبد الله بن طاهر فوصله

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال :

أخرج إلىّ عبدُ الله بن طاهر يوما بيتَىْ شعرٍ فى رُقْعة وقال : هذان البيتان وجدتُهما على بِساطٍ طَبَرِىّ[2] أَصْبَهْبَذِىّ أُهدى إلىّ من طَبَرِسْتَانَ ، فأُحبُّ أن تُغنِّينى فيهما ؛ فقرأتُهما فإذا هما :

لَجَّ بالعــين واكفُ * مِن هَوًى لايُساعِفُ
كُلّما كفَّ غَرْبُها[3] * هَيّجَتْــه المعازِفُ

= قال أبو الفرج : حدّثنا الحسين بن يحيى عن حماد بن اسحاق عن أبيه قال : نزلنا مع الرشيد بدير مارت مريم فى بعض خرجاته الى الشام فرأى منه موضعا حسنا فنشط للشرب وقال : غنّى صوتا فى معنى موضعنا ، فغنيته

* نعم المحــل لمن يسعى للذته *

البيتين ، فطرب وشرب ؛ فقال : أهذا لك ؟ قلت : لا ، هو لابن محرز ؛ فقــال لى : أنت اذا صــدى تؤدّى ما سمعت ؛ فقلت : فأنا أصنع فيه لحنا ، فصنعته فيه وغنيته . قال أبو الفرج : ولحن ابن محرز واسحاق فى هذا الشعر كلاهما من الثقيل الاول» ا هـ . ولم نجد هــذه الرواية التى ذكرها البكرى فى أصول الأغانى التى بين أيدينا . ولعله نقلها من كتاب الديارات المؤلف . (راجع ما كتب على هذا الدير فى معجم البلدان ج ٢ ص ٦٩٢ ومعجم ما استعجم ص ٣٧١ ومسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ج ١ ص ٣١٧) .

(١) القاصرة من النساء : التى لا تمدّ عينها الى غير بعلها . (٢) طبرى : نسبة الى طبرستان وهى بلدان واســعة كثيرة ، قصبتها آمل . وأصبهذى : نسبة الى أصبهذان : مدينة فى بلاد الديلم بينها وبين البحر ميلان . (٣) الغرب : الدمع .

قال : فغنّيت فيهما وغَدَوتُ بهما إليه ، فأُعجِب بالصوت ووصلني بصِلة سَنِيّة ، وكان يَشتهيه ويَقترحه ، وطرحتُه على جميع جواريه ، وشاع خبر إعجابه [به][1] . فبينا المعتصمُ يوما جالسٌ يُعرَضُ عليه فرشُ الربيع ، إذ مرّ به بِساطُ ديباج في نهاية الحسن عليه هذان البيتان ومعهما :

إنما الموتُ أن تفا * رِقَ مَنْ أنت آلِفُ
لك حُبّانِ في الفؤا * د تَليدٌ وطارِفُ ١٢٩ / ٥

فأمرَ بالبساطِ فحُمِل إلى عبد الله بن طاهر ، وقال للرسول : قل له : إني قد عرفتُ شغفك بالغناء في هذا الشعر ، فلما وقع هذا البساط أحبَبْتُ أن أُتمّ سرورَك به . فشكر عبدُ الله ما تأدّى إليه من هذه الرسالة وأعظمَ مقدارَه ، وقال لي : والله يا أبا محمد لسُروري بتمام الشعر أشدُّ من سروري بكل شيء ، فألحقهما في الغناء بالبيتين الأوّلين ، فألحقتهما .

نسبة هذا الصوت

صـــوت

لجَّ بالعين واكفُ * مِن هوًى لا يُساعِفُ
كلّما كفّ غَرْبُها * هيّجَتْه المَعازِفُ
إنما الموتُ أن تُفا * رِقَ مَنْ أنتَ آلِفُ
لك حُبّان في الفؤا * د تَليدٌ وطارِفُ

ولم أعرف من خبر شاعره غيرَ ما ذكرتُه في هذا الخبر . والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالوسطى .

(١) الزيادة عن ء .

مقدار صنعته

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المدينىّ عن ابن المكّىّ عن أبيه قال :

قلت لإسحاق يوما : يا أبا محمد، كم تكون صنعتُك؟ فقال : ما بلغت مائتين قطُّ.

مرضه ووفاته

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال :

قال لى وكيل بن الحَرُونىّ : قلت لأبيك إسحاق : يا أبا محمد، كم يكون غناؤك؟ قال : نحوًا من أربعمائة صـوت . قال : وقال له رجل بحضرتى : مالك لا تُكثر الصنعةَ كما يُكثر الناس؟ قال : لأنّى إنما أنقُر فى صخرة .

ولإسحاق أخبار كثيرة قليلة الفائدة كثيرة الحَشْو، طرحتُها لذلك؛ وله أخبار أُخَر حسُن ذكرها فى مواضع تليق بها فأخّرتها واحتبستها عليها؛ وفيما ذكرتُه هاهنا منها مقنع .

وتوفّى[1] إسحاق ببغداد فى أوّل خلافة المتوكّل . فأخبرنى الصُّولىّ قال ذكَر إبراهيمُ ابن محمد الشّاهينىّ :

أنّ إسحاق كان يسأل اللهَ ألّا يبتليَه بالقُولَنْج[2] لِمَا رأى من صعوبته على أبيـه؛ فرأى فى منامه كأنّ قائلا يقول له : قد أُجيبت دعوتُك ولستَ تموت بالقولنج، ولكنّك تموت بضدّه، فأصابه ذَرَبٌ[3] فى شهر رمضان سـنةَ خمس وثلاثين ومائتين؛ فكان يتصدّق فى كل يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم؛ ثم ضعُف عن الصوم فلم يُطقْه ومات فى شهر رمضان .

---

(١) الذى فى ابن خلكان والنجوم الزاهرة أن مولده كان فى سنة خمسين ومائة وهى السنة التى ولد فيها الإمام الشافعىّ ومات فيها الإمام أبو حنيفة رضى الله عنهما، فتكون سنه خمسا وثمانين سنة . (٢) القولنج : مرض معوى مؤلم، يعسر معه خروج الثفل والريح . (٣) الذرب : داء يعرض للمعدة فلا تهضم معه الطعام، و يفسد فيها فلا تمسكه .

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثني يزيد بن محمد المهلّبيّ قال :

نُعِى إسحاقُ الى المتوكّل فى وسط خلافتــه، فغَمّه وحَزِن عليه، وقال : ذهب صدرٌ عظيمٌ من جمــال الملك وبهائه وزينته ؛ ثم نُعِى اليــه بعده أحمدُ بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبى طالب صلوات الله عليــه، فقال : تكافأت الحالتان ، وقام الفتح بوفاة أحمــد ـــ وما كنت آمَنُ وَثْبَتَــه عليّ ـــ مقامَ الفَجيعة بإسحاق؛ فالحمد لله على ذلك .

حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني رجل من الكتّاب من أهل قُطْرَبُّل قال حدّثني أبى عن أبيه قال : رأيت فيما يرى النائم قائلا يقول لى :

مات الحُسَان ابن الحُسَا * نِ ومات إحسانُ الزمانِ

فأصبحت من غد فركبت فى بعض حوائجى ، فتلقّانى خبر وفاة إسحاق الموصــلىّ .

ما رثاه به الشعراء

١٣٠/٥ وقال إدريس بن أبى حَفْصة يرثى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ :

ســقى اللهُ يا ٱبنَ الموصلىّ بوَابِلٍ * من الغيث قبرًا أنت فيــه مقيمُ
ذهبتَ فأوحشتَ الكرامَ فما يَنِى * بعَــبْرته يَبْكى عليــك كريم
إلى الله أشكو فقدَ إسحاق إنّنى * وإن كنت شيخا بالعراق يَتيم

وقال محمد بن عمرو الجُرْجانى يرثيه :

على الجَــدَثِ الشرقىّ عُوجَا فسلِّما * ببغداد لمّــا ضَنّ عنه عوائدُهْ
وقُولَا له لو كانَ للموت فِدْيةٌ * فَداك من الموت الطّريفُ وتالِدُه
أ إسحاقُ لا تَبْعَدْ وإن كان قد رمَى * بك الموتُ وِرْدًا ليس يَصْدُر وارِدُه

إذا هزل اخضرّتْ فنونُ حديثه * ورقّتْ حواشيه وطابت مَشاهدُه
وإن جَدّ كان القولُ جِدًّا وأقسمتْ * مَخارِجُه ألّا تلينَ معاقِدُه
نَسكتُ على ابن الموصلىّ بعَبْرة * كما ارْفَضّ من نَظْمِ الجُمان فرائدُه

وقال مصعَب بن عبد الله الزُّبيرىّ يرثيه — نسخت ذلك من كتاب جعفر ابن قُدامة ، وذكر أن حمّاد بن إسحاق أنشده إياها ، ونسختُه أيضا من كتاب الحَرَمىّ بن أبى العَلاء يذكر فيه عن الزُّبير عن عمّه مصعَب أنه أنشده لنفسه يرثى إسحاق — :

أتَدرِى لمن تَبكى العيونُ الذّوارِفُ * ويَنْهَلُّ منها واكِفٌ ثم واكِفُ
نعمْ لامرئ لم يبقَ فى الناس مثلُه * مفيدٌ لعلم أو صديقٌ مُلاطِفُ
تجهّز إسحاقٌ الى الله غاديًا * فلله ما ضُمّتْ عليه اللفائفُ
وما حَمل النعشَ المزجّى عشيّةً * الى القبر إلا دامعُ العين لاهفُ
صدورهمُ مَرْضَى عليه عَميدةٌ * لها أزْمةٌ[1] من ذكره وزَفازفُ
ترى كلّ محزونٍ تَفيض جفونُه * دموعًا على الخدّين والوجهُ شاسِفُ[2]
جُزيتَ جزاءَ المحسنين مُضاعفًا * كما كان جَدْواك النّدى المتضاعِفُ
فكم لك فينا من خلائقَ جَزْلةٍ * سبقتَ بها منها حديثٌ وسالفُ
هى الشّهدُ أو أحلى الينا حلاوةً * من الشهد لم يمزُج به الماءَ غارِفُ
ذهبتَ وخلّيتَ الصديقَ بعَوْلةٍ * به أسفٌ من حزنه مترادِفُ

(١) أزمة : ضيق وشدة . وزفازف (واحدها زفزفة) وهى فى الأصل حنين الريح وصوتها فى الشجر . يريد أنه يكون بصدورهم عند ذكره نشيج وزفير من الحزن عليه . (٢) الشاسف : اليابس ضمرا وهزالا .

إذا خَطَراتُ الذكر عاودْنَ قلبَه * تتابع منهنّ الشؤونُ النوازف
حبيبٌ إلى الإخوان يَرْزُون(١) مالَه * وآتٍ لما يأتى آمرؤ الصدقِ عارف
هو المَنّ والسَّلْوى لمن يستفيده * وسمٌّ على من يشرب السمّ زاعف
بكت دارُه من بعده وتنكّرتْ * مَعالمُ من آفاقِها(٢) ومعارف
فما الدار بالدار التى كنت أعترِى * وإنّى بها لولا آفتقاديكَ عارف
هى الدار إلّا أنّها قد تخشّعتْ * وأظلم منها جانبٌ فهو كاسف
وبان الجمال والفَعال كلاهما * من الدار وآستَنّتْ(٣) عليها العواصف
١٣١ / ٥ خلت دارُه من بعده فكأنما * بعاقبةٍ لم يُغْنِ فى الدار طارف
وقد كان فيها للصديق مُعَرَّس(٤) * وملتمَسٌ إن طاف بالدار طائف
كرامةُ إخوانِ الصفاء وزُلْفةٌ * لمن جاء تُزْجِيه إليه الرَّواجف
صَحابتُه الغُرّ الكرام ولم يكن * ليَصْحبَه السُّودُ اللئام المَقارِف(٥)
يَئول إليه كلّ أبلجَ شامخٍ * ملوكٌ وأبناء الملوك الغَطارف
فلُقِّيتَ فى يمنى يديْك صحيفةً * إذا نُشرتْ يومَ الحساب الصحائف
يَسُرّ الذى فيها إذا ما بدا له * ويَفْتَرُّ منها ضاحكا وهو واقف
بما كان ميمونًا على كلّ صاحب * يُعين على ما نابه ويُكانف

(١) يرزون: أصله يرزءون، سهلت همزته ثم حذفت لإسناد الفعل إلى ضمير الجمع.
(٢) فى الأصول: «آفاتها»، ولا يستقيم بها الكلام. وقد آثرنا ما أثبتناه لاستقامة الكلام به مع قرب رسمه من رسم ما فى الأصول. (٣) استنت: انصبت. (٤) المعرس: موضع التعريس وهو نزول القوم آخر الليل للاستراحة من السفر، وقيل: التعريس النزول فى المعهد أىّ حين كان من ليل أو نهار. (٥) المقارف: الأنذال، وهم أيضا الذين أمهم عربية وأبوهم غير عربى.

سريعٌ إلى إخـــوانه برضـــائه * وعن كلّ ما ساء الأخلاّءَ صـارِف (١)

أرى الناسَ كالنَّسْناس (٢) لم يبق منهمُ * خلافَـك إلا حُشْــوةٌ (٣) وزَعانِف

أخبرنا يحيى بن علىّ قال : أنشدنى أبو أيّوبَ لأحمد بن إبراهيم يَرْثِى إسحاق فى قصيدة له :

لقد طاب الحِمامُ غداةَ أَلْوَى * بنفس أبى محمّـــدٍ الحِمـامُ

فلو قُبِـل الفِـداءُ إذًا فَدَتْه * ملوكٌ كان يألفها كِرامُ

فلا تَبْعَد فكلُّ فتًى سيَثْوِى * عليـه التُّرْبُ يُحْثَى والرِّجامُ (٤)

قال وقال أيضا يرثيه :

لله أىُّ فتًى الى دار البِـلَى * حمَل الرجالُ ضُحًى على الأعوادِ

كم من كريم ما تجِفُّ دموعُه * من حاضرٍ يبكى عليـه وبادِ

أمسى يؤبِّنه ويعرف فضلَه * من كان يَثْلِبـه من الحُسّاد

فسقتْكَ يابنَ الموصلىّ روائحٌ * تُرْوِى صداكَ بصَوْبها وغَوادِ

وقد بقيت من أخبار إسحاق بقايا مثلُ أخباره مع بنى هاشم، وأخباره مع إبراهيم ابن المهدىّ وغيرهما، فإنها كثيرة، ولهـا مواضع ذُكِرت فيها وحُسْن ذكرها هنالك، فأخرتُها لذلك عن أخباره التى ذُكرت هاهنا، حَسْبما شرَطنا فى أوّل الكتاب .

---

(١) فى أ ، حـ ، ى : «نال» . (٢) النسناس : خلق فى صورة الناس، مشتق منه لضعف خلقهم . وذكر ابن منظور صاحب لسان العرب معانى أخرى فى مادة « نسس » فانظرها .

(٣) يقال : هو من حشوة بنى فلان، أى من رذالهم . (٤) الرجام : الحجارة التى تجمع على القبور .

ومما فى المائة المختارة من صنعة إسحاق بن إبراهيم :

صـــوت

أَلَا قاتلَ اللهُ اللِّوَى من مَحَلَّةٍ * وقاتلَ دُنْيانا بها كيف ذَلَّتِ

غَنِينا زماناً باللِّــوَى ثم أصبحتْ * عِراصُ اللِّوَى من أهلها قد تَخَلَّتِ

عَرُوضه من الطويل . الشعرُ للصِّمَّة القُشَيْرِىّ، والغِناء لإسحاق، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ بالوسطَى فى مجراها .

انتهى الجزء الخامس من كتاب الأغانى

ويليـه الجـزء السادس

وأوّله أخبار الصِّـمَّة القشـيرىّ ونسـبه

تراثنا

كتاب الأغانى

تأليف

أبى الفرج الأصبهانى على بن الحسين

٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الجزء السادس

مصور عن طبعة دار الكتب

طبعة كاملة الأجزاء معها فهرس
جامع وتصويبات واستدراكات

وزارة الثقافة والارشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتسوماس وشركاه

٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر – ٤٤١١٨

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء السادس
من كتاب الأغاني

أخبار الصِّمَّة القُشَيْرِىّ ونَسَبُه

نسبه

هو الصِّمَّةُ بن عبد الله بن الطُّفَيْل بن قُرّة بن هُبَيْرة بن عامر بن سَلَمةِ الخَيْر بن قُشَيْر بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان[1] بن مُضَر بن نِزار، شاعرٌ إسلامىّ بَدَوِىٌّ مُقِلّ، من شعراء الدولة الأُمويّة . وجدّه قُرّة بن هُبَيْرة صحبة بالنبىّ صلى الله عليه وسلم، وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه صلى الله عليه وسلم وآله .

١٣٢/٥

هو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية

وفد جده قرة على النبىّ صلى الله عليه وسلم وأسلم

أخبرنى بخبره عبيدُ الله بن محمد الرّازى وعمّى قالا حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنى عن أبى بكر الهُذَلىّ وابن دَأْب وغيرِهما من الرُّواة قالوا :

---

(١) قال فى القاموس : « وعيلان بلا لام أبو قيس ، أو الصواب قيس عيلان مضافا » اهـ .
ويؤيد القول بأنه أبوه قول سحبان :

لقد علمت قيس بن عيلان أننى * اذا قلت "أما بعد" إنى خطيبها

ويؤيد القول الثانى قول الآخر :

الى حكم من قيس عيلان فيصل * وآخر من حى ربيعة عالم

وعلى أنه مضاف قيل : إن « عيلان » اسم فرس لقيس فأضيف اليه ، أو هو عبد لمضر بن نزار حضن قيسا فغلب عليه ونسب اليه . (راجع القاموس وشرحه مادة عيل) .

وفد قُرّة بن هُبيرة بن عامر بن سَلَمة الخير بن قُشَيْر بن كعب بن رَبيعة إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فأسلم، وقال له : يارسول الله، إنا كنّا نعبد الآلهة لا تنفعنا ولا تضرّنا ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نِعْم ذا عقلا " .

قصته فى حبه وزواجه

وقال ابن دأب : وكان من خبر الصِّمّة أنه هَوِى آمرأةً من قومه ثم من بنات عمّه دِنْيَةً (١) يقال لها العامريّة بنت غُطَيْف بن حَبيب بن قُرّة بن هُبَيرة ؛ فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوّجه إياها ؛ وخطبها عامر بن بشر بن أبى بَرَاء بن مالك بن مُلَاعِب (٢) الأسنّة بن جعفر بن كِلَاب، فزوّجه إياها . وكان عامر قصيرا قبيحا ؛ فقال الصِّمّة بن عبد الله فى ذلك :

فإنْ تُنْكِحوها عامرًا لاطّلاعكم * إليه يُدَهْدِهْكم (٣) برجليه عامرُ

شبّهه بالجُعَل الذى يُدَهْدِهُ البعرةَ برجليه .

قال : فلما بَنَى بها زوجُها، وجَد الصِّمّةُ بها وَجْدًا شديدا وحزِن عليها ؛ فزوّجه أهلُه امرأةً منهم يقال لها جَبْرة بنت وَحْشىّ بن الطُّفَيل بن قُرّة بن هُبَيرة ؛ فأقام عليها مُقَامًا يسيرا، ثم رحل إلى الشام غضبًا على قومه، وخلّف آمرأته فيهم، وقال لها :

كُلِى التمرَ حتى تَهْرَمَ النخلُ وآضفِرِى * خِطَامَكِ ما تدرين ما اليومُ من أمسِ

---

(١) دنية أى لاصقة النسب . (٢) كذا فى الأصول . والمعروف أن ملاعب الأسنة كنيته أبو براء، واسمه عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب . فصواب العبارة : «وخطبها عامر بن بشر بن أبى براء ملاعب الأسنة بن مالك ... الخ» . وسمى ملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر :

ولاعب أطراف الأسنة عامر * فراح له حظ الكتيبة أجمع

(انظر شرح القاموس مادة لعب، و بلوغ الأرب فى أحوال العرب للآلوسى ج ٢ ص ١٤٠)

(٣) دهده : دحرج .

وقال فيها[1] أيضا :

لَعَمْرِى لئن كنتم على النأى والقِلَى * بكم مثلُ ما بى إنكم لصديقُ
إذا زَفَراتُ الحبّ صَعَّدن فى الحَشَى * رُدِدن ولم تُنْهَج لهن طريقُ

وقال فيها أيضا :

إذا ما أتتنا الريحُ من نحو أرضكم * أتتنا بريّاكم فطاب هُبوبُها
أتتنا بريح المسك خالَطَ عنبرًا * وريحِ الخُزَامَى باكرَتْها جَنُوبُها

وقال فيها أيضا :

هل تَجْزِيَنّى العامريّةُ موقفى * على نسوةٍ بين الحِمَى وغَضَى الجمرِ
مَرَرْنَ بأسباب الصِّبا فذكَرْنَها * فأومأتُ إذ ما من جواب ولا نُكْرِ

موته بطبرستان

وقال ابن دَأْب : وأخبرنى جماعة من بنى قُشَير أنّ الصِّمّة خرج فى غَزِىٍّ[2] من المسلمين إلى بلد الدَّيْلم فمات بطَبَرِسْتان .

قال ابن دَأْب : وأنشدنى جماعة من بنى قُشَير للصِّمّة :

صـوت

ألَا تسألانِ اللهَ أن يَسقِىَ الحِمَى * بَلَى فسقَى اللهُ الحِمَى والمَطَالِيا[3]
وأسألُ من لاقيتُ هل مُطِرَ الحِمَى * فهل يسألنْ عنّى[4] الحمى كيف حاليا

(١) واضح من السياق أن مرجع الضمير هنا العامرية محبوبته لا جبرة زوجته . (٢) غزى : اسم جمع لغاز، أو هو جمع على وزن فعيل كقاطن وقطين وحاج وحجيج .

(٣) المطالى : جمع مطلاء (يمد و يقصر)، وهو مسيل ضيق من الأرض أو هو أرض سهلة لينة تنبت العضاه . وحكى ابن برى عن على بن حمزة أن المطالى روضات، واحدها مطلى بالقصر لاغير، وأما المطلاء لما انخفض من الأرض واتسع فيمد و يقصر والقصر فيه أكثر . وقيل المطالى : المواضع التى تغذو فيها الوحش أطلاءها . (عن اللسان مادة طلى بتصرف) . (٤) رواية تجريد الأغانى (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٥٠٧١ أدب) : «فهل يسألن أهل الحمى ...» .

١٣٣
٥

الغناء فى هذين البيتين لإسحاق، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى، وهو من مختار الأغانى ونادرها .

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع وعمّى قالا حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال قال عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفرى حدّثنا عبد الله بن إسحاق الجعفرىّ عن عبد العزيز بن أبى ثابت قال حدّثنى رجل من أهل طَبَرِسْتَانَ كبيرُ السنّ قال :

بينا أنا يومًا أمشى فى ضَيْعة لى فيها ألوانٌ من الفاكهة والزعفران وغيرِ ذلك من الأشجار، إذ أنا بإنسان فى البستان مطروح عليه أهدامٌ خُلْقانٌ، فدنوتُ منه فإذا هو يتحرّك ولا يتكلّم، فأصغيت إليه فإذا هو يقول بصوت خَفِىّ :

تعزَّ بصبرٍ لا وجَدِّك لا تَرَى * بَشَامَ(١) الحِمَى أُخْرَى الليالى الغوابرِ
كأنّ فؤادى من تذكُّرِه الحِمَى * وأهلَ الحِمَى يَهْفُو به ريشُ طائر

قال : فما زال يردِّد هذين البيتين حتى فاضت نفسُه ؛ فسألت عنه فقيل لى : هذا الصِّمَّة بن عبد الله القُشَيرىّ .

كان ابن الأعرابى يستحسن شعرا له

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الخَرّاز أحمد بن الحارث قال :
كان ابن الأعرابىّ يستحسن قول الصمة :

صـــوت

أمَا وجلالِ الله لو تذكُرِيننى * كذِكْرِيك ما كَفْكفتِ للعين مَدْمَعَا
فقالت بلَى والله ذِكرًا لَوَ انّه * يُصَبّ على صُمّ الصَّفَا لتصدّعا

(١) فى الأصول : « سنام الحمى » . والتصويب من كتاب تجريد الأغانى . والبشام : شجر طيب الريح والطعم يستاك به .

— غنّى فى هذين البيتين عُبيد الله بن أبى غسّان ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى . وفيهما لعَرِيبَ خفيفُ رَمَل —

ولمّا رأيتُ البِشْرَ قد حال بيننا (١) * وجالتْ بناتُ الشوق فى الصدر نُزَّعَا
تَلَفَّتُّ نحو الحىّ حتى وجدتُنى * وَجِعتُ (٢) من الإصغاء لِيتًا وأَخْدَعا

مدح ابراهيم بن محمد بن سليمان شعره

أخبرنى أبو الطيِّب بن الوَشّاء قال :

قال لى إبراهيم بن محمد بن سليمان الأَزْدىّ : لو حلَف حالفٌ أنّ أحسنَ أبياتٍ قيلت فى الجاهليّة والإسلام فى الغزل قولُ الصِّمّة القُشَيرىّ ماحنِث :

حَنَنْتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدتْ * مَزارَكَ من رَيّا وشَعْباكما معا
فما حَسَنٌ أن تأتىَ الأمرَ طائعًا * وتجزَعَ أنْ داعى الصبابة أَسْمَعا
بكتْ عينىَ اليُمنَى فلما زجرتُها * عن الجهل بعد الحلم أَسْبلتا معا

صــوت

وأذكُرُ أيّامَ الحِمَى ثم أنثنى * على كَبِدى من خشيةٍ أن تَصدَّعا
فليست عشيّاتُ الحِمَى برَواجعٍ * عليك ولكن خَلِّ عينيك تَدْمَعا

غنّت فى هذين البيتين قُرَشيّةُ الزَّرْقاءُ لحنًا من الثقيل الأوّل عن المشامىّ .

وهذه الأبيات التى أوّلها "حننت إلى رَيّا" تُروَى لقيس بن ذَرِيح فى أخباره وشعره بأسانيدَ قد ذُكرت فى مواضعها ، ويُروَى بعضها للمجنون فى أخباره بأسانيد قد

---

(١) رواية ديوان الحماسة (طبع مدينة ليدن) :

ولما رأيت البشر أعرض دوننا * ... ... جعلن نزعا

والبشر : جبل . وأعرض : أبدى عرضه . (٢) فى س : « وجعت » . وفى سائر الأصول : «وخفت» . والتصويب عن ديوان الحماسة واللسان (مادة وجع) . والليت (بالكسر) : صفحة العنق . والأخدع : عرق فى العنق فى موضع الحجامة .

ذُكرت أيضا فى أخباره . والصحيح فى البيتين الأوّلين أنهما لقَيْس بن ذَرِيح وروايتهما [له](١) أثبت ، وقد تواترت الروايات بأنهما له من عدّة طرق ؛ والأُخَر مشكوك فيها أهى للمجنون أم للصِّمَّة .

١٣٤ / ٥

كان أبو حاتم يستجيد بيتين من شعره

أنشدنا محمد بن الحسن بن دُرَيد عن أبى حاتم للصِّمَّة القُشَيرىّ قال : وكان أبو حاتم يستجيدهما ، وأنشدنيهما عمّى عن الكُرَانىّ عن أبى حاتم ، وأنشدنيهما الحسن بن علىّ عن ابن مهرويه عن أبى حاتم :

إذا نأتْ لم تُفارِقْنى عَلاقتُها * وإن دنتْ فصدود العاتب الزّارِى
فحال عينىَ من يوميْكِ واحدةٌ * تبكى لفَرْط صدودٍ أو نَوَى دار

تذكر محبوبته وبكى وذكر شعره فيها

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال حدّثنا عبيد الله بن إسحاق بن سَلّام قال حدّثنى أبى عن شُعيب بن صَخْر عن بعض بنى عُقَيل قال :

مررتُ بالصِّمَّة بن عبد الله القُشَيرىّ يومًا وهو جالس وحدَه يبكى ويخاطب نفسه ويقول : لا والله ما صدَقَتْكَ فيما قالت ؛ فقلت : من تعنى ؟ وَيْحك ! أجُنِنتَ ! قال : أعنى التى أقول فيها :

أمَا وجَلالِ اللهِ لو تذكُرِيننى * كذِكْرِيكِ ما كفكفتِ للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكرًا لو انّه * يُصَبّ على صُمِّ الصَّفَا لتصدّعا

أسلّى نفسى عنها وأُخبرها أنها لو ذكرتنى كما قالت لكانت فى مثل حالى .

قصته فى خطبة ابنة عمه ورحلته الى ثغر من الثغور وشعره فى ذلك

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى مسعود بن عيسى ابن إسماعيل العَبْدى عن موسى بن عبد الله التَّيْمىّ قال :

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ب، س .

خطب الصِّمَّة القُشيرىّ بنتَ عمّه وكان لهـا مُحبًّا، فآشتطّ عليه عمُّه فى المهر، فسأل أباه أن يعاونه وكان كثيرَ المـال فلم يُعِنْه بشىء، فسأل عَشيرتَه فأعطَوْه، فأتى بالإبل عمَّه، فقال : لا أقبل هذه فى مهر ابنتى، فاسأل أباك أن يُبْدِلَها لك ، فسأل ذلك أباه فأبى عليه ، فلما رأى ذلك من فعلهما قطع عُقُلَها وخَلّاها ، فعاد كلّ بعير منها إلى أُلّافه . وتحمّل الصِّمَّةُ راحلًا . فقالت بنت عمـه حين رأته يتحمّل : تالله ما رأيت كاليوم رجلًا باعتـه عشيرته بأَبْعِرة . ومضى من وجهه حتى لحق بالثغر، فقال وقد طال مُقامُه وآشتاقها وندِم على فعله :

أتبكى على رَيَّا ونفسُك باعدتْ ＊ مَزارَكَ من رَيَّا وشَعْباكُما معا

فما حسنٌ أن تأتى الأمرَ طائعا ＊ وتجزَعَ أنْ داعى الصبابة أسمعا

وقد أخبرنى بهذا الخبر جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيـه عن الهَيْثم بن عَدِىّ : أن الصِّمَّة خطَب آبنة عمّه هذه إلى أبيها، فقال له : لا أزوّجكها إلا على كذا وكذا من الإبل، فذهب إلى أبيه فأعلمه بذلك وشكا إليه ما يجد بهـا، فساق الإبلَ عنه إلى أخيه، فلما جاء بها عدّها عمُّه فوجدها تنقُص بعيرا، فقـال : لا آخذها إلا كاملةً، فغضِب أبوه وحلف لا يَزيده على ما جاء به شيئًا . ورجع إلى الصِّمَّة، فقال له : ما وراءك؟ فأخبره، فقال : تالله ما رأيت قطُّ ألأمَ منكما جميعا، و إنى لَألْأَم منكما إن أقمتُ بينكما، ثم ركب ناقته ورحل إلى ثغر من الثغور، فأقام به حتى مات . وقال فى ذلك :

أَمِنْ ذكر دارٍ بالرِّقَاشَيْن[1] أصبحتْ ＊ بها عاصفاتُ الصيف بَدْءًا ورُجَّعا

---

(١) الرقاشان : جبلان بأعلى الشريف فى ملتقى دار كعب وكلاب . ورواية البيت فى معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى — وقد نسبه ليزيد بن الطثرية — :

أمن أجل دار بالرقاشين أعصفت ＊ عليها رياح الصيف بدءا ورجعا

حننتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدت * مزارَك من ريا وشعباكُما معا

١٣٥/٥ فما حسنٌ أن تأتى الأمرَ طائعا * وتجزَع أن داعى الصبابة أسمعا

كأنك لم تشهَد وَدَاعَ مُفارِق * ولم تَرَ شَعبَىْ صاحبين تقطّعا

بكت عينىَ اليسرى فلما زجرتُها * عن الجهل بعد الحلم أسبَلَتا معا

تحمّل أهلى من قنين(1) وغادروا * به أهلَ ليلى حين جِيدَ(2) وأمْرعا

ألا يا خليلَىَّ اللذيْن تواصيا * بلومىَ إلّا أن أُطيع وأَسمعا

قِفا إنه لا بدّ من رَجْع نظرة * يمانيةٍ شتّى بها القومُ أو معا

لِمُغتصَبٍ قد عزّه(3) القومُ أمرَه * حياءً يكُفّ الدمعَ أن يتطلّعا

تَبرّضُ(4) عينيه الصَّبابةُ كلّما * دنا الليل أو أَوْفَى من الأرض مَيْفَعا(5)

فليستْ عشيّاتُ الحِمَى برواجعٍ * إليكَ ولكن خلِّ عينيْك تَدْمَعا

صوت

من المائة المختارة من رواية يحيى بن علىّ

قُلْ لأسماءَ أنجِزى الميعادا * وانظرى أن تُزوِّدى منكِ زادا

إن تكونى حللتِ رَبْعًا من الشا * م وجاورتِ حِميَرًا أو مُرادا

أو تناءتْ بكِ النَّوَى فلقد قُدْ * تِ فؤادى لحَيْنه فانقادا

ذاك أنى علِقتُ منكِ جَوَى الحب * وليدًا فزدتُ سِنًّا(6) فزادا

(1) لم نوفق الى هذا الاسم فى المعاجم التى بين أيدينا . وظاهر أنه اسم موضع أو محرف عن اسم موضع .

(2) جيد : أصابه الجود وهو المطر الغزير . (3) عزه : غلبه وسلبه . (4) أى تأخذ الصبابة ماء عينيه شيئا فشيئا . يقال : تبرضت ماء الحسى إذا أخذته قليلا قليلا ؛ وفلان يتبرض الماء إذا كان كلما اجتمع منه شىء غرفه . (5) الميفع : المكان المشرف . (6) فى الأصول هنا وفيما يأتى « شيئا » . والتصويب عن تجريد الأغانى .

الشعر لداود بن سَلْم . والغناء لدَحْمان، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالوسطى . وقد كنّا وجدنا هـذا الشعر فى رواية علىّ بن يحيى عن إسحاق منسوبًا إلى المرقّش، وطلبناه فى أشعار المرقّشين[(1)] جميعا فلم نجده، وكنّا نظنـه من شاذّ الروايات حتى وقع إلينا فى شعر داود بن سلم، وفى خبرٍ أنا ذاكره فى أخبار داود . وإنمـا نذكر ما وقع إلينا عن رُواته؛ فما وقع من غلط فوجدناه أو وقفنا على صحته أثبتناه وأبطلنا ما فرَط منا غيرَه، وما لم يجرِ هـذا المجرى فلا ينبغى لقارئ هذا الكتاب أن يُلزمنا لومَ خطأ لم نتعمده ولا آخترعناه، وإنمـا حكيناه عن رواته وآجتهدنا فى الإصابة . وإن عرف صوابا مخالفا لمـا ذكرناه وأصلحه، فإن ذلك لا يضرّه ولا يخلو به من فضل وذكرٍ جميل إن شاء الله .

(١) يعنى بالمرقشين : المرقش الأكبر والأصـغر . والأكبر هو عمرو بن سـعد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل . كذا قال ابن الكلبى وخالفه الجوهرى . فقال : إنه من بنى سدوس . والمرقش الأصـغر هو ربيعة بن حرملة ، وهو ابن أخى المرقش الأكبر، وهو أيضا عم طرفة بن العبد . (انظر شرح القاموس مادة رقش) وسيأتى الكلام عليهما فى هذا الجزء .

أخبار داود بن سَلْم ونسبه

نسبه وولاؤه وهو من مخضرمى الدولتين

داود بن سَلْم مولى بنى تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ؛ ثم يقول بعض الرواة: إنّه مولى آل أبى بكر، ويقول بعضهم: إنه مولى آل طَلْحة. وهو مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، من ساكنى المدينة، يقال له داود الآدم[1] وداود الأرمك[2].

رآه والى المدينة يخطر فى مشيته فضربه فمدحه ابن رهيمة لذلك

١٣٦
٥

وكان من أقبح الناس وجها. وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يستثقله؛ فرآه ذاتَ يوم يخطِر خَطْرةً منكَرة فدعا به، وكان يتولّى المدينةَ، فضربه ضربا مبرِّحا، وأظهر أنه إنما فعل ذلك به من أجل الخَطْرة التى تخايل فيها فى مشيته. فقال بعض الشعراء فى ذلك وأظنه آبنَ رُهَيمة:

ضرب العادلُ سعدٌ * اِبنَ سلم فى السَّماجهْ
فقضَى اللهُ لسعد * من أميرٍ كلَّ حاجه

مدح آل معمر لأن أمه من مواليهم

أخبرنى محمد بن سليمان الطُّوسى قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال:

سألت محمدَ بن موسى بن طَلْحة عن داود بن سَلْم، هل هو مولاهم؟ فقال: كذلك يقول الناسُ، هو مولانا، أبوه رجل من النَّبَط، وأمه بنتُ حَوْط مولى عمر ابن عبيد الله بن مَعْمر؛ فآنتسب إلى ولاء أمه. وفى ذلك يقول ويمدح آبنَ مَعْمَر:

وإذا دعا الجانى النصيرَ لنصره * وارتَجَى الغُرَرُ النصيرةُ[3] مَعْمَرُ

---

(١) كذا فى ب، س، حـ. وفى سائر الأصول: «الأدلم» والآدم والأدلم بمعنى، وهو الأسود.

(٢) الأرمك: الأسود. وفى جميع الأصول: «الأدمك» (بالدال المهملة) وهو تحريف.

(٣) كذا فى جميع الأصول ولعلها مصحفة عن «النضيرة» بالضاد المعجمة.

مُتَخازِرينَ كأنّ أُسْدَ خَفِيّةٍ (١)(٢) * بمقامها مستبسلاتٌ تزأر
متجاسرين بحمل كل مُلِمّة * متجبّرين على الذي يتجبّر
عُسُلُ الرِّضا فإذا أردتَ خصامهم * خلط السِّمام بفيك صابٌ مُمْقِر (٣)
لا يَطْبَعون ولا ترى أخلاقهم * إلّا تطيبُ كما يطيب العنبر
رفعوا بِناءَ يعتق حَوْط دِنيّةٍ * جدّي وفضلهم الذي لا يُنْكَر

كان أسود بخيلا وله شعر فى الكرم كذبه فيه قوم ضافوه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال :

كان داود بن سَلْم مولى بني تَيْم بن مرّة، وكان يقال له : الآدم لشدّة سواده، وكان من أبخل الناس؛ فطرقه قوم وهو بالعقيق، فصاحوا به : العَشاءَ والقِرى يا بْنَ سَلْم؛ فقال لهم : لا عَشاء لكم عندي ولا قِرى؛ قالوا : فأين قولك في قصيدتك إذ تقول فيها :

يا دار هند ألا حُيِّيتِ من دارٍ * لم أقضِ منك لُباناتي وأوطاري
عُوِّدتُ فيها إذا ما الضيفُ نَبّهني * عَقْرَ العِشار (٤) على يُسْري وإعساري

قال : لستم من أولئك الذين عنيتُ .

عزى السري بن عبد الله عن ابنه

قال : ودخل على السّريّ بن عبد الله الهاشميّ، وقد أصيب بابن له؛ فوقف بين يديه ثم أنشده :

(١) تخازر الرجل ضيق جفنه ليحدّد النظر . (٢) الخفية : غيضة ملتفة يتخذها الأسد عرينه، وهي خفيه . وقيل : هي علم لموضع بعينه . قال الشاعر :

أسود شرى لاقت أسود خفية تساقين سما كلهن خوادر

فشرى وخفية علمان لموضعين (راجع اللسان مادة خفى) . (٣) عسل : جمع عاسل وعسول أي حلو. والمقر : الشديد المرارة . (٤) العشار جمع عشراء، وهي من الإبل ما مضى لحملها عشرة أشهر، فإذا وضعت لتمام سنة فهي عشراء أيضا . وأحسن ما تكون الإبل وأنفسها عند أهلها إذا كانت عشارا .

يامن على الأرض من عُجْمٍ ومن عَرَبٍ * اِسترجِعُوا خاسَتِ(١) الدّنيا بعبّاس
بِفُجِعت من سبعة قد كنتُ آمُلُهم * من ضِنْءٍ(٢) والدهم بالسيّد الرّاس

قال : وداود بن سلم الذى يقول :

قُلْ لأسماءَ أنجِزى الميعادا * وٱنظُرى أن تزوّدى منك زادا
إن تكونى حَلَلْتِ ربعًا من الشأ * م وجاورتِ حِميَرًا أو مُرادا
أو تناءت بكِ النوَى فلقد قُدْ * تِ فؤادى لحَينه فٱنقادا
ذاكِ أنى عَلِقتُ منكِ جوَى الحُـ * بّ وَليدًا فزدتُ سِنًّا فزادا

قال أبو زيد : أنشدنيها أبو غسّان محمد بن يحيى وإبراهيم بن المُنْذِر لداود ابن سَلْم .

نسبة ما فى هذا الخبر من الشعر الذى فيه غناء

١٣٧/٥

صوت

يا دارَ هند ألَا حُيِّيتِ من دارِ * لم أقْضِ منك لُباناتى وأوطارى

يُتَم ويُنسب(٣) .

أخبرنا الطُّوسِى قال حدّثنا الزبير قال أخبرنى مُصْعَب بن عثمان قال :

مدح إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بولاية القضاء فزجره

دعا الحسن بنُ زيد إسحاقَ بنَ إبراهيم بنِ طلحةَ بنِ عمر بنِ عُبَيد الله بن مَعْمَر التّيمى أيامَ كان بالمدينة إلى ولاية القضاء فأبَى عليه فحبسه ، فدعا مسرقين(٤) يسرقون

(١) خاست : غدرت . (٢) الضن‍ء : الولد : ويطلق على الأصل أيضا .
(٣) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : « ويغسب . انتهى » . ولا معنى لهذه الزيادة .
(٤) كذا فى ب ، س . وفى أ ، ء ، م : « مسرفين يسرفون » (بالفاء) . وفى ح : « مسروقين يسرقون له مسلا » . ولم نوفق الى وجه الصواب فيها .

له مغسلا فى السجن، وجاء بنو طلحة فأنسجنوا معه . وبلغ ذلك الحسنَ بن زيد، فأرسل إليه فأُتى به، فقال : إنك تلاجَجْتَ علىّ، وقد حلفتُ ألّا أُرسلك حتى تعملَ لى ، فأَبرِرْ يمينى ، ففعل، فأرسل الحسن معه جنداً حتى جلس فى المسجد مجلسَ القضاء والجندُ على رأسه، فجاءه داود بن سَلْم فوقف عليه فقال :

طلبوا الفقه والمروءةَ والحِلْـ * ـمَ وفيك آجتمعنَ يا إسحاقُ

فقال : ادفعوه، فدفعوه، فنُحِّى عنه(١)، فجلس ساعة ثم قام من مجلسه ، فأعفاه الحسن بن زيد من القضاء، فلما سار إلى منزله أرسل إلى داود بن سلم بخمسين دينارا، وقال للرسول: قل له : يقول لك مولاك : ما حملك على أن تمدحنى بشىء أكرهه؟ استعن بهذه على أمرك .

ضربه سعد بن ابراهيم فى المسجد والقصة فى ذلك

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى مُحْرِز آبن سعيد قال :

بينا سعد بن إبراهيم فى مسجد النبىّ صلى الله عليه وسلم يقضى بين الناس إذ دخل عليه زيد بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر ، ومعه داود بن سَلْم مولى التَّيْميِّين ، وعليهما ثياب ملوَّنة يجرّانها ، فأومأ أن يُؤْتَى بهما ، فأشار إلى زيد أن اجلس، فجلس بالقرب منه، وأومأ إلى الآخر أن يجلس حيث يجلس مثلُه، ثم قال لعَوْن من أعوانه : ادعُ لى نوحَ بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عُبيد الله، فدُعى له فجاء أحسنَ الناس سَمْتاً وتشميرا ونقاءَ ثياب ، فأشار إليه فجلس ، ثم أقبل على زيد فقال له : يابن أخى، تَشبه بشيخك هذا وسَمْتِه وتشميره ونقاء ثوبه ، ولا تَعُد إلى هذا اللبس، قُمْ فآنصرف . ثم أقبل على آبن سَلْم وكان قبيحا، فقال له : هذا

---

(١) فى ب ، حـ : « فتنحى عنه » .

ابنُ جعفر أحتمل هـذا له، وأنت لأىّ شىء أحتمل هـذا لك ؟ أَللؤم أصلِك، أم لسماجة وجهـك ! جَرِّد ياغلام؛ فجُـرِّد فضرَبه أسواطا. فقال آبن رُهَيمة :

جلد العادلُ سـعدٌ * اِبنَ سَلْم فى السَّماجَهْ
فقضَى اللهُ لسـعدٍ * من أمير كلَّ حاجه

أخبرنى الحَـرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى يعقوب بن حُمَيد بن كاسِب قال حدّثنى عبـد الملك بن عبد العزيز بن المـاجُشُون عن يوسف بن المـاجُشُون قال :

قال لى أبى — وقد عُزِل سعد بن إبراهيم عن القضاء — يابنىّ تعجَّلْ بنا عسى أن نروحَ مع سـعد بن إبراهيم، فإن القاضى إذا عُزِل لم يزل النـاسُ ينالون منه؛ فخرجنا حتى جئنا دارَ سـعد بن إبراهيم، فإذا صـوتٌ عالٍ؛ فقـال لى أىُّ شىء هذا ؟ أرى أنه قد أُعْجِل علىّ؛ ودخلنا فإذا داود بن سَلْم يقول له : أطال الله بقاءك يا أبا إسحاق وفعل بك؛ وقد كان سعدٌ جلَد داودَ بنَ سلم أربعين سوطًا، فأقبل علىّ ١٣٨ / ٥
سعدٌ وعلى أبى، فقـال : لم تَرَ مثلَ أربعين سوطًا فى ظهر لئيم. قال : وفيه يقول الشـاعر :

ضرب العادلُ سعدٌ * اِبنَ سَلْم فى السماجَهْ
فقضى اللهُ لسـعدٍ * من أمـير كلَّ حاجه

كان يمدح الحسن بن زيد وقد غضب منه لمدحه جعفـر بن سليمان

أخبرنى محمـد بن خَلَف وَكيع قال قال الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى أبو يحيى الزُّهْرِى وآسمه هارون بن عبد الله[(١)] قال حدّثنى عبد الملك بن عبد العزيزعن أبيه قال :

(١) فى ء، م « عبيد الله ».

كان الحسنُ بن زيد قد عوّد داودَ بن سَلْم مولى بنى تَيْم إذا جاءته غَلّة من الخانِقِين[1] أن يَصِلَه . فلما مدح داودُ بن سلم جعفرَ بن سليمان ، وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعدٌ شديد ، أغضب ذلك الحسنَ ؛ فقدِم من حجٍّ أو عُمْرة ، ودخل عليه داودُ مسلّما، فقال له الحسن : أنت القائل فى جعفر :

وكنّا حديثا[2] قبلَ تأميرِ جعفرٍ * وكان المُنَى فى جعفر أنْ يُؤَمَّرا
حَوَى المِنْبَرَيْن الطاهرَيْن كليهما * إذا ما خطا عن مِنبرٍ أَمَّ مِنبرا
كأن بنى حوّاء صُفُّوا أمامَه * فَخُيِّرَ من أنسابهم فتخيّرا؟

فقال داود : نعم، جعلنى الله فداءكم، فكنتم خِيَرة ٱختياره، وأنا الذى أقول :

لَعَمْرِى لئن عاقبتَ أوجُدْتَ مُنعِمًا * بعفوٍ عن الجانى وإن كان مُعْذِرَا
لأنتَ بما قدّمتَ أولى بِمِدْحةٍ * وأكرمُ فرعًا إن فخرتَ وعُنْصُرا
هو الغُرَّةُ الزَّهْراءُ من فرع هاشمٍ * ويدعو عليًّا ذا المعالى وجعفرا
وزيدَ النَّدَى[3] والسِّبْطَ سِبْطَ محمدٍ * وعمَّك بالطَّفِّ الزَّكىَّ المطهَّرا
وما نال مِن ذا جعفرٌ غيرَ مجلسٍ * إذا ما نفاه العزلُ عنه تأخّرا
بحقِّكمُ نالوا ذُرَاها فأصبحوا * يَرَوْن به عِزًّا عليكم ومَفْخَرا

قال : فعاد الحسن بن زيد له إلى ما كان عليه ، ولم يزل يَصِلُه ويُحْسِن إليه حتى مات . قال أبو يحيى : يعنى بقوله :"وإن كان مُعْذِرا" أن جعفرًا أعطاه بأبياته الثلاثةِ ألفَ دينار، فذكر أن له عذرًا فى مدحه إياه بجزالة إعطائه .

(١) خانقين : بلدة من نواحى السواد فى طريق همذان من بغداد ، بينها وبين قصر شيرين ستة فراسخ لمن يريد الجبال، وبين قصر شيرين إلى حلوان ستة فراسخ . وقال البشارى : وخانقين أيضا بلدة بالكوفة . (عن معجم البلدان) . (٢) كذا بالأصول . (٣) يعنى به زيد بن على ابن الحسين بن أبى طالب الذى خرج على هشام بن عبد الملك فى خلافته فقتله . والسبط : الحسن بن على ابن أبى طالب . وعمه يعنى به الحسين بن على بن أبى طالب ، وقد قتل بالطف ، وهو موضع قرب الكوفة .

إعجاب أبى السائب المخزومى بشعره

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقِدىّ عن ابن أبى الزِّناد قال :

كنت ليلةً عند الحسن بن زيد ببَطْحاءِ ابنِ أزْهَر (على ستة أميال من المدينة، حِيالَ ذى الحُلَيْفة) نصفَ الليل جلوسًا فى القمر، وأبو السائب المخزومىّ معنا، وكان ذا فضل وكان مشغوفًا بالسّماع والغَزَل، وبين أيدينا طَبَقٌ عليه فَرِيك[1] فنحن نُصيب منه، والحسن يومئذ عاملُ المنصور على المدينة؛ فأنشد الحسنُ قولَ داود بن سَلْم وجعل يَمُدّ به صوتَه ويُطَرّبه :

صـــوت

فعَرّسْنا ببطن عُرَيْتِناتٍ[2] * ليَجْمَعَنا وفاطمةَ المَسِيرُ
أتَنْسَى إذ تَعَرَّض وهو بادٍ * مُقَلَّدُها كما بَرَق الصَّبِير[3]
ومَن يُطِعِ الهوى يُعْرَفْ هواه * وقد يُنْبِيك بالأمر الخبير
على أنى زَفَرْتُ غَداةَ هَرْشَى[4] * فكاد يُرِيبهم منّى الزَّفير

١٣٩/٥

— الغناءُ للغَرِيض ثانى ثقيلٍ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه للهُذَلىّ ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وأظنّه هذا اللحنَ — قال : فأخذ أبو السائب الطبَقَ! فوَحّش[5] به إلى السماء، فوقع الفَرِيكُ على رأس الحسن بن زيد؛

(١) الفريك : طعام يفرك ويلت بسمن وغيره . (٢) عرس القوم : نزلوا فى السفر فى آخر الليل للاستراحة ثم يرتحلون . وعريتنات : اسم واد . وقال أبو عبيدة : عريتنات ماء بعدنة . (راجع معجم البلدان والقاموس وشرحه مادة عرتن) . (٣) الصبير : السحاب الأبيض لا يكاد يمطر . (٤) هرشى (وزان سكرى) : ثنية قرب الجحفة فى طريق مكة يرى منها البحر، ولها طريقان يفضيان بمن سلكهما إلى موضع واحد؛ ولذلك قال الشاعر :

خذا أنف هرشى أو قفاها فإنما * كلا جانبى هرشى لهن طريق

(٥) وحش : رمى .

فقال له: مالَك ؟ وَيْحَك ! أجُننتَ ! فقال له أبو السائب : أسألُك بالله وبقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلّا ما أعدتَ إنشادَ هـذا الصوتِ ومدَدْتَه كما فعلتَ ! قال : فما مَلَكَ الحسنُ نفسَـه ضحكا ، وردّ الحسنُ الأبيات لاَستحلافه إياه . قال آبنُ أبي الزِّناد : فلمـا خرج أبو السائب قال لى : ياَبنَ أبى الزِّناد ، أمَا سمعتَ مَدّه :

* ومن يُطعِ الهوى يُعْرَفْ هواه *

فقلت نعم ؛ قال : لو علمتُ أنه يقبـل مالى لدفعتُه إليـه بهذه الثلاثة الأبيات .
أخبرنى بخبره عبيدُ الله بن محمـد الرازىّ وعمّى قالا حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنى عن أبى بكر الهُذَلىّ .

ما وقع بين ضبيعة العبسىّ وظبيـة جارية فاطمة بنت عمر بن مصعب

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العـلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثتنى ظَبْيَةُ مولاةُ فاطمة بنت عمر بن مُصْعَب قالت :

أرسلتنى مولاتى فاطمةُ فى حاجة، فمررتُ برَحْبة القضاء، فإذا بضُبَيعةَ العَبْسىّ خليفةِ جعفر بن سليمان يَقضى بين الناس، فأرسل إلىّ فدعانى ، وقد كنت رَطَّلْتُ[1] شَعْرى وربطت فى أطرافه من ألوان العِهْن؛ فقـال : ما هذا؛ فقلت شىء أتملّح به؛ فقـال : ياحَرَسِىّ قنّعها بالسَّوْط . قالت : فتناولتُ السوط بيـدى وقلت : قاتلك الله! ماأبين الفرقَ بينك وبين سعد بن إبراهيم! سعدٌ يجلِد الناس فى السَّماجة، وأنت تجلِدهم فى المَلاحة؛ وقد قال الشاعر :

جلَد العـادلُ سـعدٌ * اِبنَ سَلْمٍ فى السماجهْ
فقضى اللهُ لسـعدٍ * من أميرٍ كلَّ حاجه

(١) رطل شعره : لينه بالدهن وكسره ومشطه وأرسله .

قالت : فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه، وقال : خَلِّ عنها . قالت : فكان يَسُوم بى، وكانت مولاتى تقول : لا أبيعها إلّا أن تهوَى ذلك، وأقول : لا أريد بأهلى بدلا ؛ إلى أن مررت يوما بالرَّحْبة وهو فى مَنْظَرة دارِ مَرْوان ينظر ؛ فأرسل إلىّ فدعانى ، فوجدتُه من وراء كِلَّة وأنا لا أشعر به، وحازمٌ وجَرير جالسان ؛ فقال لى حازم : الأمير يريدك ؛ فقلت : لا أريد بأهلى بدلا؛ وكُشِفتِ الكِلَّة عن جعفر بن سليمان، فآرتعتُ لذلك فقلت : آه؛ فقال : مالَكِ ؟ فقلت :

سمعتُ بذكر الناس هندًا فلم أَزَلْ * أخا سَقَمٍ حتى نظرتُ إلى هندِ

قال : فأبصرتِ ماذا ؟ وَيْحَكِ ! فقلت :

فأبصرتُ هندًا حُرّةً غيرَ أنها * تَصَدَّى لقتل المسلمين على عَمْدِ

قالت : فضحك حتى آستلقَى ، وأرسل إلى مولاتى ليبتاعَنى ؛ فقالت : لا والله لا أبيعها حتى تَسْتبيعَنى؛ فقلت : والله لا أستبيعُكِ أبدا .

أرسل شعرا لقثم بن العباس يذكره بجارية كان يهواها

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا يونس ابن عبد الله عن داود بن سَلْم قال :

كنت يوما جالسا مع قُثَمَ بنِ العباس قبل أن يُمَلَّكوا بفنائه، فمرّت بنا جارية، فأُعْجِب بها قُثَم وتمنّاها فلم يُمكنْه ثمنُها . فلمّا وَلِى قُثَم اليمامةَ آشترى الجاريةَ إنسانٌ يقال له صالح . قال داود بن سلم : فكتبتُ إلى قُثَمَ :

١٤٠ / ٥

ياصاحبَ العِيسِ ثم راكِبَها * أبلغْ إذا ما لقيتَه قُثَمَا

أنّ الغزال الذى أجاز بنا * مُعارِضًا إذ توسّط الحَرَما

حَوّله صالحٌ فصار مع الإِنْسِ وخَلّى الوحوش والسَّلَما

قال : فأرسل قثم فى طلب الجارية ليشتريَها، فوجدها قد ماتت .

وفد على حرب ابن خالد ومدحه وأجازه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا عبد الله ابن محمد بن موسى بن طَلْحة قال حدّثنى زُهَير بن حسن مولى آل[1] الرّبيع بن يونس :

أن داود بن سَلْم خرج إلى حَرْب بن خالد بن يزيد بن معاوية ؛ فلما نزل به حَطّ غلمانُه متاعَ داودَ وحَلّوا عن راحلته ؛ فلما دخل عليه أنشأ يقول :

ولمّا دَفَعْتُ لأبوابهم[2] * ولاقيتُ حَرْبًا لَقِيتُ النجاحا
وجدناه يَحْمَده المُجْتَدُون * ويأبَى على العسر إلا سَماحا
ويُغْشَوْن حتى يُرَى كلبُهم * يَهابُ الهَرِير ويَنْسَى النُّباحا

قال : فأجازه بجائزة عظيمة ، ثم آستأذنه فى الخروج فأذِن له وأعطاه ألفَ دينار . فلم يُعِنْه أحد من غلمانه ولم يقوموا إليه ؛ فظنّ أن حَرْبًا ساخطٌ عليه ، فرجع إليه فأخبره بما رأى من غلمانه ؛ فقال له : سَلْهم لم فعلوا بك ذلك . قال : فسألهم ، فقالوا : إننا نُنْزِل من جاءنا ولا نُرْحِل من خرج عنا . قال : فسمع الغاضِرىّ حديثَه فأتاه فحدّثه فقال : أنا يهودىّ إن لم يكن الذى قال الغلمانُ أحسنَ من شعرك .

شعر له فى الغزل

وذكر محمد بن داود بن الجَرّاح أن عمر بن شَبّة أنشده آبن عائشة لداود بن سَلْم ، فقال : أحسَنَ والله داود حيث يقول :

لَجَجْتُ من حبّى فى تقريبه * وعُمِّيتْ عيناىَ عن عيوبه
كذاك صرفُ الدهر فى تقليبه * لا يلبَث الحبيبُ عن حبيبه
* أو يغفرَ الأعظمَ من ذنوبه *

قال : وأنشدنى أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شَبيب لداود بن سَلْم قال :

---

(١) فى حـ : « مولى الربيع بن يونس » بدون كلمة « آل » . (٢) فى ى وإحدى روايتى أ : « إلى بابهم » .

وما ذَرّ قَرْنُ الشمسِ[1] إلا ذكرتُها * وأذكُرها فى وقت كلّ غروبِ
وأذكرها ما بين ذاك وهــذه * وبالليل أحلامى وعند هُبوبى
وقد شَفَّنى شوقى وأبعدنى[2] الهوى * وأعيا الذى بى طِبَّ كلِّ طبيب
وأَعْجَبُ أنّى لا أموتُ صَبابةً * وما كَمَدٌ من عاشـقٍ بعجيب
وكلُّ محبٍّ قد سـلا غيرَ أنّنى * غريبُ الهوى، ياوَيْحَ كلِّ غريب
وكم لام فيها من أخٍ ذى نصيحةٍ * فقلت له أقْصِر فغيرُ مُصيب
أتأمر إنساناً بفُـرْقة قلبـه * أتصلُح أجسامٌ بغـير قلوب

شعر له فى مدح قثم بن العباس

أخبرنى إسماعيل بن يونُس الشِّيعى قال حدثنا عمـر بن شَـبّة قال حدّثنى أبو غَسّان قال :

كان داود بن سَلْم منقطعاً إلى قُثَم بن العباس[3]، وفيه يقول :

عَتَقْتِ من حِلِّى ومن رِحْلتى * ياناقُ إن أَدْنَيْتِنى من قُثَمْ
إنك إن أَدْنَيتِ منـه غداً * حالفنى اليسر ومات العـدم
فى وجهــه بدرٌ وفى كفّه * بحـرٌ وفى العِـرْنين منه شَمَمْ
أصمّ عن قِيـل الخَنا سمعُه * وما عن الخـير به من صَمَمْ
لم يدرِ ما "لا" و"بَلَى" قد دَرَى * فعافها واْعتاض منهـا "نَعَمْ"

١٤١
٥

قال أبو إسحاق إسماعيل بن يونس قال أبو زيد عمر بن شَبّة قال لى إسحاق : لنَظْم العَمْياء فى هذه الأبيات صنعةٌ عجيبة ، وكانت تجيدها ما شاءت (إذا غنتها)[4] .

---

(١) ذر : طلع . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وأبعده : أهلكه وأقصاه . وفى ب ، س : «وأبلانى الهوى» . (٣) نسب هذا الشعر فى الكامل للبرد (ص ٢٦٩ طبع أوربا) لسليمان ابن قتة مع اختلاف فى بعض الألفاظ . (٤) هذه العبارة ساقطة من الأصول ما عدا ب ، س .

أخبـار دَحْمـان ونسبُه

كان مغنيا صالحا مقبول الشهادة ملازما للحج

دَحْمان لقبٌ لُقِّب به ، وآسمه عبد الرحمن بن عمـرو ، مَوْلَى بنى لَيْث بن بكر ابن عبد مَنَاة بن كِنَانة . ويُكْنَى أبا عمرو ، ويقال له دَحْمان الأشقر . قال إسحاق : كان دَحْمان مع شهرته بالغناء رجلا صالحا كثير الصلاة معدَّل الشهادة مُدمِنًا للحجّ ؛ وكان كثيرا ما يقول : ما رأيت باطلا أشبه بحق من الغناء .

قال إسحاق : وحدّثنى الزُّبَيرىّ أنّ دَحْمـان شَهِد عنـد عبد العزيز بن المطَّلب [بن عبـد الله][(1)] بن حَنْطَب [المخزومىّ][(1)] ، وهو يَلِى القضاءَ لرجلٍ من أهل المدينـة على رجل من أهل العراق بشهادة ، فأجازها وعَدّله[(2)] ؛ فقال له العِرَاقىّ : إنه دَحْمان ؛ قال : أعْرِفه ، ولو لم أعرِفه لسألتُ عنه ؛ قال : إنه يغنّى ويعلِّم الجوارى الغناء ؛ قال : غفر الله لنا ولك ، وأيُّنا لا يتغنّى ! اخرُج إلى الرجل عن حقّه .

مدح أعشى سليم غناءه

وفى دحمان يقول أعشى بنى سُلَيم :

إذا ما هَزَّج الوادِ ىُّ* أو ثَقَّـل دَحْمـانْ
سمعتَ الشَّدْوَ من هذا * ومن هـذا بميزانْ
فهذا سيِّد الإنس * وهذا سيِّد الجانّْ

وفيه يقول أيضا :

كانوا فُحولًا فصاروا عند حَلْبتهم * لمـا آنبرى لهمُ دَحْمـانُ خِصْيانا

(1) زيادة عن ابن الأثير والطبرى وتهذيب التهذيب (ج ٦ ص ٣٥٧) . وعبد العزيز هذا موصوف بالجود والمعرفة بالقضاء والحكم . ولى قضاء المدينة فى زمن المنصور ثم المهدى ، وولى قضاء مكة . وأمه أم الفضل بنت كليب بن جرير بن معاوية الخفاجية . (٢) كذا فى حـ . وعدّله : زكاه . وفى سائر الأصول : «وعدلها» .

فأَبْلِغُوه عن الأعشى مقالتَه * أعشى سُلَيم أبى عمرو سليمانا
قولوا يقول أبو عمرو لصُحْبته * ياليت دَحْمانَ قبل الموت غنّانا

كان من تلاميذ معبد وأحد رواته

أخبرنى رِضْوان بن أحمد الصَّيْدَلانىّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم ابن المهدىّ أنه حدّثه عن ابن جامع وزُبَير بن دَحْمان جميعا :

أنّ دحمان كان معدَّلا مقبولَ الشهادة عند القضاة بالمدينة، وكان أبو سعيد مولى فائد أيضا ممن تُقبل شهادته . وكان دَحْمان من رُواة مَعْبَد وغلمانه المتقدّمين . قال: وكان معبد فى أول أمره مقبولَ الشهادة ، فلما حضر الوليدَ بن يزيد وعاشره على تلك الهَنَات وغنّى له سقطتْ عدالته ، [لا لأن شيئا بان عليه من دخول فى محظور، ولكن(١)] لأنه اجتمع مع الوليد على ما كان يستعمله .

منزلته فى الغناء عند إبراهيم الموصلى

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينىّ قال قال إسحاق :

كان دحمان يُكنَى أبا عمرو، مولى بنى لَيْث، واسمُه عبدالرحمن، وكان يَخضِب رأسَه ولحيته بالحِنّاء؛ وهو من غلمان معبد . قال إسحاق : وكان أبى لا يضعه بحيث يضعه الناس، ويقول : لو كان عبدًا ما اشتريته على الغناء بأربعمائة درهم .

١٤٢ / ٥

وأشبهُ الناس به فى الغناء ابنُه عبد الله، وكان يفضّل الزُّبيرَ(٢) ابنَه تفضيلاً شديدا على عبد الله أخيه وعلى دَحْمان [أبيه](٣) .

كان المهدى يجزل صلته

أخبرنى يحيى عن أبى أيّوب عن أحمد بن المكّىّ عن عبد الله بن دَحْمان قال: رجع أبى من عند المَهْدىّ وفى حاصلِه مائةُ ألف دينار .

(١) هذه العبارة المحصورة بين قوسين زيادة عن ب ، سـ . (٢) فى ب ، سـ : «وكان يفضل الزبير ابنه عبدالله تفضيلا ... الخ» ، وهو تحريف. (٣) هذه الكلمة ساقطة فى ب، سـ .

أخبرنا إسماعيل بن يونُس وحَبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

بلغني أنّ المهديّ أعطى دَحْمان في ليلة واحدة خمسين ألفَ دينار ، وذلك أنه غنَّى في شعر الأَحْوص :

قَطُوفُ المَشْيِ إذ تمشي * تَرَى في مشـيها خَرَقَا(١)

فأعجبه وطرِب ، وآستخفّه السرور حتى قال لدَحْمان : سَلْني ماشئت ؛ فقال : ضَيْعتان بالمدينة يقال لهما رَيّان وغالِب ؛ فأَقْطعه إيّاهما . فلما خرج التوقيع بذلك إلى أبي عبيد الله(٢) وعمر بن بَزِيع راجعا المهديَّ فيه وقالا : إنّ هاتين ضيعتان لم يملكهما قطُّ إلّا خليفة ، وقد استقطعهما ولاةُ العهود في أيام بني أمية فلم يُقْطَعُوهما ؛ فقال : والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى ؛ فَصُولِح عنهما على خمسين ألفَ دينار .

نسبة هذا الصوت

سَرَى ذا الهمُّ بل طَرَقَا * فَبِتُّ مسهَّـدًا قَلِقَا
كذاك الحُبّ مما يُحـ * ـدِث التسهيدَ والأرقا
قَطُوف المشيِ إذ تمشي * تَرَى في مشـيها خَرَقَا
وتُثْقِلها عَجِيزتُها * إذا ولَّت لتنطلقا

(١) قطوف المشي : بطيئته . وخرقا : تحيرا ودهشا . يريد أنها حيية خفرة حتى لترى آثار التحير والدهش بادية عليها إذا مشت . وفي اللسان : « وفي حديث تزويج فاطمة رضوان الله عليها : فلما أصبح دعاها فجاءت خرقة من الحياء » أي خجلة مدهوشة ؛ من الخرق وهو التحير . وروى أنها أتته تعثر في مرطها من الخجل » . (٢) كذا في حـ . وهو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعري الكاتب الوزير . وفي سائر الأصول : « إلى أبي عبد الله » ، وهو تحريف . (راجع الطبري وابن الأثير في غير موضع) .

الشعر للأَحْوَص . والغناء لدَحْمان ثقيلٌ أولُ بالوسطى عن عمرو؛ وذكر الهِشَامىّ أنه لابن سُرَيج .

سئل عن ثمن ردائه فأجاب

أخبرنى إسماعيل بنُ يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال : مرّ دَحْمان المغنّى وعليه رداء جيّد عَدَنِىّ(١) ؛ فقال له مَنْ حضر : بكم اشتريت هذا يا أبا عمرو ؟ قال :

ب * ما ضَرَّ جيرانَنا إذ انتجَعُوا *

نسبة هذا الصوت

صوت

ما ضَرّ جيرانَنا إذ انتجَعُوا * لو أنهم قبل بَيْنِهم رَبَعُوا(٢)
أَحْمَوْا(٣) على عاشقٍ زيارتَه * فهو(٤) بهِجْران بينِهم قُطُع(٥)
وهو كأنّ الهُيَام خالطه * وما به غير حبّها ذَرَع(٦)
كأنّ لُبْنَى صَبِيرُ(٧) غاديةٍ * أو دُمْيَةٌ زُيِّنَتْ بها البِيَع
الله بينى وبين قيّمها * يَفِرّ عنّى بها وأَتّبِع

اشترى منه الوليد جارية وهو لا يعرفه فلما عرفه أرسل اليه وأكرمه

أخبرنى وَكيع عن أبى أيُّوب المَدِينىّ إجازةً عن أبى محمد العامرىّ الأُوَيْسِىّ قال :

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « غردنى » . (٢) ربعوا : تمهلوا وانتظروا . (٣) أحموا : حظروا ومنعوا . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فهم » ، وهو تحريف . (٥) القطع (كصرد) : من يهجر رحمه ويعقها ويقطعها . (٦) الذرع : الطمع . وفى حـ : « درع » (بالدال المهملة) ولعلها مصحفة عما أثبتناه . وفى سائر الأصول : « ردع » ولا معنى له . (٧) الصبير : السحاب الأبيض الذى يصير بعضه فوق بعض درجا . والغادية : السحابة تنشأ غدوة .

كان دَحْمان جَمّالًا يُكْرِى إلى المواضع ويتَّجر، وكانت له مروءةٌ؛ فبينا هو ذاتَ يوم قد أَكْرَى جِمالَه وأخذ مالَه إذ سمِع رنَّة ، فقام وآتّبع الصوتَ ، فإذا جاريةٌ قد خرجتْ تبْكى؛ فقال لها : أمملوكةٌ أنتِ؟ قالت : نعم؛ فقال : لمن؟ فقالت : لامرأةٍ من قريش، وسمَّتْها له؛ فقال : أتبيعك؟ قالت : نعم، ودخلتْ إلى مولاتها فقالت : هذا إنسان يشتريني؛ فقالت : آئذنى له ، فدخل، فسامها حتى آستقرّ أمرُ الثمن بينهما على مائتى دينار، فنقَدها إياها وآنصرف بالجارية . قال دَحْمان : فأقامت عندى مدةً أطرَح عليها و يطرَح عليها مَعْبَد والأَبْجَر ونظراؤهما من المغنين؛ ثم خرجتُ بها بعد ذلك إلى الشأم وقد حَذَقتْ ، وكنت لا أزال إذا نزلنا أُنْزِل الأَكْرِياء (١) ناحيةً، وأنزِل معتزِلًا بها ناحيةً فى مَحْمِل وأطرَح على المَحْمِل من أَعْبِية (٢) الجَمّالين، وأجلس انا وهى تحت ظلّها، فأُخرِج شيئا فنأكله ، ونضع رَكْوة (٣) فيها لنا (٤) شراب ، فنشرب ونتغنّى حتى نرحَل . ولم نزل كذلك حتى قرُبنا من الشأم . فبينا أنا ذاتَ يوم نازلٌ وأنا أُلْقِى عليها لحنى :

صــــوت

لو رَدّ ذو شَـــفَق حِمـامَ منيّةٍ * لرددتُ عن عبد العزيز (٥) حِمـامَا
صلّى عليـكَ اللهُ من مستودَعٍ * جاورتَ بُومًا (٦) فى القبور وهاما (٧)

(١) الأكرياء : جمع كَرِىّ وهو المكارى . (٢) الأعبية : جمع عباء وهو ضرب من الأكسية . (٣) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء . (٤) فى ب ، س : « ركوة لنا فيها لنا شراب » . (٥) فى ب ، س : « من » . (٦) فى ب ، س وتجريد الأغانى : « ورسا » . (٧) الهام : طير الليل وهو الصدى، واحده هامة .

ـــ الشعر لكُثَيِّر[(١)] يرثى عبدَ العزيز بن مَرْوان . وزعم بعضُ الرواة أن هذا الشعر ليس لكثيّر وأنه لعبد الصمد بن علىّ الهشامىّ يرثى ابناً له . والغناء لدَحْمان، ولحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر فى مجرى البِنصر ـــ

قال : فرددتُه عليها حتى أخذتْه وٱندفعتْ تغنّيه ، فإذا أنا براكب قد طلع فسلّم علينا فردَدْنا عليه السلام، فقال : أتأذنون[(٢)] لى أن أنزل تحت ظلّكم هذا ساعةً؟ قلنا نعم، فنزل ؛ وعرضتُ عليه طعامَنا وشرابَنا فأجاب ، فقدّمْنا إليه السُّفْرةَ فأكل وشرب معنا، وٱستعاد الصوت مرارًا . ثم قال للجارية : أتغنّين لدَحْمان شيئا؟ قالت نعم . قال : فغنّته أصواتا من صنعتى ، وغمزتُها ألا تُعرّفَه أنى دَحْمان ؛ فطَرِب وٱمتلأ سروراً وشرب أقداحا والجارية تغنّيه حتى قرُب وقتُ الرحيل؛ فأقبل علىّ وقال : أتبيعنى هذه الجاريةَ؟ فقلت نعم ؛ قال : بكم ؟ قلت كالعابث : بعشرة آلاف دينار ؛ قال : قد أخذتُها بها، فهلمّ دواةً وقِرْطاسا ، فجئته بذلك ؛ فكتب : " ٱدفع إلى حامل كتابى هذا حينَ تقرؤه عشرةَ آلافِ دينار ، وٱستوص به خيراً وأعلمنى بمكانه " وختَم الكِتابَ ودفعَه إلىّ ؛ ثم قال : أتدفَع إلىّ الجاريةَ أم تمضى بها معك حتى تقبض مالكَ؟ فقلت : بل أدفعها إليك ؛ فحملها وقال : إذا جئتَ البَخْراءَ[(٣)] فسَلْ عن فلان وٱدفعْ كتابى هذا إليه واقبضْ منه مالك ؛ ثم انصرف بالجارية . قال : ومضيتُ، فلما وردت البَخْراءَ سألت عن اسم الرجل، فدُللت عليه، فإذا دارُه دارُ مُلْك،فدخلتُ عليه ودفعت إليه الكِتابَ، فقبّله و وضعه

---

(١) نسب هذا الشعر فى تجريد الأغانى لإسماعيل بن يسار. (٢) فى ب : «أتأذنوا». وفى س : « أتؤذنوا » ، وكلاهما تحريف . (٣) البخراء : أرض ورماة على ميلين من القليعة فى طرف الحجاز، وبها قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك . وفى ب ، سـ : « النجراء » (بنون بعدها جيم) وهو تصحيف .

على عينيه، ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعها إلىّ، وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين، وقال لى: اجلس حتى أُعلِم أميرَالمؤمنين بك؛ فقلتُ له : حيثُ كنتُ فأنا عبدُك و بين يديك، وقد كان أمر لى بأنزال[1] وكان بخيلًا، فاغتنمتُ[2] ذلك فارتحلتُ؛ وقد كنت أُصبت بجملين، وكانت عدّةُ أجمالى خمسةَ عشرَ فصارت ثلاثةَ عشرَ. قال : وسأل عنّى الوليدُ، فلم يَدْرِ القَهْرَمانُ أين يطلُبنى؛ فقال له الوليد : عدّةُ جماله خمسةَ عشرَ جملًا فارْدُدْه[3] إلىّ؛ فلم أُوجَد، لأنه لم يكن فى الرُّفْقة من معه خمســةَ عشرَ جملا، ولم يَعْرِف اسمى فيَسألَ عنّى . قال : وأقامت الجــارية عنده شهرًا لا يَسأل عنها، ثم دعاها بعد أن استُبرِئَتْ[4] وأُصلح من شأنها، فظلّ معها يومَه، حتى إذا كان فى آخر نهاره قال لهــا : غنّينى لدَحْمان فغنّت؛ وقال لهــا : زيدينى فزادت . ثم أقبلت عليه فقالت : يا أمير المؤمنين، أوَ ما سمعتَ غناء دَحْمان منه؟ قال لا؛ قالت : بلى والله؛ قال : أقول لك لا، فتقولين بلى والله ! فقالت : بلى والله لقــد سمعتَه؛ قال : وما ذاكِ؟ وَيْحكِ! قالت : إنّ الرجل الذى اشترينى منه هو دحمان؛ قال: أوَ ذلكِ هو؟ قالت: نعم، هو هو؛ قال: فكيف لم أعلم؟ قالت: غمزنى بألّا أُعلمك. فأمر فكُتب إلى عامل المدينة بأن يُحمل إليه دَحْمان، فحُمل فلم يزل عنده أَثيرا[5] .

144/5

دحمان فى مجلس أمير من أمراء المدينة

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيــه قال حدّثنا ابن جامع قال :

(١) الأنزال : جمــع نزل (بضــمتين و بضم فسكون) وهو ما هيئ للضيف أن ينزل عليــه .
(٢) فى جميع الأصول : «فاغتنم»، ولا يستقيم بها الكلام .
(٣) كذا فى أكثر الأصــول وتجريد الأغانى . وفى ب، سـ : «فارددها»، وهو تحريف .
(٤) استبراء الرجل الجارية : ألا يمسها بعد ملكها حتى تبرأ رحمها و يتبين حالها أهى حامل أم لا .
(٥) كذا فى أكثر الأصول . والأثير : المكرم . وفى ب، سـ : «أسيرا»، وهو تحريف .

تذاكروا يومًا كِبَرَ الأُيور بحضرة بعض أمراء المدينة فأطالوا القولَ؛ ثم قال بعضهم : إنما يكون كبر أَيْرِ الرجل على قَدْر حِرِ أُمِّه ؛ فالتفت الأميرُ إلى دَحْمان فقال: يادَحْمان، كيف أيرك؟ فقال له : أيها الأمير، أنت لم تُرِد أن تعرف كبر أيرى، وإنما أردتَ أن تعرف مقدار حِرِ أمّى . وكان دَحْمان طيِّبا ظريفا .

ظرفه وفكاهة له مع رجل شتمه

أخبرنى إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال : أوّل ما عُرِف من ظَرْف دَحْمان أنّ رجلًا مرّ به يومًا، فقال له : أَيْرُ حمارى فى حِرِ أمّك يادُحَيم ؛ فلم يفهم ماقاله ، وفَهِمه رجل كان حاضرا معه فضحك؛ فقال: مِمّ ضحكت ؟ فلم يُخْبِره؛ فقال له : أقسمتُ عليك إلّا أخبرتَنى؛ قال : إنه شتمك فلا أحبّ استقبالك بما قاله لك ؛ فقال : والله لتخبرنّى كائنًا ما كان ؛ فقال له : قال : كذا وكذا من حمارى فى حِرِ أمّك ؛ فضحك ثم قال : أعجبُ والله وأغلظ علىّ من شَتْمه كِنايتُك عن أيْرِ حمارِه وتصريحُك بحِرِ أمّى لا تَكْنِى .

جعفر بن سليمان أمير المدينة والمغنون

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى أبو خالد يزيد بن محمد المهلّبىّ قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال حدّثنا عبد الله بن الرَّبيع المَدينى[1] قال حدّثنى الرَّبيعىّ المغنّى قال :

قال لنا جعفر بن سليمان وهو أمير المدينة : اغْدُوا على قصرى بالعَقيق غدا ؛ وكنت أنا ودَحْمان وعَطَرّد، فغدوتُ للوعد، فبدأت بمنزل دحمان وهو فى جهينة[2] ، فإذا هو وعَطَرّد قد اجتمعا على قِدْرٍ يطبُخانها ، وإذا السماءُ تَبْغَش[3]، فأدركتُهما الموعدَ، فقالا : أما ترى يومَنا هذا ما أطيبَه ! اجلس حتى نأكلَ من هذه القِدْر ونُصيبَ شيئا

(١) فى حـ : « المدنى » . (٢) كذا فى جميع الأصول . ولعلها محرّفة عن : « جهنة » إذ جهينة قرية من نواحى الموصل على دجلة ، ويبعد أن تكون هى المرادة هنا . (٣) بغشت السماء تبغش (من باب قطع) : أمطرت البغشة وهى المطرة الضعيفة .

ونستمتعَ من هذا اليوم؛ فقال: ما كنت لأفعل مع ما تقدّم الأمير به إلىّ؛ فقالا لى: كأنّا بالأمير قد انحلّ عزمُه، وأخذك المطرُ إلى أن تبلغ، ثم ترجع إلينا مبتلًّا فتقرَع الباب وتعود إلى ما سألناك حينئذ. قال: فلم ألتفت إلى قولهما ومضيت، وإذا جعفرٌ مُشرِف من قصره والمَضارِب[1] تُضرَب والقدور تُنصَب؛ فلما كنت بحيث يسمع تغنّيتُ:

وأستصحبُ الأصحابَ حتى إذا دَنَوْا * ومَلُّوا من الإدلاج جئتكمُ وَحْدِى

قال: وما ذاك؟ فأخبرتُه؛ فقال: يا غلام، هات مائتى دينار أو أربعمائة دينار — الشك من إسحاق الموصلى — فانثرها فى حِجْر الرِّبعىّ، اذهب الآن فلا تحُلّ لها عُقْدةً حتى تُرِيَهما إياها؛ فقلتُ: وما فى يدى من ذلك! يأتيانك غدًا فتُلحِقهما بى؛ قال: ما كنتُ لأفعل؛ قلتُ: فلا أمضى حتى تحلف لى أنك لا تفعل، فحلَف. فمضيتُ إليهما، فقرَعتُ الباب فصاحا وقالا: ألم نقل لك إن هذه تكون حالَك؛ فقلت: كلّا! فأرَيتُهما الدنانيرَ؛ فقالا: إنّ الأمير لحَيِىٌّ كريم، ونأتيه غدا فنعتذرُ إليه فيدعوه كرمُه إلى أن يُلحِقَنا بك؛ فقلت: كذَبتْكما أنفسُكما، والله إنى قد أحكمتُ الأمر ووكّدتُ عليه الأيمانَ ألّا يفعل؛ فقالا: لا وصلتْك رَحِم. ١٤٥/٥

غنى هو وابن جندب بالعقيق

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن منصور بن أبى مُزاحِم قال أخبرنى عبد العزيز بن الماجِشون قال:

صلّينا يومًا الصبحَ بالمدينة، فقال قوم: قد سال العَقيق، فخرجنا من المسجد مُبادِرين إلى العقيق، فانتهينا إلى العَرْصة[2]، فإذا مِن وراء الوادى قُبالَتَنا دَحْمانُ المغنّى وابن جُنْدَب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتًا وهو[3]:

(١) المضارب: جمع مضرب وهو الفسطاط العظيم. (٢) العرصة (بالفتح): بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. وبالعقيق عرصتان من أفضل بقاع المدينة وأكرم أصقاعها. ذكر محمد ابن عبد العزيز الزهرى عن أبيه أن بنى أمية كانوا يمنعون البناء فى عرصة العقيق ضنا بها، وأن والى المدينة لم يكن يقطع بها قطيعة إلا بأمر الخليفة. (٣) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «وهو قوله».

أسكنُ البَدْوَ ما سكنْتِ ببدوٍ * فإذا ماحضرتِ طاب الحضورُ

وإذا أطيبُ صوتٍ فى الدنيا . قال : وكان أخى يَكره السَّماع ؛ فلمّا سمعه طرِب طربا شديدا وتحرّك ؛ وكان لغناء دَحْمانَ أشدَّ استحساناً وحركة وآرتياحا ؛ فقال لى : يا أخى، اسمع إلى غناء دحمان، والله لكأنّه يسكُب على الماء زيتا .

نســبة هــذا الصوت

صـــوت

أَوْحش الجُنْبُذَانِ(1) فالدَّيْرُ منها * فقُرَاها فالمنزلُ المحظورُ

أسكنُ البدوَ ما أقمتِ ببدوٍ * فإذا ما حضرتِ طاب الحضور

أىُّ عيش أَلَذُّه لستِ فيه * أَوْ تُرَى نَعْمةٌ به وسُرور

الشعر لحسّان بن ثابت . والغناء لابن مِسْجَح رَمَلٌ مطلَق فى مجرى البنصر عن إسحاق .

دحمان والفضل ابن يحيى

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أحمد بن عبد الرحمن عن أبى عثمانَ البَصْرى قال :

قال دَحْمان : دخلتُ على الفضل بن يحيى ذات يوم؛ فلما جلسنا ، قام وأومأ إلىّ فقمتُ ، فأخذ بيدى ومضى بى إلى مَنْظَرة له على الطريق ، ودعا بالطعام فأكلنا، ثم صِرنا إلى الشراب ؛ فبينا نحن كذلك إذ مرّت بنا جارية سوداء حِجَازية تغنّى :

اهْجُرِينى أو صِلِينى * كيفما شئتِ فكونى

أنتِ والله تحيّد * نى وإن لم تُخبرينى

(1) الجنبذ معرب كنبذ بالفارسية ، ومعناه : الأزج المدوّر كالقبة . والشاعر هنا يريد به مكانا بعينه .

فطَــرِب وقال : أحسنتِ ! ادخلى فدخلتْ ، فأمر بطعام فقُدّم إليهــا فأكلتْ ، وسقاها أقداحا ، وسألها عن مواليها فأخبرتْه ، فبعث فآشتراها ، فوجدها من أحسن الناس غناءً وأطيبِهم صوتا وأملِحهم(١) طبعا ، فغلبتْنى عليه مدّةً وتناسانى ، فكتبتُ إليه :

أخرجتِ السّوداء ما كان فى * قلبِـك لى من شــدّة الحُبِّ
فإن يدُم ذا منــك لا دام لى * متُّ من الإعراض والكَرْب

قال : فلمّا قرأ الرُّقعــة ضحك ، وبعث فدعانى ووصلنى ، وعاد إلى ما كان عليــه من الأُنْس .

قال مؤلف هذا الكتاب : هكذا أخبرنا ابنُ المَرْزُبان بهذا الخبر ، وأظنّه غلطًا ؛ ١٤٦/٥ لأنّ دَحْمان لم يُدرك خلافة الرشيد ، وإنما أدركها ابناه زُبَير وعبد الله ؛ فإما أن يكون الخبر لأحدهما أو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيى .

[وممــا فى المــائة المختارة من صنعة دَحْمان(٢)]

صـــــوت

من المــائة المختارة من رواية علىّ بن يحيى

وإنّى لآتى البيتَ ما إن أحِبُّـه * وأُكثِرُ هجرَ البيت وهو حَبِيبُ
وأُغضِى على أشـياءَ منكم تَسُوءنى * وأُدْعَى إلى ما سَرّكم فأجيب
وأحبِس عنك النّفسَ والنفسُ صَبّةٌ * بقُـرْبِك والمَمْشَى إليــك قـريب

الشعر للأَحْوَص . والغناء لدَحْمان ثقيلٌ أوّلُ . وقد تقدّمتْ أخبارُ الأحوص ودَحْمان فيما مضى من الكتاب .

---

(١) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : «وأصلحهم» . (٢) هذه العبارة المحصورة بين قوسين ساقطة فى ب ، سـ .

صــــوت

من المـائة المختـارة

حَيِّيَا خَوْلةَ مــنِّى بالســلامِ * دُرّةَ البحـر ومِصْـباحَ الظلامِ
لا يكُن وَعْدُكِ برقا خُلَّبـا * كاذبًا يلمـع فى عُرْضِ الغمام
واذكرى الوعدَ الذى واعدتنا * ليلةَ النصف من الشّهر الحرام

الشـعر لأعشى هَمْـدان . والغناء لأحمـد النُّصَبِىّ ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر . وعروضه من الرَّمَل . والخُلَّب من البرق : الذى لا غيث معه ولا يُنتفع بسـحابه . وتَضرِبُ المثلَ به العربُ لمن أخلف وعدَه؛ قال الشاعر :

لا يكنْ وعدك برقًا خُلَّبـا * إنّ خيرَ البرق ما الغيثُ مَعَهْ

وعرض السحابة : الناحية منها .

أخبار أعشى هَمْدان ونسبُه

نسبه وكنيته وهو شاعر أموى

اسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نِظَام بن جُشَم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحَق[1] بن جُشَم بن حاشد[2] بن جُشَم بن خَيْوان[3] بن نَوْف بن هَمْدان بن مالك بن زيد بن زَار بن أَوْسلة[4] بن رَبيعة بن الخِيار بن مالك بن زيد ابن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان، ويُكْنَى أبا المُصَبِّح، شاعر فصيح، كوفىّ، من شعراء الدولة الأموية. وكان زوجَ أخت الشَّعبىّ الفقيه، والشعبىُّ زوجَ أخته. وكان أحدَ الفقهاء القُرّاء، ثم ترك ذلك وقال الشعرَ، وآخى أحمد النُّصَبِي[5] بالعَشيريّة[6] والبَلَديّة، فكان إذا قال شعرًا غنّى فيه أحمدُ. وخرج مع ابن الأشعث، فأُتِى به الحجّاجُ أسيرًا فى الأسرى، فقتله صَبْرًا.

قصص رؤياه على صهره الشعبى فقال له تترك القرآن وتقول الشعر

أخبرنى[7] بما أذكره من جملة أخباره الحَسَنُ بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزِىّ عن محمد بن معاوية الأَسَدى أنه أخذ أخباره هذه عن

---

(١) فى تجريد الأغانى: «ابن عبد الجن». (٢) كذا فى حـ وكتاب الاشتقاق وتجريد الأغانى. وفى سائر الأصول: «حاشر»، وهو تحريف. (٣) فى شرح القاموس (مادة خير): «قال شيخ الشرف النسابة: هو خيوان بالواو فصحف». (٤) فى ب، س، حـ: «واسلة». وفى سائر الأصول: «سلة». والتصويب عن كتاب تجريد الأغانى والقاموس وكتاب الاشتقاق. وضبط شارح القاموس «أوسِلة» (بكسر السين). ويلاحظ أن صاحب كتاب الاشتقاق ذكر أن الخيار بن مالك ولد أوسلة وهو همدان، ثم ولد همدان نوفا وخيران ولذلك تجده أسقط ما بين همدان وأوسلة من أسماء. وفى القاموس أيضا: «وأوسلة هى همدان». (راجع كتاب الاشتقاق ص ٢٥٠ طبع مدينة ليزج). (٥) فى الأصول هنا وفيما يأتى: «النصيبى». وهو تحريف. (راجع الحاشية رقم ٦ ص٣٤٤ ج ٥ من هذه الطبعة). (٦) العشيرية: نسبة الى العشير أو العشيرة وهم رهط الرجل وقبيله. وسيأتى فى ترجمة أحمد النصبى أنه همدانى وأنه من رهط الأعشى الأدنين. (٧) يلاحظ فى هذا السند أن الضمائر فيه غير واضحة المراجع.

١٤٠ د ابن كُنَاسة عن الهَيْثَم بن عَدِىّ عن حَمّاد الراوية وعن غيرهم من رُوَاة الكوفيين . قال حدّثنا عمر بن شَبّة وأبو هِفّان جميعًا عن إسحاق الموصلىّ عن الهيثم بن عَدِىّ عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانىّ . قال العَنَزِىّ : وأخذت بعضَها من رواية مسعود ابن بشر عن الأصمعى . وما كان من غير رواية هؤلاء ذكرتُه مفردا .

أخبرنى المهلّبى أبو أحمد حَبيب بن نصر وعلىّ بن صالح قالا حدّثنا عمر بن شَبّة وأبو هِفّان جميعًا عن إسحاق الموصلى عن الهَيْثَم بن عَدِىّ عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانى قال :

كان الشَّعْبىّ عامرُ بنُ شَراحيل زوجَ أخت أعشى هَمْدان، وكان أعشى هَمْدان زوجَ أخت الشعبى؛ فأتاه أعشى همدان يومًا ، وكان أحدَ القُرّاء للقرآن، فقال له : إنى رأيت كأنى ادخلت بيتًا فيه حِنْطة وشعير، وقيل لى : خذ أيّهما شئتَ، فأخذتُ الشَّعير؛ فقال : إن صدقتْ رؤياك تركتَ القرآن وقراءته وقلت الشعر؛ فكان كما قال :

...ـر فى الديلم ...حبته ابنة الأمير ...ربت معه ...شعره فى ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزِىّ عن محمد بن معاوية الأسدى عن ابن كُنَاسة، قال العَنَزِى وحدّثنى مسعود بن بِشر عن أبى عُبيدة والأصمعى قالا، وافق روايتَهم الهيثمُ بن عَدِىّ (1) عن حَمّاد الراوية قال :

كان أعشى هَمْدان أبو المُصَبِّح ممن أغزاه الحَجّاجُ بلدَ الدَّيْلَم ونواحىَ دَسْتَبَى (2)، فأُسِر، فلم يزل أسيرًا فى أيدى الديلم مدّة . ثم إن بنتًا للعِلْج الذى أسَره هَوِيَتْه،

(١) كذا فى الأصول . ولعل صواب العبارة : «ووافق روايتهما الهيثم بن عدى ... الخ» .

(٢) دستبى (بفتح أوّله وسكون ثانيه وفتح التاء المثناة من فوق والباء الموحدة) : كورة كانت مقسومة بين الرى وهمذان ، فقسم منها يسمى دستبى الرازىّ وهو يقارب التسعين قرية ، وقسم منها يسمى دستبى همذان وهو عدّة قرى . وربما أضيف الى قزوين فى بعض الأوقات لاتصاله بعملها . ولم تزل دستبى على قسميها الى أن سعى رجل من سكان قزوين من بنى تميم يقال له حنظلة بن خالد فصيرها بقسميها الى قزوين .

وصارت إليه ليلًا فمكّنته من نفسها، فأصبح وقد واقعها ثمانيَ مرّات؛ فقالت له الديلميةُ: يامعشر المسلمين، أهكذا تفعلون بنسائكم؟ فقال لها: هكذا نفعل كلّنا؛ فقالت له: بهذا العمل نُصرتم؛ أفرأيتَ إن خلّصتُك، أتصطفيني لنفسك؟ فقال لها نعم، وعاهدها. فلما كان الليلُ حلّت قيودَه وأخذتْ به طُرُقًا تعرفها حتى خلّصتْه وهربتْ معه. فقال شاعر من أَسْرى المسلمين:

فمن كان يَفْديه مِن الأَسْر مالُه * فهَمْدانُ تَفْديها الغداةَ أُيورُها

وقال الأعشى يذكر ما لحقه من أَسْر الديلم:

صــــوت

لمن الظّعائنُ سيرُهنّ تَزَجُّفُ(1) * عَوْمَ السَّفين إذا تقاعس مِجْذَفُ(2)

مرّتْ بذى خُشُبٍ(3) كأنّ حُمولَها * نَخْلٌ بيثْرِبَ طَلْعُه مُتضعِّفُ(4)

— غنّى فى هذين البيتين أحمد النَّصْبى، ولحنه خفيفُ ثقيلٍ مطلق فى مجرى البنصر عن عمرو وابن المكىّ. وفيهما لمحمد الزّفّ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو —:

عُولِينَ ديباجًا وفاخرَ سُنْدُسٍ * وبخَزّ أكسية العراق تُحَفَّفُ

وغدتْ بهم يومَ الفراق عَرامِسٌ(5) * فُتْلُ المَرَافق بالهوادج دُلَّفُ(6)

(١) التزجف: الاضطراب الشديد. (٢) كذا فى ب، سـ. وفى سائر الأصول: «تجذف». (٣) ذو خشب (بضم الخاء والشين): واد على مسيرة ليلة من المدينة. وقد ذكر كثيرا فى الشعر والمغازى. قال بعض بنى مرة يصف ناقته:

فمــرّت بذى خشب غدوة * وجازت فويق أريك أصيلا

(راجع معجم البلدان وكتاب مايعوّل عليـه فى المضاف والمضاف اليـه). (٤) كذا فى تجريد الأغانى، والرواية فيه: «حمله متضعف». وفى ب، سـ: «متصعف». وفى سائر الأصول: «متعطف». (٥) العرامس: جمع عرمس (كزبرج) وهى الناقة الصلبة. (٦) فتل المرافق: مندمجاتها. والواحد أفتل وفتلاء، وصف من الفتلة (بالتحريك) وهى اندماج مرفق الناقة. ودلف: جمع دالف وهو الماشى بالحمل الثقيل مقاربا الخطو.

بانَ الخليط وفاتنى برحيله * خَوْدٌ إذا ذُكرت لقلبك يُشْغَف
تجلو بمسواك الأَرَاك مُنَظَّمًا * عَذْبًا إذا ضحكتْ تهلَّل ينْطُف
وكأنّ ريقتَها على عَلَل الكَرَى * عَسَلٌ مصفًّى فى القِلال(١) وقَرْقَف
وكأنما نظَرتْ بعينَىْ ظبية * تحنو على خِشْف لها وتَعَطَّف
وإذا تَنُوء(٢) إلى القيام تدافعتْ * مثلَ النَّزِيف(٣) ينوء ثُمّتَ يَضْعُف ١٤٨ / ٥
ثَقُلتْ روادفُها ومال بخَصْرها * كَفَلٌ كما مال النَّقا المتقصِّف
ولها ذراعا بَكْرَ رحبيّة * ولها بَنَانٌ بالخضاب مُطَرَّف(٤)
وعوارضٌ مصقولةٌ وترائبٌ * بيضٌ وبطنٌ كالسَّبيكة مُخْطَف(٥)
ولها بَهَاءٌ فى النساء وبَهْجةٌ * وبها تَحُلّ الشمسُ حين تُشَرِّف
تلك التى كانت هوایَ وحاجتى * لو أنّ داراً بالأحبّة تُسْعِف
وإذا تُصِبْك من الحوادث نكبةٌ * فاصبر فكل مصيبة ستَكَشَّف
ولئن بكيتُ من الفراق صَبابةً * إنّ الكبير إذا بكى لَيُعَنَّف
عجبًا من الأيام كيف تَصَرَّفَتْ * والدارُ تدنو مَرّةً وتقذَّف
أصبحتُ رَهْنًا للعُدَاة مكبَّلًا * أُمسِى وأُصبِح فى الأَداهم أرْسُف
بين القليسم فالقيول لخامن * فاللهزمين ومضجعى مُتكنَّف
— هذه أسماء مواضع من بلد الديلم تكنَّفته الهموم بها —
بجَبَال ويمة ما تزال مُنِيفَةً * يا ليت أنّ جبال ويمة تُنْسَف
— ويمة وشلبة : ناحيتان من نواحى الرىّ —

(١) القلال : جمع قلة وهى الجرة العظيمة أو عامة ؛ وقيل الكوز الصغير . والقرقف : الخمر .
(٢) تنوء : تنهض بجهد ومشقة .
(٣) النزيف : السكران ، ومن ذهب عقله ، والذى سال دمه حتى يفرط فيضعف .
(٤) طرّفت المرأة بنانها : خضبت أطراف أصابعها بالحناء .
(٥) مخطف : ضامر .

ولقد أرانى قبل ذلك ناعمًا * جَذْلانَ آبَى أن أُضام وآنَفُ
واستنكرتْ ساقِى الوَثاقَ وساعِدِى * وأنا امرؤٌ بادِى الأَشَاجعِ أَعْجَفُ(١)
ولقد تُضَرِّسنى الحروبُ و إننى * أُلْفَى بكلّ مخافة أتعسّف
أتسربل الليلَ البهيمَ وأسترى * فى الخَبْتِ إذ لا يَسْتَرُونَ وأُوجِف(٢)
ما إن أزال مقنّعا أو حاسرًا * سَلَفَ(٣) الكتيبةِ والكتيبةُ وُقَّفُ
فأصابنى قومٌ فكنتُ أُصيبهم * فالآن أصبِرِ للزمانِ وأعرِف
إنى لطَلّابُ التِّرَاتِ مطلَّبٌ * وبكلِّ أسبابِ المنيّةِ أُشرِف
باقٍ على الحِدْثانِ غيرُ مكذَّبٍ * لا كاسفٌ بالى ولا متأسِّف
إن نلتُ لم أفرح بشىءٍ نِلتُه * وإذا سُبِقتُ به فلا أتلهّف
إنى لأَحْمِى فى المَضِيقِ فَوَارِسِى * وأُكُرُّ خلفَ المُسْتَضافِ(٤) وأعطِف
وأَشُدّ إذ يكبو(٥) الجبانُ وأَصْطَلِى(٦) * حَرَّ الأسنّةِ والأسنّةُ تَرْعَف

صــــوت

فلئن أصابتْنى الحروبُ فربّمـا * أُدْعَى إذا مُنع الرِّدافُ فأُردِفُ
ولربّما يَرْوَى بِكفِّى لَهْـذَمٌ * ماضٍ ومُطَّرِدُ الكُعوبِ مُثقَّفُ(٧)
وأُغير غاراتٍ وأَشْهَـدُ مَشهدًا * قلبُ الجبانِ به يَطيرُ ويَرجُفُ
وأَرى مغانمَ لو أشاء حويتُها * فيصُدُّنى عنها غِنًى وتَعفُّفُ

(١) الأشاجع : أصول الأصابع أو عروق الكف . وأعجف : قليل اللحم . (٢) فى ب ، س : « وأشتدى ... لا يشتدون » وفى سائر الأصول : « وأستدي » ، وكلاهما تحريف . واسترى بمعنى سرى . (٣) السلف : المتقدّم . (٤) المستضاف : من يفزع اليه غيره و يلتجئ به ، يريد به الكمىّ الشجاع . (٥) فى حـ وتجريد الأغانى : « ينبو » . (٦) كذا فى أكثر الأصول وتجريد الأغانى . وفى ب ، س : « الجواد » . (٧) مطرد الكعوب : الرمح ، واطراد كعوبه : تتابعها . والمثقف : المقوّم المسوّى .

— غنّى فى هــذه الأبيات دَحْمَانُ ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن الهشامىّ . قال الهشامىّ : فيها لمــالكٍ خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى، ووافقه فى هذا ابن المكىّ — ١٤٩/٥

قالوا جميعا :

خرج مع جيش الحجاج الى مكران فرض وقال شعرا

ثم ضُرِب البَعْثُ على جيش أهل الكوفة إلى مُكْرانَ(١)، فأخرجه الحجّاج معهــم ، فخرج إليها وطال مُقامه بها ومرِض ، فاجتواها وقال فى ذلك — وأنشدنى بعضَ هذه القصيدة اليزيدىّ عن سليمان بن أبى شيخ — :

طلبتَ الصِّبا إذ علا المَكْبَرُ * وشاب القَــذالُ(٢) وما تُقصِرُ
وبانَ الشــبابُ ولذاتُه * ومثلُك فى الجهــل لا يُعــذَر
وقال العــواذل هــل ينتهى * فيُقْــدِعه(٣) الشيبُ أو يُقصِر
وفى أربعينَ توَفَّيتَهــا * وعَشْرٍ مضتْ لىَ مُستبصَر
وموعــظةٌ لامرئٍ حازمٍ * إذا كان يَسمع أو يُبْصِر
فلا تأسفنَّ على ما مضى * ولا يَحــزُنَنْك ما يُــدْبِر
فإنّ الحوادث تُبلِى الفتى * وإنّ الزمان به يعــثُر
فيَــوْمًا يُســاء بمــا نابَــه * ويــومًا يُســرّ فيَستبشرُ
ومِنْ كلّ ذلك يَلْقى الفتَى * ويُمْنَى لــه منه ما يُقْــدَر

(١) مكران (بالضم ثم السكون وأكثر ما تجيء فى شعر العرب مشددة الكاف مفتوحتها) : ولاية واسعة تشتمل على عدة مدن وقرى وهى بين كرمان من غربيها وسجستان شماليها والبحر جنوبيها والهند فى شرقيها . وقال الإصــطخرى : هى ناحية واســعة عريضة والغالب عليهــا المفاوز والضر والقحط . (راجع معجم البــلدان) . (٢) القذال : جماع مؤخر الرأس، وقيــل : ما بين نقرة القفا إلى الأذن .

(٣) يقدعه : يكفه .

كأنِّىَ لم أَرْتَحِــلْ جَسْرَةً * ولم أُجْفِهـا بعــد ما تضمُرُ [1]
فأُجْشِمَها كُلَّ دَيْمُومةٍ [2] * ويَعرِفُهـا البــلدُ المُقْـفِرِ
ولم أَشْهدِ البأسَ يـومَ الوَغَى * علىَّ المُفَاضــةُ والمِغْـفَرِ [3]
ولم أَخْـرِقِ الصفَّ حتى تَميـ * ـلَ دَارِعَةُ [4] القــومِ والحُسَّرِ
وتحـتِّى جَــرْداءُ خَيْفـانةٌ * مِنَ الخيلِ أو سابحٌ مُجْفَرِ [5]
أُطـاعِنُ بالرمحِ حتى اللَّبـا * نُ [6] يَجـرى به العَلَقُ الأحمـرِ
وما كنتُ فى الحربِ إذ شَمَّرت * كَمَنْ لا يُذِيبُ ولا يُخثِرِ [7]
ولكنَّنى كنتُ ذا مِرَّةٍ * عَطوفًا إذا هتَفَ المَحْــجِرِ [8]
أُجيبُ الصَّريخَ إذا ما دعا * وعنــدَ الهِيَـاجِ أنا المِسْعَرِ [9]
فإن أُمْسِ قـد لاحَ فىَّ المَشيـ * ـبُ أُمَّ البنين، فقــد أَذكُرُ
رَخاءً مِنَ العيشِ كُنّا بِهِ * إذِ الدهرُ خالٍ لنـا مُصْحِرُ [10]
وإذ أنا فى عُنفوانِ الشبا * بِ يُعجِبُنى اللَّهــوُ والسَّمَرُ

(١) ارتحل الرجل البعير: شد عليه الرحل. والجسرة: الناقة العظيمة الطويلة. وأجفاها: أتعبها ولم يدعها تأكل ولا علفها قبل ذلك، وذلك إذا ساقها سوقا شديدا. (٢) الديمومة: الفلاة الواسعة. (٣) المفاضة: الدرع الواسعة. والمغفر: زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة للوقاية به. (٤) دارعة القوم: الفرقة اللابسة الدروع. (٥) الجرداء: القصيرة الشعر. والخيفانة: السريعة. والمجفر: الواسع الجفرة أى الوسط. (٦) اللبان: الصدر أو وسطه. (٧) لا يذيب ولا يخثر: أى متردد متحير، مأخوذ من المثل: «وما يدرى أيخثر أم يذيب». وأصله أن المرأة تسلأ السمن فيختلط خاثره — أى غليظه — برقيقه فلا يصفو؛ فتبرم بأمرها فلا تدرى أتوقد حتى يصفو وتخشى إن أوقدت أن يحترق فتحار. (٨) المحجر (كمجلس ومنبر): لعله يريد به هنا ما حول القرية. ومنه محاجر أقيال اليمن وهى الأحماء، كان لكل قيل حمى لا يرعاه غيره؛ على أن يكون المعنى إذا هتف أهل المحجر. (٩) المسعر: موقد نار الحرب كأنه آلة فى إيقادها. (١٠) المصحر: المتسع الواضح المنكشف.

أَصِيد الحسانَ و يَصْطَدْنَنِى * وتعجبنى الكاعبُ المُعصِر[1]
و بيضاءُ مثلُ مَهاةِ الكَثِيـ * ـبِ لا عَيْبَ فيها لمن ينظُر
كأنّ مُقَلَّدَها إذ بدا * به الدُّرّ والشَّذْر[2] والجوهر
مُقَلَّدُ أَدْماءَ نَجْدِيّةٍ * يَعِنُّ لها شادِنٌ أحور[3]
كأنّ جَنَى النحل والزنجبيـ * ـلَ والفارسيّةَ[4] إذ تُعْصَر
يُصَبّ على بَرْدِ أنيابها * مُخَالِطُه المسكُ والعنبر
إذا انصرفتْ وتَلَوّتْ بها * رِقاقُ المَجاسِد[5] والمِئْزَر ١٥٠/٥
وغَصّ السِّوارُ وجال الوِشاح * على عُكَنٍ[6] خَصْرُها مُضْمَر
وضاق عن الساق خَلْخَالُها * فكاد مُخَدَّمُها[7] يَنْدُر
فَتُورُ القيام رخيمُ الكلا * م يُفْزِعها الصوتُ إذ تُزْجَر
وتُنْمَى إلى حَسَبٍ شامخ * فليستْ تُكَذِّب إذ تَفْخَر
فتلك التى شَفّنى حبُّها * وحَمّلنى فوق ما أقدر
فلا تعذُلانىَ فى حبّها * فإنّى بمعذرةٍ أَجْدَر

— ومن ها هنا رواية اليَزيدىّ —

وقُولا لذى طَرَبٍ عاشقٍ : * أشَطَّ المزارُ بمن تَذْكُر؟
بكوفيّةٍ أصلُها بالقُرا * ت تبدو هنالك أو تَحْضُر[8]

(١) المعصر من النساء : التى بلغت شبابها أو أدركت ؛ وقيل : التى راهقت العشرين .

(٢) الشذر : اللؤلؤ الصغير ؛ وقيل : خرز يفصل به بين الجواهر فى النظم ؛ أو هو قطع من الذهب تلقط من معدنه بدون إذابة الحجارة . (٣) الأدماء من الظباء : البيضاء تعلوها جدد فيهن غبرة . والشادن : ولد الظبية . (٤) الفارسية : الخمر . (٥) المجاسد : الأثواب التى تلى البدن ، جمع مجسد (كمنبر) . (٦) العكن : جمع عكنة ، وهى ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا . (٧) المخدم : موضع الخلخال . وندر الشىء يندر ندورا (من باب نصر) : سقط ، وفى الحديث : «فضرب رأسه فندر» .

(٨) بدا : أقام بالبادية . وحضر : أقام بالحضر .

وأنت تسير إلى مُكْرَان * فقد شحط الوِردُ والمَصْدَر
ولم تك من حاجتى مُكْرَان * ولا الغزوُ فيها ولا المَتْجَر
وخُبِّرْتُ عنها ولم آتِها * فما زلتُ من ذكرها أُذْعَر
بأنّ الكثيرَ بها جائعٌ * وأنّ القليل بها مُقْتِر
وأنّ لِحَى الناس من حَرّها * تطول فتُجْلَم(١) أو تُضْفَر
ويزعُم مَنْ جاءها قبلَنا * بأنّا سَنُسْهَم(٢) أو نُنحَر(٣)
أعوذ بربّى من المُخْزِيا * ت فيما أُسِرّ وما أُجْهِر
وحُدِّثت أنْ مالنا رَجْعَةٌ * سنينَ ومِنْ بعدها أشهر
إلى ذاك ما شاب أبناؤنا * وبادَ الإخلّاء والمَعْشَر
وما كان بى من نشاطٍ لها * وإنّى لَذُو عُدّة مُوسِر
ولكنْ بُعِثتُ لها كارِهًا * وقيل انطلق كالذى يُؤمَر
فكان النَّجاء(٤) ولم ألتفت * إليهمْ وشرُّهمُ مُنْكَر
هو السيف جُرِّد من غِمده * فليس عن السيف مستأخَر
وكم من أخٍ لىَ مستأنِس * يَظَلّ به الدمعُ يَسْتَحسر
يودّعنى وانتحتْ عَبْرةٌ * له كالجداول أو أغزر
فلستُ بلاقيه من بعدها * يَدَ الدهر(٥) ما هبّت الصَّرْصَر
وقد قيل إنكمُ عابرو * ن بحرًا لها لم يكن يُعْبَر
إلى السِّند والهند فى أرضهم * همُ الجنّ لكنّهم أنكر

---

(١) تجلم: تقطع بالجلم، وهو المقص. (٢) سهم الرجل (من بابى قطع وكرم) سهوما وسهومة: تغير لونه وبدنه مع هزال ويبس. (٣) كذا بالأصل. ولعلها مصحفة عن: «تجر» (بالجيم المعجمة). ونجر الرجل ينجر (من باب علم): أصابه عطش شديد. (٤) النجاء: السرعة فى السير. (٥) يد الدهر: كناية عن الأبد. يقال: لا أفعل كذا يد الدهر، أى أبدا.

وما رام غزوًا لها قبلَنا * أكابرُ عادٍ ولا حِمْير
ولا رام سابورُ غزوًا لها * ولا الشيخُ كِسْرى ولا قيصر
ومِنْ دونها مَعْبَرٌ واسعٌ * وأجرٌ عظيم لمن يؤجَر

قصته مع جارية خالد بن عتاب الرياحى

وذكر محمد بن صالح بن النَّطّاح أنّ هشام بن محمد الكلبىّ حدّث عن أبيه : ١٥١/٥

أن أعشى هَمْدان كان مع خالد بن عَتّاب بن وَرْقاء الرِّياحىّ بالرّىّ[1] ودَسْتَبَى، وكان الأعشى شاعرَ أهل اليمن بالكوفة وفارسَهم، فلما قدم خالدٌ من مَغزاه خرج جَوارِيه يتلقَّيْنه وفيهنّ أمُّ ولدٍ له كانت رفيعةَ القَدْر عنده، فجعل الناسُ يمُرّون عليها إلى أن جاز بها الأعشى وهو على فرسه يميل يمينا ويسارا من النُّعاس، فقالت أمُّ ولَد خالد بنِ عتّاب لجواريها : إن امرأة خالد لَتُفاخرنى بأبيها وعمّها وأخيها ، وهل يَزيدون على أن يكونوا مثلَ هذا الشيخ المرتعش. وسمعها الأعشى فقال : مَنْ هذه؟ فقال له بعضُ الناس: هذه جارية خالد؛ فضحك وقال لها : إليك عنى يالَكْعاء؛ ثم أنشأ يقول :

وما يُدْرِيك ما فرسٌ جَرُورٌ[2] * وما يدريك ما حَمْلُ السّلاح
وما يدريك ما شيخٌ كبيرٌ * عَدَاه الدهر عن سَنَن المِراح
فأُقْسِمُ لو ركبتِ الوَرْدَ يومًا * وليلتَه إلى وَضَح الصَّباح
إذًا لنظرتُ منكِ إلى مكان * كسَحْق[3] البُرْد أو أثَر الجِراح

قال : فأصبحت الجاريةُ فدخلَتْ إلى خالد فشكَتْ إليه الأعشى ؛ فقالت : والله ما تُكْرَم، ولقد اجتُرِئَ[4] عليكَ! فقال لها : وما ذاكِ؟ فأخبرته أنها مرّت برجل فى وجه الصبح، ووصفتْه له وأنه سبّها؛ فقال : ذلك أعشى هَمْدان؛ فأىّ شئ قال لك ؟

(١) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٣٤ من هذا الجزء. (٢) الفرس الجرور : الذى لا ينقاد ولا يكاد يتبع صاحبه. (٣) السحق : الثوب البالى، ويضاف للبيان فيقال : سحق برد وسحق عمامة. (٤) فى ب، سـ : « ... ولقد اجترأ ».

فأنشدته الأبيات . فبَعث إلى الأعشى، فلما دخل عليه قال له : ما تقول؟ هذه زَعَمتْ أنك هجوْتَها؛ فقال : أساءت سمعًا، إنما قلتُ :

مررتُ بنسوة متعطِّرات * كضوء الصبح أو بَيض الأَداحِي[1]
على شُقْر البغال فَصِدْن قلبي * بحسن الدَّلّ والحَدَق المِلاح
فقلتُ مَنِ الظباءُ فقلن سِرْبٌ * بدا لك من ظِباء بَنِى رِياح

فقالت : لا والله، ما هكذا قال، وأعادت الأبياتَ ؛ فقال له خالد : أمَا إنّها لولا أنّها قد وَلَدتْ منّى لوهبتُها لك، ولكنّى أفتدى جنايتَها بمثل ثمنها، فدفعه إليه وقال له : أقسمتُ عليك يا أبا المصبّح ألّا تُعيد فى هذا المعنى شيئا بعد ما فَرَط منك .

وذكر هذا الخبرَ العنزىُّ فى روايته التى قدمتُ ذكرَها ، ولم يأتِ به على هذا الشرح .

خبره مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحى

وقال هو وابنُ النَّطّاح جميعا :

وكان خالد يقول للأعشى فى بعض ما يمنّيه إيّاه ويَعِدُه به : إن وُلِّيتُ عملًا كان لك ما دونَ الناس جميعا، فمتى استُعمِلتُ فخذ خاتَمى واقْضِ فى أمور الناس كيف شئتَ . قال : فاستُعمِل خالدٌ على أصبهان وصار معه الأعشى، فلما وصل إلى عمله جفاه وتناساه، ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة وقال فيه :

تُمنّينى إمارتَها تَميمٌ * وما أُمّى بأُمّ بنى تَميم
وكان أبو سُلَيْمٍ أخًا لى * ولكنّ الشِّراكَ[2] من الأديم
أتينا أصبهانَ فهزّلتَنا * وكنّا قبلَ ذلك فى نعيم
أتذكرنا ومُرّةَ إذ غزونا * وأنتَ على بُغَيْلك ذى الوُشُوم

١٥٢
٥

(١) الأداحى : جمع أدحية وهى مبيض النعام فى الرمل .
(٢) الشراك : أحد سيور النعل التى تكون على وجهها .

ويركَب رأسَه فى كل وَحْل * ويعثُر فى الطريق المستقيم
وليس عليك إلا طَيْلسانٌ * نَصيبىٌّ وإلّا سَحْقُ نِيم (١)
فقد أصبحتَ فى خَزٍّ وقَزٍّ * تَبَختَر ما ترى لك من حميم
وتحسب أن تلقّاها زمانا * كذبتَ وربِّ مكةَ والحطيم

— هذه رواية ابن النطّاح، وزاد العنزىّ فى روايته — :

وكانت أصبهانُ نكيرَ أرضٍ * لمُغتَرِب وصُعلوكٍ عديم
ولكنّا أتيناها وفيها * ذوو الأضغان والحقد القديم
فأنكرتُ الوجوهَ وأنكرتْنى * وجوهٌ ما تُخبِّر عن كريم
وكان سفاهة منّى وجهلا * مَسيرى لا أسير إلى حميم
فلو كان ابنُ عتابٍ كريمًا * سما لرواية (٢) الأمر الجسيم
وكيف رجاءُ من غلبَتْ عليه * تَنائى الدارِ كالرَّحِم العقيم

قال ابنُ النّطاح : فبعث إليه خالد : مَن مُرّة هذا الذى ادّعيتَ أنى وأنت غزَوْنا معه على بغل ذى وُشُوم؟ ومتى كان ذلك؟ ومتى رأيتَ علىّ الطّيْلسان والنِّيمَ اللذين وصفتَهما ؟ فأرسل إليه : هذا كلام أردتُ وصفَك (٣) بظاهره ، فأمّا تفسيره، فإن مُرّةَ مَرارةُ ثمرةِ ما غرسْتَ عندى من القبيح . والبغل المركَّبُ الذى ارتكبتَه منى لا يزال يعثُر بكَ فى كل وَعْثٍ وجَدَد ووَعْر ومَنْهل . وأما الطيلسان فما أُلبِسك إياه من العار والذمّ ؛ وإن شئتَ راجعتَ الجميل فراجعتُه لك ؛ فقال : لا، بل أراجع الجميلَ وتُراجعه؛ فوصَله بمال عظيم وترضّاه . هكذا روى من قدّمتُ ذكره .

(١) النيم : الفرو؛ أو هو ثوب ينام فيه من القطيفة . (٢) كذا فى الأصول . ولعلها : « لذؤابة الأمر الجسيم » . وذؤابة الشىء : أعلاه . وتستعار للعز والشرف وعلو الرتبة .
(٣) فى حـ : « وصفك» .

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال حدّثنا الأصمعى قال : لمـا ولِىَ خالدُ بنُ عَتّاب بن وَرْقاء أصبهانَ، خرج إليـه أعشى هَمْدانَ، وكان صديقَه وجارَه بالكوفة ، فلم يَجِد عنده ما يحبّ ؛ وأعطى خالدٌ الناس عطايا فجعله فى أقلّهـا وفضّل عليه آلَ عُطَارد؛ فبلغه عنـه أنه ذمّه فحبسه مدّةً ثم أطلقه ؛ فقال يهجوه :

وما كنتُ ممن ألجأتْه خَصاصـةٌ * إليك ولا ممن تَغُـرّ المواعدُ
ولكنّها الأطماعُ وهى مُـذِلّةٌ * دنتْ بى وأنت النـازح المتباعد
أتَحْبِسُنى فى غـير شئ وتارةً * تلاحظنى شَزْرًا وأنفُـك عاقِـد(١)
فإنك لا كابْنَىْ فَـزارة فاعلمَنْ * خُلِقتَ ولم يُشْـبِههما لك والد
ولا مُدْرِكٌ ما قد خلا من نَداهما * أبوكَ ولا حوضَـيْهما أنت وارد
وإنك لو ساميتَ آلَ عُطَـارد * لَبـذّتْك أعناقٌ لهـم وسـواعد
ومأثُـرةٌ عاديّةٌ لن تنالَهـا * وبيتٌ رفيع لم تَخُنْه القـواعد
وهـل أنت إلا ثعلبٌ فى ديارهم * تُشَلُّ(٢) — فَتَعْسًا — أو يقودُك قائد
أرى خالدًا يختـال مشـيًا كأنه * من الكبرياء نَهْشَـلٌ أو عُطَارِدُ(٣)
وما كان يَرْبُـوع شـبيهًا لدارِم * وما عَدَلَتْ شمسَ النهـار الفَرَاقد

١٥٣
ـــ
٥

مدح ابن الأشعث وحرض أهـل الكوفة للقتال معه ضد الحجاج

قالوا: ولمـا خرج آبنُ الأشعث على الحجّاج بن يوسف حشَد معه أهل الكوفة، فلم يبقَ من وجوههم وقرّائهم أحدٌ له نَباهة إلّا خرج معه لثِقَل وطأة الحجّاج عليهم. فكان عامر الشَّعْبىّ وأعشى هَمْدان ممّن خرج معه، وخرج أحمد النَّصْبىّ(٤) أبو أُسَامة

(١) يريد أنه غضبان معرض عنه . (٢) تشل : تطرد . (٣) نهشل وعطارد : قبيلتان من العرب ينتسبان الى دارم بن مالك بن حنظلة . وخالد — المقصود فى الشعر هنا — من رياح ورياح من دارم . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «النصيبى» وهو تحريف .

الهَمْدانى المغنّى مع الأعشى لالفته إياه، وجعل الأعشى يقول الشعر فى ابن الأشعث يمدحه، ولا يزال يحرِّض أهلَ الكوفة بأشعاره على القتال ، وكان مما قاله فى ابن الأشعث يمدحه :

يأبَى الإلهُ وعزةُ ابن محمد * وجدودُ مَلْك قبلَ آل ثَمودِ
أن تأنسوا بمذمَّمين ، عروقُهم * فى الناس إنْ نُسبوا عروقُ عَبيد
كم من أبٍ لك كان يعقِد تاجَه * بجبين أبلجَ مِقْوَلٍ صِنْديد
وإذا سألتَ : المجدُ أين محلّه * فالمجدُ بين محمد وسعيد
بين الأشجّ وبين قيس باذخٌ * بَخٍ بَخٍ لوالده وللمولود
ما قصَّرتْ بكَ أن تَنال مَدَى العُلا * أخلاقُ مَكْرُمةٍ وإرثُ جدود
قَرْمٌ(٣) إذا سامَى القُرُومَ ترى له * أعراقَ مجدٍ طارفٍ وتَليد
وإذا دعا لعظيمة حُشِدتْ له * هَمْدانُ تحت لوائه المعقود
يَمْشُون فى حَلَق الحديد كأنهم * أُسْد الإباء سمعنَ زَأرَ أسود
وإذا دعوتَ بآل كِندةَ أجْفَلوا * بكهول صدقٍ سيِّدٍ ومَسُود
وشبابِ مأسَدةٍ كأنّ سيوفَهم * فى كلّ مَلْحَمةٍ بروقُ رعود
ما إن ترى قيسًا يقارب قيسَكم * فى المَكْرُمات ولا ترى كسعيد

طلب من ابن الأشعث فى سجستان زيادة عطائه فردّه فقال شعرا

وقال حمّاد الراوية فى خبره : كانت لأعشى هَمْدان مع ابن الأشعث مواقفُ محمودةٌ وبلاءٌ حسن وآثارٌ مشهورة ؛ وكان الأعشى من أخواله ، لأن أمّ عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث أمُّ عمرو بنتُ سعيد بن قيس الهَمْدانى . قال : فلما صار ابنُ الأشعثِ إلى سِجِسْتانَ جَبى مالًا كثيرا، فسأله أعشى همدان أن يُعطيَه منه زيادةً على عطائه فمنعه؛ فقال الأعشى فى ذلك :

(٣) القرم : السيد العظيم .

هل تعرف الدارَ عفا رسمُها * بالحَضْر (1) فالروضةِ من آمِد (2)
دارٌ لخَوْدٍ (3) طَفْلةٍ رُودةٍ * بانتْ فأمسى حبُّها عامِدِى
بيضاءَ مثلِ الشمس رَقْراقةٍ * تبْسِم عن ذى أُشُرٍ (4) بارد
لم يُخْطِ (5) قلبى سهمُها إذ رمتْ * ياعجبًا من سهمها القاصد
يأيها القَرْمُ الهِجانُ (6) الذى * يَبْطِش بطشَ الأسد اللَّابد
والفاعلُ الفعلَ الشريفَ الذى * يُنْمَى إلى الغائب والشاهد
كم قد أُسَدِّى لك من مِدْحةٍ * تُرْوَى مع الصادر والوارد
وكم أجبنا لك من دَعوةٍ * فاعرفْ فما العارفُ كالجاحد
نحن حَمَيْناكَ وما تحتمى * فى الرَّوْع من مَثْنًى ولا واحدِ
١٥٤/٥ يومَ انتصرنا لك مِن عابد * ويومَ أنجيناك من خالد
ووقعةِ الرَّىِّ التى نِلْتَها * بجَحْفلٍ من جَمْعنا عاقد
وكم لَقِينا لك من واتِرٍ * يصرِف نابَىْ حَنِقٍ حارد (7)
ثم وَطِئْناه بأقدامنا * وكان مثلَ الحيَّة الراصد
إلى بلاءٍ حسنٍ قد مضى * وأنتَ فى ذلك كالزاهد
فاذكُر أياديَنا وآلاءَنا * بعودةٍ من حِلْمك الراشد

(١) الحضر: مدينة بإزاء تكريت فى البرية بينها وبين الموصل والفرات. (٢) آمد: أعظم مدن ديار بكر، وهى قديمة حصينة مبنية بالحجارة السوداء وعلى تشز، ويحيط دجلة بأكثرها، وفى وسطها عيون وآبار قريبة يتناول ماؤها باليد، وفيها بساتين. (٣) الخود: المرأة الشابة ما لم تصر نصفا. والطفلة: الرخصة الناعمة. والرودة: الشابة الحسنة. وعامدى: مضنىّ ومهلكى. (٤) الأشر: التحزيز الذى يكون فى الأسنان، يكون خلقة ومصنوعا. (٥) أصلها: «لم يخطئ» فسهلت الهمزة ثم حذفت الياء. (٦) الهجان: الخالص وخيار كل شىء.
(٧) صرف نابه وبنابه: حرقه فسمع له صوت. والحارد: الغاضب.

ويومَ الأهواز فلا تَنْسَه * ليس الثَّنا[(١)] والقولُ بالبائد
إنا لنرجوك كما تُرتَجى * صوبَ الغمام المُبرق الراعد
فانفعْ بكفَّيك وما ضمَّتا * وافعل فَعالَ السَّيِّد الماجد
ما لك لا تُعطى وأنتَ امرؤٌ * مُثْرٍ منَ الطارف والتالد
تَجْبِى سِجِسْتانَ وما حولها * مُتكئًا فى عيشك الراغد
لا ترهبُ الدهرَ وأيامَه * وتَجْرُدُ[(٢)] الأرضَ مع الجارد
إن يكُ مكروهٌ تَهِجْنا له * وأنتَ فى المعروف كالراقد
ثم ترى أنّا سنرضى بذا * كلَّا وربِّ الراكع السَّاجد
وحُرمةِ البيت وأستاره * ومَنْ به مِنْ ناسك عابد
تلك لكم أمنيّةٌ باطلٌ * وغفوةٌ من حُلُمِ الراقد
ما أنا إنْ هاجك مِنْ بعدها * هَيْجٌ بآتيكَ ولا كائد
ولا إذا ناطُوك[(٣)] فى حَلْقة * بحامل عنك ولا فاقد
فأعْطِ ما أعطيتَه طيِّبًا * لا خيرَ فى المَنْكود والناكد[(٤)]
نحن ولدناك فلا تَجْفُنا * واللهُ قد وصَّاك بالوالد
إن تك من كِنْدةَ فى بيتها * فإنّ أخوالكَ من حاشد[(٥)]
شُمُّ العرانين وأهلُ الندى * ومُنْتَهى الضِّيفان والرائد
كم فيهمُ من فارس مُعْلَمٍ * وسائسٍ للجيش أو قائد

---

(١) كذا فى حـ . والثنا (بالتحريك والقصر) : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيّئ . وفى سائر الأصول : « الثنا » (بثاء مثلثة بعدها نون) .

(٢) جرد الأرض : جعلها جرداء .

(٣) ناطه : علقه .

(٤) المنكود الذى يلح عليه فى المسألة . والناكد : الملح .

(٥) حاشد : حى من همدان .

وراكبٍ للهَــوْل يجتـابُهُ * مثـلَ شِهاب القَبَس الواقد

أو ملأٍ يُشــفَى بأحلامهـم * من سَـفَه الجاهل والمـارد (١)

لم يجعــلِ اللهُ بأحسابنـا * نقصًـا وما الناقص كالزائد

وربَّ خالٍ لك، فى قومـه * فرعٌ طويلُ البـاع والساعد

يَحتضِر البأسَ وما يبتــغى * ســوى إسَار البَطَل الناجد (٢)

والطعنِ بالراية مستمكِنًا * فى الصفّ ذى العادية الناهد (٣)

فارتَحْ لأخــوالك وآذكرهمُ * وآرحمهــمُ للسَّلَف العـائد

فإنّ أخوالَك لم يبرحوا * يُربُون بالرِّفـد على الرّافــد

لم يَخــلوا يومًا ولم يَجْبُنوا * فى السَّلف الغازى ولا القاعد

ورُبَّ خالٍ لكَ فى قومــه * حمّـال أثقـال لهـا واجـد

مُعــتَرِفٍ للــرزء فى ماله * والحــقِّ للسائل والعـامد

١٥٥/٥

مدح النعمان بن بشير عامل حمص لوساطته له فى عطاء.

أخبرنى محمد بن الحســن بن دُرَيْد الأَزْدى قال حدثنى عمّى عن العبّاس بن هشام عن أبيه، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن آبن الكلْبى، وأخبرنى عمّى عن الكُرَانى عن العُمَرى عن الهيثم بن عدىّ، وذكره العنزىّ عن أصحابه، قالوا جميعا :

خرج أعشى هَمْدان إلى الشأم فى وِلاية مَرْوان بنِ الحكَم، فلم يَنَلْ فيها حظًّا ؛ فجاء إلى النعمان بن بشـير وهو عامل على حِمْص، فشكا إليـه حالَه ؛ فكلَّم له النعمانُ ابنُ بشير اليمانيَةَ وقال لهم : هذا شاعرُ اليمن ولسانُها، وآستماحهم له ؛ فقالوا : نعمْ،

---

(١) المـارد : العاتى والباغى. (٢) فى ب، سـ : «الماجد». (٣) الناهد : الأسد.

يعطيه كلّ رجل منا دينارين منْ عطائه ؛ فقال : لا، بل أعْطُوه دينارًا دينارًا وآجعلوا ذلك مُعجَّلا ؛ فقالوا : أعطِه إيّاه من بيت المال وآحتسبْها على كلّ رجل من عطائه ؛ ففعل النُّعمان — وكانوا عشرين ألفًا — فأعطاه عشرين ألف دينار وآرتجعها منهم عند العطاء . فقال الأعشى يمدح النعمان :

ولَمْ أرَ للحاجاتِ عند آلتماسها * كنُعْمانَ نُعمانِ النَّدَى ابن بَشيرِ
إذا قال أوْفَى ما يقول ولم يكن * كَمُدْلٍ إلى الأقوام حبلَ غُرُور
متى أكفُرِ النعمانَ لم أُلْفَ شاكرًا * وما خيرُ من لا يقتدى بشَكُور
فلولا أخو الأنصار كنتُ كنازلٍ * ثَوَى ما ثَوَى لم يَنْقلِبْ بنَقير (١)

شعره فى حرب نصيبين بين المهلب بن أبى صفرة

وقال الهيثم بن عدىّ فى خبره : حاصَرَ المُهلَّبُ بن أبى صُفْرة نَصيبينَ، وفيها أبو قارِب يَزيد بن أبى صَخْر ومعه الخَشَبِيّة (٢) ؛ فقال المهلّب : يأيها الناس، لا يَهُولَنّكم هؤلاء القومُ فإنما هم العَبيد بأيديها العِصىّ . فحَمَل عليهم المهلّبُ وأصحابُه فلقُوهم بالعِصىّ فهزموهم حتى أزالوهم عن موقفهم . فدَسّ المهلّبُ رجلًا من عبد القيس إلى يزيد بن أبى صخر ليغتاله، وجعل له على ذلك جُعْلا سَنيًّا — قال الهيثم : بلغنى أنه أعطاه مائتى ألف درهم قبلَ أن يمضىَ ووعَده بمثلها إذا عاد — فآندسّ له العَبْدىّ فآغتاله فقتله وقُتِل بعده . فقال أعشى هَمْدان فى ذلك :

يُسمّون أصحابَ العِصىّ وما أرى * مع القوم إلا المَشْرفيّةَ مِن عَصا
ألَا أيُّها اللّيثُ الذى جاء حاذرًا (٣) * وألقى بناجرى (٤) الخيامَ وعَرّصا

(١) النقير : النكتة فى ظهر النواة . (٢) الخشبية : أتباع المختار بن أبى عبيد .
(٣) حاذرا : متأهبا مستعدا . (٤) كذا فى حـ . وفى ب ، س : « وألقى بناجرم » . وفى أ ، ء : « وألقى بناجرى » . والظاهر من السياق أنه اسم موضع . ولم نوفق فى المظان التى بين أيدينا إلى وجه الصواب فيه .

أتحسَب غزوَ الشأم يومًا وحربَه * كبِيضٍ يُنَظِّمن الجُمانَ المفصَّصا
وسيرِك بالأهْواز[1] إذ أنت آمنٌ * وشربِك ألبانَ الخلايا المُقَرَّصا
فأقسمتُ لاتَجْبِي لك الدهرَ درهمًا * نَصيبُون حتّى تُبْتَلَى وتُمَحَّصا
ولا أنتَ من أثوابِها الخُضْرِ لابسٌ * ولكنَّ خُشبانًا شِدادًا ومِشْقَصا[2]
فكم ردَّ من ذى حاجةٍ لاينالُها * جُدَيْعُ العَتِيكِ ردّه الله أَبْرَصا
وشيّد بنيانا وظاهر كسوةً * وطال جُدَيْع بعد ما كان أَوْقَصا

١٥٦ / ٥

[تصغير جدعٍ[3] جديع بالدال غير معجمة] . والأبيات التى كان فيها الغناء المذكورُ معه خبر الأعشى فى هذا الكتاب يقولها فى زوجة له من هَمْدان يقال لها جَزْلة ، هكذا رواه الكوفيون ، وهو الصحيح . وذكَرَ الأصمعى أنها خَوْلة ، هكذا رواه فى شعر الأعشى . فذكر العَنَزىّ فى أخبار الأعشى المتقدّم إسنادُها : أنها كانت عند الأعشى آمرأةٌ من قومه يقال لها أمُّ الجَلَال[4] ، فطالت مدتها معه وأبغضها ، ثم خطب آمرأة من قومه يقال لها جَزْلة — وقال الأصمعى : خولة — فقالت له : لا ، حتى تُطلِّقَ أمّ الجلال ، فطلَّقها ، وقال فى ذلك :

طلق زوجته أم الجلال وتزوج غيرها وشعره فى ذلك

تقادَم وُدّكِ أمَّ الجَلالِ * فطاشت نبالُكِ عند النِّضالِ[5]
وطال لزومُكِ لِى حِقْبةً * فرَثَّتْ قُوَى الحبل بعد الوِصال
وكان الفؤاد بها مُعجَبًا * فقد أصبح اليومَ عن ذاك سالى

---

(١) الخلايا : الإبل المخلاة للحلب ، الواحدة خلية . والمقرص : اللبن الذى يجعل فى المقارص ليصير قارصا أى حامضا . والمقارص : الأوعية التى يقرّض فيها اللبن . (٢) المشقص : نصل عريض ، وقيل : سهم فيه ذلك يرمى به الوحش . (٣) هذه الجملة ساقطة من جميع الأصول ما عدا ب ، سـ . (٤) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول هنا وفيما سيأتى : أم الحلال (بالحاء المهملة) . (٥) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : « بعد النصال » .

صحَا لا مُسِيئاً ولا ظالمًا * ولكنْ سَلَا سَلْوَةً فى جمال
ورُضْتِ خلائقَنا كلَّها * ورُضْنا خلائقكم كلَّ حال
فأعْيَيْتِنا فى الذى بيننا * تَسُومِينَنِى كلَّ أمرٍ عُضال
وقد تأمُرِينَ بقَطع الصديق * وكان الصديقُ لنا غيرَ قالى
وإتيانِ ما قد تجنّبتُه * وليدًا ولُمْتُ عليه رجالى
أفاليومَ أركبُه بعد ما * علَا الشَّيبُ منّى صَمِيمَ القَذال (١)
لعمرُ أبيكِ لقد خِلْتِنِى * ضعيفَ القُوَى أو شديدَ المحَال
هلُمِّى آسالى نائلًا فانظُرى * أأحرِمُكِ الخيرَ عند السؤال
ألمْ تعلمى أننى مُعْرِقٌ * نمانِى إلى المجد عمّى وخالى
وأنّى إذا ساءنى مَنزِلٌ * عزمتُ فأوشكتُ منه ٱرتحالى
فبعضَ العتاب، فلا تَهلِكِى * فلا لكِ فى ذاك خيرٌ ولا لى
فلما بدا لىَ منها البَذا * ءُ صبّحتُها بثلاثٍ عِجالِ
ثلاثًا خرجْنَ جميعًا بها * فخلّيْنَها ذاتَ بيتٍ ومال
إلى أهلها غيرَ مخلوعةٍ * وما مسّها عندنا من نَكال
فأمستْ تَحِنّ حنينَ اللِّقا * حِ من جَزَعٍ إثرَ من لا يُبالى
فحِنِّى حنينَكِ وٱستيقنى * بأنا ٱطّرحناكِ ذاتَ الشمال
وأن لا رجوعَ فلا تَكْذبي * نَ ما حنّت النِّيبُ إثرَ الفِصال
ولا تحسبينى بأنّى ندِمـ * ـتُ كلّا وخالقِنا ذى الجلال

فقالت له أمّ الجلال: بئس والله بعلُ الحُرّة وقرينُ الزوجة المسلمة أنت! ويحك! أعدَدْتَ طولَ الصحبة والحرمة ذنبًا تسبّنى وتهجونى به! ثم دعتْ عليه أن يُبغّضه

(١) القذال: جماع مؤخر الرأس، أو هو ما بين نقرة القفا إلى الأذن.

الله إلى زوجته التي آختارها، وفارقته. فلما آنتقلت إلى أهلها، وصارت جزلة إليه، ودخل بها لم يَحْظَ عندها، ففَرِكَتْه[1] وتنكّرت له وآشتدّ شغفُه بها؛ ثم خرج مع ابن الأشعث فقال فيها:

١٥٧/٥ حَيِّيا جَزْلة منّى بالسّلامِ * دُرّةَ البحرِ ومصباحَ الظلامِ
لا تَصُدّى بعد وُدٍّ ثابتٍ * وآسمعَى يا أمّ عيسى من كلامي[2]
إنْ تَدُومِي لى فوَصْلى دائمٌ * أو تَهُمّى لى بهجْرٍ أو صِرام
أو تكونى مثلَ برقٍ خُلَّبٍ * خادعٍ يلمَع فى عُرْض الغمام
أو كتخييلِ سَرابٍ مُعْرِضٍ * بفَلاةٍ أو طُروقٍ فى المنام
فآعلمى إن كنتِ لمّا تعلمى * ومتى ما تفعلى ذاك تُلامى
بعد ما كان الذى كان فلا * تُتْبِعى الإحسانَ إلا بالتمام
لا تَناسَىْ كلَّ ما أعطيْتِنى * مِنْ عهودٍ ومواثيقَ عِظام
وآذكرى الوعدَ الذى واعدْتِنى * ليلةَ النِّصف من الشهر الحرام
فلئن بَدّلْتِ أو خِسْتِ بنا * وتجرّأتِ على أمِّ صَمام[3]
[أم صمام: الغدر والحنث[4]].
لا تُبالِينَ إذًا مِنْ بعدِها * أبدًا تركَ صلاةٍ أو صيام
راجعى الوصلَ ورُدّى نظرةً * لا تَلَجِّى[5] فى طِمَاحٍ وأثام

(١) فركته: أبغضته. (٢) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «من كلام».
(٣) كذا فى أكثر الأصول. وفى م: «على أمر صمام». ولعل هذا أقرب الى الصواب، إذ لم نجد فى المظان ما يؤيد ما ورد فى أكثر الأصول، على أن يكون المعنى: على أمر شديد، ويكون التفسير الذى ورد فى ب، س بأنه الغدر والحنث تفسيرا بالمراد. وصمام (وزان قطام): الداهية الشديدة.
(٤) زيادة عن ب، س. (٥) لا تلجى (من بابى ضرب وعلم): لا تمادى. وفى الأصول: «لا تلحى» بالحاء المهملة.

وإذا أنكرتِ منّى شيمةً * ولقد يُنْكَرُ[1] ما ليس بذام
فاذكريها لى أزُلْ عنها ولا * تُسْفِحى عينيكِ بالدمع السِّجام
وأرى حبلَكِ رثًّا خَلَقًا * وحبالى جُدُدًا غيرَ رِمام[2]
عَجِبتْ جزلةُ منّى أن رأتْ * لِمّتى حُفَّتْ بشَيْب كالثَّغَام[3]
ورأت جسمى علاه كَبْرةٌ * وصروفَ الدهر قد أبلتْ عظامى
وصَليتُ الحربَ حتى تركتْ * جسدى نِضْوًا كأشلاء اللِّجام[4]
وهى بيضاءُ على منكِبها * قَطَطٌ جَعْدٌ وميّال سُخَامُ[5]
وإذا تضحك تُبدى حَبَبًا * كرُضَاب المسك فى الرّاح المُدام
كَمُلتْ ما بين قَرْنٍ فإلى * موضع الخَلْخال منها والخِدام[6]
فأراها اليومَ لى قد أحدثتْ * خُلُقًا ليس على العهد القُدام

تمثل الشعبى بشعره لفخره على البصريين فى حضرة الأحنف

أخبرنى عمّى قال حدّثنا محمد بن سعيد الكُرَانى قال حدّثنا العُمَرى عن الهيثم ابن عَدِىّ عن مُجَالِد عن الشَّعْبىّ :

أنه أتى البصرةَ أيامَ ابن الزبير، فجلس فى المسجد إلى قوم من تَميم فيهم الأحنفُ ابن قَيْس فتذاكروا أهلَ الكوفة وأهلَ البصرة وفاخروا بينهم ، إلى أن قال قائل مِنْ أهل البصرة : وهل أهل الكوفة إلا خَوَلُنا ؟ استنقذناهم من عَبِيدهم ! (يعنى الخوارج) . قال الشعبى : فهجس فى صدرى أن تمثّلتُ قولَ أعشى همدان :

(١) كذا فى ب ، سه . وفى سائر الأصول : « ولقد أنكرت » . (٢) حبل رمام : بال . (٣) الثغام : نبت يكون فى الجبل ينبت أخضر ثم يبيض اذا يبس فيشبه به الشيب . (٤) النضو : المهزول . وأشلاء اللجام : حدائده بلا سيور . (٥) القطط : الشعر القصير . والسخام : الشعر اللين الحسن . وفى هذا البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروىّ . (٦) كذا فى الأصول . والخدام : الخلاخيل ، واحده خدمة (بالتحريك) . وفى ب ، سه : « الحزام » .

أفخرتم أنْ قتلتمْ أعبُدًا * وهزمتمْ مَرّةً آلَ عَزَلْ[1]
نحن سُقناهمْ إليكم عَنْوةً * وجمعنا أمرَكم بعد فشل
فإذا فاخرتمونا فاذكروا * ما فعلنا بكمُ يومَ الجمَل
بين شيخٍ خاضبٍ عُثْنونَه * وفتًى أبيضَ وضّاحٍ رِفَلّ[2] ١٥٨
جاءنا يرفُل فى سابغةٍ * فذبحناه ضُحًى ذبحَ الحمَل
وعفَونا فنَسِيتم عفوَنا * وكفرتم نعمةَ اللهِ الأجلّ

قال : فضحك الأحنف ، ثم قال : يأهل البصرة ، قد فخر عليكم الشعبىّ وصدق وانتصف ، فأحسِنوا مجالسته .

شعره فى هزيمة الزبير الخثعمىّ بجلولاء

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا الرياشىّ عن أبى مُحَلِّم[3] عن الخليل بن عبد الحميد عن أبيه قال :

بعث بِشْر بن مروان الزبيرَ بن خُزَيمة الخَثْعَمىّ إلى الرىّ ، فلقيه الخوارج بجَلُولاء[4] ، فقتلوا جيشَه وهزموه وأبادوا عسكره[5] ، وكان معه أعشى هَمْدان ، فقال فى ذلك :

---

(١) العزل : الاعتزال والتنحى . ويريد بآل عزل الخوارج لاعتزالهم جماعة المسلمين .

(٢) العثنون : اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين . والرفل من الناس : الطويل الذيل .

(٣) هو أبو محلم الشيبانى . واسمه محمد بن سعد ، ويقال محمد بن هشام بن عوف السعدى . وكان يسمى محمدا وأحمد . أعرابى ، أعلم الناس بالشعر واللغة ، وكان يغلظ طبعه ويفخم كلامه ويعرب منطقه . وقال ابن السكيت : أصل أبى محلم من الفرس ومولده بفارس ، وإنما انتسب الى أبى سعد . وقال مؤرج : كان أبو محلم أحفظ الناس ، استعار منى جزءا ورده من الغد وقد حفظه فى ليلة ، وكان مقداره نحو خمسين ورقة . وقال أبو محلم : ولدت فى السنة التى حج فيها المنصور . وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائتين . وله من الكتب كتاب الأنواء ، وكتاب الخيل ، وكتاب خلق الإنسان (راجع كتاب الفهرست ص ٤٦ طبع أوربا) .

(٤) جلولاء (بالمد) : طسوج (ناحية) من طساسيج السواد فى طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ . وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ هـ فاستباحهم المسلمون ، فسميت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون .

(٥) فى حـ : « وأباحوا » .

أُمِّرتْ خَثْعَمٌ على غير خَيْرٍ * ثم أوصاهمُ الأمــيرُ بسيرِ
أين ما كنتمُ تَعيفـون للنا * سِ وما تزجُرون من كل طير
ضلّت الطـيرُ عنكمُ بجَلُولا * ءَ وغرّتكمُ أمانى الزُّبــير
قدرُ ما أُتيح لى من فلسطيـ * ـنَ على فالج(١) ثَقَال(٢) وعَيْرِ
خَثْعمىّ مفصّص جرجمانـ * ـىّ محلّ غزا مع ابن نمــير(٣)

مــدح الأصمعى شعره وفضله

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم قال :

سألت الأصمعىّ عن أعشى هَمْدان فقال : هـو من الفحول وهو إسلامى كثير الشعر؛ ثم قال لى : العجب من ابن دَأْب حين يزعُم أن أعشى همدان قال :

من دعا لى غُزَيِّلِى * أربحِ اللهْ تجـارتَهُ

ثم قال : سبحان الله ! أمثلُ هذا يجوز على الأعشى ؟ أن يجزم آسمَ الله عزّ وجلّ ويرفعَ تجارتَه وهو نصب . ثم قال لى خَلَفٌ الأحمـر : والله لقد طَمِـع ابنُ دأب فى الخلافة حين ظنّ أن هـذا يُقبَل منه وأن له من المحل مثلَ أن يجوِّز مثلَ هذا . قال ثم قال : ومع ذلك أيضا إن قوله :

* من دعالى غزيِّلى *

لا يجوز، إنما هو : من دعا لغزيِّلى، ومن دعا لبعير ضالّ .

مــــدح خالد بن عتاب فأجازه

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق ومحمـد بن مَزْيد بن أبى الأزهر قالا(٤) حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدىّ قال :

---

(١) الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للفحلة . (٢) كذا فى ب ، س ، حـ والثقال (بالفتح و بالضم) : الثقيل . وفى سائر الأصول : «ثفال» (بالفاء) ، والثفال (بالفتح) : البطىء من الدواب والناس . (٣) ورد هذا البيت هكذا بالأصول . (٤) فى جميع الأصول : «قال» ، وهو تحريف .

أَمْلق أعشى هَمْدان فأتى خالدَ بنَ عَتّاب بن وَرْقاء فأنشده :

رأيتُ ثناءَ الناس بالقول طيبًا * عليكَ وقالوا ماجدٌ وآبن ماجدِ
بَنِى الحارثِ السامِين للجد، إنكم * بنيتم بنــاءً ذكــرُه غيرُ بائد
هَنيئًا لِمــا أعطا كُمُ الله واعلموا * بأنى سأُطْرِى خالدًا فى القصائد
فإن يك عَتّــابٌ مضى لسبيله * فمــا مات من يبقى له مثلُ خالد

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

أنشد سابق البربرى من شعره عمر بن عبد العزيز فأبكاه

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعى قال حدّثنا أبو غَسّان [قال](١) :
قال عمر بن عبد العزيز يوما لسابق البربرىّ — ودخل عليه — : أنشدْنى ياسابقُ شيئا من شعرك تذكّرنى به ؛ فقال : أَوَ خيرا من شعرى ؟ فقال : هات؛ قال قال أعشى همدان :

وبينما المرءُ أمسى ناعمًا جذِلًا * فى أهله معجَبًا بالعيش ذا أَنَق(٢)
غِرًّا، أُتيح له من حَيْنه عرض * فما تلبَّث حتى مات كالصَّعِق
ثُمّتَ أضحى ضُحًى من غبِّ ثالثة * مقنَّعا غيرَ ذى رُوح ولا رَمَق
يُبكَى عليــه وأَدْنَوْه لمُظْلِمة * تُعْلَى جوانبُهــا بالتُّرب والفِلَق(٣)
فمــا تزوّد ممّــا كان يجْمعه * إلّا حَنُوطًا(٤) وما واراه من خِرَق
وغــيرَ نفحةِ أعوادٍ تُشَبّ له * وقَــلّ ذلك من زادٍ لمُنطلِق

١٥٩
٥

قال : فبكى عمر حتى أخضَلَ لحيتَه .

(١) زيادة عن ا ، ء ، م . (٢) الأنق (محركة) : الفرح والسرور .
(٣) فى جميع الأصول : « الفلق » (بالقاف) وهو تصحيف . (٤) الحنوط : طيب يخلط للميت خاصة .

هجا شجرة العبسى بشعر أجازه عليه الحجاج

أخبرنى الحرَمى بن أبى العَلاء قال حدثنا الحسين بن محمد بن أبى(1) طالب الديناريّ قال حدثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن حَمّاد الراوية قال :

سأل أعشى همدان شَجَرةَ بن سليمان العَبْسىّ حاجةً فردّه عنها، فقال يهجوه :

لقد كنتَ خيّاطًا فأصبحتَ فارسًا * تُعَدّ إذا عُدّ الفوارس من مُضَرْ

فإن كنتَ قد أنكرتَ هذا فقُلْ كذا * وبيِّن لى الجُرحَ الذى كان قد دَثَرْ(2)

وإصبعُكَ الوسطى عليه شَهيدةٌ * وما ذاك إلا وَخزُها(3) الثوبَ بالإبر

قال وكان يقال : إن شجرة كان خيّاطا ، وقد كان ولى للحجّاج بعض أعمال السواد . فلما قدم على الحجّاج قال له : يا شجرة ، أرِنى إصبعك أَنْظُرْ إليها ؛ قال : أصلح الله الأمير، وما تصنع بها ؟ قال : أنظر إلى صِفَة الأعشى ؛ فخجل شجرة . فقال الحجاج لحاجبه : مُرِ المُعْطِىَ أن يُعطِىَ الأعشى من عطاء شجرة كذا وكذا . يا شجرة، إذا أتاك آمرُؤٌ ذو حَسَب ولسان فآشترِ عِرضَك منه .

أسره الحجاج وذكره بشعر قاله ليبكته ثم قتله

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد الأَزْدىّ قال حدثنا أحمد بن عمرو الحنفىّ عن جماعة — قال المبرّد : أحسَب أن أحدهم مؤرِّج بن عمرو السَّدُوسىّ — قالوا :

لما أُتِىَ الحجاجُ بن يوسف الثقفىّ بأعشى همدان أسيرًا، قال : الحمد لله الذى أمكَن منك، ألستَ القائل :

(1) كلمة : « أبى » ساقطة فى جميع الأصول . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (2) فى ب ، س : « دبر » . وهو تصحيف . (3) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « وخزك » .

لمّا سَفَوْنا[1] للكَفُور الفَتّانْ ⁕ بالسيّد الغِطْرِيف عبد الرحمنْ[2]
سار بجَمعٍ كالقَطَا[3] من قَحْطان ⁕ ومن مَعَدّ قد أتى ابن عَدْنَان
أمكن ربّى من ثَقِيف هَمْدان ⁕ يوماً إلى الليل يُسَلِّي ما كان
إنّ ثقيفًا منهم الكذّابان ⁕ كذّابُها الماضى وكذّابٌ ثان

أولستَ القائل :

يأبنَ الأشجّ[4] قَريع كِنْــدَةَ ⁕ لا أُبالى فيك عَتْبَا
أنت الرئيسُ ابنُ الرئيـ ⁕ ـس وأنت أعلى الناس كعبا
نُبِّئْتُ حَجّاجَ بن يو ⁕ سف خَرّ من زَلَقٍ فتبّا
فانهض فُديتَ لعلّه ⁕ يجلو بك الرحمنُ كَرْبا
وٱبعث عطيّةَ[5] فى الخيو ⁕ ل يكُبّهنّ عليه كَبّا

كلّا يا عدوّ الله، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذى خَرّ من زَلَقٍ فتَبّ ، وحار وانكبّ ، وما لقِىَ ما أحبّ؛ ورفع بها صوته وٱربدّ وجهُهُ وٱهتزّ منكباه ، فلم يبق أحد فى المجلس إلا أهمّتْه نفسُه وٱرتعدت فرائصُه . فقال له الأعشى بل أنا القائل أيها الأمير :

١٦٠ / ٥

(١) كذا فى أكثر الأصول . وسفا : خف وأسرع . وفى ب ، سـ : « سموا » .
(٢) ورد هذا الشعر فى الطبرى (ق ٢ ص ١٠٥٦) على غير هذا الترتيب و بزيادات كثيرة .
(٣) فى الطبرى : « كالدبى » والدبى : الجراد .
(٤) الأشج : هو الأشعث بن قيس الكندى جد عبد الرحمن بن محمد المعنى فى هذا الشعر . والقريع : السيد .
(٥) هو عطية بن عمرو العنبرى، وكان على مقدّمة جيوش عبد الرحمن بن الأشعث إلى العراق . وقد بعث إليه الحجاج بالخيل فجعل عطية لا يلقى خيلا إلا هزمها . فقال الحجاج من هذا؟ فقيل عطية . فذلك قول الأعشى :
وابعث عطية ... الخ .

أبى اللهُ إلا أن يتم نورَه * ويُطفئ نارَ الفاسقين فتخمُدَا
ويُنزل ذُلًّا بالعراق وأهله * كما نقضوا[(١)] العهدَ الوثيقَ المؤكّدا
وما لبث الحجاجُ أن سَلّ سيفَه * علينا فولَّى جمعُنا وتبدَّدا
وما زاحَف الحجاجُ إلا رأيتَه * حُساماً مُلَقًّى للحروب مُعوَّدا
فكيف رأيتَ الله فرّق جمعَهم * ومزّقهم عُرْضَ البلاد وشرّدا
بما نكثوا من بَيْعة بعد بيعة * إذا ضَمِنوها اليوم خَاسُوا[(٢)] بها غدا
وما أحدثوا من بِدعة وعَظيمة * من القول لم تصعَدْ إلى الله مَصْعَدا
ولمّا دَلَفْنا لابن يوسف ضِلّة[(٣)] * وأبرق منا العارضان وأرعدا
قطعنا إليه الخندقين وإنما * قطعنا وأفضينا إلى الموت مُرْصِدا[(٤)]
فصادَمَنا الحجاجُ دون صفوفنا * كِفاحًا ولم يضرب لذلك موعدا
بجُند أمير المؤمنين وخيله * وسلطانه أمسى مُعاناً مؤيَّدا
ليهنئْ أميرَ المؤمنين ظهورُه * على أمة كانوا بُغاةً وحُسّدا
وجدنا بنى مروان خيرَ أئمة * وأعظمَ هذا الخَلْق حلمًا وسُؤْدُدا
وخيرَ قريش فى قريش أَرُومَةً * وأكرمَهم إلّا النبىَّ محمدا
إذا ما تدبّرنا عواقبَ أمرنا * وجدنا أمير المؤمنين المُسَدَّدا
سيغلِب قوما[(٥)] غالبوا اللهَ جَهْرةً[(٦)] * وإن كايدوه كان أقوى وأكيدا
كذاك يُضِلّ الله من كان قلبُه * ضعيفا ومن والى النفاقَ وألْحدا

(١) فى الطبرى (ق٢ ص ١١١٤) : «لما نقضوا» . وفيه رواية أخرى فى بعض نسخه أشير إليها فى هامشه وهى : «بما نقضوا» . (٢) خاس : غدر ونكث . (٣) الضلة (بالكسر) : ضد الهدى .
(٤) مرصدا : مترقبا . (٥) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «قوم» .
(٦) كذا فى الطبرى . وفى م : «حيلة» . وفى سائر الأصول : «جهلة» .

فقد تركوا الأموالَ والأهلَ خلفَهم * وبِيضًا عليهن الجلابيبُ خُرَّدا[1]
يناديْنهم مستعبِراتٍ إليهمُ * ويُذْرِين دمعا فى الخدود وإثْمِدا
وإلا تَنَاوَلْهُنَّ منك برحمةٍ * يكنّ سَبَايا والبُعولةُ أعبُدا
تَعطَّفْ أميرَ المؤمنين عليهمُ * فقد تركوا أمرَ السفاهة والرَّدى
لعلهمُ أن يُحدِثوا العامَ توبةً * وتعرفَ نُصحًا منهمُ وتودُّدا
لقد شَمْتَ[2] يا بنَ الأشعثِ العامَ مصرَنا * فظلّوا وما لاقوا من الطير أسْعُدا
كما شاءم اللهُ النُّجَيْرَ[3] وأهلَه * بجَدِّك مَنْ قد كان أشقى وأنكدا

فقال من حضر من أهل الشام: قد أحسن أيها الأمير، خَلِّ سبيلَه؛ فقال: أتظنون أنه أراد المدح! لا والله! لكنه قال هذا أسفًا لغلبتكم إياه وأراد به أن يحرّض أصحابه. ثم أقبل عليه فقال له: أظننت يا عدوّ الله أنك تخدَعنى بهذا الشعر وتنفلتَ من يدى حتى تنجوَ! ألستَ القائل! ويحك!:

وإذا سألتَ: المجدُ أين محلُّه * فالمجدُ بين محمد وسعيدِ
بين الأغرِّ وبين قيس باذخٌ * بَخْ بَخْ لوالدِه وللمولودِ ١٦١/٥

(١) الخرد: جمع خريدة، وهو جمع نادر، لأن فعيلة لا تجمع على فعل، بل القياس: خرائد وخرد (بضمتين). والخريدة من النساء البكر التى لم تمسس قط؛ وقيل: هى الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المستترة قد جاوزت الإعصار ولم تعنس.

(٢) رواية هذا البيت فى الطبرى هكذا:

لقد شأم المصرين فرخ محمد * بحق وما لاقى من الطير أسعدا

ولعل رواية الأصل كانت: «لقد شأمت» فسهلت الهمزة ثم حذفت. يقال: شأم فلان أصحابه يشأمهم إذا أصابهم شؤم من قبله.

(٣) النجير: حصن باليمن قرب حضرموت منيع، لجأ اليه أهل الردة مع الأشعث بن قيس فى أيام أبى بكر رضى الله عنه فحاصره زياد بن لبيد البياضى حتى افتتحه عنوة وقتل من فيه وأسر الأشعث بن قيس وذلك فى سنة ١٢ الهجرة (راجع معجم البلدان لياقوت).

والله لا تَجْبخ بعدها أبدا . أو لست القائل :

وأصابنى قومٌ وكنتُ أصيبهم * فاليوم أصبِر للزمان وأعرِف!

كذبتَ والله، ما كنت صبورا ولا عروفا . ثم قلت بعده :

وإذا تُصبْك من الحوادث نكبةٌ * فاصبرْ فكل غَيَابة ستكشَّف

أمَا والله لتكوننَّ نكبة لا تتكشف غَيَابتُها عنك أبدا ! يا حَرَسِىّ ، اضربْ عنقه ؛ فضرب عنقه .

وذكر مُؤَرِّج السَّدُوسىّ أن الأعشى كان شديدَ التحريض على الحجّاج فى تلك الحروب ، بجَال أهلُ العراق جولةً ثم عادوا ، فنزل عن سرجه ونزَعه عن فرسه ، ونزع درعه فوضعها فوق السرج ، ثم جلس عليها فأحدث والناس يَرَوْنه ، ثم أقبل عليهم فقال لهم : لعلكم أنكرتم ما صنعتُ ! قالوا : أوَليس هذا موضعَ نَكِير ؟ قال : لا ، كلُّكم قد سَلَح فى سرجه ودِرْعه خوفا وفَرَقا ، ولكنكم سترتموه وأظهرتُه ؛ فحَمِىَ القومُ وقاتلوا أشدَّ قتال يومَهم إلى الليل ، وشاعت فيهم الجراح والقتلى ، وانهزم أهل الشأم يومئذ ، ثم عاودوهم من غد وقد نكأتْهم[1] الحرب ، وجاء مَدَدٌ من أهل الشأم ، فباكروهم القتالَ وهم مستريحون فكانت الهزيمة وقُتِل ابن الأشعث . وقد حُكِيَتْ هذه الحكاية عن أبى كَلَدة اليَشْكُرىّ[2] أنه فعلها فى هذه الوقعة ، وذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْبانى فى أخبار أبى كَلَدة[2] ، وقد ذُكر ما حكاه مع أخباره فى موضعه من هذا الكتاب .

(١) نكأ (بالهمز) لغة فى نكى بمعنى أثخن وأكثر الجرح والقتل .

(٢) فى جميع الأصول هنا : «ابن حلزة» وهو تحريف . وقد وردت هذه القصة فى أخبار أبى كلدة اليشكرى فى الجزء العاشر من الأغانى (ص ١١٠ — ١٢٠) طبع بولاق . وقد ذكر أبو كلدة هذا فى الشعر والشعراء والطبرى باسم : أبى جلدة (بالجيم) وذكره اللسان فى مادة : كلد (بالكاف) كما فى الأغانى .

أخبار أحمد النَّصْبي ونسبه

نسبه، وهو مغن طنبوري كان ينادم عبيد الله ابن زياد

النَّصْبيّ هو صاحبُ الأنصاب . وأوّلُ من غنّى بها وعنه أُخذ النَّصْب[1] فى الغناء هو أحمد بن أُسامة الهَمْدانى، من رَهْط الأعشى الأدنَيْن . ولم أجد نسبَه متّصلا فأذكرَه . وكان يغنى بالطُّنْبور فى الإسلام . وكان ، فيما يُقال، ينادم عُبَيدَ الله بن زِياد سرًّا ويغنّيه . وله صنعةٌ كثيرة حسنة لم يَلْحَقها أحد من الطُّنْبوريّين ولا كثير ممّن يغنّى بالعود .

حديث جحظة عنه

وذكرَه جَحْظةُ فى كتاب الطُّنْبوريين فأتى من ذكره بشىء ليس من جنس أخباره ولا زمانه، وثَلَبه فيما ذكره . وكان مذهبُه — عفا الله عنا وعنه — فى هذا الكتاب أن يَثْلِب جميعَ من ذكره من أهل صناعته بأقبح ما قَدَر عليه ، وكان يجب عليه ضدُّ هذا ، لأن من آنتسب إلى صناعة ، ثم ذكر متقدّمى أهلها ، كان الأجملَ به أن يذكر محاسنَ أخبارهم وظريفَ قصصهم ومليحَ ما عرفه منهم لا أن يثلبهم بما لا يعلم وما يعلم . فكان فيما قرأتُ عليه من هذا الكتاب أخبارُ أحمد النَّصْبى، وبه صَدَّر كتابَه فقال : أحمد النَّصْبى أوّلُ من غنّى الأنصاب على الطنبور وأظهرها وسيّرها؛ ولم يخدُم خليفة ولا كان له شعر ولا أدب .

كان بخيلا مرابيا ومات بفالوذجة حارة

وحدّثنى جماعةٌ من الكوفيّين أنه لم يكن بالكوفة أبخلُ منه مع يساره،[2] وأنه كان يُقْرِض الناسَ بالرِّبا،[3] وأنه اغتصّ فى دعوة دُعى إليها بفالُوذَجةٍ حارّة فبلعها فمات.

---

(١) النصب : ضرب من الغناء أرق من الحداء . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « مع أنه كان ... الخ » . (٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « بعينة » والعينة (بالكسر) : الربا .

١٦٢/٥ أحشاءه فـات . وهذا كلّه باطـل . أما الغناء فله منه صـنعة فى الثقيل الأول وخفيف الثقيل والثقيل الثانى، ليس لكثيرٍ(١) أحدٍ مثلُها . منها الصوت الذى تقدّم ذكره وهو قوله :

* حيِّيا خولةَ منّى بالسلامِ *

ومنهـا :

سَـلَبتَ الجوارىَ حَلْيَهنّ فلم تَدَعْ * سِوارًا ولا طَوْقا على النحر مُذْهَبَا

وهو من الثقيل الثانى ، والشعر للعُدَيْل بن الفُرْخ(٢) ، وقد ذكرتُ ذلك فى أخباره(٣) .

ومنهـا :

يأيهـا القلبُ المطيعُ الهوى * أنّى اعتراكَ الطّربُ النازحُ

وهو أيضا من الثقيل الثانى، وأصواتٍ كثيرةٌ(٤) نادرة تدل على تقدمه .

وأما ما وصفه من بخله وقَرْضه للناس بالرِّبا وموته من فالوذجة حارة أكلها ، فلا أدرى مَنْ مِنَ الكوفيين حدّثه بهذا الحديث ، ليس يخلو من أن يكون كاذبا ، أو نَحَل هو هـذه الحكايةَ ووضعها هنا ، لأن أحمد النَّصْبى خرج مع أعشى همدان وكان قرابتَه وإلفَه فى عسكر ابن الأشعث ، فقُتل فيمن قُتل . رَوى ذلك الثِّقات من أهل الكوفة والعلم بأخبار الناس، وذلك يُذكر فى جملة أخباره .

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « لكبير » وهو تصحيف . (٢) كذا فى حـ والشعر والشعراء (ص ٢٤٤) وخزانة الأدب (حـ ٢ ص ٣٦٨)، وهو العديل بن الفرخ (بضم الفاء وسكون الراء وخاء معجمة) شاعر إسلامى فى الدولة المروانية، ولقبه : العباب (بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة الأولى)، والعباب : اسم كلبه . وفى سائر الأصول : « العديل بن الفرج » (بالجيم) وهو تصحيف . (٣) تقع أخباره فى (حـ ٢٠ ص ١١ — ١٩ طبع بولاق) . (٤) فى م ، س : « وذكرت أصوات ... الخ » .

اتصاله بأعشى همدان وغناؤه بشعره فى سليم بن صالح إذ نزلا عليه

أخبرنا محمد بن مَزْيد بن أبى الأزهر والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وذكره العَنَزى فى أخبار أعشى هَمْدان المذكورة عنه عن رجاله المُسَمَّيْن قال :

كان أحمد النَّصْبى مواخيًا لأعشى همدان مواصلا له ، فأكثرُ غنائه فى أشعاره مثلُ صنعته فى شعره :

* حيِّيا خولةَ منِّى بالسلامْ *

و * لمن الظَّعائن سيرُهن تَزَحُّفُ *

و * يأيها القلب المطيعُ الهوى *

وهذه الأصوات قلائدُ صنعته وغُرَر أغانيه . قال : وكان سبب قوله الشعرَ فى سَليم بن صالح بن سعد بن جابر العَنْبرىّ — وكان منزلُ سَليم ساباطَ[1] المدائن — أن أعشى هَمْدان وأحمدَ النَّصْبىّ خرجا فى بعض مغازيهما ، فنزلا على سليم فأحسن قِراهما وأمر لدوابّهما بعُلُوفة[2] وقَضِيم[3] ، وأقسم عليهما أن ينتقلا إلى منزله ففعلا ، فعرض عليهما الشراب فأنْعَما به وطلباه فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان ؛ فقال أحمد النَّصْبى للأعشى : قل فى هذا الرجل الكريم شعرا تمدحه به حتى أُغَنِّىَ فيه ؛ فقال الأعشى يمدحه :

(١) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز ، وهو معرب : « بلاس أباد » ، وبلاس : اسم رجل . وقد ذكره الأعشى فى شعر له — يذكر النعمان بن المنذر وكان أبرويز قد حبسه بساباط ثم ألقاه تحت أرجل الفيلة — منه :

فذاك وما أنجى من الموت ربه * بساباط حتى مات وهو محرزق

(المحرزقة : التضييق) . (٢) العلوفة (بالضم كما فى شرح القاموس) : جمع علف ، وهو ما تطعمه الدواب . (٣) كذا فى حـ . والقضيم : شعير الدابة . وفى سائر الأصول : « قضم » . والقضم (بضمتين) جمع قضيم بمعنى الأديم ، واسم الجمع : « قضم » (بفتحتين) عند سيبويه وقيل هو جمع أيضا ، ولم تنص كتب اللغة على جمع للقضيم بمعنى الشعير .

يأيهـا القلبُ المطيع الهوى * أنّى اعتراك الطَّرَبُ النازحُ
تذكُر جُمْلًا فإذا ما نأتْ * طار شَعاعًا قلبُك الطامح
هَلّا تناهيتَ وكنتَ امرأً * يزجُرك المُرشِد والنّاصح
ما لك لا تترُك جهلَ الصِّبا * وقد علاك الشَّمَط الواضح
فصار من ينهاك عن حبّها * لم تَرَ إلا أنه كاشح
يا جُمْل ما حُبّي لكم زائلٌ * عنّى ولا عن كَبِدى نازح
حُمّلت وُدًّا لكمُ خالصًا * جِدًّا إذا ما هزَل المازح
ثم لقد طال طِلابيكمُ * أسعى وخيرُ العمل النّاجح
إنى توسّمت امرأً ماجدًا * يصدُق فى مِدْحته المادح
ذؤابةَ العنبر فاخترتُه * والمرء قد يَنْعَشُه الصالح
أبلجَ بُهلولًا(1) وظنّى به * أنّ ثنائى عنده رابح ١٦٣/٥
سَلِمُ ما أنتَ بِنِكْسٍ(2) ولا * ذمُّك لى غادٍ ولا رائح
أُعطيتَ وُدّى وثنائى معا * وخَلّةً ميزانُها راجح
أرعاك بالغيب وأهوى لك الـرّشد وجيبى(3)* فاعلمن ناصح
إنى لِمَن سالمتَ سِلْمٌ ومن * عاديتَ أُمسى وله ناطح
فى الرأس منه وعلى أنفه * من نَقَماتى مِيسَمٌ لائح
نِعْم فتى الحىّ إذا ليلةٌ * لم يُورِ فيها زَندَه القادح

(1) البهلول: السيد الجامع لكل خير.

(2) النكس (بالكسر): الضعيف الدنىء الذى لا خير فيه والمقصر عن غاية النجدة والكرم.

(3) كذا فى أكثر الأصول. والجيب: القلب والصدر. يقال فلان ناصح الجيب أى أمين، ومنه قول الشاعر:

* وخشنت صدرا جيبه لك ناصح *

وفى ب، س: «وحي».

وراح بالشَّوْل[1] إلى أهلها * مغـبرّةً أذقانُها[2] كالح[3]
وهَبّت الريحُ شآميةً * فانْجَحَر القابسُ والنابح
قد علم الحيّ إذا أمحلوا * أنك رَقّادٌ لهم مانح
فى الليلة القالى قِراها التى * لا غابِقٌ فيها ولا صابح
فالضيف معروفٌ له حقُّه * له على أبوابكم فاتح
والخيلُ قد تعلم يومَ الوغى * أنك من جَمْرتها[4] ناضح

قال : فغنّى أحمد النَّصْبيّ فى بعض هذه الأبيات ، وجاريةٌ لسَليم فى السطح ، فسمعت الغناءَ، فنزلتْ إلى مولاها وقالت : إنى سمعت من أضيافك شعرًا ما سمعتُ أحسنَ منه ، فخرج معها مولاها فاستمع حتى فهِم ، ثم نزل فدخل عليهما ، فقال لأحمد : لمن هذا الشعر والغناء؟ ومن أنتما؟ فقال : الشعر لهذا، وهو أبو المصبّح أعشى همدان، والغناء لى، وأنا أحمد النَّصْبيّ الهَمْدانى ؛ فانكبّ على رأس أعشى هَمْدان فقبّله وقال : كتمتُمانى أنفسَكما ، وكِدْتما أن تفارقانى ولم أعرفكما ، ولم أعلم خبركما، واحتبسهما شهرًا ثم حملهما على فرسين، وقال : خلِّفا عندى ما كان من دوابكما، وارجعا من مَغْزاكما إلىّ . فمضيا إلى مغزاهما، فأقاما حينًا ثم انصرفا، فلما شارفا منزلَه قال أحمد للأعشى : إنى أرى عجبًا! قال: وما هو؟ قال : أرى فوق قصر سَليم ثعلبًا؛ قال : لئن كنتَ صادقا فما بقى فى القرية أحد . فدخلا القرية،

(١) الشول : جمع شائلة على غير قياس . والشائلة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها . (٢) فى حـ : «أرقابها» وفى ا ، ء ، م : «أذنابها» .
(٣) الكالح : الأمر الشديد، وهو فاعل «راح» . (٤) الجمرة : القبيلة فيها ثلثمائة فارس، وقيل : ألف . أو هى كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحدا ولا ينضمون إلى أحد، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لقراع القبائل كما صبرت عبس لقبائل قيس . والناضح : المدافع الرامى .

فوجدا سَلْماً وجميعَ أهل القرية قد أصابهم الطاعون، فمات أكثرهم وٱنتقل باقيهم. هكذا ذكر إسحاق، وذكر غيره : أن الحجاج طالبَ سَلْماً بمال عظيم، فلم يخرُج منه حتى باع كل ما يملكه، وخَرِبتْ قريتُه وتفرّق أهلها؛ ثم باعه الحجاج عبداً، فٱشتراه بعضُ أشراف أهل الكوفة، إما أَسْماءُ بنُ خارجةَ وإما بعض نظرائه، فأعتقه .

نسبة هذا الصوت الذى قال الأعشى شعرَه (١) وصنع أحمد النصبيُّ لحنَه فى سَلْم

صوت

يأيها القلبُ المطيع الهوى * أنَّى ٱعتراكَ الطربُ النازحُ
تذكُرُ جُمْلا فإذا ما نأت * طار شَعاعاً قلبُك الطامح
أُعطيتَ ودّى وثنائى معاً * وخَلّةً ميزانها راجح ١٦٤/٥
إنى تخيرت ٱمرأً ماجداً * يصدُق فى مِدْحته المادح
سَلْم ما أنت بنِكْسٍ ولا * ذَمُّك لى غادٍ ولا رائح
نِعْم فتى الحىّ إذا ليلةٌ * لم يُورِ فيها زَنْدَه القادح
وراح بالشَّوْل إلى أهلها * مُغْبَرَّةً أذقانُها كالِح
وهَبَّتِ الريحُ شآميةً * فٱنجحَر القابسُ والنابح

الشعر لأعشى همدان . والغناء لأحمد النُّصْبى ، ولحنه ثانى ثقيلٍ بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر يونس أن فيه لمالكٍ لحنا ولسنان الكاتب لحنا آخر .

(١) كذا فى ب . وفى سائر الأصول : «الذى قاله الأعشى فى شعره ... الخ» وهو تحريف .

صـــوت

من المـائة المختـارة

تنكّرَ من سُعْدَى وأقفر من هندِ * مُقامُهما بين الرَّغامين[1] فالفردِ[2]

محلٌّ لسُعْدى طالما سكنتْ به * فأوحشَ ممن كان يسكنه بَعْدى

الشعر لحمّاد الراوية . والغناء لعَبادل، ولحنـه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، ذكر[3] الهشامىّ أنه للهُذَلىّ، وذكر عمرو بن بانة أنه لعَبَادِل بن عطيّة[4] .

(١) الرغام : اسم رملة بعينها من نواحى اليمامة بالوشم، وقد ثناه الشاعر لضرورة الشعر. (٢) كذا فى حـ ، ب ، س . والفرد : موضعان . أحدهما (بفتح الفاء) : جبـل من جبلين يقال لهما الفردان فى ديار سليم بالحجاز . والآخر (بالكسر) : موضع عند بطن إياد من ديار يربوع . والظاهر أن كلا الموضعين ليس مرادا هنا لبعد ما بينهما وبين الرغام . وفى سائر الأصول : « بالقرد » (بالقاف) ولم نعثر فى المظان التى بين أيدينا على موضـع بهذا الاسم ، والظاهر أنه اسم موضع قـريب من الرغامين .

(٣) فى جميع الأصول : « وذكر » بزيادة الواو . (٤) فى جميع الأصـول هنا : «عقبة» وهو تحريف . وستأتى ترجمته فى هذا الجزء بعد قليل .

أخبار حمّاد الراوية ونسبه

نسبه وولاؤه وعلمه بأخبار العرب وأيامها

هو حمّاد بن مَيْسرة، فيما ذكره الهَيْثم بن عَدِىّ، وكان صاحبَه وراويتَه وأعلمَ الناس به، وزعم أنه مولى [بنى][1] شَيْبان . وذكر المَدَائنىّ والقَحْذَمِىّ أنه حماد بن سابور، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها . وكانت ملوك بنى أمية تقدّمه وتؤثره وتستزيره، فيَفِد عليهم وينادمهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ويُجزلون صلته .

حدّثنا محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ وعمّى وإسماعيل العَتَكِىّ قالوا حدّثنا الرِّيَاشِىّ قال :

قال الأصمعىّ : كان حَمّاد أعلمَ الناس إذا نَصَح . قال وقلت لحماد : ممن أنتم ؟ قال : كان أبى من سَبْى سَلْمان بن رَبيعة، فطَرَحَتْنا[2] سَلْمانُ[3] لبنى شَيْبان، فولاؤنا لهم . قال : وكان أبوه يُسمَّى مَيْسرة، ويُكنى أبا ليلى . قال العَتَكِىّ فى خبره : قال الرِّيَاشِىّ : وكذلك ذكر الهَيْثم بن عَدِىّ فى أمر حمّاد .

سأله الوليد عن سبب تلقيبه بالراوية فأجابه

أخبرنى عمى قال حدّثنى الكُرَانى قال حدّثنا العُمَرى عن العُتْبىّ والهَيْثم بن عَدِىّ ولَقِيط[4] قالوا :

---

(١) زيادة عن ح ومختار الأغانى وتجريد الأغانى . (٢) فى ب ، س : «فطوحتنا» .

(٣) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «سيمان» وهو تحريف .

(٤) هو أبو هلال لقيط بن بكر المحاربى الكوفى من بنى محارب ، من الرواة للعلم المصنفين للكتب، وكان شاعرا سيء الخلق ، عاش إلى سنة تسعين ومائة ، وله من الكتب : كتاب السمر ، وكتاب الحراب واللصوص ، وكتاب أخبار الجن . (راجع فهرست ابن النديم ص ٩٤ طبع أوربا) .

قال الوليد بن يزيد لحمّاد الراوية : بِمَ آستحققتَ هذا اللقب فقيل لك الراوية؟ فقال : بأنى أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعتَ به ، ثم أروى لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفْه ولم تسمع به، ثم لا أُنشَد شعرا قديما ولا محدَثا[1] إلا ميّزتُ القديم منه من المحدَث ؛ فقال : إنّ هـذا لعلم وأبيك كثير[2] ! فكم مقدارُ ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثيرا، ولكنى أُنشِدك على كل حرف من حروف المعجم مائةَ قصيدة كبيرة سوى المقطَّعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام ؛ قال : سأمتحنك فى هذا، وأمَره بالإنشاد؛ فأنشد الوليدَ حتى ضَجِر، ثم وكّل به من آستحلفه أن يصدُقه عنه ويستوفىَ عليه؛ فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين، وأخبر الوليدَ بذلك، فأمر له بمائة ألف درهم .

١٦٥
―
٥

ما كان بينه وبين مروان بن أبى حفصة فى حضرة الوليد

أخبرنى يحيى بن علىّ المنجِّم قال حدّثنى أبى قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ عن مَرْوانَ بن أبى حَفْصة، وأخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أبو بكر العامرىّ عن الأَثْرم[3] عن مروان بن أبى حَفْصة قال :

دخلت أنا وطُرَيح بن إسماعيل الثَّقفى والحسين بن مُطَير الأَسَدى فى جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو فى فُرُش قد غاب فيها، وإذا رجل عنده، كلّما أنشد شاعرٌ شعرًا، وقف الوليدَ بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال: هذا أخذه من موضع كذا وكذا، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان، حتى أتى على أكثر الشعر ؛ فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حمّاد الراوية . فلما وقفت بين يدى

---

(١) كذا فى ا، ى، م . وفى سائر الأصول : «شعرا لقديم ولا محدث» . (٢) كذا فى تجريد الأغانى ومختار الأغانى . وفى الأصول : «كبير» (بالباء الموحدة) وهو تصحيف .
(٣) هو أبو الحسن على بن المغيرة صاحب الأصمعى وأبى عبيدة، روى عن جماعة من العلماء ومن فصحاء العرب، وتوفى سنة ثلاثين ومائتين . (راجع فهرست ابن النديم ص ٥٦ طبع أوربا) .

الوليدِ أُنشِده قلت: ما كلام هذا فى مجلس أمير المؤمنين وهو لُحَنة لَحّانة؛ فأقبل الشيخ علىّ وقال : يآبن أخى ، إنى رجل أكلِّم العامة فأتكلم بكلامها ، فهل تروى من أشعار العرب شيئا ؟ فذهب عنّى الشعر كله إلا شعرَ ابن مُقْبِل ؛ فقلت له : نعم، شعرَ ابن مُقبل؛ قال : أَنْشِدْ، فأنشدتُه قوله :

سَلِ الدارَ من جَنْبَىْ حِبِرٍّ فواهبٍ * إذا ما رأى هَضْبَ القَليبِ المُضَيَّحُ(١)

ثم جُزْتُ ؛ فقال لى : قف فوقفت؛ فقال لى : ماذا يقول ؟ فلم أدر ما يقول ! فقال لى حماد : يآبن أخى، أنا أعلم الناس بكلام العرب . يقال : تراءَى الموضعان إذا تقابلا .

سأل الهيثم بن عدىّ عن معنى شعر فعجز

حدّثنى عمّى قال حدّثنى الكُرّانى عن العُمَرى عن الهيثم بن عدىّ قال : قلت لحماد الراوية يوما : أَلْقِ علىّ ما شئت من الشعر أفسِّره لك؛ فضحك وقال لى : ما معنى قولِ ابن مُزَاحِم(٢) الثُّمَالىّ :

تَخَوَّفَ السيرُ منها تامكًا قَرِدًا * كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعةِ السَّفَنُ(٣)؟

---

(١) كذا فى معجم ما استعجم . وحبر (بكسر أوّله وثانيه وبالراء المهملة المشدّدة) : جبل لبنى سليم وكذلك واهب . وهضب القليب : ماء لبنى قنفذ من بنى سليم ، وهناك قتلت بنو قنفذ المقصص العامرى . والمضيح (بضم أوّله وفتح ثانيه وتشديد الياء المثناة المفتوحة بعدها حاء مهملة) : ماء لبنى البكاء . وقد ورد هذا البيت فى الأصول محرّفا هكذا :

سل الدار من خبىّ خيرٍ فذاهب * إذا ما رأى هضب القليب المصبح

(٢) كذا فى مختار الأغانى وهامش لسان العرب (مادة سفن) . وفى جميع الأصول : «مزاحم» . وقد نسب هـذا البيت لذى الرمة كما نسب لابن مقبل ولعبد الله بن عجلان النهدى . (راجع اللسان والصحاح مادتى سفن وخوف) . (٣) التامك : السنام . والقرد : المتلبد الصوف . والسفن : الحديدة التى تبرد بها القسىّ . ورواية هذا البيت فى الصحاح (مادتى سفن وخوف) :

تخوف الرحل منها ... * ... ظهر النبعة السفن

فلم أَدْرِ ما أقول ؛ فقـال : تخوّف : تنقّص . قال الله عز وجل : ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ أى على تنقّص .

قال الهَيْثم : ما رأيت رجلا أعلمَ بكلام العرب من حمّاد .

كذب الفـرزدق فى شعر نسبه لنفسه فأقـــر

حدّثنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنى الكُرّانىّ محمد بن سعد عن النَّضْر بن عمرو عن الوليد بن هشام عن أبيه قال :

أنشدنى الفرزدق وحمادٌ الراوية حاضر :

وكنتَ كذئب السَّوْء لمّا رأى دمًا * بصاحـــبه يومًا أحالَ على الدمِ(١)

فقال له حماد : آنت تقوله؟ قال : نعم؛ قال : ليس الأمر كذلك، هذا لرجل من أهل اليمن ؛ قال : ومن يعلم هذا غيرُك ! أفأردتَ(٢) أن أتركه وقد نَحَلَنيه الناسُ ورَوَوْه لى لأنك تعلمه وحدَك ويجهله الناسُ جميعًا غيرَك ! .

كان هو وأبو عمرو كل منهما يقــدم الآخر على نفسه

حدّثنى(٣) محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنى الفَضْل قال حدّثنى ابن النَّطّاح قال حدّثنى أبو عمرو الشَّيْبانى قال :

ما سألت ابا عمرو بنَ العَلاء قطُّ عن حَمّاد الراوية إلا قدّمه على نفســه ، ولا سألت حَمّادا عن أبى عمرو إلا قدّمه على نفسه .

هو أحد الحمادين الثــلاثة

١٦٦
―
٥

حدّثنا إبراهيم بن أيـ... عن عبد الله بن مسلم، وذكر عبد الله بن مسلم عن الثَّقفىّ عن إبراهيم بن عُمَر [و(٤)] العامرى قالا :

---

(١) أحال على الدم : أقبل عليـه . (٢) فى ب ، سـ : « فأردت » .

(٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « قال حدّثنى » . (٤) زيادة عن م . ولا تستقيم العبارة بغير هذه الزيادة .

كان بالكوفة ثلاثةُ نفر يقـال لهم الحمّادون : حماد عَجْرد، وحماد بن الزِّبْرِقان، وحماد الراوية، ، يتنادمون على الشراب و يتناشدون الأشـعار ويتعاشرون معاشرة جميلة، وكانوا كأنهم نفس واحدة، وكانوا يُرمَوْن بالزندقة جميعا .

كان بخيلا فداعبه مطيع وابن زياد عن سراجه

أخبرنى الحسن بن يحيى المِرْداسىّ (١) قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخل مُطيع بن إياس ويحيى بن زِياد على حماد الراوية، فإذا سِراجه على ثلاث قَصَبات (٢) قد جُمع أعلاهنّ وأسفلهنّ بطين ، فقال له يحيى بن زياد : يا حماد، إنك لَمُسْرِف مبتذِل لحُرّ المتاع؛ فقال له مُطيع : ألا تبيع هذه المنارة وتشترى أقلّ ثمنا منها وتنفق علينا وعلى نفسك البـاقى وتَتّسع به ؟ فقال له يحيى : ما أحسنَ ظنَّك به ! ومن أين له مثلُ هذه ؟ إنمـا هى وديعة أو عارية؛ فقال له مطيع : أمَا إنه لعظيم الأمانة عند الناس ! قال له يحيى : وعلى عظيم أمانته فما أجهل من يُخرِج مثلَ هذه من داره و يأمَن عليهـا غيرَه ! قال مطيع : ما أظنها عاريةً ولا وديعة ولكنى أظنها مرهونة عنـده على مال، وإلا فمن يُخرج هذه من بيته ! فقال لهما حماد : قوما عنى يآبْنَىِ الزانيتين وآخرُجا من منزلى، فشرٌّ منكما من يُدخلكما بيتَه .

كان منقطعا ليزيد لجفاء هشام ولما ولى الخلافة كتب ليوسف بن عمر بارساله ليسأله عن شعر وأكرمه

حدّثنى الحسن بن على قال حدّثنا أحمد بن عُبيد أبو عَصيدة قال حدّثنى محمد ابن عبد الرحمن العَبْدى عن حُميد بن محمد الكُوفى عن إبراهيم بن عبد الرحمن القُرَشى عن محمد بن أَنَس، وأخبرنى الحسين (٣) بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن حمّاد الرواية، وخبر حمّاد بن إسحاق أتمّ واللفظ له .

(١) فى جميع الأصول هنا : « الحسن » ، وقد مر فى أكثر من موضع من الأجزاء السابقة باسم «الحسين» وفى القليل منهـا باسم «الحسن» ولم نوفق إلى تصويبه . (٢) فى حـ : «قضبات» (بالضاد المعجمة) : جمع قضبة وهى القضيب أو القدح من نبع يجعل منه سهم . (٣) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « الحسن » . (راجع الحاشية الأولى من هذه الصفحة) .

قال حماد الراوية : كان انقطاعى إلى يزيد بن عبد الملك، فكان هشام يجفونى لذلك دون سائر أهله من بنى أميــة فى أيام يزيد، فلما مات يزيد وأفضت الخلافةُ إلى هشام خِفْتُه، فكثت فى بيتى سنةً لا أخرج إلا لمن أثق به من إخوانى سراً ؛ فلما لم أسمع أحدا يذكرنى ســنةً أَمِنتُ فخرجت فصلّيت الجمعة، ثم جلست عنــد باب الفيل فإذا شُرَطيّان[(٢)] قد وقفا علىّ فقالا لى : ياحَمّاد، أجب الأمير يوسف ابن عمر؛ فقلت فى نفسى : مِنْ هذا كنت أحذَر، ثم قلت للشُّرَطيَّيْنِ : هل لكما أن تَدَعانى آتى أهلى فأودّعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبدا ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا : ما إلى ذلك من سبيل . فأستسلمتُ فى أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو فى الإيوان[(٣)] الأحمر ، فسلّمت عليه فردّ علىّ السلامَ، ورمى إلىّ كتاباً فيه : "بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشــام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أما بعــد ، فإذا قرأتَ كتابى هــذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غيرَ مُرَوَّع ولا مُتعَتع، وادفع إليــه خمسمائة دينــار وجملا مَهْريا[(٤)] يسير عليه اثنتى عشرة ليــلةً إلى دمشق" . فأخذتُ الخمسمائة الدينار ، ونظرت فإذا جمل مَرْحول، فوضعت

(٢) يستبعد أن تكون هــذه القصة مع يوســف بن عمر الثقفى لأنه لم يكن واليا بالعراق فى التاريخ المذكور بل كان متوليه إذ ذاك خالد بن عبد الله القسرى . لأن هشاما تولى الخلافة لليال بقين من شعبان سنة ١٠٥ هـ . والخبر صريح فى أن هذه الحادثة وقعت بعد عام من تولى هشام الخلافة وكان الوالى على العراق حينذاك القسرى لا الثقــفى ، لأن هشاما عزل عمر بن هبيرة عن العــراق وولى مكانه خالدا فى شوّال ســنة ١٠٥ هـ، وبقى خالد واليا عليه حتى سنة ١٢٠ هـ وهى السنة التى عزله فيها عنه هشام وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفى . (راجع ابن خلكان — فى ترجمتى حماد وخالد — والطبرى ق ٢ ص ١٤٦٦) .

(٣) الإيوان : الصفة العظيمة كالأزج وهو البيت يبنى طولا .

(٤) المهرية من الإبل : نسبة إلى مهرة بن حيدان وهو حى من قضاعة من عرب اليمن ، وهى نجائب تسبق الخيل ، وقيل : إنها لا يعدل بها شىء فى سرعة جريانها ، ومن غريب ما ينسب إليها أنها تفهم مايراد منها بأقل أدب تعلمه ، ولها أسماء إذا دعيت بها أجابت سريعــا .

رجلى فى الغَرْز[١] وسرتُ اثنتى عشرةَ ليلةً حتى وافيتُ بابَ هشام، فاستأذنتُ فأُذن لى، فدخلت عليه فى دارٍ قَوْراء[٢] مفروشة بالرُّخام، وهو فى مجلس مفروش بالرخام، وبين كل رخامتين قضيبُ ذهبٍ، وحيطانه كذلك، وهشام جالس على طِنْفِسَةٍ حمراءَ وعليه ثياب خَزّ حُمْر وقد تضمَّخ بالمسك والعنبر، وبين يديه مسك مفتوت فى أوانى ذهب يقلّبه بيده فتفوح روائحه، فسلّمت فردّ علىّ، واستدنانى فدنوت حتى قبّلت ١٦٧/٥
رجلَه، وإذا جاريتان لم أَرَ قبلهما مثلَهما، فى أُذُنَىْ كلّ واحدة منهما حَلْقتان من ذهب فيهما لؤلؤتان تتوقّدان، فقال لى: كيف أنت ياحماد وكيف حالك؟ فقلت بخير ياأمير المؤمنين؛ قال: أتدرى فيمَ بعثتُ إليك؟ قلت: لا؛ قال: بعثت إليك لبيتٍ خطر ببالى لم أدر مَنْ قاله؛ قلت: وما هو؟ فقال:

فدعَوْا بالصَّبُوح يوماً فجاءت * قَيْنَةٌ فى يمينها إبريقُ

قلت: هذا يقوله عَدِىّ بن زيد فى قصيدة له؛ قال: فأنشِدْنيها، فأنشدتُه:

بكَر العاذلون فى وَضَح الصبـ * ـح يقولون لى ألاَ تستفيقُ
ويلومون فيك يابنةَ عبد الله والقلب عندكم مَوْهوق[٣]
لستُ أدرى إذ أكثروا العذلَ عندى * أعدوٌّ يلومنى أو صديق
زانها حسنُها وفَرْعٌ عَمِيم * وأَثِيثٌ صَلْتُ الجبين أنيق[٤]
وثنايا مُفَلَّجات عِذاب * لا قِصارٌ تُرى ولا هُنّ رُوق[٥]
فدعَوْا بالصَّبُوح يوما فجاءت * قَيْنةٌ فى يمينها إبريق

(١) الغرز: ركاب الرحل من جلد، فاذا كان من خشب أو من حديد فهو ركاب. (٢) قوراء: واسعة. (٣) الموهوق: المشدود بالوهق، وهو الحبل المغار يرمى فيه أنشوطة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان. (٤) الفرع: الشعر. والأثيث: الكثير، يطلق على الشعر وعلى البدن الممتلىء اللحم، وهو المراد هنا. والصلت: الواضح. (٥) روق: طوال.

قــدّمتْه على عُقَــار كعين الـ * ـدّيـك صَــفّى سُلافَهــا الرّاووقُ (١)
مُرّة قبــل مزجِهــا فإذا ما * مُزجت لذّ طعمَها من يذوق
وطفَت فوقهــا فقاقيــعُ كالد * رّ صِــغار يُثـيرها التّصْــفيق
ثم كان المِــزاج ماءَ سمـاء * غــيرَ ما آجنٍ ولا مَطْــروق

قال : فطرب ، ثم قال : أحسنت والله يا حمّاد، ياجاريةُ اسقيه، فسقتنى شَرْبة ذهبت بثلث عقلى . وقال : أَعِد ، فأعدت ، فآستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه ، ثم قال للجـاريةِ الأخرى : اسـقيه، فسقتنى شربة ذهبت بثلث عقلى . فقلت : إن سقتنى الثالثـةَ آفتضحت ، فقـال : سَلْ حوائجَك، فقلت : كائنةً ما كانت؟ قال : نعم؛ قلت : إحدى الجاريتين؛ فقال لى : هما جميعا لك بما عليهما وما لهما ، ثم قال للأولى : اسقيه ، فسقتْنى شَرْبةً سقطتُ معها، فلم أعقِل حتى أصبحتُ فإذا بالجاريتين عند رأسى، وإذا عِدّة من الخدم مع كل واحد منهم بَدْرة، فقال لى أحدهم : أميرُ المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : خذ هذه فآنتفع بها، فأخذتُها والجاريتين وآنصرفت . هذا لفظ حمّاد عن أبيه . ولم يقل أحمد بن عُبيد فى خبره أنه سـقاه شيئا ، ولكنّه ذكر أنه طرِب لإنشاده ، ووهب له الجاريتين لمّـا طلب إحداهما، وأنزله فى دار، ثم نقـله من غدٍ إلى منزل أعدّه له ، فآنتقل إليــه فوجد فيــه الجاريتين وما لَهما وكلَّ ما يحتـاج إليه ، وأنه أقام عنـده مدّة فوصل إليــه مائةُ ألف درهم ، وهــذا هو الصحيح ؛ لأن هشاماً لم يكن يشرب ولا يسقى أحد بحضرته مسكرا، وكان يُنكر ذلك ويَعيبه ويعاقب عليه .

---

(١) الراووق : المصفاة وناجود الشراب الذى يروق فيه . والناجود : الوعاء .

فى أبيات عدىّ المذكورة فى هذا الخبر غناءٌ، نِسْبته :

صــــوت

بكَر العاذلون فى وَضَح الصبـ * ـح يقولون ماله لا يُفيــقُ

١٦٨/٥ ويلومون فيــك يابنةَ عبـد الله والقلبُ عنـدكم مَوْهــوق

ثم نادَوْا إلى الصَّبُوح فقامت * قَيْــنة فى يمينهـا إبريــق

قدّمتْــه على عُقار كعين الدِّيك صفّى سُلافَهـا الراووق

فى البيتين الأوّلين لحن من الثقيل الأوّل مختلَفٌ فى صانعه، نَسَبه يحيى بن المكىّ إلى معبد، ونسبه الهشامىّ إلى حُنين . وفى الثالث وهو "ثم نادوا" والرابع لعبد الله ابن العباس الرَّبيعىّ رَمَلٌ، وفيهما خفيفُ رَمَلٍ يُنسب إلى مالك وخفيف ثقيـل، ذكر[(١)] حَبَش أنه لحُنَين .

أجازه يوسف ابن عمر بأمر الوليد وأرسله إليه مكرما

أخبرنى[(٢)] محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الأصمعىّ قال :

قال حماد الراوية : كتب الوليدُ بن يزيد وهو خليفة إلى يوسف بن عمر: آحمِلْ إلىّ حمادًا الراوية على ما أحَبّ من دوابّ البريد، وأعطِه عشرة آلاف درهم مَعُونة له ؛ فلما أتاه الكتاب وأنا عنده نبذه إلىّ، فقلتُ : السمع والطاعة ، فقال : يادُكَين بن شَجَرة، أعطه عشرة آلاف درهم، فأخذتُها . فلما كان اليوم الذى أردت الخروج فيه أتيت يوسف مودّعا، فقال : ياحماد ، أنا بالموضع الذى قد عرفتَ من أمير المؤمنين، ولستُ مستغنيًا عن ثنائك، فقلت : أصلح الله الأمير :

(١) فى جميع الأصول : «وذكر» ولا تستقيم العبارة بزيادة الواو .

(٢) وردت هذه القصة فى أخبار ابن عائشة فى الجزء الثانى من هذه الطبعة مع اختلاف يسير .

"إنّ العوانَ لا تعلَّم الخِمْرة"[1] . فخرجتُ حتى أتيتُ الوليــد بن يزيد وهو بالبَخْراء[2] ، فاستأذنتُ فأذن لى، فإذا هو على سرير مُمهَّد وعليه ثوبان: إزار ورداء يقيئان الزعفران قيئًا، وإذا عنــده معبَد ومالكٌ وأبو كامل مولاه، فـتركنى حتى سكن جأشى ، ثم قال : أنشِدْنى :

* أَمِنَ المنونِ ورَيْبِها تتوجَّعُ *

فأنشدتُه إيّاها حتى أتيتُ على آخرها . فقال لساقيه : اسقه ياسَبْرة أكؤسا، فسقانى ثلاث أكؤس خدّرتْ ما بين الذؤابة والنعل . ثم قال : يامعبد غنّنى :

ألا هل جاءكَ الأظعا * نُ إذ جاوزن مُطّلَحا[3]

فغنّاه . ثم قال : غنّنى :

أتنسى[3] إذ تودّعنا سُلَيمى * بفرع بَشامةٍ، سُقِىَ البَشامُ[5]

فغنّى . ثم قال : غنّنى :

جلَا أُميّــــة عنّـا كلَّ مَظْلِمة * سهلُ الحجابِ وأوْفَى بالذى وَعَدا

---

(١) العوان : النصف فى سنها . والخمرة : من الاختمار اسم هيئة . وهذا مثل يضرب للرجل المجرب الذى لا يحتاج إلى أن يعلم كيف يفعل .   (٢) كذا فى أكثر الأصول . وهى ماءة منتنة على ميلين من القليعة فى طرف الحجاز . وفى سائر الأصول : « النجراء » (بنون بعدها جيم) وهو تصحيف .

(٣) قال ياقوت فى معجمه فى الكلام على مطلح : «هو موضع فى قوله :

* وقد جاوزن مطلحا * »

ولم يتعرض له بأكثر من هــذا ولم نجده فى غيره من المظان .   (٤) ورد صدر هــذا البيت فى اللسان مادة «بشم» هكذا :

* أتذكر يوم تصقل عارضيها *

وصدر هذا البيت فى التهذيب :

* أتذكر إذ تودعنا سليمى *

(٥) البشام : شجر طيب الريح والطعم يستاك به . يعنى بالبيت أنها أشارت بسواكها فكان ذلك وداعها ولم تتكلم خيفة الرقباء .

فغنّاه . ثم قال : اسقنى ياغلام بزُبّ فرعون ، فأتاه بقدح معوَجٍّ فيه طول فسقاه به عشرين قدحا . ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، الرجلُ الذى طلبتَ بالباب[1]؛ فقال : أدخله ، فدخل غلام شابٌّ لم أر أحسن منه وجها فى رجله فَدَع[2]، فقال : ياسَبْرة اسقه كأسا، فسقاه، ثم قال له : غنّى :

وهْى إذ ذاك عليها مئزر * ولها بيتُ جَوَارٍ من لُعَبْ

فغنّاه، فنبذ إليه أحد ثوبيه، ثم قال : غنّى :

طَرَق الخيالُ فمرحَبًا * ألفًا برؤية زينبَا

فغضب معبد وقال : يا أمير المؤمنين، إنا مُقْبلون إليك بأقدارنا وأسناننا، وإنك تتركنا بمزجر الكلب وأقبلتَ على هذا الصبى ؛ فقال : والله يا أبا عبّاد ما جهلت قدرَك ولا سِنّك، ولكن هذا الغلام طرحنى على مثل الطّياجن[3] من حرارة غنائه . فسألتُ عن الغلام؟ فإذا هو ابن عائشة . ١٦٩/٥

كان فى حانة فطلبه المنصور فجاءه وأنشده من شعر عفان بن همام

حدّثنى الحسن بن محمد المادَرَانىّ الكاتب قال حدّثنى الرياشىّ عن العُتْبىّ، وأخبرنى به هاشم بن محمد عن الرياشى — وليس خبره بتمام هذا — قال :

طلب المنصور حمّادًا الراوية ، فطُلب ببغداد فلم يوجد ، وسئل عنه إخوانه فعرفوا من سألهم عنه أنه بالبصرة ، فوجّهوا إليه برسول يُشخِصُه . قال الرسول : فوجدته فى حانة وهو عُريان يشرب نبيذًا من إجّانة[4] وعلى سوأته رأس دَسْتجة[5]، فقلت : أجب أمير المؤمنين . فما رأيتُ رسالةً أرفع ولا حالة أوضع من

(١) فى ب ، س : «لم أر ... وجها من رجل فى رجله ...الخ» ولايستقيم الكلام بهذه الزيادة .
(٢) الفدع : عوج وميل فى المفاصل كلها خلقة أو داء . (٣) كذا فى أكثر الأصول . والطياجن : الطوابق يقلى عليها . وفى ب ، سه : «الطناجير» وهو تحريف . (٤) الإجانة : آنية تغسل فيها الثياب . (٥) كذا فى أ ، ء . والدستجة : الإناء الكبير من الزجاج معرب : «دستة» وفى حـ ، م : «دسيتجة» (بالتصغير) . وفى ب ، سـ : «دستيبجة» ولعلها محرفة عما فى حـ ، م .

تلك . فأجاب، فأشخصتُه إليه . فلما مَثَل بين يديه، قال له : أنشدنى شعرَ هِفّان ابن هَمّام بن نَضْلة يرثى أباه؛ فأنشده :

خليــلىّ عُوجَا إنهــا حاجةٌ لنــا * على قبر هَمّــامٍ سقتْــه الرواعــدُ
على قبر مَنْ يُرجى نداه ويُبتغى * جَداه إذا لم يَحمَد الأرضَ رائد
كريم النَّثا (١) حلو الشمائل بينــه * وبين المــزجَّى (٢) نَفنفٌ متباعد
إذا نازع القــومَ الأحاديثَ لم يكن * عَيِيًّا ولا ثِقْــلًا على من يقاعد
صبورٌ على العِــلّات يُصبح بطنُه * خَميصــا وآتيــه على الزاد حامد
وضعنا الفتى كلَّ الفتى فى حَفِــيرة * بُحـرِّين (٣) قد راحتْ عليــه العوائد
صريعا كنصل السيف تضرِبُ حوله * ترائبَهنّ (٤) المُعْــوِلاتُ الفــواقد

قال : فبــكى أبو جعفر حتى أخضَــل لحيتَه، ثم قال : هكذا كان أخى أبو العباس رضى الله عنه .

ذكره ابن إياس لابن الكردية فطلبه واستنشده فأنشده شعرا أغضبه فضربه

أخبرنى الحسين (٥) بن يحيى المِرْداسىّ قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان جعفر بنُ أبى جعفر المنصور المعروف بآبن الكُرْديّة يَستخفّ مُطيع بن إياس ويحبه، وكان منقطعا إليــه وله معه منزلة حسنة ، فذكَر له حمادا الراوية ،

---

(١) النثا (بالتحريك والقصر) : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سىء . وفى الأصول : «النثـا» .
(٢) المزجى : الضعيف . وسمى مزجى لتأخره وحاجتهم إلى تزجيته واستحثاثه فيما يعــن . والنفنف : المهواة بين الجبلين .
(٣) كذا فى ب ، حـ . وحرين (بالضم ثم الكسر والتشديد وآخره نون) : بلد قرب آمد . وفى سائر الأصول : «بجومين» ولم نجد بلدا بهذا الاسم فى المظان التى بين أيدينا .
(٤) الترائب : عظام الصدر، واحدها تريبة . والفواقد : من فقدن أزواجهن أو أولادهن .
(٥) فى جميع الأصول هنا : «الحسين» ويلاحظ أن هذا الاسم ورد مضطربا فيما مر من الكتاب بين : «الحسن» و «الحسين» ولم نوفق إلى مرجع نرجح به إحدى الروايتين .

وكان صديقه، وكان مطَّرَحًا جفوْا فى أيامهم ، فقال : ائتنا به لنراه . فأتى مطيع حمّادًا فأخبره بذلك وأمره بالمَسير معه إليه ؛ فقال له حماد : دعنى فإن دولتى كانت مع بنى أمية ومالى عند هؤلاء خير ، فأبى مطيعٌ إلّا الذهابَ إليه ، فآستعار حماد سَوَادا وسيفا ثم أتاه ، ثم مضى به مطيعٌ إلى جعفر . فلما دخل عليه سلّم عليه سلاما حسنا وأثنى عليه وذكر فضله ؛ فردّ عليه وأمره بالجلوس فجلس . فقال جعفر : أَنشِدْنى ؛ فقال : لمن أيها الأمير ؟ ألشاعرٍ بعينه أم لمن حَضَر؟ قال : بل أنشدنى لجَرير . قال حمّاد : فسُلِخ والله شعر جرير كلُّه من قلبى إلا قولَه :

بانَ الخليطُ برامتَيْن[1] فودّعوا * أوَ كلّما اعتزموا[2] لبَيْنٍ تجزَعُ

فاندفعتُ فأنشدتُه إياه، حتى آنتهيتُ إلى قوله :

وتقول بَوْزَعُ قد دبَبْتَ على العصا * هلّا هَزِئتِ بغيرنا يابَوْزَعُ

قال حماد : فقال لى جعفر : أَعِد هذا البيت ، فأعدته ؛ فقال : بوْزع ، أىُّ شىء هو؟ فقلت : اسم آمرأة ؛ فقال : أَمرأة آسمها بوْزع ! هو برىء من الله ورسوله ونفِىّ من العباس بن عبد المطلب إن كانت بَوْزع إلا غُولا من الغِيلان ! تركتَنى والله يا هذا لا أنام الليلةَ من فزع بَوْزع ؛ يا غلمان ! قفَاه ؛ فصُفِعتُ والله حتى لم أدرِ أين أنا ؛ ثم قال : جُرُّوا برجله : فجَرُّوا برجلى حتى أُخرجت من بين يديه ١٧٠/٥ مسحوبًا ، فتخرّق السواد وآنكسر جفن السيف ولقيتُ شرًّا عظيما مما جرى علىّ ؛ وكان أغلظَ من ذلك كلّه وأشدّ بلاءً إغرامى ثمنَ السَّواد وجفنِ السيف ؛ فلما

---

(١) رامتين : تثنية رامة ، وكثير من أسماء المواضع يأتى فى الشعر مفردا ومثنى ومجموعا حسب الضرورة الشعرية . ورامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة فى طريق البصرة إلى مكة ومنه إلى إمرة . وهى آخر بلاد بنى تميم ، وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة ، وقيل هى هضبة أو جبل لبنى دارم .

(٢) فى النقائض (ص ٩٦١ طبع أوربا) : « وضعوا » . ووضع القوم : أضعفوا فى البلاد .

انصرفت أتانى مُطيع يتوجّع لى ؛ فقلت له : ألم أخبرك أنى لا أصيب منهم خيراً وأنّ حظّى قد مضى مع بنى أمية ! .

حديثه مع مأبون

حدّثنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال :

بلغنى أن رجلا تحدّث فى مجلس حماد الراوية فقال : بلغنى أن المأبون له رحم كرحم المرأة — قال : وكان الرجل يُرمَى بهذا الداء — فقال حماد لغلامه : اكتب هذا الخبرَ عن الشيخ، فإن خير العلم ما حُمل عن أهله .

كتب إلى بعض الأشراف شعرا يسأله جبة فأرسلها إليه

قال : وكتب حماد الراوية إلى بعض الأشراف الرؤساء قال :

إن لى حاجةً فرأيَك فيها * لك نفسى فِدًى من الأوصابِ
وهى ليست مما يبلِّغها غيـ[1] * ـرى ولا يستطيعها فى كتاب
غيرَ أنى أقولها حين ألقا * ك رُوَيْدًا أُسِرُّها فى حِجاب

فكتب إليه الرجل : اكتب إلىّ بحاجتك ولا تُشهِرنى بشعرك ؛ فكتب إليه حماد :

إننى عاشق لجُبّتك الدّكـ * ـناءِ عشقاً قد حال دون الشرابِ
فاكسُنيها فدتْك نفسى وأهلى * أتباهَى بها على الأصحاب
ولك الله والأمانة أن أجـ * ـعلها عمرَها أميرَ ثيابى

فبعث إليه بها . وقد رُويتْ هذه القصة لمُطيع بن إياس .

هو والخزيمى وغلام أمرد

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنى أبو يعقوب الخُزَيمىّ[2] قال :

---

(١) كذا فى مختار الأغانى وتجريد الأغانى . وفى الأصول : «يبلغه» . (٢) الخزيمى : هو إسحاق بن حسان ، ويكنى أبا يعقوب . وقد ورد فى الشعر والشعراء باسم الخريمى (بالراء) . والظاهر أن هذه الرواية أصح لأنه كان مولى ابن خريم الذى يقال لأبيه : خريم الناعم وهو خريم بن عمرو من بنى مرة (راجع الشعر والشعراء ص ٥٤٢ طبع ليدن والكامل للمبرد ص ٣٢٨ طبع أوربا) .

كنت فى مجلس فيه حماد عَجْرَد وحماد الراوية ومعنا غلام أمرد، فنظر إليه حماد الراوية نظرا شديدا وقال لى : يا أبا يعقوب، قد عزمت الليلةَ على أن أَدِبّ على هذا الغلام؛ فقلت: شأنَك به. ثم نِمْنا، فلم أشعُر بشىء إلا وحماد ينيكنى، وإذا أنا قد غَلِطت ونِمْت فى موضع الغلام، فكرهت أن أتكلّم فيتنبّه الناس فأفتضحَ وأُبطلَ عليه ما أراد، فأخذت بيده فوضعتها على عينى العوراء ليعرفَنى؛ فقال : قد عرفتُ الآن، فيكون ماذا ! وفديناه بذِبح عظيم . قال : وما بَرِح (١) علم الله وأنا أعالجه جهدى فلا ينفعنى حتى أنزل .

أهدى إلى صديق له غلاما

قال إسحاق :

وأهدى حماد إلى صديق له غلامًا وكتب إليه : قد بعثت إليك غلاما تتعلّمُ عليه كَظْم الغيظ .

استهدى نبيذا من صديق له فأجابه

قال :

واستهدى من صديق له نبيذًا فأهدى إليه دُسَيتِجة نبيذ . فكتب إليه : لو عرفتَ فى العدد أقلَّ من واحد، وفى الألوان شرًّا من السواد، لأهديتَه إلىّ .

رد على مغنية أخطأت فى شعر

قال :

وسمع مغنية تغنى :

* عاد قلبى من الطويلة عاد *

فقال : وثمود، فإن الله عز وجل لم يفرق بينهما . والشعر :

* عاد قلبى من الطويلة عيد (٢) *

---

(١) فى جميع الأصول : «قال : وما علم الله برح ... الخ» وهو خطأ يحتمل أن يكون من الناسخ، إذ لا يصح الفصل بين ما النافية والأفعال الناقصة ؛ لأن ما لما لزمت هذه الأفعال وصارت معها بمعنى الإثبات صارت بجزئها .

(٢) هذا الشعر للفضل . وأراد بالطويلة روضة بالصمان عرضها ميل فى طول ثلاثة أميال . والعيد : ما يعتاد من نوب وشوق وهم .

أنشده رجل شعرا فأنكره عليه وقال اهجني فهجاه

أخبرني أبو الحسن الأسَدي قال حدّثنا الرِّياشي قال حدّثني أبو عثمان اللاحِق، وأخبرني به محمد بن مَزْيَد عن حماد عن أبيه عن محمد بن سَلّام عن بِشر بن المفضّل ابن لاحِق قال :

جاء رجل إلى حَمّاد الراوية فأنشده شعرا وقال : أنا قلته ؛ فقال له أنت لا تقول مثل هذا، هذا ليس لك، وإن كنتَ صادقا فاهْجُني . فذهب ثم عاد إليه فقال له : قد قلت فيك :

١٧١ / ٥

سيعلم حَمّاد إذا ما هجوتُه * أأنتحل الأشعار أم أنا شاعرُ
ألم تر حمّاداً تقدّم بطنُه * وأُخّر عنه ما تُجِنّ المآزر
فليس براءٍ خُصْيتَيْه ولو جَثَا * لرُكبته، ما دام للزيت عاصر
فياليته أمْسى قعيدةَ بيته * له بعلُ صدقٍ كَوْمه(1) متواتر
لحمّاد نعم العِرْسُ للرء يبتغي النـ * كاح وبئس المرء فيمن يفاخر

فقال حماد : حسبُنا، عافاك الله، هذا المقدارُ وحسبُك! قد علمنا أنك شاعر وأنك قائل الشعر الأول وأجودَ منه ، وأُحب أن تكتم هذا الشعر ولا تذيعَه فتفضَحَني؛ فقال له : قد كنتَ غنياً عن هذا . وانصرف الرجل وجعل حماد يقول: أسمعتم أعجب ممّا جرَرْتُ على نفسي من البلاء ! .

عاب شعرا لأبي الغول فهجاه

حدّثني الأَسَدي أبو الحَسَن قال حدّثنا الرِّيَاشي قال حدّثنا أبو عبد الله الفَهْمي قال :

عاب حَمّاد الراوية شعرًا لأبي الغُول(2) فقال يهجوه :

(1) الكوم : النكاح . (2) نسبت هذه الأبيات لحماد بن الزبرقان كما نسبت لبشار بن برد يهجو بها حماد عجرد (راجع الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ١٤٢ طبع الساسي . وابن خلكان في ترجمة حماد عجرد) .

نعم الفتى لو كان يعرف ربَّه * ويُقيم وقتَ صلاته حمّادُ
هَدَلتْ مشافرَه الدِّنان فأنفُه * مثل القَدوم يَسُنّها الحدّاد
وأبيض من شرب المدامة وجهه * فبياضه يوم الحساب سواد
لا يُعجبنّك بَزُّه وثيابُه * إن اليهود تُرَى لها أجْلاد[1]
حمّاد يا ضَبُعًا تَجُرّ جِعَارَها[2] * أَخْنَى[3] لها بالقريتين جراد
سبعا يلاعبها ابنها وبناتها[4] * ولها من الخرق الكبار وساد

قال معنى قوله :

* أخنى لها بالقريتين جرادُ *

هو مثل قول العرب للضَّبُع : خامِرِى[5] أُمَّ عامر، أَبْشِرِى بجرادٍ عِظَال[6] وكَمَرِ رجال ؛ فإن الضبع تجئ إلى القتيل وقد آستلق على قفاه، وآنتفخ غُرْمُوله فكان كالمُنعِظ، فتحْتكّ به وتَحيض من الشهوة، فَيَثِب عليها الذئب حينئذ فتلد منه السِّمْع، وهو دابة، لا يولد له مثل البغل . وفى مثل هذا المعنى يقول الشَّنفَرى[7] الأَزْدِى .

(١) أجلاد الإنسان : جماعة شخصه أو جسمه وبدنه ؛ يقال فلان عظيم الأجلاد إذا كان ضخما قوى الأعضاء والجسم . (٢) الجعار : جمع جعر (بفتح فسكون)، والجعر : نجو كل ذات مخلب من السباع . وجعار (كقطام) : اسم للضبع لكثرة جعرها . (٣) كذا فى ب ، سـ . وأخنى الجراد : كثر بيضه . وقد وردت هذه الكلمة فى سائر الأصول محرفة . (٤) كذا ورد هذا البيت فى جميع الأصول وهو غير ظاهر المعنى . (٥) خامرى : استترى . وأم عامر : الضبع، وهى كما زعموا من أحمق الدواب لأنهم إذا أرادوا صيدها رموا فى جحرها بحجر فتحسبه شيئا تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك . و يقال لها : أبشرى بجراد عظال وكمر رجال، فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها رجل فير بط يديها و رجليها ثم يجرها . يضرب هذا المثل لمن يرتاع من كل شىء جبنا وقيل هو مثل لمن عرف الدنيا ثم يسكن إليها مع ما علم من عادتها كما تغتر الضبع بقول القائل : خامرى أم عامر . (٦) الجراد العظال : الذى ركب بعضه بعضا كثرة . (٧) فى نسبة القصيدة التى منها هذا البيت للشنفرى خلاف، فقيل إنها لتأبط شرا، وقيل لابن أخته، كما رجح أن تكون لخلف الأحمر (راجع شرح أشعار الحماسة للتبريزى ص ٣٨٢ طبع أوربا) .

تضحك الضَّبعُ لقتلَى هُذَيلٍ * وترى الذئبَ لها يَستَهِلُّ (١)

تضحك : تحيض (٢) .

كان لصا ثم تاب وطلب الأدب والشعر

وقال ابن النطَّاح :

كان حَمّاد الراوية فى أوّل أمره يتشطّر و يصحَب الصعاليكَ واللصوص، فنقَب ليلةً على رجل فأخذ مالَه وكان فيه جزءٌ من شِعْر الأنصار، فقرأه حماد فآستحلاه وتحفّظه، ثم طلب الأدبَ والشعر وأيامَ الناس ولغاتِ العرب بعد ذلك، وترك ما كان عليه فبلغ فى العلم ما بلغ .

استنشده المهدى أحسن أبيات فى السكر ثم أجازه

حدّثنا محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى الفضل عن أبيه عن جدّه عن حَمّاد الراوية قال :

دخلت على المهدىّ فقال : أنشِدْنى أحسنَ أبيات قيلت فى السُّكْر، ولك عشرة آلاف درهم وخِلعتان من كُسْوة الشتاء والصيف (٣) ؛ فأنشدتُه قولَ الأخطل (٤) :

---

(١) يستهل : يصيح ويستغوى الذئاب . واستهل الصبى بالبكاء : رفع صوته وصاح عند الولادة وكل شىء ارتفع صوته فقد استهل . (٢) قال التبريزى فى شرح الحماسة فى التعليق على هذا البيت : «قول من قال تضحك بمعنى تحيض ليس بشىء» . وفى لسان العرب مادة ضحك فى الكلام على هذا البيت : «قال أبو العباس : تضحك هاهنا : تكشر وذلك أن الذئب ينازعها على القتيل فتكشر فى وجهه وعيدا فيتركها مع لحم القتيل و يمر... وقال ابن الأعرابى : أى أن الضبع إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماءهم طمثت ؛ وكان ابن دريد يردّ هذا ويقول : من شاهد الضباع عند حيضها فيعلم أنها تحيض ، و إنما أراد الشاعر أنها تكشر لأكل اللحوم ، وقيل معناه أنها تستبشر بالقتلى إذا أكلتهم فيهر بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكا ، وقيل أراد أنها تسرّهم فجعل السرور ضحكا لأن الضحك إنما يكون منه» . اه ببعض تصرف . (٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : «وخلعتان وكسوة ... الخ» . (٤) لم نجد هذه الأبيات بين شعر الأخطل المجموع فى دواوينه الثلاثة التى نشر الأوّل منها المرحوم الدكتور أوجينوس غرفينى الميلانى الإيطالى مدير مكتبة جلالة ملك مصر سابقا (وهو محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٢٣ أدب) ونشر الثانى والثالث منها الأب أنطون صالحانى اليسوعى (وهما محفوظان بدار الكتب المصرية تحت رقمى : ٣٩٣٧ ، ١١٠٢ أدب) . وجميعها طبع بيروت .

تَرَى الزُّجاجَ ولم يُطْمَثْ(١) يُطيفُ به * كأنه من دم الأجواف مُخْتَضِبُ
حتى إذا افتَضَّ ماءُ المُزن عُذرتَها * راحَ الزجاجُ وفى ألـوانه صَهَبُ
١٧٢/٥ تَنْزو إذا شجّها بالمـاء مازجُهـا * نَزْوَ الجنـادب فى رَمْضـاءَ تلتهب(٢)
راحوا وهم يحسَبون الأرض فى فُلُك * إن صُرِّعوا وقتَ الراحاتُ والرُّكَب

فقال لى : أحسنتَ وأمر لى بمـا شَرَطه و وعدنى به فأخذتُه .

مدح بلال بن أبى بردة فأنكر ذو الرمة أنه شعره

حدّثنى اليَزيدىّ قال حدّثنى عمى عبيدُ الله قال حدّثنى سليمان بن أبى شيخ قال حدّثنى صالح بن سليمان قال :

قدم حَمّاد الراوية على بلال بن أبى بُرْدة البصرةَ، وعند بلال ذو الرُّمّة، فأنشده حمادٌ شعرًا مدحه به؛ فقال بلال لذى الرُّمّة : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيّدًا وليس له؛ قال : فمن يقوله ؟ قال : لا أدرى إلا أنه لم يقـله ؛ فلمـا قضى بلالٌ حوائجَ حماد وأجازه ، قال له : إن لى إليـكَ حاجةً ؛ قال : هى مقضيةٌ ؛ قال : أنت قلت ذلك الشعرَ؟ قال : لا؛ قال: فمن يقوله؟ قال : بعضُ شعراء الجاهلية، وهو شعر قديم وما يرويه غيرى؛ قال : فمن أين علم ذو الرمة أنه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام .

أنشد بلالا شعرا فى مدح أبى موسى نسبه للحطيئة

قال صالح :

وأنشد حَمّاد الراوية بلالَ بن أبى بُرْدة ذاتَ يوم قصيدةً قالهـا ونحلها الحطيئةَ يمدح أبا موسى الأشعرى يقول فيها :

---

(١) الطمث : المس . قال تعـالى : « لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان » . يريد أنه لم يفترع ولم يمسه إنسان . (٢) تنزو : تثب وذلك إذا مزجت . وشجها : مزجها . والجنادب : ضرب من الجراد . والرمضاء : الأرض الحارة الحامية من شدة حر الشمس .

جَمَعْتَ[1] من عامرٍ فيها ومن جُشَمٍ * ومن تَمِيمٍ ومن حَاءٍ ومن حامِ
مُسْتَحقِبات رواياها جحافَلَها * يسمو بها أشْعَرِيٌّ طَرْفُه سامى

فقال له بلال : قد علمتُ أن هذا شيء قلتَه أنت ونسبتَه إلى الحطيئة، وإلا فهل كان يجوز أن يمدح الحطيئةُ أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه! ولكن دَعْها تذهب فى الناس وسيِّرها حتى تشتهرَ، ووصَله .

يرى المفضل الضبي أنه أفسد شعر العرب بخليطه ونحله شعره للقدماء

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال سمعت أحمد بن الحارث الخَرّاز يقول سمعت ابن الأعرابى يقول سمعت المفضَّل الضَّبِّى يقول :

قد سُلِّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا . فقيل له : وكيف ذلك؟ أيخطئ فى روايته أم يلحن؟ قال : ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردّون من أخطأ إلى الصواب ، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها، ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يُشَبِّه به مذهبَ رجل ويُدخله فى شعره، ويُحمَل ذلك عنه فى الآفاق، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك ! .

اجتمع مع المفضل الضبي عند المهدى فأجازه لجودة شعره وأبطل روايته

أخبرنى رِضوان بن أحمد الصَّيْدلانى قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثنى أبو إسحاق إبراهيم بن المهدى قال حدّثنى السَّعِيدى الراوية وأبو إياد المؤدِّب — وكان مؤدِّبى ثم أدّب المعتصمَ بعد ذلك وقد تعالت سِنُّه — وحدّثنى بنحوٍ من ذلك عبد الله بن مالك وسَعيد بن سَلْم وحدّثنى به ابن غَزَالة[2] أيضا وآتفقوا عليه :

(١) تقدّم شرح هذين البيتين فى الجزء الثانى من هذه الطبعة (فى الحواشى ٤ ، ٥ ، ٦ ص ١٧٥ والحواشى ١ ، ٢ ، ٣ ص ١٧٦) .

(٢) كذا فى حـ . ولعله سعيد بن سلم الباهلى أبو عمرو وقد كان معاصرا لعبد الله بن مالك الخزاعى . وفى ب ، س : «سعيد بن مسلم» . وفى سائر الأصول : «سعيد بن سليم» .

أنهم كانوا فى دار أمير المؤمنين المهدى بعيساباذ(١)، وقد اجتمع فيها عدّةٌ من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب، فدعا بالمفضّل الضّبّى الراوية فدخل، فمكث مليًّا ثم خرج إلينا ومعه حمّاد والمفضّل جميعا وقد بان فى وجه حمّادٍ الانكسارُ والغم، وفى وجه المفضّل السرور والنشاط، ثم خرج حُسين الخادم معهما(٢)، فقال يا معشر من حضر من أهل العلم: إن أمير المؤمنين يُعْلِمكم أنه قد وصل حمّادًا الشاعرَ بعشرين ألف درهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته فى أشعار الناس ما ليس منها، ووصل المفضّلَ بخمسين ألفا لصدقه وصحة ١٧٣ / ٥ روايته، فمن أراد أن يسمع شعرا جيدا محدَثا فليسمع من حماد، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضّل؛ فسألنا عن السبب فأُخبرنا أن المهدى قال للمفضل لمّا دعا به وحده: إنى رأيتُ زُهَيرَ بن أبى سُلْمَى افتتح قصيدته بأن قال:

* دع ذا وعدِّ القول فى هَرِم *

ولم يتقدّم له قبل ذلك قول، فما الذى أمَر نفسَه بتركه؟ فقال له المفضّل: ماسمعتُ يا أمير المؤمنين فى هذا شيئًا إلا أنّى توهمته كان يفكّر فى قول يقوله، أو يُرَوِّى فى أن يقول شعرًا فعدل عنه إلى مدح هرِم وقال دع ذا، أو كان مفكرا فى شىء من شأنه فتركه وقال دع ذا، أى دع ما أنت فيه من الفكر وعدّ القولَ فى هرِم؛ فأمسك عنه. ثم دعا بحمّادٍ فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضّل، فقال ليس هكذا قال زهيرٌ يا أمير المؤمنين؛ قال فكيف قال؟ فأنشده:

---

(١) عيساباذ: أى عمارة عيسى، لأن كلمة «باذ» فارسية معناها عمارة، وهذه محلة كانت شرقى بغداد ومنسوبة إلى عيسى بن المهدى وكانت إقطاعا له. وبها مات موسى بن المهدى بن الهادى. وبها بنى المهدى قصره الذى سماه قصر السلام.

(٢) كذا فى جميع الأصول. ولعل هذه الكلمة مقحمة أو محرّفة عن «بعدهما».

لمـــن الديار بقُنّـــة الحَجْـر (١) * أقوين مُذْ (٢) حِجَجٍ ومُـذْ (٢) دهر
قفـــر بمُندَفَـع النحائت (٣) من * ضَفْوَى (٤) أُولات (٥) الضّال والسِّدْر (٦)
دع ذا وعَـدِّ القول فى هرم * خيرِ الكهول (٧) وسـيِّد الحَضْر

قال : فأطرق المهدىُّ ساعةً ، ثم أقبل على حمـاد فقال له : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك خبرٌ لا بد من آستحلافك عليـه ، ثم استحلفه بأيمـان البَيعة وكل يمين مُحْرِجة ليَصْدُقَنّه عن كل ما يسأله عنه ، فحلف له بمـا توثّق منه . قال له : آصدُقْنى عن حال هـذه الأبيات ومن أضافها إلى زُهـير ؛ فأقرّ له حينئذ أنه قائلُها ، فأمر فيه (٨) وفى المفضَّل بما أمر به من شُهرة أمرهما وكَشْفه .

سأله الوليـد عن مقـدار روايتـه واستنشده شـعرا فى الخمر وأجازه

أخبرنى الحسين بن القاسم الكوكبىّ قال حدّثنا أحمـد بن عُبيد قال حدّثنـا الأصمعىّ قال :

قال حمـاد الراوية : أرسل إلىّ أميرُ الكوفة فقال لى : قد أتانى كتابُ أمـير المؤمنين الوليد بن يزيد يأمرنى بحملك . فحُملت فقَدِمت عليه وهو فى الصيد، فلما

---

(١) القنة : أعلى الجبـل ، وأراد بها هنا ما أشرف على الأرض . والحجر : موضع بعينه وهو حجر اليمـامة . (٢) كذا فى ب ، سه . وفى سائر الأصول وديوانه : « من » وهى بمعنى مذ .
(٣) كذا فى ديوانه . والنحائت : آبار فى موضع معروف . وليس كل الآبار تسمى النحائت . وفى جميع الأصول : «النجائب» وهو تصحيف. (٤) كذا فى ديوانه . وضفوى (بالفتح ثم السكون وفتح الواو والقصر . ورواه ابن دريد بسحتين) : مكان دون المدينـة . وقد وردت هـذه الكلمة فى جميع الأصول محرفة . (٥) فى ب، س : «ألاف» . (٦) الضال : السـدر البرى فان نبت على شطوط الأنهار فهو عبرى . وكأنه أراد بالسدر ما كان غير برى فلذلك عطفه على الضال .
(٧) فى ديوانه : « البداة » . (٨) كذا فى تجريد الأغانى ومختار الأغانى . وفى الأصول : «فأمر له فيه ... الخ» .

رجع أذِن لى، فدخلت عليه وهو فى بيت منجَّد بالأرْمَنىّ(1) أرضُه وحيطانُه(2)؛ فقال لى : أنت حماد الراوية؟ فقلت له : إن الناس ليقولون ذلك ؛ قال : فما بلغ من روايتك؟ قلت : أروى سبعمائةقصيدة أوّلُ كلّ واحدة منها : بانت سعاد؛ فقال : إنها لرواية ! ثم دعا بشراب فأتته جارية بكأس وإبريق فصبّت فى الكأس ثم مزجته حتى رأيتُ له حَبَابا ؛ فقال : أنشِدْنى فى مثل هذه ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، هى كما قال عدىّ بن زيد :

بكَر العاذلون فى وَضَح الصبـ * ـح يقولون لى ألا تستفيقُ
ثم ثاروا إلى الصَّبُوح فقامت * قَيْنــةٌ فى يمينها إبــريق
قدّمتْه على سُلافٍ كريح الـ * ـمسك صفّى سُلافَها الرَّاوُوق
فـتَرى فوقَهـا فقاقيعَ كاليا * قوت يَجْرِى خلالَها التصفيق(3)

قال : فشربها ولم يزل يستعيدنى الأبياتَ ويشرب عليها حتى سكِر؛ ثم قام فتناول مِرْفَقةً من تلك المرافق فجعلها على رأسه ونادى : من يَشترى لحومَ البقر؟ ثم قال لى : ياحماد، دونك ما فى البيت فهو لك؛ فكان أوّلَ مالٍ تأثّلتُه(4) .

حقد خلف الأحمر وطعن فى روايته

حدّثنى هاشم بن محمد الخُزَاعى قال حدّثنا دَمَاذ(5) عن أبى عُبَيدة قال : ١٧٤/٥

قال خَلَف : كنت آخذ من حماد الراوية الصحيحَ من أشعار العرب وأُعطيه المنحول، فيقبل ذلك منى ويدخله فى أشعارها . وكان فيه حمق .

---

(1) المنجد : المزين . (2) لعله يريد به نوعا من الحرير منسوبا إلى أرمن وهى إقليم جبلى من أذربيجان اشتهر بصناعة الحرير . (3) مر هذا البيت فى ترجمة حماد هذه (ص ٧٧) على غير هذه الرواية . (4) تأثل المال : اكتسبه . (5) دماذ : هو أبو غسان رفيع بن سلمة صاحب أبى عبيدة . ودماذ لقب كان ينبز به .

أنشد زيادا شعرا للأعشى فيه اسم أمه فغضب

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدّثنى العُمَرىّ عن الهَيْثم بن عَدىّ قال حدّثنى المِسْوَر العنزىّ — وكان من رُوَاة العرب وكان أسنّ من سِمَاك بن حَرْب — [عن حماد](١) قال :

دخلت على زياد(٢) فقال لى : أنشدْنى؛ فقلت : مِنْ شعر مَنْ أيها الأمير؟ قال: من شعر الأعشى؛ فأنشدتُه :

* بكَرَتْ سُمَيَّةُ غُدْوَةً أجمالَها *

قال : فما أتممتُ القصيدةَ حتى تبيّنت الغضبَ فى وجهه؛ وقال الحاجب للناس : ارتفعوا؛ فقاموا؛ ثم لم أُعد والله إليه . قال حماد : فكنت بعد ذلك إذا آستنشدنى خليفة أو أمير تنبّهت قبل أن أُنشده لئلا يكون فى القصيدة اسم أمّ له أو آبنة أو أخت أو زوجة .

سأله الوليد عن سبب تسميته بالراوية فأجابه

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنىّ قال :

قال الوليد بن يزيد لحمّاد الراوية : لِمَ سُمِّيت الراوية؟ وما بلَغ من حفظك حتى استحققتَ هذا الاسم ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن كلام العرب يجرى على ثمانية وعشرين حرفا ، أنا أنشدك على كل حرف منها مائةَ قصيدة ؛ فقال : إنّ هذا لحفظ ! هاتِ ، فآندفع يُنشد حتى ملّ الوليد ، ثم آستخلف على الاستماع منه خليفةً حتى وفّاه ما قال؛ فأحسن الوليد صلته وصرفه .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) هو زياد ابن أبيه ، وأمه سمية .

أمر الوليد يوسف ابن عمر بإرساله إليه واستنشده شعرا فى الخمر

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنى الحُسين بن محمد[1] بن أبى طالب الدِّينارىّ قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال :

قال حماد الراوية: أرسل الوليد بن يزيد إلىّ بمائتى دينار، وأمر يوسف بن عمر بحملى إليه على البريد . قال فقلت : لا يسألنى إلا عن طرفَيْه قريش وثقيف ، فنظرت فى كتابَىْ قريش وثقيف . فلما قدمت عليه سألنى عن أشعار بَلِىّ، فأنشدته منها ما آستحسنه[2]؛ ثم قال: أنشدنى فى الشراب — وعنده وجوه من أهل الشام — فأنشدته :

اِصْبَحِ القومَ قهوةً * فى أباريق تُحتذَى
من كُمَيتٍ[3] مُدامةٍ * حبّذا تلك حبذا
يترك الأُذْنَ شربُها * أرجُوانًا بها خُذا

فقال : أعدها ، فأعدتها؛ فقال لخدمه : خذوا آذان القوم، فأُتينا بالشراب فسُقينا حتى ما دَرَيْنا متى نُقلنا؛ قال: ثم حُملنا وطُرحنا فى دار الضِّيفان، فما أيقظنا إلا حرُّ الشمس . وجعل شيخ من أهل الشام يشتُمنى و يقول : فعل الله بك وفعل، أنت الذى صنعت بنا هذا .

أنشده الطرماح شعرا فزاد فيه وادّعاه لنفسه

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ قال حدّثنى أبو عُبيدة قال حدّثنى يحيى بن صُبيرة بن الطِّرِمّاح بن حَكيم عن أبيه عن جدّه الطِّرِمّاح قال :

أنشدتُ حمّادا الراوية فى مسجد الكوفة[4] — وكان أذكى الناس وأحفظهم — قَوْلى :

(١) راجع الحاشية (رقم ٢ ص ٣١٩ ج ٥) من هذه الطبعة . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «ما أحسنه» . (٣) الكميت : الخمر التى تضرب حمرتها إلى السواد .
(٤) هذه الكلمة زيادة عن ب ، سـ ومختار الأغانى وخزانة الأدب .

* بانَ الخليطُ بسُحرةٍ[1] فتبدَّدُوا *

وهى ستون بيتًا، فسكتَ ساعةً ولا أدرى ما يريد ثم أقبل علىّ فقال : أهذه لك؟ قلت: نعم؛ قال : ليس الأمر كما تقول، ثم ردّها علىّ كلَّها وزيادةَ عشرين بيتًا زادها فيها فى وقته؛ فقلت له : وَيْحَك ! إن هذا الشعر قلتُه منذ أيام ما آطلع عليه أحد؛ قال: قد والله قلتُ أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلا فَعلَىّ وعلَىّ؛ فقلتُ: لله علىّ حَجّة حافيًا راجلًا إن جالستُكَ بعد هذا أبدًا؛ فأخذ قبضةً من حَصَى المسجد وقال : لله علىّ بكل حَصاة من هذا الحصى مائةُ حَجّة إن كنتُ أبالى؛ فقلت : أنت رجل ماجِنٌ والكلام معك ضائع ثم آنصرفت . قال دَمَاذ : وكان أبو عبيدة والأصمعى يُنشدان بيتَى الطِّرِمّاح فى هذه القصيدة وهما : ١٧٥ / ٥

مُجتابُ حُلّةِ بُرْجِدٍ لسَرَاته * قِدَدًا وأخلَقَ ما سواه البُرجُدُ[2]

يبدو وتُضمره البلادُ كأنه * سَيْفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغمَد

وكانا يقولان : هذا أشعر الناس فى هذين [البيتين][3] .

---

(١) السحرة (كظلمة) : السحر الأعلى أى أوّل السحر . (٢) هذان البيتان فى وصف ثور . يقال : اجتاب القميص : لبسه . والبرجد : كساء من صوف أحمر، وقيل : هو كساء غليظ ، أو هو كساء مخطط ضخم يصلح للخباء . وسراته : ظهره . (٣) زيادة عن أ ، ء .

أخبار عَبَادل ونسبه

نسبه ومنزلته من الغناء

عَبَادِل بن عطيّة مولى قريش، مَكّىّ، مغنٍّ مُحْسِنٌ متقدّم من الطبقة الثانية التى منها يونُس الكاتب وسِيَاطٌ ودَحْمان . وكان حسنَ الوجه، نظيف الثياب ظريفًا، ولم يفارق الحجاز ولا وَفَد إلى ملوك بنى أمية كما وفد غيرُه من طبقته ومَنْ هو فوقها (١) . ويقال إنه كان مقبولَ الشهادة .

صفته، وكان يغنى مشيخة قريش وله صنعة كثيرة

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنا حَمّاد (٢) عن ابن أبى جَنّاح (٣) قال :

كان عَبَادِل بن عطيــة سَرِيًّا نبيلا نظيفا (٤) ساكنَ الطَّرْف حَسنَ العشرة ، وكان يعاشر مَشْيخةَ قريش وجِلّةَ أحداثها ، فإذا أرادوا الغناء (٥) منه غنّى فأحسن وأطرب . وكانت له صنعة كثيرة .

منهــا :

تقول يا عمّتـا كُفِّى جوانبَــه * وَيْلِى بَلِيتُ وأَبْلَى جِيدىَ الشَّعَرُ

ومنهــا :

أمِن حَذَرِ البينِ ما ترْقُــدُ * ودمعُــك يجرى فما يَجْمُــدُ

---

(١) فى حـ : «ومن دونها ومن فوقها» . (٢) كذا فى حـ . والمعروف أن هارون بن محمد يروى عن حماد بن إسحاق وحماد عن أبيه وهذا عن ابن أبى جناح ، ولم تعرف لحماد رواية عن ابن أبى جناح مباشرة . وفى سائر الأصول : «حماد بن أبى جناح» وهو خطأ . (٣) ورد هذا الاسم فيما مر من الكتاب مضطربا بين : « ابن أبى جناح » و « ابن جناح » ولم نوفق إلى ترجيح إحدى الروايتين على الأخرى . (٤) فى حـ : «ظريفا» . (٥) فى أ ، حـ ، ى : « فإذا أرادوا الغناء أو سئل غنى ... الخ » .

ومنهـا :

إنى آستحيتُكَ أن أفوه بحاجتى * فإذا قرأتَ صحيـفتى فتفهّـم

ومنهـا :

قُولَا لنائلَ ما تَقضِين فى رجلٍ * يَهْوَى هواكِ وما جَنّبْتِه (١) آجتَنبا

ومنهـا :

علام تَرَيْن اليــومَ قَتْلِى لديكمُ * حلالًا بلا ذنبٍ وقتــلى محرّمُ

[قال] (٢) : وكانوا يقولون له : ألا تُكثِر الصنعة ؟ فيقول : بأبى أنتم، إنمـا أَنحتُه من صخر، ومَنْ أَكْثَر أَرْذل .

نسبة هــذه الأصوات

صـــوت

أمن حَذَرِ البَيْنِ ما ترقــد * ودمعُـك يجرى فما يجمُـدُ

دعانى إلى الحَيْن فأقتادنى * فــؤادٌ إلى شِــقْوتى يَعْمِد

فلو أنّ قلبى صحـا وآرعَوَى * لكان لــه عنكمُ مَقْعَــد

يَبِيــدُ الزّمانُ وحُبّى لكم * يَزِيــد خَبـالًا وما يَنفَــد

الغناء لعَبادل ثقيــلٌ أوّلُ بالسبابة والوسطى عن ابن المكّىّ . وفيـه لإبراهيم خفيف ثقيل .

١٧٦/٥

ومنهـا :

صـــوت

إنى آستحيتُكَ أن أفوه بحاجتى * فإذا قــرأتَ صحيفتى فتفهّـم

وعليكَ عهدُ الله إن أنبأتَه * أهلَ السَّيالة إن فعلتَ وإن لَمِ

(١) جنبه (بالتضعيف) كتجانبه واجتنبه وتجنبه وجانبه . (٢) زيادة عن حـ .

هكذا قال آبن هَرْمة، والمغنّون يغنّونه :

وعليكَ عهدُ الله إن أخبرتَه * أحدًا وإن أظهرته بتكلُّمِ

الشعر لآبن هَرْمة . والغناء لعَبَادِل .

طلب ابن هرمة بشعره من الحسن ابن حسن خمرا فوشى به إلى الوالى ففر هو وصحبه

أخبرنى عمّى[1] قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى عبد الله ابن محمد بن إسماعيل الجَعْفَرىّ عن أبيه :

أنّ حسن بن حسن بن علىّ[2] كان صاحبَ شراب، وفيه يقول ابنُ هَرْمة :

إنى آستحيتُك أن أفوه بحاجتى * فإذا قرأتَ صحيفتى فتفهَّمِ

وعليك عهدُ الله إن أنبأتَه * أحدًا ولا أظهرتَه بتكلُّمِ

قال عبدُ الله بن محمد الجَعْفَرىّ : وكان ابن هرمة — كما حدّثنى أبى — يشرب هو وأصحابٌ له بشَرَفِ السَّيَالة[3] عند سَمُرَةٍ بالشَّرَف يقال لها سَمُرَةُ جرانة[4] فنفِد شرابُهم؛ فكتب إلى حسن بن حسن بن علىّ[2] يطلب منه نبيذا، وكتب إليه بهذين البيتين . فلما قرأ حسنٌ رقعتَه قال : وأنا علىَّ عهدُ الله إن لم أُخبِر به عامل السَّيَالة، أمِنّى يطلب الدعىُّ الفاعل نبيذا ! وكتب إلى عامل السيالة أن يجىء إليه فجاء لوقته، فقال له : إن آبنَ هرمة وأصحابَه السفهاء يشربون عند سَمُرَةِ جرانة، فآخرج فخُذْهم؛

(١) يلاحظ أنه من هذا الموضع إلى آخر الترجمة أخبار لابن هرمة وللوابصى ونصيب ولم يرد بها عن دحمان شىء يذكر.

(٢) كذا فى جميع الأصول هنا وفيما يأتى عدا (حـ) فقد أوردته فيما يأتى : «حسن بن حسن بن حسين» . ولا يمكن أن تكون هذه الحادثة مع حسن بن حسن بن على لتقدّم عصره على عصر ابن هرمة الذى ولد سنة ٩٠ هـ . والصحيح أنها مع ابنه إبراهيم وقد كان ابن هرمة متصلا به وبأبيه . وقد أورد صاحب الأغانى هذه القصة فى أخبار علويه (ج ١٠ طبع بولاق) منسوبة إلى ابنه إبراهيم هذا .

(٣) شرف السيالة : منزل بين ملل والروحاء . وفى حديث عائشة رضى الله عنها : «أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحد بملل على ليلة من المدينة ثم راح فتعشى بشرف السيالة وصلى الصبح بعرق الظبية» .

(٤) لم نستطع ضبط هذا الاسم لخلو المعاجم التى بين أيدينا منه .

فخرج إليه العامل بأهل السّيالة، وأُنْذِرَ بهم ابنُ هرمة فسبَقهم هَرَباً، وتعلّق هو وأصحابُه بالجبل ففاتوهم. وقال فى حسن:

كتبتُ إليك أَسْتَهدِى نبيذًا * وأُدْلِى بالجِوار وبالحقوقِ
فخُبِّرتَ الأميرَ بذاك غَدْرًا * وكنتَ أخا مُفاضَحةٍ ومُوقِ[1]

ومنها:

صوت

علامَ تَرَيْنَ اليومَ قَتْلِى لديكمُ * حلالًا بلا ذنب وقتلى مُحرَّمُ
لكِ النفس ماعاشت وِقَاءً من الرَّدَى * ونحن لكم فيما تَجنَّبْتِ[2] أظلمُ

وأما صنعته فى:

* قولا لنائلَ ما تَقْضِين فى رجلٍ *

فإن الشعر لمَسْعَدةَ[3] بن البَخْتَرِىّ ابن أخى المهلَّب بن أبى صُفْرة. والغناء لعَبَادِل. وقد ذكرتُ ذلك فى موضع من هذا الكتاب مفرد، لأن نائلة التى عُنِيتُ[4] بهذا الشعر هى بنت المَيْلاء[5]، ولها أخبار ذُكِرت فى موضع منفرد صَلَحتْ له.

---

(١) الموق: الحمق. (٢) يحتمل أن تكون الرواية فيه: «فيما تجنيت» (بالياء المثناة من تحت). (٣) كذا فى حـ. وله ترجمة فى الأغانى (ج ١٢ ص ٧٧ — ٧٨ طبع بولاق). وفى سائر الأصول هنا: «لسعيد بن البخترى» وهو تحريف. (٤) فى ب، سـ: «غنت» وهو تحريف. (٥) كذا فى جميع الأصول. والمعروف أن نائلة التى شبب بها ابن البخترى كما ذكر أبو الفرج هى نائلة بنت عمر بن يزيد الأسيدى أحد بنى أسيد (بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد الياء المثناة وكسرها) بن عمرو بن تميم. وكان أبوها سيدا شريفا، وكان على شرط العراق من قبل الحجاج. ولم نجد ذكرا لنائلة بنت الميلاء فى أخبار مسعدة ولا فى موضع آخر من هذا الكتاب.

ومنهـا :

صـــوت

تقول ياعَمَّتَا كُفِّى جوانبَه * وَيْلِى بَليتُ وأبْلَى جِيدِىَ الشَّعَرُ
مثلُ الأساوِدِ قد أعيا مَواشطَه * تَضِلُّ فيـه مَدَارِيهـا وتنكسر (١)
فإن نشرْتَ على عَمْد ذوائبَهـا * أبصرتَ منه فَتِيتَ المِسك يَنتثر

الشـعر لعمر بن أبى ربيعـة . والغناء لعَبَادل ثقيـلٌ أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيـه خفيف ثقيل يُنسب إلى دَحْمان و إلى الغَرِيض و إلى عَبَادل أيضا .

١٧٧/٥

صـــوت

من المـائة المختـارة

ليستْ تَمِمُ منكَ للعافين مُسْجَلَةٌ (٢) * من التخلّق لكنْ شيمةٌ خُلُقُ
يكاد بابُك من عِلْم بصاحبه * من دون بَوّابه للنـاس يَنْـدلِق (٣)

شعران متشابهان لابن هرمة وطريح ابن إسماعيل الثقفى

لإسحاق فى هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو . وذكر يحيى ابن على بن يحيى عن أبيه عن إسحاق أن الشعر لطُرَيح . وذكر يعقوب بن السِّكِّيت أنه لابن هَرْمة . والغناء فى اللحن المختار لشهيّة مولاةِ العَبَلاتِ خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر فى مجراها . فمن روى هـذه الأبيات لابن هَرْمة ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سليمان بن عبد الملك، ومن ذكر أنها لطُرَيح ذكر أنها من قصيدة له

---

(١) الأساود : الحيات السود، واحدها أسـود . والمـدارى : جمع مدرى، وهـو المشط .
(٢) مسجلة : مبـذولة أو مرسـلة . (٣) اندلاق البـاب : انفتاحه سريعـا وهو مطاوع دلق الباب إذا فتحه فتحا شديدا .

يمدح بها الوليدَ بن يزيد . والصحيح من القولين أن البيت الأوّل من البيتين لطُرَيح والثانى لابن هَرْمة . فبيت طُرَيح من قصيدته التى مدح بها الوليد بن يزيد وهى طويلة، يقول فى تشبيبها :

تقول والعيسُ قد شُدّتْ بأرحلِها (١) * أالحقُّ أنّكَ (٢) منا اليوم منطلقُ؟
قلتُ نعمْ فاكظِمى قالت وما جَلَدِى * ولا أظنّ اجتماعًا حين نفترق
فقلت إن أَحْىَ لا أُطوِل بِعادَكمُ * وكيفَ والقلبُ رهنٌ عندكم غَلَق (٣)
فارقتُها لا فؤادى من تذكُّرها * سالِى الهمومِ ولا حَبْلِى لها خَلَق
فاضت على إثرهم عيناكَ دمعُهما * كما تتابَع يجرى اللؤلؤ النَّسَق (٤)

صــــوت

فاستبقِ عينكَ (٥) لا يُودِى البكاءُ بها * واكفُفْ بوادرَ دمعٍ منك تستبق
ليس الشؤونُ و إن جادت بباقيةٍ * ولا الجفونُ على هذا ولا الحَدَق

— لإسحاق (٦) فى هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو — يقول فيها فى مدح الوليد :

وما نَمَتْ منكَ للعافين مُسْتَجلة * من التخلّق لكنْ شِيمةٌ خُلُقُ
ساهمتَ فيها وفى لا فاختصصتَ بها * وطار قومٌ بلا والذمِّ فانطلقوا

(١) فى حـ : «بأرحلنا» . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : «الحق فإنك» . (٣) كذا فى حـ . وغلق الرهن غلقا (من باب فرح) : استحقه المرتهن . وفى سائر الأصول : «علق» (بالعين المهملة) وهو تصحيف . (٤) النسق : المنتظم . (٥) كذا فى حـ . وفى ب ، س : «عينيك» . (٦) فى حـ : «لإسماعيل» وهو ابن جامع . وله ولإسحاق يروى عمرو بن بانة .

قوم همُ(١) شَرَف الدنيـا وسُـودَدُها * صَفْوٌ على الناس لم يُخْلَط بهم رَنَق
إن حاربوا وَضَعوا أو سالموا رفَعُوا * أو عاقدوا ضَمِنوا(٢) أو حدَّثوا صدَقوا

وأما قصيدة إبراهيم بن هَرْمة التى فيها هـذا الشعر فنذكر خبرها، ثم نذكر موضع الغناء وما قبله وما بعده منها . ومِنْ أبى أحمد(٣) رحمه الله سمِعْنا ذلك أجمع . ولكنه حكى عن إسحاق فى الأصوات المختارة ما قاله إسحاق . ولعله لم يتفقّد ذلك، أو لعلّ أحدَ الشاعرين أغار على هذا البيت فانتحله وسرقه من قائله .

ابن هرمة ومدحه عبد الواحد بن سليمان وتعريضه بالعباس بن الوليد

أخبرنى يحيى بن علىّ قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة، وحدّثنى به وَكيع قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة — وخبره أتم — قال :

١٧٨ / ٥ قال العبّاس بن الوليد بن عبد الملك — وكان بخيلا لا يحبّ أن يُعطى أحدا شيئا — ما بالُ الشعراء تمدح أهلَ بيتى أجمع ولا تمدحنى! . فبلغ ذلك ابنَ هَرْمة، وكان قد مدحه فلم يُثبه، فقال يعرّض به ويمدح عبدَ الواحد بن سليمان :

ومُعجَب بمديح الشِّـعر يمنعـه * من المديح ثوابُ المدح والشَّفَق
يا آبِىَ المـدح مِنْ قولٍ يُحـبِّره(٤) * ذو نيقة(٥) فى حواشى شعره أَنَق(٦)
إنك والمدحَ كالعـذراء يُعجبها * مسُّ الرجال ويَثْنى قلبَها الفَرَق

(١) كذا فى ب، حـ . وفى سائر الأصول : «قوم لهم» . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب، حـ : «حكموا» . (٣) هو أبو أحمد يحيى بن على بن يحيى المنجم من شيوخ أبى الفرج . (راجع ترجمته فى الحاشية رقم ٣ ص ١٧ من تصدير هذا الكتاب) .
(٤) فى حـ : «تخيره» . (٥) النيقة : اسم من التنوق . يقال تنوق فلان فى منطقه وملبسه وأموره إذا تجوّد وبالغ . (٦) كذا فى حـ . والأنق (بفتح النـون) : الروعة والحسن . وفى سائر الأصول : «من حواشى شعره أنق» .

لكنْ بمَدْيَنَ من مفضَى سُوَيمرةٍ[١] * من لا يُذَمّ ولا يُشْنا له خُلُقُ

أهلُ المدائح تأتيه فتمدحه * والمادحون إذا قالوا له صَدَقوا

— يعني عبد الواحد بنَ سليمان —

لا يستقرّ[٢] ولا تخفى علامته * إذا القَنا شالَ في أطرافها الحَرَقُ[٣]

في يومِ لا مالَ عند المرء ينفعه * إلا السِّنانُ[٤] وإلا الرمحُ والدَّرَقُ

يَطعن بالرمح أحياناً ويضربهم * بالسيف ثم يُدَانيهم فيَعتنق

وهذا البيت سرقه ابن هرمة من زُهَير ومن مُهلهل جميعًا، فإنهما سبقا إليه.

قال مُهلهل وهو أقدمهما:

أَنْبَضُوا[٥] مَعْجِسَ[٦] القِسيّ وأبرقْ[٧] * نا كما تُوعِد الفُحولُ الفحولا

يعني أنهم لما أخذوا القِسيّ ليرموهم من بعيد انتضَوْا سيوفهم ليخالطوهم ويكالحوهم بها[٨].

وقال زهير — وهو أشرح من الأول —:

يَطعنُهم ما ارتَموْا حتى إذا اطّعنوا * ضارَبَ حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

فما ترك في المعنى فضلًا لغيره.

رجع إلى شعر ابن هرمة:

يكاد بابُك من جود ومن كرم * من دون بوّابه للناس يَنْدلقُ

(١) كذا في حـ ومعجم البلدان (ج ٣ ص ٢٠٢). ومدين: مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل. وسويمرة: موضع في نواحي المدينة. وفي أ، ء، م: «مقصى سوتمرة» وفي ب، سـ: «مقصى سويمرة». (٢) كذا في أ، ء، م. وفي سائر الأصول: «لا يستفز».
(٣) شال: ارتفع. والحرق (محركة): لهب النار. (٤) في حـ: «وإلا السيف».
(٥) كذا في حـ. وأنبض الرامي القوس وعن القوس: جذب وترها لتصوت. وفي سائر الأصول: «انتضوا»، وهو تصحيف. (٦) المعجس (كمجلس): مقبض القوس. (٧) أبرق الرجل: لمع بسيفه. (٨) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «ويكالحوهم بالسيوف».

— ويُروى : « إذا أطاف به الجادون » . و « العافون » أيضا . ويروى : « ينبلق » —

إنّى لأَطْوِى رجالًا أن أزورهُمُ * وفيهمُ عَكَرُ الأنعام والوَرِقُ[1]
طىَّ الثياب التى لو كُشِّفت وُجِدتْ * فيها المَعاوِزُ[2] فى التفتيش والخِرَقُ
وأتركُ الثوبَ يومًا وهْو ذو سَعة * وألْبَس الثوب وهو الضيِّق الخَلَق
إكرامَ نفسى وأنّى لا يوافقنى * ولو ظَمِئتُ نَجُمتُ المَشْرَبُ الرَّنِقُ[3]

قال هارون[4] بن الزيات فى خبره : فلما قال ابن هرمة هذه القصيدةَ أنشدها عبدَ الواحد بن سليمان — وهو إذ ذاك أميرُ الحجاز — فأمر له بثلثمائة دينار وخِلْعة موشّية من ثيابه، وحَمَله على فرس وأعطاه ثلاثين لَقْحة ومائةَ شاة، وسأله عما يكفيه فى كل سنة ويكفى عياله من البرّ والتمر، فأخبره به ؛ فأمر له بذلك أجمعَ لسَنَة، وقال له : هذا لك علىّ ما دمتُ ودمتَ فى الدنيا ، واقتطعه لنفسه[5] وأَنِس به ، وقال له : لستُ يُحوِجك إلى غيرى أبدا . فلما عُزِل عبد الواحد بن سليمان عن المدينة، تصدّى للوالى مكانَه وامتدحه . ولم يلبث أن ولى عبدُ الواحد بعد ذلك ١٧٩ / ٥ وبلغه الخبرُ، فأمر أن يُحجب عنه ابنُ هرمة وطرده وجفاه ، حتى تَحمّل[6] عليه بعبدالله بن الحسن [بن الحسن][7]، فآستوهبه منه فعاد له إلى ما أحبه .

مدح والى المدينة بعد عبد الواحد بجفاه ثم رضى عنه بشفاعة عبد الله ابن الحسن

(١) العكر (محركة) : جمع عكرة وهى القطيع الضخم من الإبل ؛ قيل : هى ما فوق خمسمائة من الإبل ؛ وقيل : ما بين الخمسين إلى المائة . والورق : المال من الإبل والغنم . (٢) كذا فى حـ . والمعاوز : خلقان الثياب المبتذلة ، واحدها معوز . وفى سائر الأصول : « العواوير » وهو تحريف . (٣) الرنق : الكدر . (٤) هو هارون بن محمد بن عبد الملك الذى ورد فى سند هذا الخبر . (٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « واقتطعه إلى نفسه » . (٦) تحمل بفلان على فلان : تشفع به إليه . (٧) زيادة عن حـ .

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا الرِّيَاشىّ، وأخبرنى به علىّ بن سليمان الأخفش عن أحمد بن يحيى ثَعْلب عن الرياشىّ — وخبره أتم — قال الرياشىّ حدّثنى أبو سَلَمة الغِفَارىّ قال قال ابن رُبَيْح[1] راوية ابن هرمة قال حدّثنى ابن هرمة قال:

أوّل من رفعنى فى الشعر عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك، فأخذ علىّ ألّا أمدح أحدًا غيرَه، وكان واليًا على المدينة، وكان لا يدع بِرّى وصلتى والقيامَ بمؤونتى. فلم ينشَب أن عُزِل ووُلّى غيرُه مكانَه، وكان الوالى من بنى الحارث بن كعب. فدعتنى نفسى إلى مدحه طمعًا أن يَهَب لى كما كان عبد الواحد يهب لى، فمدحته فلم يصنع بى ما ظننت. ثم قَدِم عبد الواحد المدينةَ، فأُخبِر أنّى مدحت الذى عُزِل به، فأمر بى فحُجِبت عنه، ورُمْت الدخولَ عليه فمُنِعتُ، فلم أَدَع بالمدينة وجهًا ولا رجلا له نباهةٌ وقدر من قريش إلا سألته أن يشفع لى فى أن يُعيدنى إلى منزلتى عنده، فيأبى ذلك فلا يفعله. فلما أعوزتنى الحيل أتيت عبدَ الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب — صلوات الله عليه وعليهم — فقلت: يآبن رسول الله، إن هذا الرجل قد كان يُكرمنى وأخذ علىّ ألّا أمدحَ غيرَه، فأعطيتُه بذلك عهدًا، ثم دعانى الشَّرَه والكدّ إلى أن مدحت الوالى بعده. وقصصت عليه قصتى وسألته أن يشفع لى، فركب معى. فأخبرنى الواقف على رأس عبد الواحد أن عبد الله بن حسن لما دخل إليه قام عبد[الواح]د فعانقه وأجلسه إلى جنبه، ثم قال: أحاجةٌ غدت بك أصلحك الله؟ قال نعم؛ قال: كل حاجة لك مقضيّة إلا ابنَ هرمة؛ فقال له: إن رأيتَ ألّا تستثنى فى حاجتى فأفعل؛ قال: قد فعلتُ؛ قال: فحاجتى ابن هرمة؛

(١) فى أكثر الأصول هنا: «قال ربيح». وفى حـ: «قال ربيحة» وكلاهما تحريف (راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٤ من الجزء الرابع من هذه الطبعة).

قال : قد رضيتُ عنه وأعدته إلى منزلتــه؛ قال : فتأذن له أن يُنشــدك؛ قال : تُعفينى من هذه؛ قال : أسألك أن تفعل؛ قال ائتوا به؛ فدخلت عليه وأنشــدته قولى فيه :

وجدنا غالبًـا كانت جنـاحًا * وكان أبوك قادمةَ الجناح

قال فغضب عبــد الله بن الحسن حتى انقطع زِرُّه(١) ثم وثب مُغضَبًا ، وتجوزت فى الإنشاد ثم لَحِقتُــه فقلت له : جزاك الله خيراً يابن رسول الله؛ فقــال : ولكنْ لا جزاك الله خيراً ياماصّ بَظْر أمه، أتقول لابن مروان :

* وكان أبوك قادمةَ الجَناح *

بحضرتى وأنا ابن رسول الله — صلّى الله عليه وسلّم — وابن علىّ بن أبى طالب — عليه الســلام — ! فقلت : جعلنى الله فــداك، إنى قلت قولًا أخدَعُه به طلبًا لدنياه، ووالله ماقِسْت بكم أحدًا قطُّ . أفلم تسمعنى قد قلتُ فيها :

* وبعضُ القول يذهب بالرياح *

فضحك عبد الله وقال : قاتلك الله، ما أظرفَكَ ! .

حائية ابن هرمة فى مدح عبدالواحد

وهذه القصيدة الحائية التى مدح بها عبدَ الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيّد شعر ابن هرمة خاصةً، وأولُها :

صَرَمتَ حبائلًا من حبّ سَلْمَى * لهنــدٍ ما عَمَــدتَ لمُســتَراح(٢)
فإنك إن تُقِم لا تلقَ هنــدًا * وإن ترحــل فقلبُــك غيرُ صاحى
يظَــلّ نهــارَه يهْــذِى بهنــد * ويأرَق ليــلَه حتى الصــباح ١٨٠/٥

(١) الرز : الصوت . وفى جميع الأصول : « زره » وهو تصحيف .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ح : «ما عهدت بمستراح» . وفى ب ، سـ : « ما عهدت لمستراح» .

أعبدَ الواحد المحمودَ إنى * أَغَصّ حذارَ سخطك بالقَراحِ
فشُلّتْ راحتاىَ وجال مُهْرى * فألقانى بمُشتجَر الرماحِ
وأقعدنى الزمانُ فبتّ صِفْراً * من المال المُعزَّب والمُراحِ
إذا نَحَّمتُ غيرَك فى ثنائى * ونصحى فى المَغيبة وامتداحى
كأنّ قصائدى لك فاصطنعنى * كرائمُ قد عُضِلن عن النكاحِ
فإن أكُ قد هفوتُ إلى أمير * فعن غير التطوع والسماحِ
ولكن سَقْطةٌ عِيبتْ[1] علينا * وبعضُ القول يذهب فى الرياحِ
لعمرك إننى وبنى عَدِىٍّ[2] * ومَنْ يهوَى رشادى أو صلاحى
إذا لم ترضَ عنّى أو تَصِلْنى * لفى حَيْنٍ أعالجه مُتاحِ
وإنك إن حططتُ إليك رحلى * بغربىّ الشَّراة[3] لذو ارتياحِ
هششتَ لحاجة ووعدتَ أخرى * ولم تبخل بناجزة السَّراحِ
وجدنا غالبًا خُلقتْ جناحًا * وكان أبوك قادمةَ الجناحِ
إذا جعل البخيلُ البخلَ تُرسًا * وكان سلاحُه دون السلاحِ
فإنّ سلاحك المعروفُ حتى * تفوزَ بعِرْضِ ذى شِيَمٍ صِحاحِ

سئل عن سبب مدحه لعبد الواحد فأجاب

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنى إبراهيم بن إسحاق العُمرىّ قال حدّثنى عبد الله بن إبراهيم الجُمَحىّ قال :

قلت لابن هرمة : أتمدح عبدَ الواحد بن سليمان بشعر ما مدحتَ به غيرَه فتقول فيه هذا البيت :

(١) كذا فى حـ . وفى ب، سـ : «عيت» . وقد ورد هذا الشطر فى سائر الأصول غير مستقيم المعنى . (٢) بنو عدى : هم قوم ابن هرمة . وعدى هذا : هو عدى بن قيس بن الحارث بن فهر . (٣) الشراة : صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وجـــدنا غالبـا كانت جنـاحا * وكان أبوك قادمـــةَ الجنـاح

ثم تقول فيها :

أعبـدَ الواحد الميمونَ[١] إنى * أغَصّ حِذَارَ سخطك بالقَـراح

فبأى شىء آستوجب ذلك منك ؟ فقال : إنى أخبرك بالقصة لتعذرنى : أصابتنى أزمة[٢] بالمدينة، فآستنهضتْنى بنتُ عمّى للخروج؛ فقلت لها: ويحك! إنه ليس عندى ما يُقِلّ جناحى؛ فقالت : أنا أُنهضك بمـا أمكننى، وكانت عندى نابٌ لى فنهضتُ عليها نُهجِّد النوّام وتؤذى السمّار، وليس من منزل أنزله إلا قال الناس: ابن هرمة! حتى دَفَعتُ إلى دمشق ، فأويت إلى مسجد عبد الواحد فى جوف الليل ، فجلست فيه أنتظره إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر، فإذا الباب ينفلق[٣] عن رجل كأنه البدر، فدنا فأذّن ثم صـلّى ركعتين، وتأملته فإذا هو عبـد الواحد، فقمتُ فدنوت منـه وسلّمت عليه؛ فقال لى: أبو إسحاق! أهلا ومرحبا؛ فقلت لَبّيك، بأبى أنت وأمى! وحيّاك الله بالسلام وقرّبك من رضوانه؛ فقال : أمَا آن لك أن تزورنا ؟ فقد طال العهد واشتدّ الشوق، فما وراءك؟ قلت : لا تسلنى — بأبى أنت وأمى — فإن الدهر قد أخنى علىّ فمـا وجدت مستغاثا غيرَك ؛ فقال: لا تُرَعْ فقد وردتَ على ما تحب إنْ شاء الله . فوالله إنى لأخاطبه فإذا بثلاثة فِتْية قد خرجوا كأنهم الأَشْطان[٤] ، ١٨١ / ٥ فسلّموا عليه، فاستدنى الأكبرَ منهم فهَمَس إليه بشىء دونى ودون أخويه ؛ فمضى إلى البيت ثم رجع، فجلس إليه فكلّمه بشىء دونى ثم ولّى، فلم يلبث أن خرج ومعه عبدٌ ضابط[٥] يحمل عِبئًا من الثياب حتى ضرب به بين يدىّ؛ ثم همس إليه ثانيةً فعاد،

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « المحمود » وقد اتفقت عليها جميع الأصول قبل هذا الموضع بقليل . (٢) فى حـ : « أصابتنى أزمة وقحمة بالمدينة » . والقحمة السنة الشديدة والقحط . (٣) فى حـ : « ينبلق » . (٤) الأشطان : جمع شطن وهو الحبل، وقيل الحبل الطويل . (٥) ضابط : قوى شديد .

وإذا به قد رجع ومعه مثلُ ذلك، فضرب به بين يديّ . فقال لى عبـد الواحد : آدْنُ يا أبا إسحاق ، فإنى أعلم أنك لم تَصِر إلينا حتى تفاقم صَدْعُك، فخذ هذا وارجع إلى عيالك، فوالله ما سَلّنا لك هذا إلا من أشداق عيالنا ؛ ودفع إلىّ ألفَ دينار، وقال لى : قُمْ فارحل فأَغِثْ مَنْ وراءك؛ فقمت إلى الباب، فلما نظرت إلى ناقتى ضِقتُ؛ فقال لى : تعال، ما أرى هذه مُبلغتَك، يا غلامُ، قَدِّم له جملى فلانًا . فوالله لقد كنتُ بالجمل أشدَّ سرورًا منى بكل ما نِلْته ؛ فهل تلومونى أن أَغَصّ حِذارَ سخط هذا بالقَراح! ووالله ما أنشدتُه ليلتئذ بيتًا واحدًا .

مدح المنصور فعاتبه لمدحه بنى أمية ثم أكرمه

أخبرنى محمد بن خلف وَكيع قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثنى محمد بن عمر الجُرْجانىّ قال حدّثنى عثمان[1] بن حَفْص الثَّقَفىّ قال حدّثنى محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين — صلّى الله عليه — قال :

دخلت مع أبى على المنصور بالمدينـة وهو جالس فى دار مروان ، فلما اجتمع الناس قام آبن هَرْمة فقال : يا أميرالمؤمنين، جعلنى الله فداءك، شاعرك وصنيعتك إن رأيت أن تأذن لى فى الإنشاد؛ قال هاتِ؛ فأنشده قولَه :

* سَرَى[2] ثوبَه عنك الصِّبا المتخايِلُ *

حتى انتهى إلى قوله :

له لَحَظاتٌ عن حِفَافَىْ[3] سريره * إذا كَرّها فيها عِقابٌ ونائلُ
فأُمُّ الذى آمنتَ آمنـةُ الرَّدَى * وأُمُّ الذى خوّفتَ بالثُّكل ثاكلُ

---

(١) كذا فى حـ . وقد مر فى أكثر من موضع فى الأجزاء السابقة : وفى سائر الأصول هنا : « عمر بن حفص الثقفى » . (٢) سرى عنه الثوب : كشفه . (٣) حفاف الشىء : جانبه .

فقال له المنصور : أمَا لقد رأيتك فى هـذه الدار قائمًـا بين يدى عبـد الواحد بن سليمان تُنشده قولكَ فيه :

وجدنا غالبًـا كانت جَناحًا * وكان أبوكَ قادمةَ الجَناحِ

قال : فقُطِع بآبنِ هرمة حتى ما قدَر على الاعتذار ؛ فقال له المنصور : أنت رجل شاعر طـالب خير، وكل ذلك يقول الشاعر ، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلثمائة دينـار . فقام إليه الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ، إن ابن هرمة رجل مِنْفاق مِتْلاف لا يُليق[1] شيئا ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها يُجرَى عليه منها ما يكفيه ويكفى عياله ويكتبَ بذلك إلى صاحب الجارى[2] أن يُجرِيَها عليهم فعل؛ فقال : افعلوا ذلك به . قال : وإنما فعل به الحسن بن زيد هذا لأنه كان مُغضَبًا عليه لقوله يمدح عبدَ الله بن حسن :

ما غيّرتْ وجهَـــه أمٌّ مُهجّنة * إذا القَتَامُ تَغشَّى أَوْجُهَ الهُجُنِ

حدّثنى يحيى بن على بن يحيى ، وأخبرنا آبن أبى الأزهر وجَحْظة قالا حدّثنـا حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال يحيى بن على فى خبره عن الفضل بن يحيى، ولم يقله الآخران :

دخل ابن هرمة على المنصور وقال : يا أمير المؤمنين، إنى قد مدحتك مديحًا لم يمدح أحد أحدًا بمثله ؛ قال : وما عسى أن تقول فىّ بعد قول كعب الأشـقرىّ[3] فى المهلّب : ١٨٢ / ٥

(١) لا يليق شيئا : أى ما يمسكه ولا يلصق به . (٢) كذا فى ب ، سـ . والظـاهر أنه يريد بالجارى الدائم المتصـل من الوظائف . وفى سائر الأصـول : « الجار » .

(٣) هو كعب بن معدان، من الأزد وأمه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود فى الشجعان ، من أصحاب المهلب . وهذا البيت من قصيدة له يمدح بها المهلب ويذكر قتاله الأزارقة . وله ترجمة تقع فى الأغانى (ج ١٢ ص ٥٦ — ٦٤ طبع بولاق) .

براكَ اللهُ حين براكَ بحرًا * وفجّرَ منك أنهارًا غِزارًا

فقال له : قد قلتُ أحسنَ من هذا ؛ قال : هات ، فأنشده قولَه :

له لحَظَات عن حِفَافَىْ(١) سَرِيره * إذا كَرّها فيها عِقابٌ ونائلُ

قال : فأمر له بأربعة آلاف درهم . فقال له المهدىّ : ياأمير المؤمنين ، قد تكلّف في سفره إليك نحوَها ؛ فقال له المنصور : يا بُنىّ ، إنى قد وهبت له ما هو أعظم من ذلك ، وهبتُ له نفسَه ، أليس هو القائل لعبد الواحد بن سليمان :

إذا قيل مَنْ خيرُ مَنْ يُرتجَى * لِمُعْتَرِّ(٢) فِهْرٍ ومحتاجِها
ومن يُعجِل الخيلَ يومَ الوغى * بإلجامها قبلَ إسراجِها
أشارت نساءُ بنى غالب * إليكَ به قبْلَ أزواجِها

وهذه القصيدة من فاخر شعر ابن هرمة ، وأولُها :

أجارتَنا رَوِّحِى نَغْمةً * على هائم النفس مُهتاجِها
ولا خيرَ فى وُدِّ مُسْتكرِهٍ * ولا حاجةٍ دون إنضاجِها

— يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان — :

كأن قُتودى على خاضبٍ * زَفُوفِ العَشيّاتِ هَدّاجِها(٣)
إلى مَلِكٍ لا إلى سُوقةٍ * كَسَتْه الملوكُ ذُرَا تاجِها
تَحُلُّ(٤) الوفود بأبوابه * فتَلْقَى الغِنَى قبْلَ إرتاجِها
بقَرْع أبواب دور الملو * كِ عندَ التحية وَلّاجِها

(١) كذا فى حـ هنا وفيما مضى فى جميع الأصول . وفى سائر الأصول هنا : « فى » .
(٢) المعتر : الفقير والمتعرض للمعروف من غير أن يسأل (٣) القتود : جمع قتد وهو خشب الرحل . والخاضب : ذكر النعام . وزفوف : حسن المشى سريعه . والهداج : الذى فى مشيه أو عدوه أو سعيه ارتعاش . (٤) فى س : « تحلى » وهو تحريف .

إلى دار ذى حسبٍ ماجدٍ * حَمُــول المَغارم فَرّاجهـا

رَكُودِ[1] الجفان غداةَ الصَّبا * ويومَ الشَّمال وإرهاجهـا[2]

وقفتُ بمَدْحِيه عنـد الجِما[3] * رِ أُنشده بين حُجّاجهـا

دس المنصور إليه من يسمع منه مدحه لعبد الواحد ففطن لذلك وأنشده من شعره فى المنصور وأخذ جائزته

أخبرنى محمد بن جعفر النحوىّ صهرُ المبرّد قال حدّثنى أبو إسحاق طلحةُ بن عبد الله الطلحىّ قال حدّثنى محمد بن سليمان[4] بن المنصور قال :

وجّه المنصور رسولًا قاصدا إلى ابن هرمة ودفع إليه ألفَ دينار وخِلعة ، ووصفه له وقال: امض إليه؛ فإنك تراه جالسًا فى موضع كذا من المسجد ، فانتسِبْ له إلى بنى أمية أو مواليهم، وسَلْه أن يُنشدك قصيدتَه الحائية التى يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان :

وجدنا غالبًا كانت جناحًا * وكان أبوك قادمةَ الجناح

فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقَه وجئنى برأسه ؛ وإن أنشدك قصيدته اللامية التى يمدحنى بها فادفع إليه الألفَ الدينار والخِلعة، وما أُراه يُنشدك غيرَها ولا يعترف بالحائية . قال: فأتاه الرسول فوجده كما قال المنصور، فجلس إليه واستنشده قصيدته فى عبد الواحد؛ فقال : ما قلت هذه القصيدةَ قطُّ ولا أعرفها وإنما نحلها إياى مَنْ يُعادينى، ولكنْ إن شئتَ أنشدتك أحسنَ منها؛ قال: قد شئتُ فهات؛ فأنشده : ١٨٣ / ٥

* سَرى ثوبَه عنك الصَّبا المتخايلُ *

حتى أتى على آخرها؛ ثم قال له : هاتِ ما أمرك أميرُ المؤمنين بدفعه إلىّ؛ فقال : أىّ شىء تقول يا هذا وأىّ شىء دَفع إلىّ ؟ فقال : دَعْ ذا عنك ، فوالله

(١) الركود من الجفان : الثقيل المملوء . (٢) الإرهاج : الإمطار . (٣) الجمار : اسم موضع بمنى وهو موضع الجمرات الثلاث . (٤) فى حـ : « محمد بن سليمان المنصور » .

ما بعثك إلا أميرُ المؤمنين ومعك مالٌ وكسوة إلىّ، وأمرك أن تسألنى عن هذه القصيدة فإن أنشدتك إياها ضربتَ عنقى وحملتَ رأسى إليه، وإن أنشدتك هذه اللامية دفعتَ إلى ما حمّلك إياه؛ فضحك الرسول ثم قال: صدقتَ لعمرى؛ ودفع إليه الألف الدينار والخلعة. فما سمعنا بشىء أعجب من حديثهما.

استقل المهدى على المنصور جائزته له فأجابه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثنا عمّى عن جدّى قال:

لما أنشد ابنُ هرمة المنصورَ قصيدتَه اللامية التى مدحه بها أمر له بألف[1] درهم؛ فكلّمه فيه المهدىّ واستقلّها؛ فقال يا بُنىّ، لو رأيتَ هذا بحيث رأيتُه وهو واقف بين يدى عبد الواحد بن سليمان يُنشده:

وجدنا غالبًا كانت جناحًا * وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

لاستكثرتَ له ما استقللتَه، ولرأيتَ أنّ حياته بعد ذلك القول ربح كثير. والله إنى يا بُنىّ ما هممت له منذُ يومئذ بخير فذكرتُ قولَه إلا زال ما عرض بقلبى إلى ضده حتى أهُمّ بقتله ثم أعفوَ عنه. فأمسك المهدىّ.

بعض شعره الذى يغنى فيه

ومما يُغنّى فيه من مدائح ابن هرمة فى عبد الواحد بن سليمان قولُه من قصيدةٍ أنا ذاكرها بعد فراغى من ذكر الأبيات، على أن المغنين قد خلطوا مع أبياته أبياتًا لغيره:

صــــوت

ولما أنْ دنا منّا ارتحالٌ * وقُرِّب ناجياتُ السيرِ كُومُ[2]

تحاسَرَ واضحاتُ اللونِ زُهْرٌ * على ديباجِ أوجهها النعيمُ

---

(١) فى أ، ء: «بألفى».

(٢) الناجيات: النوق السريعة تنجو بمن ركبها. والكوم: النوق الضخمة السنام.

أَتَيْنَ مودِّعاتٍ والمطايا * لدَى أكوارها خُوصٌ[1] هُجُوم
فكم من حُرَّة بين المُنَقَّى[2] * إلى أُحُدٍ إلى ما حاز رِيم[3]

ويروى :

* فكم بين الأقارع[4] فالمُنَقَّى *

وهو أجود .

إلى الجَمَّاء[5] من خدٍّ أَسيل * نقِيّ اللون ليس به كُلُوم
كأنِّى من تذكُّرِ ما أُلاقِى * إذا ما أظلم الليلُ البهيم
سَلِيمٌ مَلَّ منه أقربوه * وأسلمه المُداوِى والحميم

ذكر الزُّبير بن بكّار أن هذا الشعر كله لأبى المِنْهال نُفَيلة[6] الأشجعىّ . قال[7] : وسمعتُ بعض أصحابنا يقول : إنه لمَعْمَر بن العَنْبَر[8] الهُذَلِىّ . والصحيح من القول، أن بعض هذه الأبيات لابن هرمة من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سليمان

(١) خوص : جمع أخوص وخوصاء، والخوص : ضيق العين وصغرها وغؤورها . وهجمت العين هجوما : غارت ودخلت فى موضعها . (٢) المنقى : طريق بين أحد والمدينة . (٣) الريم : (بالكسر والهمز ويسهل) : واد لمزينة قرب المدينة . (٤) الذى فى المعاجم : الأقرع (بالإفراد) وهو جبل بين مكة والمدينة بالقرب منه جبل يقال له الأشعر . وقد تقدّم غير مرة أنه يسوغ فى الشعر أن يجىء اسم المكان مفردا ومثنى ومجموعا حسب الضرورة الشعرية والكل واحد . (٥) الجماء : جبيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف (بضم الجيم وسكون الراء)، وقيل : هى إحدى هضبتين عن يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكة . وقيل : الجماوات ثلاث بالمدينة : جماء تضارع التى تسيل على قصر أم عاصم وبئر عروة ، وجماء أم خالد التى تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفرى وما والاه، وجماء العاقر وبينها وبين جماء أم خالد فسحة وهى تسيل على قصور جعفر بن سليمان وما والاها . (٦) فى أ ، ؛ هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول ما عدا ب ، س : «بقيلة» (بالباء والقاف) . (٧) كلمة « قال » ساقطة فى حـ . (٨) فى حـ : «العنبرى» . ولم نوفق لترجيح إحدى الروايتين .

مخفوضة الميم ، ولمّا غُنّى فيها وفى أبيات ثُقَيْلة وخلط فيه ما أوجب خفض القافية غُيِّر إلى ما أوجب رفعها . فأمّا ما لابن هرمة فيها فهو من قصيدته التى أولها :

أجارتَنا بذى نَفَر[1] أقيمى * فما أبكى على الدهر الذميمِ
أقيمى وجهَ عامك ثم سِيرى * بلا واهى الجِوار ولا مُليمِ ١٨٤ / ٥
فكم بين الأقارع فالمُنقّى * إلى أُحُدٍ إلى أكناف رِيمِ
إلى الجمّاء مِنْ خدٍّ أسيلٍ * نقىّ اللون ليس بذى كُلومِ
ومن عينٍ مكحّلةِ الأماقى * بلا كُحْل ومن كَشْحٍ هَضيمِ
أرقتُ وغاب عنّى من يلوم * ولكنْ لم أَنَمْ أنا للهمومِ
أرقتُ وشفّنى وَجَعٌ بقلبى * لزينبَ أو أُميمةَ أو رَعُومِ
أقاسى ليلةً كالحَوْل حتى * تبدّى الصبحُ مُنقطعَ البَرِيمِ[2]
كأنّ الصبح أبلقُ فى حُجُول * يَشُبّ ويتّقى ضربَ الشّكيمِ
رأيتُ الشّيب قد نزلتْ علينا * روائعُه بحجة مستقيمِ
إذا ناكرتُه ناكرتُ منه * خصومةَ لا ألدَّ ولا ظَلُومِ
وودّعنى الشباب فصرتُ منه * كراضٍ بالصغير من العظيمِ
فدعْ مالا يَرُدّ عليك شيئًا * من الجارات أو دِمَن الرسومِ
وقُلْ قولا تُطَبِّق[3] مِفصلَيْه * بمِدْحة صاحب الرأى الصَّروم[4]

(١) كذا فى أكثر الأصول . وذو نفر (بالتحريك ، ويروى بالسكون) : موضع على ثلاثة أيام من السليلة بينها وبين الربذة ، وقيل : خلف الربذة بمرحلة فى طريق مكة . وفى حـ : «بذى بقر» . وذو بقر : واد بين أخيلة الحمى حمى الربذة . وذونفر وذو بقر متقاربان .

(٢) البريم : ضوء الشمس مع بقية سواد الليل . (٣) تطبق مفصليه : تصيب فيه الحجة ، وأصله : إصابة المفصل وهو طبق العظمين أى ملتقاهما فيفصل بينهما . (٤) الصروم : القاطع .

لعبد الواحد الفَلْجُ(١) المعلَّى * علا خُلُقَ النَّفُورة(٢) والخُصوم
دعتـه المَكْرُماتُ فناولتـه * خِطامَ المجد فى سِنّ القَطِيم

وهى طويلة . فمن الأبيات التى فيها الغناء أربعـةُ أبياتٍ لابن هرمة قد مضت فى هـذه القصيدة ، وإنما غُيِّرت حتى صارت مرفوعةً ، فاتّفقت الأبياتُ وغُنّى فيها . وأما أبيات نُفَيلة فما بقى من الصوت المذكور بعد أبيات ابن هرمة له . ويتلو ذلك من أبيات نُفَيلة قولُه :

يُضىء دجى الظلام إذا تبدَّى * كضوء الفجر منظرَه وَسِيمُ
وقائلةٍ ومُثْنيـةٍ علينـا * تقول وما لهـا فينا حمـيم
وأُخرى لُبُّها معنا ولكنْ * تَصَبَّرُ وهى واجمةٌ كَظُوم
تَعُـدّ لنا الليـالى تحتصيها * متى هو حائنٌ منه(٣) قُدُوم
متى تَرَ غفلةَ الواشين عنها * تَجُدْ(٤) بدموعها العينُ السَّجوم

والغناء فى هذه الأبيات المذكورة المختلط فيها شعرُ ابن هرمة ونفيلة لمعبد، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو ويونس . وفيها لحن من الثقيل الثانى ينسب إلى الوابِصىّ . وفيها خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى ابن سريج .

الوابصى وأخباره

وهذا الوابصىّ هو الصَّلْت بن العاصى بن وابِصة بن خالد بن المُغيرة بن عبد الله آبن عمرو بن مخزوم . كان تنصّر ولحق ببلاد الروم؛ لأنّ عمر بن عبـد العزيز — فيما ذُكِر — حدّه فى الخمر، وهو أمير الحجاز ، فغضب فلحق ببلاد الروم وتنصّر هناك، ومات هنالك نصرانيا .

حدّه عمر بن عبد العزيز فى الخمر فذهب إلى بلاد الروم وتنصر ومات نصرانيا

(١) الفلج : الظفر والغلب . (٢) نفورة الرجل : نافرته وهى أسرته وفصيلته التى تغضب لغضبه .
(٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « منا » . (٤) فى جـ : « يوما » .

رآه رسول عمر بن عبد العزيز الذى ذهب الى الروم لفك الأسرى

فأخبرنا محمد بن العباس اليَزِيدىّ قال حدثنا أحمد بن زُهير قال حدثنا الزبير ابن بكّار قال حدثنى عبد الله بن عبد العزيز قال أخبرنى ابن العلاء[1] — أظنه ١٨٥/٥ أبا عمرو أو أخاه — عن جُوَيريَةَ بن أسماء عن إسماعيل بن أبى حَكيم، وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدثنا عمر بن شَبّة قال حدثنا سعيد بن عامر[2] عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبى حَكيم، وقد جمعت الروايتين، قال اليزيدىّ فى خبره : إن إسماعيل حدّث: أن عمر بن عبد العزيز بَعث فى الفِداء . وقال عمر بن شَبّة : إن إسماعيل حدّث قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز فأتاه البريد الذى جاء من القسطنطينية فحدّثه قال : بينا أنا أَجُول فى القسطنطينية إذ سمعت رجلا يغنِّى بلسان فَصيح وصوت شَجٍ :

فكم من حُـرَّة بين المُنَقَّى * إلى أُحدٍ إلى جَنَباتِ رِيمِ

فسمعتُ غناءً لم أسمع قطُّ أحسنَ منه . فلما سمعت الغناء وحُسنَه ، لم أدر أهو كذلك حَسَنٌ، أم لغربته وغربةِ العربيّة فى ذلك الموضع . فدنوت من الصوت، فلما قرُبت منه إذا هو فى غرفة، فنزلت عن بغلتى فأوثقتها ثم صَعِدت إليه فقمت على باب الغرفة ، فإذا رجل مُسْتلقٍ على قَفَاه يغنِّى هذين البيتين[3] لا يزيد عليهما وهو واضعٌ إحدى رجليه على الأخرى ، فإذا فرَغ بكى فيبكى ما شاء الله ثم يعيد الغناء . ففعل ذلك مرارا؛ فقلت : السلام عليكم؛ فوثب وردّ السلام؛ فقلت : أَبْشر فقد فَكّ الله أسرك ، أنا بريد أمير المؤمنين عمر بنِ عبد العزيز إلى هذا الطاغية فى فداء

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «ابن أبى العلاء» ، وهو تحريف .

(٢) هو سعيد بن عامر الضبعى (بضم المعجمة وفتح الموحدة) أبو محمد البصرى وهو ابن أخت جويرية بن أسماء وعنه يروى . وقد ورد فى حـ : «سعيد بن عامر بن جويرية ... الخ» . وورد فى سائر الأصول : «سعيد بن عباس» ، وكلاهما تحريف .

(٣) يلاحظ أن الذى تقدم بيت واحد .

الأسارى . ثم سألته : من أنت؟ فقال : أنا الوابصىّ، أُخذت فعُذّبت حتى دخلت فى دينهم؛ فقلت له : أنت والله أحبُّ مَنْ أفتـديه إلى أمير المؤمنـين وإلىّ إن لم تكن دخلتَ فى الكفر؛ فقال : قد والله دخلت فيه؛ فقلت : أَنْشُـدك اللهَ إلّا أسلمتَ؛ فقال : أأُسلم وهذان ابناى وقد تزوّجت آمرأة منهم وهذان ابناها، وإذا دخلتُ المدينة قيل لى يا نصرانىّ وقيل مثل ذلك لولدىّ وأمهما! لا والله لا أفعل . فقلت له : قد كنتَ قارئا للقرآن فما بقى معك منـه؟ قال : لا شىء إلا هـذه الآية ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ . قال : فعاودته وقلت له : إنك لا تُعيَّر بهذا؛ فقال : وكيف بعبادة الصليب وشرب الخمـر وأكل لحم الخنزير؟ فقلت : سبحان الله! أمَا تقرأ : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ فجعل يُعيد علىّ قولَه : فكيف بما فعلت! ولم يجبنى إلى الرجوع . قال : فرفع عمر يده وقال : اللهم لا تمتنى حتى تمكّننى منه . قال : فوالله مازلت راجيا لإجابة دعوة عمرَ فيه . قال جويرية فى حديثه : وقد رأيت أخا الوابصىّ بالمدينة .

لقيه رجل بصرى فأخبره أن سبب تنصره عشـقه لامرأة منهـم

وقال يعقوب بن السِّكِّيت فى هـذا الخبر . أخبرنى ابن الأزرق عن رجل من أهل البصرة أُنسيت آسمَه قال :

نزلنـا فى ظلّ حصن من الحصـون التى للروم، فإذا أنا بقائل يقول من فوق الحصن :

فكم بين الأقارع فالمُنَـقَّى ✻ إلى أُحُدٍ إلى ميقات رِيم
إلى الزَّوْراء(١) من ثغر نَقِيٍّ ✻ عوارضه ومن دَلٍّ رخيم
ومن عين مُكَحَّلة الأماقى ✻ بلا كُحْل ومن كَشْح هضيم

(١) الزوراء : اسم يطلق على أكثر من موضع . والظاهر أنه يريد بها هنا موضعا عند سوق المدينة يطلق عليه هذا الاسم لقرب هذا الموضع من المواضع المذكورة فى البيت السابق .

وهو يُنشد بلسان فصيح ويبكى، فناديته : أيها المنشد، فأشرف فتًى كأحسن الناس . فقلت : مَن الرجل وما قصتك ؟ فقال : أنا رجل من الغُزاة من العرب نزلتُ مكانَك هذا، فأشرفتْ علىّ جارية كأحسن الناس فعشقتُها فكلّمتها؛ فقالت : إن دخلتَ فى دينى لم أخالفك؛ فغلب علىّ الشيطان فدخلت فى دينها، فأنا كما ترى . ١٨٦/٥ فقلت : أكنتَ تقرأ القرآن؟ فقال: إى والله لقد حفظته . قلت : فما تحفظ منه اليوم؟ قال: لا شىء إلا قوله عزّ وجل: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾. قلت: فهل لك أن نُعطِيَهم فداءك[1] وتخرج ؟ قال : ففكّر ساعة ثم قال : انطلقْ صَحِبك الله .

بعض ما ورد فى شعر ابن هرمة من الأخبار

ومما فى الأخبار من شعر ابن هرمة :

صوت

من المائة المختارة

فى حاضِرٍ لَجِبٍ[2] بالليل سامرُه * فيه الصواهلُ والرايات والعَكَرُ

وخُرّد كالمَهَا حُور مدامعُها * كأنها بين كُثْبان النَّقا البَقَر

الشعر لابن هرمة . والغناء فى اللحن المختار لحُنين، ولحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق . قال إسحاق : وفيه لأبى هَمْهَمَة لحن من الثقيل الأوّل أيضا . وأبو هَمْهَمة هذا مغنٍّ أسودُ من أهل المدينة ، ليس بمشهور ولا ممن نادم الخلفاء ولا وجدت له خبرا فأذكره .

(١) فى حـ : «أن نعظم لهم فداءك» .

(٢) الحاضر : الحى العظيم . والسامر : المتسامرون . والعكر : جمع عكرة (محركة) وهى القطعة من الإبل ؛ قيل : ما فوق خمسمائة ، وقيل : ما بين الخمسين إلى المائة .

صـــوت
من المـائة المختارة

بزينب أَلِمْ قبل أن يرحل الركبُ * وقُلْ إن تَمَلِّينا فما ملَّك القلبُ
وقل فى تَجَنِّيها لكَ الذنبَ : إنما * عتابُكَ مَنْ عاتبتَ فيما له عَتْب

الشعر لنُصَيب . والغناء فى اللحن المختار لكَرْدَم بن معبد ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمعبد لحن آخر من خفيف الثقيل عن يونس والهشامىّ ودَنانيرَ . وفيه لإبراهيم لحن آخر من الثقيل الأوّل ذكره الهشامىّ .

بعض أخبار لنصيب

وقد تقدّم من أخبار نُصيب ما فيه كفاية ، وإنما تأخر منها ما له موضع يصلُح إفرادُه فيه ، مثل أخبار هذا الصوت .

ذكر عن نفسه أنه قال شعرا فعلم أنه شاعر

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال حدّثنا عمى الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى عن ابن كُناسة قال :

قال نصيب : ما توهمت أنى أُحسن أن أقول الشعرَ حتى قلت :

* بزينبَ أَلْمِمْ قبلَ أن يرحل الرَّكْبُ *

سمع جميل وجرير من شعره فتمنيا لو أنهما سبقاه إليه

أخبرنا الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزامىّ عن محمد بن مَعْن الغِفارىّ قال أخبرنى ابن الربيح (١) قال :

مرّ بنا جَميل ونحن بضَرِيّة (٢) ، فاجتمعنا إليه فسمعته يقول : لأن أكون سَبقتُ الأسود إلى قوله :

---

(١) كذا فى أ ، ء . وفى ب ، س : « الذبيح » . وفى حـ ، م : « الزبيح » ، وكلاهما تحريف . (راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٤ من الجزء الرابع من هذه الطبعة) .

(٢) ضرية : قرية عامرة قديمة فى طريق مكة من البصرة من بلاد نجد . وقيل : هى صقع واسع بنجد ينسب إليه حمى ضرية المعروف ، يليه أمراء المدينة وينزل به حاج البصرة بين الجديلة وطخفة .

* بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ *

أحبُّ إلىّ مِنْ كذا وكذا — لشيءٍ قاله عظيم — .

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنى الزبير قال حدّثنى سعيد بن عمرو عن حَبيب بن[1] شَوذب الأَسَدىّ قال :

١٨٧/٥ مرّ بنا جَرير بن الخَطَفَى ونحن بضَرِيّة ، فاجتمعنا إليه فسمعتُه يقول : لَأَنْ أكونَ سَبقتُ العبدَ إلى هذا البيت أحبُّ إلىّ من كذا وكذا ؛ يعنى قولَه :

* بزينبَ ألمم قبلَ أن يرحل الركبُ *

أنشده الكميت من شعره وبكى

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال حدّثنى عمّى الفضل عن إسحاق الموصلى عن ابن كُناسة قال :

اجتمع الكُميت بن زيد ونُصيب فى الحمّام، فقال له الكميت : أنشدنى قولك :

* بزينبَ ألمم قبلَ أن يرحل الركبُ *

فقال : والله ما أحفظها ؛ فقال الكميت : لكنّى أحفظها، أفأُنشدك إياها ؟ قال نعم ، فأقبل الكميت يُنشده وهو يبكى .

كان مع زوجته فمر به ابن سريج يتغنى بشعره فيها فلامته

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلّبى قالا[2] حدّثنا عمر بن شَبّة قال ذكر ابن أبى الحُوَيرث عن مولاة لهم ، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص عن مولاة لهم قالت : إنا لبِمِنًى إذ نظرتُ

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : « حبيب بن شوذب » . والمعروف بابن شوذب هو عبد الله أبو عبد الرحمن البلخى ، وقد تقدّم فى الأجزاء السابقة من هذا الكتاب .

(٢) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « قال » . وهو تحريف .

إلى أبنيـة مضروبة وأثاث وأمتعة ، فلم أُدْرِ لمن هى ، حتى أُنيخ بعير ، فنزل عنـه أسودُ وسوداء فألقيا أنفسهما على بعض المتاع ، ومرّ راكب يتغنّى غناء الركبان :

* بزينبَ ألمِم قبلَ أن يرحل الركبُ *

فرأيت السـوداء تخبط الأسود وتقـول له : شهّرتنى وأذعت فى النـاس ذكرى[1]؛ فإذا هو نُصيب وزوجته . قال إسحاق فى خبره : وكان الذى اجتاز بهم وتغنّى ابن سريج .

كان ابن سريج يغنى لنسوة فى شعره فلم يشأ أن يتعرف بهن

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن كُناسة عن أبيه قال : [قال][2] نُصيب : والله إنى لأسير على راحلتى إذ أدركت نسوةً ذواتِ جمال يتناشدنَ[3] قولى :

* بزينبَ ألمِم قبل أن يرحل الركبُ *

وإذا معهنّ ابن سُرَيج؛ فقلن له : يا أبا يحيى، غَنِّنا فى هذا الشعر، فغناهنّ فأحسن ؛ فقلن : وَدِدْنا والله يا أبا يحيى أن نُصيبا معنا فيتمّ سرورنا ؛ فحرّكتُ بعيرى لأتعرّف بهنّ وأُنشدهنّ؛ فالتفتت إحداهنّ إلىّ فقالت حين رأتنى : والله لقد زعموا أن نُصيبا يشبه هذا الأسود لاجَرَم؛ فقلت : والله لا أتعرّف بهنّ سائرَ اليوم، ومضيت وتركتهنّ . قال : وكان الذى تغنى به ابنُ سُرَيج من شعرى :

بزينب ألمِم قبل أن يرحل الركبُ * وقُـل إن تَمَلّينا فمـا ملَّكَ القلبُ
وقُلْ إن تُنَـلْ بالحبّ منكِ مودّةٌ * فمـا مثلُ ما لُقّيت من حُبكم حب
وقل فى تَجَنّيهـا لكَ الذنبَ إنمـا * عتابكَ من عاتبتَ فيما له عتْب

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فكرى» ، وهو تحريف . (٢) التكملة عن حـ .
(٣) فى الأصول : « يتناشدون » وهو تحريف .

فمن شاء رام الوصلَ أو قال ظالمًا * لذى ودّه ذنبٌ وليس له ذنبُ

سأله جد جمال بنت عون أن ينشده قصيدته فى زينب فأنشده

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى إبراهيم ابن عبد الله السَّعْدى (١) عن جدّته جَمال بنت عَوْن عن جدّها قال :

قلت للنُّصَيب : أنشدنى يا أبا مِحْجَن من شعرك شيئا ؛ فقال : أيَّه تريد؟ قلت : ما شئتَ ؛ قال : لا أُنشدك أو تقترحَ ما تريد ؛ فقلت : قولك :

* بزينبَ أَلْمِمْ قبلَ أن يرحلَ الركبُ *

قال : فتبسّم وقال : هذا شعرٌ قلته وأنا غلام ؛ ثم أنشدنى القصيدةَ . قال الزبير : وهى أجود ما قال .

لامه عمر على تشهيره بالنساء فأخبر أنه تاب واستجازه فأجازه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وحبيب بن نصر المهلّبى قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا المَدائنى عن أبى بكر الهُذَلِىّ قال حدّثنى أيوب بن شاس ،
١٨٨ / ٥ ونسخت هذا الخبرَ من كتاب أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنى عن أبى بكر الهذلى عن أيوب بن شاس — وروايته أتم من رواية عمر بن شَبّة — قال أيوب : حدّثنى عبد الله بن سعيد :

أن النصيب دخل على عمر بن عبد العزيز لمّا ولى الخلافة ؛ فقال له : هِيه يا أسود :

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب * وقُلْ إن تَمَلَّينا فما مَلَّكِ القلبُ .

أأنت الذى تَشْهَر النساء وتقول فيهنّ ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنى قد تركت ذلك وتُبْت من قول الشعر ، وكان قد نسك ؛ فأثنى عليه القوم وقالوا فيه قولا

(١) فى ب ، س : « السعيدى » .

جميلا(١)؛ فقال له : أمّا إذْ أثنى عليك القوم فسَلْ حاجتَك؛ فقال : يا أمير المؤمنين، لى بُنَيّاتٌ سويداوات أرغَب بهنّ عن السودان ويرغب عنهنّ البيضان ، فإن رأيتَ أن تفرض لهنّ فافعل؛ ففعل .

رأى عثمان بن الضحاك امرأة تمثل بشعره فى زينب فكانت هى وأخبرته أنه آت لزيارتها

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن شَبيب عن محمد بن المؤمّل ابن طالوت عن أبيه عن عثمان بن الضحّاك الحزامى قال :

خرجت على بعير لى أريد الحج، فنزلت فى فِناء خيمة بالأبواء(٢)، فإذا جارية قد خرجت من الخيمة ففتحت الباب بيديها ؛ فآستلهانى حسنُها ، فتمثّلتُ قولَ نُصيب :

بزينبَ ألمِم قبل أن يرحل الركبُ * وقل إن تملّينا فما ملّكِ القلبُ

فقالت الجارية : أتعرف قائلَ هذا الشعر ؟ قلت : نعم، ذاك نصيب؛ قالت: أفتعرف زينبَ هذه ؟ قلت : لا ؛ قالت : فأنا والله زينبُه ، وهو اليومُ الذى وعدنى فيه الزيارةَ، ولعلك لا ترحَل حتى تراه . فوقفتُ ساعة فإذا أنا براكب قد طلع بفناء حتى أناخ قريبًا منها، ثم نزل فسلّم عليها وسلّمتُ عليه ؛ فقلت : عاشقان التقيا ولا بدّ أن يكون لهما حاجة، فقمت إلى راحلتى فشددتُ عليها؛ فقال : على رِسْلك، أنا معك ؛ فلبث ساعةً ثم رحل ورحلت معه ؛ فقال لى : كأنك قلت فى نفسك كذا وكذا ؛ قلت : قد كان ذاك؛ فقال لا، وربِّ الكعبة البَنِيّة المستورة ما جلستُ معها مجلساً قطُّ هو أقربُ من هذا .

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فأثنى عليه القوم خيرا وقالوه فيه فقال ... إلخ » .

(٢) الأبواء : قرية من أعمال الفرع (بضم الفاء وسكون الراء) من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا . وقيل : هى جبل على يمين آرة ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة، وهناك بلد ينسب إلى هذا الجبل . وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم .

شبه حماد بن إسحاق قصيدة له بشعر امرئ القيس

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى حماد بن إسحاق قال قال لى أبو ربيعة :

لو لم تكن هذه القصيدة :

* بزينبَ ألمِم قبل أن يرحل الركبُ *

لُنصيب، شِعْرَ مَنْ كانت تُشبه ؟ فقلت : شعر ٱمرئ القيس، لأنها جزلة الكلام جيدة . قال : سبحان الله ! قلت: ما شأنُك ؟ فقال : سألت أباك عن هذا فقال لى مثلَ ما قلتَ، فعجبتُ من ٱتفاقكما .

منقذ الهلالى وطربه بشعر نصيب

قال هارون وحدّثنى حماد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص الثَّقَفى عن رجل سمّاه قال :

أتانى مُنقذ الهلالى ليلةً وضرب علىّ البابَ، فقلت : من هذا؟ فقال : منقذ الهلالىّ؛ فخرجت فزِعا، فقلت : فيم السُّرَى(1) — أى ما جاء بك تسرى إلىّ ليلا — فى هذه الساعة ؟ قال : خير، أتانى أهلى بدجاجة مشويّة بين رغيفين، فتغذّيت(2) بها معهم، ثم أُتيتُ بقنّينة نبيذ قد ٱلتقى طرفاها، فشربتُ وذكّرت قول نُصَيْب :

* بزينب ألمِمْ قبل أن يَرحلَ الرَّكبُ *

فأنشدتُها فأطربَتْنى ، وفكّرت فى إنسان يفهم حُسْن ذلك ويعرف فضله فلم أجد غيرَك فأتيتك . فقلت : ما جاء بك إلا هذا ؟ ! قال : لا، وٱنصرف .

قال حماد : معنى قوله «التقى طرفاها» أى قد صَفَت وراقت فأسفلها وأعلاها سواء فى الصفاء .

١٨٩ / ٥

وممّا يُغنّى فيه من قصيدة نُصيب البائيّة المذكورة قولُه :

---

(1) كذا فى حـ . وفى أ ، ء ، م : «فما السرى أى ما جاء بك ... الخ» وفى ب ، س : فما السر الذى جاء بك ... الخ» . (2) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فتغديت» (بالدال المهملة) .

صـــــوت

خليليّ من كَعْبٍ ألِمّا هُدِيتُما * بزينب لا يَفْقِدْكُما أبدًا كعبُ
مِنَ اليـومِ زُوراها فإن رِكابَنا * غداةَ غدٍ عنها وعن أهلها نُكْبُ

الغناء لمـالك خفيفُ ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة .

صـــــوت

من المـائة المختارة على رواية جحظة عن أصحابه :

النَّشْرُ مِسـكٌ والوجـوهُ دنا * نيرٌ وأطـرافُ الأكـفِّ عَنَمْ
والدار وَحْشٌ والرسـوم كما * رَقَّش فى ظهـر الأديم قَـلَمْ
لستُ كأقـوام خلائقُهـم * نَثُّ أحاديث وهتـكُ حُرَمْ

— نَثُّ الحديث : إشاعته . والعَنَم : شجر أحمر، وقيل : بل هو دود أحمر كالأَسَاريع[(1)] يكون فى البقل فى أيام الربيع . والأديم : الجلد، وجلد كل شيء أديمه . ورقَّش : زين — الشعر لمرقِّش[(2)] الأكبر، والغناء لابن عائشة هزج بالبنصر فى مجراها .

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « كالتساريع » . ولعلها مصحفة عن « اليساريع » وهى بمعنى الأساريع . (٢) هـذا الشعر من قصيدة للرقش يرثى بها ابن عمه ثعلبة بن عوف بن مالك ابن ضبيعة ، قتله مهلهل فى ناحية التغلبين ، وكان معه مرقش فأفلت ، ثم إنه طلب بدم ثعلبة فقتل رجلا من تغلب يقال له عمرو بن عوف . وقد وردت هذه الأبيات فى المفضليات (ص ٤٨٤ — ٤٩٢ طبع أوربا) على غير هذا الترتيب وباختلاف يسير .

أخبار المرقش الأكبر ونسبه

نسبه وسبب تسميته بالمرقش وقرابته للمرقش الأصغر

المرقِّش لقب غلب عليه بقوله :

الدار وَحْشٌ والرســومُ كما * رقَّش فى ظهــر الأديم قَـلَمْ

وهو أحد من قال شعرا فلُقِّب به . وآسمُه — فيما ذكر أبو عمرو الشَّيْبانى — عمرو . وقال غيره : عَوْفُ[1] بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة الحِصْن[2] ابن عُكَابة بن صَعْب بن على بن بكر بن وائل . وهو أحد المتيَّمين . كان يهوي ابنةَ عمه أسماءَ بنت عوف بن مالك بن ضُبيعة، وكان المرقِّش الأصغر ابنَ أخى المرقش الأكبر. واسمه — فيما ذكر أبو عمرو — ربيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك. وقال غيره: هو عمرو بن حَرْملة بن سعد بن مالك .. وهو أيضا أحد المتيَّمين، كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك و يتشبّب بها. وكان للمرقِّشين جميعا موقعٌ فى بكر بن وائل وحروبها مع بنى تغلب، و بأسٌ وشجاعة ونجدة وتقدُّم فى المَشَاهد ونكايةٌ فى العدوّ وحسنُ أثر.

عوف بن مالك المعروف بالبرك

وكان عوف بن مالك بن ضُبَيعة عمُّ المرقِّش الأكبر من فرسان بكر بن وائل . وهو القائل يوم قِضَة : يا لَبكر بن وائل، أفى كل يوم فرار! ومَحْلوفى[3] لا يمرُّ بى رجل من بكر بن وائل منهزماً إلّا ضربتُه بسيفى . و بَرَك يقاتل؛ فسمِّىَ البُرَكَ يومئذ .

عمرو بن مالك وأسره لمهلهل

وكان أخوه عمرو بنُ مالكٍ أيضا من فُرْسان بكر، وهو الذى أَسَر مُهلهِلا ، التقيا فى خَيْلين من غير مُزَاحفة فى بعض الغارات بين بَكْر وتَغْلِب، فى موضع يقال له نقَا

---

(١) قيل سمى عوفا باسم عمه والد أسماء التى كان يهواها و يتشبب بها . (راجع المفضليات) .

(٢) كذا فى ح . وقد صححها الأستاذ الشنقيطى كذلك فى نسخته المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٤٤ أدب ش) . وفى سائر الأصول : « الحصين » وهو تحريف . (راجع المعارف لابن قتيبة ص ٤٧ ، ٤٨) .

(٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « أما ومحلوفى » .

الرَّمل، فانهزمتْ خيلُ مهلهل وأدركه عمرو بن مالك فأسَره فانطلق به إلى قومه، وهم فى نواحى هَجَر[١]، فأحسَنَ إسارَه. ومرّ عليه تاجر يبيع الخمر قَدِم بها من هجر، وكان صديقا لمهلهل يشترى منه الخمر، فأهدى إليه وهو أسيرٌ زِقَّ خمر، فاجتمع إليه ١٩٠
٥
بنو مالك فنحروا عنده بَكْرًا وشربوا عند مهلهل فى بيته — وقد أفرد له عمرٌو بيتا يكون فيه — فلما أخذ فيهمُ الشرابُ تغنّى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب؛ فسمع ذلك عمرُو بن مالك فقال: إنه لرَيَّانُ، والله لا يشرب ماءً حتى يَرِد رَبِيبُ — يعنى جملًا كان لعمرو بن مالك، وكان يتناول الدَّهاس[٢] من أجواف هجر فيرعى فيها غِبًّا بعد عشر فى حَمارّة القَيْظ — فطلبت رُكْبانُ بنى مالك ربيبًا وهم حِراص على ألّا يُقتَل مهلهل، فلم يقدروا على البعير حتى مات مهلهل عطشا. ونحر عمرو بن مالك يومئذ نابًا فأسرج جلدها على مهلهل وأخرج رأسه. وكانت بنتُ خال مهلهل امرأتُه بنتُ المُحَلِّل[٣] أحد بنى تغلب قد أرادت أن تأتيَه وهو أسير؛ فقال يذكرها:

طَفْلةٌ ما ابنةُ المحلِّل شَنْبا[٤] * ءُ لَعُوب لذيذةٌ فى العِناقِ[٥]

فلما بلغها ما هو فيه لم تأته حتى مات. فكان هَبَنَّقةُ القيسىّ أحدُ بنى قيس ابن ثعلبة واسمه يزيد بن ثَرْوان يقول — وكان مُحمَّقا وهو الذى تَضرِب به العربُ المثلَ

(١) هجر: اسم يطلق على أكثر من موضع. والظاهر أنه يريد به هنا هجر التى قصبتها الصفا وبينها وبين اليمامة عشرة أيام وبينها وبين البصرة خمسة عشر يوما على الإبل فقربها من ديار بكر وتغلب.
(٢) الدهاس: المكان السهل ليس برمل ولا تراب.
(٣) كذا فى الطبرى وفيما مر فى أكثر الأصول من الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص ٥١). وفى ب، س هنا وفيما مر من الجزء الخامس وهامش الطبرى: «المجلل» (بالجيم). وفى سائر الأصول هنا غير ب، س: «المجالد».
(٤) الشنباء: التى فى أسنانها ماء ورقة وبرد وعذوبة.
(٥) ورواية هذا البيت فى الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص ٥١):

طفلة ما ابنة المحلل بيضا * ءُ لعوب لذيذة فى العناق

فى الحمق — : لا يكون لى جمل أبدًا إلا سميتُه رَبِيئًا (يعنى أن ربيئا كان مباركا لقتله مهلهلا) . ذكر ذلك أجمعَ ابنُ الكلبى وغيرُه من الرواة . والقصيدة الميميّة التى فيها الغناء المذكورة بذكر أخبار المرقّش يقولها فى مَرْثِيَة ابن عم له . وفيها يقول :

بل هل شجَتْك الظُّعْنُ (١) باكرةً * كأنها النخيلُ (٢) من مَلْهَم (٣)

عشق المرقش أسماء بنت عوف وخطبها فزوجها أبوها فى بنى مراد فى غيبته

قال أبو عمرو — ووافقه المفضّلَ الضبى — : وكان من خبر المرقّش الأكبر أنه عشِق ابنة عمه أسماءَ بنتَ عوف بن مالك، وهو البُرَك، عشِقها وهو غلام فخطبها إلى أبيها، فقال: لا أزوّجك حتى تُعرفُ (٤) بالبأس — وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن — وكان يَعِده فيها المواعيد . ثم انطلق مرقّش إلى ملك من الملوك فكان عنده زمانًا ومدحه فأجازه . وأصاب عوفًا زمانٌ شديد ، فأتاه رجل من مُراد أحدُ بنى غُطَيْف (٥)، فأرغبه فى المال فزوّجه أسماءَ على مائةٍ من الإبل، ثم تنحّى عن بنى سعد ابن مالك . ورجع مرقش، فقال إخوته : لا تخبروه إلا أنها ماتت، فذبحوا كبشا وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفّوها فى مِلْحَفة ثم قبروها . فلما قدم مرقّش عليهم أخبروه أنها ماتت، وأتوا به موضعَ القبر، فنظر إليه وصار بعد ذلك يعتاده ويزوره . فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطّى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ آختصما فى كعب، فقال أحدُهما : هذا كعبى أعطانيه أبى من الكبش الذى دفنوه وقالوا إذا جاء مرقّش أخبرناه أنه قبرُ أسماء . فكشف مرقّش عن رأسه ودعا الغلام — وكان قد ضَنِىَ ضَنًا شديدا — فسأله عن الحديث فأخبره به وبترويج المرادىّ أسماء،

أخبره أهله بموت أسماء ولما علم بزواجها من المرادى رحل إليها ومات عندها

(١) الظعن : النساء بهوادجهن . (٢) فى المفضليات : « كأنهن النخل ... » . (٣) ملهم : أرض من أرض اليمامة موصوفة بكثرة النخيل . (٤) فى المفضليات : « حتى ترأس » أى تكون رئيسا . (٥) كذا فى حـ والمفضليات . وغطيف : بطن من مراد، وهم بنو غطيف بن ناجية بن مراد . وفى سائر الأصول : « عطيف » (بالعين المهملة) وهو تصحيف .

فدعا مرقِّش وليدةً له ولها زوج من غُفَيْلة[1] كان عَسِيفًا[2] لمرقّش، فأمرها بأن تدعوَ له زوجَها فدعته، وكانت له رواحلُ فأمره بإحضارها ليطلب المرادىّ [عليها][3] فأحضره إياها، فركبها ومضى فى طلبه، فرض فى الطريق حتى ما يُحمَل إلا معروضًا . و إنهما نزلا كهفًا بأسفل نَجْران ، وهى أرض مراد ، ومع الغُفَلىّ[4] امرأتُه وليدةُ مرقِّش؛ فسمع مرقِّش زوجَ الوليدة يقول لها : اتركيه فقد هَلك سقمًا وهلكنا معه ضُرًّا وجُوعًا . فجعلت الوليدةُ تبكى من ذلك؛ فقال لها زوجها : أطيعينى ، و إلا فإنى تاركُك وذاهب . قال : وكان مرقِّش يكتب ، وكان أبوه دفعه وأخاه حَرْملةَ — وكانا[5] أحبّ ولده إليه — إلى نَصرانىّ من أهل الحِيرة فعلّمهما الخطّ . فلما سمع مرقِّش قولَ الغُفَلىّ[4] للوليدة كتب مرقِّش على مُؤَخَّرة الرحل هذه الأبيات : ١٩١/٥

يا صاحبىّ تَلَبَّثا لا تعجَلا[6] * إنّ الرواح رهينُ ألّا تفعَلا

فلعلّ لُبثَكما يُفَرِّط سَيِّئا[7] * أو يَسبِقُ الإسراعُ سَيْبًا مُقْبِلا[8]

---

(١) فى أكثر الأصول : «عقيلة» . وفى حـ : «عقيل» (بالعين المهملة والقاف) . وفى تجريد الأغانى : «عفيل» (بالفاء) . والتصويب عن المفضليات وكتاب المعارف والقاموس . وغفيلة : حى من ولد عمرو بن قاصد وهم عدد بالجزيرة فى بنى تغلب . (٢) كذا فى حـ وتجريد الأغانى والمفضليات . والعسيف : الأجير والعبد المستهان به . وفى سائر الأصول : «عشيقا» وهو تصحيف .

(٣) زيادة عن حـ . (٤) فى الأصول هنا وفيما يأتى : «العقيلى» والتصويب عن المفضليات .

(٥) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول والمفضليات وتجريد الأغانى : «وكان ... الخ» .

(٦) فى هذا البيت عدة روايات ذكرها ابن الأنبارى شارح المفضليات . (ص ٤٥٨ طبع مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت) . (٧) كذا فى المفضليات ولسان العرب مادة «فرط» . وقد وردت هذه الكلمة فى سائر الأصول محرّفة . (٨) قال صاحب المفضليات فى التعليق على هذا البيت : «قال أبو عكرمة : يفرط : يقدّم ، مأخوذ من الفارط وهو المتقدّم قبل الماشية يصلح الدلاء والأرشية والحياض . يقول : لعل انتظاركما يقدّم عنكما مكروها . ولعل سيبا مقبلا يكون بعد عجلتكما ، فانتظاركما أوفق . قال : وقال أبو عمرو : الإفراط : التقدّم والعجلة ، يقول إن أبطأتما فعرض لكما شر فلعله أن يخطئكما و إن تقدّمتما فعرض خير بعدكما فلعله لا يصادفكما» .

يا راكبًا إمّا عرضتَ فبلِّغَنْ * أَنَسَ بنَ سعدٍ[1] إن لقيتَ وحَرْمَلا

لله دَرُّكما ودَرُّ أبيكما * إن أفلتَ العَبْدان[2] حتى يُقتَلا

مَنْ مُبلِغُ الأقوامِ أنّ مرقِّشًا * أضحى على الأصحاب عبئًا مُثقِلا[3]

وكأنما تَرِدُ السِّباعُ بِشِلْوه * إذْ غاب جمعُ بنى ضُبَيْعةَ مَنْهَلا

قال : فانطلق الغُفَلِيّ وامرأتُه حتى رجعا إلى أهلهما، فقالا: مات المرقِّش . ونظر حرملةُ إلى الرَّحْل وجعل يُقلِّبه فقرأ الأبيات، فدعاهما وخوّفهما وأمرهما بأن يَصدُقاه ففعلا ، فقتلهما . وقد كانا وصفا له الموضعَ ، فركب فى طلب المرقِّش حتى أتى المكانَ، فسأل عن خبره فعَرف أنّ مرقِّشا كان فى الكهف[4] ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذى هو فيه وأقبل راعيها إليها . فلما بَصُر به قال له : من أنت وما شأنُك؟ فقال له مرقِّش: أنا رجل من مُراد، وقال للراعى[5] : من أنت ؟ قال : راعى فلان، وإذا هو راعى زوج أسماءَ . فقال له مرقِّش : أتستطيع أن تكلّم أسماء امرأةَ صاحبِك؟ قال : لا ، ولا أدنو منها، ولكن تأتينى جاريتُها كلّ ليلة فأحلُب لها عنزًا فتأتيها بلبنها . فقال له : خذ خاتمى هذا، فإذا حلبتَ فألقه فى اللبن، فإنها ستعرفه ، وإنك مُصيبٌ به خيرًا لم يُصبه راعٍ قطُّ إن أنت فعلت ذلك. فأخذ الراعى الخاتم . ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنزَ طرح الخاتم فيه ؛ فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها. فلما سكنت الرَّغوة أخذته فشربته، وكذلك كانت تصنع، فقرع الخاتم ثَنِيَّتَها، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته؛ فقالت للجارية :

(١) أنس بن سعد وحرملة : هما أخوا مرقش . (٢) فى المفضليات : «إن أفلت الغفلى ... الخ» .

(٣) زاد صاحب المفضليات بعد هذا البيت وقبل الأخير بيتا وهو :

ذهب السباع بأنفه فتركنه * أعثى عليه بالجبال وجيألا

ويعنى بالأعثى : الضبعان وهو ذكر الضباع . والجيأل : الأنثى .

(٤) كذا فى جـ وتجريد الأغانى . وفى سائر الأصول : «هم» وهو تحريف .

(٥) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «قال فراعى من أنت» .

ما هذا الخاتم؟ قالت: مالى به علم؛ فأرسلتْها إلى مولاها وهو فى شَرَف [1] بنَجْران؛ فأقبل فَزِعًا؛ فقال لها: لِمَ دعوتِنى؟ قالت له: ادْعُ عبدَك راعىَ غنمك فدعاه؛ فقالت: سَلْه أين وجد هذا الخاتم! قال: وجدتُه مع رجل فى كهف خُبّان [2]. — قال: ويقال كهف جبّار — فقال: اطرحه فى اللبن الذى تَشرب به أسماء فإنك مصيبٌ به خيرا، وما أخبرنى مَنْ هو، ولقد تركته بآخر رَمَق. فقال لها زوجها: وما هذا الخاتم؟ قالت: خاتم مرقِّش، فأعجِل السّاعةَ فى طلبه. فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرَقاه من ليلتهما فاحتملاه إلى أهلهما، فمات عند أسماء. وقال قبل أن يموت:

سَرى ليلًا خيالٌ من سُلَيْمَى * فأرّقنى وأصحابى هُجُودُ
فبِتُّ أُدير أمرى كلَّ حالٍ * وأذكر أهلَها وهُمُ بعيد
على أنْ قد سما طَرْفى لنارٍ * يُشَبّ لها بذى الأَرْطَى [3] وَقود
حَوَالَيْها مَهًا بِيضُ التَّرَاقِى [4] * وآرامٌ وغِزلانٌ رُقود ١٩٢ / ٥
نواعمُ لا تُعالج بُؤسَ عيشٍ * أوانسُ لا تروح [5] ولا تَرُود
يَرُحْنَ معًا بِطاءَ المشى بُدًّا [6] * عليهنّ المجاسد والبُرُود
سَكَنّ ببلدة وسكنتُ أخرى * وقُطِّعتِ المواثقُ والعهود
فما بالى أَفِى ويُخانُ عهدى * وما بالى أُصاد ولا أَصيدُ

(١) فى المفضليات: «شرب» جمع شارب. (٢) فى الأصول: «جبان» (بالجيم) وهو تصحيف. والتصويب عن كتاب معجم ما استعجم ومعجم البلدان وشرح المفضليات.

(٣) الأرطى: شجر ينبت بالرمل وهو شبيه الغضى، ينبت عصيا من أصل واحد ويطول قدر قامة، وله نور مثل نور الخلاف ورائحته طيبة. (٤) فى المفضليات: «جم التراق». يريد أن عظامها قد غمرها اللحم فلا حجم لها. (٥) فى المفضليات: «لا تراح». (٦) بد: جمع أبد والأنثى بداء. وهو كثرة لحم الفخذين حتى تصطكا.

وربَّ أسيلة الخدّين بكرٍ * مُنَعَّمةٍ لها فرعٌ وجيد(١)

وذو أُشُرٍ(٢) شَتِيتُ النبت عذبٌ * نقيُّ اللون برّاقٌ بَرود

لهوتُ بها زمانًا فى شبابى(٣) * وزارتها النجائب والقَصيد

أُناسٌ كلّما أخلقت وصلًا * عنانى منهمُ وصلٌ جديد

ثم مات عند أسماء، فدُفِن فى أرض مُرَاد .

خرج لقتل زوج أسماء فرده أخواه وعذلاه فمرض وقال شعرا

وقال غيرُ أبى عمرو والمفضَّل :

أتى رجل من مُرَاد يُقال له قرنُ الغَزَال، وكان مُوسِرًا، فخطب أسماء وخطبها المرقش وكان مُمْلِقًا ؛ فزوّجها أبوها من المرادىّ سرًّا ؛ فَظَهر على ذلك مرقِّش فقال : لئن ظفرتُ به لأقتلنّه . فلما أراد أن يَهتديها(٤) خاف أهلُها عليها وعلى بعلها من مرقِّش، فتربّصوا بها حتى عَزَب مرقِّش فى إبله، وبنى المرادىُّ بأسماء وآحتملها إلى بلده . فلما رجع مرقِّش إلى الحىّ رأى غلامًا يتعرّق عظمًا؛ فقال له : يا غلام، ما حدث بعدى فى الحىّ؟ وأوجس فى صدره خيفةً لِمَا كان؛ فقال الغلام : اهتدى المرادىُّ امرأتَه أسماء بنت عوف . فرجع المرقِّش إلى حيِّه فلبس لَأْمته وركب فرسه الأغرّ، واتّبع آثارَ القوم يريد قتلَ المرادىّ . فلما طلع لهم قالوا للمرادىّ : هذا مرقِّش، وإن لقيك فنفسُك دون نفسه . وقالوا لأسماء : إنه سيمرّ عليك، فأطلعى رأسَك إليه وآسْفِرى ؛ فإنه لا يرميك ولا يضرّك، ويلهو بحديثك عن طلب بعلك، حتى يلحقه إخوته فيردّوه . وقالوا للمرادىّ : تقدّم فتقدّم .

---

(١) استشهد بهذا البيت فى النحو على حذف الصفة وإبقاء الموصوف، أى لها فرع فاحم وجيد طويل . إذ هذا البيت للدح، وهو لا يحصل بإثبات الفرع والجيد مطلقين بل بإثباتهما موصوفين بصفتين محبوبتين .   (٢) الأشر : تحزز فى الأسنان يكون فى الأحداث   (٣) فى المفضليات : «من شبابى» .   (٤) يقال : اهتدى الرجل امرأته إذا جمعها إليه وضمها .

وجاءهم مرقِّش . فلما حاذاهم أطْلَعت أسماءُ من خِدْرها ونادته ، فغَضَّ[1] من فرسه وسار بقربها ، حتى أدركه أخواه أَنَسٌ وحَرْمَلة فعذَلاه وردّاه عن القوم . ومضى بها المُرادىّ فألحقها بحيّه . وضَنِيَ[2] مرقِّش لفراق أسماء . فقال فى ذلك :

أَمِنْ آلِ أسماءَ الرسومُ الدوارسُ * تُخطِّط فيها الطيرُ قَفْرٌ بَسابسُ[3]

وهى قصيدة طويلة . وقال فى أسماء أيضا :

أغالِبُكَ القلبُ اللَّجُوجُ صبابةً * وشوقًا إلى أسماءَ أم أنت غالبُهْ
يَهيم ولا يعيا بأسماءَ قلبُه * كذاك الهوى إمرارُه وعَواقِبُه
أيُلْحَى امرؤ فى حبِّ أسماء قد نأى * بغَمْزٍ[4] من الواشين وازْوَرَّ جانبه
وأسماءُ هَمُّ النفس إن كنتَ عالمًا * وبادى أحاديث الفؤادِ وغائبه
إذا ذكرَتْها النفسُ ظَلْتُ كأننى * يُزعزعنى قَفْقافُ وِرْدٍ وصالبُه[5]

كان مع المجالد ابن ريان فى غارته على بنى تغلب وقال شعرا

وقال أبو عمرو : وقع المجالد بن رَيّان ببنى تَغْلِب بجُمْران[6] فنَكَى فيهم وأصاب مالًا وأسرى ، وكان معه المرقِّش الأكبر ، فقال المرقش فى ذلك : ١٩٣/٥

أتتنى لسانٌ[7] بنى عامرٍ * فجَلّى أحاديثُها عن بَصَرْ

---

(١) يقال : غض من فرسه إذا نقص من غربه وحدته . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وضنى : مرض مرضا مخامرا كلما ظن برؤه نكس . وفى ب ، سـ : « وغنى » وهو تحريف . (٣) قال شارح المفضليات فى التعليق على هذا البيت : « قال أبو عمرو : تخطط فيها الطير أى ترعى » . (٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، سـ : « بغم » .
(٥) الورد : من أسماء الحمى . وقفقافه : اضطراب الحنكين واصطكاك الأسنان منه . وصالبه : شدة حرارته مع رعدة . (٦) جمران (بضم أوّله وإسكان ثانيه) : موضع ببلاد الرباب ، أو هو ماء . وقد ورد هذا الاسم فى أكثر الأصول : « حمران » (بالحاء المهملة) . وفى حـ : « نجران » ، وكلاهما تحريف . راجع المفضليات (ص ٤٨٣ طبع أوربا) . ومعجم ما استعجم (ص ٢٤٥) .
(٧) اللسان هنا : الرسالة . وجلى أحاديثها عن بصر : أى كشفت أحاديثها العمى .

بأنّ بنى الوَخْم[1] ساروا معا * بجيش كضوء نجوم السَّحر[2]

بكلّ خَبُوبِ السُّرَى نَهْدَةٍ[3] * وكل كُمَيْتٍ طُوالٍ أغرّ

فما شَعَر الحىُّ حتى رأوْا * بريقَ القَوَانِسِ فوقَ الغُرُر[4]

فأقبلتَهم[5] ثم أدبرتَهم * وأصدرتَهم قبلَ حينِ الصَّدَر

فيارُبَّ شِلْوٍ تَخَطَّفتَه[6] * كريمٍ لدَى مَزْحَفٍ أو مَكَرّ[7]

وكائن بجُمْرانَ[8] من مُزْعَف[9] * ومن رجلٍ وجهُه قد عُفِر

---

(١) فى حـ : « الزخم » وفى باقى الأصول : « الرخم » . والتصويب عن المفضليات . وبنو الوخم : بنو عامر بن ذهل بن ثعلبة . (٢) فى شرح المفضليات : « قال الأصمعى : خص نجوم السحر لأن النجوم التى تطلع فى آخر الليل كبار النجوم ودراريها وهى المضيئة منها » .

(٣) فى أكثر الأصول : «جنوب السرى» . والتصويب عن حـ . ويروى « بكل نسول السرى » — والنسول : السريعة السير — و«بكل خنوف السرى» أى خفيفة لينة رجع اليدين بالسير . (راجع المفضليات وشرحها ص ٤٨٣) . ونهدة : ضخمة . (٤) القوانس : جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد . والغرر : السادة من الرجال ، ويقال الغرر : الوجوه . ويروى : « فوق العذر » . والعذر : شعر العرف والناصية . (راجع شرح المفضليات) . (٥) فى الأصول : « فأقبلتهم ثم أدبرتهم ... الخ » (بالتاء المثناة) . والتصويب عن المفضليات . (٦) كذا فى المفضليات والشلو : بقية الجسد . وتخطفته : استلبه ، وقيل : جاوزته وخلفته . وفى جميع الأصول : «تخطرفته» (بالتاء) . (٧) زاد صاحب المفضليات بعد هذا البيت بيتا وهو :

وآخر شاص ترى جلده * كقشر القتادة غب المطر

والشاصى : الرافع رجليه ويديه . وإذا أصاب المطر القتاد انتفخت قشوره وارتفعت عن الصميم . يريد قتيلا قد انتفخ فكأن جلده لحاء قتادة . (٨) فى جميع الأصول هنا : « بنجران » وهو تحريف . (راجع الحاشية رقم ٦ من الصفحة السابقة) . (٩) كذا فى حـ والمفضليات ومعجم ما استعجم . وزعفه وأزعفه : رماه أو ضربه فمات مكانه سريعا . وفى سائر الأصول : « مرعف » (بالراء المهملة) .

وأمّا المرقِّش الأصغر

نســـبه وعشقه لفاطمة بنت المنذر وأخباره فى ذلك وشـــعره

فهو — على ما ذكر أبو عمرو — رَبيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبيعة . والمرقِّش الأكبرعمّ الأصغر، والأصغر عمّ طَرَفة بن العبد . قال أبو عمرو : والمرقِّش الأصغر أشعر المرقِّشَين وأطولها عُمراً . وهو الذى عشِق فاطمةَ بنت المنذر، وكانت لهـا وليدةٌ يقال لها بنت عَجْلان ، وكان لهـا قَصْر [بكاظمة](١) وعليـه حَرَس . وكان الحرس يَجُرّون كل ليلة حولَه الثياب فلا يطؤه أحد إلا بنت عجلان . وكان لبنت عجلان فى كلّ ليـلة رجل من أهل المـاء يبيت عندها . فقال عمرو بن جَنَاب(٢) بن مالك لمرقِّش : إنّ بنت عَجْلان تأخذ كلَّ عشيّة رجلًا ممن يُعجبها فيبيت معها . وكان مرقِّش تِرْعِيةً(٣) لا يفارق إبلَه ، فأقام بالمـاء وترك إبلَه ظِماءً، وكان من أجمل الناس وجهًا وأحسنهم شَعْرا . وكانت فاطمة بنتُ المنذر تقعد فوق القصر فتنظر إلى الناس . فجاء مرقِّش فبات عند ابنة عَجْلان ، حتى إذا كان من الغد تجرّدت عند مولاتها . فقالت لها : ما هذا بفخذيك؟ — وإذا نُكَتٌ كأنها التين(٤) وكآثار السِّياط من شدّة حَفْزه إياها عند الجماع — قالت : آثار رجل بات معى الليلة . وقد كانت فاطمةُ قالت لها : لقد رأيت رجلا جميلا راح نحوَنا بالعشيّة لم أره قبلَ ذلك ؛ قالت : فإنه فتًى قعِد عن إبله وكان يرعاها ، وهو الفتى الجميل الذى رأيتِه ، وهو الذى بات معى فأثر فى هذه

(١) زيادة عن حـ والمفضليات وتجريد الأغانى . وكاظمة : على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان وفيها آبار كثيرة وماؤها شروب واستسقاؤها ظاهر . (٢) كذا فى تجريد الأغانى والمفضليات وفيا سيأتى فى جميع الأصول . وفى حـ : « عمرو بن حباب » . وفى سائر الأصول : « حسان » . وكلاهما تحريف . (٣) رجل تِرعيـة (مثلثة الأوّل مع تشديد الياء وقد تخفف) وترعاية (بالكسر) وتراعية (بالضم) وترعى (بالكسر) : يجيد رعية الإبل ، أو صناعته وصناعة آبائه رعاية الإبل . (٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : « البثر » . وفى ب والمفضليات : « التين » . وقد أشير فى هامش المفضليات إلى أن هـذه الرواية (التين) لا معنى لها ، وأنه يحتمل أن يكون محرفة عن « النبر » وهو الورم فى الجسد .

الاثار . قالت لها فاطمة : فإذا كان غدٌ وأتاك فقــدِّمى له مِجْمَراً ومُريه أن يجلس عليه وأَعطيه سِواكاً، فإن آستاك به أو ردّه فلا خير فيه، وإن قعد على المجمر أورده فلا خير فيه . فأتته بالمجمر فقالت له : اقعُد عليه؛ فأبى وقال : أدنيه منى، فدخّن لِحيته وجُمّته وأبى أن يقعــد عليه، وأخذ السواك فقطع رأسه وآستاك به . فأتت ابنةُ عجلان فاطمةَ فأخبرتها بما صنع؛ فآزدادت به عجبا وقالت : ائتينى به . فتعلقتْ به كما كانت تتعلق، فمضى معها وآنصرف أصحــابه . فقال القوم حين آنصرفوا : لشَدَّ ما علِقتْ بنتُ عَجْلان المرقِّشَ! وكان الحرس ينثرون التراب حول قُبّة فاطمة بنت المنذر ويَجُرُّون عليه ثوبًا حين تُمسى ويحرُسونها فلا يدخل عليها إلا ابنةُ عجلان؛ فإذا كان الغد بعث الملكُ بالقَافَة فينظرون أثرَ من دخل إليها ويعودون فيقولون له : لم نر إلا أثر بنت عجلان . فلما كانت تلك الليــلة حملتْ بنتُ عجلان مرقِّشًا على ظهرها وحزَمته إلى بطنها بثوب، وأدخلته إليها فبات معها . فلما أصبح بعث الملك بالقافة فنظروا وعادوا إليه فقالوا : نظرنا أثر بنت عجلان وهى مُثْقَلة . فلبث بذلك حينا يدخل إليها . فكان عمرو بن جَنَاب بن عوف بن مالك يرى ما يُفعل ولا يَعرف مذهبه . فقال له : ألم تكن عاهدتَنى عهدا لا تكتمنى شيئا ولا أكتمك ولا نتكاذب؟! فأخبره مرقِّشٌ الخبرَ؛ فقال له : لا أرضى عنك ولا أكلّمك أبدًا أو تُدخلَنى عليهــا، وحلف على ذلك . فآنطلق المرقِّش إلى المكان الذى كان يواعد فيــه بنتَ عجــلان فأجلسه فيه وآنصرف واخبره كيف يصنع ، وكانا متشابهين غير أن عمرو بن جناب كان أشْعر، فأتته بنت عجلان فآحتملته وأدخلته إليها وصنع ما أمره به مرقِّش . فلما أراد مباشرتهــا وجدتْ شعرَ فخذيه فآستنكرته، وإذا هو يُرْعَد؛ فدفعته بقدمها فى صدره وقالت : قبّح الله سراً عند المُعَيْدى . ودعت بنتَ عجلان فذهبت به، وآنطلق إلى موضع صاحبه . فلما رآه قد أسرع الكَرَّة ولم يلبث إلا قليلا، علم أنه قد

(١٩٤ / ٥ — في الهامش بجانب السطر «ظهرها وحزمته...»)

افتضح، فعَضّ على إصبعه فقطعها . ثم انطلق إلى أهله وترك المال الذى كان فيه — يعنى الإبل التى كان مقيما فيها — حياءً مما صنع . وقال مرقش فى ذلك :

أَلَا يا اَسلَمى لا صُرمَ لى اليوم فاطمَا * ولا أبـدًا ما دام وصلُكِ دائمـا
رمتكَ ابنـةُ البَكْرىّ عن فرع ضالَةٍ (١) * وهُنّ بنـا خُوصٌ يُخَلْن نعائمـا
تراءت لنـا يوم الرحيـل بِوارِدٍ (٢) * وعـذبِ الثنايا لم يكن متراكما
سـقاه حَباب المُزن (٣) فى متكلل * من الشمس رَوّاه ربابا سَوَاجِما (٤)
أَرَتْك بذات الضَّالِ منهـا معاصمًا * وخـدًّا أسيلا كالوذيلة (٥) ناعمـا
صحا قلبُـه عنها على أنّ ذِكرةً * إذا خطَرت دارت به الأرضُ قائما
تَبَصَّرْ خليـلى هل ترى من ظعائن * خَرجْن سِراعًا وٱقتعدنَ المفائمـا (٦)
تحمّلن من جوّ الوَريعـة (٧) بعـد ما * تعـالى النهارُ وٱنتجعن الصَّرائمـا (٨)
تَحلَّين ياقوتا وشَـذْرا (٩) وصِيغـة * وجَـزْعا ظَفارِيًّا ودُرًّا توائمـا

(١) الضال من السدر : ما لم يشرب الماء . والخوص : الإبل الغائرة العيون من جهد السفر . والنعائم : جمع نعامة . (٢) الوارد من الشعر : الطويل . والفم المتراكم : المتقارب النبات قد ركب بعض أسنانه بعضا . (٣) فى المفضليات : "حبيّ المزن" وحبي المزن : ما اقترب منه . (٤) كذا فى حـ والمفضليات . وفى سائر الأصول : «سراكا» وهو تحريف . (٥) الوذيلة : سبيكة الفضة . (٦) كذا فى المفضليات ومعجم البلدان (ج ٤ ص ٩٢٩) . والمفائم : العظام من الإبل ، وقيل : هى المراكب الوافية الواسعة ، واحدها مفأم . وفى جميع الأصول : «المقائم» (بالقاف) . واقتعدن : ركبن . (٧) كذا فى المفضليات ومعجم البلدان . والوريعة : حزم لبنى فقيم ابن جرير بن دارم . والحزم : ما غلظ من الأرض وكثرت حجارته وأشرف حتى صار له إقبال لا يعلوه الناس والإبل إلا بالجهد . وفى جميع الأصول : «الوديعة» بالدال المهملة ، وهو تحريف . (٨) الصرائم : جمع صريمة وهى القطعة من الرمل تنقطع من معظم الرمل . (٩) الشذر : اللؤلؤ الصغير ، وقيل : هو خرز يفصل به بين الجواهر فى النظم . والجزع (بالفتح) : الخرز . وظفارى : نسبة إلى ظفار ، بلد باليمن ينسب إليها الجزع . وفيها يقال : «من دخل ظفار حمّر» (بتشديد الميم) أى تكلم بلغة حمير . وذلك أن رجلا من العرب دخل على ملك حمير وهو على سطح ، فقال له : ثب ، فوثب فتكسر . ووثب بلغة حمير قعد . وتوائم : اثنين اثنين .

سلكن القُرَى والجِزْعَ تَحْدَى جمالها * ووَرَكْن قَـوًّا واجترعن المخارما (١)
ألا حبّذا وجـهٌ تُرِيك بياضَـه * ومُنْسَـدِلاتٌ كالمثانى فواحمـا (٢)
وإنى لأسـتحيي فُطَيْمـةَ جائعًـا * خميصًا وأسـتحيي فُطَيمـة طاعما
وإنى لأستحييك والخَـرْقُ (٣) بيننا * مخافةَ أن تَلْـقَىْ أخًا لى صارما
وإنى وإن كَلّت قَلُوصى لَرَاجمٌ * بهـا وبنفسى يا فُطَـيمَ المَرَاجمـا
أَلَا يا آسلمى بالكوكب الطَّلْقِ (٤) فاطمًا * وإن لم يكن صَرْفُ النوى متلائمـا
أَلَا يا آسـلمى ثم آعلمى أنّ حاجتى * إليـك فـرُدِّى من نوالك فاطما
أَفاطمَ لو أنّ النسـاء ببلدةٍ * وأنت بأُخـرى لأتبعتُك (٥) هائمـا
متى ما يشـأْ ذو الودّ يَصرِمْ خليلَه * ويَغْضَبْ عليـه لا محالةَ ظالمـا
وآلَى جَنَـابٌ حِلفـةً فأطعتَـه * فنفسَـك ولِّ اللَّوْمَ إن كنت نادما ١٩٥/٥
فمـن يلقَ خيرًا يحمَـدِ الناسُ أمرَه * ومن يَغْوِ لا يعـدَم على الغَىِّ لائمـا
ألم ترَ أنّ المـرء يجـذِمُ (٦) كفَّه * ويَجْشَمُ من لوم الصـديق المَجَاشمـا
أمِن حُلُمٍ أصـبحتَ تَنكُت واجمـا (٧) * وقد تعترى الأحلامُ من كان نائمـا

(١) رواية المفضليات : «جمالهم» . والجزع (بالكسر) : منعطف الوادى . ووركن : عدلن . وقو : منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة، يرحل من النباج فينزل قوا، وهو واد يقطع الطريق تدخله المياه ولا تخرج وعليه قنطرة يعبر القفول عليها يقال لها بطن قو . وقيل : قو بين فيد والنباج . وهو أيضا واد بين اليمامة وهجر نزل به الحطيئة على الزبرقان بن بدر فلم يجهزه فقال فيه شعرا . واجترعن : قطعن وفى ب ، ص : «واخترعن» وهو تصحيف . والمخارم : جمع مخرم وهو رمل مستطيل فيه طريق . وقيل : هو أطراف الطرق فى الجبال .

(٢) فى أكثر الأصول : «يريك» . والتصويب عن حـ . ورواية المفضليات : «ترينا» . ومنسدلات : يريد ذوائب من الشعر مسترخية . والمثانى : الحبال . شبه ذوائب الشعر بالحبال فى الطول . وفواحم : سود .

(٣) الخرق : ما اتسع من الأرض .

(٤) كذا فى المفضليات . والطلق : الذى لا حر فيه ولا قر ولا شئ يؤذى . وفى جميع الأصول : «بالكوكب الفرد» .

(٥) فى المفضليات : «لا تبعتك» .

(٦) يجذم : يقطع . ويجشم : يركب المكروه .

(٧) نكت فى الأرض : خطط فيها بعود، وكذلك يفعل المهتم . وواجما : حزينا .

٢/٦

صـــوت
من المـائة المختـارة

إذا قلتُ تَسْلو النفسُ أو تنتهى المُنَى * أَبَى القـلبُ إلّاحبَّ أُمِّ حَـكيمِ
مُنعَّمـة صَفْـراء حُلْوٌ دلالُهـا * أَبِيتُ بها بعـد الهُـدُوء[1] أَهِيمِ[2]
قَطُوفُ الخُطَـا[3] مَخْطوطةُ[4] المَتْنِ زانها * مع الحُسن خَلْقٌ فى الجَمَال عَمِيـمِ

الشعر مُختلَف فى قائله ، فمن الرواة من يرويه لصالح بن عبد الله العَبْشَمىّ ، ومنهم من يرويه لقَطَرِىّ بن الفُجَاءة المـازِنىّ ، ومنهم من يرويه لعبيدة[5] بن هلال اليَشْكُرىّ . والغناء لسِيَاط ، وله فيه لحنان : أحدهما ، وهو المختار ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالسّبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . ولبعض الشُّراة قصيدة فى هذا الوزن وعلى هذه القافية ، وفيها ذِكْرٌ لأمّ حكيم هذه أيضا ، تُنسب إلى هؤلاء الشعراء الثلاثة ، ويُختلف فى قائلها كالاختلاف فى قائل هذه . وفيها[6] أيضا غناء وهو فى هذه الأبيات منها :

---

(١) الهدوء : الهزيع من الليل . (٢) فى هذا الشعر إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى .
(٣) قطوف الخطا : ضيقتها . (٤) كذا فى حـ . ويقال : جارية مخطوطة المتنين أى ممدودتهما أو هى ممدودة حسنة مستوية . وفى ب ، سـ : « مخطوطة » (بالخاء المعجمة) . وفى سائر الأصول : « محظوظة » (بظاءين معجمتين) . وكلاهما تصحيف . (٥) ضبط هذا الاسم فى حـ بفتح العين ، وكذلك ضبط فى الطبرى بفتح العين وكسر الباء . وورد فى الكامل للبرد طبع أوربا مضبوطا بفتح العين وكسر الباء فى مواضع وبضم العين وفتح الباء (مصغرا) فى مواضع أخرى . وضبط فى الاشتقاق لابن دريد بضم العين . (٦) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « وفيه » .

لَعَمْرُكَ إنّى فى الحياة لزاهدٌ * وفى العيش مالم أَلْقَ أُمَّ حَكيم
ولو شهدتنى[1] يومَ دُولابَ[2] أبصرَتْ * طِعانَ فتًى فى الحرب غيرِ ذَميم

ذكر المبرّد أن الشعر لقَطَرِىّ بن الفُجَاءة ، وذكر الهَيْثم بن عَدِىّ أنه لعَمْرو القَنَا ، وذكر وَهْب بن جَرير أنه لحَبِيب بن سهم التَّميمىّ ، وذكر أبو مِخْنَف[3] أنه لعبيدة بن هلال اليَشْكُرِىّ ، وذكر خالد بن خِداش[4] أنه لعمرو القنا أيضا . والغناء لمَعْبد ثانى ثقيلٍ بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس .

٣
―
٦

(١) كذا فى ب ، سه . وفى سائر الأصول : « شهدتنا » . (٢) دولاب (بفتح أوّله وأكثر المحدثين يروونه بالضم) : قرية تعرض لها أبو الفرج بالشرح بعد قليل . (٣) كذا فى أكثر الأصول ، وهو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم ، كان صاحب أخبار وأنساب ، والأخبار عليه أغلب . وجدّه مخنف بن سليم روى عن النبى صلى الله عليه وسلم . وفى ب ، س : «أبو محنف» (بالحاء المهملة) . (راجع المعارف لابن قتيبة ص ٢٦٧ وفوات الوفيات ج ٢ ص ١٧٥ طبع بولاق) . (٤) كذا فيما سيأتى فى جميع الأصول ، وتهذيب التهذيب . وهو خالد بن خداش بن عجلان الأزدى المهلبى (نسبة الى المهلب بن أبى صفرة) . روى عن حماد بن زيد وصالح المرى وغيرهما ، وروى له البخارى فى الأدب ، وقد مات سنة ٢٢٣ هـ .

وقعة دولاب وشىء من أخبار الشراة

خبر الوقعة التى قيل فيها هذان الشعران وهى وقعة دولاب وشىء من أخبار هؤلاء الشراة وأنسابهم وخبر أم حكيم هذه

هـذان الشعران قِيلا فى وقعة دُولاب، وهى قرية من عمل الأهواز، بينها وبين الأهواز نحوٌ من أربعة فراسخ، كانت بها حرب بين الأزارقة وبين مُسْلم بن عُبَيس ابن كُرَيز خليفةِ عبد الله بن الحارث بن نَوْفل بن عبد المطلب، وذلك فى أيام ابن الزبير. أخبرنى بخبر هذه الحرب أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ عن عمر بن شَبّة عن المدائنى، وأخبرنى بها عُبيد الله بن محمد الرازى عن الخرّاز عن المدائنىّ، وأخبرنى الحسن بن علىّ عن أحمد بن زُهير بن حَرْب عن خالد بن خِدَاش:

أن نافعَ بنَ الأزرق، لمّا تفرقتْ آراءُ الخوارج ومذاهبُهم فى أصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها لا يعترض الناس، وقد كان متشكّكا فى ذلك. فقالت له امرأته: إن كنتَ قد كفَرت بعد إيمانك وشكَكتَ فيه، فدع نِحْلتك ودَعْوتك، وإن كنتَ قد خرجتَ من الكفر إلى الإيمان فاقتل الكفّار حيثُ لقيتَهم وأَثْخن فى النساء والصبيان كما قال نوح ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾. فقَبِل قولَها واستعرضَ الناسَ (١) وبَسَط سيفَه، فقتل الرجال والنساء والوِلْدان، وجعل يقول: إن هؤلاء إذا كَبِروا كانوا مثلَ آبائهم. وإذا وطِىء بلدًا فعل مثلَ هذا به إلى أن يُجيبَه أهلُه جميعا ويدخلوا ملّته، فيرفع السيفَ ويضع الجِباية فيجبى الخراجَ. فعظم أمرُه واشتدّت شوكته وفشا عمّالُه فى السواد. فارتاع لذلك أهلُ البصرة ومشَوْا إلى الأحنف بن قيس فشكَوْا إليه أمرَهم وقالوا له: ليسَ بيننا وبين القوم إلا ليلتان،

---

(١) استعرض الناس: قتلهم ولم يبال من قتل مسلما أو كافرا من أى وجه أمكنه.

وسِيرتُهم كما ترى ؛ فقال لهم الأحنف : إنّ سيرتَهم فى مصركم إن ظَفِروا به مثلُ سيرتهم فى سوادكم ، فخذوا فى جهاد عدوِّكم . وحرّضهم الأحنفُ ، فاجتمع إليه عشرة آلاف رجل فى السلاح . فأتاه عبدُ الله بن الحارث بن نوفل ، وساله أن يؤمِّر عليهم أميرا ، فاختار لهم مُسلم بنَ عُبَيس بن كُرَيز بن رَبيعة ، وكان فارسًا شجاعا ديِّنا ، فأمَّره عليهم وشيَّعه . فلما نَفَذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال : إنى ما خرجت لامتيار ذهب ولا فضة ، وإنى لأحاربُ قومًا إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفُهم ورماحهم . فمن كان من شأنِه الجهادُ فلينهَضْ ، ومن أحبَّ الحياةَ فليرجع . فرجع نفرٌ يسير ومضى الباقون معه ؛ فلما صاروا بدُولاب خرج إليهم نافع بن الأزرق ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسّرت الرماحُ وعُقِرتْ الخيلُ وكثُرت الجراحُ والقتلى ، وتضاربوا بالسيوف والعَمَد ؛ فقُتل فى المعركة ابنُ عُبيس وهو على أهل البصرة ، وذلك فى جمادَى الآخرة سنةَ خمس وستين ، وقُتِل نافعُ بن الأزرق يومئذ أيضا ؛ فعجب الناس من ذلك ، وأنّ الفريقين تصابروا حتى قُتل منهم خلق كثير ، وقُتل رئيسَا العسكرين ، والشُّراة يومئذ ستمائة رجل ، فكانت الحدّة يومئذ وبأس الشراة واقعا ببنى تميم وبنى سَدُوس[(١)] . ورأى ابنُ عُبيس وهو يجود بنفسه فاستخلف على الناس الرَّبيعَ بن عمرو الغُدَانى ، وكان يقال له الأجذم ، كانت يده أصيبت بكابُل ٤/٦ مع عبدِ الرحمن بن سَمُرة . واستخلف نافعُ بن الأزرق عُبيدَ الله بن بَشير بن الماحوز[(٢)] أحدَ بنى سَليط بن يَربوع . فكان رئيسَا المسلمين والخوارج جميعا من بنى يَربوع ، رئيس المسلمين من بنى غُدانة بن يَربوع ، ورئيس الشُّراة من بنى سَليط بن يربوع ،

(١) كذا فى ا ، ى . وفى سائر الأصول : « بين تميم ... » . (٢) كذا فى الكامل للمبرد فى ا كثر من موضع والطبرى . وفى جميع الأصول : « الماخور » . (بالخاء المعجمة والراء المهملة) .

فاتّصلَت الحربُ بينهم عشرين يومًا . قال المدائنى فى خبره : وادّعَى قتلَ نافع ابن الأزرق رجلٌ من باهلة يقال له سَلامة . وتحدّث بعد ذلك قال : كنتُ لما قتلته على بِرْذَون[1] وَرْد فإذا أنا برجل ينادى ، وأنا واقف فى خُمس[2] بنى تَميم[3] ، فإذا به يَعرِض علىّ المبارزةَ فتغافلتُ عنه ، وجعل يطلبنى وأنا أنتقل من خُمس إلى خُمس وليس يُزَايلنى ، فصِرْتُ إلى رَحْلى ثم رجعت فدعانى إلى المبارزة ، فلما أكثر خرجتُ إليه ، فاختلفْنا ضربتين فضربتُه فصرَعتُه ، ونزلتُ فأخذت رأسَه وسلبتَه ، فإذا امرأةٌ[4] قد رأتنى حين قتلت نافعا ، فخرجتْ لتثأر به . قالوا : فلما قُتل نافع وابن عُبيس ولِّى الجيش إلى رَبيع بن عمرو لم يزل[5] يقاتل الشُّراة نيفًا وعشرين يوما ، ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه : إنى مقتول لا محالة ؛ قالوا : وكيف ذلك؟ قال : إنى رأيت البارحة كأنّ يدى التى أُصيبتْ بكابُل انحطّتْ من السماء فاستَشْلتْنى . فلما كان الغد قاتل إلى الليل ثم غاداهم[6] فقُتل يومئذ — قال : استشلاه : أخذه إليه . يقال : استشلاه واشتلاه — قال : فلما قُتل الربيع تدافع أهلُ البصرة الرايةَ حتى خافوا العطَب إذ لم يكن لهم رئيس ؛ ثم أجمعوا على الحجّاج بن باب الحِمْيَرىّ . وقد اقتتل الناسُ يومئذ وقبله بيومين قتالًا شديدا لم يقتتلوا مثلَه ، تطاعنوا بالرماح حتى تقصّفتْ ،

---

(١) البرذون : واحد البراذين ، وهى من الخيل ما كانت من غير نتاج العرب . (٢) كذا فى حـ هنا وفيما يأتى والكامل للبرد . وأخماس البصرة خمسة : الخمس الأول العالية ، والثانى بكر بن وائل ، والثالث تميم ، والرابع عبد القيس ، والخامس الأزد . وفى سائر الأصول هنا وفيما يأتى : « خميس » .

(٣) فى الكامل (ج ٢ ص ٦١٧ طبع أوربا) : « وأنا واقف فى خمس قيس (صوابه عبد القيس) ينادى : يا صاحب الورد ، هلم الى المبارزة ، فوقفت فى خمس بنى تميم فاذا به يعرضها علىّ ... الخ » .

(٤) كذا فى حـ والكامل للبرد . وفى سائر الأصول : « فاذا هى امرأته ... الخ » .

(٥) فى ب ، سـ : « ولم يزل » . (٦) كذا فى الكامل للبرد . وغاداهم : باكرهم . وفى جميع الأصول : « ثم عاد ... الخ » .

ثم تضاربوا بالسيوف والعَمَد حتى لم يبقَ لأحد منهم قوة ، وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يُغني شيئا من الإعياء ، وحتى كانوا يترامَوْن بالحجارة و يتكادمون(١) بالأفواه . فلما تدافع القومُ الراية وأَبَوْها واتّفقوا على الحجّاج بن باب امتنع من أخذها . فقال له كُرَيب بن عبد الرحمن : خذها فإنهـا مكرُمة ؛ فقال : إنهـا لراية مشئومة، ما أخذها أحد إلا قُتِـل . فقال له كُرَيب : يا أعور ! تقارعتِ العربُ على أمرها ثم صيّروها إليك فتأبى خوفَ القتـل ! خذ اللواءَ ويحك ! فإن حضر أَجلُك قُتلتَ إن كانت معك أو لم تكن . فأخذ اللواءَ وناهضهم ، فاقتتلوا حتى انتقضتِ الصفوفُ وصاروا كَرَادِيس(٢) ، والخوارجُ أقوى عُدّة بالدروع والجواشن(٣) . وجعل الحجّاجُ يُغمض عينيـه ويحمل حتى يغيب فى الشُّراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يُظَنّ أنه قـد قُتل ، ثم يرفع رأسَه وسيفُه يقطر دمًا ، ويفتح عينيه فيرى الناسَ كراديسَ يقاتل كلُّ قوم فى ناحية . ثم التقى الحجّاج بن باب وعِمْران بن الحارث الراسبيّ(٤) ، فاختلفا ضربتين كلُّ واحد منهما قتل صاحبه ، وجال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا ، وأصبح أهل البصرة — وقد هزب عامّتهم ، وولّوا حارثةَ بن بدر الغُدَانى أَمْرَهم — ليس بهم طِرْق(٥) ولا بالخوارج . فقالت آمرأة من الشُّراة — وهى أم عِمـران قاتلِ الحجّاج بن باب وقتيلِه — ترثى ابنَها عِمْران :

اللهُ أيّـــد عِمـــرانًا وطَهّـــره * وكان عمرانُ يدعو الله فى السَّحَرِ

---

(١) تكادموا بالأفواه : تعاضوا .

(٢) الكراديس : كتائب الخيل ، واحدها كردوس . (٣) الجواشن : جمع جوشن وهو زرد يلبسه الصدر .

(٤) كذا فى ا ، ى والكامل . وفى سائر الأصـول : « الرامى » .

(٥) كذا فى أكثر الأصول . والطرق (بالكسر) : القوة . وفى ب ، صه : « لم طرف » بالفاء وهو تصحيف .

يدعوه سِـــرًّا و إعلانا ليرزقَــه * شهـادةً بيـدَىْ مِلْحادة غُـــدَر[1] ٥/٦
ولّى صحابتُه عن حَرِّ مَلْحَمةٍ * وشـدّ عِمْرانُ كالضِّرغامة[2] الذكِر[3]

قال: فلما عَقَدوا لحارثةَ بن بدر الرياسةَ وسلّموا إليه الراية نادى فيهم بأن يثبُتوا، فإذا فتح اللهُ عليهم فللعرب زيادةُ فريضتين وللموالى زيادةُ فريضة؛ فندَب الناسَ فالتقَوْا وليس بأحد منهم طِرق، وقد فَشَت فيهم الجراحاتُ فلهم أنين، وما تطأُ الخيل إلا على القتلى. فبينما هم كذلك إذ أقبل من اليمامة جمعٌ من الشُّراة — يقـول المُكثِّر إنهم مائتان والمقلِّل إنهم أربعون — فاجتمعوا وهم يُرِيحون مع أصحابهم[4] واجتمعوا كبكبةً[5] واحدة، فحملوا على المسلمين. فلما رآهم حارثة بن بَدْر نكَص برايته فانهزم وقال:

كَرْنِبُـــوا[6] ودَوْلِبُـــوا[7] * وحيثُ شئتم فاذهبوا

وقال:

أيرُ الحمـار فريضــةٌ لعبيدكم * والخُصيتان فريضة الأعرابِ

(١) الملحادة: مفعال من الإلحاد (وهو الجور والعدول عن الدين) كما يقال: رجل معطاء ومكرام. وأدخلت الهاء البالغة كما تدخل فى راوية وعلامة ونسابة. وغدر (بضم ففتح): كثير الغدر.

(٢) الضرغامة: من أسماء الأسد. (٣) فى الكامل: «المصر» والمصر: الذى يبصر كل شىء أى يثبته. (٤) فى ب، س، حـ: «مع أصحابهم» ولا معنى لها. (٥) الكبكبة: الجماعة.

(٦) كذا فى حـ والطبرى (ق ٢ ص ٥٨٠) ومعجم البلدان. وكرنبوا: انزلوا كرنبى وهى موضع بالأهواز. ودولبوا: انزلوا دولاب. وفى سائر الأصول: «أكربوا» وهو تحريف. (٧) يقال: إن سبب قول الحارثة هذا الشعر هو أنه لما خلف الحجاج بن باب على إمرة الجيش وجاء الخوارج هـذا المدد الكثير المريع حملوا على المسلمين فانهزموا، وبقى حارثة يناوش الخوارج بمنزل نزله بمن بقى معه بالأهواز. فلما ولى ابن الزبير عمر بن عبد الله بن معمر على البصرة أرسل عمر أخاه عثمان لقتال الأزارقة وانضم إليـه حارثة. ثم كان بين عثمان وحارثة خلاف اعتزل بسببه حارثة. ثم لما أفضى الأمر فى محاربة الخوارج للمهلب وبلغ حارثة بن بدر أن المهلب قـد أمر على الجيش لقتال الخوارج قال لمن معه:

كرنبوا ودولبوا * وحيث شئتم فاذهبوا
قـد أمر المهلب

فذهب من كان معه إلى البصرة، فردهم الحارث بن عبد الله إلى المهلب. (راجع الطبرى فى حوادث سنة ٦٥).

وتتابع النّاسُ على أثره منهزمين، وتبعتهم الخوارجُ، فألقوا أنفسهم فى دُجيل[١] فغرق منهم خلقٌ كثير وسلمت بقيّتهم . وكان ممن غرق دَغْفَل بن حنظلة أحد بنى عمرو بن شيبان . ولحقتْ قطعةٌ من الشُّراة خيلَ عبد القيس فأكبّوا عليهم، فعطفت عليهم خيـلٌ من بنى تميم فعاونوهم وقاتلوا الشُّراة حتى كشفوهم وانصرفوا إلى أصحابهم . وعبرَتْ بقيّةُ النـاس، فصار حارثةُ ومن معـه بنهر تِيرى[٢] والشُّراة بالأهواز، فأقاموا ثلاثة أيام . وكان على الأزد يومئذ قَبِيصَـة بن أبى صُفْرة أخو المُهلّب ، وهو جدّ هزَارُمَرْد[٣] . قال : وغرق يومئذ من الأزد عدد كثير . فقال شاعر الأزارقة :

يَرى مَنْ جاء ينظر من دُجَيْلٍ * شـيوخَ الأَزْد طافيـةً لِحَاهَا

وقال شاعر آخر منهم :

شمِتَ ابنُ بدرٍ، والحوادث جمّة، * والظـالمون بنافع بن الأزرق
والمـوت حَتْمٌ لا محالةَ واقـعٌ * مَنْ لا يُصَـبِّحْهُ نهارًا يَطْـرُقِ[٤]
فلئن أمـيرَ المؤمنيـن أصابه * ريبُ المنـون فمَنْ تُصِـبْه يَغْلَقِ[٥]

قال قَطَرِىُّ بن الفُجاءة ، فيما ذكر المبرّد، وقال المدائنى فى خبره : إن صالح بنَ عبدِ الله العَبْشَمِىَّ قائلُ ذلك ؛ وقال خالد بن خِدَاش : بل قائلها عمرو القَنَا ؛ قال

(١) دجيـل : نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك أحد ملوك الفـرس ، واسمه بالفـارسية : «ديلدا كودك» ومعناه : دجلة الصغير فعرب على دجيل . ومخرجه من أرض أصبهان ومصبه فى بحر فارس . وكانت عنـد دجيل هذا وقائع للخوارج . وهو أيضا نهـر مخرجه من أعلى بغداد ، وليس مرادا هنا .

(٢) تيرى (بكسر التاء المثناة الفوقية وياء ساكنة وراء مفتوحة ، مقصورا) : بلد من نواحى الأهواز : ونهر تيرى حفره أردشير الأصغر بن بابك .

(٣) كذا فى حـ هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول والطبرى واللباب فى معرفة الأنساب لابن الأثير الجزرى مضبوطا بالقلم بنسخة مخطوطة بخط قديم جدا ، ومعناه ألف رجل . وفى سائر الأصول هنا : «هزامرد» وهو تحريف .

(٤) طرقه يطرقه (من باب نصر) : أتاه ليلا .

(٥) أمير المؤمنين : يريد به نافع بن الأزرق . ويغلق، أى لا ينفلت ولا ينجو . مأخوذ من غلق الرهن فى يد المرتهن، إذا لم يقدر على فكاكه واستخلاصه .

وهب بن جرير عن أبيه فيما حدّثنى به أحمد بن الجَعْد الوَشّاء عن أحمد بن أبى خَيْثمة عن أبيه عن وَهْب بن جَرير عن أبيه : إن حَبيب بن سَهْم قالها[1] :

لعمرُك إنّى فى الحياة لزاهِــدٌ * وفى العيش مالم أَلْقَ أمّ حَكيم
مِنَ الخَفِرات البِيض لم أَرَ مثلَها * شِــفاءً لِذِى بَثٍّ ولا لِسَــقيم
لعمرُك إنى يومَ أَلْطِمُ وجهَها * على نائبـات الدهر غيرُ حليم
ولو شَهِدتْنى يومَ دولاب أبصرتْ * طِعـانَ فتًى فى الحرب غير لئيم
غَدَاةَ طَفَتْ عَلْماءِ[2] بكرُ بن وائل * وأَلّافُها مِنْ حِمْير وسَــليم[3]
ومالَ الحجازيّون نحوَ بلادهــم * وعُجْنا صــدورَ الخيل نحو تَميم ٦/٦
وكان لعبد القَيْس أوّلُ جِدّها * وولّتْ شيوخُ الأَزْدِ فهى تَعوم[4]
فلم أَرَ يومًا كان أكثرَ مُقْعَصًا[5] * يَمُجّ دمًا من فائظ وكَــليم
وضاربةً خدًّا كريمًـا على فتًى * أغرَّ نجيبِ الأمهـات كريم
أصيبَ بدُولابٍ ولم تكُ موطنًا * له أرضُ دولابٍ ودَيْرِ حُبَيْم[6]
فلو شَهِدتنـا يومَ ذاك وخيلُنا * تُبيح من الكُفّار كلَّ حريم
رأت فتيةً باعوا الإلٰهَ نفوسَهم * بجنّـات عَدْنٍ عنده ونَعيــم

حدّثنى حَبيب بن نصر المهلّبى قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا خَلّاد[7] الأرقط قال :

(١) وردت هذه القصيدة فى الكامل (ص ٦١٨ — ٦١٩ طبع أوربا) ومعجم البلدان (ج ٢ ص ٦٢٣) باختلاف فى بعض الألفاظ والأبيات .
(٢) يريد : على الماء .
(٣) يريد سليم بالتصغير فكبره للوزن . وسليم أبو قبيلة ، وهو سليم ابن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر .
(٤) فى هذا البيت إقواء .
(٥) المقعص : يقال : أقعصه بالرمح إذا طعنه به فمات مكانه . والفائظ : الميت ، فعله فاظ يفيظ و يفوظ فيظا وفوظا . والكليم : الجريح .
(٦) دير حبيم : موضع بالأهواز ، ذكره ياقوت واستشهد بهذا البيت .
(٧) هو خلاد بن يزيد الباهلى البصرى المعروف بالأرقط صهر يونس بن حبيب النحوى .

كان الشُّراة والمسلمون يتواقفون و يتساءلون بينهم عن أمر الدِّين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يَهيج بعضُهم بعضا . فتواقف يومًا عبيدة بن هلال اليَشْكُرِىّ وأبو حُزَابة[1] التَّميمى وهما فى الحرب؛ فقال عبيدة : يا أبا حُزَابة، إنى سائلك عن أشياء، أفتصْدُقنى فى الجواب عنها ؟ قال : نعم، إن تَضمَّنْت لى مثل ذلك؛ قال : قد فعلتُ . قال : سل عمّا بدالك . قال : ما تقول فى أئمتكم ؟ قال : يبيحون الدم الحرام والمال الحرام والفَرْج الحرام . قال : وَيْحَك ! فكيف فعلُهم فى المال ؟ قال : يَجْبونه من غير حِلّه، ويُنفقونه فى غير حقه . قال : فكيف فعلُهم فى اليتيم ؟ قال : يظلمونه مالَه، ويمنعونه حقه، وينيكون أمّه . قال : ويلك يا أبا حُزَابة ! أفمثلَ هؤلاء نَتْبَع ؟! قال : قد أجبتُ، فآسمع سؤالى ودع عنكَ عتابى على رأيى؛ قال : قل . قال : أىُّ الخمر أطيبُ : أخمر السهل أم خمر الجبل؟ قال : ويلك ! أتسأل مثلى عن هذا ؟ قال : قد أَوْجبتَ على نفسك أن تُجيب؛ قال : أمّا إذ أبيْتَ فإنّ خمر الجبل أقوى وأسكر، وخمرَ السهل أحسنُ وأسلس . قال أبو حُزَابة : فأىّ الزَّوانى أفْره : أزوانى رَامَهُرْمُز[2] أم زوانى أَرَّجان[3] ؟ قال : ويلك ! إن مثلى لا يُسأل عن مثل هذا؛ قال : لا بدّ من الجواب أو تغدُر؛ فقال : أمّا إذ أبيت فزوانى رَامَهُرْمُز أرقّ أبشارًا، وزوانى أَرَّجان أحسن أبدانا . قال : فأىّ الرجلين أشعر : أجرير أم الفرزدق ؟ قال : عليك وعليهما لعنة الله ! أيهما الذى يقول :

---

(١) كذا فى حـ . وهو الوليد بن حنيفة أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، شاعر من شعراء الدولة الأموية . (راجع شرح القاموس مادة حزب . وترجمته فى الأغانى ج ١٩ ص ١٥٢ — ١٥٦ طبع بولاق) . وفى سائر الأصول : «أبو خرابة» (بالخاء المعجمة والراء المهملة) وهو تصحيف .

(٢) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحى خوزستان والعامة يسمونها « رامز » اختصارا .

(٣) أرجان (بفتح الألف وبتشديد الراء مفتوحة — وقيل بسكونها — وجيم وألف ونون، وعامة العجم يسمونها « أرغان ») : مدينة كبيرة كثيرة الخير بها نخيل وزيتون وفواكه، وهى برية بحرية سهلية جبلية، وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخا .

وطَوى الطِّرادُ مع القِيادِ(١) بطونَهـا * طىَّ التِّجار بحَضْرَمَـوْتَ بُرُودَا

قال : جرير؛ قال : فهو أشعرهما . قال : وكان الناس قد تجاذبوا فى أمر جرير والفرزدق حتى تواثبوا وصاروا إلى المهلَّب محكِّمين له فى ذلك ؛ فقال : أردتم أن(٢) أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغانى ! ما كنت لأحكم بينهما ، ولكنى أدلُّكم على من يحكم بينهما ثم يَهون عليه سِبابُهما ، عليكم بالشُّرَاة فسَلُوهم إذا تواقفتم . فلما تواقفوا سأل أبو حُزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب .

اخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى ميمون بن هارون قال :

حُدِّثت أن آمرأة من الخوارج كانت مع قَطَرِىّ بن الفُجَاءة يقال لها أُمّ حَكيم ، وكانت من أشجع الناس وأجملِهم وجهًا وأحسنِهم بدينهم تمسُّكًا ، وخطبها جماعةٌ منهم فردّتهم ولم تُجب إلى ذلك ؛ فأخبرنى من شهدها أنها كانت تحمل على الناس وترتجز :

أحمِلُ رأسًا قد سئمتُ حَمْلَهْ * وقد مَلِلت دَهْنَه وغسلَهْ ٧/٦

* ألَا فتًى يحمل عنّى ثِقْلَهْ *

قال : وهم يُفَدّونها بالآباء والأمهات، فما رأيت قبلها ولا بعدها مثلَها .

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال حدّثنا العُمَرِىّ عن الهَيْثم بن عَدِىّ قال :

---

(١) كذا فى أ ، ء وديوان جرير . وهو من قصيدة طويلة مطلعها :

أهـوى أراك برامتين وقودا * أم بالجنينـة من مدافع أودا

وفى سائر الأصول : « القياد » (بالغين المعجمة) وهو تحريف .

(٢) هذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فقال إن أردتم ... » وظاهر أن كلمة « إن » مقحمة .

كان عبيدة بن هلال إذا تكافَّ الناسُ ناداهم : ليخرجْ إلىَّ بعضُكم ؛ فيخرج إليه فِتْيان من العسكر ، فيقول لهم : أيّما أحبُّ إليكم : أقرأ عليكم القرآن أو أُنشدكم الشعر ؟ فيقولون له : أمّا القرآن فقد عرفناه مثلَ معرفتك ، فأنشدْنا ؛ فيقول لهم : يا فَسَقةُ ، والله قد علمت أنكم تختارون الشعرَ على القرآن ، ثم لا يزال يُنْشِدهم ويستنشدهم حتى يَمَلّوا ثم يفترقون .

أخبار سياط ونسبه

أخبار سياط ونسبه وتلامذته وأستاذه

سِيَاطٌ لقب غلب عليه، واسمُه عبدالله بن وهب، ويُكْنى أبا وهب، مكىّ مولى خُزَاعة. وكانَ مقدَّما فى الغناء روايةً وصنعةً، ومقدَّما فى الضرب معدودا فى الضُّرَّاب. وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصلى، وعنه أخذا ونَقَلا ونقل نظراؤهما الغناءَ القديم، وأخذه هو عن يونس الكاتب. وكان سياط زوجَ أمِّ ابن جامع. وفيه يقول بعض الشعراء:

ما سمعتُ الغناءَ إلّا شَجَانى * مِنْ سياطٍ وزادَ فى وَسْواسِى
غَنِّنى ياسياطُ قد ذهب اللي * ـل غناءً يَطير منه نُعاسى
ما أبالى إذا سمعتُ غناءً * لسياطٍ ما فاتنى للرُّؤاسى

والرؤاسىّ الذى عَنَاه هو عباس بن مِنْقار، وهو من بنى رُؤاس. وفيه يقول محمد بن أَبَان الضَّبِّىّ:

إذا واخيتَ عبّاسًا * فكن منه على وَجِلِ (١)
فتًى لا يقبل العذرَ * ولايرغب فى الوصلِ
وما (٢) إن يتغنَّى مَنْ * يُوَاخيه من النُّبْلِ

سبب تلقيبه بسياط

قال حمّاد بن إسحاق: لقِّب سِيَاطٌ هذا اللقب لأنه كان كثيرًا ما يتغنّى:

كأنّ مَزَاحِفَ الحيّاتِ فيه * قُبَيلَ الصبح آثارُ السِّيَاطِ

(١) كذا فى الأصول. والوجل بالتحريك، ولعله سكن لضرورة الشعر، ويحتمل أن يكون صوابه: «على دخل». والدخل بسكون الخاء كالدخل بالتحريك وهو الريبة. (٢) كذا فى أ، ء، م. وفى سائر الأصول: «ومن».

مدح إبراهيم الموصلى غناءه

وأخبرنى محمد بن خَلَف قال حدّثنى هارون بن مخارق[(١)] عن أبيه، وأخبرنى به عبد الله بن عباس بن الفضل بن الربيع الربيعى[(٢)] عن وسواسة الموصلىّ — ولم أسمع أنا هذا الخبر من وسواسة — عن حماد عن أبيه، قالا[(٣)] :

طلبه المهدى مع حبال وعقاب فظن الحاضرون أنه يريد الإيقاع بهم

غنّى إبراهيمُ الموصلىّ يوماً صوتا لسِيَاط، فقال له ابنه إسحاق : لمن هـذا الغناء يا أبتِ؟ قال : لمن لو عاش ما وجد أبوك شيئا يأكله : لسياط . قال : وقال المهدىّ يوماً وهو يشرب لسَلّام الأبرش[(٤)] : جئنى بسِيَاط وعقاب وحِبَال ؛ فارتاع كلُّ من حضر وظنّ جميعهم أنه يريد الإيقاع بهم أو ببعضهم ؛ فجاءه بسياط المغنّى وعقاب المدنى — وكان الذى يُوقِع عليه — وحبال الزامر . فجعل الجلساء يشتمونهم والمهدىّ يضحك .

مر بأبى ريحانة المدنى وهو فى الشمس من البرد فغنى له فشق ثوبه وبقى فى البرد

أخبرنى محمد بن خلف قال حدّثنى أبو أيّوب المدنىّ قال حدّثنى حماد آبن إسحاق عن أبيه قال :

مرّ سياط على أبى ريحانة المدنىّ فى يوم بارد وهو جالس فى الشمس وعليه ثوب رقيق رَثّ ؛ فوثب إليـه أبو ريحانة وقال : بأبى أنت يا أبا وهب ، غنّى صوتَك فى شعر آبن جُنْدُب[(٥)] : ٨/٦

(١) فى الأصول : « هارون بن مخالف » وهو تحريف ، لأن الذى يروى عنه محمد بن خلف وكيع هو « هارون بن مخارق » . (٢) كذا فى حـ وفى جميع الأصول : « الربعى » وهو تحريف . راجع الحاشية (رقم ٢ ص ٢٥٢ من الجزء الثالث من هذه الطبعة) . (٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « قال » . (٤) كذا فى حـ والطبرى فى أكثر من موضع وفيما مرّ فى جميع الأصول فى الجزء الخامس . وهو سلام الأبرش من النقلة القدماء الذين ترجموا من اللغات إلى اللغة العربية فى أيام البرامكة ، وهو أحد الذين ترجموا كتاب السماع الطبيعى لأرسطو المعروف بسماع الكيان ، وهو ثمانى مقالات . وقد ترجم هذا الكتاب من اليونانى إلى السريانى ومنها إلى العربى ، ومن الرومى إلى العربى ، ولم ندر اللغة التى ترجمه منها إلى اللغة العربيـة أهى السريانية أم الرومية . (راجع فهرست ابن النديم وتاريخ الحكماء للقفطى وكشف الظنون) . وفى سائر الأصول هنا : « سلام بن الأبرش » ، وهو تحريف . (٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فى شعر آبن جندب قال ... الخ » . والظاهر أن كلمة « قال » مقحمة من الناسخ .

فؤادى رَهِينٌ فى هواكِ ومهجتى * تذوب وأجفانى عليك هُمُولُ

فغنّاه إياه، فشقّ قميصه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد بردا وجَهدا .
فقال له رجل : ما أغنى عنك ما غنّاك من شقّ قميصك ! فقال له يا بن أخى ،
إن الشعر الحسنَ من المغنّى الحسنِ ذى الصوتِ المُطْرِب أدفأ للقرور من حمّام مُحمًى .
فقال له رجل : أنت عندى من الذين قال الله جل وعزّ : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾؛ فقال : بل أنا من الذين قال تبارك وتعالى : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ . وقد أخبرنى بهذا الخبر علىّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذْبه[1]
فذكر قريبا من هذا، ولفظُ أبى أيوب وخبرُه أتم .

وأخبرنى إسماعيل بن يُونس الشّيعى ، المعروف بابن أبى اليَسَع ، قال حدثنا
عمر بن شَبّة :

أنّ سِياطًا مَرّ بأبى رَيْحانة المَدَنىّ ، فقال له : بحق القبر ومَنْ فيه غنّنى بلحنك
فى شعر ابن جُنْدب :

لكلّ حَمامٍ أنت باكٍ إذا بكى * ودمعُك منهلٌّ وقلبك يخفُقُ
مخافةَ بُعْدٍ بعد قُرْبٍ وهجرةٍ * تكون ولمّا تأتِ والقلبُ مُشْفِقُ
ولى مهجةٌ ترفضُّ من خوف عتْبها * وقلبٌ بنار الحبّ يَصْلَى ويُحْرَقُ
أظلُّ خَليعًا بين أهلى متيّمًا * وقلبى لِما يرجوه منها معلّق

فغنّاه إياه؛ فلما استوفاه ضرب بيده على قميصه فشقّه حتى خرج منه وغُشِى عليه .
فقال له رجل لمّا أفاق : يا أبا ريحانة ، ما أغنى عنك الغناء ! ثم ذكر باقىَ الخبر
مثلَ ما تقدّم .

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « على بن عبد العزيز بن خرداذبه » وهو تحريف؛ لأن
ابن خرداذبه هو عبيد الله بن عبد الله . وقد سبقت رواية على بن عبد العزيز عنه .

سمع أبو ريحانة جارية تغنى فشق قربتها واشترى لها عوضها

أخبرنى إسماعيل قال حدّثنى عمر بن شبّة قال :

مرّت جارية بأبى ريحانة يومًا على ظهرها قِربةٌ وهى تغنّى وتقول :

وأبكى فلا ليلَى بكتْ من صبابةٍ * إلىّ ولا ليلَى لذى الودّ تبذُلُ

وأخنع بالعُتْبَى إذا كنتُ مُذنبًا * وإن أذنبتْ كنتُ الذى أتنصّل

فقام إليها فقال : يا سيّدتى أعيدى ؛ فقالت : مولاتى تنتظرنى والقربة على ظهرى ؛ فقال : أنا أحملها عنك ؛ فدفعتها إليه فحملها ، وغنته الصوت ، فطرب فرمى بالقربة فشقّها . فقالت له الجارية : أمن حقّ أن أغنّيك وتشقّ قربتى! فقال لها : لا عليك ، تعالَىْ معى إلى السّوق ؛ فجاءت معه فباع مِلْحَفتَه واشترى لها بثمنها قربةً جديدة . فقال له رجل : يا أبا ريحانة ، أنت والله كما قال الله عز وجل : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ ؛ فقال : بل أنا كما قال الله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ .

مر بأبى ريحانة المدنى وهو فى الشمس من البرد فغنى له فشق ثوبه وبقى فى البرد

أخبرنى الحسين بن القاسم الكَوْكبىّ قال حدّثنى أبو العَيْناء قال قال إسحاق الموصلىّ :

بلغنى أنّ أبا رَيْحانة المدنىّ كان جالسًا فى يومٍ شديد البرد وعليه قميص خَلَق رَقيق ؛ فمرّ به سِياط المغنّى فوثب إليه وأخذ بلجامه وقال له : ياسيّدى ، بحق القبر ومَنْ فيه غنّنى صوتَ ٱبن جُنْدب ، فغنّاه[1] :

فؤادى رهينٌ فى هَواكِ ومُهجتى * تذُوب وأجفانى عليك هُمولُ

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فغناه وقال ... الخ » . والظاهر أن كلمة « وقال » مقحمة من الناسخ .

فشقّ قميصَه حتى خرج منه وبقى عاريًا وغُشى عليه ، واجتمع الناسُ حولَه وسِياطُ واقفٌ متعجِّب مما فعل . ثم أفاق وقام إليه ، فرحمه سِياط وقال له : مالك يا مشئوم ؟ أىّ شىء تريد ؟ قال : غنّنى بالله عليك :

وَدِّعْ أُمَامةَ حان منكَ رَحيلُ * إنّ الوداع لمن تحبّ قليلُ
مثلُ القَضيب تمايلتْ أعطافُه * فالريح تجذب مَتْنه فيَميل
إنْ كان شأنكمُ الدلال فإنه * حَسَنٌ دلالكِ يا أُميمَ جميل

فغنّاه إياه ، فلطَم وجهَه ثم خرج الدم من أنفه ووقع صريعًا . ومضى سياط ، وحمل الناس أبا ريحانة إلى الشمس . فلما أفاق قيل له : ويحك ! خرقتَ قميصَك وليس لك غيره! فقال : دعونى، فإن الغناء الحسن من المغنّى المطرب أدفأ للقرور من حَمّام المهدىّ إذا أُوقِد سبعةَ أيام . قال : ووجّه له سِياط بقميص وجُبّة وسَراوِيلَ وعِمامة .

زاره إبرهيم الموصلى وابن جامع فى مرضه فأوصى بالمحافظة على غنائه

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى أبو أيّوب المدنىّ قال حدّثنى محمد ابن عبد الله الخُزَاعىّ وحمّاد بن إسحاق جميعا عن إسحاق قال :

كان سياطٌ أستاذَ أبى وأستاذَ ابن جامع ومن كان فى ذلك العصر . فاعتلّ علةً ، فجاءه أبى وابن جامع يعودانه . فقال له أبى : أَعْزِزْ علىّ بعلتك أبا وهب! ولو كانت مما يُفتدى لفديتُك منها . قال : كيف كنتُ لكم ؟ قلنا : نِعْمَ الأستاذ والسيِّد . قال : قد غنيتُ لنفسى ستين صوتا فأُحبّ ألّا تغيّروها ولا تنتحلوها . فقال له أبى : أفعلُ ذلك يا أبا وهب، ولكن أىّ ذلك كرهتَ : أن يكون فى غنائك فضلٌ فاقصّر عنه فيُعْرَف فضلُك علىّ فيه ، أو أن يكون فيه نقصٌ فأُحسنه فيُنسب إحسانى إليك و يأخذه الناس عنى لك ؟ [قال][1] : لقد استعفيتَ من غير مكروه . قال الخزاعىّ

(١) زيادة عن ح .

فى خبره : ثم قال لى إسحاق : كان سياط خُزَاعياً، وكان له زامر يقال له حِبال ، وضارب يقال له عقاب . قال حماد قال أبى : أدركت أربعةً كانوا أحسنَ الناس غناء، سِيَاطٌ أحدُهم . قال : وكان موتُه فى أوّل أيام موسى الهادى .

زاره ابن جامع فى مرض موته فأوصاه بالمحافظة على غنائه

أخبرنى يحيى قال حدّثنا أبو أيوب عن مصعَب قال :

دخل ابن جامع على سِيَاط وقد نزل به الموت؛ فقال له : ألك حاجة؟ فقال: نعم، لا تَزِد فى غنائى شيئا ولا تنقُص منه، دعه رأسًا برأس، فإنما هو ثمانيةَ عشرَ صوتا .

دعاه إخوان له فمات عندهم بفأة

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال حدثنا حمّاد قال حدثنى محمد بن حَديد أخو النَّضْر ابن حديد :

أن إخوانًا لسياط دعَوْه ، فأقام عندهم وبات،(١) فأصبحوا فوجدوه ميّتًا فى منزلهم، فجاءوا إلى أُمّه وقالوا : يا هذه، إنّا دعونا ٱبنَك لنُكرمه ونُسَرّ به ونأنَس بقربه فمات فجأة، وها نحن بين يديك فٱحتكمى ماشئتِ، ونَشُدناكِ اللهَ ألّا تعرّضينا للسلطان أو تَدّعى فيه علينا مالم نفعلْه . فقالت : ما كنتُ لأفعل ، وقد صَدَقتم ، وهكذا مات أبوه فجأة . قال: فجاءت معنا فحملته إلى منزلها فأصلحت أمره ودفنته . وقد ذُكِرت هذه القصةُ بعينها فى وفاة نُبَيْه المغنّى، وخبره فى ذلك يُذكَر مع أخباره إن شاء الله تعالى .

غنى أحمد بن المكى إبراهيم بن المهدى صوتا له فاستحسنه

أخبرنا يحيى بن علىّ وعيسى بن الحسين الزيات(٢) — واللفظ له — قالا حدّثنا أبو أيوب قال حدّثنا أحمد بن المكّىّ قال :

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «ومات» . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : «عيسى بن الحسين» (بسقوط كلمة : الزيات) . ولم نجد فى المراجع التى بين أيدينا ولا فيما تقدم من الأغانى شيخا روى عنه أبو الفرج اسمه : «عيسى بن الحسين الزيات» . ولكن الذى سبقت رواية أبى الفرج عنه فى أكثر من موضع هو : «عيسى بن الحسين الورّاق» .

غنّيتُ إبراهيمَ بن المهدىّ لسياط :

* ضافَ قلبي الهوى فأَكْثر سَهْوِى[1] *

فاستحسنه جدًّا، وقال لى : ممن أخذتَه ؟ قلت : من جارية أبيك قُرَشِيَّةَ الزَّبّاء ؛ ١٠/٦ فقال : أُشعِرتُ أنه كان لأبى ثلاثُ جوارٍ مُحْسنات كلّهن تسمّى قرشيّة، منهن قرشيّة الزباء وقرشية السوداء وقرشية البيضاء، وكانت الزباء أحسنَهن غناء — يعنى التى أخذتُ منها هذا الصوت — قال: وكنت أسمعها كثيرا تقول: قد سمعت المغنّين وأخذت عنهم وتفقّدت أغانيَهم، فما رأيت فيهم مثلَ سِياط قطُّ . هذه الحكاية من رواية عيسى بن الحسين خاصّة .

نسبة هـذا الصـوت

صـــوت

ضاف قلبي الهــوى فأَكْثرَ سَهْوِى * وجَوَى الحبِّ مُفظِـعٌ غـيرُ غُلْوِ
لو عـــلا بعضُ ما علانى ثَبِـيرًا[1] * ظَـلَّ ضَعْفًا ثَبِـيرُ من ذاك يهوِى
من يكن من هوى الغوانى خَلِيًّـا * يا ثِقـاتى فإنّنى غــيرُ خِـلْو

الغناء لسِياط ثانى ثقيل بالوسطى فى مجراها عن إسحاق .

صـــوت

من المـائة المختـارة

يا أمَّ عمـرو لقـد طالبتُ وذكمُ * جُهدى وأعذرتُ فيـه كلَّ إعذارِ
حتى سَقِمتُ، وقد أصبحتِ سالمةً، * ممـا أُعالج من همٍّ وتَذكـار

(١) ثبير (بفتح أوله وكسر ثانيه بعده ياء وراء مهملة) : جبل معروف بمكة من ناحيـة الشرق فى طريق منى، وهو جبل عظيم مرتفع أسود كثير الحجارة فى عطف وادى إبراهيم عليه السّلام من يسار المار إلى منى، وعرف برجل من هذيل، مات فدفن به فعرف به الجبل، ويرى من منى والمزدلفة .

لم يُسَمَّ قائلُ هـذا الشعر . والغنـاء للرَّطّاب . والرَّطّاب مدنىّ قليل الصنعة ليس بمشهور . وقيل له الرَّطّاب لأنه كان يبيع الرُّطَب بالمدينة . ولحنُه المختارهزجٌ بالوسطى .

صـــوت

من المـائة المختـارة

تَصَـدَّع الأَنَسُ(١) الجميـعُ * أَمْسَى فقلبى به صُـدوعُ
فى إثرهم وجفـونُ عيـنى * مُخْضَـلَّةٌ(٢) كلها دُموع

لم يُسمَّ لنا قائل هذا الشعر ولا عرَفْناه . والغناء لدُكَين بن يزيد الكُوفى . ولحنه المختار من خفيف(٣) الثقيل بالوسطى ، وهكذا ذكر إسحاق فى الألحان المختارة للواثق . وذكر هذا الصوت فى مُجَرَّد شجا فنسبه إلى دكين ، وجنّسـه فى الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . وذكر أيضا فيه لحنا من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر فى مجرى البنصر ، فزعم أنه ينسب إلى مَعْبد وإلى الغَريض . وفيه بيتان آخران وهما :

فالقلبُ إن سِيمَ عنك صبرًا * كُلِّف ما ليس يستطيـعُ
عاصٍ لمن لام فى هواكمْ * وهْوَ لكمْ سامعٌ مطيـع

صـــوت

من المـائة المختـارة

يأيها الرجـلُ الذى * قد زان منطقَه البيانُ
لا تَعتِبنّ عـلى الزما * ن فليس يُعْتِبك الزمانُ

---

(١) الأنس (بالتحريك) : الحىّ المقيمون . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «طلها» . (٣) فى حـ : «من الثقيل ... الخ» .

١١/٦ الشعر لعبد الله بن هارون العَرُوضىّ . والغناء لنُبَيه المُغَنّى، ولحنه المختار ثقيل أوّل بالبنصر .

فأمّا عبد الله بن هارون فما أعلم أنه وقع إلىّ له خبرٌ إلا ما شُهِر من حاله فى نفسه . وهو عبد الله بن هارون بن السَّمَيْدع، مولى قريش، من أهل البصرة. وأخذ العروض من الخليل آبن أحمد، فكان مقدَّمًا فيه . وانقطع إلى آل سليمان بن على وأدّب أولادهم، وكان يمدحهم كثيرا، فأكثرُ شعره فيهم . وهومُقِلّ جدًّا . وكان يقول أوزانا من العروض غريبةً فى شعره ، ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه فيه رُزَين العَرُوضىّ فأتى فيه ببدائعَ جَمّة ، وجعل أكثرَ شعره من هذا الجنس . فأمّا عبد الله ابن هارون فما عرفت له خبرا ولا وقع إلىّ من أمره شىء غير ماذكرتُه .

ذكر نُبيه وأخباره

نسبه وأصله وشعره وسبب تعلمه الغناء

زعم آبن خُرْدَاذْبه أنه رجل من بنى تَيم صَلِيبةً، وأن أصلَه من الكوفة، وأنه كان فى أوّل أمره شاعرًا لا يغنّى، ويقول شعرا صالحا. فهوِىَ قينة ببغداد فتعلّم الغناء من أجلها وجعله سبباً للدخول عليها؛ ولم يزل يتزيّد حتى جاد غناؤه وصنع فأحسن واشتهر، ودُوِّن غناؤه وعُدّ فى المُحسِنين. فمما قاله فى هذه الجارية وغنّى فيه قولُه:

صوت

يا ربّ إنى ما جفوتُ وقد جفتْ * فإليك أشكو ذاك يا ربّاهْ
مولاةُ سَوْءٍ ما تَرِقُّ لعبدها * نِعم الغلامُ وبئست المولاه
يا ربّ إن كانت حياتى هكذا * ضرراً علىّ فما أُريد حياه

الغناء لنُبَيه ثانى ثقيل مطلق فى مجرى الوسطى. ومن الناس من ينسُب الشعر والغناء إلى عُلَيّة بنت المهدى.

مع مخارق مع إبراهيم الموصلى لغنائه

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبّة قال:

قلت لمخارق[1]، وقد غنّى هذا الصوت يومًا:

متى تَجمع القلبَ الذكىّ وصارمًا * وأنفا حَمِيًّا تجتنِبْك المظالمُ[2]

فسألته لمن هو؛ فقال: هذا لنُبَيه التّيمى؛ وكان له أخوان يقال لهما مُنبِّه ونَبْهان،

---

(١) فى جميع الأصول: «قال لى مخارق». وهو غير مستقيم مع سياق الكلام.

(٢) هذا البيت من قصيدة لعمرو بن براق الشاعر، قالها لما استرد إبله وخيله من حريم الهمدانى وكان قد أغار عليها وأخذها. (راجع أخباره ج ٢١ ص ١٧٥ — ١٧٦ من الأغانى طبع ليدن).

وكان ينزل شَهَارْسُوج الهَيْثَم (١) فى درب الرَّيحان. قال أبو زيد: وسمعتُ مخارقًا يحدّث إسحاق بن إبراهيم قال سمعت أباك إبراهيم بن مَيْمون يقول — وقد ذكر نُبَيْهاً — : إن عاش هذا الغلام ذهب خَبَرُنا (٢). قال: وكنت قد غنّيته صوتًا أخذته عنه (٣)، وهو:

شكوتُ إلى قلبى الفراقَ فقال لى * مِن الآن فايأس لا أغرّك بالصبرِ
إذا صَدّ مَنْ أهْوَى وأسلمنى العزا * ففُرْقة من أهوى أحرُّ من الجمرِ

كان مع على بن المفضل عند عبيد الله بن أبى غسان فأكل لحم غزال ومات

أخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدّثنى ابن أبى سعد (٤) عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى علىّ بن المفضّل قال:

اصطبحنا يومًا أنا ونُبَيْه عند عبيد الله بن أبى غسّان، فغنّانا نُبيه لحنَه:

يأيها الرجل الذى * قد زان منطقَه البيانُ

١٢/٦

فما سمعت أحسنَ منه، وكان صوتًا عليه بقيةَ يومنا. ثم أردنا الانصراف، فسألنا عُبيد الله أن نَبِيتَ عنده ونصطبح من غد فأجبناه. وقال لنُبَيْه: أىَّ شىء تشتهى أن يُصلَح لك؟ قال: تشترى لى غزالًا فتُطعمنى كبدَه كَبابًا، وتجعل سائر ما آكله من لحمه كما تحب؛ فقال: أفعل. فلما أصبحنا جاءه بغزال فأصلحه كما أَحبّ. فلما استوفى أكْلَه استلقى لينام، فحرّكناه فإذا هو ميت، فجزِعْنا من ذلك. وبعث عبيدُ الله إلى أمه فجاءت فأخبرها بخبره. فلما رأته استرجَعَتْ (٥) ثم قالت: لا بأس عليكم! هو

(١) شهارسوج الهيثم: كانت محلة من محال بغداد فى قبلة الحربية. والهيثم الذى أضيفت إليه هو ابن معاوية من القواد الخراسانية. (٢) فى حـ: «خيرنا» (بالياء المثناة). (٣) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «وأجدته عنه» بالجيم. (٤) كذا فى حـ، وهو عبد الله بن أبى سعد وقد تقدّمت روايته عن محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعى ورواية ابن مهرويه عنه فيما مر من الأجزاء السابقة كثيرا. وفى سائر الأصول: «ابن أبى سعيد» وهو تحريف. (٥) استرجع فى المصيبة: استعاذ وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

رابع أربعة ولدتُهم كانت هذه مِيتتَهم جميعًا ومِيتةَ آبيهم من قبلهم؛ فسكنّا إلى ذلك. وغُسِّل فى دار عُبيد الله وأُصلح شأنه وصُلِّى عليه، ومضينا به إلى مقابرهم فدُفِن هناك.

صـــوت

من المـائة المختـارة

وقفتُ على رَبْعٍ لسُـعْدَى وعَبْرتى * تَرَقْرَقُ فى العينيـن ثم تَسِـيلُ
أسائل ربعًا قـد تعفَّتْ رسـومُه * عليـه لأصـناف الرياح ذُيولُ (١)

لم يُسمَّ لنـا قائل هـذا الشعر. والغناء لسُلَيم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق.

(١) كذا فى حـ. والذيول من الريح : ما تتركه فى الرمل كأثر ذيل مجرور. وفى سائر الأصول : « ذبول » (بالباء الموحدة) وهو تصحيف.

أخبار سُلَيْم

انقطع إلى إبراهيم الموصلى وهو أمرد فأحبه وعلمه

هو سُلَيم بن سَلّام الكُوفىّ، ويُكنى أبا عبد الله . وكان حسنَ الوجه حسنَ الصوت . وقد انقطع وهو أمردُ إلى إبراهيمَ المَوْصلىّ، فمال إليه وتعشّقه ، فعلّمه وناصحه ، فبرُع وكثرت روايتُه ، وصنع فأجاد . وكان إسحاق يهجوه ويطعن عليه . واتّفق له اتفاقٌ سيئٌ : كان يخدُم الرشيدَ فيتّفق مع ابن جامع وإبراهيم وابنِه إسحاق وفُلَيح ابن العَوْراء وحَكَمٍ الوادىّ فيكون بالإضافة إليهم كالساقط . وكان من أبخل الناس، فلما مات خلّف جملة عظيمة وافرة من المال؛ فقبضها السلطان عنه .

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه :

أنّ إسحاق قال فى سُلَيم :

سُلَيمُ بنُ سَلّام على بَرْدِ خَلْقه * أحرُّ غناءً من حُسينِ بنِ مُحْرِزِ

سأل الرشيد برصوما عنه وعن أربعة من المغنين فأجابه

وأخبرنا إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق، وأخبرنا يحيى ابن علىّ عن أبيه عن إسحاق :

أنّ الرشيد قال لبَرْصُوما الزامر وكانت فيه لُكْنة ما تقول فى ابن جامع؟ قال: زِقٌّ من أَسَل (يريد من عسل) . قال : فإبراهيم؟ قال: بستان فيه فاكهة وريحان وشوك . قال : فيَزِيد حَوْراء ؟ قال : ما أَبْيَدَ أستانه ! (يريد ما أبيض) . قال : فحُسين ابن مُحْرِز؟ قال: ما أحسن خظامه[(1)] ! (يريد ما أحسن خضابَه) . قال : فسُلَيم بن سلّام ؟ قال : ما أنظف ثيابه !

نصحه برصوما فى موضع غنا فضحك الرشيد

قال إسماعيل بن يونس فى خبره عن عمر بن شَبّة عن إسحاق :

---

(1) فى حـ : «خضابه» .

وغنّى سُلَيم يومًا وبَرْصُومَا يزمُر عليه بين يدى الرشيد ، فقصّر سُلَيم فى موضع صيحة، فأخرج برصوما النـاىَ من فيه ثم صاح به وقال له : يا أبا عبد الله، صَيهة[1] أشدّ من هذا، صيهة[1] أشدّ من هذا؛ فضحك الرشيد حتى آستلق . قال: وما أذكر أنى ضحكت قطُّ أكثرَ من ذلك اليوم .

كان يجيد الأهزاج فغنى الرشيد فوصله

أخبرنى محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال محمد بن الحسن بن مصعَب :

١٣/٦

إنمـا أخّر سُلَيمًا عن أصحابه فى الصنعة وَلَعُه بالأهزاج، فإن تُلُقِّىَ صنعته هَزَج، وله من ذلك ما ليس لأحد منهم . قال : ثم قال محمد : غنّى سُـلَيم يومًا بين يدى الرشيد ثلاثةَ أصواتٍ من الهَزَج وِلاءً، أوّلها :

* مُتْ على من غبتَ عنه أسَفَا *

والثـانى :

* أسرفتَ فى الإعراض والهَجْر *

والثـالث :

* أصـبح قلبى به نُدوبُ *

فاطرِب وأمر له بثلاثين ألف درهم، وقال[له][2] : لو كنت الحكَمَ الوادىَّ مازِدْتَ على هذا الإحسان فى أهزاجك . (يعنى أنّ الحكم كان منفردًا بالهزج) .

نسبة هذه الأصوات

صـــوت

مُتْ على من غبتَ عنه أسفَا * لستَ منـه بمُصِيبٍ خَلَفَـا
لن تَرَى قُـرَّةَ عيـن أبدًا * أوْ ترى نحـوَهمُ مُنْصَرَفَا

(١) كذا فى ب ، حـ . وفى سائر الأصول : « ... »
(٢) زيادة عن حـ .

قلتُ لمّا شفَّنى وجدى بهم * حَسْبِيَ اللهُ لِمَا بى وكفَى
بَيَّن الدمعُ لمن أبصرنى * ما تضمّنتُ إذا ما ذَرَفا

الشعر للعبّاس بن الأحنف. والغناء لسُلَيم، وله فيه لحنان، أحدهما فى الأوّل والثانى هَزَج بالوسطى، والآخر فى الثالث والرابع خفيفُ رملٍ بالبنصر مطلق. وفيهما لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صـــوت

أسرفتَ فى الإعراض والهجرِ * وجُزْتَ حدّ التِّيه والكِبرِ
الهجرُ والإعراض من ذى الهوى * سُلَّمُ ذى الغدر إلى الغدر
مالى وللهِجْران حَسْبِى الذى * مرّ على رأسى من الهجر
ودون ما جَرّبتُ فيما مضى * ما عرّف الخيرَ من الشر

الغناء لسُلَيم هزج بالبنصر.

ومنها:

صـــوت

أصبح قلبى به نُدوبُ * أنْدَبه الشادِنُ الرَّبيبُ
تَمادِيًا منه فى التّصَابى * وقد علا رأسىَ المَشِيب
أظننى ذائقًا حِمامى * وأنّ إلمامَه قريب
إذا فؤادٌ شجاه حبٌّ * فقلّما ينفع الطبيب

الشعر لأبى نُوَاس. والغناء لسُليم، وله فيه لحنان: خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق، وهزج بالوسطى عن الهشامىّ. وزعمتْ بَذْلُ أنّ الهزج لها.

كان أبوه من دعاة أبي مسلم

أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال :

كان سُلَيم بن سَلّام كوفيًّا ، وكان أبوه من أصحاب أبي مُسلم صاحب الدولة ودُعاتِه وثِقاته ، فكان يكاتب أهلَ العراق على يده . وكان سُلَيم حسنَ الصوت جَهيرَه ، وكان بخيلا .

دعا صديقين ولما جاعا اشتريا طعاما فأكل معهما

قال أحمد بن أبي طاهر وحدثني أبو الحواجب الأنصاريّ ، واسمه محمد ، قال :

١٤ / ٦

قال لي سُلَيم يومًا : امضِ إلى موسى بن إسحاق الأزرق فادْعُه ووَافِياني مع الظهر؛ فجئناه مع الظهر، فأخرج إلينا ثلاثين جارية مُحْسِنة ونبيذًا، ولم يُطْعِمنا شيئا، ولم نكن أكلنا شيئا. فغمز موسى غلامَه فذهب فاشترى لنا خبزا وبيضا، فأدخله إلى الكنيف وجلسنا نأكل؛ فدخل علينا، فلما رآنا نأكل غضب وخاصمنا وقال : أهكذا يفعل الناس! تأكلون ولا تُطعمونني ! وجلس معنا في الكنيف يأكل كما يأكل واحد منا حتى فَنِي الخبز والبيض .

طلب من محمد اليزيدي نظم شعر يغني به الخليفة ففعل

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني الفضل بن محمد اليزيديّ قال حدثني أبي قال :

كان سُلَيم بن سَلّام صديقي وكان كثيرًا ما يغشاني . فجاءني يومًا وأعلمني الغلامُ بمجيئه ، فأمرتُ بإدخاله ، فدخل وقال : قد جئتك في حاجة ؛ فقلت : مقضيّة . فقال : إنّ المِهْرجان بعد غد، وقد أُمِرنا بحضور مجلس الخليفة، وأريد أن أغنّيه لحنًا أصنعه في شعرلم يعرفه هو ولا مَنْ بحضرته ، فقُلْ أبياتا أُغنّي فيها مِلاحًا؛ فقلت : على أن تُقيم عندي وتصنع بحضرتي اللحن؛ قال: أفعل . فردّوا دابّته وأقام عندي، وقلت :

صــــوت

أتيتُــك عائذًا بك منْـ * ـك لمّـا ضاقت الحِيَلُ
وصــيّرنى هواك وبى * لِحَيْنى يُضرب المثــل
فإن سَلِمتْ لكم نفسى * فمـا لا قيتُــه جَلَـل
وإنْ قتل الهوى رجلًا * فإنى ذلك الرجــل

فغنّى فيه وشربنا يومئذ عليه، وغنّانا عدّةَ أصوات من غنائه، فما رأيته مذ عرفته كان أنشطَ منه يومئذ.

سرق محمد اليزيدى معنيين من شعر مسلم بن الوليد

أخبرنى أحمد بن عُبيــد الله بن عمّار قال حدّثنى محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثنى عبد الله[(١)] بن محمد اليزيدىّ قال حدّثنى أخى محمد قال:

سمعت أبى يقول: ما سَرَقت من الشعر قطُّ إلا معنيين[(٢)]: قال مسلم بن الوليد:

ذاك ظبيٌ تحيّر[(٣)] الحسنُ فى الأر * كان منــه وجال كلَّ مكانِ
عرضتْ دونَه الحِجـالُ فما يَلْـ * ـقاك إلا فى النوم أو فى الأمانى

فاستعرتُ[(٤)] معناه فقلت:

صــــوت

يا بعيدَ الدار موصو * لًا بقلــبى ولسانى[(٥)]
ربّمـا باعَدَك الدهـ * ـرُ فأدنتْـك الأمانى

— الغناء فى هذين البيتين لسُلَيم هزج بالبنصر عن الهشامىّ —.

---

(١) الظاهر أنه: «عبيد الله» لا: «عبدالله»، وهو أخو الفضل والعباس ولدى محمد اليزيدى.
(٢) فى الأصول: «قول»، وهو لا يلتئم مع سياق الكلام الآتى.
(٣) فى ب، س: «تخير» (بالخاء المعجمة) وهو تصحيف.
(٤) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «فاستعرضت».
(٥) نسبت هذه الأبيات فى وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ٢ ص ٣٤٤ طبع مصر) ليحيى بن المبارك اليزيدى المقرئ النحوى اللغوى صاحب أبى عمرو بن العلاء وهو والد محمد اليزيدى المنسوب اليه الشعر هنا.

قال : وقال مسلم أيضا :

متى ما تسمعى بقتيلِ أرض * فإنى ذلك الرجـــل القتيـلُ

— ويُروى : "أُصيبَ فإنى ذاك القتيل" — فقلت :

أتيتُـــك عائذًا بك مِنْـ * ـك لمّا ضاقت الحِيَلُ
وصـيّرنى هـواك وبى * لَحَيْنى يُضرب المثـــل
فإن سَلِمتْ لكم نفسى * فمـا لا قيتُــه جَلَل
وإن قَتل الهوى رجلًا * فإنى ذلك الرجـــل(١)

١٥/٦

غنى مخارقا صوتا ، فلما بلغ ابن المهدى طلبه وغناه إياه

وجدت فى كتاب علىّ بن محمد بن نصر عن جدّه حمدون بن إسماعيل، ولم أسمعه من أحـــد :

أن إبراهيمَ بن المهدىّ سأل جماعةً من إخوانه أن يصطبحوا عنــده — قال حمدون : وكنت فيهم — وكان فيمن دعا مُخارِق ، فسار إليه وهو سكران لا فضلَ فيــه لطعام ولا لشراب، فاغتمّ لذلك إبراهيم وعاتبــه على ما صنع؛ فقال : لا والله أيها الأمير، ما كان آفتى إلا سُليم بن سلّام ؛ فإنه مرّ بى فدخل علىّ فغنّانى صوتًا له صنعه قريبًا فشربت عليــه إلى السَّحَر حتى لم يبق فىّ فضــلٌ وأخذتُه . فقــال له إبراهيم : فغنّناه إملالًا(٢)، فغنّاه .

صـــــوت

إذا كنتَ نَدْمانى فباكِرْ مُدامةً * معتّقةً زُفّت إلى غــير خاطبِ
إذا عُتّقت فى دَنّها العامَ أقبلتْ * تَرَدّى(٣) رداءَ الحسن فى عين شارب

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول هنا : « فإن » . (٢) يريد : غنتا إياه كما أخذته عنه من غير زيادة ولا نقص . (٣) تردى فلان : لبس الرداء .

— الغناء لسُلَيم خفيف ثقيل مطلق فى مجرى البنصر — قال فبعث إبراهيم إلى سُلَيم فأحضره، فغنّاه إياه وطرّحه على جواريه وأمر له بجائزة ، وشربنا عليه بقيّة يومنا حتى صِرْنا فى حالة مُخارق وصار فى مثل أحوالنا

صـــوت

من المـائة المختـارة

عَتَق الفؤادُ من الصِّبا * ومن السَّفاهة والعلاق
وحَطَطتُ رحلى عن قَلو * ص الحبّ فى قُلُص عِتاق (١)
ورفعتُ فضلَ إزاريَ الْ * مجرور عن قدمى وساقى
وكففت غَرْبَ النفس حتّى ما تتُوق إلى مَتاق

لم يقع إلينا قائلُ هذا الشعر . والغناء لابن عبّاد الكاتب ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل، وقيل : إنه لغيره، بل قيل : إنه لعمرو .

(١) فى ب ، حـ : « العتاق » .

أخبار ابن عبّاد

نسبه وكنيته وصناعته

هو محمد بن عبّاد، مولى بنى مخزوم، وقيل : إنه مولى بنى جُمَح، ويُكْنَى أبا جعفر. مكّىّ، من كبراء المغنّين من الطبقة الثانية منهم . وقد ذكره يونس الكاتب فيمن أخذ عنه الغناء، مُتقِن الصنعة كثيرُها . وكان أبوه من كتّاب الديوان بمكة؛ فلذلك قيل ابنُ عبّاد الكاتب .

قابله مالك وطلب منه الغناء ففعل فذمه

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبّة عن إسحاق ، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثّقفى عن أبى خالد الكنانىّ عن ابن عبّاد الكاتب قال :

والله إنى لأمشى بأعلى مكة فى الشِّعْب(١)، إذ أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان(٢) من أهل المدينة ، فظننتُ أنهم قالوا له : هذا ابن عبّاد؛ فمال إلىّ فملتُ إليه ؛ فقال لى : أنت ابن عبّاد ؟ قلت : نعم؛ قال: مِلْ معى هاهنا، ففعلت ؛ فأدخلنى شعبَ ابن عامر ثم أدخلنى دِهليز ابن عامر وقال : غنِّنى ؛ فقلت : أغنّيك هكذا وأنت مالك ! — وقد كان يبلغنى أنه يثلِب أهلَ مكة ويتعصّب عليهم — فقال : بالله إلا غنّيتنى صوتا من صنعتك . فاندفعت فغنّيته :

١٦/٦

صوت

ألَا ياصاحبىَّ قفا قليلًا * على ربع تقادمَ بالمُنيف(٣)
فأمستْ دارهم(٤) شَحَطَت وبانت(٥) * وأضحى القلبُ يخفق ذا وجيف

(١) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول : « فى الشعر » . (٢) فى حـ : «وفتيان من أهل المدينة فما ظننت إلا أنهما قالا له » . (٣) المنيف : موضع قبل عمق (بفتح أوله وإسكان ثانيه : ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز) وقيل : المنيف : حصن فى جبل صبر (ككتف) من أعمال تعز (بالفتح ثم الكسر والزاى مشددة) باليمن . وهناك منيف لحج أيضا وهو حصن قرب عدن .
(٤) فى حـ : « دورهم » . (٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « ونامت » .

وما غنّيته إياه إلا على احتشام . فلما فرغتُ نظر إلىّ وقال لى : قد والله أحسنتَ ! ولكنّ حَلْقَكَ كأنه حلقُ زانية . فقلت : أمّا إذ أفلت منك بهذا فقد أفلتُّ . وهذا اللحن من صدور غناء ابن عبّاد . ولحنه من الثقيل الثانى بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى .

وفاته ببغداد

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى وعيسى بن الحسين قالا حدثنا أبو أيّوب المَدينى قال حدّثنى جماعة من أهل العلم :

أنّ ابنَ عبّاد الكاتب تُوُفّىَ ببغداد فى الدولة العباسية ودُفن بباب حرب(١) . وقال أبو أيوب : أظنّه فيمن قدِم من مُغَنّى الحجاز على المهدىّ .

صوت

من المائة المختارة

يا طللاً غيّره بعدى * صوبُ رَبيع صادق الرعدِ
أراكَ بعد الأُنس ذا وَحْشَةٍ(٢) * لستَ كما كنتَ على العهدِ
مالى أُبَكّى طللاً كلما * سائلتُه عَىّ عن الردِّ
كان به ذو غُنُجٍ(٣) أهيفٌ * أحورُ مطبوعٌ على الصدِّ

لم يُسمّ أبو أحمد(٤) قائلَ هذا الشعر . والغناء ليحيى المكىّ ، ولحنه المختار من الهزج بالوسطى .

---

(١) باب حرب : موضع ببغداد ينسب إلى حرب بن عبد الله البلخى أحد قواد أبى جعفر المنصور وكان يتولى شرطة بغداد . وفى مقبرة باب حرب قبر أحمد بن حنبل و بشر الحافى وأبى بكر الخطيب ومن لا يحصى من العلماء والعباد والصالحين وأعلام المسلمين . (٢) فى حـ : « فى وحشة » .
(٣) الغنج : التكسر والتدلل . (٤) أبو أحمد هو يحيى بن على بن يحيى المنجم .

اخبار يحيي المكى ونسبه

اسمه وكنيته وكتمانه ولاءه لبنى أمية لخدمته الخلفاء من بنى العباس

هو يحيي بن مرزوق، مولى بنى أمية، وكان يَكْتُمُ ذلك لخدمته الخلفاءَ من بنى العبـاس خوفًا من أن يجتنبوه ويحتشموه؛ فإذا سُئل عن وَلائه انتمى إلى قريش ولم يَذْكر البطن الذى ولاؤه لهم(١)، واستعفَى مَن سأله عن ذلك. ويُكْنى يحيي أبا عثمان. وذكر ابن خُرْداذْبَهْ أنه مـولى خُزَاعة . وليس قولُه مما يحصَّل، لأنه لا يَعتمد فيه على رِوايةٍ ولا دِرَايةٍ .

أخبرنى عبد الله بن الرَّبيع أبو بكر الرَّبيعى صديقنا رحمه الله قال حدثنى وَسْواسة بن الموصلىّ — وقد لقيتُ وسواسة هذا، وهو أحمد بن(٢) إسماعيل بن إبراهيم وكان معلّما، ولم أسمع هذا منه فكتبتهُ وأشياءَ أُخَرعن أبى بكر رحمه الله — قال حدثنى حماد بن إسحاق قال قال لى أبى :

سألت يحيي المكىّ عن ولائه، فانتمى إلى قريش؛ فاستزدتُه فى الشَّرح فسألنى أن أُعفيَه .

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق ويحيي بن علىّ بن يحيي قالا(٣) حدثنا أبو أيوب المدينى قال :

كان يحيي المكى يُكنَى أبا عثمان، وهو مولى بنى أُميّة، وكان يكتم ذلك ويقول: أنا مولى قريش .

مدحه أبان اللاحق وعارض الأعشى فى مدح دحمان

ولـما قال أعشى بنى سُلَيم يمدح دَحْمان :

١/ب كانوا فحولًا فصاروا عند حَلْبتهم * لـمّـا انبرى لهمُ دَحْمان خِصيـانَا

(١) فى أ ، ء ، م : « له » . (٢) راجع الحاشية — رقم ١ ص ١٥٤ من الجزء الخامس من الأغانى من هذه الطبعة . (٣) فى ب ، س : « قال » . وهو تحريف .

فأبلغوه عن الأعشى مقالته * أعشى سُلَيم أبى عمرو سُليمانا
قولوا يقول أبو عمرو لصُحْبته * ياليت دحمانَ قبل الموت غنّانا

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقىّ — ويقال إن ابنه حَمْدان بن أبان قالها . والأشبه عندى أنها لأبان، وما أظنّ ابنه أدرك يحيى[1] — :

يامَنْ يُفَضِّل دحماناً ويمدحه[2] * على المغنّين طُرًّا قلتَ بهتانَا
لوكنتَ جالستَ يحيى أو سمعتَ به * لم تمتدح أبدًا ما عشتَ إنسانا
ولم تقل سَفَهًا فى مُنيةٍ[3] عَرَضتْ[4] * ياليت دحمانَ قبل الموت غنّانا
لقد عَجِبتُ لدحمانٍ ومادِحه * لا كان مادحُ دحمانٍ ولا كانا
ما كان كابن صغير العين إذ جرَيا * بل قام فى غاية المجرى وما دانَى
بذّ الجيادَ أبو بكر وصيّرها * من بعد ما قَرحتْ جُذْعًا وثُنيانا[5]

يعنى بأبى بكر ابنَ صغير العين، وهو من مغنّى مكة . وله أخبار تُذكَر فى موضعها[6] إن شاء الله تعالى .

منزلته فى الغناء وتلاميذه

وعُمِّر يحيى المكى مائةً وعشرين سنة، وأصاب بالغناء مالم يُصبه أحد من نظرائه، ومات وهو صحيح السمع والبصر والعقل . وكان قدم مع الحجازيين الذين قدموا على المهدىّ فى أوّل خلافته ، فخرج أكثرهم وبقى يحيى بالعراق هو وولده

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «أنه» ، وهو تحريف . (٢) فى حـ : «يمدحه» .
(٣) فى أ ، ء ، م : «من» . (٤) المنية (بالضم وتكسر) : البغية وما يتمنى .
(٥) قرح الفرس : صار قارحا . والقارح من ذى الحافر : الذى شق نابه وطلع ، وهو بمنزلة البازل من الإبل ، وذلك فى الخامسة من سنه . والجذع (بضمتين وسكن لضرورة الشعر) : جمع جذع (بالتحريك) وهو ما كان فى الثانية من سنه . والثنيان (بالضم) : جمع ثنى وهو ما كان فى الثالثة من سنه .
(٦) لم نجد لأبى بكر هذا أخبارا فى الأغانى المطبوع فى بولاق . فلعل المؤلف أنسى أن يذكره، أو ذكره وسقط من الكتاب .

يخدِمون الخلفاء إلى أن انقرضوا . وكان آخرهم محمد بن أحمد بن يحيى المكى، وكان يغنّى مرتجِلا ، ويحضُر مجلس المعتمد مع المغنين فيوقِع بقضيب على دواة . ولقيَه جماعة من أصحابنا ، وأخذ عنه جماعة ممن أدر (١) من عجائز المغنّيات ، منهم قَمَرية العَمْريّة ، وكانت أمّ ولد عمرو بن بانة . وممن أدركه من أصحابنا جَحْظة ، وكتبنا عنه عن ابن المكى هذا حكاياتٍ حسنة من أخبار أهله . وكان ابن جامع وإبراهيم الموصلىّ وفُلَيح يفزَعون إليه فى الغناء القديم ويأخذونه عنه ، ويعابى (٢) بعضُهم بعضا بما يأخذه منه ويُغرب به على أصحابه ؛ فإذا خرجتْ لهم الجوائز أخذوا (٣) منها ووفّروا نصيبَه . وله صنعة عجيبة نادرة متقدّمة . وله كتاب فى الأغانى ونِسَبها وأخبارها [وأجناسها] (٤) كبيرٌ جليل مشهور ، إلا أنه كان كالمطّرح عند الرواة لكثرة تخليطه فى رواياته . والعملُ على كتاب ابنه أحمد ، فإنه صحّح كثيرا مما أفسده أبوه ، وأزال ما عرَفه من تخاليط أبيه ، وحقّق مانسبه من الأغانى إلى صانعه . وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت .

عمل كتابا فى الأغانى وأهداه لعبد الله بن طاهر فصححه ابنه أحمد ابن عبد الله

أخبرنى عبد الله بن الرّبيع قال حدّثنى وَسْواسة بن الموصلى قال حدّثنى محمد بن أحمد بن يحيى المكى قال :

عَمِل جدّى كتابًا فى الأغانى وأهداه إلى عبد الله بن طاهر ، وهو يومئذ شابّ حديث السن ، فاستحسنه وسُرّ به ؛ ثم عرَضه على إسحاق فعرّفه عوارا (٥) كثيرا

---

(١) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : « ممن دركناه » .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . وعاياه فلان فلانا معاياة : ألقى إليه كلاما أو عملا لا يهتدى لوجهه . وفى ب ، س : « يسانى » . وهو تصحيف . (٣) فى ب : « أخذوه » وقد صححها المرحوم الشنقيطى فى نسخته بجعلها : « أحذوه » (بالحاء المهملة) . وأحذاه من الغنيمة : أعطاه .

(٤) زيادة عن أ ، ء ، م . (٥) العوار (مثلثة) : العيب .

فى نَسَبه، لأن جدّى كان لا يصحّح لأحد نسبه صوت البتّة، وينسُب صنعته إلى المتقدمين، وينحل بعضَهم صنعة بعض ضنًّا بذلك على غيره، فسقط من عين عبد الله وبقى فى خزانته؛ ثم وقع إلى محمد بن عبد الله، فدعا أبى، وكان إليه محسناً وعليه مُفْضِلا، فعرَضه عليه؛ فقال له : إن فى هذه النِّسب[1] تخليطا كثيرا، خلّطها أبى لضنه بهذا الشأن على الناس، ولكنى أعمل لك كتابا أصحح هذا وغيره فيه . ١٨ / ٦ فعمل له كتابا فيه اثنا عشر ألف صوت وأهداه إليه ، فوصله محمد بثلاثين ألف درهم . وصحّح له الكتاب الأوّل أيضا فهو فى أيدى الناس . قال وَسْواسة: وحدّثنى حمّاد أن أباه إسحاق كان يقدّم يحيى المكى تقديما كثيرا ويفضّله[2] ويناضل[3] أباه وآبنَ جامع فيه؛ ويقول : ليس يخلو يحيى فيما يَرويه من الغناء الذى لا يعرفه أحدٌ منكم من أحد أمرين: إمّا أن يكون مُحِقًّا [فيه][4] كما يقول، فقد علم ما جهلتم، أو يكون من صنعته وقد نحله المتقدّمين، كما تقولون، فهو أفضل[له][4] وأوضح لتقدّمه عليكم. قال: وكان أبى يقول : لولا ما أفسد به يحيى المكى نفسَه من تخليطه فى رواية الغناء على المتقدّمين وإضافته إليهم ما ليس لهم وقلّة ثَباته على ما يَحكيه من ذلك، لما تقدّمه أحد . وقال محمد بن الحسن الكاتب : كان يحيى يخلّط فى نِسَب الغناء تخليطا كثيرا، ولا يزال يصنع الصوت بعد الصوت يتشبّه فيه بالغريض مرّة وبمعبد أخرى وبابن سُريج وآبن مُحرز، ويجتهد فى إحكامه وإتقانه حتى يشتبه على سامعه؛ فإذا حضر مجالس الخلفاء غنّاه على ما أحدث [فيه][5] من ذلك ، فيأتى بأحسن[6] صنعة وأتقنها ،

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «هذا» .

(٢) فى ب، س : «ويصله» . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «ويواصل» وهو تحريف . (٤) زيادة عن حـ . (٥) هذه الكلمة ساقطة فى ب، س . (٦) فى ب، س : «أحسن»

وليس أحد يعرفهـا ؛ فيُسأل عن ذلك فيقول : أخذته عن فلان وأخذه فلان عن يونس أو عن نظرائه من رواة الأوائل ، فلا يُشَكّ فى قوله ، ولا يَثْبُت لمباراته أحد ، ولا يقوم لمعارضته ولا يفى بها ؛ حتى نشأ إسحاق فضبط الغنـاء وأخذه من مَظانّه ومَعدِنه ، وكشف عَوَار يحيى فى منحولاته وبيّنها للناس .

أظهر إسحاق غلطه فأرسل له هـدايا وعاتبه

أخبرنى عمى [قال] سمعتُ عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر يذكر عن أحمـد ابن سعيد المـالكىّ — وكان مغنياً منقطعا إلى طاهر وولده وكان من القوّاد — قال :

حضرتُ يحيى المكىّ يوماً وقد غنّى صوتا فسُئل عنه فقال : هذا لمـالك — ولم يحفظ أحمد بن سعيد الصوت — ثم غنّى لحنًا لمـالك فسُئل عن صانعه فقال : هذا لى ؛ فقال له إسحاق : قلتَ ماذا؟ فديتُك ، وتضاحك به . فسئل عن صانعه فأخبر به ، ثم غنّى الصوت . فخجل يحيى حتى أمسك عنه ؛ ثم غنّى بعد ساعة فى الثقيل الأوّل ، واللحن :

صـــــوت

إنّ الخليـطَ أجَدّ فاحتَملا * وأراد غيظَك بالذى فعـلا
فظَلِلْتَ تأمُل قربَ أوْبتِهم * والنفسُ ممـا تأمُل الأملا

فسُئل عنه فنسبه إلى الغَرِيض . فقال له إسحاق : يا أبا عثمان ، ليس هذا من نَمَط الغَرِيض ولا طريقته فى الغناء ، ولو شئتَ لأخذتَ مالَكَ وتركتَ للغريض مالَه ولم تَتْعَب . فاستحيا يحيى ولم ينتفع بنفسه بقيّة يومه . فلمـا انصرف بعث إلى إسحاق بالطاف كثيرة وبِرٍّ واسع ، وكتب إليـه يعاتبه ويستكفّ شرّه ويقول له : لستُ من أقرانك فتُضادّنى ، ولا أنا ممن يتصدّى لمباغضتك ومباراتك فتكايدنى ، ولأنت إلى أن أُفيدَك وأعطيك ما تعـلم أنك لا تجده عنـد غيرى فتَسْمو به على أكفائك أحوجُ منك إلى أن تباغضنى ، فأُعطِى غيرَك سلاحاً إذا حمله عليك لم تقم له ، وأنت

١٩ / ٦

أولَى وما تختار . فعرف إسحاقُ صدْقَ يحيى، فكتب إليه يعتذر، وردّ الألطافَ التى حملها إليه، وحلَف لا يعارضه بعدها، وشرَط عليه الوفاءَ بما وعده به من الفوائد؛ ووفَى له بها، وأخذ منه كلَّ ما أراد من غناء المتقدمين . وكان إذا حَزَبه أمرٌ فى شىء منها فَزِع إليه فأفاده وعاونه ونصَحه؛ وما عاود إسحاق معارضتَه بعد ذلك . وحذِره يحيى، فكان إذا سُئل بحضرته عن شىء صَدَق فيـه، وإذا غاب إسحاق خلّط فيما يُسأل عنه . قال : وكان يحيى إذا صار إليه إسحاق يطلب منه شيئاً أعطاه إياه وأفاده وناصحه، ويقول لابنه أحمد : تعالَ حتى تأخذ مع أبى محمد ما الله يعلم أنى كنتُ أبخَلُ به عليك فضلاً عن غيرك؛ فيأخذه أحمد عن أبيه مع إسحاق . قال: وكان إسحاق بعد ذلك يتعصّب ليحيى تعصّبا شديدا، ويَصفه ويقدّمه ويعترف برياسته، وكذلك كان فى وَصْف أحمدَ ابنِه وتقريظه .

عدد أصواته التى صنعها

قال أحمد بن سعيد : والاختلاف الواقع فى كتب الأغانى إلى الآن من بقايا تخليط يحيى . قال أحمد بن سعيد : وكانت صنعةُ يحيى ثلاثةَ آلاف صوت ، منها زُهاءُ ألف صوت لم يُقاربْه فيها أحد، والباقى متوسِّط . وذكر بعضُ أصحاب أحمد ابن يحيى المكىّ عنـه أنه سُئل عن صنعة أبيـه فقال : الذى صحّ عندى منها ألف وثلثمائة صوت، منها مائة وسبعون صوتاً غَلَب فيها على الناس جميعا مَنْ تقـدّم منهم ومن تأخّر، فلم يَقم له فيها أحد .

كان ينسب الأصوات عمدا لغير أصحابها فافتضح أمره

وقال حماد بن إسحاق قال لى أبى :

كان يحيى المكى يُسأل عن الصوت، وهو يعلم لمن هو، فينسُبه إلى غير صانعه، فيُحمل ذلك عنه كذلك، ثم يسأله آخرون فينسُبه غيرَ تلك النسبة، حتى طال ذلك وكثُر منه وقلّ تحفّظه، فظهر عَواره، ولولا ذلك لما قاومه أحد .

أظهر إسحاق كذبه فيما ينسبه من الغناء أمام الرشيد

وقال أحمد بن سعيد المالكيّ في خبره :

قال إسحاق يومًا للرشيد، قبل أن تَصْلُح الحال بينه وبين يحيى المكي : أتحب يا أمير المؤمنين أن أُظهر لك كذبَ يحيى فيما ينسُبه من الغناء ؟ قال نعم . قال : أعطنى أىّ شعر شئتَ حتى أصنع فيه، واسألنى بحضرة يحيى عن نِسْبته فإنى سأنسُبه إلى رجل لا أصلَ له ، واسأل يحيى عنه إذا غنّيته ، فإنه لا يمتنع من أن يدّعى معرفته . فأعطاه شعرًا فصنع فيه لحنا وغنّاه الرشيدَ؛ ثم قال له : يسألنى أمير المؤمنين عن نِسْبته بين يديه . فلما حضر يحيى غنّاه إسحاقُ فسأله الرشيدُ : لمن هذا اللحن ؟ فقال له إسحاق : لغناديس المدينى (١) . فأقبل الرشيد على يحيى فقال له : أكنت لقيتَ غناديس المدينى ؟ قال : نعم، لقيتُه وأخذت عنه صوتين؛ ثم غنّى صوتا وقال : هذا أحدهما . فلما خرج يحيى حلف إسحاق بالطلاق ثلاثا وعتقِ جواريه : أن الله ماخلق أحدا اسمه غناديس، ولا سُمع فى المغنين ولا غيرهم، وأنه وضع ذلك الاسم فى وقته ذلك لينكشف أمره .

علم إسحاق صوتا غناه الرشيد فأهدى إليه تخت ثياب وخاتم

حدثنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدثنى محمد بن أحمد بن يحيى المكّى المرتجل قال :

غنى جدّى يومًا بين يدى الرشيد :

صــــوت

هـل هيّجتك مَغانِى الحىّ والدُّورُ * فاشتقتَ إن الغريبَ الدارِ معذورُ (٢)

وهل يحِـلّ بنـا إذ عيشُنا أنِقٌ (٣) * بيضٌ أوانسُ أمثالُ الدُّمَى حُور

---

(١) فى حـ : «لغناديس المدنى» . (٢) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : «مغرور» . (٣) أنِق العيش (من باب علم) : راع حسنه .

ــ والصنعة له خفيفُ ثقيلٍ ــ فسار(١) إليــه إسحاق وسأله أن يُعيده إياه؛ فقال : نعم ، حبًّا وكرامةً لك يا ٱبن أخى ، ولو غيرُك يروم ذلك لبَعُد عليه ؛ وأعاده حتى أخذه إسحاق . فلما انصرف بعث إلى جدّى بتَخْت(٢) ثياب وخاتم ياقوت نفيس . ٢٠/٦

دس له إبراهيم ابن المهدى من أخذ عنه صوتا بثمن غال

حدثنى جَحظة قال حدثنى القاسم بن زُرْزُور عن أبيــه عن مولاه علىّ بن(٣) المارِقىّ قال :

قال لى إبراهيم بن المهدىّ : وَيْلَك يامارقىّ! إن يحيى المكىّ غنّى البارحةَ بحضرة أمير المؤمنين صوتًا فيه ذِكْرُ زينبَ ، وقد كان النبيذ أخذ منى فأُنسيت شعرَه ، وٱستعدتُه إياه فلم يُعده ، فٱحتَلْ لى عليه حتى تأخذه لى منه ولك علىّ سَبَق(٤) . فقال لى المارقىّ ــ وأنا يومئذ غلامُه ــ اذهب إليه فقل له إنى أسأله أن يكون اليومَ عندى ؛ فمضيت إليه بجئته به . فلما تغدَّوْا وُضع النبيذ ؛ فقال له المارق : إنى كنت سمعتك تغنّى صوتا فيه زينب وأنا أحب أن آخذه منك ــ وكان يحيى يوفّى هذا الشأنَ حقَّه من الاستقصاء ، فلا يخرج عنــه إلا بحذر ، ولا يدع الطلبَ والمسألةَ ، ولا يُلقى صوتا إلا بعوَض . قال لى جحظة فى هذا الفصل : هذا ــ فديتُك ــ فعلُ يحيى مع ماأفاده من المال ، ومع كرم مَنْ عاشره وخدَمه من الخلفاء مثلِ الرشيد والبرامكة وسائر الناس ، لا يُلام ولا يعاب ، ونحن مع هؤلاء السُّفّل إن جئناهم نكارمهم(٥) تغافلوا عنا ، وإن أعطَوْنا النَّزْر اليسير مَنُّوا به علينا وعابونا ، فمن يلومنى أن أشتُمهم ؟ فقلت : ماعليك لوم .

(١) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : « فصار » . (٢) التخت : وعاء تصان فيــه الثياب . (٣) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « عن مولاه عن ابن المارق قال » ، وهو تحريف ؛ لأن المارق هو مولى زرزور كما يشعر بذلك سياق الحديث هنا وكما مر فى الجزء الرابع من هــذه الطبعة (ص ٩٣) . (٤) السبق (بالتحريك) : الخطر يوضع فى السباق من سبق أخذه . (٥) كذا فى أ ، ء ، م . وكارمه : أهدى اليه ليكافئه ويثيبه . وفى سائر الأصول : « مكارمة » وهو تحريف .

— قال: فقال له يحيى: وأىّ شىء العِوَض إذا ألقيتُ عليك هـذا الصوتَ ؟ قال : ماتريد؛ قال : هذه الزِّرْبِيّة[1] الأرمينيّة، كم تقعد عليها! أما آن لك أن تملَّها؟ قال : بلى، وهى لك . قال : وهذه الظباء الحرميّة، وأنا مكىّ لا أنت، وأنا أولى بها؛ قال: هى لك، وأمر بحملها معه. فلما حَصَلت له، قال المارقىّ : ياغلام، هات العود؛ قال يحيى: والميزانَ والدراهم، وكان لايغنّى أو يأخذ خمسين درهما، فأعطاه إيّاها؛ فألقى عليه قولَه :

بزينبَ أَلْمِمْ قبلَ أن يَرحَلَ الركبُ * وقُلْ إن تَمَلِّينا فـما مَلَّكِ القلبُ

— ولحنه لكَرْدَم ثقيلٌ أول — فلم يشكّ المارقىّ أنه قد أخذ الصوتَ الذى طلبه إبراهيم وأدرك حاجتَه . فبكّر إلى إبراهيم وقد أخذ الصوتَ، فقال له: قد جئتك بالحاجة . فدعا بالعود فغنّاه إياه؛ فقال له : لا والله ماهو هذا، وقد خدعك، فعاود الاحتيال عليه . فبعثنى إليه وبعث معى خمسين درهماً . فلما دخل إليه وأكلا وشربا قال له يحيى: قد واليتَ بين دَعَواتك لى، ولم تكن برًّا ولا وَصولا، فما هذا ؟ قال: لاشىء والله إلا محبتى للأخذ عنـك والاقتباس منك ؛ فقال : سَرّك الله ، فَمَـهْ . قال : تذكرتُ الصوت الذى سألتك إياه فإذا ليس هو الذى ألقيتَ علىّ . قال : فتريد ماذا ؟ قال : تذكر الصوت . قال : أفعل، ثم اندفع فغنّاه :

أَلْمِمْ بزينبَ إنّ البينَ قد أَفِدا[2] * قَلّ الثواءُ لئن كان الرحيلُ غدا

— والغناء لمعبد ثقيل أول — فقال له : نعم، فديتُك ياأبا عثمان، هذا هو، أَلْقِه علىّ؛ قال: العِوَض؛ قال: ماشئتَ ؟ قال: هذا المِطْرَف الأسود؛ قال: هو لك. فأخذه

---

(1) كذا فى أكثر الأصول . والزربية : واحدة الزرابىّ وهى البسط، وقيل كل ما بسط واتكئ عليه . وفى حـ : « الزلية » والزلية (بضم الزاى وتشديد اللام المكسورة) : البساط، معرب « زيلو » بالفارسية، وجمعها زلالى . (2) أفد : دنا .

وألقى عليه هذا الصوتَ حتى استوى له، وبكّر إلى إبراهيم، فقال له : ماوراءك؟ قال : قد قضيتُ الحاجةَ، فدعا له بعود فغنّاه، فقال : خدعك والله، ليس هذا هو، فعاودْ الاحتيالَ عليه، وكلُّ ماتعطيه إياه ففى ذمّتى . فلما كان اليومُ الثالث بعث بى إليه، ٢١/٦ فدعوتُه وفعلنا مثلَ فعلنا بالأمس . فقال له يحيى : فمالك أيضا؟ قال له : ياأبا عثمان، ليس هذا الصوتُ هو الذى أردتُ، فقال له : لست أعلم مافى نفسك فأذكُرَه، وإنما علىّ أن أذكر ما فيه زينبُ من الغناء كما التمستَ حتى لايبقى عندى زينب البتةَ إلا أحضرتها، فقال : هاتِ على اسم الله، قال : اذكرِ العِوَضَ، قلت : ماشئتَ، قال : هذه الدُّرّاعة[(1)] الوَشْىُ التى عليك، قال : خذها والخمسين الدرهم، فأحضرها . فألقى عليه — والغناء لمعبد ثقيلٌ أول — :

لزينبَ طيفٌ تعتريني طوارقُه * هدوءًا إذا النجمُ ارجحنّتْ[(2)] لواحقُهْ

فأخذه منـه ومضى إلى إبراهيم، فصادفه يشرب مع الحُـرَم، فقال له حاجبه : هو متشاغل، فقال : قل له : قد جئتك بحاجتك . فدخل فأعلمه، فقال : يدخل فيغنّيه فى الدار وهو قائم، فإن كان هو وإلا فليخرج، ففعل، فقال : لاوالله ماهو هذا، ولقد خدعك، فعاود الاحتيالَ عليه . ففعل مثل ذلك يحيى، فقال له يحيى وهو يضحك : أمَا ظَفِرتَ بزينبك بعدُ؟ فقال : لا والله يا أبا عثمان، وما أشكُّ فى أنك تَعتمدنى بالمنع مما أريده، وقد أخذتَ كل شىء[(3)] عندى معابثةً . فضحك يحيى وقال : قد استحييتُ منك الآن، وأنا ناصحك على شريطة، قال : نعم، لك الشريطة، قال : لا تلُمْنى فى أن أعابثك لأنك أخذت فى معابثتى، والمطلوبُ إليه أقدر من الطالب، فلا تعاود

(١) الدراعة (كرمانة) : جبة مشقوقة المقدم ولا تكون الا من صوف، وجمعها دراريع .

(٢) ارجحنت : اهتزت ومالت . (٣) كذا فى ا، ء، م . وفى سائر الأصول : «وقد أخذت فى كل ... الخ» . والظاهر أن «فى» مقحمة .

أن تحتال علىّ فإنك تظفر منى بما تريد، إنما دسّك إبراهيم بن المهدىّ علىّ لتأخذ منى صوتًا غنّيتُه، فسألنى إعادتَه فمنعتُه بخلًا عليه لأنه لا يلحقنى منه خير ولا بركة، ويريد أن يأخذ غنائى باطلا، وطَمِع بموضعك أن تأخذ الصوت بلا ثمن ولا حمد، لا والله إلا بأوفر ثمن وبعد اعترافك، وإلا فلا تطمع فى الصوت. فقال له: أمّا إذ فطنتَ فالأمر والله على ما قلتَ، فتغنّيه الآن بعينه على شرط أنه إن كان هو هو وإلا فعليك إعادتُه، ولو غنّيتَنى كلّ شىء تعرفه لم أحتسب لك إلا به؛ قال: اشتره. فتساوما طويلًا وما كسه[1] حتى بلغ الصوتُ ألفَ درهم، فدفعها إليه؛ وألقى عليه:

صوت

طَرَقتك زينبُ والمَزار بعيدُ * بمِنى ونحن مُعرِّسون هجودُ
فكأنما طَرَقتْ بريّا روضةٍ * أُنُفٍ تُسَحسِح مُزْنَها وتجود

ـــ لحنه خفيف ثقيل. قال: وهو صوت كثير العمل، حلو النغم، مُحكم الصَّنعة، صحيح القسمة، حسن المقاطع ـــ فأخذه وبكّر إلى إبراهيم بن المهدىّ، فقال له: قد أقفرنى هذا الصوت وأعرانى، وأبلانى بوجه يحيى المكى وشحّه وطلبه وشَرَهه، وحدّثه بالقصّة؛ فضحك إبراهيم. وغنّاه إياه، فقال: هذا وأبيك هو بعينه. فألقاه عليه حتى أخذه، وأخلف عليه كلّ شىء أخذه يحيى منه وزاده خمسةَ آلاف درهم، وحَمَله على بِرْذون أشهبَ فارِهٍ بسرجه ولجامه. فقال له: يا سيّدى، فغلامُك زُرزُور المسكين قد تردّد عليه حتى ظَلَع[2]، هَبْ له شيئا، فأمر له بألف درهم.

(١) فى الأصول: «وما كسه أبى حتى بلغ ... الخ». وراوى القصة هو زرزور غلام المارق لا ابنه. فلعل كلمة «أبى» مقحمة من النساخ. وما كسه فى البيع: شاحه واستحطه الثمن واستنقصه إياه.

(٢) ظلع: عرج وغمز فى مشيه.

غنى للأمين لحنا أراد المغنون أخذه عنه فأبى

حدّثنى جحظة قال حدّثنى هِبة الله بن إبراهيم بن المهدىّ قال حدّثتنى رَيِّق وشَارِية جميعا قالتا :

كان مولانا — تعنيان ابى — فى مجلس محمد الأمين يومًا والمغنّون حضور، فغنّى يحيى المكى — واللحن له خفيف ثقيل — :

صــــوت

خليــلٌ لى أهيمُ به * فما كافأ[(١)] ولا شَــكَرَا
بل يُدْعَى له باسمى * إذا ما رِيعَ أو عَثَرا

فاستردّه سيّدنا وأحبّ أن يأخذه، فجعل يحيى يُفسده. وفطن الأمين بذلك، فأمر له بعشرين ألف درهم وأمره بردّه وتَرْك التخليط، فدعا له وقبّل الأرض بين يديه وردّ الصوت وجوّده، ثم استعاده. فقال له يحيى: ليست تَطيب لك نفسى به إلا بعوَض من مالك، ولا أنصحك والله فيه، فهذا مال مولاى أخذته، فلِمَ تأخذ أنت غنائى ! فضحك الأمين وحكم على إبراهيم بعشرة آلاف درهم فأحضرها. فقبّل يحيى يدَه وأعاد الصوت وجوّده، فنظر إلى مُخارق وعلّويه يتطلّعان لأخذه فقطع الصوت، ثم أقبــل عليهما وقال : قطعة من خُصْية الشيخ تغطى أســتاهَ عدّة صبيان، والله لا أعدتُه بحضرتكما . ثم أقبــل على مولانا — تعنيان إبراهيم بن المهدى — فقال : يا سيّدى، إنى أصير اليك حتى تأخذَه عنّى متمكّنًا ولا يَشْرَكك فيه أحد . فصار إليه فأعاده حتى أخذه عنه، وأخذناه معه .

غنى الرشيد بتل دارا فأكرمه

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدثنا أبو أيّوب المَدينى قال حدثنى أحمد ابن يحيى المكى عن أبيه قال :

(١) كافا مسهل كافأ .

أرسل إلىّ هارونُ الرشيد ، فدخلت إليه وهو جالس على كرسىّ بتَلّ دَارا [(١)] ، فقال : يا يحيى، غنّنى :

متى تلتقِ الألّافُ والعيسُ كلّما * تصعّدنَ من وادٍ هبطنَ إلى وادِ

فلم أزل أغنّيه إيّاه و يتناول قدحًا إلى أن أمسى . فعددتُ عشرَ مرّات استعاد فيها الصوت، وشرب عشرةَ أقداح، ثم أمرلى بعشرة آلاف درهم، وأمرنى بالانصراف .

مدح إسحاق غناءه وذكر أصواتا له

وقال محمد بن أحمد بن يحيى المكى فى خبره حدثنى أبى أحمدُ بن يحيى قال : قال لى إسحاق : يا أبا جعفر، لأبيك مائةٌ وسبعون صوتا، مَنْ أخذها عنه بمائة وسبعين ألفَ درهم فهو الرابح . فقلت لأبى : أىّ شىء تعرف منها ؟ فقال : لحنَه فى شعر الأخطل :

صوت

خَفّ القَطِينُ فراحوا منكَ وأبتكروا [(٢)] * وأزعجتْهم نَوًى فى صَرْفها غِيَرُ

كأننى شاربٌ يومَ آستُبِدّ بهم * من قهوةٍ عتّقتها حِمْص أو جَدَرُ [(٣)]

لحن يحيى المكىّ فى هذين البيتين ثقيل أول — هكذا فى الخبر — ولإبراهيم فيهما ثقيلٌ أوّل آخر، ولابن سُرَيج رمل .

---

(١) دارا (بالقصر) : بلدة فى لحف جبل بين نصيبين وماردين ، وهى من بلاد الجزيرة ، ذات بساتين ومياه جارية ، ومن أعمالها يجلب المحلب الذى تطيب به الأعراب ، وعندها كان معسكر دارا الملك بن بهاذ الملك لما لقى الإسكندر المقدونى ، فقتله الإسكندر وتزوج ابنه . و بنى فى موضع معسكره هذه المدينة وسماها باسمه . وهى أيضا قلعة حصينة فى جبال طبرستان ، وواد فى ديار بنى عامر .

(٢) فى أ، ء، م وديوان الأخطل : « ... .. أو بكروا » . وهذان البيتان من قصيدة له من فاخر شعره ، قالها يمدح عبد الملك بن مروان ويهجو قيسا و بنى كليب .

(٣) جدر : قرية بين حمص وسلمية ، تنسب إليها الخمر، وهى قرب دير إسحاق . وقد ورد الشطر الأخير فى ديوانه ومعجم البلدان هكذا : « من قرقف ضمنتها حمص أو جدر » .

قال : ومنها :

صـــوت

بانَ الخليطُ فما أُؤمِّـلُه * وعفا من الرَّوحاء[(١)] منزلُهُ
ما ظَبيـةٌ أدماءُ عاطـلةٌ * تحنو على طِفلٍ تُطَفِّـلُه

لحن يحيى فى هذا الشعر ثانى ثقيل بالبنصر. قال أحمد: قال لى إسحاق: وَدِدْتُ أن هـذا الصوت لى أو لأبى وأنى مُغـرَّم عشرة آلاف درهم. ثم قال : هل سمعتم بأحسن من قوله : "على طفل تطفّله" . ٢٣/٦

قال : ومنها :

صـــوت

وكَفٍّ كعُوّاذ[(٢)] النقا لا يَضيرها * إذا برزتْ ألّا يكون خِضابُ
أنامل فُتْـخٌ[(٣)] لا تَرى بأصولها * ضُموراً ولم تَظْهَر لهن كِعابُ

ولحنه من الثقيل الثانى .

قال : ومنها :

صـــوت

صَادتْك[(٤)] هـندٌ وتلك عادتها * فالقلب مما يَشُـفّه كَمِـدُ

---

(١) الروحاء: قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة، بينهما نحو أربعين ميلا. (٢) الظاهر أن الشاعر يريد «بعواذ النقا» الديدان التى تعوذ بالنقا (الكثيب من الرمل) وتلوذ به. وقد ورد كثيرا فى الشعر العربى تشبيه أصابع النساء وأنامل العذارى بهذه الديدان. قال امرؤ القيس :

وتعطـو برخص غير شـثن كأنه * أساريع ظبى أو مساويك إسحـل

(ظبى: اسم كثيب. والأساريع: دواب تكون بالرمل صـغار بيض ملس، واحدها أسروع ويسروع). ويقال لهذه الديدان بنات النقا؛ قال ذو الرمة :

خراعيب أملود كأن بنانها * بنات النقا تخفى مرارا وتظهر

(٣) فتخ : رخصة لينة. وقد وردت هـذه الكلمة فى جميع الأصول بالحاء المهمـلة؛ وهو تصحيف .
(٤) فى ب، س : «صادتها» . وهو تحريف .

كم تشتكي الشوقَ من صبابتها * ولا تبالي هـنـدٌ بما تجـد

ولحنه من خفيف الثقيل .

قال : ومنها :

صـــوت

أَعَسيتَ مِن سَلمى هوا * كَ اليومَ محتـلاً جديدًا
ومَرابِطَ الخيـلِ الجيا * دِ ومنزلاً خَلَقًا هَمُـودا

ولحنه خفيف ثقيل أيضا .

قال : ومنها :

صـــوت

ألَا مرحبًا بخيـالٍ أَلَمّْ * وإن هاجَ للقلبِ طولَ الأَلَمْ
خيـالٌ لأسماءَ يعتـادني * إذا الليـلُ مَدَّ رُواقَ الظُّلَمْ

ولحنه ثقيل أول .

قال : ومنها :

صـــوت

كم ليلةٍ ظلماءَ فيك سَرَيْتُها * أَتعبتُ فيها صُحْـبتي وركابي
لا يُبصر الكابُ السَّرُوق خِباءَها * ومواضعَ الأوتاد والأَطنـاب(1)

لحنه ثاني ثقيل بالوسطى . وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى للغَريض . قال ابن المكي: غنّى أبي الرشيدَ ليلةً هذا الصوتَ فأطربه، ثم قال له : قم يا يحيى فخذ ما في ذلك البيت ؛ فظنّه فرشا أو ثيابا، فإذا فيه أكياس فيها عَين ووَرِق؛ فحُملتْ بين يديه فكانت خمسين ألفَ درهم مع قيمة العَين .

---

(1) الأطناب : حبال طوال يشد بها سرادق البيت، واحدها طنب .

قال : ومنها :

صـــوت

إنى امرؤٌ مالى يَقِى عِرْضى * ويَبِيت جارى آمنًا جَهْلى
وأرى الذمامةَ[١] للرَّفِيق إذا * أَلْقَى رِحالتَه[٢] إلى[٣] رَحْلى

ولحنُه خفيفُ ثقيل . قال ابن المكى غنَّى ابنُ جامع الرشيدَ يومًا البيتَ الأول من هذين البيتين ولم يَزِد عليه شيئا، فأُعجب به الرشيدُ واستردّه مرارًا، وأَسْكت لابن جامع المغنِّين جميعا، وجعل يسمعه ويشرب عليه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرةِ خواتيمَ وعشرِ خِلَع، وانصرف. فمضى إبراهيم من وجهه إلى يحيى المكىّ ٢٤/٦ فاستأذن عليه، فأَذِن له، فأخبره بالذى كان من أمر ابن جامع واستغاث به . فقال له يحيى : أَفَزَاد على البيت الأول شيئا ؟ قال لا ؛ قال أفرأيتَ إن زِدْتُك بيتًا ثانيا لم يعرفه إسماعيل أو عرفه ثم أُنسيه، وطرحتُه عليك حتى تأخذَه ما تجعلُ لى؟ قال: النصف مما يصل إلىّ بهذا السبب؛ قال: والله؟! فأخذ بذلك عليه عهدًا وشرطًا واستحلفه عليه أيمانا مؤكّدة؛ ثم زاده البيتَ الثانى وألقاه عليه حتى أخذه وانصرف. فلما حضر المغنّون من غد ودُعى به كان أوّلَ صوت غنّاه إبراهيمُ هـذا الصوتُ، وجاء بالبيت الثانى وتحفّظ فيه فأصاب وأحسن كلَّ الإحسان، وشرب عليه الرشيدُ واستعاده حتى سكِر، وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف درهم وعشرة خواتيمَ وعشرِ خِلَع؛ فحَمَل ذلك كلَّه، وانصرف من وجهه ذلك إلى يحيى فقاسمه ومضى إلى منزله . وانصرف ابنُ جامع إليه من دار الرشيد، وكان يحيى فى بقايا علّة فاحتجب عنه؛ فدفَع ابنُ جامع فى صدر بوّابه ودخل إليه، فقال له : إيه يا يحيى، كيف صنعتَ!

(١) الذمامة : (بالفتح والكسر) : الحرمة والحق . (٢) الرحالة والرحل : مركب البعير، وهما أيضا : منزل الرجل ومسكنه وبيته . (٣) فى حـ : «على» .

ألقيتَ الصوت على الجُرْمقانى(١)! لا رفع الله صَرْعتك ولا وهب لك العافية. وتشاتما ساعةً، ثم خرج ابن جامع من عنده وهو مُدَوَّخ.

مـدحه إسحاق الموصلى فى جمع من المغنين عند الفضل ابن الربيع

حدّثنى عمّى قال حدّثنى هارون بن محمـد بن عبد الملك قال حدّثنى محمد بن أحمد بن يحيى المكى عن أبيه قال قال لى إسحاق:

كنت أنا وأبوك وابن جامع وفُلَيح بن أبى العَـوْراء وزُبَير بن دَحْمان يومًا عند الفضل بن الربيع؛ فآنبرى زُبير بن دحمان لأبيك(٢) (يعنى يحيى)، فجعلا يُغنّيان ويُبارى كلُّ واحد منهما صاحبَه، وذلك يُعجب الفضل، وكان يتعصّب لأبيك ويُعجَب به. فلما طال الأمر بينهما قال له الزبير: أنت تنتحل غناء الناس وتدّعيه وتَنحَلهم ما ليس لهم. فأقبل الفضـل علىّ وقال: احكم أيها الحاكم بينهما، فلم يخفَ عليك ماهما فيه؛ فقلتُ: لئن كان ما يَروِيه يحيي ويغنّيه شيئا لغيره فلقـد روى مالم يَرووه ومالم نَروِه، وعَلِم ما جهلناه وجهـلوه، ولئن كان من صـنعته إنه لأحسن النـاس صنعةً، وما أعرف أحدًا أروى منه ولا أصحَّ أداءً للغناء، كان مايغنّيه له أو لغيره. فسُرّ بذلك الفضلُ وأعجبه. وما زال أبوك يشكره لى.

صـــوت

من المـائة المختـارة

أهاجتْـك الظعائنُ يوم بانوا * بذى الزِّىّ الجميـل من الأثاثِ
ظعائنُ أُسـلِكتْ نَقْبَ المُنَقَّى(٣) * تُحَثّ إذا ونتْ أىَّ احتثـاث

الشعر للنُّمَيرى. والغناء للغريض، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر.

(١) الجرمقانى: واحد الجرامقة، وهم قوم من العجم صاروا بالموصل فى أوائل الإسلام.

(٢) فى أ، ء، م: «لأبيك يحيى». (٣) فى معجم البلدان لياقوت (مادة نقب): «... ونقب المنق بين مكة والطائف فى شعر محمد بن عبدالله النميرى ...» وذكر الأبيات. وفى كلامه على المنق: «والمنق بين أحد والمدينة». وفى معجم ما استعجم: «المنقى بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد القاف موضع على سيف البحر مما يلى المدينة». وذكر المبرد أبيات النميرى فى الكامل (جـ ١ ص ٢٧٦) ثم قال: «المنقى: موضع بعينه. والنقب: الطريق فى الجبل ...الخ».

أخبار النُّمَيرىّ ونسبه

نسبه ومنشؤه

هو محمد بن عبد الله بن نُمَير بن خَرَشة(١) بن رَبيعة بن حُبَيِّب(٢) بن الحارث بن مالك ابن حُطَيط بن جُشَم بن قَسِىّ؛ وقَسِىّ هو ثَقيف . شاعرٌ غَزِل، مولَّد، ومنشؤه بالطائف، من شعراء الدولة الأموية، وكان يهوَى زينبَ بنت يوسف بن الحكم أختَ الحجاج بن يوسف، وله فيها أشعار كثيرة يتشبَّب بها . ٢٥ ٦

كان يهوى زينب أخت الحجاج بن يوسف، وسياق أحاديثه مع الحجاج بشأنها

حدثنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدثنا أحمد بن الهَيْثم قال حدّثنا العُمَرىّ عن لَقِيط بن بكر المُحَارِبىّ(٣)، وأخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحَبيب بن نصر المهلّبىّ قالوا حدثنا عمر بن شبّة :

أن النميرىّ كان يهوَى زينبَ بنتَ يوسف أختَ الحجّاج بنِ يوسف بن الحكم لأبيه وأمه . وأمهما الفارعة بنت هَمّام بن عُرْوة بن مَسعود الثَّقفىّ ؛ وكانت عند

---

(١) كذا فى أ ، ى ، م ، والاستيعاب (حـ ١ ص ٣١٢) والطبرى (ق ١ ص ١٦٨٩)، والاشتقاق لابن دريد (ص ١٨٤) . وفى سائر الأصول : «حرشة» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

(٢) فى جميع الأصول : « ... ابن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن مالك ... الخ » . والظاهر أنه محرف عما أثبتناه . فقد ذكر ابن قتيبة فى كتابه المعارف عند الكلام على ثقيف (ص ٤٤) أن ثقيفا ولد جشم وولد جشم حطيطا وولد حطيط مالكا وغاضرة، ومن بنى مالك السائب بن الأقرع وبنو الحارث بن مالك . وذكر الذهبى فى المشتبه عند الكلام على حبيب (ص ١٤٦ — ١٤٧) قال : «... وحبيب (بضم الحاء وفتح الموحدة وتشديد المثناة وكسرها) ابن الحارث بن مالك الثقفى ... الخ» . وقال صاحب شرح القاموس (مادة حبب) : «... وحبيب بن الحارث الثقفى» . ولم نجد مرجحا اتفق مع الاصول فيما ذهبت اليه من سوق النسب على نحو ما أوردته وجعل الحارث ابنا لحبيب .

(٣) كذا فى أ، ى، م . وفى سائر الاصول : «بكير» وهو تحريف . (راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٩ من الجزء الأول من هذه الطبعة) .

المغيرة بن شُعْبة ؛ فرآها يوما بُكْرَةً وهى تَخَلَّل ، فقال لها : والله لئن كان من غَداء لقد جشِمت[1] ، ولئن كان من عَشاء لقد أَنتنتِ ، وطلقها[2] . فقالت : أبعدك الله ! فبئس بعلُ المرأة الحرة أنت ! والله ما هو إلا مِن شَظِيَّة من سواك استمسكتْ بين سِنَّيْن من أسنانى . قال حَبيب بن نصر خاصَّةً فى خبره : قال عمر بن شبّة حدثنا بذلك أبو عاصم النَّبِيل .

أخبرنى حَبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة عن يعقوب بن داود الثَّقَفىّ ، وحدثنا به ابن عَمّار والجوهرىّ عن عمر بن شَبّة — ولم يذكرا[3] فيه يعقوبَ بن داود — قالوا جميعا :

قال مُسلم بن جُنْدَب الهُذَلىّ — وكان قاضى الجماعة بالمدينة — : إنى لمع محمد بن عبد الله بن نُمَيْر بنُعْمان[4] وغلام يسير خَلْفَه يشتمه أقبح الشتيمة ؛ فقلت : من هذا؟ فقال : هذا الحجاج بن يوسف ، دَعْه[5] فإنى ذكرت أختَه فى شعرى ، فأحفظه ذلك .

قال عمر بن شبة فى خبره : وولدت الفارعة أُمُّ الحَجّاج من المُغيرة بن شُعْبة بنتًا فماتت ؛ فنازع الحجاجُ عروةَ بن المُغيرة إلى ابن زياد فى ميراثها ؛ فأغلظ الحجاج لعُروة ، فأمر به ابنُ زياد فضُرب أسواطًا على رأسه وقال : لأبى عبد الله تقول هذه المَقالة !

---

(١) فى أكثر الأصول : «أجشمت» . وفى حـ : «أبشمت» . والمعروف فى هذين الفعلين أنهما من باب فرح . وقد وردت هذه القصة فى العقد الفريد (حـ ٣ ص ٦) وفى وفيات الأعيان فى ترجمة الحجاج باختلاف فى ألفاظها . (٢) فى حـ : «ولفظها وطلقها» . (٣) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « ... يذكروا ... الخ » وهو تحريف . (٤) نعمان (بفتح أوله وسكون ثانيه) : هو نعمان الأراك ، واد بينه وبين مكة نصف ليلة . (٥) فى ب ، س ، حـ : «فقلت دعه» ولا تستقيم العبارة بهذه الزيادة .

وكان الحجاج حاقدًا على آل زياد يَنفيهم من آل أبى سفيان ويقول : آل أبى سفيان سُوقٌ حُمْش[١]، وآل زياد رُسْحٌ حُدْل[٢] .

وكان يوسف بن الحَكَم اعتلّ علّة فطالت عليه ؛ فنذرت زينب إن عُوفى أن تمشى إلى البيت[٣]، فعُوفى فخرجت فى نسوة فقطعنَ بطن وَجّ[٤]، وهو ثلثمائة ذراع ، فى يوم جعلتْه مرحلةً لِثقل بدنها ، ولم تقطع ما بين مكة والطائف إلا فى شهر . فبينا هى تسير [إذ][٥] لقيها إبراهيم بن عبد الله النُّمَيرىّ أخو محمد بن عبد الله منصرفًا من العمرة . فلما قدم الطائف أتى محمدًا[٦] يسلّم عليه ؛ فقال له : ألك عِلْمٌ بزينب ؟ قال : نعم ، لقيتها بالهَبَاء[٧] فى بطن نَعْمان ؛ فقال : ما أحسبك إلا وقد قلت شيئا ؛ قال : نعم ، قلتُ بيتًا واحدا وتناسيته كراهةَ أن يَنْشَب بيننا وبين إخوتنا شرّ. فقال محمد هذه القصيدةَ وهى أول ما قاله :

صــــوت

تَضَوَّع[٨] مسكًا بطنُ نَعْمان إذ مشتْ[٩] * به زينبٌ فى نســوة عَطِـرات

فأصبح ما بين الهَبَاء فخزوة[١٠] * إلى الماء ماء الجِزْع ذى العُشَرات[١١]

(١) سته : عظام الأستاه . وحمش : دقاق السوق . (٢) رسح : جمع ارسح، وهو قليل لحم العجز والفخذين . والحدل : جمع أحدل، وهو الذى أشرف أحد عاتقيه على الآخر. (٣) المراد به الكعبة . (٤) وج : اسم واد بالطائف وهو ما بين جبل المحترق والأحيحين (بالتصغير) . (٥) زيادة عن حـ . (٦) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «محمد» بالرفع» . (٧) الهباء : موضع بنعمان بين الطائف ومكة . (٨) وردت هذه القصيدة كاملة وباختلاف كثير ضمن قصائد مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٨٤٥ أدب) . (٩) كذا فى ب، سـ . وفى سائر الأصول وتجريد الأغانى والكامل (ص ٢٨٩) : «أن» . (١٠) كذا فى جميع الأصول . وفى تجريد الأغانى : «وجذوة» ولم نعثر فى المراجع التى بين أيدينا على مكان تسمى بأحد هذين الاسمين . وقد أورد ياقوت فى كلامه على الهباء هذا البيت برواية أخرى وهى :

فأصبح ما بين الهباء فصاعدا * إلى الجزع جزع الماء ذى العشرات

(فى المعجم : «فأصبحن») . ورواية هذا البيت فى المجموعة المخطوطة :

فأصبح بطنان الهواء بجوزه * إلى الجزع جزع الماء ذى العشرات

(١١) العشرات : جمع عشر (بضم ففتح) . وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو، وهو عريض الورق ينبت صعدا فى السماء، وله سكر يخرج من شعبه ومواضع زهره يقال له سكر العشر، وفى سكره شىء من مرارة .

له أَرَجٌ من مِجْمَر المنْد ساطع (١) * تَطَلَّعُ رَيَّاه من الكَفِرات (٢)
تهادَين ما بين المُحَصَّب (٣) من مِنًى * وأقبلن لا شُعْثًا ولا غَبِرات (٤)
أعان الذى فوق السموات عرشُه * مَواشِىَ بالبَطْحاء مُؤْتجِرات (٥)
مَرَرْن بفَخٍّ (٦) ثم رُحْن عشيةً * يُلبِّين للرحمن معتمِرات
يُخَبِّئن (٧) أطرافَ البنان من التقى * ويقتلن بالألحاظ مقتدرات ٢٦ ٦
تَقَسَّمن لُبِّى يومَ نَعْمانَ إننى * رأيتُ فؤادى عارِمَ (٨) النظرات
جَلَوْنَ وجوهًا لم تَلُحْها سمائمٌ * حَرُورٌ ولم يُسْفَعن (٩) بالسَّبَرات
فقلتُ يَعافيرُ الظباءِ تناولتْ * نِياعَ (١٠) غصون المَرْد (١١) مُهتَصِرات
ولما رأتْ ركبَ النُّمَيرىِّ راعها * وكنّ من أن يَلْقَينه حَذِرات

---

(١) فى المجموعة المخطوطة :

* له أرج بالعنبر الورد فاغم *

(٢) الكفرات : جمع كفر (بفتح الكاف وكسر الفاء) وهو العظيم من الجبال . (٣) المحصب : موضع بين مكة ومنى ، وهو الى منى أقرب . (٤) فى المجموعة المخطوطة :

« تهادين مابين المحصب من منى * ونعمان ... ... الخ »

(٥) مؤتجرات : طالبات للأجر . وفى تجريد الأغانى : «معتجرات» أى لابسات المعاجر وهى أثواب تلفها النساء على استدارة رءوسهن ثم يجلبين فوقها بجلابيبهن . ورواية هذا البيت فى المجموعة المخطوطة :

خرجن إلى البيت العتيق بعمرة * نواحب فى نذر ومؤتجرات

(٦) فخ : موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال وبه كانت وقعة الحسين وعقبة . (٧) فى المجموعة المخطوطة : « يخمرن » . ويقال : ليست امرأة من الطائف تخرج إلا وعلى يدها قفازان للتقى . (٨) أى شارد النظرات حائرها . (٩) لاحته الشمس ولوحته : لفحته وغيرت وجهه . والسمائم : جمع سموم وهى ريح حارة أو حر النهار . وسفعته : غيرته . والسبرات : جمع سبرة (بسكون الباء) وهى شدة برد الشتاء . (١٠) فى جميع الأصول : «يناع» . والظاهر أنها مصحفة عما أثبتناه . والنياع من الغصون : التى تحركها الرياح فتتحرك وتمايل . يريد أن أعناقهن فى امتدادها كأعناق الظباء . (١١) كذا فى أ ، ء ، م وتجريد الأغانى والمجموعة المخطوطة . والمرد (بالفتح) : الغض من ثمر الأراك وقيل نضيجه . وفى جميع الأصول : « الورد » .

فأَدْنَيْن، حتى جاوز الرَّكْبُ، دونها * حِجاباً من القَسِّىِّ[1] والحِبَرَات
فكدتُ اشتياقاً نحوَها وصَبابةً * تَقَطَّعُ نفسى إثرَها حَسَرات
فراجعتُ نفسى والحفيظةَ بعد ما * بَلَلْتُ رداءَ العَصْبِ[2] بالعَبَرَات

— غنّى ابن سُرَيج فى الأوّل وبعده «مررن بفخ» وبعده «يخمرن أطراف البنان»، ولحنه ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق — قال أبو زيد: فبلغتْ هذه القصيدةُ عبدَ الملك بنَ مروان، فكتب إلى الحجّاج: قد بلغنى قول الخبيث فى زينب، فَالْهُ عنه وأَعْرِضْ عن ذكره، فإنك إن أدنيتَه أو عاتبتَه أطمعته، وإن عاقبتَه صدّقته.

أخبرنى حَبِيب بن نصر المهلّبى قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدثنا أبو سَلَمة الغِفَارىّ قال:

هَرَب النُّمَيْرىّ من الحجّاج إلى عبد الملك واستجار به؛ فقال له عبد الملك: أنشدنى ما قلتَ فى زينب فأنشده. فلما انتهى إلى قوله:

ولما رأتْ رَكْبَ النميرىّ أعرضتْ * وكُنّ مِنَ أن يَلْقَيْنَه حَذِرات

قال له عبد الملك: وما كان ركبك يا نميرىّ؟ قال: أربعة أَحْمِرة لى كنت أجلُب عليها القَطِران، وثلاثة أَحْمِرة صحبتى تحمل البعر. فضحك عبد الملك حتى استغرب ضحكًا، ثم قال: لقد عظّمتَ أمرَك وأمرَ ركبك؛ وكتب له إلى الحجاج أن لا سبيل

(١) القسى: ضرب من الثياب، وهو منسوب إلى قس، موضع بين العريش والفرما من أرض مصر كانت تصنع فيه ثياب من كتان مخلوط بحرير. والحبرات: جمع حبرة (كعنبة)، وهى ضرب من برود اليمن موشى. وروى هذا البيت فى المجموعة المخطوطة:

وقام جوار دونهنّ فسترنها * بأكسية الديباج والحبرات

(٢) العصب: ضرب من البرود، وقيل: هى برود يصبغ غزلها ثم تنسج، لا تثنى ولا تجمع وإنما يثنى ويجمع ما يضاف إليها، فيقال برد عصب وبرود عصب.

له عليه . فلما أتاه بالكتاب وضعه ولم يقرأه، ثم أقبل على يزيد بن أبى مسلم فقال له : أنا برىء من بَيْعة أمير المؤمنين ، لئن لم يُنشدنى ما قال فى زينب لآتينّ على نفسه، ولئن أنشدنى لأعفونّ عنه، وهو إذا أنشدنى آمن . فقال له يزيد: ويْلَكَ ! أنشده؛ فأنشده قولَه :

تَضوّعَ مسكًا بطنُ نَعمان إذ مشتْ * به زينبٌ فى نسـوة خَفِـراتِ

فقال : كذبت والله ، ما كانت تتعطّر إذا خرجتْ من منزلهـا . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

ولمـا رأت رَكبَ النُّمَـيْرِىّ راعها * وكُنّ مِنَ أن يلقينـه حَذِراتِ

قال له : حقّ لهـا أن ترتاع لأنها من نسوة خَفِرات صالحات . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

مَرَرْن بفَـخّ رائحاتٍ عشيةً * يُلَبّـين للرحمن معتمِـراتِ .

فقال : صدقتَ، لقد كانت حجّاجةً صَوّامة ماعلمتُها . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

يُخَمِّـرن أطـرافَ البنان من التقى * ويخرجن جنحَ الليـل مُعْتَجِراتِ (١)

فقال له : صدقتَ ، هكذا كانت تفعل، وهكذا المرأة الحرة المسلمة . ثم قال له : ويحك! إنى أرى ارتياعَك ارتياعَ مُريب، وقولَك قولَ برىء، وقد أمّنتك، ولم يعرِض له . قال أبو زيد (٢) : وقيل : إنه طالب عريفَه به وأقسم لئن لم يَجِئْه به ليضربنّ عنقَه، فجاءه به بعد هرب طويل منه ؛ فخاطبه بهذه المخاطبة : ٢٧/٦

(١) تقدم هذا الشطر بغير هذه الرواية . (٢) هو أبو زيد عمر بن شبة النميرى البصرى ، كان شاعرا إخباريا فقيها صادق اللهجة غير مدخول الرواية واسع الاطلاع . روى عن أبى عاصم النبيل ومحمد بن سلام الجمحى وهارون بن عبد الله وإبراهيم بن المنذر وغيرهم . وله عدّة تصانيف ذكرها ابن النديم فى الفهرست ، ومنها كتاب أخبار بنى نمير . ولد سنة ١٧٣ هـ وتوفى بسر من رأى سنة ٢٦٣ هـ .

من شعره فى زينب

قال أبو زيد : وقال النُّمَيرىّ فى زينب أيضا :

صـــوت

طَرِبتَ وشاقتكِ المنازلُ من جَفْنِ (١) * ألَا ربما يعتادك الشوقُ بالحُزْنِ
نظرت إلى أظعان زينبَ باللِّوى * فأعولتُها (٢) لو كان إعوالُها يُغنى
فـوالله لا أنساكِ زينبُ مادعتْ * مُطوَّقـةٌ ورقاءُ شجـوًا على غُصن
فإنّ احتمال الحىّ يومَ تحمّـلوا * عَنَاك وهل يَعنيك إلا الذى يَعنى
ومُرسِلة فى السرّ أن قد فضحتَنى * وصرّحتَ باسمى فى النَّسيب فما تَكْنى
وأشمتَّ بى أهلى وجُلَّ عشيرتى * ليَهْنِئْك ما تهـواه إن كان ذا يَهْنِى
وقـد لا منى فيهـا ٱبْنُ عمّىَ ناصحًا * فقلتُ له خذ لى فؤادىَ أو دَعْنى

— غنّى ابنُ سُريج فى الأوّل والثانى والخامس والسادس من هذه الأبيات لحنًا من الرمل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق — قال أبو زيد : فيقال : إنه بلغ زينبَ بنت يوسف قولُه هذا فبكتْ ، فقالت لها خادمتها : ما يُبكيك ؟ فقالت : أخشى أن يسمع بقوله هذا جاهلٌ بى لا يَعرفنى ولا يعلم مذهبى فيراه حقًّا .

قال : وقال النميرىّ فيها أيضا :

أهاجتْك الظعائنُ يوم بانوا * بذى الزِّىّ الجميل من الأثاثِ
ظعائنُ أُسلكتْ نَقْبَ المُنَقَّى * تُحَثّ إذا ونتْ أىَّ احتثاث
تُؤمّل أن تُلاقِىَ أهلَ بُصْرَى * فيـالك من لقـاء مستراث (٣)

(١) جفن : اسم واد بالطائف لثقيف ، وهو بين الطائف و بين معدن البرام . (٢) أعول الرجل : رفع صوته بالبكاء . (٣) كذا ورد هذا الشطر الأخير فى أ ، ء ، م وتجريد الأغانى . ومستراث : مستبطأ . وفى سائر الأصول :

* فيالك مستزار مستراث *

كأنّ على الحدائج يوم بانوا * نِعاجًا[1] ترتعى بَقْل البِراث[2]
يُهيِّجنى الحمام إذا تداعَى[3] * كما سجَع النوائحُ بالمَراثى
كأن عيونَهن من التبكّى * فصوصُ الجزْع[4] أو يُنْع الكَباث
ألاقِى أنت فى الحِجَج البواقى * كما لاقيتَ فى الحِجَج الثلاث

طلب أبو الحجاج إلى عبد الملك ألا يجعل للحجاج عليه سبيلا فلقيه الحجاج ولم يعرض له

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبى حدّثنا عثمان ابن حَفْص وغيره :

أنّ يوسف بن الحكم قام إلى عبد الملك بن مَرْوان لمّا بعث بالحجّاج لحرب ابن الزبير، وقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ غلامًا منّا قال فى ابنتى زينبَ ما لا يزال الرجلُ يقول مثلَه فى بنت عمّه، وإن هذا (يعنى ابنَه الحجّاج) لم يزل يَتَشوّق إليه ويُهَمّ به، وأنت الآن تبعثه إلى ما هناك، وما آمنه عليه . فدعا بالحجّاج فقال له : إن محمدًا النُّمَيرىّ جارِى ولا سلطانَ لك عليه، فلا تعرضْ له .

قال إسحاق فحدّثنى يعقوب بن داود الثَّقَفى قال : قال لى مسلم بن جُنْدَب الهُذَلىّ :

كنتُ مع النُّمَيرىّ وقد قتل الحجاجُ عبدَ الله بن الزبير وجلس يدعو الناس للبَيْعة ، فتأخر النميرىّ حتى كان فى آخرهم، فدعابه ثم قال له : إنّ مكانك لم يخفَ علىّ، ادْنُ فبايعْ . ثم قال له : أنشِدْنى ما قلتَ فى زينب؛ قال : ما قلتُ إلا خيرًا؛ قال : لَتُنشِدَنّى . فأنشده قولَه :

(١) الحدائج : جمع حديجة . والحديجة (ومثلها الحدج بالكسر) : من مراكب النساء نحو الهودج والمحفة . والنعاج : البقر الوحشى . (٢) البراث : الأماكن السهلة من الرمل، واحدها برث (بالفتح) . (٣) فى الكامل (ص ٢٧٧) : «تغنى» . (٤) الجزع (بالفتح) : الخرز اليمانى الذى فيه سواد وبياض، تشبه به الأعين . وينع : جمع يانع . والكباث (بالفتح) : النضيج من ثمر الأراك أو غير النضيج منه، وقيل : حمله إذا كان متفرقا، وهو فويق حب الكسبرة فى المقدار .

٢٨/٦

تَضوّع مسكًا بطنُ نَعْمانَ إذ مشتْ * به زينبٌ فى نسوة عَطِراتِ

أعان الذى فوقَ السموات عرشُه * مَواشىَ بالبَطْحاء مؤتجِرات

يخمّرن أطرافَ الأكُفِّ من التُّقَى * ويخرُجْن جُنْحَ الليل معتجِرات

فما ذكرتُ أيها الأمير إلا كرمًا وخيرًا وطيبًا . قال : فأنشدْ كلمتَك كلَّها فأنت آمن ؛ فأنشده حتى بلغ إلى قوله :

ولمّا رأتْ ركبَ النُّمَيرىّ راعها * وكُنّ من أن يَلْقَيْنَه حَذِراتِ

فقال له : وما كان رَكْبُك؟ قال : والله ما كان إلا أربعة أَحْمِرة تحمل القَطِران . فضحك الحجّاج وأمره بالانصراف ولم يعرِض له .

تهدده الحجاج فهرب وقال شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ عن الخليل بن أَسد عن العُمَرىّ عن عَطاء عن عاصم بن الحَدَثان قال :

كان ابن نُمير الثقفىّ يشبِّب بزينبَ بنتِ يوسف بن الحَكَم ؛ فكان الحجّاج يتهدّده ويقول : لولا أن يقول قائل صدَق لقطعتُ لسانَه . فهرب إلى اليمن ثم ركب بحرَ عَدَن[1]، وقال فى هربه :

أَتَتْنِى عن الحجّاج والبحرُ بيننا * عقاربُ تَسْرِى والعيونُ هَواجعُ

فضِقْتُ بها ذَرْعًا وأجهشتُ خِيفةً * ولم آمَنِ الحجّاجَ والأمرُ فاظعُ

وحَلَّ بىَ الخطبُ الذى جاءنى به * سميعٌ فليستْ تستقرّ الأضالع[2]

فبِتُّ أُديرُ الأمرَ والرأىَ ليلتى * وقد أخضلتْ خدّى الدموعُ التوابع

ولم أرَ خيرًا لى من الصبر إنه * أعفُّ وخيرٌ إذ عَرَتْنى الفواجع

---

(١) هو بحر القلزم، ويسمى فى كل موضع يمرّ به باسم ذلك الموضع، فإذا قابله بطن اليمن يسمى بحر عدن إلى أن يجاوز عدن ثم يسمى بحر الزنج، وهو بحر مظلم أسود لا يرى مما فيه شىء. وبقرب عدن معدن اللؤلؤ يرفع ما يخرج منه إلى عدن . (٢) فى معجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٠ طبع أوربا) : «الدوافع» .

وما أَمِنتْ نفسي الذي خفتُ شرَّه * ولا طاب لى مما خَشِيتُ المضاجع
إلى أنْ بدا لى رأس إسْبِيلَ[1] طالعًا * وإسبيلُ حصن لم تَنَلْه الأصابع
فلى عن ثَقِيف إن هممتُ بنَجْوة * مَهامِهُ تَهْوِى[2] بينهنّ الهَجارِع[3]
وفى الأرض ذاتِ العَرْض عنك ابنَ يوسف * إذا شئتُ مَنْأًى لا أبا لك واسع
فإن تَلْتَى حَجّاجُ فاشتَفِ جاهدًا * فإنّ الذى لا يحفظ الله ضائع

فطلبه الحجّاج فلم يقدِر عليه . وطال على النُّمَيرىّ مقامه هاربًا واشتاق إلى وطنه ، فجاء حتى وقف على رأس الحجّاج ؛ فقال له : إيه يا نُمَيرىّ ! أنت القائل :

* فإن تلتى حَجّاجُ فاشْتَفِ جاهدًا *

فقال : بل أنا الذى أقول :

أخاف من الحجّاج ما لستُ خائفًا * من الأسد العِرْباض[4] لم يَثْنِه ذُعْرُ
أخاف يَدَيْه أن تنالا مَقاتِلى * بأبيضَ عَضْبٍ ليس من دونه سِتْرُ

وأنا الذى أقول :

فهاأنذا طوّفتُ شرقًا ومغربًا * وأُبْتُ وقد دوّخت[5] كلّ مكان

---

(١) كذا فى أ ، ء ، م ومجريد الأغانى ومعجم البلدان . وإسيل : جبل فى مخلاف ذمار ، وهو منقسم بنصفين نصف إلى مخلاف رداع ونصف إلى مخلاف عنس . وبين إسيل وذمار أكمة سوداء ، بها جمة (بئر) تسمى « حمام سليمان » والناس يستشفون به من الأوصاب والجرب وغير ذلك . وفى سائر الأصول : « إسيك » بالكاف ، وهو تحريف . (٢) فى أ ، ء ، م ومعجم البلدان : « تعمى » . والعمى هنا كناية عن الضلال . (٣) الهجارع : جمع هجرع (كدرهم وجعفر) وهو الخفيف من الكلاب السلوقية . (٤) العرباض : الأسد الثقيل العظيم . (٥) دوّخ فلان البلاد : سار فيها حتى عرفها ولم تخف عليه طرقها .

فلو كانت العَنْقاء منك تَطير بى * لخِلْتُكَ إلا أن تَصُدّ تَرانى[1]

قال : فتبسّم الحجاج وأمّنه، وقال له : لا تعاود ما تعلم، وخلّى سبيلَه .

زواج زينب أخت الحجاج وتولية كريّها شرطة البصرة

٢٩/٦

رجع الخبر إلى رواية حماد بن إسحاق .

قال حمّاد فحدّثنى أبى قال ذكر المدائنىّ وغيره :

أنّ الحجّاج عرض على زينبَ أن يزوّجها محمدَ بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبى عَقيل — وهو آبن سبعَ عشرةَ سنة، وهو يومئذ أشرف ثقفىّ فى زمانه — أو الحكم آبن أيوب بن الحكم بن أبى عَقيل، وهو شيخ كبير، فآختارت الحكم، فزوّجها إياه، فأخرجها إلى الشام . وكان محمد بن رياط كَرِيَّها، وهو يومئذ يُكْرِى . فلما ولى الحجاجُ العراقَ آستعمل الحكَمَ بن أيوب على البصرة، فكلمته زينبُ فى محمد بن رياط فولّاه شرطته بالبصرة . فكتب إليه الحجاج : إنك ولّيتَ أعرابيًّا جافيًا شرطتَك، وقد أجزنا ذلك لكلام مَنْ سألك فيه . قال : ثم أنكر الحكَمُ بعض تَعَجْرُفه فعزله . ثم آستعمل الحجّاجُ الحكَمَ بن سعد العُذْرىّ على البصرة وعزل الحكم بن أيّوب عنها وآستقدمه لبعض الأمر، ثم ردّه بعد ذلك إلى البصرة، وجهّزه من ماله . فلمّا قدِم البصرةَ هيّأتْ له زينبُ طعامًا وخرجت متنزِّهة إلى بعض البساتين ومعها نسوة .

---

(١) هذان البيتان رواهما المبرد فى الكامل ببعض تغيير وهما :

هاك يدى ضاقت بى الأرض رحبها * وإن كنت قد طوّفت كل مكان
ولو كنت بالعنقاء أو بيسومها * لخلتك إلا أن تصدّ ترانى

وقد نسبهما المؤلف أيضا للعديل بن الفرخ فى ترجمته (ج ٢٠ ص ١٨ طبع بولاق) . وذكر أن الحجاج جدّ فى طلبه حتى ضاقت به الأرض، فأتى واسطا وتنكر وأخذ بيده رقعة ودخل إليه مع أصحاب المظالم، فلما وقف بين يديه أنشأ يقول :

هأنذا ضاقت بى الأرض كلها * إليك وقد جولت كل مكان
فلو كنت فى ثهلان أو شعبتى أجا * لخلتك إلا أن تصدّ ترانى

فقيل لها : إنّ فيهن آمرأة لم يُرَ أحسن ساقاً منها. فقالت لها زينب : أَرِيني ساقَكِ؛ فقالت : لا، إلا بخلوة؛ فقالت : ذاك لكِ، فكشفتْه لها، فأعطتها ثلاثين دينارا وقالت : آتّخذى منها خَلخالا . قال : وكان الحجاج وجّه بزينب مع حُرَمه إلى الشام لمّا خرج آبنُ الأشعث خوفًا عليهنّ . فلما قُتل آبنُ الأشعث كتب إلى عبد الملك بن مروان بالفتح، وكتب مع الرسول كتابًا إلى زينبَ يُخبرها الخبرَ، فأعطاها الكتاب، وهي راكبة على بغلة في هودج، فنشرته تقرؤه، وسمعت البغلة قعقعةَ الكتاب فنفرت، وسقطت زينبُ عنها فآندقّ عَضُداها وتَهرّأ[1] جوفُها فماتت . وعاد إليه الرسول، الذى نفّذ بالفتح، بوفاة زينب . فقال النميرىّ يرثيها :

ماتت زينب فزعا

صوت

لزينبَ طيفٌ تَعتريني طوارقُه * هُدوءًا إذا[2] النجم آرجَحنّتْ[3] لواحقُهْ

سيَبكِيكِ مِرْنانُ[4] العشىّ يُجيبه[5] * لَطيفُ بنانِ الكفِّ دُرْمٌ[6] مَرافقه

إذا ما بِساطُ اللهو مُدّ وأُلقيتْ[7] * لِلَذّاته أنماطُه ونمارقُه[8]

غنّاه معبد، ولحنه ثقيلٌ أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . ومابقي من شعره[9] من الأغانى فى تَسيب النميرىّ لم نذكر طريقته وصانعه لنذكر أخباره معه .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وتهرأ اللحم (بالهمز) : طبخ حتى يتفسخ ويسقط عن العظم . وفى ب، سـ : «تهرى» . ولم يحكها من أهل اللغة غير ابن دريد عن ابى مالك . (٢) فى ب، سـ : «إذ» . (٣) ارجحن النجم : مال نحو المغرب . (٤) مرنان العشىّ : كنى به عن الصنج ذى الأوتار وهو من آلات الطرب . والرنين : الصوت الشجى . (٥) كذا فى تجريد الأغانى . وفى جميع الأصول : «نجيبه» . (٦) درم : جمع أدرم وهو من لاحجم لعظامه . (٧) فى الكامل : «وقربت» . (٨) نسب المبرد فى الكامل (ص ٧٠٨ طبع أوربا) هذا البيت لنصيب . (٩) ظاهر أن السياق يكون واضحا لو حذفت كلمة «من شعره» أو كلمة «فى نسيب النميرى» . فلعل إحداهما من زيادات النساخ .

غنى ابن سريج من شعره لعبد الله بن جعفر فنحر راحلته وشق جلته

صــــوت

تَضَوَّع مسكًا بطنُ نَعْمانَ أنْ مشتْ * به زينبٌ فى نسوة خَفِرات
مَرَرْنَ بفَخٍّ رائحاتٍ عشيةً * يُلَبِّين للرحمن مُعتَمِرات

الغناء لابن سريج ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

أخبرنى الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنى(1) عن عبد الله بن مُسْلِم الفِهرِىّ(2) قال :

خرج عبد الله بن جعفر متنزِّهًا ، فصادف ابنَ سُرَيج وعَزّة المَيْلاء متنزِّهَيْن ، فأناخ ابنُ جعفر راحلتَه وقال لعَزّة : غَنّينى فغنّتْه ، ثم قال لابن سُريج : غنّنى يا أبا يحيى ، فغنّاه لحنَه فى شعر النميرى :

* تَضَوَّع مسكًا بطنُ نَعْمانَ أن مشتْ *

٣٠/٦

فأمر براحلته فنُحرت ، وشقّ حُلّته فألقى نصفَها على عَزّة والنصفَ الآخر على ابن سريج . فباع ابنُ سريج النصفَ الذى صار إليه بمائة وخمسين دينارا . وكانت عزّة إذا جلست فى يوم زينة أو مباهاة ألقت النصف الآخر عليها تَجمّل به .

سمع سعيد بن المسيب شعرا له فأعجبه وزاد عليه

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى الحسن بن علىّ بن منصور قال أخبرنى أبو عَتّاب عن إبراهيم بن محمد بن العباس المُطّلِبى :

(1) هو أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف المدائنى مولى شمس بن عبد مناف . كان من رواة الأخبار المشهورين . ولد سنة ١٣٥ هـ وتوفى سنة ٢٢٥ هـ فى منزل إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، وكان منقطعا إليه . وله من الكتب عدّة تصانيف ذكرها ابن النديم فى الفهرست .

(2) هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشى الفهرى ، أحد الأعلام المعروفين ، ولد سنة ١٢٥ هـ وتوفى سنة ١٩٧ هـ . وكان ممن جمع وصنف ، وله تصانيف كثيرة ، وهو الذى حفظ علم أهل الحجاز ومصر . وروى عنه كثيرون ، والمدائنى المذكور أحد من رووا عنه .

أنّ سعيد بن المُسيّب[1] مرّ فى بعض أزِقّة مكة، فسمع الأخضرَ الحَرْبىّ[2] يتغنّى فى دار العاص بن وائل :

تَضوّع مسكًا بطنُ نعمانَ إذ مشت * به زينبٌ فى نسوة خَفِراتِ

فضرب برجله وقال : هذا والله مما يَلَذّ استماعه، ثم قال :

وليست كأخرى أوسعت جيبَ دِرْعها * وأبدت بنانَ الكفّ للجَمَرات[3]

وعَلّت[4] بَنانَ[5] المسك وَحْفًا[6] مرجّلا * على مثل بَدْرٍ لاح فى الظلمات

وقامت تَراءَى يومَ جَمْعٍ[7] فأفتنتْ * برؤيتها مَنْ راح من عَرَفاتِ

قال : فكانوا يرون أن هذا الشعر لسعيد بن المُسيّب .

مر على عائشة بنت طلحة فاستنشدته شعره فى زينب

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانىّ قال حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله أخى الأصمعىّ عن عبد الله بن عِمْران المَرْوىّ، وأخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى المُغيرة بن محمد المهلّبىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عِمْران المَرْوىّ قال :

لمّا تأيّمتْ[8] عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكة سنةً و بالمدينة سنة، وتخرج إلى مالٍ لها عظيم بالطائف وقصرٍ كان لها هناك فتتنزّه فيه، وتجلس بالعشيّات، فيتناضل

(١) المسيب : هو ابن حزن بن أبى وهب المخزومى، وأهل العراق يفتحون وأهل المدينة يكسرون . ويحكى عن سعيد ابنه أنه كان يقول : سيب الله من سيب أبى . وحكى (الكسر) عياض وابن المدينى .
(٢) كذا فى جميع الأصول هنا . وقد ذكر فيما مر من الأجزاء السابقة باسم « الجدى » .
(٣) فى حـ : « بالجمرات » . (٤) كذا فى جميع الأصول . ولعله يريد : كررت وضع الطيب فى رأسها . ويحتمل أن تكون مصحفة عن : «غلت» (بالغين المعجمة) : وغل شعره بالطيب : أدخله فيه؛ وغل الدهن فى رأسه : أدخله فى أصول الشعر . (٥) كذا فى جميع الأصول . ولعلها محرفة عن « فتات » . (٦) الوحف : الشعر الغزير الأسود . (٧) جمع : علم للزدلفة، سميت به لاجتماع الناس بها . (٨) تأيمت المرأة : مات عنها زوجها ولم تتزوج . وقد كانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر، وكان أبا عذرتها (أول من تزوجها) ثم هلك فتزوجها بعده مصعب بن الزبير فقتل عنها، ثم تزوجها عمر بن عبد الله بن معمر فمات عنها . ولم تتزوج بعده .

بين يديها الرُّماة. فمرّ بها النُّمَيْرِىّ الشاعر، فسألت عنه فنُسب لها، فقالت: ائتونى به، فأتَوْها به. فقالت له: أنشِدْنى مما قلتَ فى زينبَ؛ فامتنع عليها وقال: تلك ابنة عمّى وقد صارت عظامًا باليــة. قالت: أقسمتُ عليك بالله إلا فعلتَ؛ فأنشدها قولَه:

* تضوّع مسكًا بطنُ نعمان أنْ مشتْ *

الأبيات. فقالت: والله ماقلتَ إلا جميلا، ولاذكرتَ إلا كرماً وطيبا، ولاوصفت إلا دِينًا وتُقًى، أعطوه ألفَ درهم. فلما كانت الجمعة الأخرى تعرّض لها؛ فقالت: علىّ به، فأُحضر. فقالت له: أنشِدْنى من شعرك فى زينبَ؛ فقال لها: أوَ أُنْشِدُكِ من شعر الحارث بن خالد[(١)] فيــك؟ فوثب مواليها إليــه؛ فقالت: دَعُوه فإنه أراد أن يَستقيد[(٢)] لبنت عمّه، هاتِ مما قال الحارثُ فىّ؛ فأنشدها:

ظَعَنَ الأميرُ بأحسن الخَلْقِ * وغَدَوْا بلبّــك مَطْلَعَ الشَّرْقِ

فقالت: والله ما ذكر إلا جميلا، ذكر أنى إذا صبّحتُ زوجًا بوجهى غدا بكواكب الطَّلْق[(٣)]، وأنى غدوتُ مع أميرٍ تزوّجنى إلى الشرق، وأنى أحسن الخَــلْق فى البيت ذى الحسب الرفيع؛ أعطوه ألف درهم واكْسُوه حُلّتين، ولاتعُــدْ لإتياننا بعد هذا يا نُمَيرىّ.

غنى إبراهيم الموصلى للرشيد من شعره وكان غاضبا عليه فرضى عنه

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشِّيعى[(٤)] قال حدثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه:

---

(١) هو الحارث بن خالد بن العاص المخزومى، وقد مرت ترجمتــه فى الجزء الثالث من هذه الطبعة (ص ٣١١ — ٣٤٣). (٢) أى يأخذ بثأرها. (٣) تشير إلى بيت قاله فيها الحارث من هذه القصيدة وهو:

ما صبحت أحدا برؤيتهــا * إلا غــــدا بكواكب الطلق

أى أن من تصبحه برؤيتهــا يرى الزمان صافيا طيبا ســعيدا تفاؤلا بطلعتها واستبشارا. يقال يوم طلق أى مشرق لا برد فيه ولاحر ولا شىء يؤذى. (٤) فى جميع الأصول هنا: «الشعبى» وهو تحريف.

أنّ الرشيد غضب على إبراهيم أبيه بالرّقة فحبسه مدّة، ثم اصطبح يوما، فبينا هو على حاله إذ تذكّره، فقال : لو كان الموصلىّ حاضراً لانتظم أمرنا وتمّ سرورنا. قالوا : يا أمير المؤمنين، فَجِئْ به[1]، فما له كبيرُ ذنب. فبعث بجىء به. فلمّا دخل أطرق الرشيد فلم ينظر إليه، وأومأ إليه مَنْ حضر بأن يغنّى، فاندفع فغنّى : ٣١/٦

تَضوّعَ مسكاً بطنُ نَعْمان أن مشتْ * به زينبٌ فى نِسْوة خَفِراتِ

فما تمالك الرشيد أن حرّك رأسه مراراً واهتزّ طرباً، ثم نظر إليه وقال : أحسنتَ والله يا إبراهيم! حُلُّوا قيودَه وغطُّوه بالخِلَع، ففُعِل ذلك. فقال: يا سيّدى، رضاك أوّلا، قال : لو لم أرضَ ما فعلتُ هذا، وأمر له بثلاثين ألفَ درهم.

ومما قاله النُّمَيْرىّ فى زينبَ وغُنّى فيه :

صوت

تَشْتو بمكّةَ نَعْمةً * ومَصِيفُها بالطائف

أَحْبِبْ بتلك مواقفاً * وبزينبٍ مِنْ واقف

وعَزيزة[2] لم يَغْذُها[3] * بؤسٌ وجفوةُ حائف

غَرّاء يحكيها الغزا * لُ بمُقْلةٍ وسَوالف

الغناء ليحيى المكّى خفيفُ رَمَلٍ عن الهشامىّ، وذكر عمرو بن بانة أنه لابن سُرَيج وأنه بالبنصر. وزعم الهشامىّ أنّ فيه لابن المكىّ أيضا لحناً من الثقيل الأوّل.

ومن الغناء فى أشعاره فى زينبَ :

صوت

ألَا مَنْ لقلبٍ مُعَنًّى غَزِلْ * يُحِبّ المُحِلّةَ أختَ المُحِلّْ

(١) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول : «فتجىء به» وانظر هذه القصة فى (ج ٥ ص ١٦٦ طبع دار الكتب المصرية). (٢) فى حـ : «وغريرة». والغريرة : الشابة الحديثة التى لم تجرب الأمور. (٣) فى جميع الأصول : «لم يغدها» (بالدال المهملة). والظاهر أنه مصحف عما أثبتناه.

تراءتْ لنا يومَ فرعِ الأرا * ك بين العِشاء وبين الأُصُل
كأنّ القَرَنْفُلَ والزَّنجبيلَ * وريحَ الخُزامَى وذَوْبَ العسل
يُعَلُّ به بَرْدُ أنيابِها * إذا ما صفا الكوكبُ المعتدل

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر يونس أن لمالك فيه لحنا فى :

* كأن القرنْفُلَ وَالزَّنجبيل *

والبيت الذى بعده وبيتين آخرين وهما :

وقالت لجارتها هل رأيـ * ـتِ إذ أعرضَ الركبُ فِعلَ الرجلْ
وأنْ تبسَّمَه ضاحكًا * أجَدَّ اشتياقًا لقلب غَزِل

وذكر حمّاد عن أبيه أن فيها للهُذَلىّ لحنًا ، ولم يذكر طريقته .

المُحِلّ الذى عناه النميرىّ هاهنا : الحجّاج بن يوسف ؛ سُمّى بذلك لإحلاله الكعبة ، وكان أهل الحجاز يُسمُّونه بذلك . ويُسمِّى أهلُ الشام عبدَ الله بن الزبير المُحِلَّ لأنه أحلّ الكعبة ، زعموا أنه بمُقامه فيها ، وكان أصحابه أحرقوها بنار آستضاءوا بها (١) .

فأخبرنى الحُسين بن يحيى المِرْداسىّ قال قال حمّاد بن إسحاق : قرأت على أبى : وبلغنى (٢) أنّ إسماعيل بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس تزوّج أسماءَ بنت يعقوب (آمرأة من ولد عبد الله بن الزبير) فزفّت إليه من المدينة وهو بفارس ، فمرّتْ بالأهواز على السيد الحِمْيَرِى (٣) ، فسأل عنها فنُسِبت له ؛ فقال فيها قولَه :

مَرّتْ تُزَفّ على بغلة * وفوق رِحالتها (٤) قُبّه

---

(١) تقدمت فى الجزء الثالث من هذه الطبعة (ص ٢٧٧) كلمة وافية عن احتراق الكعبة فى عهد ابن الزبير وبنائه لها . (٢) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « وبلغك » . (٣) ستأتى ترجمته فى الجزء السابع من هذه الطبعة . (٤) الرحالة : مركب من مراكب النساء .

٣٢/٦

زُبيريّةٌ من بنات الذى * أحلّ الحرامَ من الكعبه
تُزَفّ إلى ملكٍ ماجـد * فلا آجتمعا[1] وبها الوَجْبه[2]

وقد قيل بأن الأبيات اللامية التى أولها :

* ألاَ مَنْ لقلبٍ مُعنًّى غَزِلْ *

لخالد بن يزيد بن معاوية فى زوجته رَمْلة بنت الزُّبير، وقيل : إنها لأبى شَجَرة السُّلَمى[3].

---

(١) فى الأصول هنا : «فلا اجتمعوا» . والتصويب عن الأغانى نفسه فى ترجمة السيد الحميرى .

(٢) لعل الوجبة : مصدر المرة من وجب القلب يجب وجيبا أى خفق واضطرب .

(٣) فى الكامل للبرد : «أبو شجرة هو عمرو بن عبد العزى ... ... وقال الطبرى : اسمه سليم ابن عبد العزى» من بنى سليم بن منصور بن عكرمة . وفى كتاب الشعر والشعراء : أنه عبد الله بن رواحة ابن عبد العزى . وفى كتاب الإصابة فى تمييز الصحابة : عمرو بن عبد العزى وقال نقلا عن المرزبانى : يقال اسمه عمرو، و يقال عبد الله بن عبد العزى وذكره الواقدى فى كتاب الردة باسم : عمرو بن عبد العزى . وأمه الخنساء بنت عمرو بن الشريد الشاعرة المشهورة . وكان من فتاك العرب ، ويسكن البادية . وهو الذى يقول فى قتال خالد بن الوليد أهل الردة :

ولو سألت سلمى غداة مرامر * كما كنت عنها سائلا لو نأيتها
وكان الطعان فى لؤى بن غالب * غداة الجواء حاجة فقضيتها

وكان أبو شجرة السلمى هذا ارتد فيمن ارتد من بنى سليم ثم أسلم . وأتى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يطلب إليه صدقة؛ فقال له عمر : ومن أنت ؟ قال : أنا أبو شجرة السلمى . فقال له عمر : أى عدى (تصغير عدو) نفسه ! ألست القائل حين ارتددت :

ورويت رمحى من كتيبة خالد * وإنى لأرجو بعدها أن أعمرا
وعارضتها شهباء تخطر بالقنا * ترى البيض فى حافاتها والسنورا

ثم انحنى عليه عمر بالدرة وهو يعدو أمامه حتى فاته هربا وهو يقول :

قد ضن عنا أبو حفص بنائله * وكل مختبط يوما له ورق

(راجع الكامل ص ٢٢٠ — ٢٢١ طبع أوروبا وتاريخ الطبرى ص ١٩٠٥ — ١٩٠٨ من القسم الأول والشعر الشعراء ص ١٩٧ والإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ج ٧ ص ٩٧ طبع مصر) .

استنشد رجل ابن سيرين فأنشده للنميرى وقام إلى الصلاة

حدثنى الحسين بن الطيِّب البلْخى الشاعر قال حدثنا قُتَيبةُ بن سَعيد قال حدثنا أبو بكر بن شُعَيب بن الحَبْحاب المَعْوَلىّ(١) قال :

كنت عند ابن سِيرِينَ، فجاءه إنسان يسأله عن شيء من الشعر قبل صلاة العصر، فأنشده ابنُ سِيرِين(٢) :

كأنّ المُدامَــةَ والزنجبيلَ * وريحَ الخُزامَى وذَوْبَ العَسَلْ
يُعَــلّ به بَرْدُ أنيابِهــا * إذا النجم وَسْطَ السماء اعتدل

وقال : الله أكبر، ودخل فى الصلاة .

صـــوت
من المـائة المختـارة

يا قلبُ ويحكَ لا يذهبْ بك الخُرُقُ(٣) * إنّ الأُلَى كنتَ تَهْواهم قد انطلقوا

ــ ويُروى : يذهب بك الحُرَقُ ــ

ما بالهــم لم يُبالوا إذ هَجَرْتَهــمُ * وأنت من هجرهم قد كدتَ تحترقُ

الشِّعر لوضّاح اليمن . والغناء لصَبّاح الخيّاط ، ولحنه المختار ثقيلٌ أول بالوسطى فى مجراها . وفى أبيات من هذه القصيدة ألحانٌ عدّة، لجماعة من المغنّين قد خلطوا معها غيرَها من شعر الحارث بن خالد ومن شعر ابن هَرْمة؛ فأخّرتُ ذكرَها إلى أن تنقضى أخبارُ وَضّاح، ثم أذكرها(٤) بعد ذلك إن شاء الله تعالى .

(١) (بفتح الميم وبكسرها) : نسبة الى المعاول والمعاولة (قبائل من الأزد) . وهم بنو معولة بن شمس ابن عمــرو .
(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فأنشده ابن سيرين يقول » .
(٣) الخرق (بضمتين وبضم فسكون) : نقيض الرفق .
(٤) لم نجد ذكرا لهذه الأبيات بعقب أخبار وضاح فى النسخ التى بين أيدينا ، كما يقول أبو الفرج هنا .

أخبار وضّاح اليمن ونسبه

نسبه وأصله وسبب لقبه

وَضّاح لقب غلب عليه لجماله وبهائه ، واسمه عبد الرحمن (١) بن إسماعيل بن عبد كُلال بن داذ بن أبي جَمَد . ثم يُختلف في تحقيق نسبه ، فيقول قوم : إنه من أولاد الفرس الذين قَدِموا اليَمَن مع وَهْرِز لنُصرة سَيْف بن ذى يَزَن على الحبشة . ويزعُم آخرون أنه من آل خَوْلان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهير بن أَيْمَن بن الهَمَيْسَع بن العَرَنْجَج (٢) وهو حِمْيَر بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب وهو المرعف (٣) بن قَحْطان (٤) . فمن ذكر أنه من حمير خالد بن كُلْثوم ، قال : كان وضّاح اليمن من أجمل العرب وكان أبوه إسماعيل بن داذ ابن أبي جَمَد من آل خَوْلان بن عمرو بن معاوية الحِمْيَرىّ . فمات أبوه وهو طفل ، فانتقلت أمه إلى أهلها ، وانقضتْ عدّتها فتزوجت رجلًا من أهلها من أولاد الفرس . وشبّ وضّاح فى حجر زوج أُمّه . فجاء عمُّه وجدّته أمُّ أبيه ، ومعهم جماعة من أهل بيته من حِمْيَر ثم من آل ذى قَيْفان (٥) ثم من آل ذى جَدَن (٦) يطلبونه ، فادّعى زوج أمه أنه ولده .

٣٣
٦

(١) وقيل : إن اسمه عبدالله . (راجع النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٢٦ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) كان يقال لحمير العرنجج . والعرنجج فى الأصل : العتيق . (راجع الجزاء الثامن من كتاب الإكليل للهمدانى طبع بغداد ص ٢٠٨) (٣) كذا فى جميع الأصول هنا وفيما سيأتى فى ب فى الجزء الخامس عشر (ص ٧٣ طبع بولاق) . وفيما سيأتى فى حـ فى هذا الموضع : «المرعب» . وفى كتاب أنساب العرب المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤٦١ تاريخ « المرعث » . ولم نوفق الى وجه الصواب فيه . (٤) فى ب ، س : «فن» . (٥) كان الأذواء فى اليمن طبقتين طبقة تعرف بالمثامنة وهم ثمانية ملوك كان لايصح لملك من ملوك حمير الملك حتى يقيمه هؤلاء الثمانية وإن هم اجتمعوا على عزله عزلوه . والطبقة الثانية أذواء آخرون ، منهم ذو قيفان هذا ، وهو ابن شرحبيل بن أساس بن يغوث بن علقمة بن ذى جدن الأكبر ، وهو الذى وهب سيفه الصمصامة لعمرو بن معديكرب الزبيدى ، فقال فيه عمرو :

وسيف لابن ذى قيفان عندى * تخيره الفتى من عصر عاد
يقدّ البيض والأبدان قدّا * وفى الهام المللم ذو احتداد

ثم وهبه عمرو لسعد بن أبى وقاص ثم صار الى آل سعيد بن العاص فاشتراه الخليفة المهدىّ منهم بمال جسيم وأحضر الشعراء فقالوا فيه أشعارا كثيرة . ثم أمر المهدى بالسيف فسقى فتغير لذلك وقل قطعه بسبب سقيه . (راجع شرح القصيدة الحميرية ومتخبات فى أخبار اليمن كلاهما لنشوان بن سعيد الحميرى) .

(٦) ذكر المؤلف ترجمته فى الجزء الرابع (ص ٢١٧) من هذه الطبعة .

فحاكموه فيه وأقاموا البيّنة أنه وُلد على فِرَاش إسماعيل بن عبد كُلال أبيه ، فحكم به الحاكم لهم ، وقد كان اجتمع الحميريّون والأبناء (١) فى أمره وحضر معهم . فلما حكم به الحاكم للحميريين، مسح يدَه على رأسه وأعجبه جمالُه وقال له : اذهب فأنت وضّاح اليمن، لا من أتباع ذى يزن (٢) (يعنى الفُرْس الذين قدم بهم ابنُ ذى يَزَن لنصرته) فعَلِقت به هذه الكلمة منذ يومئذ، فلُقِّب وضّاحَ اليمن . قال خالد : وكانت أمّ داذ ابن أبى جَمَد جدّةُ وضاح كِنْديّةً؛ فذلك حيث يَقول فى بنات عمه :

إنّ قلبى مُعَلَّق بنساء * واضحاتِ الخدود لَسْنَ بهُجْنِ
مِنْ بنات الكريم دَاذَ وفى كنـ * ـدةَ يُنْسبن من أُباة اللُّعنِ

---

(١) الأبناء : هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذى يزن ، وكانوا يسمون بصنعاء بنى الأحرار، وباليمن الأبناء، وبالكوفة الأحامرة، وبالبصرة الأساورة، وبالجزيرة الخضارمة، وبالشام الجراجمة . (عن الأغانى ج ١٦ ص ٧٦ طبع بولاق) .

(٢) هو سيف بن ذى يزن الذى بفضله دخلت اليمن فى ملك الأحباش . وكان سيف هذا جميل المنظر عالى الهمة قوى السلطان شديد البأس كريم الخلق جوادا حسن التدبير والسياسة . وكان قد ترك بلاد اليمن بعد موت أبيه وتوجه لقيصر الروم واستنجده فى ردّ ملك والده فلم يجبه قيصر لطلبه ، فقصد كسرى أنو شروان ملك العجم لهذا الغرض فأجابه الى طلبه وأرسل معه جيشا تحت قيادة «وهرز» فأخرجهم من اليمن وردّ اليه ملكه . فتربع سيف على ملك أجداده تحت رعاية الأعجام، واتخذ مقر أعماله قصر غمدان بمدينة صنعاء التى كانت فى ذلك العهد عاصمة ملكه . وقد هنأته وفود العرب والشعراء لاسترداد ملك أبيه وتغلبه على الأحباش . وكان من جملة وفود المهنئين وفد الحجازيين الذى كان يرأسه عبد المطلب جدّ النبى صلى الله عليه وسلم فاستأذنوا عليه ودخلوا وهو فى قصره (غمدان) فأذن لهم فدخلوا عليه وهو متضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه والسيف بين يديه وملوك اليمن وأقيال حمير حواليه، وأمامه أمية بن الصلت الثقفى ينشده قصيدته يمدحه فيها ويهنئه ؛ ومطلعها :

لا يطلب الثأر إلا كابن ذى يزن * فى البحر خيم للأعداء أحوالا

ثم استأذنه عبد المطلب فى الكلام وألقى بين يديه خطبة نالت منه استحسانا . ثم أمر بهم الى دار الضيافة وأجرى عليهم ما يحتاجون شهرا لا يؤذن لهم فى مقابلته ولا فى الانصراف . والقصيدة والخطبة ذكرهما المؤلف فى الجزء السادس عشر من هذا الكتاب (ص ٧٥ — ٧٧ طبع بولاق) .

وقال أيضا يفتخر بجدّه أبى جَمَد :

بَنَى لِىَ إسماعيلُ مجدًا مُؤَثَّلًا * وعبدُ كُلالٍ بعده وأبو جَمَدْ

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنى عمّى عن العبّاس بن هشام عن أبيه قال :

كان وضّاح اليمن والمُقنّع الكِنْدىّ وأبو زُبَيد الطائىّ يَرِدون مواسمَ العرب مُقنَّعين يستُرون وجوهَهم خوفاً من العين وحَذَرًا على أنفسهم من النساء لجمالهم . قال خالد بن كلثوم : فحدّثت بهذا الحديث مرّةً وأبو عُبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى حاضرٌ ذلك، وكان يزعم أن وضّاحا من الأبناء؛ فقال أبو عُبيدة : داذ اسم فارسى . فقلت له : عبد كلال اسمٌ يمَانٍ، وأبو جَمَد كنية يمانيَة، والعجم لا تكتنى، وفى اليمن جماعة قد تسمَّوْا بأَبْرَهة، وهو اسم حبشىّ، فينبغى أن تنسُبهم إلى الحبشة . وأىّ شىء يكون إذا سُمّى عربىّ باسم فارسىّ ! وليس كلّ من كُنى أبا بكر هو الصدّيق، ولا من سُمّى عُمَرًا هو الفاروق، وإنما الأسماء علامات ودلالات لا توجب نسبًا ولا تدفعه . قال : فوجَم أبو عبيدة وأُفحم فما أجاب .

وممن زعم أنه من أبناء الفرس ابنُ الكلبىّ ومحمد بن زِياد الكِلَابىّ .

وقال خالد بن كلثوم : إنّ أمّ إسماعيل أبى الوضّاح بنتُ ذى جَدَن ، وأم أبيه بنت فُرْعانَ ذى الدّروع[(1)] الكِنْدىّ من بنى الحارث بن عمرو .

أحب روضة ولم يتزوجها وقال فيها شعرا

وكان وضّاحٌ يهوَى امرأةً من أهل اليمن يقال لها رَوْضة .

(١) كذا فى أ ، ء ، م هنا وشرح القاموس (مادة فرع) وما يعول عليه فى المضاف والمضاف إليه . وفى سائر الأصول وفيا سيأتى فى أ ، ء ، م : «فرعان بن ذى الدروع» وهو تحريف .

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال :

ذكر هشام بن الكلبىّ أنها رَوْضة بنت عمرو، من ولد فُرْعانَ ذى الدروع الكِنْدىّ .

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنى محمد بن سَعيد الكُرانى قال حدّثنا العُمَرىّ عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن عبد الله بن عَيّاش[1] :

أنّ وضّاحا هَوِى امرأةً من بنات الفرس يقال لها روضة، فذهبت به كل مذهب، وخطبها فامتنع قومها من تزويجه إياها، وعاتبه أهلُه وعشيرته . فقال فى ذلك :

صـــوت

يأيها القلبُ بعضَ ما تجِـدُ * قـد يعشَق المـرءُ ثم يَتَّئِدُ
قـد يكتم المـرءُ حبَّه حِقَبًا * وهـو عَميـدٌ وقلبُـه كَمِد
ماذا تريدين من فتًى غَزِلٍ * قد شَفّه السُّقْمُ فيك والسَّهَد
يهدّدونى كيما أخافَهمُ * هيهـات أَنَّى يُهَدَّد الأسد ٣٤/٦

الغناء لابن مُحْرِز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وفيها لحن لابن عَبّاد، من كتاب إبراهيمَ، غير مجنّس .

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى سالم بن زيد قال أخبرنى التَّوَّزِىّ قال حدثنا الأصمعى عن الخليل بن أحمد قال :

كان وَضّاح يهوَى امرأةً من كِنْدة يقال لها رَوْضة . فلما اشتهر أمرُه معها خطبها فلم يُزَوَّجها، وزُوِّجت غيرَه، فمكثت مدة طويلة . ثم أتاه رجل من بلدها

---

[1] كذا فى ا، ء، م . وفى سائر الأصول : «عباس» وهو تصحيف .

فأسرّ إليه شيئا فبكى . فقال له أصحابه : مالك تبكى ؟ وما خبرك ؟ فقال : أخبرنى هذا أنّ روضةَ قد جُذمت، وأنه رآها قد أُلقيت مع المجذومين . ولم نجد لهما خبرا[1] يرويه أهلُ العلم إلا لُمَعًا يسيرةً وأشياء تدلّ على ذلك من شعره، فأمّا خبرٌ متصل فلم أجده إلا فى كتاب مصنوع غَثّ الحديث والشعر لا يُذْكَر مثلُه . وأصابها الجُـذام بعد ذلك، فانقطع ما بينهما . ثم شبّب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان زوجةِ الوليد بن عبـد الملك ، فقتله الوليـد لذلك . وأخبارهما تذكر فى موضعها بعقب هذه الحكاية .

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا أحمد بن زُهير بن حَرْب قال حدّثنا مُصعَب بن عبد الله قال :

كان وَضّاح اليمن يَهوى آمرأةً يقال لهـا روضة ويشبّب بها فى شعره ، وهى آمرأة من أهل اليمن . وفيها يقول :

صـــــوت

يا رَوْضة الوضّاح قـد * عَنّيتِ وضّاحَ اليمنْ
فاسقِى خليـلَك مِنْ شرا * بٍ لم يكدِّره الدَّرَنْ
الريحُ ريح سَفَــرْجَلٍ * والطعمُ طعم سُلَافِ دَنّ
إنى تُهَيِّـجنى إليـ * ـكِ حمامتان على فَنَنْ

قال مُصعَب : فحدثنى بعض أهل العلم ممن كان يعرف خبر وَضّاح مع روضةَ من أهـل اليمن : أنّ وضّاحا كان فى سفر مع أصحابه . فبينا هو يسير إذ آستوقفهم وعدَل عنهم ساعةً، ثم عاد إليهم وهو يبكى . فسألوه عن حاله ؛ فقال : عدلتُ إلى

(١) فى أ ، ء ، م : «لما» .

روضة، وكانت قد جُذمت فجُعِلتْ مع المجذومين، وأخرجت من بلدها، فأصلحتُ من شأنها وأعطيتُها صَدْرًا(١) من نفقتى . وجعل يبكى غمًّا بها .

الغناء فى الأبيات المذكورة فى هذا الخبر يُنسب مع تمام الأبيات؛ فإن فى جميعها غناء .

ومما قاله وضّاح فى روضةَ المذكورة وفيه غناء ، وأنشدَنا حَرَمِىّ عن الزُّبَير عن عمه :

صـــوت

أيا روضةَ الوَضّاح ياخيرَ رَوْضةٍ * لأهـلكِ، لو جادوا علينـا بمـنزلِ

رهينُك وَضّاحٌ ذهبتِ بعقــله * فإن شئتِ فأَحيِيه و إن شئتِ فاقتلى

وتُوقَد حِينًا باليَلَنْجُوج(٢) نارُها * وتوقَد أحيانًا بمسك ومَنْدَلِ

والأبيات الأول النونيـة فيها زيادة على ماروواه مصعب ، وفى سائرها غناء .

وتمامُها بعد قوله :

« إنى تُهَيّجنى إليـ * ـك حمامتان على فَنَن »

الزوج يدعـو إلفَــه * فتطاعما حُبَّ السكَنْ ٣٥ / ٦

لا خيرَ فى نَثّ(٣) الحديـ * ـث ولا الجليس إذا فَطَن

فاَعْصِى الوُشاةَ فإنما * قولُ الوشاة هو الغَبَن

إنّ الوُشاةَ إذا أتو * كِ تَنَصّحوا ونَهَوْكِ عَنِّ(٤)

دَسّتْ حُبَيِبـةُ مَوْهِنًا * إنى وعيشِكِ يا سَكَن

(١) الصدر : الطائفة من الشىء . (٢) اليلنجوج : عود البخور .

(٣) نث الحديث : إفشاؤه و إذاعته . وقد وردت هذه الكلمة فى جميع الأصول : « بث » (بالباء الموحدة) والظاهر أنها مصحفة عما أثبتناه . (٤) يريد : عنى .

أبلغتُ عنــكِ تبــدُّلًا * وأتى بذلك مُؤتَمَن
وظننتُ أنكِ قــد فعلـ * ـت فكِدْتُ من حَزَنٍ أُجَنّ
ذَرَفتْ دموعى ثم قلـ * ـت بمَنْ يبادلــنى بمن
أُسكُتْ فلستَ مُصــدِّقًا * ما كان يفعــل ذا أظن
إنى وجَــدِّكَ لو رأيـ * ـت خليلَنــا ذاك الحسن
يحفــوه ثم يجبنا(١) * والله مِتُّ من الحَزَن
أَخــبِرْه إمّا جئتَــه * أنّ الفــؤاد به يجنّ
أَبغضت فيــه أحبّــتى * وقَلَيْتُ(٢) أهــلِي والوطن
أتركــتَنى حــتى إذا * عُلِّقت أبيــض كالشَّطَن
أنشأتَ تطلب وَصْلَنــا * فى الصيف ضَيّعت اللبن(٣)

— هكذا قال، وغيره يرويه : "فى الصيف ضيحت(٤) اللبن" أى مذَقته(٥) . قال(٦) —

(١) فى ح : «يجيئنا» . وفى أ ، ى ، م : «يجبنا» . ولعل هذا الشطر مصحف عن :

* نحفوه ثم يجبنا *

وحفاه يحفوه : أكرمه وأعطاه . وجبه : قطعه . (٢) قلى : هجر . (٣) المثل مشهور يضرب لمن يطلب شيئا قد فوّته على نفسه وهو : «فى الصيف ضيعت اللبن» ويروى : «الصيف ضيعت اللبن» (بكسر التاء) ولو خوطب به المذكر أو الجمع ، لأنه خوطبت به امرأة كانت تحت شيخ كبير موسر فكرهته فطلقها فتزوجها فتى جميل الوجه مملق ، فبعثت إلى الأول تستميحه فقال ذلك لها . وقيل : إنه صدر عن امرأة الأسود بن هرمز وكانت عنودا ، فرغب عنها إلى جميلة من قو ثم جرى بينهما ما أدى الى المفارقة ؛ فتبعت نفسه العنود فراسلها فأجابته بقولها :

أتركتنى حــتى إذا * علقت أبيض كالشطن
أنشأت تطلب وصلنا * فى الصيف ضيعت اللبن

وعلى هذا فالتاء مفتوحة . (٤) وردت هذه الكلمة فى أكثر الأصول : «صبحت» (بالصاد المهملة والباء الموحدة) . وفى ح : «صيحت» . (بالياء المثناة) . وكلاهما مصحف عما أثبتناه . (٥) مذق اللبن بالماء يمذقه (من باب نصر) : مزجه . (٦) الظاهر أن كلمة «قال» هاهنا مقحمة من النساخ .

لو قيل يا وضّاح قم * فاختر لنفسك أو تمنّ
لم أعدُ رَوْضةَ والذى * ساق الحجيج له البُدُن

الغنـاء فى الأوّل من القصيدة وهو "يا روضـة الوضّاح" يُنسب إن شاء الله . وله فى روضة هذه أشعار كثيرة فى أكثرها صنعةٌ، وبعضها لم يَقع إلىّ أنه صُنِع فيه . فمن قوله فيها[(١)] :

صـــوت

يا روضُ جـيرانُكم[(٢)] البـاكرُ * فالقلبُ لا لاهٍ ولا صـابرُ[(٣)]
قالت ألا لا تَلِجَنْ دارَنا * إنّ أبانا رجـلٌ غائر
قلت فإنى طـالبٌ غِـرّةً * منـه وسَيفى صارمٌ باتر
قالت فإن القَصْرَ مِنْ دوننـا * قلتُ فإنى فـوقه ظـاهر
قالت فإن البحـرَ مِنْ دوننا * قلت فإنى سابحٌ ماهر
قالت فحَوْلى إخـوةٌ سبعةٌ * قلت فإنى غالبٌ قاهر
قالت فليثٌ رابضٌ بيننـا * قلت فإنى أسـدٌ عاقـر
قالت فإن الله من فوقنا * قلت فربّى راحمٌ غافـر
قالت لقـد أعييتَنا حُجّـةً * فَأْتِ إذا ما هجـع السامر[(٤)]
فاسقُط علينا كسقوط النّدى * ليـلةَ لا ناهٍ ولا زاجـر

الغناء فى هذه الأبيات هَزَجٌ يمنىّ، وذكر يحيى المكى أنه له . ٣٦/٦

---

(١) فى الأصول : «فمن قوله فيها هزج قديم يمنى» . ولعل ذلك من زيادات النساخ، فإن المؤلف قد ذكر الفن عقب الشعر . (٢) كذا فى الأصـل . (٣) أورد أبو هلال العسكرى فى كتابه ديوان المعانى المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١٨٧٤ أدب ج ١ ص ١٩٣) هذه الأبيات ولم يذكر معها هذا البيت، وروايتها فيه تخالف ما هنا فى بعض الأبيات والألفاظ .
(٤) السامر : اسم جمع بمعنى المتسامرين .

وقال فى روضةَ وهو بالشام :

أَبَتْ بالشام نفسى أن تطيبًا * تذكَّرتُ المنازلَ والحبيبَا
تذكَّرتُ المنازلَ مَن شَعُوبٍ[1] * وحيًّا أصبحوا قِطعوا[2] شُعوبا
سَبَوا قلبى لحَلَّ بحيث حَلُّوا * ويُعظم إن دَعَوا ألّا يُجيبا
ألا ليت الرياحَ لنا رسولٌ * إليكم إنْ شَمَالًا أو جَنُوبا
فتأتيكم بما قلنا سريعًا * ويبلُغنا الذى قلتم قريبا
ألَا يا رَوْضُ قد عذّبتِ قلبى * فأصبح من تذكُّركم كئيبا
ورقّقنى هواكِ وكنتُ جَلْدًا * وأبدَى فى مَفارِقِىَ المَشيبا
أما يُنسيكَ روضةَ شحطُ دارٍ * ولا قُربٌ إذا كانت قريبا

ومما قال فيها أيضا :

طَرِب الفؤاد لطَيْف روضةَ غاشى * والقومُ بين أباطِح وعِشَاشِ[3]
أنّى اهتديتِ ودون أرضكِ سَبْسَبٌ * قَفْرٌ وحَزْنٌ فى دُجًى ورَشاش
قالت تكاليفُ المحبّ كَلِفْتُها * إنّ المُحبّ إذا أُخيف لَماشى[4]
أدعوكِ روضةَ رحب وأسمك غيرَه * شَفَقًا وأخشى أن يَشِى بك واشى
قالت فزُرْنا قلتُ كيف أزوركم * وأنا امرؤ لخُروج سرّك خاشى
قالت فكُنْ لعُمومتى سِلْمًا معًا * والطُف لإخوتىَ الذين تُماشى
فتزورنا معهم زيارةَ آمنٍ * والسرُّ ياوضّاح ليس بفاشى

(١) شعوب : موضع قريب من صنعاء ، وكان به قصر معروف بالارتفاع وحواليه بساتين بظاهر صنعاء .
(٢) فى مهذب الأغانى (ج ٣ ص ٢٧ طبع مصر) : « قطعا » .
(٣) العشاش : جمع عشة (بالفتح) ، وهى الأرض القليلة الشجر، وقيل : هى الأرض الغليظة .
(٤) كذا فى الأصول .

وَلَقِيتُها تمشى بأبطَحِ مرّةً * بخلاخلٍ وبِحُلَّةٍ أكْباش (١)
فظلِلْتُ معمودًا وبتّ مُسَهَّدًا * ودموع عينى فى الرداء غَواشى
ياروض حبُّك سَلّ جسمى وآنتحى * فى العظم حتى قد بلغتِ مُشاشى (٢)

ومما قال فيها ايضا :

طَرَق (٣) الخيالُ فمرحبًا سهلاَ * بخيال مَنْ أهدى لنا الوصْلاَ
وسَرى إلىّ ودون منزله * خمسٌ دوائمُ تُعمِل الإبْلا (٤)
يا حبّذا مَنْ زار معتسفًا (٥) * حَزْنَ البلاد إلىّ والسَّهْلا
حتى ألمّ بنا فبِتُّ به * أغْنَى الخلائق كلِّهم شَمْلا
ياحبذا هى حسبك قدكَ فى (٦) * والله ما أبقيت لى عقلا
والله مالى عنكِ مُنْصَرَفٌ * إلا إليكِ فأجْمِلى الفِعْلا

حجت أم البنين ورآه فهويته

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا القاسم بن الحسن المَرْوَزىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن لَقيط والهَيْثم بن عَدِىّ :

أنّ أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان استأذنت الوليدَ بن عبد الملك فى الحج فأَذِن لها ، وهو يومئذ خليفة وهى زوجته . فقدمت مكّةَ ومعها من الجوارى ما لم يُرَمثلُه حسنًا . وكتب الوليدُ يتوعّد الشعراء جميعًا إن ذكرها أحدٌ منهم أو ذكر

٣٧/٦

(١) الأكباش (بالموحدة) : من برود اليمن . وقد وردت هذه الكلمة فى جميع الأصول (بالمثناة التحتية) ، وهو تصحيف . (راجع شرح القاموس مادة كبش) . (٢) المشاش : النفس . والمشاش أيضا : رءوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين ، واحده مشاشة . (٣) فى حـ : «طاف» . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «الأسلا» . (٥) فى حـ : «... من زائر متعسف» . (٦) كذا ورد هذا الشطر فى ب ، سـ ، حـ . وفى سائر الأصول :

* ياحب روضة حبك قد *

وكلاهما غير مستقيم .

أحدًا ممن تَبِعها. وقدِمتْ، فتراءت للناس، وتصدّى لهـا أهلُ الغَزَل والشعر، ووقعتْ عينُها على وَضّاح اليمن فهَوِيته .

حدّثنا الحَرَمىّ بن أبي العَلَاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزُّهرِىّ (١) عن محمد (٢) بن جعفر مولى أبي هُرَيرة عن أبيه عن بُدَيح قال :

قَدِمتْ أُمُّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان وهى عند الوليد بن عبد الملك حاجّةً، والوليدُ يومئذ خليفة. فبعثتْ إلى كُثَيِّر و إلى وضّاح اليمن أَنِ انسُبا بى . فأمّا وضّاح اليمن فإنه ذكرها وصرّح بالنَّسيب بها ؛ فوجد الوليدُ عليه السبيلَ فقتله . وأمّا كُثيِّر فعدَل عن ذكرها ونَسَب بجاريتها غاضرة (٣) فقال :

صـــوت

شجا أَظْعانُ غاضرةَ الغَوَادى * بغير مَشُورة (٤) عَرَضًا (٥) فؤادى

أغاضِرَ لو شهدتِ غداةَ بِنْتم * حُنُوَّ العائدات على وِسادى

أَوَيْتِ (٦) لعاشق لم تشكُيه * بواقدةٍ تلذَّعُ كالزِّناد

(١) كذا فى أ، ء، م . وقد ورد فى الجزء الأوّل (ص ٢٤٢) من هذه الطبعة : «محمد بن عبد العزيز الزهرى» . وفى ب، حـ : «الجوهرى» . وفى س : «الجوهرى الزهرى» . وكلاهما تحريف .

(٢) فى حـ «محرز بن جعفر» . (٣) فيما سيأتى فى الأغانى فى خبر كثير وخندق الأسدى فى الجزء الحادى عشر (طبع بولاق) : أن هذا الشعر من قصيدة قالها كثير فى رثاء خنـدق الأسدى لما قتل . وذكرت هناك القصيدة كاملة . (٤) كذا فيما سيأتى فى ب فى الجزء الحادى عشر من الأغانى (ص ٤٧، ٤٩ طبع بولاق) وحـ . وفى جميع الأصول هنا : «بغير مثية» .

(٥) كذا فيما سيأتى بعد قليل فى حـ وفيما سيأتى فى الجزء الحادى عشر . وفى حـ هنا : «عوضا» . وفى سائر الأصول هنا وفيما يأتى : «غرضا» . والظاهر أن كليهما مصحف عما أثبتناه .

(٦) أويت العاشق : رثيت له وأشفقت عليه . وفى حـ : «رضيت» .

الغناء فى هــذه الأبيات لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشامىّ وحَبَش . قال بُدَيح : فكنتَ لمّـا حجّتْ أم البنين لا تشاء أن ترى وجهًا حسنًا إلا رايتَه معها . فقلت لعُبيد الله بن قيس الرُّقَيات : بمن تشبِّب من هذا القَطين ؟ فقال لى :[1]

وما تصــنع بالسرّ * إذا لم تك مجنونًا[2]

إذا عالجتَ ثِقْل الحـ * ـبِّ عالجت الأمَــرِّينا[3]

وقــد بُحتَ بأمرٍ كا * ن فى قلبِيَ مكنونا

وقد هِجْتَ بما حاولْـ * ـتَ أمرًا كان مدفونا

قال : ثم خلا بى فقال لى : آكتُم علىّ ، فإنك موضع للأمانة ؛ وأنشدنى :[4]

صــــوت

أصحوتَ عن أمّ البنيـ * ـنَ وذكـرِها وعَنائهـا

وهجرتَهـا هجـرَ آمرئٍ * لم يَقْـلُ صفوَ صفائهـا

قُرشـــيّةٌ كالشمس أشـ * ـرق نورُهـا ببهائهـا

زادتْ على البِيض الحِسا * نِ بحسنهـا ونقائهـا

لمّـا اسـتكرتْ للشـبا * ب وقُنّعت بردائهـا

لم تلتفت لِلــداتهـا * ومضتْ عــلى غُلَوائهـا

لولا هَــوَى أمّ البنيـ * ـنَ وحاجتى للقائهـا

قــد قرّبت لى بغــلةٌ * محبــوســة لنَجائهـا

---

(١) فى ب ، س : «لعبد الله» وهو تحريف . (٢) وردت هذه القصيدة والقصيدتان اللتان بعدها فى الجزء الحادى عشر من هذا الكتاب (ص ٤٩ طبع بولاق) فى خبر كثير وخندق الأسدى باختلاف يسير عما هنا . (٣) الأمرون : الدواهى . (٤) فى ب ، س : «ثم خلانى» . وهو تصحيف .

قال بُدَيح : فلمّا قتل الوليدُ وضّاحَ اليمن ، حجّتْ بعد ذلك أمُّ البنين محتجبةً لا تكلّم أحدا ؛ وشخصت كذلك ، فلقينى ابنُ قيس الرقيّات ، فقال : يا بديح ،

صــــوت

٣٨/٦ بان الحبيبُ[1] الذى به تَيِــقُ[2] * وٱشــتدّ دون الحبيبة القَلَقُ
يا من لصَفْراء[3] فى مفاصلها * لِينٌ وفى بعض بطشها خُرُق

وهى قصــيدة قد ذُكرتْ[4] مع أخبار ٱبن قيس الرقيّات .

الغناء فى الأبيات الأُوَل التى أولها :

* أصحوتَ عن أُمّ البنين *

يُنسب فى موضع آخر إن شاء الله .

أخبرنى الحرمىّ قال حدثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمّلى[5] عن عبدالله ابن أبى عُبيدة قال حدثنى كُثَيِّر قال :

حججتُ مع أُمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وهى زوجة الوليد بن عبــد الملك ، فأرسلت إلىّ و إلى وضّاح اليمن أن انسُبا بى ؛ فهبْتُ ذلك ونسبت بجاريتها غاضرة ، فقلت :

شجا أظعانُ غاضرة الغَوادِى[6] * بغير مَشُورة عَرَضًا فؤادى

---

(١) فى أ ، ء ، م : «الخليط» . (٢) فى حـ : «تنق» بالنون . (٣) فى ب ، س : «لصغرى» وهو تحريف . (٤) لم نجد هذه القصيدة فى أخبار ابن قيس الرقيات المذكورة فى الجزء الخامس من هــذه الطبعة (ص ٧٣ — ١٠٠) . وقد ذكر المؤلف بعض أبيات منها فى الجزء الحادى عشر (ص ٤٩ — ٥٠ طبع بولاق) . (٥) فى حـ : «قال حدّثنى عمر بن أبى بكر الموصلى» . وفى سائر الأصول : «قال حدّثنى عمر ابن عمى عن أبى بكر الموصلى» . (راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة والمشتبه للذهبى ص ٣٠٠ طبع ليدن سنة ١٨٦٣ م) .

(٦) راجع الحاشيتين (رقم ٤ و ٥ ص ٢١٩) من هذا الجزء .

أغاضِرَ لو شهدتِ غداةَ بِنْتم * حُنُوَّ العائدات على وِسادى

أَوَيْتِ لعاشقٍ لم تشكُيه * بواقدةٍ تلذَّع كالزِّناد

وأمّا وضّاح فنسَب بها، فبلغ ذلك الوليدَ فطلبه فقتله .

أخبرنى عمّى قال حدثنى محمد بن سعد الكُرّانى[1] قال حدثنى أبو عمر العُمَرىّ عن العُتْبىّ قال :

مدح وضّاحُ اليمن الوليدَ بن عبد الملك ، وهو يومئذ خليفة ، ووعدتْه أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن تُرْفِده[2] عنده وتقوّىَ أمره . فقدِم عليه وضّاح وأنشده قولَه فيه :

صــــوت

صبا قلبى ومال إليكِ مَيْلا * وأَرّقنى خيالُكِ يا أُثَيْلا[3]

يمانيةٌ تُلِمّ[4] بنا فتُبْدِى * دقيقَ محاسنٍ وتُكِنّ غَيْلا[5]

دعِينا ما أَمِمْتُ[6] بناتِ نعْشٍ[7] * من الطّيف الذى يَنتاب ليلا

ولكنْ إن أردتِ فَصبِّحينا * إذا أَمَّتْ ركائبُنا سُهَيلا[8]

فإنك لو رأيتِ الخيلَ تعدو * سِرَاعاً[9] يتّخذن النّقعَ ذَيْلا

---

(١) كذا فى جميع الأصول وقد مر هذا الاسم فيما سبق من الأجزاء مضطربا بين سعد مرة وسعيد أخرى، ولم نوفق الى ترجيح إحدى الروايتين . (٢) رفده وأرفده : أعانه . (٣) أثيل : ترخيم أثيلة ، وهو اسم امرأة . (٤) كذا فى ب ، س وشرح الحماسة (ص ٣١٦ طبع مدينة بن سنة ١٨٢٨ م) . وفى سائر الأصول وتجريد الأغانى : «وتجن» . (٥) الغيل : الساعد الريان الممتلىء . وفى شرح الحماسة فى التعليق على هذا البيت : «دقيق محاسنها كالعين والأنف والأسنان والفم . وتكن غيلا : أى تستر ما جل منها كالمعصم والساعد والساق والفخذ» . (٦) فى تجريد الأغانى : «ما أممنا» . (٧) بنات نعش : من الكواكب الشامية ، وكان غزوه نحو الروم . يقول : دعينى من طيفك حين أؤم بنات نعش ، أى حين أقصد قصد الشام للغزو . (٨) يريد إذا اتجهت ركائبنا نحو اليمن . ورواية هذا البيت فى شرح الحماسة وتجريد الأغانى :

ولكن إن أردت فهيجينا * إذا رمقت بأعينها سهيلا

(٩) فى حـ وشرح الحماسة وتجريد الأغانى : «عوابس» .

إذا لرأيتِ فوقَ الخيـل أُسْدًا[1] * تُفيـد مغانمًا وتُفيت نَيْـلا[2]

إذا سار الوليـدُ بنا وسِرْنا * إلى خيـل نَلُفّ بهنّ خَيْـلا

وتَدخل بالسرور ديارَ قـوم * ونُعقِب آخرين أذًى ووَيْلا

فأحسن الوليد رِفْدَه وأجزل صلتَه . ومدحه بعـدّة قصائد . ثم نُمِى إليه أنه شَبّب بأم البنين، فجفاه وأمر بأن يُحجب عنه، ودبر فى قتله .

ومدحه وَضّاح بقوله أيضا :

ما بال عينـكَ لا تَنام كأنما * طلب الطبيبُ بها قَذًى فأضلَّهُ

بل ما لقلبـك لا يزال كأنه * نَشوانُ أَنْهله النـديمُ وعَلَّه

ما كنت أحسَب أنْ أبيتَ ببلدةٍ * وأخى بأُخْرى لا أحُـلُّ مَحَـلَّه

كنّا لعَمْـرُك ناعمين[3] بغبطـةٍ * مـع ما نُحبّ مَبيتَـه ومَظَـلَّه

فأرى الذى كنّا وكان بغِـرّة * نلهـو بغِـرّته ونهـوَى دَلَّه

كالطيف وافق ذا هوًى فلهَـا به * حـتى إذا ذهب الرقاد أضَـلَّه ٣٩/٦

قـل للذى شَعَفَ[4] البـلاءُ فـؤادَه * لا تهلكنّ أخًا فـربّ أخ له

والقَ ٱبن مَروان الذى قـد هزّه * عِرق[5] المكارم والنّـدى فأقـلّه

وٱشْـكُ الذى لاقيتـه من دونه[6] * وٱنْشُرْ إليـه داءَ قلبـك كلَّـه

(١) رواية هذا الشطر فى شرح الحماسة :

* رأيت على متون الخيـل جنا *

(٢) كذا فى شرح الحماسة وتجريد الأغانى . يريد : تفيد المغانم من أعدائها وتفيتهم نيل شىء منها . وفى جميع الأصول : «تفيد مغانما وتفيد نيلا» .

(٣) كذا فى تجريد الأغانى . وفى جميع الأصول : «ياعمير» . (٤) فى حـ : «شغف» (بالغين المعجمة)، وهما بمعنى . (٥) كذا فى ب ، س، حـ . وفى سائر الأصول : «عرف» . والعرف (بالضم) : المعروف . (٦) فى حـ وتجريد الأغانى : «من جفوة» .

فعلى ابن مَرْوانَ السلامُ من آمرئٍ * أمسى يذوق منَ الرُّقاد أقلَّه
شوقًا إليك فما تنالك حالُه * وإذا يَحُلّ البابَ لم يُؤذن له
فإليك أعملتُ المطايا ضُمَّرًا * وقطعتُ أرْواحَ الشتاء وظِلّه (١)
وليالِيًا لو أنّ حاضرَ بَثّها * طرف القضيب أصابه لأشلّه

فلم يزل مجفُوًّا حتى وجَد الوليد له غِرّة، فبعث إليه مَن اختلسه ليلًا فجاءه به، فقتله ودفنه فى داره، فلم يُوقف له على خبر.

قتل الوليد له

وقال خالد بن كلثوم فى خبره :

كان وضّاح قد شبّب بأمّ البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان آمرأة الوليد بن عبد الملك، وهى أم آبنه عبد العزيز بن الوليد، والشرفُ فيهم. فبلغ الوليدَ تشبُّبُه بها؛ فأمر بطلبه فأُتى به، فأمر بقتله. فقال له ابنه عبد العزيز : لا تفعل ياأمير المؤمنين فتحقِّقَ قولَه، ولكن افعل به كما فعل معاوية بأبى دَهْبل؛ فإنه لمّا شبّب بآبنته شكاه يزيد وسأله أن يقتله؛ فقال : إذًا تُحقّق قولَه، ولكن تَبَرّه وتحسن إليه فيستحى ويَكُفّ، ويكذّب نفسه. فلم يقبل منه، وجعله فى صندوق ودفنه حيًّا. فوقع بين رجل من زنادقة الشُّعوبيّة وبين رجل من ولد الوليد نِفَارٌ خرجا فيه إلى أن أغْلظا المُسَابّةَ، وذلك فى دولة بنى العبّاس؛ فوضع الشُّعوبىّ عليهم كتابًا زعم فيه أن أمّ البنين عشِقتْ وَضّاحا، فكانت تُدخله صندوقا عندها. فوقف على ذلك خادم الوليد فأنهاه إليه وأراه الصندوق، فأخذه فدفنه. هكذا ذكر خالد بن كلثوم والزُّبَير ابن بكّار جميعا.

وأخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش فى كتاب المقتالين قال حدّثنا أبو سعيد السُّكّرىّ قال حدّثنا محمد بن حَبيب عن ابن الكلْبىّ قال :

(١) فى تجريد الأغانى : «طله» (بالطاء المهملة)، والطل : أخف المطر وأضعفه. وقيل : هو الندى.

عَشِقتْ أمُّ البنين وَضّاحًا، فكانت تُرسل إليه فيدخل إليها ويُقيم عندها ؛ فإذا خافت وارته فى صندوق عنـدها وأقفلتْ عليه . فأُهدى للوليـد جَوْهر له قيمة فأعجبه وٱستحسنه، فدعا خادمًا له فبعث به معه إلى أم البنين وقال : قل لها : إن هذا الجوهر أعجبنى فآثرتُكِ به . فدخل الخادم عليها مفاجأةً ووضّاح عندها، فأدخلته الصنـدوقَ وهو يَرى، فأدّى إليهـا رسالةَ الوليـد ودفع إليهـا الجوهر، ثم قال : يا مولاتى، هَبينى منه حجرًا؛ فقالت : لا، يٱبنَ اللَّخْناء ولا كرامة . فرجع إلى الوليد فأخبره؛ فقال : كذبتَ يٱبن اللخناء، وأمر به فوُجِئتْ عنقُه . ثم لبس نعليه ودخل على أمّ البنين وهى جالسة فى ذلك البيت تمتشط ، وقد وصف له الخادم الصندوق الذى أدخلته فيه ، فجلس عليه ثم قال لها : يا أمّ البنين، ما أَحَبَّ إليكِ هذا البيتَ من بين بيوتك ! فلِمَ تختارينه ؟ فقالت : أجلس فيه وأختاره لأنه يجمـع حوائجى كلَّها فأتناولها منه كما أريد من قرب . فقال لها : هَبِي لى صندوقا من هذه الصناديق؛ قالت : كلُّها لك يا أمير المؤمنين؛ قال : ما أريدها كلَّها وإنما أريد واحدًا منها؛ ٤٠/٦ فقالت له : خذ أيَّها شئتَ؛ قال : هذا الذى جلستُ عليه؛ قالت : خذ غيرَه فإن لى فيه أشياءَ أحتاج إليها؛ قال : ما أريد غيره؛ قالت : خُذْه يا أمير المؤمنين . فدعا بالخَدَم وأمرهم بحمله، فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه . ثم دعا عَبيدًا له فأمرهم فحفروا بئرا فى المجلس عميقةً ، فنُحّى البِساط وحُفرت إلى الماء . ثم دعا بالصندوق فقـال : [ياهذا] (١) إنه بلغنا شىء إن كان حقًّا فقد كفّنّاك (٢) ودفنّاك ودفنّا ذكرك وقطعنا أثرك إلى آخر الدهر، وإن كان باطلًا فإنا دفنّا الخشب، وما أهونَ

(١) الزيادة عن كتاب أسماء المقتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام لمحمد بن حبيب، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٥٧ أدب ش) . (٢) كذا فى جميع الأصول ولعلها : « كفيناك » .

ذلك! ثم قُذِف به فى البئر وهِيل عليه التراب وسُوِّيت الأرض ورُدّ البساط إلى حاله وجلس الوليد عليه. ثم ما رُئى بعد ذلك اليوم لوضّاح أثر فى الدنيا إلى هذا اليوم. قال: وما رأتْ أمّ البنين لذلك أثرًا فى وجه الوليد حتى فرّق الموت بينهما.

مرضت أم البنين وهو فى دمشق فقال شعرا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنى مصعب بن عبد الله قال:

مَرِضت أم البنين ووضّاحٌ مُقيم بدمشق، وكان نازلًا عليها؛ فقال فى علّتها:

صــــوت

حتّامَ نَكْتُمُ حزنَنا حتّامَا * وعَلامَ نستبقى الدموعَ علامَا
إن الذى بى قد تفاقم واعتلى * ونما وزاد وأَوْرَث الأسقاما
قد أصبحت أمُّ البنين مريضةً * نَخشَى ونُشفق أن يكون حِماما
يارَبِّ أَمْتِعْنى بطول بقائها * واجبُرْ بها الأرمال والأيتاما
واجبر بها الرجلَ الغريب بأرضها * قد فارق الأخوالَ والأعماما
كم راغبين وراهبين وبُؤَّس * عُصموا بقرب جَنابها إعصاما
بجناب ظاهرة الثَّنا(١) محمودةٍ * لا يُستطاع كلامُها إعظاما

الغناء فى الأوّل والثانى والثالث والرابع والخامس لحَكَمٍ الوادى خفيفُ رمل بالوسطى، عن الهشامى وعبد الله بن موسى. ومما وجد فى روايتى هارون بن الزيّات وابن المكىّ فى الرابع(٢) ثم الخامس ثم الأوّل والثانى لعمر الوادى خفيفُ رمل، من رواية الهشامى.

(١) كذا فى أكثر الأصول. وفى حـ: «الثنا». الثنا، كما قال الجوهرى، فى الخير خاصة. الثنا (بالقصر): مثل الثنا إلا أنه فى الخير والشر.
(٢) كذا فى ا، ى، م؛ وفى سائر الأصول: «وفى الرابع».

شبب بفاطمة بنت عبد الملك فدفنه الوليد فى بئر وهو حى

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا مصعب قال : بلغ الوليدَ بن عبد الملك تشبُّبُ وَضّاح بأمّ البنين فهَمّ بقتله . فسأله عبد العزيز ابنُه فيه، وقال له : إن قتلته فضحتَنى وحقّقتَ قولَه، وتوهّم الناسُ أن بينه و بين أمّى ريبة. فأمسك عنه على غيظ وحَنَق، حتى بلغ الوليدَ أنه قد تعدّى أمَّ البنين إلى أخته فاطمةَ بنت عبد الملك ، وكانت زوجةَ عمرَ بنِ عبـد العزيز رضى الله تعـالى عنه، وقال فيها :

بنتُ الخليفة والخليفــة جَدُّها * أختُ الخليفة[1] والخليفة بعلُهـا

فَرِحتْ قوابلُها بها وتبـاشرتْ * وكذاك كانوا فى المَسَرّة أهلُهـا

فأَحنق[2] واشـتدّ غيظه وقال : أمَا لهذا الكلب مُزْدَجَرٌ عن ذكر نسائنا وأخواتنا ، ولا له عنّا مذهب ! ثم دعا به فأُحضر، وأمر ببئر فحُفرتْ ودفَنه فيها حيًّا .

شعر له ٤١/٦

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال أخبرنى عبد الملك ابن عبد العزيز عن يوسف بن المـاجِشُون قال :

أنشدت محمدَ بن المنكدر قولَ وَضّاح :

فمـا نولتْ حتى تَضَرّعتُ عندها * وأعلمتُها ما رخّص اللهُ فى اللَّمَمْ

قال : فضحك وقال : إن كان وضّاح إلا مُفْتِيًا لنفسه . وتمام هذه الأبيات :

ترجّل[3] وَضّاحٌ وأَسْـيل بعـدما * تَكَهّل حينًا فى الكهول وما احتلَمْ

وعُلِّق بيضاءَ العوارض طَفْـلةً * مُخَضَّبـةَ الأطراف طيّبـةَ النَّسَمْ

---

(١) فى حـ : « الخلائف » .

(٢) كذا فى حـ . وأحنق الرجل إذا حقد حقدا لا ينحل . وفى سائر الأصول : « فاحتنق » وهو تحريف .

(٣) الترجل والترجيل : تسريح الشعر .

إذا قلتُ يومًا تَولّيني تبسّمتْ * وقالت مَعاذَ الله مِن فِعْلِ ما حَرُم

فما نَوّلتْ حتى تضرّعتُ عندها * وأعلمتُها ما رَخّص اللهُ فى اللَّمم

رثى أباه وأخاه بشعر وهو عند أم البنين

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدثنا العُمَرىّ عن العُتْبىّ فى خبره الأوّل المذكور من أخبار وَضّاح مع أمّ البنين قال :

كان وضّاح مقيمًا عند أم البنين، فورد عليه نعىُ أخيه وأبيه[(١)]؛ فقال يرثيهما :

أَراعك طائرٌ بعد الخُفُوقِ * بفاجعةٍ مُشَنَّعة الطُّروقِ

نعم ولمّا على رجل عَميد * أَظَلُّ كأنّنى بشَرِقٌ بريق

كأنّى إذ علمتُ بها هُدُوًّا[(٢)] * هوتْ بى عاصفٌ من رأس نِيق

أُعَلُّ بزفرة من بعد أخرى * لها فى القلب حَرٌّ كالحريق

وتَرْدُف عَبرةٌ تَهْتانَ أُخرى * كفائض غَرْب نَضّاح فَتِيق

كأنى إذ أُكَفْكِفُ دمعَ عينى * وأَنْهاها أقول لها هَريقى

ألَا تلك الحوادث غِبْتُ عنها * بأرض الشام كالفرد الغريق

فما أنفكُّ أنظر فى كتاب * تُدارى النفسُ عنه هوًى زَهوق[(٣)]

يُخبّر عن وفاة أخٍ كريم * بعيدِ الغور نَفّاع طَليق

وقَرْمٍ يَعرِضُ الخُصَماتُ[(٤)] عنه * كما حاد البِكارُ[(٥)] عن الفَنيق

---

(١) يلاحظ أن أبا وضاح توفى ووضاح صغير كما مر فى أول الترجمة .
(٢) النيق : أعلى موضع فى الجبل .
(٣) الزهوق : الهالك .
(٤) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى سائر الأصول : « الخصماء » . وكلاهما جمع لخصيم .
(٥) البكار : جمع بكر وهو الفتى من الإبل . والفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .

كريم يملا الشِّيزَى[1] ويَقْرِى * إذا ما قلّ إيماضُ البُروقِ

وأعظم ما رُميتُ به فَجُوعًا[2] * كتابٌ جاء من فَجّ عميق

يُخبِّر عن وفاة أخٍ فصبرًا * تَنَجَّزْ وعدَ منّانٍ صَدوق

سأصبر للقضاء فكل حىّ * سيلقى سَكرة الموت المَذوق

فما الدنيا بقائمةٍ وفيها * من الأحياء ذو عين رَموق

وللأحياء أيّامٌ تَقَضَّى * يَلُفّ ختامُها سُوقًا بسُوق

فأغناهم كأعدمهم إذا ما * تقضّتْ مُدّةُ العيش الرقيق

كذلك يُبعثون وهم فُرَادَى * ليوم فيه تَوْفِيةُ الحُقوق

أَبعدَ هُمَام قومك ذى الأيادى * أبى الوضّاح رَتّاق الفُتوق

وبعد عُبيدةَ المحمودِ فيهم * وبَعدَ سَمَاعةَ العَودِ العَتيق

وبعد ابن المفضَّل وابن كافٍ * هما أخواك فى الزمن الأنيق

٤٢/٦ تؤمِّل أن تعيش قريرَ عينٍ * وأينَ[3] أمامَ طَلّابٍ لحُوق[4]

ودنياك التى أمسيتَ فيها * مزايلةُ الشقيق عن الشقيق

ومما قاله فى مَرْثِيَةِ أهله وذكْر الموت وغُنِّى فيه -- وإنما نذكر منها ما فيه غناء لأنها طويلة -- :

صـــوت

مالكَ وَضّاحُ دائمَ الغَزَلِ * ألستَ تخشى تَقَارُبَ الأجلِ

صلِّ لذى العرش واتَّخِذْ قَدَمًا * تُنجيك يوم العِثار والزَّلَلِ

(١) الشيزى: خشب أسود تعمل منه القصاع. وقد يطلق على ما صنع من ذلك فيقال للجفان شيزى، كما أريد هنا. (٢) الفجوع: الفاجع، فعول للمبالغة. (٣) كذا فى ب، س، حـ. وفى سائر الأصول: «وأنت». (٤) كذا فى حـ: وفى سائر الأصول «طلاب الحقوق».

يا موت ما إن تزال معترضًا * لامل دون منتهى الأَمل
لو كان مَنْ فرَّ منك منفلتاً[1] * إذًا لأسرعتُ رحلةَ الجمل
لكنّ كفّيك نال طولُهما * ما كلَّ عنه نجائبُ الإبل
تنال كفّاك كلَّ مُسْهِلة * وحُوتَ بحر ومَعْقِلَ الوَعِل
لولا حذارى من الحُتُوف فقد * أصبحتُ من خوفها على وَجَل
لكنتُ للقلبِ فى الهوى تَبَعًا * إنّ هواه ربائبُ الحَجَل
حِرْمِيّةٌ[2] تسكن الحجازَ لها * شيخٌ غيور يعتلّ بالعلل
عُلّق قلبى ربيبَ بيت ملو[3] * كِ ذاتَ قُرطين وَعْثَةَ الكَفَل[4]
تفترُّ عن مَنْطِقٍ تَضَنّ به * يَجرى رُضاباً كذائب العسل

قال شعرا يشبب بحبابة قبل أن يشتريها يزيد بن عبد الملك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى سليمان بن أبى أيّوب عن مُصْعَب قال :

قال وَضّاح اليمن فى حَبابة جارية يزيد بن عبد الملك، وشاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد وتصير إليه، وسمع غناءها فأُعجب بها إعجاباً شديدا :

صوت

يا مَنْ لقلبٍ لا يُطيـ * ـع الزاجرين ولا يُفيقْ
تسلو قلوبُ ذوى الهوى * وهو المكلَّف[5] والمَشوقْ
تَبلت[6] حَبابةُ قلبه * بالدَّلّ والشكل الأَنيقْ

(١) كذا صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطى بهامش نسخته . وفى جميع الأصول « منقلبا » .
(٢) حرمية : نسبة إلى الحرم (بالتحريك) على غير قياس . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « بنت ملوك » . وهو تصحيف . (٤) يقال : امرأة وعثة : أى كثيرة اللحم كأن الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها . (٥) كلف به كلفا : إذا ولع به فهو كلف ومكلف . (٦) تبله الحب : أسقمه .

وبعين أحور يرتعى * سَقْط الكثيب من العقيقْ(١)
مكحولة بالسحر تُزْ * هى نشوةَ الخمر العتيق
هيفاء إن هى أقبلتْ * لاحت كطالعة الشروق
والردفُ مثلُ نقًا تلبَّ * ـد فهو زُحلوق زَلُوق
فى درّة الأصداف معْ * تنقًا بها رَدْع الخَلُوق(٢)
دَاوِى هوایَ وأَطْفِئى * ما فى الفؤاد من الحريق
وترفّقى أملى فقد * كلّفتِنى مالا أُطيق
فى القلب منك جوًى المُحبْـ * ـبِ وراحةُ الصبّ الشفيق
هذا يقود برُمّتى(٣) * قودًا إليك وذا يسوق
يا نفسُ قد كلّفتِنى * تَعبَ الهوى منها فذوق(٤) ٤٣/٦
إن كنتِ تائقةً لحرْ * رِ صبابةٍ منها فتُوق(٤)

ومما قاله فى روضة وفيه غناء قوله : شعره فى روضة

صــوت

يا لَقَومى لِكثرة العذّال * ولطيفٍ سرى مليح الدَّلالِ
زائر فى قصور صنعاءَ يَسْرى(٥) * كلَّ أرض مخوفةٍ وجبال

(١) سقط الكثيب : منقطعه . (٢) الخلوق (كرسول) : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران . والردع : أثر الطيب فى الجسد . (٣) الرمة : قطعة حبل يشدّ بها .
(٤) أصله : « فذوقى » و « فتوقى » . فحذفت الياء لضرورة القافية .
(٥) راجع ما كتبه أبو محمد الحسن بن أحمد الهمدانى المتوفى فى سجن صنعاء سنة ٣٣٤ هـ عن هذه القصور فى الجزء الثامن من كتابه الإكليل المطبوع فى بغداد سنة ١٩٣١ م فقد وصفها وصفا شافيا وذكر أقوال الشعراء فى مدحها .

— والغناء لابن عبّاد عن الهشامىّ رمل — وهذه الأبيات من قصيدة له فى روضة طويلة جيّدة يقول فيها :

يقطع الحَزْن والمَهامِهَ والبِيـ * ـد ومِنْ دونه ثمانُ ليالِى
عاتبٌ فى المنام أحْبِبْ بعُتْبا * ه إلينا وقولِه مِنْ مَقال
قلت أهلًا ومرحبًا عَدَدَ القَطْـ * ـر وسهلًا بطَيف هذا الخَيال
حبّذا مَنْ إذا خلونا نَجيًّا * قال : أهلى لك الفِداء ومالى
وهى الهمّ والمُنَى وهوى النفْـ * ـس إذا اعتلّ ذو هوًى باعتلال
قِسْتُ ما كان قبلنا من هوى النا * س فما قِسْتُ حبَّها بمثال
لم أجد حبّها يُشاكله الحبّ * ولا وَجْدَنا كوَجْد الرجال
كلّ حبّ إذا ٱستطال سيبلَى * وهوَى روضةِ المُنَى غيرُ بالى
لم يَزِدْه تقادُمُ العهد إلّا * جِدّةً عندنا وحسنَ احتلال
أيها العاذلون كيف عتابى * بعد ما شاب مَفرِقى وقَذالى
كيف عَذْلى على التى هى منّى * بمكان اليَمين أُختِ الشِّمال
والذى أَحْرموا له وأحلّوا * بمِنًى صُبْحَ عاشرات الليالى (١)
ما ملكتُ الهوى ولا النفسَ منّى * مُنذ عُلّقتُها فكيف احتيالى
إن نأتْ كان نأيُها الموتَ صِرْفًا * أو دنتْ لِى فثَمّ يبدو خَبالى
يٱبنةَ المالكىّ يا بَهْجة النفْـ * ـس أفى حبّكم يَحِلّ اقتتالى
أىّ ذنب علىّ إن قلتُ إنى * لأُحبّ الحجازَ حبّ الزُّلال
لأُحبّ الحجازَ مِنْ حبّ مَنْ فيـ * ـه وأهوى حِلالَه من حِلال (٢)

(١) يريد صبح الليلة العاشرة من ذى الحجة .
(٢) الحلال : جمع حلة (بالكسر) وهى المحلة ، أو القوم النزول فيهم كثرة .

صـــوت

ومما فيه غناء من شعر وضاح :

أيهـا النّـاعِبُ ماذا تقولُ * فكِلانا سـائلٌ ومَسولُ
لا كساكَ اللهُ ما عشتَ ريشًا * وبحـوفٍ بتَّ ثم تَقيـل(١)
ثم لا أنْقَفْتَ(٢) فى العُش فرخًا * أبدًا إلا علـيـك دليـل
حين(٣) تُنبي أنّ هنـدًا قريبٌ * يبلُغ الحاجاتِ منها الرسول
ونأت هنـد فَخَبَّرْتَ عنهـا * أن عهد الودّ سوف يزول

ومنهـا :

صـــوت

حيِّ التى أقْصَى فؤادِكَ حَلّتِ * علمتْ بأنك عاشـقٌ فأدلّتِ ٤٤/٦
وإذا رأتك تقلقلتْ أحشاؤُها * شوقًا إليـك فأكثرتْ وأقَلّتْ
وإذا دخلتَ فأُغلِقتْ أبوابُهـا * عزم الغيورُ حجابَهـا فأعتلّت
وإذا خرجتَ بكتْ عليكَ صبابةً * حتى تَبُـلّ دموعُهـا ما بَلّت
إن كنتَ يا وضّاح زرتَ فمرحبًا * رَحُبَتْ عليـك بلادُنا وأظلّت

الغناء لابن سُرَيج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيها ليحيى المكيّ ثانى ثقيـل بالوسطى، من كتابه . ولابنه أحمدَ فيها هزج . وذكر حَبَش أن ليحيى فيهـا أيضا خفيفَ ثقيل .

---

(١) كذا فى حـ وهامش نسخة المرحوم الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه . وفى سائر الأصول : « ثقيل » (بالثاء المثلثة)، وهو تصحيف . (٢) أنقف الفرخ : استخرجه من البيضة . وفى أ ، ء ، م : « ثم لا أبقيت » . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « حيث » .

ومنهـا :

صـــــوت

أتعـرف أطـلالاً بمَيْسرة اللِّوَى * إلى أَرْعب[1] قد حالفتك[2] به الصِّبَا
فأهـلًا وسهلًا بالتى حـلّ حبُّها * فؤادى وحلّت دارَ شَحْط من النّوى

— الغناء فيـه هَزَجٌ يَمنِىّ بالبنصر عن ابن المكىّ — وهـذه أبيات يقولها لأخيه سَماعة، وقد عتَب عليه فى بعض الأمور . وفيها يقول :

أُبادر دُرْنوكَ[3] الأمـير وقُـرْبَه * لأُذْكَرَ فى أهْـل الكرامة والنُّهى
وأَتْبَـع القُصّاصَ كلّ عشيّة * رجاءَ ثواب الله فى عَـدد الخُطا
وأمستْ بقصر يضرب الماءُ سورَه * وأصبحتُ فى صنعاءَ ألتمس النّدى
فمن مُبلِغٌ عنّى سماعةَ ناهيًا * فإن شئتَ فاقطعنا كما يُقْطَع السَّلَى[4]
و إن شئتَ وصلَ الرَّحْم فى غير حيلة * فعلنا وقُلْنا للذى تشتهى بلَى
و إن شئتَ صُرْمًا للتفرّق والنّوى * فبُعْـدًا، أدام الله تفـرقةَ النّوى

ومنهـا :

صـــــوت

طَرَق الخيالُ فمرحبًا ألفًا * بالشاغفات قلوبَنا شَغَفَا
ولقد يقول لىَ الطبيبُ وما * نَبَّأتُه من شأننا حَرَفا:

---

(١) كذا ذكره صاحب معجم البلدان (بالراء المهملة) . وقال : «أرعب (بالفتح ثم السكون وعين مهملة والباء موحدة) : موضع فى قول الشاعر» . وساق هذين البيتين . وفى جميع الأصول : «أزعب» . (بالزاى المعجمة) . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «قد خالفتك» (بالخاء المعجمة) .

(٣) الدرنوك : الطنفسة وضرب من البسط أو الثياب له خمل قصير تحمل المناديل و به تشبه فروة البعير والأسد . (٤) السلى : الجلدة التى يكون فيها الجنين من الناس والمواشى ، فإن انقطع فى البطن هلكت الأم وهلك الجنين .

إنى لأحسب أنّ داءَك ذا * مِن ذى دَمَالج يَخضب الكفّا .

إنى أنا الوضّاح إنْ تَصِلى * أُحسِنْ بك التشبيبَ والوَصْفا

شطّتْ فشفّ القلبَ ذِكْرُكَها * ودنتْ فما بذلتْ لنا عُرْفا

ومنها :

صوت

— ويُروى لبشّار —

يا مرحبًا ألِفًا وألفا * بالكاسراتِ إلىّ طَرْفَا

رُجُح الروادف كالظِّبا * ء تعرّضت حُوًّا ووُطْفا[1]

أنكرنَ مركبَى الحِما * رَ وكنّ لا يُنكِرن طِرْفا[2]

وسألننى أينَ الشبا * بُ فقلتُ بَانَ وكان حِلْفا

أفْنَى شبابى فانقضى * حِلْفُ النساء تَبِعن حِلْفا

أعطيتهنّ مودّتى * فجزيننى كذبًا وخُلْفا

٤٥/٦ وقصائدٌ مثلُ الرُّقَى * أرسلتُهن فكنّ شَغْفا

أوجعن كلَّ مُغازِلٍ * وعَصفن بالغَيران عَصْفا

من كل لذّات الفتى * قد نلتُ نائلةً وعُرْفا

صِدتُ الأوانسَ كالدُّمى * وسقيتُهنّ الخمرَ صِرْفا

ومنها : — وهذه القصيدة تجمع نسيبَه بمن ذكر وفخرَه بأبيه وجدّه أبى جمَد —

(١) الحو : جمع حواء، وهى التى بها لون الحوة، وهى سواد إلى خضرة، وقيل : حمرة إلى سواد. والحوّة أيضا سمرة الشفة . والوطف : جمع وطفاء، وهى كثيرة شعر أهداب العينين . (٢) الطرف : الكريم من الخيل .

صــــوت

أغْنى[1] على بيضاءَ تَنْكَلُ[2] عن بَرَدْ * وتمشى على هَوْنٍ كِمشْية ذى الحَرَدْ[3]
وتلبَس من بَزِّ العراق مَناصِفًا * وأبرادَ[4] عَصْبٍ[5] من مُهَلْهَلَة الجَنَدْ[6]
إذا قلت يومًا نَوِّليـنى تبسّمتْ * وقالت لعمرُ الله لو أنه اقتصد
سموتُ إليها بعد ما نام بعلُها * وقد وسّدتْه الكفَّ فى ليلة الصَّرَدْ[7]
أشارت بطرف العين أهلًا ومرحبًا * ستُعطَى الذى تهوَى على رغم مَنْ حسد
ألستَ ترى مَنْ حولنا مِنْ عدوّنا * وكل غلام شامخ الأنف قد مَرَد[8]
فقلت لها إنى امرؤ فاعلمِنّه * إذا ما أخذتُ السيفَ لم أحفِل العدَد
بَنَى لىَ إسماعيلُ مجدًا مؤثّلًا * وعبدُ كُلالٍ قبلَه[9] وأبو جَمَد
تُطيف علينا قهوةٌ فى زجاجة * تُريك جبانَ القوم أمضى من الأسد

ومنها :

صــــوت

يأيها القلبُ بعضَ ما تجدُ * قد يعشَق القلبُ ثم يتّئِدُ
قد يكتُم المرءُ حبَّه حِقَبًا * وهو عَميدٌ وقلبُه كَمِد
ماذا تُراعون من فتًى غَزِلٍ * قد تيّمتْه خَمْصانةٌ رُؤُدُ
يهدّدونى كيما أخافَهمُ * هيهاتَ أنَّى يُهدَّد الأسد

(١) كذا فى جميع الأصول. ولعلها : «أعنى» (بالعين المهملة)، أمر من الإعانة. (٢) تنكل : تفتر وتبسم. (٣) الحرد : ثقل الدرع على المدرع فلا يقدر على الانبساط فى المشى، أو هو داء يأخذ الإبل فى اليدين دون الرجلين فتسترخى أيديها. (٤) فى حـ : «أكباش»، وهى والأبراد بمعنى واحد. (٥) العصب : ضرب من برود اليمن، واحده وجمعه سواء، يقال : برد عصب وبرود عصب بالإضافة. (٦) الجند (بالتحريك) : مدينة باليمن بينها وبين صنعاء ثمانية وأربعون فرسخا. (٧) الصرد (بسكون الراء وفتحها) : البرد وقيل شدته. (٨) مرد : عتا وبلغ الغاية. (٩) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول : «بعده».

ومنها :

صوت

صدع البَيْنُ[1] والتفرُّقُ قلبى * وتولّت أمُّ البنين بلُبِّى
تَوِتِ النفسُ فى الحُمول لديها * وتولّى بالجسم مِنّىَ صَحْبِى
ولقد قلتُ والمدامعُ تجرى * بدموع كأنها فَيْضُ غَرْب
جزَعًا للفراق يوم تولّت : * حَسْبِيَ الله ذو المَعارج حسبى

ومنها :

صوت

يآبنة الواحد جودى فما * إن تَصْرِمينى فَبِما أو لِما
جُودى علينا اليومَ أو بَيِّنِى * فيمَ قتلتِ الرجلَ المُسلما
إنى وأيدِى قُلُصٍ ضُمَّرٍ * وكلِّ خِرْقٍ[2] وَرَدَ المَوْسِما
ما عُلِّق القلبُ كتعليقها * واضعةً كفًّا علَتْ مِعصما
رَبَّةُ[3] محرابٍ إذا جئتُها * لم ألقَها أو ارتقى سُلَّما
٤٦/٦ إخوتُها أربعةٌ كلُّهم * ينفون عنها الفارسَ المُعلَما
كيف أُرجّيها ومِنْ دونها * بوّابُ سوءٍ يُعجل المَشتما
أسودُ هتّاك لأعراضِ مَنْ * مرّ على الأبواب أو سلَّما
لا مِنّةً أعلمُ كانت لها * عندى ولا تطلُب فينا دما
بل هى لمّا أن رأت عاشقًا * صبًّا رمتْه اليومَ فيمن رَمى
لمّا آرتمينا[4] ورأت أنّها * قد أثبتتْ فى قلبه أسهُما

(١) فى حـ : «صرع» . (٢) الخرق : الفتى الحسن الكريم الخليقة . (٣) كذا فى اللسان (مادة حرب) . وفى الأصول : «ورب محراب» وهو تحريف . (٤) ارتمينا : ترامينا .

أعجبها ذاك فأبْدت له * سُنَّتَها[1] البيضاءَ والمِعْصَما
قامت تراءَى لى على قَصْرِها * بين جَوارٍ خُرَّدٍ كالدُّمى
وتَعقِد المِرْطَ على جَسْرَةٍ[2] * مثلِ كثيب الرمل أو أعظَما

ومنها :

صــــوت

دعاكَ من شوقك الدَّواعى * وأنت وضّاحُ ذو اتباعِ[3]
دعتْك ميّالةٌ لَعُوبٌ * أَسِيلة الخد بالتّاع
دلالُكِ الحُلْوُ والمشهّى * وليس سرِّيك بالمُضاع
لا أَمنع النفسَ عن هواها * وكلّ شىء إلى انقطاع

ومنها :

صــــوت

ألَا يا لقَومى أَطْلِقوا غُلَّ مرتَهَنْ * ومُنّوا على مُستشعِرِ الهمّ والحَزَنْ
تذكَّر سَلْمى وَهْى نازحةٌ فَحَنّ * وهل تنفع الذكرى إذا اغترب الوطنْ
ألم ترَها صفراءَ رُؤْدًا شبابُها * أسيلةَ مجرى الدمع كالشّادن الأَغَنّ
وأبصرتُ سَلْمى بين بُرْدَىْ مَراجِلٍ[4] * وأبراد عَصْب من مُهلهَلة اليمن
فقلتُ لها لا ترتَقِ السطحَ إننى * أخاف عليكم كلَّ ذى لِمّة حَسَن

(١) السنة : الوجه ، وقيل : الجبهة والجبينان ، وقيل : غير ذلك . (٢) المرط (بالكسر) : كساء من صوف أو خز أو كتان يؤتزر به ، وربما تلقيه المرأة على رأسها وتتلفع به . والجسر : كل عضو ضخم ، ويريد بالجسرة هنا العجيزة . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « ذو تباع » .
(٤) المراجل : ضرب من برود اليمن عليه تصاوير .

الغناء لابن سُريج، وله فى هذا الشعر لحنان : ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو، ورمل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وأوّل الرمل قولُه :

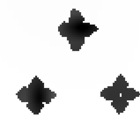
* ألا يا لَقومى أطلقوا غلَّ مرتَهَن *

وأوّل الثقيل الأوّل : « تذكَّر سلمى » . وفى هذه الأبيات هَزَج يمنىّ بالبنصر .

ومنها :

صــــوت

أغدوتَ أمْ فى الرائحـين تَرُوحُ * أم أنت من ذِكْر الحسان صحيحُ
إذ قالت الحسناءُ ما لصديقنا * رثُّ الثياب وإنه لمليـــح
لا تسألِى عن الثياب فإننى * يومَ اللقاء على الكُماة مُشيـح
أَرْمِى وأطعَن ثم أُتبِـع ضربةً * تَدَعُ النساءَ على الرجال تنـوح



صــــوت
من المـائة المختـارة

يا صـاح إنى قـد حَجِجـ * ـتُ وزُرت بيتَ المَقْدس
وأتيت لُــدًّا[1] عامـــدًا * فى عيــد مَرْيَا سَرْجس[2]
فــرأيتُ فيــه نِســوةً * مثــلَ الظبـاء الكُنَّس

٤٧/٦ الشعر والغناء للمُعلَّى بن طَريف مولى المَهدىّ . ولحنه المختار خفيف رمل بالبنصر .

وكان المُعلّى بن طَريف وأخـوه ليث مملوكين مولَّدين من مولّدى الكوفة لرجل من أهلها ، فاشتراهما علىّ بن سليمان وأهداهما إلى المنصـور، فوهبهما المنصور للمهدىّ

(١) كذا فى المسالك والممالك لابن خرداذبه ومعجم البلدان . ولد (بالضم والتشديد) : قرية قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين . وفى سائر الأصول : « قذا » . وفى حـ : « بدا » وهما محرفان .
(٢) فى المسالك والممالك لابن خرداذبه : «مريا جرجس» .

فاعتقهما . ونهر المعلَّى ورَبَض(١) المعلَّى ببغداد منسوب إلى المعلَّى — هكذا ذكر ذلك ابن خُرْداذبه — وكان ضاربًا محسنا طيّبَ الصوت حسنَ الأداء صالح الصنعة، أخذ الغناء عن إبراهيم وابن جامع وحَكَم الوادى. ووُلّى أخوه ليثٌ السِّنْدَ، ووَلِى هو الطِّراز(٢) والبريدَ بخراسان، وقاتل يوسفَ البَرْم فهزمه، ثم وُلّى الأهوازَ بعد ذلك. فقال فيه بعض الشعراء يمدحه ويمدح أخاه اللّيثَ ويهجو علىَّ بن صالح صاحبَ المُصلَّى(٣):

يا علىَّ بنَ صالحٍ ذا المصلَّى(٤) * أنت تفدى لَيْثًا وتفدى المعلَّى
سَدَّ ليثٌ ثغرًا ووُلّيت فأخْتُنْـ * ـتَ فبئس المَولى وبئس المولّى

وعلىّ بن سليمان هذا الذى أهدى المُعَلَّى وأخاه إلى المهدىّ هو الذى يقول فيه أبو دُلامة زَنْد(٥) بن الجَوْن الأسدىّ، وكان خرج مع المهدىّ إلى الصيد، فرمى المهدىّ وعلىّ بن سليمان ظبياً سنح لهما، وقد أرسلت عليه الكلاب، بسهمين، فأصاب المهدى الظبىَ وأصاب علىّ بن سليمان الكلبَ فقتلاهما. فقال أبو دُلَامة:

قد رمى المهدىُّ ظبيًا * شكَّ بالسهم فؤادَه
وعلىُّ بنُ سُليما * نِ رَمى كلْبًا فصاده
فهنيئًا لهما كـ * ـلُّ آمرئٍ يأكل زادَه

حدّثنا بذلك الحسن بن علىّ عن أحمد بن زُهير عن مصعَب، وعن أحمد بن سعيد عن الزُّبير بن بَكّار عن عمّه.

---

(١) الربض (محركة): الناحية، وما حول المدينة من بيوت ومساكن. والأرباض كثيرة جدا، وقلما تخلو مدينة من ربض. ذكر منها ياقوت فى معجمه ما أضيف فصار كالعلم أو نسب إليها أحد من العلماء، ولم يذكر «ربض المعلى» من بينها. (٢) يريد ديوان الطراز وهو الذى تنسج فيه الثياب.

(٣) كذا صححها المرحوم الشيخ الشنقيطى على هامش نسخته. وفى جميع الأصول: «المعلى» وهو تحريف. راجع الطبرى فى اسم على بن صالح هذا. (٤) فى جميع الأصول: «ذى» وهو تحريف.

(٥) فى جميع الأصول هنا: «زيد» (بالياء المثناة)، وهو تصحيف. (راجع ترجمته فى الجزء التاسع من الأغانى ص ١٢٠ — ١٤٠ طبع بولاق).

صـــوت

من المـائة المختـارة

ألَا طَرَد الهوى عنّى رُقَادِى * فحسبى ما لَقِيتُ من السُّهادِ
لعبدةَ إنّ عبدةَ تَيّمَتْنى * وحلّت من فؤادى فى السّواد

الشعر لبشّار . والغناء المختار فى هذين البيتين هزجٌ خفيف بالبنصر، ذكر يحيى بن علىّ أنه يمنىّ، وذكر الهشامىّ أنه لسُلَيم .

أخبار بشّار وعَبْدة خاصة

إذ كانت أخباره[1] سوى هذه تقدّمت

حبه لعبدة وشعره فيها

حدّثنى محمد بن خَلَف وكيع قال حدثنا أبو أيوب المَدينى عمن حدّثه عن الأصمعى -هكذا قال، وأخبرنى به عمّى عن عبد الله[2] بن أبى سعد عن علىّ بن مسرور عن الأصمعىّ قال :

٤٨ / ٦

كان لبشّار مجلسٌ يجلس فيه يقال له البَرْدَان . فبينا هو فى مجلسه ذاتَ يوم وكان النساء يحضُرْنه ، إذ سمع كلامَ آمرأة يقال لها عَبْدة فى المجلس ، فدعا غلامَه فقال : إنى قد عُلّقت آمرأة، فإذا تكلمتْ فآنظر مَنْ هى وآعرِفْها، فإذا آنقضى المجلسُ وآنصرف أهلُه فآتبَعها وكلّمها وأَعْلمها أنّى لها محبّ وأنشدْها هذه الأبياتَ وعرِّفْها أنى قلتُها فيها :

صوت

قالوا بمَنْ لاترى تَهْذِى فقلتُ لهم * الأذْنُ كالعين تُوفِى القلبَ ما كانا
ماكنتُ أوّلَ مشغوف بجارية * يَلْقَى بِلُقْيانها رَوْحا ورَيْحانا

— ويروى : هل من دواء لمشغوف بجارية —

يا قوم أُذْنى لبعض الحىّ عاشقةٌ * والأذْن تعشق قبل العين أحيانا

— غنّى إبراهيم فى هذه الأبيات ثانىَ ثقيلٍ بإطلاقِ الوتر فى مجرى البنصر، عن إسحاق. وفيها لِسيّاطٍ ثقيلٌ أول بالوسطى، عن عمرو. وفيها لإسحاق هَزَج من جامع أغانيه — قال : فأبلَغها الغلامُ الأبياتَ، فهَشّتْ لها ، وكانت تزوره مع نسوة

(١) يلاحظ أن بعض الأخبار المذكورة هنا تقدّمت فى ترجمته فى الجزء الثالث من هذه الطبعة .

(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « عبيد الله » وهو تحريف .

يَصْحَبنها فيما كان عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدّثها ويُنشِدَها ولا تُطمعه في نفسها . قال : وقال فيها :

قالت عُقَيلُ بنُ كعب(١) إذ تعلّقها * قلبي فأضحَى به من حبّها أثَرُ
أنّى ولم ترها تَهذِى ! فقلتُ لهم * إن الفؤاد يَرَى ما لا يرى البصر(٢)
أصبحتُ كالحائم الحَرّان مُجتنَبًا * لم يَقضِ وِرْدًا ولا يُرجَى له صَدَر

قال : وقال فيها أيضا — وهو من جيّد ما قال فيها — :

يُزهِّدنى فى حبّ عبدةَ معشرٌ * قلوبُهمُ فيها مخالفةٌ قلبى
فقلتُ دَعُوا قلبي وما اختار وارتضَى * فبالقلب لا بالعين يُبصِر ذو الحبّ
فما تُبصر العينان فى موضع الهوى * ولا تسمع الأذْنان إلّا من القلب
وما الحسنُ إلا كلّ حُسْنٍ دعا الصِّبَا * وألّف بين العشق والعاشقِ الصبّ

قال : وقال فيها :

يا قلبُ مالى أراك لا تَقِرُ * إياكَ أَعْنِي وعندك الخبَرُ
أَضِعْتَ بين الأُلى مَضَوْا حُرَقًا * أم ضاع ما استودعوك إذ بكَروا؟
فقال بعضُ الحديث يَشْغَفُنى * والقلبُ راءٍ ما لا يَرَى البصر

عابه الحسن البصرى وهتف به فهجاه

وأخبرنى بهذا الخبر أبو الحسن أحمد بن محمد الأَسَدىّ قال حدّثنا الحسن ابن عُليل العَنَزىّ قال حدّثنا خالد بن يزيد بن وَهْب عن جَرير عن أبيه بمثل هذه القصة، وزاد فيها :

(١) عقيل بن كعب : قبيلة كبيرة كان ولاء بشار بن برد لها . ومن قوله يفتخر بهذا الولاء كما مرّ فى ترجمته :

إننى من بنى عقيل بن كعب * موضع السيف من طلى الأعناق

(٢) فى ب ، س : «ما لم ير البصر» .

أنّ عَبْدة جاءت إليه فى نسوة خمس قد مات لإحداهن قريب فسألنه أن يقول شعرًا يَنُحْن عليه به، فوافَيْنَه وقد آحتجم ـــ وكان له مجلسان: مجلس يجلس فيه غُدوةً يسميه «البَرَدان» ومجلس يجلس فيه عشيّةً يسميه «الرَّقيق» ـــ وهو جالس فى البردان وقد قال لغلامه: أمسِكْ علىّ بابى وآطبُخْ لى وهيّئْ طعامى وطَيِّبْه وصَفِّ نبيذى. قال: فإنه لكذلك إذا قُرِع الباب عليه قرعًا عنيفا؛ فقال: وَيْحك يا غلام! انظر من يدقّ الباب دقّ الشُّرَط؛ فنظر الغلام وجاءه فقال: خمس نسوة بالباب ٤٩/٦ يسألنك أن تقول شعرًا يَنُحْن فيه؛ فقال: أدخلهنّ. فلما دخلن نظرنَ إلى النبيذ مُصفًّى فى قَنانِيِّه؛ [فى جانب بيته](١) فقالت إحداهن: خمر؛ [وقالت الأخرى: زبيب](٢)؛ وقالت الأخرى: معسَّل. فقال: لستُ بقائل لكنّ حرفا أو تَطْعَمن من طعامى وتشربن من شرابى. فتماسكْنَ ساعةً، وقالت إحداهن: فما عليكنّ من ذلك! هذا أعمى، كُلْن من طعامه وآشربْنَ من شرابه وخُذْنَ شعرَه؛ ففعلن. وبلغ ذلك الحسنَ البصرى فعابه وهتَف به. فبلغ ذلك بشّارًا، وكان الحسن يُلقَّب القَسّ(٣)، فقال فيه بشّار:

لَمّا طلعنَ من الرَّقيـ * ـق علىّ بالبَرَدان خَمْسَا(٤)
وكأنهنّ أهِلّةٌ * تحت الثياب زَفَفْن شمسا
باكَرْنَ طِيبَ لَطيمـةٍ(٥) * وغُمِسن فى الجادىّ غَمْسا
فسألننى مَنْ فى البيو * ت فقلتُ ما يحوين إنْسا
ليت العيونَ الناظرا * تِ طُمِسن عنّا اليوم طَمْسا
فأصبن من طَرَف الحديـ * ـث لذاذةً وخرجن مُلْسا
لولا تَعَرُّضهن لى * يا قَسُّ كنتُ كأنت قَسّا

(١) زيادة عن حـ. (٢) هذه العبارة ساقطة من ب، س. (٣) لقب به لصلاحه.
(٤) تقدّمت هذه الأبيات مع تفسير كلماتها الغامضة فى ترجمة بشار (ج٣ ص١٧٠ من هذه الطبعة).
(٥) اللطيمة: المسك ونافجته، وقيل: العير التى تحمل الطيب. والجادى: الزعفران.

لامه مالك بن دينار على تناوله أعراض الناس والتشبيب بالنساء فقال : لا أعاود ثم قال شعرا

أخبرنى الأَسَدىّ ويحيى بن علىّ بن يحيى ومحمد بن عِمْران الصَّيْرفى قالوا حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا على بن محمد عن جعفر بن محمد النَّوْفَلىّ قال :

أتيت بشارًا ذات يوم، فقال لى : ما شعَرت منذُ أيام إلا بقارع يقرَع بابى مع الصبح، فقلت : يا جارية، انظرى مَنْ هذا، فقالت : مالك بن دينار، فقلت : مالى ولمالك بن دينار! ما هو من أشكالى! ائذَنى له . فدخل فقال لى : يا أبا معاذ، أتشتُم أعراضَ الناس وتشبِّب بنسائهم ! فلم يكن عندى إلا دفعُه عن نفسى بأن قلت : لا أعاود، فخرج من عندى . وقلت فى إثره :

غدا مالكٌ بمَلاماته * علىّ وما بات من باليَه (١)
فقلتُ دَعِ اللومَ فى حُبِّها * فقبلكَ أعيتُ عُذّاليَهْ
وإنّى لأكتُمهم سرَّها * غداةَ تقول لها الجاليه
أعبدةَ مالكِ مَسْلوبةً * وكنتِ مُقرطَقةً حاليه (٢)
فقالت على رِقْبةٍ : إننى * رهنتُ المرعَّث خَلْخاليه
بمجلسِ يومٍ سأُوفِى به * وإن أنكر الناسُ أحواليه

أرسلت له عبدة السلام مع امرأة فرد عليها بشعر فيها

أخبرنى وَكِيع (٣) قال حدثنى عمرو بن محمد بن عبد الملك قال حدثنى الحسن بن جهور قال حدثنى هشام بن الأحنف، راوية بشار، قال :

إنى لعند بشّار ذاتَ يوم إذ أتته امرأة فقالت : يا أبا معاذ، عبدة تُقرئك السلامَ وتقول لك : قد اشتدّ شوقُنا إليك ولم نرك منذُ أيام، فقال : عن غير مَلِيّة

(١) راجع هذه الأبيات والتعليق عليها فى ترجمته فى الجزء الثالث ص ١٧٠ من هذه الطبعة .

(٢) مقرطقة : لابسة القرطق (بضم القاف وسكون الراء وفتح الطاء وقد تضم) وهو القباء . وقد مرت بلفظ : « معطرة » . (٣) الذى مر هو الحسن بن جهور . و يروى عنه محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك، وعن محمد هذا يروى وكيع . (راجع ج ٣ ص ١٦١ س ٩ من هذه الطبعة).

والله كان ذاك . ثم قال لراويته : يا هشام، خذ الرقعةَ واكتب فيها ما أقول لك ثم أدفعه للرسول . قال هشام : فأملى علىّ :

عبدَ إنّى إليكِ بالأشواقِ * لتَلاقٍ وكيف لى بالتلاقِى
أنا والله أشتهى سحرَ عينيْـ * ـكِ وأخشى مَصارعَ العشّاق
وأهابُ الحَرْسِىَّ(١) مُحتسِبَ الجُنْـ * ـدِ يَلُفّ البرىءَ بالفُسّاق ٥٠/٦

ومما يغنّى فيه من شعر بشار فى عبدة قولُه :

صـــوت

لعبدةَ دارٌ ما تكلِّمنا الدارُ * تَلُوح مَغانيها كما لاح أسطارُ
أُسائل أحجارًا ونُؤْيًا مُهدَّمًا * وكيف يُجيب القولَ نُؤْىٌ وأحجار
وما كلّمتْنى دارُها إذ سألتُها * وفى كبدى كالنَّفْط شُبَّتْ به(٢) النار
وعند مَغانِى دارها لو تكلّمتْ * لمكتئبٍ بادِى الصّبابة أخبار

الغناء لإبراهيم ثانى ثقيلٍ مطلقٌ فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثقيلٌ أوّل عن الهشامى . ومن هذه القصيدة :

صـــوت

تحمّل جيرانى فعينى لبَيْنهم * تَفيض بتَهْتانٍ إذا لاحتِ الدارُ
بكيتُ على من كنت أحظَى بقربه * وحقّ الذى حاذرتُ بالأمس إذ ساروا(٣)

الغناء ليحيى المكّىّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر .

---

(١) الحرسى (بالتحريك) : واحد حرس السلطان، وسكن هنا للضرورة .

(٢) فى جميع الأصول : « له » .

(٣) فى ب، سـ : « صاروا » .

ومن الأغانى فى شعره فى عبدة :

صـــوت

مَسّنى من صـــدود عبـدةَ ضُرّ * فبنات الفــؤاد ما تســتقرّ

ذاك شىء فى القلب من حبّ عبـ * ـدةَ بادٍ وباطنٌ يستتِر

الغناء لإبراهيم ثانى ثقيلٍ مطلقٌ فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لإسحاق رَمَل بالبنصر عن عمرو . وفيه لحَكَم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من جامع غنائه فى كتاب إبراهيم . وفيه لفَريدة خفيفُ ثقيلٍ عن إسحاق . وفيه ليحيي المكّىّ ثقيلٌ أوّلُ من كتابه . وفيه لحسين بن مُحرِز رَمَل عن الهشامى .

ومنهـا :

صـــوت

يا عبد إنى قــد ظُلمت وإننى * مبْـدٍ مقالة راغبٍ أو راهب

وأتوبُ ممـا تكْرهين لِتَقْبلى * واللهُ يقبل حُسنَ فعل التائب

الغناء لحَكَم خفيفُ ثقيل عن إسحاق . وفيه ليحيي المكىّ ثقيلٌ أوّلُ من كتابه . وفيه لحسين بن مُحْرِز رمل عن الهشامى

ومنهـا :

صـــوت

يا عبـد حبُّك شفّنى شَفّا * والحبُّ داءٌ يُورث الحَتْفَا

والحبُّ يُخفيه المحبّ، لكى * لا يُستراب به، وما يخفَى

الغناء لِسيّاط خفيفُ رملٍ مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها :

صــــوت

يا عبـــد بالله فرِّجى كُرَبِى * فقـــد برانى وشفَّنى نَصَبى
وضِقْتُ ذَرْعًا بما كَلِفتُ به * من حُبّكم والمحبُّ فى تعب
ففــرِّجى كُرْبةً شَجيتُ بهــا * وحَرَّ حُزْنٍ فى الصدر كاللّهَب
ولا تَظُنِّى ما أشـــتكى لَعِبًا * هيهات قد جلّ ذا عن اللعب

٥١ / ٦ غنّاه سِيَاطٌ ثقيلا أوّل بالبنصر عن عمرو .

ومنها :

صــــوت

يا عبـــد زُورِينى تَكُنْ مِنّةً * لله عنـــدى يومَ ألقـــاك
والله ثُمّ الله فاستيقنى * إنى لأرجوكِ وأخشـــاك
يا عبـــد إنى هالكٌ مُدْنَفٌ * إنْ لم أذُق بَرْدَ ثناياك
فلا تَرُدِّى عاشقًا مُـــدْنَفًا * يرضَى بهذا القدرِ من ذاك

الغناء لحَكَمٍ هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها :

صــــوت

يا عبد قد طال المِطالُ فأنعِمى * وآشــفِى فــؤادَ فتًى يَهِيم مُتيَّمِ

الغناء ليزيدَ حَوْرَاءَ غيرُ مجنّس عن إبراهيم .

ومنها :

صــــوت

يا عبـــد هل لِلقـــاء مِنْ سَبَبِ * أوْ لَا فادعو بالويل والحَـــرَب

الغناء ليزيد حوراء غير مجنّس .

ومنها :

صــــوت

يا عبد هـلْ لى منكمُ مِنْ عائدِ * أَمْ هل لديكِ صلاحُ قلبٍ فاسدِ

الغناء لابن عبّاد عن إبراهيم غير مجنّس .

ومنها :

صــــوت

يا عبـد حيِّ عنِ قريبِ * وتأمَّـلى عينَ الرقيبِ
وارْعَىْ وِدَادى غائبًا * فلقـد رَعَيتُكِ فى المَغيب
أشكو إليـكِ وإنّما * يشكو المُحبّ إلى الحبيب
غَرَضِى[1] إليـك من الهوى * غرض المريض إلى الطبيب

الغناء لحَكَم مطلق فى مجرى البنصر .

ومنها :

صــــوت

يا عبـد بالله ارْحمى عَبْدكِ * وعلّلِيـه بمُنَى وَعْـدِكِ
يُصبح مكروبًا ويُمسى به * وَليس يدرِى ما له عنـدك
ماذا تقولين لربّ العُلا * إذا تخلّيت به وحـدك

الغناء لإبراهيمَ ثانى ثقيلٍ بالبنصر عن عمـرو . وفيه لإسحاق هَزَج من جامع أغانيه . وفيه ليزيدَ حَوْراءَ لحنٌ ذَكَره إبراهيم ولم يجنّسه . وذكر حَبَشٌ أنّ الثقيل الثانى لِسـيَاط .

---

(١) فى الأصول : «غرضا» .

ومنهـا :

صــــوت

يا عَبْـد جَلِّ كروبى * وأَسْـعِفى وأَثِيبى

فقـــد تَطَاول هَمّى * وزَفْـــرتى ونَحيبى

الغناء لابن سُكَّرة عن إبراهيم ولم يجنِّسه .

ومنهـا :

٥٢/٦ صــــوت

يا عبـــد أنتِ ذخيرتى * نفسى فَـدَتْكِ وجيرتى

اللهُ يعـلم فيكمُ * يا عبـد حسنَ سريرتى

نفسى لنفسكِ خُـلَّةٌ(١) * وكذاك أنت أميرتى(٢)

الغناء لحَكَم الوادى خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

ومنهـا :

صــــوت

يا عبـــد حُبِّى لكِ مستورُ * وكلّ حبّ غـــيره زُورُ

إنْ كان هجرى سَرَّكم فاهجروا * إنّى بمـا سَـرّك مسرور

الغناء لحكم هَزَج بالوسطى عن ابن المكىّ .

ومنهـا :

صــــوت

لم يَطُـلْ لَيلى ولكنْ لم أنمْ * ونَفَى عنّى الكَرَى طيفٌ أَلَمّْ

وإذا قلتُ لهـا جُودى لنـا * خرجتْ بالصمت عن لا ونعم

(١) الخلة (بالضم) : الخليلة . (٢) فى ح : « أسيرتى » .

رَفِّهِى يا عَبْــدُ عنّى وَٱعلمى * أنّنى يا عبــدُ من لحم ودم
إنّ فى بُرْدِى جسمًا ناحلًا * لو توكأتِ عليــه لٱنهدم
خَتَمَ الحبُّ لهـا فى عنـقٍ * موضعَ الخاتم من أهل الذمم

الغناء لحَكَم هَزَجٌ بالسبّابة والوسطى عن ابن المكّىّ. وذكره إسحاق فى هذه الطريقة فلم ينسُبه إلى أحد. وفيه لعَثْعَث الأسود خفيفُ رمل فى الأول والخامس. وكان بشّار يُنكر هذا البيتَ الأخير وهو :

* خَتَمَ الحب لها فى عُنَقٍ *

أنشده رجل بيتا له فأنكره

أخبرنى عمّى قال حدثنا الكُرانىّ قال حدّثنى أبو حاتم السِّجِسْتانىّ قال حدّثنى مَنْ أنشد بشّارًا قولَه :

* لم يَطُل لَيْلِى ولكنْ لم أَنَم *

حتى بلغ إلى قوله :

خَتَمَ الحبُّ لهـا فى عُنُقٍ * موضعَ الخاتَم مِنْ أهل الذمَمْ

فقال بشار : عمّن أخذتَ هذا؟ قلتُ: عَنْ راويتك فلان؛ فقال: قَبّحه الله! والله ما قلتُ هذا البيتَ قطُّ، أمَا ترى إلى أثره فيه ! ما أقبحَه وأشدَّ تميُّزَه عنّى! فقال له بعضُ من حضر: نعم، هو أَلْحقه بالأبيات .

ومنهـا :

صـــوت

عَبْــدُ إنّى قــد ٱعترفتُ بذَنْبى * فٱغفرى وٱعْرُكى[1] خَطاىَ بجَنْبٍ[2]
عبدُ لا صبرَ لى ولستُ ـ فمهلًا ـ * قائلًا قــد عَتَبتِ فى غير عَتْبِ

(١) فى جميع الأصول : «واعدلى» ، والظاهر أنها محرفة عما أثبتناه . يقال : عرك بجنبه ما كان من صاحبه، كأنه حكه حتى عفاه. وأصله من عرك الأديم إذا دلكه . (٢) فى جميع الأصول : «بجنبى» وهو تحريف .

ولقــد قلتُ حين أنصبنى الحبّ * فأبلَى جِسْمى وعذّب قلــبى
ربّ لا صبرَ لى على الهجر حَسْبِى * أَقِلْنى حَسْبى لكَ الحمدُ حسبى

الغناء لِسيَاطٍ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لسُلَيم هَزَجٌ من كتاب ابن المكىّ.

ومنهـا :

صــــوت

عبــد مُــنّى وأ * قــد ملكتم قِيادِيَهْ
شاب رأسى ولم تَشُبْ * ابــلاَئى لِدَائِيَــه[1]

الغناء لِسياط خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لَعرِيبَ هزج . ٥٣ / ٦

ومنهـا :

صــــوت

عبد يا هِمّتى[2] عليك السلامُ * فيم يُخـفَى حبيبُك المستهامُ
نزل الحبّ منزلاً فى فؤادى * وله فيــه مجلسٌ ومقام

الغناء لأبى زَكّار خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه لعَرِيبَ هَزَجٌ[3] .

ومنهـا :

صــــوت

عبــد ياقُــرّةَ عينى * أنصفى، رُوحى فداكِ
عاشق ليس لــه ذِكـ * ـرٌ ولا هــمٌّ ســواكِ

الغناء لعَرِيبَ هَزَجٌ . وفيه لحن ليَزيدِ حَوْراء غير مجنّس .

---

(١) فى جميع الأصول : «لدائيه» . والظاهر أنها محرفة عما أثبتناه . (٢) الهمة (بالكسر ويفتح) : الهوى . (٣) فى حـ : «رمل» .

ومنهـا :

صـــوت

يا عَبْـد يا جافيةً قاطعه * أمَا رَحِمتِ المُقْلَةَ الدامعهْ
يا عبد خافِ اللهَ فى عاشقٍ * يهواكِ حتى تَقَع الواقعـه

الغناء لأبى زَكّار هَزَجٌ بالبنصر عن عمرو .

صـــوت
من المـائة المختـارة

أَزْمَاتْ أُمّ جعفــر لا تزورُ * ليتَ شعرى بالغيب مَنْ ذا دهاها
أأتاهـا محــرِّش بَنَمِيـمٍ * كاذبٌ ما أراد إلا ردَاها

١٠ عروضه من الخفيف — الشعر للأحوص . والغناء لأمّ جعفر المدنيّـة مولاة عبد الله بن جعفر بن أبى طالب . ولحنه من الثقيـل الأوّل فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لحناً[1] من الثقيل الأوّل بالبنصر، فلا أعلم أهذا يعنى[2] أم غيره . وفيه لابن سريج ثانى ثقيل بالبنصر فى مجراها عن يحيى المكّىّ و إسحاق . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو والهشامىّ .

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «...أن فيه لحنا لمعبد من الثقيل...» بزيادة كلمة «معبد» . ولا يستقيم المعنى بذكرها .

(٢) فى الأصول : «يغنى» بالغين المعجمة ، وهو تصحيف .

أخبار الأحوص مع أم جعفر

أم جعفر التى كان يشبب بها الأحوص ونسبها

وقد ذُكِرتْ أخبارُ الأحوص مُتَقَدِّما إلا أخبارَه مع أمّ جعفر التى قال فيها هذا الشعر فإنها أُخِّرت إلى هذا الموضع . وأمّ جعفر هذه آمرأة من الأنصار من بنى خَطْمة(١)، وهى أمّ جعفر بنت عبد الله بن عُرْفُطة بن قَتَادة بن معَدّ بن غِياث بن رِزاح بن عامر بن عبد الله بن خَطْمة بن جُشَم بن مالك(٢) بن الأوْس . وله فيها أشعار كثيرة .

تشبيب الأحوص بأم جعفر وتوعد أخيها أيمن له

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلّبى قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى يعقوب بن القاسم ومحمد بن يحيى الطَّلْحى عن عبد العزيز آبن أبى ثابت ، وأخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدثنى أحمد بن زُهَير عن مصعَب، وأخبرنى الحَرَمى بن أبى العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن المُحْرِز بن جعفر الدَّوْسىّ، قالوا جميعا :

٥٤/٦

لمّا أكثر الأحوصُ التشبيب بأمّ جعفر وشاع ذكْرُه فيها توعّده أخوها أَيْمَنُ وهدّده فلم يَنْتَه، فآستعدَى عليه والىَ المدينة — وقال الزبير فى خبره : فآستعدى عليه عمر بن عبد العزيز — فربطهما فى حبل ودفع إليهما سوطين وقال لهما : تجالدا ؛ فتجالدا فغلَب أخوها . وقال غير الزُّبَير فى خبره : وسلَح الأحوصُ فى ثيابه وهرَب وتَبِعه أخوها حتى فاته الأحوص هرباً . وقد كان الأحوص قال فيها :

---

(١) لقب خطمة لأنه ضرب رجلا على أنفه فخطمه . (٢) كذا فى شرح القاموس مادة خطم وكتاب الاستبصار فى أنساب الأنصار ص ١٤٦ المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٤٩ تاريخ) . وفى جميع الأصول : «... خطمة بن مالك بن جشم بن الأوس» وهو تحريف .

لقــد منعتْ معروفَها أُمُّ جعفرٍ * وإنّى إلى معــروفها لفقيرُ
وقد أنكرتْ بعدَ اعترافٍ زيارتى * وقــد وَغِرتْ فيها علىّ صدور
أَدُورُ ولولا أنْ أرى أمَّ جعفــرٍ * بأبياتكم ما درتُ حيث أدور
أزور البيوتَ اللاصقاتِ بيتهــا * وقلبى إلى البيت الذى لا أَزُور
وما كنتُ زَوّارا ولكن ذا الهوى * إذا لم يُزَرْ لا بدّ أن سيزور
أزور على أن لست أنفكُّ كلّما * أتيتُ عــدوًّا بالبنان يُشير

فقال السائب بن عمرو، أحد بنى عمرو بن عَوْف، يعارض الأحوصَ فى هذه الأبيات ويعيّره بفراره :

لقد منع المعروفَ من أم جعفر * أخو ثقةٍ عنــد الجلاد صَبورُ
عَلاكَ بمَتْن السوطِ حتى اتّقيتَه * بأصــفرَ من ماء الصِّفاق[1] يفــور

فقال الأحوص :

إذا أنا لم أغفِــر لأيمَنَ ذنبَــه * فمن ذا الذى يعفو له ذنبَه بعدى
أريد انتــقامَ الذنب ثم تَرُدّنى * يدٌ لأدانيــه مباركةٌ عنــدى

وقال الزبير فى خبره خاصّــة : وإنما أعطاهما عمرُ بن عبد العزيز السوطين وأمرهما أن يتضاربا بهما اقتــداءً بعثمان بن عفان؛ فإنه كان لمــا تَهاجى سالم بن دارة ومُرّة ابن واقع الغَطَفانى الفَزارى لزّهما عثمان بحبل وأعطاهما سوطين فتجالدا بهما .

وقال عمر بن شَــبّة فى خبره : وقال الأحوص فيها[2] أيضا — وقد أنشدنى على ابن سليمان الأخفش هذه الأبيات وزاد فيها على رواية عمر بن شَبّة بيتين فأضفتهما إليهــا — :

(١) الصفاق : جمع صفق (بالتحريك) وهو الأديم الجديد يصب عليه المــاء فيخرج منه ماء أصفر، واسم ذلك المــاء : الصفق (بسكون الفاء وفتحها) . (٢) فى جميع الأصول : «فيه» وهو تحريف .

وإنى ليدعونى هوى أمّ جعفر * وجاراتها من ساعةٍ فأجيبُ
وإنى لآتى البيتَ ما إن أحبُّه * وأُكثر هجرَ البيت وهو حبيب
وأُغضِى على أشياء منكم تسوءنى * وأُدعَى إلى ما سَرّكم فأجيب
هَبِينى امرأً إمّا بريئًا ظلمتِه * وإمّا مُسيئًا مذنبًا فيتوب
فلا تتركى نفسى شَعاعًا فإنها * من الحزن قد كادت عليك تذوب
لك اللهُ إنى واصلٌ ما وصلتِنى * ومُثنٍ بما أوليتِنى ومُثيب
وآخُذُ ما أعطيتِ عفوًا وإننى * لأَزْوَرُ عما تكرهين هَيوب

هكذا ذكره الأخفش فى هذه الأبيات الأخيرة، وهى مروية للمجنون فى عدة
٥٥/٦ روايات، وهى بشعره أشبه . وفى هذه الأشعار التى مضت أغانٍ نسبتها :

صوت

أُدور ولولا أن أرى أمّ جعفر * بأبياتكم ما درتُ حيث أدورُ
أدور على أن لستُ أنفكّ كلما * أتيتُ عدوًا بالبَنان يُشير

الغناء لمَعْبد، وله فيه لحنان[1] : ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن عمرو . ولإسحاق فيهما وفى قوله :

* أزور البيوتَ اللاصقات بيتَها *

وبعده :

* أدور ولولا أن أرى أمّ جعفر *

لحنَ من الرمل. وفى البيتين اللذين فيهما غناء معبد للغريض ثقيلٌ أوّل عن الهشامى، ولإبراهيم خفيف ثقيل . وفيه لحن لشارِية عن ابن المعتز ولم يذكر طريقته .

(١) لم يذكر فى الأصول اللحن الثانى .

إذا أنا لم أغفِـــر لأيْمَنَ ذنبَه * فمَنْ ذا الذى يعفو له ذنبَه بعدى
أُريد مكافاةً له وتَصُـــدّنى * يدٌ لأَدانيـــه مباركةٌ عنـــدى

الغناء لمَعْبد ثانى ثقيـلٍ بالوسطى عن يحيى المكىّ، وذكر غيرُه أنه منحول يحيى إلى معبد . وفيه ثقيلٌ أوّل ينسب إلى عَرِيبَ و رَوْنق .

ومنها وهو :

صـــوت
من المـائة المختـارة

و إنى لآتِى البيتَ ما إن أُحبُّــه * وأُكثر هجـرَ البيت وهو حبيبُ
وأُغضى على أشياءَ منكم تسوءنى * وأُدعَى إلى ما ســرّكم فأُجيب
وما زلتُ من ذكراكِ حتى كأننى * أَمِـيمٌ[1] بأَفْيَـاءِ[2] الديار سَـلِيب[3]
أَبُثُّـك ما ألقَى وفى النفس حاجةٌ * لهـا بين جِلْدى والعظام دَبِيب
لكِ اللهُ إنّى واصـلٌ ما وصلتِنى * ومُثْنٍ بمـا أوليتِنى ومُثيب
وآخُذ ما أعطيتِ عفـوًا و إننى * لأَزْوَرُ عمـا تكرهين هَيوب
فلا تتركى نفسى شَـعاعًا فإنهـا * من الحزن قد كادت عليك تذوب

الشعر للأحوص . ومن الناس من ينسُب البيت الخامسَ وما بعده إلى المجنون . والغناء فى اللحن المختار لدَحْمان ، وهو ثقيـلٌ أوّلُ مطلقٌ فى مجـرى البنصر . وذكر الهشامىّ أن فى الأبيات الأربعة لآبن سُرَيج لحنًا من الثقيل الأوّل، فلا أعلم ألحنَ دَحْمانَ عَنَى[4] أم ثقيلًا آخر . وفى :

(١) الأميم : المشجوج الرأس وقد يستعار لغير الرأس قال :

قلبى من الزفرات صدّعه الهوى * وحشاى من حرّ الفـراق أميم

(٢) فى حـ : « بأفياء » . وفى سائر الأصول : «بأفناء» . وظاهر أن كلهما مصحف عما أثبتناه .

(٣) السليب : المستلب العقل . (٤) فى جميع الأصول : «غنى» بالغين المعجمة، وهو تصحيف .

لكِ الله إنى واصلٌ ما وصلتِنى * ومُثْنٍ بما أوليتِنى ومُثيب

لإسحاق ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيها لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى .

لما أكثر من ذكر أم جعفر عرضت له فى أمر خلف أمام الناس أنه لا يعرفها

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى محمد بن حسن؛ قال الزُّبَير وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهرىّ عن مُحْرِز :

أنّ أمّ جعفر لمّا أكثر الأحوصُ فى ذكرها جاءت منتقِبةً(١)، فوقفت عليه فى مجلس قومه ولا يعرفها، وكانت آمرأةً عفيفة ؛ فقالت له : اقضِ ثمن الغنم التى آبتعتَها منّى؛ فقال : ما آبتعتُ منكِ شيئًا. فأظهرتْ كتابًا قد وضعتْه عليه و بكتْ وشكت حاجةً وضُرًّا وفاقةً وقالت : يا قوم، كلّموه. فلامه قومُه وقالوا : اقضِ المرأةَ حقَّها؛ فجعل يحلف أنه ما رآها قطُّ ولا يعرفها . فكشفتْ وجهَها وقالت : ويْحك ! أمَا تعرفنى! فجعل يحلف مجتهدًا أنه ما يعرفها ولا رآها قطُّ . حتى إذا استفاض قولُها وقولُه وآجتمع الناسُ وكثُروا وسمِعوا مادار وكثُر لَغَطُهم وأقوالُهم ، قامت ثم قالت : أيها الناس، أسكتوا . ثم أقبلت عليه وقالت : يا عدوّ الله ! صدقتَ، والله مالى عليك حقّ ولا تعرفنى، وقد حلفتَ على ذلك وأنت صادق، وأنا أمّ جعفر وأنت تقول : قلت لأمّ جعفر وقالت لى أم جعفر فى شعرك ! فخجِل الأحوص وآنكسر عن ذلك و برِئتْ عندهم .

٥٦/٦

سمع أبو السائب المخزومى شعرا له فطرب

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير ، وأخبرنى به محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا ثَعْلَب قال حدّثنا الزُّبَير عن عبد الملك بن عبد العزيز قال :

أنشدتُ أبا السائب المخزومىّ قولَ الأحوص :

لقد منعتْ معروفَها أمُّ جعفر * وإنّى إلى معروفها لفقيرُ

(١) انتقبت المرأة وتنقبت : وضعت النقاب على وجهها .

فلما آنتهيتُ إلى قوله :

أزور على أن لست أنفكُّ كلّما * أتيتُ عدوّا بالبنان يُشير

أَعجبه ذلك وطَرِب وقال : أتدرى يآبنَ أخى كيف كانوا يقولون! الساعةَ دخل، الساعةَ خرج، الساعةَ مرّ، الساعةَ رجَع، وجعل يُومئ بإبهاميه إلى وراء منكبيه وبسبّابته(١) إلى حِيال وجهه ويقلبها، يحكى ذهابَه ورجوعَه .

صوت
من المائة المختارة

صاح قد لُمْتَ ظالمَا * فآنظرِ آنْ كنتَ لائمَا

هل ترى مثلَ ظَبْيةٍ * قَلَّدوها التمائما

الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء فى اللحن المختار لمالكٍ خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وأخبرنى ذُكاء وجه الرزّة أن فيه لعَريبَ رملاً بالبنصر، وهو الذى فيه سَجْحة . وفيه لآبن المكّىّ خفيفُ ثقيلٍ آخرُ بالوسطى . وزعم الهشامىّ أن فيه خفيفَ رمل بالوسطى لابن سُرَيج، وقد سمعها(٢) ممن يغنّيه . وذكر حَبَش أنّ فيه رملًا آخر للغَريض . ولعاتكةَ بنت شُهْدة فيه خفيفُ ثقيل ، وهو من جيِّد صنعتها ، وذكر جَحْظة عن أصحابه أن لحنها الرملَ هو اللحن المختار، وأن إسحاق كان يقدّمها ويستجيدها(٣) ، ويزعم أنه أخذه عنها . وقال ابن المعتزّ : حدّثنى أبو عبد الله الهشامىّ : أنّ عَريب صنعتْ فيه لحنها الرمل بعد أن أفضت الخلافةُ إلى المعتصم ، فأعجبه وأمرها أن تطرحه على جواريه ، ولم أسمع بَشَرًا قطُّ غنّاه أحسنَ من خِشْف الواضحيّة

(١) لعله : « وبسبابتيه ... ويقلبهما الخ » . (٢) لعله : « وقد سمعه » أى اللحن .
(٣) فى حـ : « ويستجيده » .

وكل أخبار هؤلاء المغنّين قد ذُكِرتْ ، أوْ لها[1] موضع تُذكر فيه ، إلا عاتكة بنت شُهْدة فإن أخبارَها تذكر هاهنا ؛ لأنه ليس لها شىء أعرفه من الصنعة فأذكرَه غير هذا . وقد ذكر جَحْظة عن أصحابه أن لحنَها هو المختار فوجب أن نذكر أخبارها معه أسوةَ غيرها .

* * *

عاتكة بنت شهدة وشىء من أخبارها

٥٧
―
٦

كانت عاتكة بنت شُهدة مدنيّة . وأمُّها شُهْدة جارية الوليد بن يزيد ، وهو الصحيح . وكانت شهدة مغنّية أيضا .

غنى ابن داود الرشيد صوتا لأمها فطرب

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولِىّ قال حدّثنا العَلَاء قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفلىّ قال حدّثنى عبد الله بن العبّاس الرَّبيعىّ عن بعض المغنّين قال :

كنّا ليلةً عند الرشيد ومعنا ابنُ جامع والموصلىّ وغيرُهما ، وعنده فى تلك الليلة محمد بن داود بن إسماعيل بن علىّ ؛ فتغنَّى المغنّون ، ثم آندفع محمد بن داود فغنّاه بين أضعافهم :

صوت

أمَّ الوليد سَلَبْتِنى حِلْمِى * وقتلتِنى فتحوّفى إثْمى
بالله يا أمّ الوليد أمَا * تخشَيْن فىّ عواقبَ الظلم
وتركتِنى أبغى[2] الطبيبَ وما * لطبيبنا بالداء من عِلْمْ
خافى إلهكِ فى آبن عمّكِ قد * زوّدتِه سُقْمًا على سُقم

قال : فآستحسن الرشيد الصوت وآستحسنه جميعُ من حضره وطرِبوا له . فقال له الرشيد : يا حبيبى ، لمن هذا الصوت؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، سَلْ هؤلاء المغنّين

(١) فى جميع الأصول : « أولها فى موضع ... الخ » . والظاهر أن كلمة « فى » مقحمة .
(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « أبغى » ، وهو تصحيف .

لمن هو . فقالوا : والله ما ندرى ، وإنه لَغريبٌ . فقال : بحياتى لمن هو؟ فقال : وحياتِك ما أدرى إلا أنّى أخذتُه من شُهْدة جاريةِ الوليد أمّ عاتكة بنت شُهْدة . هذا الشعر المذكور لابن قيس الرُّقَيَّات، والغناء لابن مُحْرِز، وله فيه لحنان، أحدهما ثقيل أوّل بالخنصر فى مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه لسُلَيم خفيف رمل بالبنصر . ولحُسين بن مُحْرِز ثقيل أوّل عن الهشامىّ وحَبَش .

كانت ضاربة مجيدة وعنها أخذ إسحاق الموصلىّ

أخبرنى محمد بن مَزْيد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنه ذكر عاتكة بنت شُهْدة يومًا فقال :

كانت أضربَ مَنْ رأيتُ بالعود، ولقد مكثتُ سبعَ سنين أختلف إليها فى كل يوم فتُضاربنى ضربًا أو ضربين، ووصل إليها منّى ومن أبى أكثرُ من ثلاثين ألف درهم بسببى : دراهمَ وهدايا .

ماتت بالبصرة، وقصتها مع ابن جامع عند الرشيد

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال :

كانت عاتكة بنت شُهْدة أحسنَ خَلْق الله غناءً وأرْواهم، وماتت بالبصرة . وأمّها شُهْدة نائحة من أهل مكة . وكان ابن جامع يَلُوذ منها بكثرة الترجيع . فكان إذا أخذ يتزايد فى غنائه قالت له : إلى أين يا أبا القاسم ! ما هذا الترجيع الذى لا معنى له ! عُدْ بنا إلى معظم الغناء ودَعْ من جنونك . فأضجرته يومًا بين يدى الرشيد فقال لها : إنى أشتهى، عَلِم الله، أنْ تحكّ شِعْرتى بشعرتك . فقالت : آخسأْ، قطع الله ظهرَك ! ولم تَعُد لأذاه بعدها .

غنت جارية بشعر فعارضتها هى وذمت بندارا الزيات

أخبرنى حَبيب بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: قال لى علىّ بن جعفر بن محمد :

دخلت على جوارى المروانىّ المغنيات بمكة ، وعاتكة بنت شُهْدة تطارحهنّ لحنها :

ياصاحبىّ دعَا الملامةَ وآعلما * أنّ الهوى يَدَع الكِرامَ عَبيدَا

فجعلتْ واحدةٌ منهنّ تقول: "يدع الرجالَ عَبيدا". فصاحت بها عاتكةُ بنت شُهْدة: ويلكِ ! بُنْدارٌ الزيات العاضُّ بظرَ أمه رجل ! أفَمِنَ الكرام هو ! . قال : فكنتُ إذا مرّ بى بُندار أو رأيتُـه غلبنى الضحك فأستحيى منه وآخُذ بيـده وأجعل ذلك بشاشةً، حتى أَوْرث هذا بينى وبينه مقاربةً، فكان يقول: أبو الحسن علىُّ بن جعفر صديقٌ لى .

٥٨/٦

علمت مخارقا الغناء وهو مولى لها

وكان مخارق مملوكًا لعاتكة ، وهى علّمتْـه الغناء ووضعت يده على العود ، ثم باعته، فانتقل من مِلْك رجل إلى مِلك آخر حتى صار إلى الرشـيد . وقد ذُكر ذلك فى أخباره .

صــــوت

من المـائة المختـارة

ولو أنّ ما عندَ آبنِ بُجْرةَ عندها * من الخمر لم تَبْلُلْ لَهَـاتى[(1)] بناطِلِ
لعمرى لأنتَ[(2)] البيتُ أُكرِمُ أهلَه * وأقعُد فى أفيـائه[(3)] بالأصـائل[(4)]

---

(1) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . (2) كذا فى س . وفى سائر الأصول : «لآتى البيت» . (3) كذا فى شرح ديوانه رواية أبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١٩ أدب ش) وديوان الهذليين المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٦ أدب ش) ولسان العرب (مادتى «فيأ» و «أصل») . والأفياء : جمع فىء، وهو الظل، ولا يكون الفىء إلا بالعشىّ . وفى جميع الأصول : «أفنائه» (بالنون) وهو تصحيف .
(٤) الأصائل : العشيات .

عروضه من الطويل . الشعر لأبى ذُؤَيب الهُذَلىّ . والغناء لحَكَمٍ الوادىّ ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر فى مجراها . ابن مُحْرِزة هــذا ، فيما ذكره الأصمعىّ ، رجل كان يَبيع الخمرَ بالطائف ، وزعم أن الناطل كوزٌ تُكال به الخمر . وقال ابن الأعرابى : ليس هذا بشىء ، وزعم أن الناطل : الشىء ؛ يقال : ما فى الإناء ناطل ، أى شىء . وقال أبو عمرو الشَّيْبانى : سمعتُ الأعراب يقولون : الناطل : الجُرْعة من المـاء واللبن والنبيذ . انتهى .

ذكر أبى ذُؤَيب وخبره ونسبه

نسبه وإسلامه وموته

هو خُوَيلد بن خالد بن مُحَرِّث[1] بن زُبَيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهِل بن الحارث بن تَمِيم[2] بن سعد بن هُذَيل بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر بن نِزار. وهو أحد المخضرَمين ممن أدرك الجاهليّة والإسلام، وأسلم فحَسُن إسلامُه. ومات فى غَزَاة إفْرِيقيّة.

رأى ابن سلام فيه وشهادة حسان له

اخبرنى أبو خَلِيفة قال حدّثنا محمد بن سلّام قال:

كان أبو ذُؤَيب شاعرًا فَحْلًا لا غَمِيزة[3] فيه ولا وَهْن.

وقال ابن سلّام[4]: قال أبو عمرو بن العلاء:

سُئل حسّان بن ثابت: مَنْ أشعر الناس؟ قال: أحَيًّا أم رجلًا[5]؟ قالوا: حيًّا؛ قال: أشعرُ الناس حيًّا هُذَيل، وأشعر هذيل غيرَ مُدَافع أبو ذُؤَيب. قال ابن سلام: ليس[6] هذا من قول أبى عمرو ونحن نقوله.

اسمه بالسريانية مؤلف زورا

أخبرنى أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سلّام قال أخبرنى محمد بن مُعاذ العُمَرىّ قال:

---

(١) كذا فى تجريد الأغانى والاستيعاب (ج ٢ ص ٦٦٥). وكذلك صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطى بخطه على هامش نسخته. وفى جميع الأصول: «محرز». (٢) كذا فى طبقات الشعراء لابن سلام (ص ٢٩ طبع أوربا) والاستيعاب ونسخة الشنقيطى مصححة بخطه. وفى جميع الأصول: «غنم». (٣) الغميزة: المطعن. (٤) فى الأصول: «وقال أبو عمرو بن العلاء قال ابن سلام ... الخ» وهو تحريف. فإن ابن سلام هو المتأخر وهو الذى ذكر قول أبى عمرو بن العلاء فى كتابه طبقات الشعراء. (٥) عبارة ابن سلام فى الطبقات: «قال: حيا أو رجلا ...». وفى ب، س: «أم قال رجلا ... الخ». بزيادة «قال». وهو تحريف. (٦) هذه العبارة غير واضحة هنا، وهى واضحة فى كتاب الطبقات لابن سلام، إذ فيه بعد ذكر الخبر: «ابن سلام يقوله». يريد أن ابن سلام يؤيد ما رواه أبو عمرو بن العلاء.

فى التّوراة : أبو ذؤيب مؤلف زورا ، وكان اسم الشاعر بالسريانية "مؤلف زورا". فأخبرتُ بذلك بعضَ أصحاب العربيّة(١)، وهو كثير بن إسحاق، فعجب منه وقال : قد بلغنى ذاك . وكان فصيحًا كثيرَ الغريب متمكّنًا فى الشعر .

تقدّم شعراء هذيل بقصيدته العينية

قال أبو زيد عمر بن شبّة :

تقدّم أبو ذؤيب جميعَ شعراء هُذيل بقصيدته العينيّة التى يَرْثى فيها بَنِيه . يعنى قولَه :

أمِنَ المَنون ورَيْبِــه تتوجّع * والدهر ليس بمُعْتِب من يَجْزَعُ

وهذه يقولها فى بنينَ له خمسةٍ أُصيبوا فى عام واحد بالطاعون ورثاهم فيها . وسنذكر جميع ما يُغَنّى فيه منها على أثر أخباره هذه .

خرج مع عبد الله ابن سعد لغزو إفريقية وعاد مع ابن الزبير فات فى مصر

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن مصعب الزُّبيرى، وأخبرنى حَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى قال :

كان أبو ذُؤيب الهُـذَلىّ خرج فى جُند(٢) عبد الله بن سَـعْد(٣) بن أبى سَرْح أحد بنى عامر بن لؤىّ إلى إفريقية سنة ستّ وعشرين غازيًا إفْرِنْجَة فى زمن عثمان . فلما

(١) فى حـ : «أصحاب المدينة» . (٢) وكان ضمن جند عبد الله أيضا معبد بن العباس بن عبد المطلب ومروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية والحارث بن الحكم أخوه والمسور بن مخرمة بن نوفل وعبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعاصم بن عمر وعبيد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن عمرو بن العاص وبسر بن أبى أرطاة بن عويمر العامرى . (راجع فتوح البلدان للبلاذرى) .

(٣) هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى ، وكان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارتدّ عن الإسلام ولحق بالمشركين بمكة . وكان معاوية بن أبى سفيان بمكة قد أسلم وحسن إسلامه فاتخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتبا للوحى بعد ابن أبى سرح . فلما فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة استجار عبد الله بن سعد بدار عثمان رضى الله عنه فأخذ له عثمان الأمان من النبى صلى الله عليه وسلم . وكان ابن أبى سرح أخا لعثمان من الرضاعة ، فحسن إسلامه من ذلك الوقت . فلما أفضت الخلافة إلى عثمان رضى الله عنه ولاه على ملك مصر وجندها سنة ٢٥ هـ فكان يبعث المسلمين فى جرائد الخيل فيغيرون على أطراف إفريقية . فكتب إلى عثمان يخبره بما نال المسلمون من عدوهم ، فكان ذلك السبب فى توجيه الجيش إليه وتقديمه عليه ودخوله به للغزو إلى إفريقية .

فتح عبدُ الله بن سعد إفريقية وما والاها بعث عبدَ الله بن الزبير — وكان فى جنده — بشيرًا إلى عثمان بن عفّان ، وبعث معه نفرًا فيهم أبو ذؤيب . ففى عبد الله يقول أبو ذؤيب : ٥٩ / ٦

فصاحبَ صدقٍ كسِيدِ الضَّرا * ءِ يَنْهَض فى الغزو نهضًا نجيحا[1]

فى قصيدة له . فلما قدِموا مصرَ مات أبو ذؤيب بها[2] . وقدِم ابنُ الزبير على عثمان ، وهو يومئذ ، فى قول ابن الزبير ، ابنُ ستّ وعشرين سنة ؛ وفى قول الواقدى ابن أربع وعشرين سنة . وبُشِّر عبد الله عند مَقْدَمه بخُبَيْب بن عبد الله بن الزبير وبأخيه عُرْوة بن الزبير ، وكانا وُلدا فى ذلك العام ، وخُبيب أكبرهما . قال مصعب : فسمعت أبى والزبيرَ بن خُبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يقولان :

وصف ابن الزبير لحرب إفريقية

قال عبد الله بن الزبير : أحاط بنا جُرْجير صاحب إفريقية وهو ملك إفْرِنجة فى عشرين ألفًا ومائة ألف ونحن فى عشرين ألفًا ؛ فضاق بالمسلمين أمرُهم واختلفوا فى الرأى ، فدخل عبد الله بن سعد فُسْطاطَه يخلو ويفكِّر . قال عبد الله بن الزبير : فرأيت عَوْرة من جُرْجير والناس على مَصَافّهم ، رأيته على بِرْذَوْن أشهبَ خَلْفَ أصحابه مُنقطِعًا منهم ، معه جاريتان له تُظِلّانه من الشمس بريش الطَّواويس .

---

(١) كذا ورد هذا البيت فى شرح ديوان أبى ذؤيب وقبله شعر يدل على هجر محبوبته له وإعراضها عنه الى غيره . يقول : فإن استبدلت بى إنسانا فاستبدلى بى مثل هذا الصاحب . والضراء : ما واراك من شجر . والسيد : الذئب . وأخبث مايكون من الذئاب سيد الضراء الذى تعوده . وقد صححه الأستاذ الشنقيطى بهذه الرواية فى هامش نسخته . وفى الأصول : « وصاحب صدق كسيد الغضى ... الخ » .

(٢) فى فتوح البلدان للبلاذرى (ص ٢٢٦ طبع أوربا) : أن أبا ذؤيب توفى بإفريقية فقام بأمره ابن الزبير حتى واراه فى لحده . ورواية البلاذرى تتفق مع ما ذكره ابن قتيبة فى طبقات الشعراء (ص ٤١٣ طبع أوربا) وابن الأثير فى الكامل (ج ٣ ص ٧٠ طبع أوربا) وابن حجر فى الإصابة (ج ٧ ص ٦٣ طبع مطبعة السعادة) . وسيذكر المؤلف فى هذه الترجمة أنه مات بأرض الروم ودفن بها .

فجئت فُسطاطَ عبد الله فطلبت الإذن عليه من حاجبه؛ فقال: إنه فى شأنكم وإنه قد أمرنى أن أُمسك الناسَ عنه. قال: فدُرتُ فأتيت مؤخّر فُسطاطه فرفعتُه ودخلت عليه، فإذا هو مُستلْقٍ على فراشه؛ ففزِع وقال: ما الذى أدخلك علىّ يا ابن الزبير؟ فقلت: إيهٍ وإيه! كلُّ أَزَبَّ نَفورٌ[1]! إنى رأيت عورةً من عدوّنا فرجوت الفرصةَ فيه وخَشِيت فواتَها، فاخرُجْ فاندُب الناسَ إلىّ. قال: وما هى؟ فأخبرته؛ فقال: عورةٌ لعمرى! ثم خرج فرأى ما رأيت؛ فقال: أيها الناس، انتدِبوا مع ابن الزبير إلى عدوّكم. فاخترتُ ثلاثين فارسًا، وقلت: إنى حاملٌ فاضربوا عن ظهرى فإنى سأكفيكم مَنْ ألقى إن شاء الله تعالى. فحملتُ فى الوجه الذى هو فيه وحملوا فذَبّوا عنّى حتى خرقتُهم[2] إلى أرض خالية، وتبيّنته فصمدْتُ صَمْدَه[3]؛ فوالله ما حسِب إلا أنى رسول ولا ظنّ أكثرُ أصحابه إلا ذاك، حتى رأى ما بى من أثر السلاح، فثنى بِرذَوْنه هاربًا، فأدركتُه فطعنته فسقط، ورميت بنفسى عليه، واتّقتْ جاريتاه عنه السيفَ فقُطعت يد إحداهما. وأجهزتُ عليه ثم رفعتُ رأسَه فى رُمحى، وجال أصحابُه وحَمل المسلمون فى ناحيتى وكبّروا فقتلوهم كيف شاءوا، وكانت الهزيمة. فقال لى عبد الله ابن سعد: ما أحدٌ أحقّ بالبشارة منك، فبعثنى إلى عثمان. وقدِم مروانُ[4] بعدى على عثمان

اشترى مروان خمس فىء إفريقية بمال فوضعه عثمان

(١) الأزب من الإبل: الذى يكثر شعر حاجبيه، ولا يكون الأزب إلا نفورا لأن الريح تضربه فينفر. وهذا مثل يضرب فى عيب الجبان. قاله زهير بن جذيمة لأخيه أسيد وكان أزب جبانا، وكان خالد بن جعفر بن كلاب يطلبه بذحل، وكان زهير يوما فى إبله يهنؤها ومعه أخوه أسيد، فرأى أسيد خالد بن جعفر قد أقبل فى أصحابه فأخبر زهيرا بمكانهم فقال له زهير: كل أزب نفور. وإنما قال له هذا لأن أسيدا كان أشعر (عن مجمع الأمثال للميدانى). (٢) كذا فى أكثر الأصول. وفى ب، س: «حتى حزقتهم» وهو تصحيف. وعبارة البيان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى المراكشى: «خرقت صفوفهم ... الخ». (٣) صمد صمد الأمر: قصد قصده. (٤) هو الخليفة مروان ابن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس أبو عبد الملك الخليفة، وهو ابن عم عثمان بن عفان رضى الله عنه وكاتبه؛ ومن أجله كان ابتداء فتنة عثمان رضى الله عنه وقتله. ثم انضم الى ابن عمه معاوية ابن أبى سفيان وتولى عدة أعمال الى أن وثب على الأمر بعد أولاد يزيد بن معاوية وبويع بالخلافة؛ فلم تطل مدته ومات فى أول شهر رمضان سنة ٦٥ هـ.

حين اطمأنّوا و باعوا المَغنم وقسّموه . وكان مروان قد صفَق[1] على الخُمس بخمسمائة ألف ، فوضعها عنه عثمان ، فكان ذلك مما تُكلِّم فيه بسببه . فقال عبد الرحمن بن حَنْبل[2] ابن مُلَيل — وكان هو وأخوه كَلَدة أخوى صَفْوان بن أميّة بن خَلَف لأمه ، وهى صَفيّة بنت مَعْمَر بن حبيب[3] بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح ، وكان أبوهما ممن سقط من اليمن إلى مكة — :

أَحْلِف[4] بالله جهد اليميـ * ـن ما ترك الله أمرًا سُدَى
ولكنْ خُلقتَ[5] لنا فتنةً * لكى نُبتلَى فيكَ[6] أو تُبتلى
دعوتَ الطَّريدَ[7] فأدنيتَه * خلافًا[8] لسنّة مَنْ قد مضى
وأعطيتَ مَرْوان[9] خُمس العبا * د ظلمًا لهم وحَمَيْتَ الحمَى ٦٠ / ٦

(١) الصفق : التبايع ، وهو من صفق اليد على اليد عند وجوب البيع . (٢) كذا فى حـ والاستيعاب فى ترجمة عبد الرحمن بن حنبل وأخيه كلدة بن حنبل . وفى سائر الأصول : « حسان » وهو تحريف .

(٣) كذا فى الاستيعاب والطبقات الكبرى لابن سعد (ج ٥ ص ٣٣٢ فى ترجمة صفوان بن أمية) . وفى جميع الأصول : «خبيب» بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف . (٤) فى الاستيعاب فى ترجمة عبد الرحمن : «وأحلف» وفى البيان المغرب : «سأحلف» . (٥) فى الاستيعاب : «جعلت» .

(٦) فى حـ : « بك » . (٧) الطريد : هو الحكم بن العاص بن أمية أبو مروان بن الحكم وعم عثمان بن عفان ، أسلم يوم الفتح . أخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة وطرده عنها فنزل الطائف ، ولم يزل بها مدّة خلافة أبى بكر وعمر إلى أن ولى عثمان فرده إلى المدينة وأعطاه مائة ألف درهم ، و بقى فيها إلى أن توفى فى آخر خلافة عثمان قبل القيام على عثمان بأشهر وكان ذلك مما نقموا على عثمان . واختلف فى السبب الموجب لنفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه فقيل : كان يتحيل و يستخفى و يسمع ما يسره رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كبار أصحابه فى مشركى قريش وسائر الكفار والمنافقين فكان يفشى ذلك عليه ، وكان يحكيه فى مشيته و بعض حركاته إلى أمور غيرها . (انظر الاستيعاب ج ١ ص ١٢٠ ، ١٢١ والمعارف لابن قتيبة ص ٩٧ وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٣٣٠ — ٣٣١) . (٨) فى الاستيعاب : * خلافا لما سنه المصطفى * (٩) ورد هذا البيت والذى بعده فى الاستيعاب هكذا :

وولّيت قرباك أمر العباد * خلافا لسنّة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس الغنيـ * ـمة آثرته وحميت الحمى

ومالًا أتاكَ به الأشعريّ * من الفيء أعطيتَه مَنْ دنا
وإنّ الأمينَيْن قد بيّنا * منارَ الطريق عليه الهدى
فما أخذا درهمًا غِيلةً * ولا قسّما درهمًا في هوى

قال : والمال الذي ذكر أن الأشعريّ جاء به مالٌ كان أبو موسى قَدِم به على عثمان من العراق، فأعطى عبدَ الله بن أَسِيد بن أبي العِيص منه مائة ألف درهم، وقيل: ثلثمائة ألف درهم ؛ فأنكر الناس ذلك .

ذكر ابن بجرة وخبره في قصيدة غنى في أبيات منها

أخبرني أحمد بن عُبيد الله قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن محمد بن يحيي عن عبد العزيز — أظنه ابن الدّراوَرْدي (١) — قال: ابن بَجُرة الذي ذكره أبو ذؤيب رجل من بني عُبيد بن عُويج بن عَدِيّ بن كعب من قُرَيش، ولم يسكنوا مكة ولا المدينة قَطّ، وبالمدينة منهم آمرأة، ولهم موالٍ أشهرُ منهم، يقال لهم بنو سجفان (٢) . وكان ابن بُجرة هذا خَمّارًا . وهذا الصوت الذي ذكرناه (٣) من لحن حَكَم الواديّ المختار من قصيدة لأبي ذؤيب طويلة . فمما يغنّى فيه منها :

صـــوت

أساءلتَ رَسْمَ الدار أم لم تُسائلِ * عن الحيّ أم عن عهده بالاوائلِ
عفا غيرَ رسم الدار ما إن تُبِينُه (٤) * وعفرِ ظباءٍ (٥) قد ثوَتْ في المنازلِ
فلو أنّ ما عند ابن بُجْرةَ عندها * من الخمر لم تَبْلُلْ لهاتي بناطلِ

(١) كذا في ب، س، حـ . وفي سائر الأصول : «أظنه ابن عمران» . وكلاهما روى عنه محمد بن يحيي الكناني أبو غسان . والدراوردي : نسبة الى دراورد، قرية من قرى فارس . وقيل : إنها قرية بخراسان، وقيل غير ذلك . (راجع تهذيب التهذيب والطبقات الكبرى لابن سعد) .

(٢) كذا في ب، س . وفي حـ : «بنو أسجفا» . وفي سائر الأصول : «بنو أسجفان» .

(٣) كذا في حـ . وفي سائر الأصول : «ذكره» .

(٤) في حـ : «أبينه» .

(٥) كذا في حـ . وفي سائر الأصول : «وغير ظبا» .

فتلك التى لا يَذهبُ الدهرَ حُبُّها * ولا ذِكْرُها ما أَرْزَمَتْ أُمُّ حائلِ (١)

غنّاه الغَرِيض ثقيلا أوّلَ بالوسطى . ويقال : إن لمَعْبَد فيه أيضا لحنا .

قوله : "أساءلتَ" يخاطب نفسه . ويروى : "عن السُّكْن أو عن أهله" (٢) . والسُّكْن . الذى (٣) كانوا فيــه . وقال الأصمعى : السكن : سكن الدار . والسكن : المنزل أيضا . ويروى : "عفا غيرَ نُؤْىِ الدار" . والنُّؤْى : حاجز يُجعل حول بيوت الأعراب لئلا يَصِل المطر إليها . ويروى — وهو الصحيح — :

* وأقطاعُ (٤) طُفْىٍ قد عَفَتْ فى المعاقلِ *

والطُّفْى : خُوص المُقْل . والمعاقل : حيث نزلوا فٱمتنعوا ، واحدها مَعْقِل . وواحد الطُّفْى : طُفْية . وأَرْزمتْ : حَنّت . والحائل : الأنثى . والسَّقْب : الذكر .

ومنهــا :

صـــــوت

وإنّ حديثًا منــكِ لو تَبْــذُلينه * جَنَى النحلِ فى ألبانِ عُوذٍ مَطافلِ

مَطافـــلَ أَبْكارٍ حَديثٍ نِتاجها * تُشاب بمــاءٍ مثلِ ماءِ المَفاصـــلِ

غنّاه ابن سُرَيج رملًا بالوسطى . جنى النحل : العسل . والعُوذ : جمع عائذ ، الناقة حين تضع فهى عائذ ، فإذا تَبِعها ولدُها قيل لها مُطْفِل . والمَفاصل : مُنْفَصَل (٥) السهل

(١) رواية هــذا الشطر فى ديوانه المخطوط وأمالى القالى (ج ١ ص ٢٢٣ طبـع دار الكتب المصرية) : « فتلك التى لا يبرح القلب حبها » . (٢) قال الأصمعى فى التعليق على هذا البيت فى شرح ديوانه : «السكن : أهل الدار سكانها ، والسكن : المنزل ... » . وترك كلمة السكن بدون شكل . والذى فى كتب اللغة أنــ السكن (بالفتح) : السـكان ، وهو جمـع لساكن كصحب وصاحب . (و بالضم و بالتحريك) : المسكن . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « الذين » وهو تحريف . (٤) أقطاع : جمع قطع (بالكسر) وهو ــ كالقطيع ــ : الغصن تقطعه من الشجرة . (٥) كذا صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطى بخطه على هامش نسخته . وفى الأصول : « منفتل » .

من الجبل حيث يكون الرَّضْراض[1]، والماء الذي يَسْتنقِع[2] فيها أطيبُ المياه. وتُشاب: تُخلط.

وأخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ: أن أبا ذؤيب إنما عَنَى بقوله: "مَطافل أَبْكار" أنّ لبن الأبكار أطيبُ الألبان، وهو لبنُها لأوّل بَطْن وضعتْ. قال: وكذلك العسل فإنّ أطيبَه ما كان من بِكر النحل. قال: وحدّثني كُرْدين قال: كتب الحجاج إلى عامله على فارس: ابعث إليّ بعَسل من عسل خُلّار[3]، من النحل الأبكار، من الدستفشار[4]، الذي لم تمسّه النار ٦١/٦

صوت من قصيدته العينية فأما قصيدته العينية التي فُضِّل بها، فمما يغنّى به منها:

صـــوت

أَمِنَ المَنونِ ورَيْبِها[5] تتوجّع * والدهرُ ليس بمُعْتِبٍ من يَجْزَعُ

قالت أُمامة[6] ما لجسمك شاحبًا * منذُ ابتُذِلتَ ومثلُ مالك يَنْفع

أم ما لجنبك لا يُلائم مضجعًا * إلا أقضّ عليك ذاك المضجَع

فأجبتُها أنْ ما[7] لجسمي أنّه * أودى بَنيّ من البلاد فودّعوا

---

(١) الرضراض: مادق من الحصى. (٢) كذا في حـ. ويستنقع: يجتمع. وفي سائر الأصول: «ينبع». (٣) خلار (كرمان): موضع بفارس ينسب إليه العسل الجيد. (٤) الدستفشار: لفظة فارسية، معناها: ما عصرته الأيدي وعالجته. (٥) كذا في ديوانه وفيما سيأتي في جميع الأصول. وفي جميع الأصول هنا وفيما مر: «وريبه». والمنون يذكر ويؤنث، فمن أنث حمله على المنية، ومن ذكر حمله على الموت. ويحتمل أن يكون التأنيث راجعا إلى معنى الجنسية والكثرة، وذلك لأن الداهية توصف بالعموم والكثرة والانتشار. وقيل: إن من ذكر المنون أراد به الدهر. وقد روى في اللسان (مادة منن) بالتذكير وذكر فيه التأنيث رواية عن ابن سيدة وقد شرح أبو الفرج ذلك في الصفحة التالية. (٦) في شرح ديوانه: «أميمة». (٧) كذا في ديوانه. ويريد أن الذي بجسمي هو غمي لذهاب ولدي وتقادهم، فهذا الذي ترين بجسمي لذلك. (راجع شرح ديوانه). وفي ب، سـ: «أما لجسمك». وفي سائر الأصول: «أم ما لجسمك».

عروضه من الكامل . غنّاه ابن مُحرِز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر فى مجراها . قال الأصمعىّ : سُمِّيت المَنون منوناً لأنها تذهب بمُنّة كل شئ وهى قوّته . ورَوَى الأصمعى : «ورَيْبه» فذَكَّر المَنون . والشاحب : المُغيَّر المهزول . يقال : شَحُب يشحُب . ابتُذلتَ : امتَهنْتَ نفسَك وكَرِهتَ الدعةَ والزينة ولَزِمت العملَ والسفر ومثلُ مالك يُغْنيك عن هذا ، فاشْتَرِ لنفسكَ مَنْ يكفيك ذلك ويقوم لك به . ويلائم : يوافق . أَقَضّ عليك أى خشُن فلم تستطع أن تضطجع عليه . والقَضَض : الرمل والحصى . قال الراجز :

إنّ [(١)] أُحَيحًا [(٢)] مات من غير مَرَض * ووُجْدَ فى مَرْمَضه حيث ارْتَمض
* عَسَاقِلٌ [(٣)] وجِبَأٌ فيها قَضَض *

وودّعوا : ذهبوا . استُعمل ذلك فى الذهاب لأن من عادة المفارق أن يودّع .

طلب المنصور قصيدته العينية فلم يعرفها أحد من أهله وعرفها مؤدب فأجازه

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنى أحمد بن عمر النحوىّ قال حدّثنى أبى عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن ابن عياش قال :

لمّا مات جعفرُ بن المنصور الأكبرُ مشى المنصور فى جنازته من المدينة [(٤)] إلى

---

(١) كذا فى لسان العرب مادتى « جبأ ورمض » . وفى ب ، سـ : « إن احتجامايك عن ... الخ » . وفى سائر الأصول : « ان احتجاماتك » . وكلاهما تحريف .

(٢) ارتمض الرجل من كذا ، أى اشتدّ عليه وأقلقه .

(٣) العساقل : ضرب من الكمأة ، وهى الكمأة الكبار البيض يقال لها شحمة الأرض . والجبء (بالفتح) : الكمأة السود . والسود خيار الكمأة . فجبأ (بكسر ففتح) يجوز أن يكون جمع جبء كجبأة (بكسر ففتح أيضا) وهو نادر ، ويجوز أن يكون المراد جبأة ، فحذفت الهاء للضرورة ، ويجوز أن يكون اسما للجمع . (عن اللسان مادة جبأ) .

(٤) يريد بغداد .

مقابر قريش[1]، ومشى الناسُ أجمعون معه حتى دفَنَه، ثم آنصرف إلى قصره. ثم أقبل على الربيع[2] فقال: يا ربيع، أنظُر مَنْ في أهلي يُنشدني:

* أَمِنَ المنون ورَيْبِها تتوجّع *

حتى أتسلّى بها عن مُصيبتي. قال الربيع: فخرجتُ إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حُضور، فسألتُهم عنها، فلم يكن فيهم أحدٌ يحفظها، فرجعتُ فأخبرته؛ فقال: والله لمصيبتي بأهل بيتي ألّا يكون فيهم أحدٌ يحفظ هذا لِقِـلّة رغبتهم في الأدب أعظمُ وأشـدّ عليّ من مُصيبتي بآبني. ثم قال: أُنظُر هل في القوّاد والعَوَامّ من الجند مَنْ يعرفها، فإني أحبّ أن أسمعها من إنسان يُنشدها. فخرجتُ فآعترضت الناسَ فلم أجد أحدًا يُنشدها إلا شيخًا كبيرا مؤدِّبا قد آنصرف من موضع تأديبه، فسألتـه: هل تحفظ شيئًا من الشعر؟ فقال: نعم، شِعْر أبي ذُؤَيب. فقلت: أَنْشِدْني. فابتدأ هذه القصيدةَ العينيّة. فقلت له: أنت بُغْيَتي. ثم أوصلته إلى المنصور فآستنشده إياها. فلما قال:

* والدهرُ ليس بمُعتِبٍ[3] مَنْ يَجْزَعُ *

قال: صدق والله، فأَنْشِدْني هذا البيتَ مائةَ مرّة ليتردّد هذا المصراعُ عليّ؛ فأنشدَه، ثم مرّ فيها. فلما آنتهى إلى قوله:

والدهرِ لا يَبْقَى على حَدَثانه * جَوْنُ السَّراة[4] له جدائدُ أربعُ

(١) مقابر قريش ببغداد: مقبرة مشهورة ومحلة فيها خلق كثير وعليها سور بين الحربية ومقبرة أحمد بن حنبل رضي الله عنه والحريم الطاهري، وبينها وبين دجلة شوط فرس جيد، وهي التي فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين آبن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان جعفر الأكبر هو أول من دفن بها، والمنصور أول من جعلها مقبرة لما ابتنى بها مدينته سنة ١٤٦ هـ

(٢) هو الربيع بن يونس مولى المنصور. (٣) أعتبه: رجع الى ما يرضيه وترك ما يسخطه.

(٤) جون السراة: أسـود الظهر أو أبيضه، فإن الجون يطلق على الأسود والأبيض. ويريد بجون السراة حمارا. والجدائد: الأتن، واحدها جدود (بفتح أوله) وهي التي لا لبن لها.

٦٢/٦ قال : سلا أبو ذؤيب[(١)] عند هذا القول . ثم أمر الشيخَ بالانصراف . فأتبعتُه فقلت له : أأمر لك أميرُ المؤمنين بشىء ؟ فأرانى صُرّةً فى يده فيها مائةُ درهم .

خانه خالد بن زهير فى امرأة يهواها كان خان هو فيها عويم بن مالك

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ قال : كان أبو ذؤيب الهُذَلىّ يهوَى امرأةً يقال لها أم عمرو ، وكان يُرسل إليها خالد[(٢)] ابن زُهير فخانه فيها ، وكذلك كان أبو ذُؤَيب فعل برجل يقال له عُوَيم[(٣)] بن مالك بن عويمر وكان رسولَه إليها . فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صَرَمها . فأرسلتْ تترضّاه، فلم يفعل ، وقال فيها :

تُريدين كيما تجمعيــنى وخالدًا * وهل يُجمَع السيفانِ وَيْحك فى غِمْد
أخالدُ ما راعيتَ مِــنِّى[(٤)] قَــرابةً * فتحفَظَنى بالغيب أو بعض ما تُبدى[(٥)]
دعاكَ إليهـا مُقْلتاها وجيــدُها * فمِلتَ كما مال المُحِبّ عـلى عَمْـد
وكنتَ كرَقراق السَّراب إذا بدا * لقوم وقد بات المطىُّ بهـم يَخْدى[(٦)]
فآليتُ لا أنفكّ أحذو قصيــدةً * تكون وإياها بها مثلًا بعدى

(١) كذا فى أ ، ء ، م . وفى ب ، حـ : «سلا أبو ذؤيب عن هذا القول» . وفى سـ : «سل أبا ذؤيب عن هذا القول» . (٢) هو خالد بن زهير الهذلى، وكان ابن أخت أبى ذؤيب، وقيل : ابن أخيه . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : «عويمر» . وقد أورد ابن قتيبة هـذه القصة فى كتابه طبقات الشعراء (ص ٤١٣ — ٤١٤) وذكر أن الرجل الذى خانه أبو ذؤيب فى هذه المرأة هو ابن عم له يقال له مالك بن عويمر . وأوردها البغدادى فى كتابه خزانة الأدب (ج ٢ ص ٣١٦ ، ج ٣ ص ٥٩٧ ، ٦٤٨) فى تفصيل كثير، فذكر فى موضع أنه يقال له مالك بن عويمر، كما ذكره ابن قتيبة ، وفى موضع آخر أنه يقال له وهب بن جابر، وذكر سبب تعلقه بها وجفائها له بعد . واستطرد فى القصـة حتى أتى على خبر مقتل خالد بن زهير . (٤) كذا فى شرح ديوانه والشعر والشعراء . وفى الأصول : «من ذى قرابة» . (٥) أراد : فتحفظنى بالغيب أو فى بعض ما تظهر من المودة والإخاء . (٦) كذا فى حـ وديوانه . وخدى البعير والفرس خديا وخديانا : أسرع وزج بقوائمه . وفى سائر الأصول : «يحدى» (بالحاء المهملة) وهو تصحيف .

غنّاه ابن سريج خفيفَ رمل بالبنصر. الغيب: السرّ. والرقراق: الجارى. ويروى: «أحذو قصيدة». فمن قال: «أحذو» بالذال المعجمة أراد أصنع، ومن قال: «أحدو» أراد أغنّى.

وقال أبو ذؤيب فى ذلك:

وما حُمِّـــل البُخْــتِيُّ عامَ غِيارِه (١) * عليــه الوُســوقُ (٢) بُرُّها وشَــعيرُها
أَتَى قــريةً كانت كثيرًا طعامُها * كَرَفْغ (٣) التراب كلُّ شيءٍ يَمِــيرها

— الرفغ من التراب: الكثير اللين —

فقيــل تَحمَّلْ فوق طوقك إنّهــا * مُطَبَّعةٌ (٤) مَن يأتِها لا يَضِــيرُها
بأعظمَ (٥) ممــا كنتُ حَمَّلتُ خالدًا * وبعضُ أمانات الرجال غُرورها
ولو أننى حَمَّلتُـــه البُزْلَ ما مشتْ * به البزلُ حتى تَتْلَئِبَّ صــدورها

— تتلئب: تستقيم وتنتصب وتمتدّ وتتابع (٦) —

خليـــلى الذى دلّى (٧) لغَىٍّ خليـــلتى * جِهارًا فكلٌّ قد أصاب عُرورها (٨)

— يقال: عَرّه بكذا أى أصابه [به] (٩) —

فشأنَكَــها (١٠)، إنى أمينٌ وإنَّنى * إذا ما تَحالَى مثلُهــا لا أَطُورها

— تحالى: من الحلاوة. أطورها: أقربها —.

---

(١) الغيار (بالكسر): مصدر غارهم يغيرهم إذا مارهم أى أتاهم بالميرة. (٢) الوسوق: جمع وسق (بالفتح)، وهو حمل البعير، وقيل: الحمل عامة. (٣) فى جميع الأصول: «كرقع» (بالقاف والعين المهملة). والتصويب عن شرح ديوانه. (٤) يريد أن هذه القرية مملوءة بالطعام، فكنى عن ذلك بأنها مطبعة أى مختومة لأن الختم إنما يكون غالبا بعد الملء.

(٥) فى ديوانه: «بأثقل». (٦) لعلها «وتتايع» بالياء المثناة التحتية. يقال: تتايع الجمل فى مشيه إذا حرك ألواحه حتى يكاد يتفكك. (٧) دلى فلان فلانا فى الشرّ: أوقعه وصيره فيه. (٨) العرور: المعرة والعيب. (٩) زيادة عن حـ. (١٠) فى شرح ديوانه فى التعليق على هذا البيت: ورواه خالد والأصمعى: «فشأنكما ... الخ».

أحاذر يوماً أن تَبِين قَرِينَتِى * ويُسْلِمها أَحْرازُها[1] وتَصِيرها

— الأحراز : الحصون . قرينتى : نفسى —

وما أنفُس الفتيان إلا قرائنٌ * تَبِين ويبقَى هامُها وقُبورها

فنفسَك فاحفظْها ولا تُفشِ للعِدا * من السرّ ما يُطوَى عليه ضميرُها

وما يَحْفظُ المكتومَ من سرّ أهله * إذا عُقَدُ الأسرار ضاع كبيرُها

مِنَ القوم إلا ذو عَفاف يُعينه * على ذاك منهُ صِدْقُ نفسٍ وخِيرُها

رَعَى خالدٌ سرّى ليالىَ نفسُه * تَوالَى[2] على قَصْد السبيل أمورُها ٦٣/٦

فلما تراماه[3] الشبابُ وغَيُّه * وفى النفس منه فِتْنَةٌ وفُجورها

لوى رأسَه عنّى ومال بودّه * أغانيجُ خُودٍ[4] كان فينا يَزُورها

تَعلَّقه منها دَلالٌ ومُقْلةٌ * تَظَلّ لأصحاب الشَّقاء تُديرها

فإنّ حراماً أن أخون أمانةً * وآمَنَ نفساً ليس عندى ضميرُها[5]

فأجابه خالد بن زهير :

لا يُبعدنّ الله لُبَّك إذ غزا * وسافرَ والأحلامُ جَمٌّ عُثُورُها

— غزا وسافر لبك : ذهب عنك . والعثور : من العثار وهو الخطأ —

وكنتَ إماماً للعشيرة تنتهى * إليك إذا ضاقتْ بأمرٍ صُدورها

(١) فى شرح ديوانه : « إخوانها » . (٢) توالى : تتابع . وقصد السبيل : مستقيمه .

(٣) تراماه الشباب : أى تم شبابه فقذف به إلى الغى كما تترامى الفلاة براكبها .

(٤) الأغانيج : جمع أغنوجة . والأغنوجة من التغنج وهو التكسر والتدلل . والخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفا . (٥) يريد : لا آمن من ليس عندى ضميرقلبه والذى يزعم أنه أخى وليس ضميره عندى . وفى نسبة هذا البيت لأبى ذؤيب خلاف ذكر فى شرح ديوانه .

لعـمْـرُك[1] إمّا أمُّ عمـرو تبـدّلت * سِـواكَ خليلًا شاتِمى تَسْتخيرها

— الاستخارة: الاستعطاف —

فإنّ التى فينـا زعمتَ ومثلَها * لَفِيـكَ ولكنّى أراكَ تَجُـورها[2]

— تجورها: تُعرض عنها —

ألم تَتَنَقّـذها[3] من عـويم بن مالك * وأنت صـفىٌّ نفسِـه وسَجِـيرُها[4]

فلا تجزَعَنْ من سُـنّةٍ أنت سِرْتَها * فأوّلُ راضٍ سُـنّةً مَنْ يسيرها

— ويروى [قـد][5] أسرتَها، أى جعلتهـا سائرة. ومن رواه هكذا روى "يُسيرها" لأن مستقبل أفعل أسارها يسيرها. و"يَسيرها" مستقبل سار السيرة يسيرها —[6]

فإن كنتَ تشكو من خَليلٍ مَخانةً[7] * فتلك الجَـوازِى[8] عَقْبها ونُصورها

— عَقْبها: يريد عاقبتها. ونُصورها أى تُنصر عليك، الواحد نصر —[9]

وإن كنتَ تبـغِى للظُّلامة مَرْكبًا * ذَلُولًا فإنى ليس عنـدى بَعيـرها

نشأتُ عَسـيرًا لا تَلين[10] عَريكتى * ولم يَعْلُ[11] يومًا فوق ظهـرى كُورها[12]

---

(١) كذا فى حـ وشرح ديوانه. وفى سائر الأصول: «لعمرك». (٢) كذا فى أ، ء، م، وشرح ديوانه. وفى سائر الأصول: «ولكن لا أراك تخورها» (بالخاء المعجمة) وهو تحريف.

(٣) الموجود فى معاجم اللغة من هذه المادة: أنقذه واستنقذه وتنقذه. ورواية هذا الشطر فى شرح ديوانه وطبقات الشعراء: «ألم تتنقذها من ابن عويمر * .. الخ» وتنقذها: تجزها وأخذها.

(٤) السجير: الخليل الصفىّ. (٥) زيادة من شرح ديوانه. (٦) كذا وردت هذه العبارة فى الأصول، وهى غير مستقيمة. والظاهر أن كلمة «أفعل» مقحمة. (٧) كذا فى شرح ديوانه. وفى جميع الأصول: «مخافة» (بالفاء) وهو تحريف. (٨) كذا فى حـ وشرح ديوانه. وفى سائر الأصول: «الجوارى» (بالراء المهملة) وهو تصحيف. (٩) قال فى اللسان (مادة نصر) بعد أن أورد هذا البيت: «يجوز أن يكون نصور جمع ناصر كشاهد وشهود وأن يكون مصدرا كالدخول والخروج». (١٠) فى شرح ديوانه: «لم تديث». وتديث: تذلل وتلين.

(١١) فى شرح ديوانه: «ولم يستقر فوق ... الخ». (١٢) الكور: الرحل.

متى ما تشأْ أحمِلْكَ والرأسُ مائلٌ * على صَعْبة حَرْفٍ وَشِيكٍ طُمورُها (١)

فلا تَكُ كالثور الذى دُفِنتْ له * حديدةُ حَتْفٍ ثم أمسى يُثيرُها (٢)

يُطيلُ ثَواءً عندها ليَرُدَّها * وهيهاتَ منه دارُها وقُصورُها (٣)

وقاسمها بالله جَهْدًا لأنتمُ * ألذُّ من السَّلْوَى إذا ما نَشُورُها (٤)

— نشورها : نجتنيها . السلوى هاهنا : العسل —

فلم يُغنِ عنه خَدْعُه يومَ أزْمَعتْ * صَرِيمتَها والنفسُ مُرٌّ ضَميرُها (٥)

ولم يُلْفِ جَلْدًا حازمًا ذا عَزيمةٍ * وذا قوّةٍ يَنْفِى بها من يَزورُها

فأَقْصِرْ ولم تأخذْكَ مِنّى سحابةٌ * يُنَفِّرُ شاءَ المُقْلِعِين خَرِيرُها (٦)

— المقلعين : الذين أصابهم القَلَع وهو السحاب —

ولا تُسْبِقَنّ الناسَ مِنّى بخَمْطةٍ * مِنَ السّمّ مَذْرُورٍ عليها ذَرُورُها (٧)

٦٤/٦ أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا السَّكَن بن سَعيد قال حدّثنا العبّاس

مسرونه ابن هشام قال حدّثنى أبو عمرو عبد الله بن الحارث المُذَلىّ من أهل المدينة قال :

خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له أبو عُبيد، (٨) حتى قَدِموا على عمر بن الخطّاب رضى الله عنه . فقال له (٩) : أىُّ العمل أفضلُ يا أمير المؤمنين ؟ قال : الإيمان

(١) الرأس مائل من المرح والنشاط . والحرف : الضامرة . ووشيك طمورها : سريع وثوبها .

(٢) فى شرح ديوانه : « ثم ظل » . (٣) فى شرح ديوانه : « دورها » . (٤) كذا فى شرح ديوانه ولسان العرب (مادة سلا) . وفى الأصول : « يشورها » . (٥) مرّ ضميرها أى نفسها خبيثة كارهة . (٦) أى كف ولم تأخذك منى بجحابة منطق وهجاء كأنه مطر ينفر شاء الناس . ورواه الأصمعىّ : « فإياك لا تأخذك ... » . (راجع شرح ديوانه) . (٧) كذا فى شرح ديوانه ولسان العرب (مادة خمط) . والخمطة : الطرية التى أخذت طعما ولم تستحكم، أو هى التى أخذت ريح الإدراك كريح التفاح ولم تدرك بعد . والمراد هنا اللوم والكلام القبيح . ومعنى البيت أنه ينهاه عن التعرض لشتمه وهجائه . وفى الأصول : « منك بحكمة » وهو تحريف . (٨) فى جميع الأصول هنا : « أبو عقيل » وهو تحريف . (٩) فى جميع الأصول : « فقالوا » . والتصحيح عن الأستاذ الشنقيطى فى هامش نسخته ؛ لأن ما فى الأصول لا يلائم سياق الخبر .

بالله ورسوله . قال : قد فعلتُ ، فأيُّه أفضلُ بعده ؟ قال : الجهادُ فى سبيل الله . قال : ذلك كان علىّ وإنى لا أرجو جنة ولا أخاف نارًا . ثم خرج فغزا أرضَ الروم مع المسلمين . فلما قَفَلوا أخذه الموت[1]؛ فأراد ابنُه وابنُ أخيه أن يتخلّفا عليه جميعا؛ فمنعهما صاحبُ الساقة[2] وقال : ليتخلّف عليه أحدُكما وليعلمْ أنه مقتول . فقال لهما أبو ذؤيب : اقترِعا ، فطارت القُرعة لأبى عُبيد ، فتخلّف عليه ومضى ابنُه مع الناس . فكان أبو عُبَيـد يُحدّث قال قال لى أبو ذؤيب : يا أبا عُبيد ، احفِر ذلك الجُرُف برمحك ثم اعضِد[3] من الشجر بسيفك ثم اجرُرْنِى إلى هـذا النهر فإنك لا تفرُغ حتى أفرُغ ، فاغسِلْنى وكفِّنِّى ثم اجعلنى فى حَفيرى وانْثِلْ[4] علىّ الجُرُف برمحك ، وألقِ علىّ الغصونَ والشجر ، ثم اتبَع الناس فإن لهم رَهْجَةً[5] تراها فى الأفق إذا مشيتَ كأنها جَهامة[6] . قال : فما أخطأ مما قال شيئًا ، ولولا نَعْتُه لم أهتد لأثر الجيش . وقال وهو يجود بنفسه :

أبا عُبَيد رُفِـعَ الكِتابُ * واقترب الموعد والحسابُ
وعند رَحْلى جمـلٌ نُجابُ * أحمرُ فى حاركه[7] انصبابُ

ثم مضيتُ حتى لحقتُ الناسَ . فكان يُقال : إنّ أهلَ الإسلام أبعدوا الأثر فى بلد الروم ، فما كان وراء قبر أبى ذُؤَيب قبر يُعرف لأحد من المسلمين .

---

(١) مر فى أوّل ترجمة أبى ذؤيب ما يخالف ما هنا . (راجع ما كتبه فى صفحة ٢٦٦ فى الحاشية رقم ٢) . (٢) ساقة الجيش : مؤخرته . (٣) كذا فى تجريد الأغانى . وعضد الشجر يعضده (بالكسر) : قطعه . وفى جميع الأصول : «احمد» وهو تحريف . (٤) نثل الركية ينثلها (من باب ضرب) : أخرج ترابها . وهذا المعنى غير مستقيم فى هـذا المقام . فلعل صوابه «وأهل على الجرف ... الخ» . وأهال عليه التراب : دفعه فانهال . (٥) الرهجة : ما أثير من الغبار . (٦) الجهامة : السحابة لا ماء فيها . (٧) الحارك : أعلى الكاهل .

ذكر حَكَم الوادىّ وخبره ونسبه

نسبه وأصله وصناعته

هو الحَكَم بن مَيْمون مولى الوليد بن عبد الملك. وكان أبوه حلّاقا يحلق رأس الوليد، فاشتراه فأعتقه. وكان حَكَمٌ طويلا أَحْولَ، يُكْرِى الجمالَ ينقُل عليها الزيت من الشام إلى المدينة. ويُكنى أبا يحيى. وقال مصعَب بن عبد الله بن الزُّبير: هو حكم ابن يحيى بن ميمون، وكان أصله من الفُرْس، وكان جمّالا ينقل الزيت من وادى القُرَى(١) إلى المدينة. وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنه كان شيخًا طويلًا أحولَ أجنأَ(٢) يخضب بالحنّاء، وكان جمّالًا يحمل الزيت من جُدّة إلى المدينة، وكان واحدَ دهره فى الحِذْق، وكان ينقُر بالدفّ ويغنّى مرتجِلا، وعُمِّر عمرا طويلا، فغنّى الوليدَ ابن عبد الملك، وغنّى الرشيدَ ومات فى الشَّطْر من خلافته، وذكر أنه أخذ الغناء من عُمَر الوادى. قال: وكان بوادى القُرَى جماعةٌ من المغنّين فيهم عمر بن زاذان — وقيل: ابن داود بن زاذان، وهو الذى كان يسميه الوليد جامعَ لذّتى — وحكم بن يحيى، وسليمان، وخُلَيْد بن عَتيك — وقيل: ابن عبيد — ويعقوب الوادى. وكل هؤلاء كان يصنع فيُحسن.

غنى الوليد بن عبد الملك وعاش إلى زمن الرشيد

مدح إسحاق الموصلى غناءه

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى حمّاد قال قال لى أبى:

أحذقُ من رأيتُ من المغنين أربعة: جدّك وحكمٌ وفُلَيح بن العوراء وسِياط. قلت: وما بلغ من حذقهم؟ قال: كانوا يصنعون فيُحسنون، ويؤدّون(٣) غناء غيرهم

(١) وادى القرى: واد بين الشام والمدينة وهو بين تيماء وخيبر. سمى بذلك لأنه من أوله إلى آخره قرى منظومة كانت منازل قضاعة ثم جهينة وعذرة وبلىّ، وقديما كانت منازل ثمود وعاد وبها أهلكهم الله تعالى.

(٢) الأجنأ: الأحدب. (٣) فى حـ: «ويروون».

فيحسنون . قال إسحاق : وقال لى أبى : ما فى هؤلاء الذين تراهم من المغنّين أطبع من حَكَم وابن جامع ، وفُليح أدرى منهما بما يخرج من رأسه . ٦٥/٦

غنى الوليد بن يزيد بشعر مطيع بن إياس فأجازه

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن أحمد بن المكىّ حدّثه عن أبيه قال حدّثنى حكم الوادىّ ، وأخبرنى به محمد بن يحيى الصُّولِىّ قال حدّثنا الغَلَابىّ[1] عن حمّاد بن إسحاق عن أحمد بن المكىّ عن أبيه عن حكم الوادى قال :

أدخلنى عمر الوادى على الوليد بن يزيد ، وهو على حمار ، وعليه جُبّة وَشْى و رداء وشى وخُفّ وشى ، وفى يده عِقْد جوهر ، وفى كُمّه شىء لا أدرى ما هو . فقال : مَنْ غنّانى ما أشتهى فله ما فى كُمّى وما علىّ وما تحتى ، فغنّوه كلّهم فلم يَطْرَب ، فقال لى : غنِّ يا غلام ، فغنّيت :

صــــوت

إكليلُهــا ألوانُ * ووجهُها فتّــانُ
وخالُهــا فريدٌ * ليس له جـيران
إذا مشتْ تثنّت * كأنها ثعبان

ــ الشعر لمُطيع بن إياس . والغناء لحَكَم الوادى هَزَجٌ بالوسطى . وفيــه لإبراهيم رَمَلٌ خفيف بالوسطى ــ فطرب وأخرج ما كان فى كمّه ، و إذا كيسٌ فيــه ألفُ دينار ، فرمى به إلىّ مع عقد الجوهر ، فلما دخل بعث إلىّ بالحمار و جميع ما كان عليه . وهذا الخبر يذكر من عدّة وجوه فى أخبار مُطيع بن إياس .

---

(١) كذا فى أ ، ء ، م . وهو محمد بن زكريا بن دينار الغلابى . وقد مرت رواية محمد بن يحيى الصولى عنه فى الأجزاء السابقة . وفى سائر الأصول : « العلائى » وهو تحريف .

مدحه رجل من قريش بشعر صنع هو فيه صوتا

وفى حكم الوادىّ يقول رجل من قريش :

صــــوت

أبو يحيى أخو الغَزَل المغنّى * بَصيرٌ بالثِّقال وبالخِفـافِ
على العيدان يُحسِن ما يُغنِّى * ويُحسن مايقول على الدِّفاف

غنّاه حكم الوادىّ هزجًا بالبنصر .

قال هارون بن عبد الملك قال أبو يحيى العِبَادىّ قال حدّثنى أحمد البارد قال : دخلتُ على حَكَم يومًا فقال لى : يا قِصَافىّ[1] ، إن رجلا من قريش قال فىّ هذا الشعرَ :

* أبو يحيى أخو الغَزَل المغنّى *

وقد غنّيتُ فيه ، فخذ العودَ حتى تَسمعه منّى ؛ فأخذتُ العود فضربتُ عليه وغنّانيه ، فكنت أوّلَ من أخذ من حَكَم الوادىّ هذا الصوت .

سئل عن صوت فقال ما يكون إلا لى

قال أبو يحيى وقال إسحاق :

سمعت حَكَمًا الوادىّ يغنى صوتًا فأعجبنى ، فسألتُه لمن هو ؟ فقال : ولمن يكون هذا إلّا لى .

فغضب من شيخ قال له أحسنت

وقال مُصْعَب :

حدّثنى شيخ أنه سمع حَكَمًا الوادىّ يغنّى ، فقال له : أحسنت ! فألقى الدُّفّ وقال للرجل : قبّحك الله ! ترانى مع المغنّين منذ ستين سنةً وتقول لى أحسنتَ ! .

قصته هو وفليح مع ابن جامع عند يحيى بن خالد

وقال لى هارون حدّثنى مُدْرِك بن يزيد قال قال لى فُلَيح :

بعث إلىّ يحيى بنُ خالد وإلى حَكَم الوادىّ ، وابنُ جامع معنا ، فأتيناه . فقلت لحكم الوادىّ — أو قال لى — إنّ ابنَ جامع معنا ، فعاونّى عليه لنكسِرَه .

(١) بنو قصاف : بطن من العرب .

فلما صرنا إلى الغناء غنّى حَكَمٌ، فصِحْتُ وقلت : هكذا والله يكون الغناء ! ثم غنّيت ففعل بى حَكَمٌ مثلَ ذلك ، وغنّى ابنُ جامع فما كنّا معه فى شىء . فلما كان العَشِىُّ أرسل إلى جاريته دَنَانيرَ : إن أصحابَك عندنا، فهل لكِ أن تخرجى إلينا؟ ! فخرجتْ وخرج معها وصائفُ لها، فأقبل عليها يقول لها من حيث يظن أنّا لا نسمع : ليس فى القوم أنزهُ نفسًا من فُلَيح، ثم أشار إلى غلام له : إيتِ كلَّ إنسان بألفى درهم، فجاء بها. فدفع إلى ابن جامع ألفين فأخذها فطرحها فى كمّه، وللحَكَم مثلَ ذلك فطرحها فى كمّه، ودفع إلىّ ألفين . فقلت لدنانير : قد بلغ منّى النبيذُ فاحتبسيها لى عندك، فأخذت الدراهمَ منّى وبعثتْ بها إلىّ من الغد، وقد زادت عليها مثلَها، وأرسلتْ إلىّ : قد بعثتُ إليك بوديعتكَ وبشىء أحببتُ أن تفرّقه على أخَواتى (تعنى جوارىَ) . ٦٦/٦٠

بلغ فى الهزج مبلغا قصر عنه غيره

قال هارون بن محمد قال حمّاد بن إسحاق قال أبى :

أربعةٌ بلغوا فى أربعة أجناس من الغناء مبلغاً قصّر عنه غيرُهم : معبد فى الثقيل، وابن سُرَيج فى الرَّمَل، وحَكَمٌ فى الهَزَج، وإبراهيمُ فى الماخُورِى .

كتب له الرشيد بصلة إلى إبراهيم ابن المهدى فوصله هو أيضا وأخذ عنه ثلثمائة صوت

قال هارون وحدّثنى أبى قال حدّثنى هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهدىّ عن أبيه قال:

زار حَكَمٌ الوادىّ الرشيد ، فبرّه ووصَله بثلثمائة ألف درهم ، وسأله عمن يختار أن يكتب له بها إليه ؛ فقال : اكتب لى بها إلى إبراهيم بن المهدىّ — وكان عاملا له بالشام — قال إبراهيم : فقدِم علىّ حَكَمٌ بكتاب الرشيد، فدفعتُ إليه ما كتب به ووصلتُه بمثل ما وصله، إلا أنى نقصته ألفًا من الثلثمائة وقلت له : لا أصِلُكَ بمثل صلة أمير المؤمنين . فأقام عندى ثلاثين يومًا أخذتُ منه فيها ثلثمائة صوت ، كلُّ صوت منها أحبُّ إلىّ من الثلثمائة الألف التى وهبتُها له .

أعانه ابن شقران ولما عرفه اعتذر

وأخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن عبيدالله بن خُرْدَاذْبَه قال قال مصعَب بن عبد الله :

بينا حَكَمٌ الوادىّ بالمدينة إذ سمع قوماً يقولون : لو ذهبنا إلى جارية ابن شُقْران ! فإنها حسنة الغناء! فمضوا إليها، وتبعهم حكم وعليه فروة[1] ، فدخلوا ودخل معهم، وصاحبُ المنزل يظن أنه معهم وهم يظنون أنه من قِبَل صاحب المنزل ولا يعرفونه، فغنّتِ الجارية أصواتا ثم غنّت صوتاً ثم صوتاً. فقال حَكَمٌ الوادىّ: أحسنتِ والله! وصاح . فقال له ربُّ البيت : يا ماصّ كذا وكذا من أمه ! وما يُدريك ما الغناء ! فوثَب عليه يُتعتِعه[2] وأراد ضربه . فقال له حَكَمٌ : يا عبد الله، دخلتُ بسلام وأَخْرُجُ كما دخلت، وقام ليخرج . فقال له ربُّ البيت : لا أو أضربَك. فقال حكم : على رِسْلك، أنا أعلم بالغناء منك ومنها، وقال : شُدِّى موضع كذا وأصلحى موضع كذا، وآندفع يغنّى . فقالت الجارية : إنه والله أبو يحيى! فقال ربّ المنزل: جُعلتُ فداك! المعذرةُ إلى الله وإليك! لم أعرفك ! فقام حَكَمٌ ليخرج فأبى الرجلُ، فقال : والله لأخرجنّ، فسأعود إليها لكرامتها لا لكرامتك .

لامه ابنه على غنائه الأهزاج فأجابه

وذكر أحمد بن المكىّ عن أبيه : أنّ حكماً لم يُشْهَر بالغناء ويذهب له الصّوتُ[3] به حتى صار الأمر إلى بنى العباس؛ فانقطع إلى محمّد بن أبى العباس أميرِ المؤمنين وذلك فى خلافة المنصور؛ فأُعجب به وآختاره على المغنّين وأعجبتْه أهزاجُه . وكان يقال : إنه من أَهْزَجِ النـاس . ويقال : إنه غنّى الأهزاجَ فى آخر عمره، وإن آبنه لامه على ذلك، وقال له : أبعـدَ الكبر تغنّى غناء المخنّثين ! فقال له : اسكت فإنك جاهلٌ، غنّيتُ الثقيلَ ستين سنةً فلم أَنَلْ إلا القوت ، وغنّيت الأهزاج منذ سُنَيّات فأكسبتُك ما لم تَرمثلَه قطُّ .

(١) الفروة والفرو : شىء نحو الجبة يبطن من جلود بعض الحيوان كالأرانب والثعالب والسمور .

(٢) كذا فى حـ . وتعتعه : تلتله وحركه بعنف . وفى سائر الأصول : « يتنفه » وهو تحريف .

(٣) فى ب ، سـ : « الصيت » . والصوت والصيت الذكر الحسن الذى ينتشر بين الناس .

شهد له يحيى بن خالد بجودة الأداء

قال هارون بن محمد وقال يحيى بن خالد :

ما رأينا فيمن يأتينا من المغنِّين أحدًا أجود أداءً من حَكَم [(١)] . وليس أحد يسمع غناء ثم يغنّيه بعد ذلك إلا وهو يغيّره و يَزيد فيه ويَنقُص إلا حَكَمًا . فقيل لحكم ذلك فقال : إنى لست أشرب ، وغيرى يشرب ، فإذا شرب تغيّر غناؤه .

٦٧ / ٦

استكثر المنصور ما كان يعطاه من هدايا ثم عدل عن رأيه

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال :

كان خبرُ حَكَم الوادى يتناهى إلى المنصور ويبلُغه ما يصله به بنو سليمان بن علىّ ، فيَتعجّب لذلك و يستسرفه ويقول : هل هو إلا أنْ حسّن شعرًا بصوته وطرّب مستمعيه ، فماذا يكون ! وعَلَامَ يُعطونه هــذه العَطَايا المُسْرِفة ! إلى أن جلس يومًا فى مُسْتَشْرَف له ، وقد كان حَكَمٌ دخل إلى رجل من قوّاده — أُرَاه [(٢)] قال : علىّ بن يَقْطين أو أبوه — وهو يراه ، ثم خرج عشيًّا وقد حمَله على بغلة له يعرفها المنصور ، وخلع عليه ثيابا يعرفها له . فلما رآه المنصور قال : من هذا ؟ فقيل : حَكَمٌ الوادىّ . فحرّك رأسَه مَليًّا ثم قال : الآنَ علمتُ أن هذا يستحقّ ما يُعطاه . قيل : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك منه ؟ قال : لأنّ فلانا لا يعطى شيئا من ماله باطلًا ولا يضَعه إلا فى حقه .

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «وليس أحد يسمع منه غناء ... الخ» . والظاهر أن كلمة «منه» مقحمة .

(٢) كان يقطين بن موسى البغدادى من وجوه الدعاة ، وطلبه مَروان فهرب . وابنه على بن يقطين ولد بالكوفة سنة أربع وعشرين ومائة . وهربت أم على به وبأخيه عبيد بن يقطين الى المدينة . فلما ظهرت الدولة الهاشمية ظهر يقطين وعادت أم على بعلى وعبيد . فلم يزل يقطين فى خدمة أبى العباس وأبى جعفر المنصور ، وكان مع ذلك يرى رأى آل أبى طالب و يقول بإمامتهم ، وكذلك ولده ، وكان يحمل الأموال الى جعفر بن محمد بن على والألطاف . ونم خبره الى المنصور والمهدى فصرف الله عنه كيدهما . وتوفى على بن يقطين بمدينة السلام سنة ١٨٢ هـ وسنه ٥٧ سنة وصلى عليه ولى العهد محمد بن الرشيد وتوفى أبوه بعده فى سنة ١٨٥ هـ (عن فهرست ابن النديم) .

اعترض المهدى فى الطريق وغناه فأجازه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن أبى سعد[1] قال حدثنا قَعْنب بن المُحْرِز الباهلىّ عن الأصمعىّ قال :

رأيت حَكَمًا الوادىّ حين مضى المهدىّ إلى بيت المَقْدِس[2]، وقد عارضه فى الطريق وأخرج دُفّه ونَقَرفيه وله شُعَيْرات على رأسه وقال : أنا والله يا أمير المؤمنين القائل :

ومتى تَخرج العرو * س فقد طال حبسُها

فتسرّع إليه الحَرَسُ؛ فقال : دعوه[3]، وسأل عنه فأُخبر أنه حَكَمٌ الوادىّ، فوصله وأحسن إليه .

لحنُ حَكَمٍ فى هذا الشعر المذكور هَزَجٌ بالبنصر . وفيه ألحان لغيره، وقد ذُكِرتْ فى أخبار الوليد بن يزيد .

أطرب الهادى دون غيره من المغنين فأعطاه ثلاث بدر

أخبرنى الحسن قال حدثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنا علىّ بن محمد النَّوْفلى عن صالح الأَضْجَم[4] عن حَكَمٍ الوادىّ قال :

كان الهادى يشتهى من الغناء ما توسّط وقلّ ترجيعُه ولم يبلُغ أن يُسْتَخَفّ جدًّا؛ فأخرج ليلةً ثلاثَ بِدَر وقال : من أطربنى فهى له . فغنّاه ابن جامع وإبراهيم الموصلىّ والزُّبيرُ بن دَحْمان فلم يصنعوا شيئا، وعرفتُ ما أراد فغنّيته لابن سُرَيج :

صــــوت

غرّاءُ كالليلة المباركة الـ * ـقمراء تَهْدى أوائلَ الظُّلَمِ
أَكْنِى بغير اسمها وقد علم الله * خفيّاتِ كلّ مكتتِمِ

(١) فى جميع الأصول هنا : «سعيد» وهو تحريف . (٢) سيأتى هذا الخبر فى ترجمة الوليد بن يزيد (ج ٧ ص ٣١ من هذه الطبعة) . وقد ورد فيه أن المهدى كان يريد الحج . (٣) كذا فى ب، حـ . وفى سائر الأصول : «دعوه دعوه» . (٤) هو صالح بن على بن عطية الأضجم الراوى .

كأنّ فاها إذا تُنُسِّم(1) عن * طيبِ مَشَمٍّ وحسنِ مُبْتَسَمِ
يُسَنُّ(2) بالضَّرْو(3) من بَرَاقِشَ(4) أو * هَيْلانَ أو يانعٍ من العُتُمِ(5)

ـــ الشعر فى هذا الغناء للنابغة الجَعْدىّ ، والصنعة لابن سُريج رمل بالبنصر ـــ فوثَب عن فراشه طربًا وقال : أحسنتَ أحسنتَ والله ! اسقُونى فسُقِى . ووثِقتُ بأن البِدَرَ لى ، فقمتُ فجلست عليها . فأحسن ابنُ جامعٍ المَحْضَر وقال : أحسن والله كما قال أمير المؤمنين ، وإنه لمُحْسِن مُجْمِل . فلما سكَن(6) أمَر الفَرّاشين بحملها معى . فقلت لابن جامع : مثلُك يفعل ما فعلتَ فى شرَفك ونسبِك ! فإن رأيتَ أن تشرِّفنى بقبول إحداها فعلتَ . فقال : لا والله لا فعلتُ ، والله لوَدِدْتُ أنّ الله زادك ، وأسأل الله أن يُهَنِّيَك ما رزقك . ولحقنى المَوْصِلىّ فقال : آخُذ يا حَكَم من هذا ؟ فقلت : لا والله ولا درهمًا واحدًا لأنك لم تُحْسِن المَحْضَر .

ومات حَكَمٌ الوادىّ من قُرحة أصابته فى صدره . فقال الدارِمىّ فيه قبلَ وفاته :

٦٨
٦
موته وشعر الدارمى فيه

صـــوت

إنّ أبا يحيى اشتكى عِلّةً * أصبح منها بين عُوّادِ
فقلت والقلبُ به مُوجَعٌ * يا ربّ عافِ الحَكَمَ الوادى

---

(1) كذا فى ا ، ء ونسخة الشنقيطى مصححة بقلمه . وفى سائر الأصول : « تبسم » . (2) كذا فى الجزء الخامس من الأغانى (ص ٢٧ من هذه الطبعة) . ويسن (بالبناء للمجهول) : يستاك . وفى الأصول هنا : « يستن » . (3) الضرو : شجرة الكمكام ، وهو شجر طيب الريح يستاك به ويجعل ورقه فى العطر ، وهو المحلب . قال أبو حنيفة الدينورى : أكثر منابت الضرو باليمن وهو من شجر الجبال كالبلوط العظيم له عناقيد كعناقيد البطم غير أنه أكبر حبا ، ويطبخ ورقه فإذا نضج صفى وردّ ماؤه إلى النار فيعقد ؛ يتداوى به من خشونة الصدر ووجع الحلق . (راجع شرح القاموس مادة ضرى) . (4) براقش : واد باليمن شجير وكذلك هيلان . وأكثر نبات الضرو باليمن . وقيل : براقش وهيلان مدينتان عاديتان خربتا . ويسكن براقش بنو الأوبر من بلحارث بن كعب ومراد . وسميت براقش باسم كلبة وهى التى قيل فيها : « على أهلها تجنى براقش » . (راجع معجم ما استعجم ومعجم البلدان فى اسم براقش ، وشرح القاموس واللسان مادة برقش) . (5) العتم : شجر الزيتون . وفى ب ، س : « العنم » (بالنون) وهو تصحيف . (6) فى حـ : « سكر » .

فرُبَّ بِيضٍ قادةٍ سادةٍ * كأنصُلٍ سُلَّت مِنَ اغماد
نادمَهم فى مجلس لاهياً * فأَصْمَتَ المُنشِدَ والشادى

غنّى فيه حَكَمٌ الوادىّ هَزَجاً بالبنصر .

صـــوت

من المـائة المختـارة

أمعارِفَ الدِّمَن القِفَار تَوَهَّمُ * ولقد مضى حولٌ لهنّ مُجرِّمُ(١)
ولقد وقفتُ على الديار لعلّها(٢) * بجواب رَجْعِ تحيّةٍ تتكلّمُ
عن عِلْمِ مافعل الخليطُ ، فبادرَتْ * أنّى توجّهَ بالخليط الموْسِمُ
ولقد عهدتُ بها سُعادَ وإنها * بالله جاهدةَ اليمين لتُقسِمُ
إنى لأُوجَهُ مَنْ تكلّم عندها * بأَلِيّةٍ ومخالفٌ مَن يَزْعُمُ
فلها لدينا بالذى بذَلتْ لنا * وُدٌّ يطول له العَناء ويَعْظُمُ

عروضه من الكامل . الشعر لنصَيب من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان . والغناء لأبن جامع . له فيه لحنان ذكرهما إسحاق ، أحدهما ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . ولإبراهيم فى البيتين الأوّلين ثقيل أوّل مطلق فى مجرى الوسطى . ولإسحاق وسِيَاطٍ فيهما ثقيل بالبنصر عن عمرو .

(١) مجرم : متقطع ومنصرم . (٢) فى حـ : «كأنها» .

ذكر ابن جامع وخبره ونسبه

نسبه

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطّلب بن أبي وَدَاعة[1] بن ضُبيرة[2] [بن سُعيد][3] بن سعد بن سَهْم [بن عمرو][3] بن هُصَيص بن كعب بن لؤىّ ابن غالب .

ضبيرة السهمي جدّ ابن جامع وشيء من أخباره

أخبرني الطُّوسيّ عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه مصعب ، وأخبرنا محمد بن جرير الطّبريّ قال حدّثنا محمد بن حُمَيد عن سَلَمة عن ابن إسحاق[4] قالا جميعا :

مات ضُبيرة السَّهْميّ وله مائة سنة ولم يظهر في رأسه ولا لحيته شَيْب . فقال بعض شعراء قريش يرثيه :

حُجّاجَ بيت الله إنّ ضُبيرةَ السَّهْميّ ماتا

سبقتْ منيّتُه المَشيـ * ـبَ وكان ميتتُه افتلاتا

فتزوّدوا لا تَهْلِكوا * من دون أهلكُم خُفاتا[5]

---

(١) اسم أبي وداعة : الحارث . ويحكى عن أسره يوم بدر كما سيذكره المؤلف [illegible] عليه وسلم قال : « تمسكوا به فإن له ابنا كيسا بمكة » . فخرج المطلب بن أبي وداعة [illegible] بأربعة آلاف درهم . وهو أول أسير فدى من بدر ، ولامته قريش في بداره ودعه [illegible] ما كنت لأدع أبي أسيرا . فسار الناس بعده الى النبيّ صلى الله عليه وسلم ففدوا أسراهم . (٢) كذا في الطبقات الكبرى لابن سعد (ج ٥ ص ٣٣٤) والسيرة لابن هشام (ج ١ ص ٥١٤) وشرح القاموس مادة ضبر بالضاد المعجمة . وفي جميع الأصول : « صبيرة » بالصاد المهملة وهو تصحيف . (٣) زيادة عن الطبقات والمشتبه (ص ٢٦٥) وأسد الغابة (ج ٤ ص ٣٧٤) والاستيعاب (ج ١ ص ٢٦٨) والسيرة لابن هشام . (٤) في أكثر الأصول : « عن سلمة بن أبي إسحاق » . وفي حـ : « عن سلمة عن أبي إسحاق » . وكلاهما محرف عما أثبتناه . إذ المعروف أن سلمة بن الفضل الأبرش يروي عن محمد بن إسحاق بن يسار ، وعن سلمة هذا يروي محمد بن حميد الرازي . وقد تقدّم هذا السند في أكثر من موضع في الأجزاء السابقة . (٥) خفت الرجل خفاتا : مات بغتة .

قال : وأسر أبو وَدَاعة كافرًا يوم بَدْر ففَــداه آبنُــه المطَّلِب ، وكان المطَّلب رجلَ صدق . وقد روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم الحديث .

كنيــة ابن جامع وشيء من أخبار أمه

٦٩ / ٦

ويُكنى آبنُ جامع أبا القاسم . وأمه آمرأة من بنى سَهم ، وتزوّجتْ بعد أبيــه رجلًا من أهل اليمن . فذكر هارون بن محمد بن عبدالملك الزيّات عن حماد عن أبيه عن بعض أصحابه عن عَوْن حاجب مَعْن[1] بن زائدة قال : رأيتُ أمّ آبن جامع وآبنُ جامع معها عند مَعْن بن زائدة وهو ضعيف يَتْبَعُها ويطأ ذيلَها وكانت من قريش ، ومَعْن يومئــذ على اليمن . فقالت : أَصْلحَ الله الأميرَ ، إنّ عمّى زوّجنى زوجًا ليس بكُفْء ففرِّقْ بينى وبينه . قال : من هو؟ قالت : ابنُ ذى مناجب . قال : علىَّ به . قال : فدخل أقبح مَنْ خلق اللهُ وأشــوهَه خَلْقًا . قال : مَنْ هــذه منكَ ؟ قال : آمرأتى . قال : خلِّ سبيلَها ، ففعل . فأطرق مَعْنٌ ساعةً ثم رفع رأسَه فقال :

لعمرى لقد أصبحتَ غيرَ محبَّب * ولا حَسَنٍ فى عينها ذا مناجبِ
فــا لُمتُها لمــا تبيّنتُ وجهَــه * وعينًا له حَوْصاءَ من تحت حاجب
وأنفًا كأنف البَــكْر يقطُر دائبًــا * على لِحْيَة عَصْلاءَ[2] شابتْ وشارِب
أتيتَ بها مثــلَ المَهاة تسوقها[3] * فيا حُسْنَ مجلوب ويا قُبح جالب

وأمر لها بمائتى دينار وقال لها : تجهزى بها إلى بلادك .

سأله الرشــيد عن نسبه فأحاله على إسحاق الموصلى

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال أخبرنى حمّاد عن أبيه :

أن الرشيد سأل ابنَ جامع يومًا عن نسبه وقال له : أىُّ بنى الإنس وَلَدَكَ يا إسماعيل ؟ قال : لاأدرى ، ولكن سَلِ آبنَ أخى (يعنى إسحاق) — وكان يُمَاظُّ[4]

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : «صاحب» . (٢) عصلاء : معوجة .

(٣) فى تجريد الأغانى : «تسومها» . (٤) ماظظت فلانا : شاريته ونازعته .

إبراهيمَ الموصلىّ ويَميل إلى ابنه إسحاق — قال إسحاق : ثم التفتَ إلىّ ابنُ جامع فقال: أخبِرْه يا بنَ أخى بنسب عمك . فقال له الرشيد: قبَّحك الله شيخًا من قريش! تَجهل نسبك حتى يُخبرك به غيرُك وهو رجل من العجم ! .

شىء من ورعه وتقواه

قال هارون حدّثنى عبد الله بن عمرو قال حدّثنى أبو هشام[1] محمد بن عبد الملك المخزومىّ قال أخبرنى محمد بن عبد الله بن أبى فَرْوة بن أبى قُرَاد المخزومىّ قال :

كان ابن جامع من أحفظ خَلْقِ الله لكتاب الله وأعلمه بما يحتاج إليه، كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلّى الصبحَ ثم يَصُفّ قدميه حتى تطلُع الشمس، ولا يصلى الناسُ الجمعة حتى يختِم القرآن ثم ينصرف إلى منزله .

وقف معه أبو يوسف القاضى بباب الرشيد ولم يعرفه

قال هارون وحدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفَلىّ قال حدّثنى صالح بن علىّ بن عطيّة وغيرُه من رجال أهل العسكر قالوا :

قدِم ابنُ جامع قَدْمةً له من مكة على الرشيد، وكان ابنُ جامع حسنَ السَّمْت كثيرَ الصلاة قد أخذ السجودُ جبهتَه ، وكان يَعْتَمّ بعمامة سوداء على قَلَنْسُوة طويلة، ويلبس لباسَ الفقهاء ، ويركب حمارًا مَرِيسيًّا[2] فى زىّ أهل الحجاز . فبينا هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذنَ عليه ، فوقف على ما كان يقف الناسُ عليه فى القديم حتى يأذنَ لهم أو يَصرفَهم، أقبل[3] أبو يوسف القاضى بأصحابه أهلِ القَلانس؛ فلما هجم على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه ، فوقعتْ عينُه على ابن جامع فرأى سَمْتَه وحلاوةَ هيئته، فجاء فوقف إلى جانبه ثم قال له : أَمْتع الله بك، توسَّمتُ

---

(1) فى ا ، ء ، م : « أبو هاشم محمد بن عبد الله المخزومى » . (2) مريسى : نسبة الى مريسة (كسكينة، كما فى القاموس وشرحه مادة مرس وضبطها صاحب معجم البلدان بفتح الميم) : قرية بمصر من ناحية الصعيد إليها تنسب الحمر المريسية وهى من أجود الحمر وأمشاها . (3) فى جميع الأصول : « فأقبل » .

فيك الحِجازيّة والقُرَشيّة، قال : أصبتَ. قال : فمن أىّ قريش أنت؟ قال : من بنى سَهْم . قال : فأىّ الحرمين منزلُك؟ قال : مكة، قال : ومن لقيتَ من فقهائهم؟ قال : سَلْ عمن شئت . ففاتحه الفقهَ والحديثَ فوجد عنده ما أحبّ فأُعجب به . ونظر الناسُ إليهما فقالوا : هذا القاضى قد أقبل على المغنّى، وأبو يوسف لا يعلم أنه ابنُ جامع . فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه! ثم قالوا : لا، لعلّه لا يعود إلى ٧٠/٦ مواقفته[1] بعد اليوم، فلم نَغُمَّه . فلما كان الإذنُ الثانى ليحيى غدَا عليه الناسُ وغدا عليه أبو يوسف، فنظر يطلب ابنَ جامع فرآه، فذهب فوقف إلى جانبه فحادثه طويلًا كما فعل فى المرّة الأولى . فلما انصرف قال له بعضُ أصحابه : أيها القاضى، أتعرف هذا الذى تُواقِف وتحادث ؟ قال : نعم، رجلٌ من قريش من أهل مكة من الفقهاء . قالوا : هذا ابن جامع المغنّى، قال : إنا لله! . قالوا : إن الناس قد شَهَروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعلك . فلما كان الإذنُ الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكّبه، وعرف ابنُ جامع أنه قد أُنذِر به، فجاء فوقف فسلّم عليه، فردّ السلامَ عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذى كان يلقاه به ثم انحرف عنه . فدنا منه ابن جامع، وعرف النـاسُ القصة، وكان ابن جامع جَهيرًا فرفع صوتَه ثم قال : يا أبا يوسف ، مالك تنحرف عنى؟ أىّ شىء أنكرتَ؟ قالوا لك : إن ابنُ جامع المغنّى فكرِهتَ مواقفتى لك! أسائلك عن مسألة ثم اصنع ما شئتَ، ومال الناس فأقبلوا نحوَهما يستمعون . فقال : يا أبا يوسف، لو أن أعرابيًّا جِلْفًا وقف بين يديك فأنشدك بجفاء وغلظة من لسانه وقال :

يا داريّـــة بالعَلْيـاء فالسَّـــنَد * أقْوتْ وطالَ عليها سالفُ الأبدِ

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « مرافقته » .

أكنتَ ترى بذلك بأسًا ؟ قال : لا، قد رُوِى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم فى الشعر قولٌ، وروى فى الحديث. قال ابن جامع : فإن قلتُ أنا هكذا، ثم اندفع يتغنّى فيه حتى أتى عليه، ثم قال : يا أبا يوسف ، رأيتَنى زِدْتُ فيه أو نقصتُ منه ؟ قال : عافاك الله، أعفِنا من ذلك . قال : يا أبا يوسف، أنت صاحب فُتْيا، ما زدته على أن حسّنتُه بألفاظى فحسُن فى السماع ووصل الى القلب . ثم تنحّى عنه ابن جامع .

سأل سفيان : عيينة عن السيد الذى أصاب مالا فأجيب

قال : وحدّثنى عبد الله بنُ شبيب قال حدّثنى إبراهيم بن المُنذِر عن سُفْيان بن عُيَينة ، ومرّ به ابنُ جامع يسحَب الخزّ، فقال لبعض أصحابه :

بلغنى أنّ هذا القرشىّ أصاب مالًا من بعض الخلفاء، فبأىّ شىء أصابه؟ قالوا : بالغناء . قال : فمن منكم يذكر بعضَ ذلك ؟ فأنشد بعضُ أصحابه ما يغنّى فيه :

وأَصحَبُ بالليل أهـلَ الطَّواف * وأرفع من مِئزَرِى المُسْبَلِ

قال : أَحْسنَ، هيه ! قال :

وأسجُـدُ بالليـل حتى الصباح * وأتـلو من المُحْكَم المُنْزَلِ

قال : أحسن، هيه ! قال :

عَسَى فارجُ الكرب عن يوسف * يُسخِّـر لى رَبّةَ المحمِـل

قال : أمّا هذا فدعْه .

كان يعد صيحة الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن

وحدّثنى محمد بن الحسن العَتّابى قال حدّثنى جعفر بن محمد الكاتب قال حدّثنى طيّب بن عبد الرحمن قال :

كان ابن جامع يُعِدّ صيحةَ الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن .

اشتغاله بالقمار وحب الكلاب

وحدّث محمد بن الحسن[1] قال حدّثنى أبو حارثة بن عبد الرحمن بن سعيد بن سَلْم[2] عن أخيه أبى معاوية[3] بن عبد الرحمن قال :

قال لى ابن جامع : لولا أن القِمار وحبَّ الكِلاب قد شغلانى لتركتُ المغنّين لا يأكلون الخبز .

٧١/٦

دعا كلبا أهدى إليه باسم من دفتر فيه أسماء الكلاب

أخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذْبَه قال :

أهدى رجل إلى ابن جامع كلبًا فقال : ما ٱسمُه؟ فقال : لا أدرى، فدعا بدفتر فيه أسماءُ الكلاب فجعل يدعوه بكل اسم فيه حتى أجابه الكلب .

ألقى على ابنه هشام صوتا سمعه من الجن

قال هارون بن محمد حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفلىّ قال حدّثنى محمد بن أحمد المكّىّ قال حدثتنى حَوْلاءُ مولاةُ ٱبن جامع قالت :

انتبه مولاى يومًا من قائلته فقال : علىّ بهشام (يعنى ٱبنَه) ادعُوه لى عجِّلوه، فجاء مسرعًا. فقال : أىْ بُنَىّ، خذ العودَ، فإنّ رجلًا من الجن ألقى علىّ فى قائلتى صوتًا فأخاف أن أنساه. فأخذ هشام العود وتغنّى ابنُ جامع عليه رملًا لم أسمع له رملا أحسن منه، وهو :

صـــــوت

أمستْ رُسـوم الديار غيَّرهـا * هوجُ الرِّياح الزَّعازِع العُصُف
وكلُّ حَنّانة لهـا زَجَـلٌ * مثلُ حَنينِ الرَّوائم الشُّغُف

---

(١) كذا فى جميع الأصول . وقد تقدم فى الجزء الخامس (ص ٣٨٥) من هـذه الطبعة أن الذى يروى عن أبى حارثة هذا هو « محمد بن الحسين الكاتب » .

(٢) فى جميع الأصول : «سعد» وهو تحريف .

(٣) فى أكثر الأصول : «عن أخيه عن أبى معاوية» . وفى حـ : «عن أخيه عن ابن معاوية» وكلاهما تحريف . وقد مرت رواية أبى حارثة هذا عن أخيه أبى معاوية فى الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص ٣٨٥) .

فأخذه عنه هشام، فكان بعد ذلك يتغنّاه و ينسُبه إلى الجن. وفى هذا الصوت للهُذَلِىّ لحنٌ من الثقيل الثانى بالخنصر فى مجرى الوسطى. وفيه للغَرِيض ثانى ثقيل بالوسطَى على مذهب إسحاق من رواية عمرو، وقيل: إن هذا اللحن لعَبَادِلَ. وفيه لابن جامع الرمل المذكور.

أخذ بيتين غنى بهما الرشيد عشرة آلاف دينار.

قال هارون وحدّثنى أحمد بن بِشْر بن عبد الوهاب قال حدّثنى محمد بن موسى[1] ابن فُلَيح الخُزَاعىّ قال حدّثنا أبو محمد عبد الله بن محمد المكّىّ قال: قال لى ابن جامع:

أخذتُ من هارون ببيتَيْن غنّيتُهُ بهما عشرةَ آلاف دينار:

صـــوت

لا بدّ للعاشق من وَقْفــةٍ * تكون[2] بين الوَصْل والصَّرْمِ
يَعْتِب أحيــاناً وفى عَتْبه * إظهارُ[3] ما يُخْفِى من السُّقْم
إشــفاقُه داعٍ إلى ظَنّــه * وظنُّــه داعٍ إلى الظلم
حتى إذا ما مَضّه هجرُه[4] * راجَع مَنْ يَهْوَى على رَغْم

ــ هكذا رُوِّيتُــه[5]. الشعر للعبّاس بن الأحنف. والغناء لابن جامع ثانى ثقيل بالوسطى. وذكر ابن بانة أن هذا اللحن لسُلَيم. وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ــ قال: ثم قال لى ابنُ جامع: فمتى تُصيب أنت بالمروءة شيئا!

(١) كذا فى أكثر الأصول. والظاهر أن محمد بن موسى هذا ابن أخ لمحمد بن فليح الراوى المعروف الذى مر ذكره فى الأجزاء السابقة. فقد ذكر فى التهذيب فى ترجمة محمد بن فليح أن له أخا يسمى موسى إلا أنه لم يذكر هناك من أولاده غير عمران. وفى ب، س: «محمد بن عيسى بن فليح ... الخ»
(٢) فى ديوان العباس بن الأحنف: «يكون». (٣) فى ديوانه: «يهيج ما يخفى ... الخ».
(٤) فى ديوانه: «شوقه». (٥) هذه العبارة ساقطة فى حـ.

صادفه جماعة من القرشيين بفخ وهو يغنى

وقال هارون حدّثنى أحمد بن زُهَير قال حدّثنى مُصْعَب بن عبد الله قال :

خرج ابنُ أبى عمرو الغِفَارىّ وعبد الرحمن بن أبى قباحة وغيرُهما من القرشيّين عُمّارًا(١) يريدون مكة ؛ فلما كانوا بفَخٍّ(٢) نزلوا على البئر التى هناك ليغتسلوا فيها . قال(٣) : فبينا نحن نغتسل إذ سمعنا صوتَ غناء، فقلنا : لو ذهبنا إلى هؤلاء فسمعنا غناءهم! فأتيناهم، فإذا آبن جامع وأصحاب له يغنّون وعندهم فَضِيخ(٤) لهم يشربون منه، فقالوا : تقدّموا يا فِتْيان، فتقدّم ابنُ أبى عمرو فجلس مع القوم وكان رأسَهم، فجلسنا نشرب؛ وطرِب ابن أبى قباحة فغنّى . فقال ابن جامع : وابأبى وأمى ! ابنُ أبى قباحة وإلا فهو آبن الفاعلة. فقام آبن أبى عمرو فأخرج من وسطه هِمْيانًا(٥) فيه ثلثمائة درهم فنثرها على آبن أبى قباحة . فقال آبن جامع : امضوا بنا إلى المنزل ، فمضينا فأقمنا عنده شهرًا ما نبرح ونحن على إحرامنا ذلك .

غنت جاريته الحولاء صوتا له فى جارية سوداء يحبها

٧٢/٦ قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثنى علىّ بن سليمان عن محمد بن أحمد النّوفلىّ عن جارية آبن جامع الحولاء قال : — وكانت تَتَبَنّانى — فتغنّت يومًا وطربتْ وقالت : يابُنىّ، ألا أغنّيك هزجًا لسيّدى فى عَشيقة له سوداء ؟ قلت : بلى . فتغنّت هزجًا ما سمعتُ أحسنَ منه، وهو :

صـــوت

أشْبَهَكِ المسكُ وأشبهتِه * قائمـــةً فى لونه قاعده
لاشــكّ إذ لونُكما واحدٌ * أنّكما من طينـــةٍ واحدهْ

---

(١) عمارا : زوّارا ، من العمرة وهى الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة . والعمرة تكون فى السنة كلها . والحج فى وقت معين من السنة . (٢) فخ (بفتح أوله وتشديد ثانيه) : واد بمكة .
(٣) ظاهر السياق أن القائل هو أحد هؤلاء الذين خرجوا عمارا ، غير أنه لم يعين فى الأصول .
(٤) الفضيخ : عصير العنب ، وشراب يتخذ من بسر مفضوخ (مطبوخ) . (٥) الهميان (بالكسر) : كيس تجعل فيه النفقة ويشدّ على الوسط .

وقد رُوِى هذا الشعر لأبى حَفْص الشِّطْرَنْجِىّ[1] يقوله فى دَنَانِيرَ[2] مولاةِ البَرامكة . ونُسب هذا الهَزَج إلى إبرهيم وابن جامع وغيرهما .

شبه برصوما الزامر بزق عسل

قال عبد الله بن عمرو حدّثنا أحمد بن عمر بن إسماعيل الزُّهْرِىّ قال حدّثنى محمد بن جعفر بن عمر بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام — وكان يلقّب الأَبْلَهَ — قال : قال بَرْصوما الزَّامِر، وذكر إبراهيمَ الموصلىَّ وابنَ جامع، فقال :

الموصلىّ بستانٌ تَجِدُ فيه الحُلْوَ والحامضَ وطريًّا لم يَنْضَج، فتأكل منه مِن ذا وذا . وابن جامع زِقّ عسلٍ، إن فتحتَ فمَه خرج عسل حلو، وإن خرقتَ جَنْبه خرج عسلٌ حلو، وإن فتحتَ يدَه خرج عسل حلو، كلُّه جيّد .

غنى عند الرشيد وهو سكران فأخطأ

أخبرنا يحيى بن علىّ عن أبيه وحَمّاد[3] عن إبراهيم بن المهدىّ — وكان إبراهيم يفضِّل ابن جامع ولا يقدّم عليه أحدا، وابنُ جامع يَميل إليه — قال :

كنّا فى مجلس الرشيد وقد غلب على ابن جامع النبيذُ، فغنّى صوتًا فأخطأ فى أقسامه، فالتفتَ إلىّ إبراهيمُ الموصلىّ فقال : قد خَرِىَ فيه، وفهمتُ صِدقه قال : فقلت لابن جامع : يا أبا القاسم، أعِدِ الصوت وتَحَفَّظْ فيه، فانتبه وأعاده فأصاب . فقال إبراهيم :

---

(١) هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز مولى بنى العباس . وكان أبوه من موالى المنصور فيما يقال، وكان اسمه اسما أعجميا، فلما نشأ أبو حفص وتأدب، غيره وسماه عبد العزيز . وكان أبو حفص لاعبا بالشطرنج مشغوفا به، فلقب به لغلبته عليه . (انظر ترجمته ج ١٩ ص ٦٩ من الأغانى طبع بولاق) . (٢) دنانير : مولاة يحيى بن خالد البرمكى . كانت صفراء مولدة وكانت من أحسن الناس وجها وأظرفهن وأكملهن وأحسنهن أدبا وأكثرهن رواية للغناء والشعر . ولها كتاب مجرد فى الأغانى مشهور . (انظر ترجمتها ج ١٦ ص ١٣٦ من الأغانى طبع بولاق) . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : « حماد بن إبراهيم ابن المهدى ... الخ » ولم نعرف أن إبراهيم بن المهدى أعقب ولدا اسمه إبراهيم أو حماد . وقد ورد هذا السند فى الجزء الخامس (ص ١٧٣ من هذه الطبعة) مختلفا عما هنا وهو : « أخبرنا يحيى بن على بن يحيى قال حدّثنا أبى عن طياب بن إبراهيم الموصلى قال ... الخ » .

أُعلِّمُـــه الرِّمايةَ كلَّ يومٍ * فلمّا ٱشْتدّ ساعِدُه رمانى

وتنكَّر لى لَمَيْلِى مع ٱبن جامع عليه. فقلتُ للرَّشيد بعد أيام : إن لى حاجةً إليك. قال : وما هى ؟ قلت : تسألُ إبراهيمَ الموصلىّ أن يَرضى عنّى ويعودَ إلى ما كان عليه. فقال : إنمـا هو عبدُك ، وقال له : قم إليه فقبِّل رأسَه. فقلتُ[1] : لا ينفعنى رِضاه فى الظاهر دون الباطن، فسَـلْه أن يصحِّح الرِّضا. فقام إلىّ ليُقبِّل رأسى كما أُمِر، فقال لى وقد أكبّ علىّ ليقبِّل رأسى : أتعود ؟ قلتُ لا. قال : قد رضِيتُ عنك رِضًا صحيحًا. وعاد إلى ما كان عليه.

غنى بعد إبراهيم الموصلى عند الرشيد فأجاد

وقال حمّاد عن أبى يحيى العِبَادِىّ قال : قدِم حَوْراءُ[2] غلام حمّاد الشَّعْرانى وكان أحدَ المغنِّين المُجيدين قال حدّثنى بعض أصحابنا قال :

كنّا فى دار أمير المؤمنين الرشيد فصاح بالمغنّين : من فيكم يعرف

وكَعْبـةُ نجرانَ[3] حَتْمٌ عليـ * ـك حتى تُناخِى بأبوابها؟

— الشـعر للأعشى — فبـدَرهم إبراهيمُ الموصلىّ فقال : أنا أُغنّيه ، وغنّاه فجاء بشىء عجيب. فغضِب ٱبنُ جامع وقال لزَلْزَل : دَعِ العودَ ، أنا مِن جَحّاش

(١) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول : «فقال» (٢) كذا فى جميع الأصول. ولعلها محرفة عن «قال». (٣) نجران : موضع فى مخاليف اليمن من ناحية مكة. قالوا : سمى بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، لأنه كان أوّل من عمرها. وكعبة نجران هـذه يقال : إنها بيعة بناها بنو عبـد المدان بن الديان الحارثى على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبـة وسموها كعبة نجران. وذكر هشام بن الكلبى أنها كانت قبة من أدم من ثلثمائة جلد، كان إذا جاءها الخائف أمن، أو طالب حاجة قضيت، أو مسترفد أرفد. وكان لعظمها عندهم يسمونها كعبة نجران. (عن معجم البلدان لياقوت). وقد أورد أبو الفرج قصة هذا الشعر فى خبر أساقفة نجران مع النبى صلى الله عليه وسلم (ج ١٠ ص ١٤٣ طبع بولاق).

وَجْرَةٌ[1] لا أحتاج إلى بَيْطار ، ثم غنّى الصوتَ ، فصاح إليه مسرورٌ[2] : أحسنتَ يا أبا القاسم ! ثلاث مرات .

نسبة هذا الصوت

صوت

٧٣/٦

وكعبةُ نجرانَ حتمٌ عليـ * ـكِ حتى تُناخى بأبوابها

تَزور[3] يزيدَ وعبدَ المسيح * وقيسًا هُمُ[4] خيرُ أربابها

وشاهدُنا الجُلُّ[5] والياسميـ * ـنُ والمُسْمِعاتُ بقُصّابها[6]

وبَرْبَطُنا[7] دائمٌ مُعْمَلٌ * فأىُّ الثلاثةِ أزرى بها

تنازعنى إذ خلتْ بُردَها * معطَّرةً غيرَ جلبابها

فلما التقينا على آلةٍ * ومدّتْ إلىّ بأسبابها

(١) قال الأصمعى : وجرة — وفيها أقوال أخرى — بين مكة والبصرة بينها وبين البصرة نحو أربعين ميلا ليس فيها منزل ، فهى مرب للوحش . يريد أنه يجرى على الطبيعة والفطرة لا يحتاج إلى معين من الصناعات الآلية كسائر المغنين المحترفين . (٢) هو أبو هاشم خادم الرشيد ، وكان أوثق رجاله عنده وقد تولى له قتل جعفر بن يحيى البرمكى . (انظر الطبرى قسم ٣ ص ٦٧٩ و ٦٨٢) .

(٣) كذا فى مسالك الأبصار (ج ١ ص ٣٠٩) والأغانى (ج ١٠ ص ١٤٣ طبع بولاق) ومعجم البلدان (ج ٤ ص ٧٥٦ طبع أوروبا) . وفى جميع الأصول هنا : «تزور» (بالتاء المثناة الفوقية) .

(٤) فى مسالك الأبصار (ص ٣٠٩) : « ... وهم ... الخ ...» . (٥) الجل (بالضم وبفتح) : الورد أبيضه وأحمره وأصفره ، واحده جلة . (٦) ورد هذا البيت فى اللسان والصحاح (مادة قصب) . وفصل فى اللسان : « ... والقصابة : المزمار والجمع القصاب . قال الأعشى (وذكر هذا البيت ثم قال) وقال الأصمعى : أراد الأعشى بالقصاب الأوتار التى سويت من الأمعاء» . وعبارة الصحاح : « ... والقصب بالضم : المعى ... والجمع أقصاب قال الأعشى :

وشاهدنا الجل والياسميـ * ـن والمسمعات بأقصابها

ى بأوتارها وهى تتخذ من الأمعاء . ويروى بقصابها وهى المزامير» . (٧) البربط (كجعفر) : العود . والكلمة فارسية معربة قيل شبه بصدر البط ، وبر : الصدر . ورواية هذا الشطر فى مسالك الأبصار : « وبربطنا معمل دائب » .

الشّعر للأعشى أعشى بنى قَيْس بن ثَعْلبة. وهؤلاء الذين ذكرهم أَساقفةُ نَجْران، وكان يزورهم ويمدحهم، ويمدح العاقبَ والسيِّد، وهما ملكا نجران، ويقيم عندهما ما شاء، يَسْقونه الخمرَ ويُسمِعونه الغناءَ الرُّومىّ، فإذا آنصرف أَجْزَلوا صلتَه .

أخبرنا بذلك محمد بن العبّاس اليَزيدىّ عن عمه عُبيد الله عن محمد بن حبيبَ عن آبن الأعرابىّ، وله أخبار كثيرة معهم تُذكر فى مواضعها إن شاء الله . والغناء لحُنَين الحِيرِىّ خفيفُ ثقيـلٍ(1) بالوسطى فى مَجْراها عن إسحاق فى الأربعـة الأُوَل . وذكر عمرو أنه لآبن مُحرِز. وذكر يونُس أن فيها لحنًا لمالك ولم يُجَنِّسه. وذكر الهشامىّ أن فى الخامس والسادس ثم الأوّل والثانى خفيفَ رمل بالوسطى ليحيى المكىّ .

استحضره الفضل ابن الربيع لما ولى الهادى

وقال حمّـاد عن مصعَب بن عبد الله قال حدّثنى الطرّاز وكان بَريدَ الفضل بن الرّبيع قال :

لمـا مات المهدى ومُلِّك موسى الهـادى أعطانى الفضلُ دنانيرَ وقال : الحَقْ بمكّةَ فأْتِنى بآبن جامع وآحمِله فى قبّة ولا تُعلِمَنّ بذا(2) أحدا؛ ففعلت فأنزلتُه عندى وآشتريت له جاريةً، وكان ابنُ جامع صاحبَ نِساء. فذكره موسى ذاتَ ليلة ـ وكان هو والحَرّانىّ(3) منقطعَيْن إلى موسى أيام المهدىّ فضربهما المهدىّ وطردهما ـ فقـال لجلسائه : أما فيكم أحدٌ يرسل إلى آبن جامع وقد علمتم موقعَه منِّى ! فقال له الفضل ابن الربيع : هو والله عنـدى يا أمير المؤمنين وقد فعلتُ الذى أردتَ . وبعَثَ إليه فأُتى به فى الليل . فوصَل الفضلَ تلك الليلةَ بعشرة آلاف دينار وولّاه حِجابتَه .

---

(1) كلمة «ثقيل» ساقطة فى حـ . (2) فى حـ : «به» . (3) هو ابراهيم الحرّانى. كان من ندماء الهادى، وقيّما على خزائن الأموال فى أيامه . (انظر التاج للجاحظ ص ٣٦ طبع المطبعة الأميرية ببولاق) . وسيذكر بعـد قليل فى خبر عن مصعب أيضا أن الذى كان منقطعا إلى موسى الهادى مع ابن جامع وناله معه ضرب المهدى وطرده هو ابراهيم الموصلىّ .

غنى هو وإبراهيم الموصلى الرشيد بشعر السعدى فمدحه وذم الموصلى

قال إسحاق عن بعض أصحابه :

كنّا عند أمير المؤمنين الرشيد يوما فقال الغلام الذى على الستارة : يابنَ جامع، تغنّ ببيت السّعْدىّ (١) :

فلو سألتْ سَراةَ الحىِّ سَلْمى * على أن قد تلوّن بى زمانى
لخبّرها ذوو الأحساب عنّى * وأعدائى فكلٌّ قد بَلانى
بذبّى الذمَّ عن حسبى بمالى (٢) * وزَبُّوناتِ أشْوسَ تيّحان (٣)
وأنى لا أزال أخا حُروبٍ * إذا لم أَجْنِ كنتُ مِجَنَّ جانى

قال : فحرّك ٱبنُ جامع رأسه — وكان إذا ٱقترح عليه الخليفةُ شيئا قد أحسنه وأكمله طار فرحًا — فغنّى به، فأربدّ وجهُ إبراهيم لمّا سمعه منه، وكذا كان ابن جامع أيضا يفعل، فقال له صاحبُ الستارة : أحسنتَ والله يا أميرى! أعِدْ فأعاد، فقال : أنت فى حَلْبة لا يَلْحقُكَ أحدٌ فيها أبدا . ثم قال صاحب الستارة لإبراهيم : تغنّ بهذا الشعر فتغنّى ؛ فلما فرَغ قال : «مَرْعًى ولا كالسّعْدان (٤)» ! أخطأتَ (٥) فى موضع كذا

(١) هو سوّار بن المضرب السعدى . (٢) كذا ورد هذا الشطر فى الأصول . وروايته فى لسان العرب مادة (تيح) : «بذبّى اليوم ... * » . وفى مادة (زبن) : «بذبّى الذم عن أحساب قومى» . (٣) كذا فى س . ولسان العرب والصحاح (مادتى زبن وتيح) . وقد صححها كذلك المرحوم الشيخ الشنقيطى بقلمه على هامش نسخته . وزبونات : جمع زبونة وهى الكبر . يقال : رجل فيه زبونة أى كبر، وذو زبونة أى مانع جانبه . ويقال : الزبونة من الرجال : المانع لما وراء ظهره . وقال ابن برى : زبونات : دفوعات، واحدها زبونة ، يعنى بذلك أحسابه ومفاخره أى أنها تدفع غيرها . والأشوس : الذى ينظر بمؤخر عينه من الكبر . والتيحان (بكسر الياء المشددة وفتحها) : الذى يتعرض لكل مكرمة وأمر شديد . وفى سائر الأصول : «وديوسات أشوس ...» . (٤) قال أبو حنيفة الدينورى : من الأحرار السعدان وهى غبراء اللون حلوة يأكلها كل شىء وليست بكبيرة ولها اذا يبست شوكة مفلطحة كأنها درهم . ومنبته سهول الأرض، وهو من أنجع المراعى فى المال، ولا تحسن على نبت حسنها عليه . قال النابغة :

الواهب المائة الأبكار زينها * سعدان توضح فى أوبارها اللبد

وهذا مثل يضرب للشىء يفضل على أقرانه وأشكاله . (راجع مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٩١ واللسان مادة سعد) . (٥) فى ب ، س : «لم أخطأت» .

٧٤/٦ وفى موضع كذا . فقال : نُفِىَ إبراهيمُ من أبيه إن كان يا أمير المؤمنين أخطأ حرفًا ، وقد علمتُ أنى أغفلتُ فى هذين الموضعين .

قال إبراهيم : فلما آنصرفنا قلت لآبن جامع : والله ما أعلم أنّ[1] أحدًا بقى فى الأرض يعرف هذا الغناءَ معرفةَ أمير المؤمنين . قال : حقٌّ والله ، لهو إنسان يَسمع الغناءَ منذ عشرين سنةً مع هذا الذكاء الذى فيه .

صوت كان اذا غناه فى مجلس لم يتغن بغيره

قال إسحاق :

كان آبن جامع إذا تغنّى فى هذا الشعر :

صـــــوت

مَنْ كان يَبْــكى لِمَابِى ٭ مِنْ طول سُقْمٍ رَسِيسِ[2]

فالآنَ من قبــل موتى ٭ لا عِطْرَ بعــد عَرُوسِ[3]

---

(١) فى حـ : « يغنى » . (٢) الرسيس : الثابت الذى قد لزم مكانه . ويقال : رس السقم فى جسمه وقلبه رسيسا اذا دخل وثبت . (٣) هذا مثل مشهور قالته أسماء بنت عبد الله العذرية ، وكان اسم زوجها عروس ، ومات عنها ، فتزوجها رجل أعسر أبخر بخيل دميم . فلما أراد أن يظعن بها قالت : لو أذنت لى فرثيت آبن عمى ؛ فقال : افعلى ؛ فقالت : أبكيك يا عروس الأعراس ، يا ثعلبا فى أهله وأسدا عند الناس ، مع أشياء ليس يعلمها الناس . فقال : وما تلك الأشياء ؟ فقالت : كان عن الهمة غير نعاس ، ويعمل السيف صبيحات البأس . ثم قالت : يا عروس الأغر الأزهر ، الطيب الخيم الكريم المخبر ، مع أشياء له لا تذكر . فقال : وما تلك الأشياء ؟ قالت : كان عيوفا للخنى والمنكر ، طيب النكهة غير أبخر ، أيسر غير أعسر . فعرف أنها تعرض به . فلما رحل بها قال : ضمى إليك عطرك ؛ وقد نظر الى قشوة عطرها مطروحة ، فقالت : لا عطر بعد عروس . وقيل : إن رجلا تزوج آمرأة فأهديت إليه فوجدها تفلة فقال : أين عطرك ؟ فقالت : خبأته ؛ فقال : لا مخبأ لعطر بعد عروس . وهذا المثل يضرب لمن لا يدخر عنه نفيس . (انظر شرح القاموس مادة عرس ومجمع الأمثال للميدانى ج ٢ ص ١٢٧ طبع بولاق) .

بَنَيْتُمْ في فؤادي * أوكارَ طيرِ النُّحوس
قلبي فَرِيسُ المَنَايا * يا ويحه من فَرِيس

— الشعر لرجل من قريش، والغناء لابن جامع في طريقة الرمل — لم يتغنّ في ذلك المجلس بغيره . وكان إذا أراد أن يتغنّى سأل أن يَزْمُر عليه بَرْصوما . فلما كَثُرَ ذلك سألوه فيه فقال: لا والله،(١) ولكنه إذا ابتدأتُ فتغنّيتُ في الشعر عرف الغرضَ الذي يصلُح فما يجاوزه، وكنتُ معه في راحة؛ وذلك أن المغنّي إذا تغنّى بزَمْر زامرٍ فأكثرُ العمل على الزامر لأنه لا يقفو الأثر؛ فإذا زَمَر بَرْصوما فأنا في راحة وهو في تعب، وإذا زَمَر على غيره فهو في راحة وأنا في تعب. فإن شككتم فاسألوا برصوما ومنصور زَلْزَل. فسألوهما عما قال، فقالا: صدق.

سئل عن تفضيله برصوما فأجاب

قال وحدّثني عليّ بن أحمد الباهليّ قال: سمعت مُصعب بن عبد الله يقول:

هم المهدي بضربه لاتصاله بالهادي

بلغ المهديَّ أنّ ابنَ جامع والموصليّ يأتيان موسى،(٢) فبعث إليهما فجيء بهما، فضرب الموصليّ ضرباً مبرّحاً، وقال له ابن جامع: ارحم أمّي! فرقّ له وقال له: قبّحك الله! رجل من قريش يغنّي! وطرده. فلما قام موسى،(٣) وجّه الفضلُ خلفَه بريدًا حتى جاء به؛ فقال له موسى: ما كان ليفعل هذا غيرك.

قال وحدّثني الزبير بن بكّار قال قال لي فُلَيْلة(٤):

غنى عند الهادي فأعطاه ثلاثين ألف دينار

تمنّى يومًا موسى أميرُ المؤمنين ابنَ جامع، فدفع إليّ الفضلُ بن الربيع خمسمائة دينار وقال: امضِ حتى تحمِلَ ابنَ جامع، وبعث إليه بما يُصلحه، فمضيتُ فحملتُه. فلما دخلنا أدخله الفضلُ الحمّامَ وأصلح من شأنه. ودخل على موسى فغنّاه فلم

(١) كذا في حـ . وفي سائر الأصول: «لا وأبيه» . (٢) هو موسى الهادي بن المهدي تولى الخلافة سنة ١٦٩ هـ وتوفي سنة ١٧٠ وكانت خلافته سنة وشهرين . (٣) يريد: صار خليفة . (٤) كذا في ب ، س . وفي سائر النسخ: «قليلة» .

يُعجبه . فلمّا خرج قال له الفضلُ : تركتَ الخفيفَ وغنيتَ الثقيل، قال : فأدْخِلْنى عليه أخرى؛ فأدخله فغنّى الخفيفَ؛ فقال : حاجتك فأعطاه ثلاثين ألفَ دينار .

غنّى عند الرشيد بين برصوما وزلزل بعد إبراهيم الموصلى فأجاد

قال وحدّثنى عبد الرحمن بن أيوب قال حدّثنا أبو يحيى العِبَادىّ قال حدّثنى ابن أبى الرجال قال حدّثنى زَلْزَل قال :

أبطأ إبراهيم الموصلىّ عن الرشيد ، فأمَرَ مسرورًا الخادمَ يسأل عنه ــ وكان أمير المؤمنين قد صيّر أمْرَ المغنّين إليه ــ فقيل له : لم يأت بعــدُ . ثم جاء فى آخر النهار، فقعد بينى وبين بَرْصوما، فغنّى صوتًا له فأطربه وأطرب والله كلّ من كان فى المجلس . قال : فقام ابنُ جامع من مجلسه فقعد بينى وبين برصوما ثم قال : أمَا والله يانَبَطىّ ما أحسن إبراهيمُ وما أحسن غيرُكما . قال: ثم غنّى فنسينا أنفسنا، والله لكأنّ العودَ كان فى يده .

شهد له إبراهيم الموصلى بجودة الايقاع ٧٥/٦

قال وحدّثنى عمر بن شبّة قال حدّثنى يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن نَهِيك قال :

دعا أبى الرشيدُ يومًا ، فأتاه ومعه جعفر بن يحيى ، فأقاما عنده، وأتاهما ابنُ جامع فغنّاهما يومَهما . فلما كان الغدُ انصرف الرشيدُ وأقام جعفر . قال : فدخل عليهم إبراهيم الموصلى فسأل جعفرًا عن يومهم ، فأخبره وقال له : لم يزل ابن جامع يغنّينا إلا أنه كان يخرج من الإيقاع ــ وهو فى قوله يريد أن يطيب نفسَ إبراهيم الموصلىّ ــ قال : فقال له إبراهيم : أتريد أن تطيِّب نفسى بما لا تَطِيب به ! لا والله، ما ضَرَط ابنُ جامع منذ ثلاثين سنة إلا بإيقاع، فكيف يخرج من الإيقاع ! .

احتال فى عزل العثمانى عن مكة أيام الرشيد

قال وحدّثنى يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدّثنى أبى قال :

كان سبب عزل العثمانىّ [1] أن ابن جامع سأل الرشيدَ أن يأذَنَ له فى المُهارشة

(١) هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفان . (انظر كتاب المنتق فى أخبار أم القرى ج ٢ ص ١٨٦ والطبرى ق ٣ ص ٧٤٠) .

بالدُّبوك والكلاب ولا يُحَدّ في النبيذ، فأذن له وكتب له بذلك كتابًا إلى العثمانيّ. فلما وصل الكتاب قال : كذبتَ ! أميرُ المؤمنين لايُحِلّ ماحرَّم الله، وهذا كتاب مزوَّر. والله لئن ثقفتُك[1] على حال من هذه الأحوال لأؤدّبنّك أدبَك. قال: فحذره ابنُ جامع. ووقع بين العثمانى وحماد اليزيدىّ، وهو على البريد، ما يقع بين العمال[2]. فلما حجّ هارون، قال حماد لابن جامع : أعِنّي عليه حتى أعزِله ؛ قال: أفعل. قال: فابدأ أنت وقل: إنه ظالم فاجر واستشهِدْني. فقال له ابن جامع : هذا لا يُقبل في العثمانيّ، ويفهم أميرُ المؤمنين كذبَنا، ولكني أحتال من جهة ألطفَ من هذه. قال: فسأله هارون ابتداءً فقال له : ياابن جامع، كيف أميركم العثمانى؟ قال : خيرُ أمير وأعدلُه وأفضلُه وأقومه بحق لولا ضعفٌ في عقله . قال : وما ضعفه ؟ قال : قد أفنى الكلاب . قال : وما دعاه إلى إفنائها ؟ قال: زعم أن كلبًا دنا من عثمان بن عفّان يوم أُلقي على الكناس فأكل وجهه، فغضِب على الكلاب فهو يقتلها . فقال : هذا ضعيف، اعزلوه! فكان سببَ عزله .

أخبره إبراهيم بن المهدى بموت أمه كذبا ليحسن غناؤه

قال هارون بن محمد وحدّثني الحسن بن محمد الغِياثي[3] قال حدّثني أبي عن القِطرانيّ قال :

كان ابن جامع بارًّا بوالدته، وكانت مقيمةً بالمدينة و بمكة . فدعاه إبراهيم بن المهديّ وأظهر له كتابًا إلى أمير المؤمنين فيه نَعْيُ والدته . قال : فجزِع لذلك جزعًا شديدًا ، وجعل أصحابُه يعزّونه و يؤنسونه ؛ ثم جاءوا بالطعام فلم يتركوه حتى طَعِم وشرب، وسألوه الغناءَ فامتنع . فقال له إبراهيم بن المهدى : إنك ستبذل هذا لأمير المؤمنين، فابذُله لإخوانك؛ فاندفع يغنّي :

(١) ثقفتك : صادفتك . (٢) كذا في ح . وفي سائر الأصول : « مع العمال » .
(٣) كذا في ب ، س . وفي سائر الأصول : « العتابى » .

صــــوت

كم بالدُّروب وأرض الروم مِنْ قَدَم * ومِنْ جماجم صَرْعَى ما بها قُبِرُوا[1]
بقُنْدُهَارَ[2] ومَنْ تُقْدَر منيّته * بقُنْدُهَار يُرَجَّم دونه الخبر

— الشعر ليزيد بن مُفَرِّغ الحِمْيَرِىّ[3] . والغناء لابن جامع رمل . وفيه لابن سريج خفيفُ رمل جميعاً عن الهشامىّ — قال : وجعل إبراهيم يستردّه حتى صلح له[4] . ثم قال : لا والله ما كان ممّا خبّرناك شىء إنما مزحْنا بك . قال : ثم قال له : رُدّ الصوتَ ؛ فغنّاه فلم يكن من الغناء الأوّل فى شىء . فقال له إبراهيم : خذه الآن علىّ ، فأدّاه إبراهيم على السماع الأوّل . فقال له ابن جامع : أحبّ أن تطرحه أنت على كذا .

...ثم فى مجلس ...شيد ثم انتبه من ... وغناه ما عجب به

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابنُ مَهْرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى على بن الحسن الشَّيْبانىّ عن أحمد بن يحيى المكىّ قال :

كان أبى بين يدى الرشيد وابنُ جامع معه يغنّى بين يدى الرشيد . فغنّاه :

خليفةٌ لا يَخِيبُ سائلُه * عليه تاجُ الوقار مُعْتَدِلُ[5]

---

(١) كذا فى أكثر الأصول هنا ونهاية الأرب (ج ٤ ص ٣٢٤ طبع دار الكتب المصرية) . وجميع الأصول فيما يأتى . وفى ب ، س هنا : « ما هم قبروا » . ورواية هذا البيت فى معجم البلدان فى الكلام على قندهار :

كم بالجروم وأرض الهند من قدم * ومن سرابيل قتلى ليتهم قبروا

والقدم : الشجاع . يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع . وجماجم القوم : ساداتهم ورؤساؤهم .

(٢) قندهار : مدينة كبيرة بالقرب من كابل ، عاصمة أفغانستان الآن . (٣) هو يزيد بن ربيعة ابن مفرغ (كمحدث) الحميرى ، وقيل : يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ . وكان حليفا لآل خالد ابن أسيد بن أبى العيص بن أمية ، وهو عم السيد الحميرى . ويقال : إن جده راهن على أن يشرب سقاء لبن كله فشربه حتى فرغه ، فلقب مفرغا . (انظر ترجمته فى الأغانى ج ١٧ ص ٥١ طبع بولاق) .

(٤) كذا فى الأصول . ولعله « حتى صح له » . (٥) فى حـ ، ء ، م : « يعتدل » .

٧٦/٦

قال : وغنّى من يتلوه ، وهوّم ابنُ[١] جامع سكرًا ونُعاسا . فلما دار الغناءُ على أصحابه وصارت النوبةُ إليه ، حرّكه مَنْ يجنبه لنوبته فانتبه وهو يغنّى :

إِسْلَمْ وحُيِّيتَ أيها الطَّلَلُ * وإن عَفَتْك الرياح والسَّبَلُ[٢]

— قال : وهو يتلو البيت الأوّل — فعجب أهلُ المجلس من ذكائه وفَهْمه ، وأعجب ذلك الرشيد .

نسبة هذا الصوت

صوت

إِسلم وحُيِّيت أيها الطللُ * وإن عَفَتْك الرياح والسَّبَلُ

خليفةٌ لا يَخيب سائلُه * عليه تاجُ الوقار مُعْتدِل

الشعر لأشجع أو لسَلْم الخاسر يمدح به موسى الهادى . والغناء لابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ، من رواية الهشامىّ وأحمد بن يحيى المكىّ .

أخبره الرشيد بموت أمه كذبا ليحسن غناؤه

قال هارون وقد حدّثنى بهذا الخبر عبد الرحمن بن أيوب قال حدّثنى أحمد بن يحيى المكىّ قال :

كان ابن جامع أحسنَ مايكون غناءً إذا حَزِن صوتُه . فأحبّ الرشيدُ أن يسمع ذلك على تلك الحال ، فقال للفضل بن الربيع : ابعَثْ خريطةً فيها نَعْىُ أمّ ابن جامع — وكان بارًّا بأمّه — ففعل . فوردت الخريطة على أمير المؤمنين وهو فى مجلس لهوه ، فقال : يابنَ جامع ، جاء فى هذه الخريطة نعيُ أمّك . فاندفع ابن جامع يغنّى بتلك الحُرْقة والحزن الذى فى قلبه :

(١) هوّم الرجل : هز رأسه من النعاس ، وقيل : نام قليلا . (٢) السبل (بالتحريك) : المطر .

كم بالدّروب وأرض السِّند من قَدَم * ومن جماجم صَرْعَى ما بها قُبِروا
بقُنْدُهار ومن تُكتَب مَنِيّته * بقُنْدُهار يُرَجَّم دونه الخبر

قال: فوالله ماملكنا أنفسنا، ورأيتُ الغِلْمان يضربون برءوسهم الحيطانَ والأساطين.
— قال هارون: لا أشك أن آبن المكىّ قد حدّث به عن رجل حضر ذلك فأغفله عبد الرحمن بن أيوب — قال: ثم غنَّى بعد ذلك:

* يا صاحب القبر الغريب *

— وهو لحن قديم. وفيه لحن لابن المكىّ — فقال له الرشيد: أحسنت! وأمر له بعشرة آلاف دينار.

نسبة هذا الصوت الأخير

صوت

يا صاحبَ القبر الغريب * بالشام فى طَرَف الكَثِيب
بالحِجْر[1] بين صفائح * صُمٍّ تُرَصَّف بالجَبُوب[2]
رَصْفًا ولَحْدٍ مُمْكِنٍ * تحت العَجاجة فى القليب
فإذا ذكرتُ أنِينَهُ * ومغيبَه تحت المغيب
هاجتْ لواعجُ عَبْرة * فى الصدر دائمة الدَّبِيب
أسفًا لحسن بلائه * ولمصرع الشيخ الغريب

(١) الحجر (بالكسر): قرية صغيرة كانت بين الشام والحجاز وهى بين جبال كانت ديار ثمود التى قال الله جل شأنه فيها: (وتنحتون من الجبال بيوتا). وتسمى تلك الجبال الأثالث، وهى التى ينزلها حجاج الشام. (٢) كذا فى حـ. والجبوب (بالباء الموحدة): المدر (الطوب) المفتت. وفى سائر الأصول: «الجيوب» بالياء المثناة من تحت وهو تصحيف.

أقبلتُ أطلب طِبَّـه * والموت يُعْضِل[1] بالطبيب

الشعر لمِكين العُذرىّ يرثى أباه، وقيل : إنه لرجل خرج بآبنه إلى الشأم هرباً به من جارية هَوِيها فمات هناك . والغناء لحكم الوادى، رمل فى مجرى البنصر . وقيل : إن الشعر لسَلّامة[2] ترثى الوليدَ بن يزيد .

٧٧/٦

سمته أم جعفر الرشيد فأمرت بمائة ألف د لكل بيت غنى وعوضها الرشـ بكل درهم د.

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا آبن مَهْرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى الحسن بن محمد قال حدّثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال حدّثنى عبد الله بن على بن عيسى بن ماهان قال سمعت يزيد[3] يحدّث :

أن أمّ جعفر بلغها أنّ الرشيد جالسٌ وحدَه ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين؛ فأرسلت إليه : يا أمير المؤمنين، إنى لم أرك منذُ ثلاث وهذا اليومُ الرابع . فأرسل إليها : عندى آبنُ جامع . فأرسلت إليه : أنت تعلم أنى لا أتَهنّأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلا أن تَشرَكنى فيه، فما كان عليك أن أَشرَكك فى الذى أنت فيه! فأرسل إليها : إنى سائر إليك الساعة . ثم قام وأخذ بيد آبن جامع، وقال لحسين الخادم : امضِ اليها فأعلمها أنى قد جئت . وأقبل الرشيد، فلما نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله، فوجّه إليها : إن معى آبنَ جامع؛ فعدلتْ إلى بعض المقاصير . وجاء الرشيد وصيّر آبنَ جامع فى بعض المواضع التى يُسمع منه فيها ولا يكون حاضراً معهم . وجاءت أمّ جعفر فدخلت على الرشيد

(١) أعضل به : أعياه وأعجزه . وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : أعضل بى أهل الكوفة، ما يرضون بأمير ولا يرضاهم أمير . قال الأموى : فى قوله : أعضل بى هو من العضال وهو الأمر الشديد الذى لا يقوم به صاحبه، أى ضاقت على الحيل فى أمرهم وصعبت علىّ مداراتهم . (٢) هى سلامة القس . (راجع ترجمتها فى الجزء الثامن من الأغانى ص ٦ — ١٥ طبع بولاق) . (٣) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول : « بربر » .

وأهوتْ لتنكبَّ على يده، فأجلسها الى جانبه فآعتنقها وآعتنقته . ثم أمر ابنَ جامع أن يغنّى فآندفع فغنّى :

صـــــوت

ما رَعَدَتْ رَعْـدةً ولا بَرَقتْ * لكنّهـا أُنشئت لنـا خَلِقـهْ (١)
المـاء يجـرى على نظامٍ له * لو يَجِـدُ المـاءُ مَخْرِقًا خَرَقه (٢)
بتنا وباتتْ عـلى نَمـارقها * حتى بدا الصبحُ عَيْنُهـا أَرِقه
أنْ قيل إنّ الرحيل بعد غدٍ * والدارُ بعـدَ الجميع مُفترِقه

ــ الشعر لعَبيد بن الأبرص . والغناء لآبن جامع ثانى ثقيـل من أصوات قليلات الأشباه، عن إسحاق . وفيه لآبن مُحْرِز ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة . وذكر يونس أن فيه لحنًا لمعبد ولم يجنّسه . وفيـه لحكم هزج بالوسطى عن عمرو والهشامىّ . ولمخارق فى هذه الأبيات رَمَل بالبنصر عن الهشامىّ . وذكر حبش أن الثقيل الأوّل للغريض . وذكر الهشامىّ أن لُمتَيَّم فيها ثانى ثقيل بالوسطى ــ قال : فقالت أمّ جعفر للرشيد : ما أحسنَ ما آشتهيت والله يا أمير المؤمنين ! . ثم قالت لُمسلم خادمها : ادفع إلى آبن جامع لكل بيت مائةَ ألف درهم . فقال الرشيد : غلبتِنا يا بنتَ أبى الفضل (٣) وسبقتِنا إلى برّ ضيفنا وجليسنا . فلما خرج، حمل إليها مكانَ كلّ درهم دينارا .

---

(١) يقال : نشأت لهم سحابة خلقة وخليقة أى فيها أثر المطر . (٢) كذا فى ب ، س وديوان عبيـد بن الأبرص (ص ٨٦ طبع أوروبا) . وفى سائر الأصول : « ولا نظام له » .

(٣) كذا فى الأصول . والمعروف أن أم جعفر هى زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور الخليفـة العباسى، وأن جعفرا أباها ولد ابراهيم وزبيدة وجعفرا وعيسى وعبيد الله وصالحا ولبابة . (انظر المعارف لابن قتيبة ص ١٩٢) .

أخذ صوتا من جارية بثلاثة دراهم فأخذ به من الرشيد ثلاثة آلاف دينار

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال أخبرنى يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثنى محمد بن صُوين الصَّلْصال التَّيْمىّ قال حدّثنى إسماعيل بن جامع السَّهْمىّ قال :

ضَمّنى الدهر[1] ضمًّا شديدًا بمكة ، فانتقلتُ منها بعيالى إلى المدينة ، فأصبحتُ يومًا وما أملك إلا ثلاثةَ دراهم . فهى فى كُمّى إذا أنا بجارية حُمَيْراء على رقبتها جَرّة تريد الرَّكِىّ[2] تسعى بين يدىّ وتُرَنّم بصوت شَجِىّ تقول :

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا * فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا
وذاك لأنّ النوم يَغْشَى عيونَهم * سِراعًا وما يغشى لنا النومُ أَعْيُنا
إذا مادنا الليلُ المُضِرّ[3] لذى الهوى * جَزِعنا وهم يَستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلَ ما * نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلَنا

٧٨/٦

قال : فأخذ الغناءُ بقلبى ولم يَدُرْ لى منه حرف . فقلت : يا جارية ، ما أدرى أوجهُك أحسن أم غناؤك ! فلو شئتِ أعدتِ ؛ قالت : حُبًّا وكرامةً . ثم أسندتْ ظهرَها إلى جدار قَرُب منها ورفعتْ إحدى رجليها فوضعتْها على الأخرى ، ووضعت الجَرّة على ساقيها ثم انبعثتْ تغنّيه ؛ فوالله ما دار لى منه حرف ؛ فقلتُ : أحسنتِ ! فلو شئتِ أعدتيه مرّةً أخرى ! ففطِنَتْ وكَلَحتْ وقالت : ما أعجب أمرَكم ! أحدُكم لا يزال يجىء إلى الجارية عليها الضَّريبة فيشغلها ! فضربتُ بيدى إلى الثلاثة الدراهم فدفعتُها إليها ، وقلت : أقيمى بها وجهَك اليومَ إلى أن نلتقى . قال : فأخذتْها كالكارهة وقالت : أنت الآن تريد أن تأخذ منّى صوتًا أحسبك ستأخذ به ألف

(١) يريد ضغطنى واشتدّ علىّ ، من شدّة الفقر والحاجة . (٢) الركى : جنس للركية وهى البئر . (٣) كذا فى ب ، س . هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول . وفى أ ، م هنا : « المبر » وفى ى : « المبيد » .

دينار وألفَ دينار وألفَ دينار . قال : وآنبعثتْ تغنّى؛ فأعملتُ فكرى فى غنائها حتى دار لى الصوتُ وفهمتُه ، وآنصرفتُ مسروراً إلى منزلى أُردّده حتى خفّ على لسانى . ثم إنى خرجتُ أريد بغداد فدخلتها ، فنزل بى المكارى على باب مُحَوَّل[1] ؛ فبقيتُ لا أدرى أين أتوجّه ولا مَنْ أقصِد . فذهبتُ أمشى مع الناس ، حتى أتيت الجسر فعبرت معهم ، ثم انتهيت إلى شارع المدينة ، فرأيت مسجدًا بالقرب من دار الفضل آبن الربيع مرتفعًا ، فقلت : مسجد قوم سَراة ؛ فدخلتُه ، وحضرتُ صلاةَ المغرب وأقمت بمكانى حتى صلّيتُ العشاء الآخرة على جوع وتعب . وآنصرف أهل المسجد وبقى رجل يصلّى ، خلفه جماعة خدم وخَوَل[2] ينتظرون فراغَه ؛ فصلّى مليًّا ثم آنصرف ؛ فرآنى فقال : أحسبك غريبًا ؟ قلت : أجل . قال : فمتى كنتَ فى هذه المدينة ؟ قلت : دخلتها آنفا ، وليس لى بها منزل ولا معرفة ، وليستْ صناعتى من الصنائع التى يُمَتّ بها إلى أهل الخير . قال : وما صناعتك ؟ قلت : أتغنّى . قال : فوثب مبادرًا ووكّل بى بعضَ من معه . فسألتُ الموكَّل بى عنه فقال : هذا سَلّام الأبرش[3] . قال : وإذا رسولٌ قد جاء فى طلبى فآنتهى بى إلى قصر من قصور الخلافة ، وجاوز بى[4] مقصورةً إلى مقصورة ، ثم أُدخلت مقصورة فى آخر الدهليز ، ودعا بطعام فأُتيت بمائدة عليها من طعام الملوك ، فأكلتُ حتى آمتلأت . فإنى لكذلك إذ سمعت رَكْضًا فى الدهليز وقائلًا يقول : أين الرجل ؟ قيل : هو هذا . قال : آدعوا له بغَسول[5]

(١) باب محول : محلة كبيرة من محال بغداد كانت متصلة بالكرخ . (٢) فى حـ : « وعجول » . وفى سائر الأصول : « وخول » والظاهر أن كليهما محرّف عما أثبتناه .

(٣) خدم المنصور وتولى المظالم للهدى وعاصر الهادى والرشيد . (انظر الطبرى ق ٣ ص ٣٩٣ ، ٥٢٩ ، ٦٠٣ ، ٦٨٤ ، ٧٤٩ ، ١٠٧٥ ، ١٣٨٣) . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « وجاوزنى » وهو تصحيف . (٥) الغسول : الماء يغتسل به ، أو هو ما تغسل به الأيدى كالأشنان وغيره .

وخِلْعة وطِيب، ففُعل ذلك بى. فحُملت على دابّة إلى دار الخلافة — وعرفتُها بالحرس والتكبير والنيران — فجاوزتُ مقاصيرَ عدّة، حتى صِرتُ إلى دارٍ قَوْراء[1] فيها أسرّة فى وسطها قد أُضيف بعضها إلى بعض. فأمرنى الرجل بالصعود فصعِدتُ، وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاثُ جوارٍ فى حجورهنّ العيدان، وفى حجر الرجل عود. فرحّب الرجل بى، وإذا مجالسُ حِيالَه كان فيها قوم قد قاموا عنها. فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر فقال للرجل: تَغَنَّ؛ فانبعث يغنّى بصوت لى وهو:

لم تَمْشِ مِيــلًا ولم تركب على قَتَب * ولم تَرَ الشمسَ إلا دونها الكِلَــلُ[2]
تمشى الهُوَيْنَى كأنّ الريح تَرْجِعها[3] * مَشْىَ اليَعافير[4] فى جيآتها الوَهَــلُ

فغنّى بغير إصابة وأوتار مختلفة ودَسَاتِينَ[5] مختلفة. ثم عاد الخادم إلى الجارية التى تلى الرجل فقال لها: تَغَنَّىْ، فغنّتْ أيضا بصوت لى كانت فيه أحسنَ حالا من الرجل، وهو قوله: ٧٩/٦

---

(١) الدار القوراء: الواسعة الجوف. (٢) الكلل: جمع كلة وهى ستر يخاط كالبيت (ناموسية).

(٣) فى حـ: «كأن المشى يوحشها». (٤) اليعافير: الظباء. والوهل: الفزع.

(٥) الدساتين: هى الرباطات التى توضع الأصابع عليها، واحدها دستان. وأسامى دساتين العود تنسب الى الأصابع التى توضع عليها، فأولها «دستان السبابة» ويشدّ عند تسع الوتر، وقد يشدّ فوقه دستان أيضا يسمى «الزائد». ثم يلى دستان السبابة «دستان الوسطى» وقد توضع أوضاعا مختلفة فأولها يسمى «دستان الوسطى القديمة» والثانى يسمى «دستان وسطى الفرس» والثالث يسمى «دستان وسطى زلزل» لأنه أول من شدّه. فأما الوسطى القديمة فشدّ دستانها على قريب من الربع مما بين دستان السبابة ودستان البنصر. ودستان وسطى الفرس على النصف فيما بينهما على التقريب. ودستان وسطى زلزل على ثلاثة أرباع ما بينهما إلى ما يلى البنصر بالتقريب. وقد يقتصر من دساتين هـذه الوسطيات على واحد وربما يجمع بين اثنين منها. ثم يلى دستان الوسطى «دستان البنصر» ويشدّ على تسع ما بين دستان السبابة وبين المشط. ثم يلى دستان البنصر «دستان الخنصر» ويشدّ على ربع الوتر. (عن مفاتيح العلوم للخوارزمى. وراجع ما كتب فى هـذا المعنى فى تصدير هـذا الكتاب ص ٤٠).

يا دار أضحتْ خلاءً لا أنيسَ بهـا * إلا الظبـاءُ وإلا النّاشط[1] الفَـردُ
أين الذين إذا مازرتُهـم جَذِلوا * وطار عن قلبيَ التَّشْواق والكَمَـد

[ثم عاد إلى الثانية وأحسبه أغفلها وما تغنّت به][2] ثم عاد الخادم إلى الجارية التى تليها فانبعثتْ تغنّى بصوت لحكم الوادى وهو :

فوالله ما أدرى أيَغلبنى الهـوَى * إذا جدّ وَشْكُ البَيْن أم أنا غالبُـهْ
فإن أستطع أغلِبْ وإن يغلب الهوى * فمثـلُ الذى لاقيتُ يُغْلَب صاحبه

قال : ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فغنّت بصوتِ لحُنَيْن وهو قوله :

مَرَرْنا عـلى قَيْسِـيّةٍ عامريّة * لها بَشَرٌ صافى الأديم هِجانُ[3]
فقالت وألقتْ جانبَ السِّتر دونها * مِنَ آيّة أرضٍ أو مَنِ الرجُلان
فقلتُ لها أمّا تميـم فأسرتى * هُديتِ وأما صاحبى فيَمان
رفيقان ضَمّ السّفْرُ بينى وبينـه * وقد يَلتقِى الشتّى فيأتلفان

ثم عاد إلى الرجل فغنّى صوتًا فشبّه فيه[4] . والشعر لعمر بن أبى ربيعة وهو قوله :

أمسى بأسماء هذا القلبُ معمودًا * إذا أقـول صحا يعتاده عِيـدَا
كأنّ أحـورَ من غِزْلان ذى بَقَر[5] * أعارها شَـبَهَ العينين والجيـدا
بمُشْرِقٍ[6] كشُعاع الشمس بهجتُـه * ومُسْبَكِرٍّ عـلى لَبّاتها سـودا

(١) الناشط : الثور الوحشى وكذلك الحمار الوحشىّ . والفرد : المنفرد . (٢) كذا وردت هذه العبارة فى جميع الأصول . والظاهر أنها مقحمة . (٣) الهجان : الأبيض الخالص من كل شىء . (٤) يريد : خلط فيه ولم يحسن أداءه . (٥) كذا فى جميع الأصول هنا وفيما سيأتى فى حرف ديوانه . وفيما سيأتى فى سائر الأصول : «ذى قر» (بالقاف) وكلاهما اسم لموضع . فذو بقر : واد بين أخيلة الحمى حمى الربذة ، وقرية فى ديار بنى أسد . وذو قر : موضع على ثمانية أميال من السليلة بينها وبين الربذة . (انظر معجم ما استعجم للبكرى ومعجم ياقوت) . (٦) كذا فى ديوانه . وهذا البيت يتعلق ببيت قبله أغفله صاحب الأغانى وهو :

قامت تراءى وقد جدّ الرحيل بنا * لتنكأ القرح من قلب قد اصطيدا

وفى جميع الأصول : «ومشرقا ... * ومسبطرا ... الخ» . وشعر مسبكر : مسترسل .

ثم عاد إلى الجارية فتغنّت بصوت لِحكم الواديّ :

تُعيِّرنا أنّا قليلٌ عَديدُنا * فقلتُ لها إنّ الكرام قليلُ
وما ضَرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا * عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليل
وإنّا لقومٌ مانرى القتلَ سُبّةً * إذا ما رأته عامرٌ وسَلول
يُقرّب حبُّ الموت آجالَنا لنا * وتَكرهه آجالُهم فتطول

وتغنّت الثانية :

وَدِدْتُك لما كان وُدُّك خالصًا * وأعرضتُ لما صِرْتَ نهبًا مُقسَّما
ولا يَلبث الحوضُ الجديدُ بناؤه * إذا كَثُر الوُرّاد أن يَتهدّما (١)

وتغنّت الثالثة بشعر الخنساء :

وما كَرّ إلا كان أوّلَ طاعنٍ * ولا أبصرته الخيلُ إلا اقشعرّتِ
فيُدرك ثأرًا وهو لم يُخطِه الغنى * فمثلُ أخي يومًا به العينُ قرّت
فلستُ أُرَزّا بعده برزيّة * فأذكرَه إلا سَلَتْ وتجلّت

وغنّى الرجل في الدور الثالث :

لَحَى الله صُعلوكًا مُناه وهمّه * من الدهر أن يلقى لَبُوسًا ومطعمَا
يَنام الضحى حتى إذا ليلُه انتهى (٢) * تنبّه مسلوجَ (٣) الفؤاد مُورَّما (٤) ٨٠ / ٦
ولكنّ صعلوكا (٥) يساور همّه * ويمضي على الهيجاء ليثًا مقدّما
فذلك إن يَلْقَ الكريهة يَلْقَها * كريمًا وإن يَستغن يوما فربّما

(١) في أ ، ء ، م هنا وفيما سيأتي في جميع الأصول : « على كثرة الوراد » .

(٢) في ديوان حاتم (طبع لندن سنة ١٨٧٢) : «استوى» . (٣) كذا في ديوانه . وفي جميع الأصول : «مسلوب» . (٤) مورما : متضخما بادنا لعدم ما يشغله من شؤون الحياة .

(٥) في أ ، ء ، م هنا وفيما سيأتي في جميع الأصول : « مصمما » . ورواية هذا البيت في ديوانه :

وقد صعلوك يساور همه * ويمضي على الأحداث والدهر مقدما

قال : وتغنّت الجارية :

إذا كنتَ رَبًّا للقلوص فلا يكن(١) * رفيقُك يمشى خلفَها غيرَ راكب
أنِخْها فأردفْه فإن حملتكما * فذاك وإن كان العِقابُ(٢) فعاقِب

قال : وتغنّت الجارية بشعر عمرو بن معديكرب :

ألم تر لمّا ضمّنى البلدُ القفْرُ * سمعتُ نداءً يصدَع القلبَ ياعمرُو
أغِثْنا فإنا عُصْبةٌ مَذْحِجيّة * نُزار على وَفْر وليس لنا وَفْر

قال : وتغنّت الثالثة بشعر عمرَ بنِ أبى ربيعة :

فلما تَواقفْنا وسلّمتُ أسْفرتْ(٣) * وجوهٌ زَهاها الحسنُ أن تتقنّعا
تَبالَهْنَ بالعرفان لمّا عرفْنَنى * وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أكلَّ(٤) وأوْضعا
ولما تنازعن(٥) الأحاديثَ قُلْن لى * أخِفْتَ علينا أن نُغَرّ ونُخْدَعا

قال : وتوقّعتُ مجىءَ الخادم إلىّ، فقلت للرجل : بأبى أنت ! خُذِ العود فشُدَّ وتر كذا وارفع الطبقة وحُطَّ دُسْتانَ كذا؛ ففعل ما أمرتُه . وخرج الخادم فقال لى : تغنَّ عافاك الله؛ فتغنّيتُ بصوت الرجل الأوّل على غير ما غنّاه؛ فإذا جماعة من الخدم يحضُرون حتى استندوا إلى الأَسِرّة وقالوا : وَيْحَك ! لمن هذا الغناء؟ قلت : لى؛ فانصرفوا عنّى بتلك السرعة، وخرج إلىّ الخادم وقال : كذبتَ ! هذا الغناء لابن جامع . ودار الدورُ؛ فلما انتهى الغناءُ إلىّ قلتُ للجارية التى تَلِى الرجلَ : خذى العود،

(١) فى شعراء النصرانية (ج ١ ص ١٢٩ طبع بيروت) : «فلا تدع» . (٢) العقاب : هو أن تركب الدابة مرة ويركبها صاحبك مرة . (٣) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : «أقبلت» . وفى ديوانه طبع أوربا : «أشرقت» . (٤) أكل : أعيا . وأوضع : أسرع . يريد أنه أوضع فأكل إلا أنه قدّم وأخّر . (٥) كذا فى ديوانه . وفى جميع الأصول هنا : «تواضعن» . وفى ب ، سـ فيما سيأتى : «تراجعن» .

فعلمتُ ما أريد فسَوّيتِ العود على غنائها للصوت الثانى فتغنّيتُ به . فخرجتْ إلى الجماعة الأولى من الخدم فقالوا : ويحك ! لمن هذا ؟ قلت : لى ؛ فرجعوا وخرج الخادم [1] . فتغنيتُ بصوت لى فلا يُعرف إلا بى ، وسقَوْنى فتزيّدت ، وهو :

عُوجِى علىّ فسلِّمى جَبْرُ * فيمَ الصدود وأنتمُ سَفْرُ [2]
ما نلتقى إلا ثلاثَ مِنًى * حتى يُفرّق بيننا الدهرُ

قال : فتزلزلتْ والله الدار عليهم . وخرج الخادم فقال : وَيْحَك ! لمن هذا الغناء ؟ قلت : لى . فرجع ثم خرج فقال : كذبتَ ! هذا غناء ابن جامع . فقلت : فأنا إسماعيل بن جامع . فما شَعَرتُ إلا وأميرُ المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلا من وراء الستر الذى كان يخرج منه الخادم . فقال لى الفضلُ بن الربيع : هذا أميرُ المؤمنين قد أقبل إليك . فلما صَعِد السريرَ وثَبتُ قائمًا . فقال لى : أَبْنُ جامع؟ قلت : آبن جامع ، جعلنى الله فداك يا أميرَ المؤمنين . قال : وَيْحَك! متى كنتَ فى هذه البلدة؟ قلت : آنِفًا ، دخلتُها فى الوقت الذى علم بى أميرُ المؤمنين . قال : اجلس وَيْحَك يا آبنَ جامع ! ومضى هو وجعفر فجلسا فى بعض تلك المجالس ، وقال لى : أَبْشِر وابسُط أَمَلَك ؛ فدعوت له . ثم قال : غَنّنى يا آبنَ جامع . فخطر بقلبى صوتُ الجارية الحُمَيراء فأمرت الرجل بإصلاح العود على ما أردتُ من الطبقة ، فعرف ما أردتُ ، فوزَن العود وزنًا وتعاهده حتى استقامت الأوتار وأخذت الدساتينُ مواضعَها ، وانبعثتُ أغنّى بصوت الجارية الحُمَيْراء . فنظر الرشيد إلى جعفر وقال : أسمعتَ كذا قطُّ ؟ فقال : لا والله ٨١/٦

(١) الذى يتتبع سياق الخبر يشعر بأن هاهنا نقصا . ولعل أصل الجملة : «وخرج الخادم فقال كذبت فتغنيت ... الخ» . (٢) كذا فى جميع الأصول هنا . وفى ترجمة العرجى (ج ١ ص ٤٠٨ من الأغانى طبع دار الكتب المصرية) وفيما سيأتى فى ب ، س : «النفر» . والنفر : هو نفر الحاج من منى ويكون فى اليوم الثانى ويسمى النفر الأول . والثانى يكون فى اليوم الثالث من أيام التشريق .

ما خرَق مسامعى قطُّ مثلُه . فرفع الرشيد رأسَه إلى خادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه ألفُ دينار لجاء به فرمى به إلىّ، فصيّرتُه تحت فخذى ودعوت لأمير المؤمنين . فقال : يآبنَ جامع ، رُدّ على أمير المؤمنين هـذا الصوتَ، فرددتُه وتزيّدت فيـه . فقال له جعفر: يا سيّدى، أمَا تراه كيف يتزيّد فى الغناء! هذا خلاف ما سمعناه أوّلا وإن كان الأمر فى اللحن واحدًا . قال : فرفع الرشـيد رأسَه إلى ذلك الخادم فدعا بكيس آخر فيه ألفُ دينار، لجاءنى به فصيّرته تحت فخذى . وقال : تغنّ يا إسماعيل ما حضَرك . فجعلت أَقْصِـد الصوت بعد الصوت ممـا كان يبلغنى أنه يشترى عليه الجوارى فأُغنّيه ؛ فلم أزلْ أفعل ذلك إلى أن عَسْعس الليلُ . فقال : أتعبناك يا إسماعيل هذه الليلةَ بغنائك، فأَعِدْ على أمير المؤمنين الصوتَ (يعنى صوتَ الجارية) فتغنّيتُ . فدعا الخادمَ وأمره فأحضر كيسًا ثالثا فيه ألفُ دينار . قال : فذكرت ما كانت الجاريةَ قالت لى فتبسّمتُ، ولحَظَنى فقال : يآبن الفاعلة، ممّ تبسمتَ ؟ فجثوتُ على ركبتىّ وقلت : يا أمير المؤمنين، الصدقُ مَنْجَاة . فقال لى بانتهار : قل . فقصصتُ عليه خبرَ الجارية . فلما استوعبه قال : صدَقتَ ، قد يكون هذا وقام . ونزلت من السرير ولا أدرى أين أقْصِـد . فآبتدرنى فرّاشان فصارا بى إلى دار قد أَمر بها أميرُ المؤمنين ؛ ففُرِشتْ وأُعِدّ فيها جميعُ ما يكون فى مثلها من آلة جلساء الملوك وندمائهم من الخدم ، ومن كل آلة وخَوَل إلى جوارٍ ووُصَفاء . فدخلتها فقيرًا(1) وأصبحت من جِلّة أهلها ومياسيرهم .

وذكر لى هذا الخبرَ عبـدُ الله بن الرَّبيع عن أبى حَفْص الشَّيْبانىّ عن محمد بن القاسم عن إسماعيل بن جامع قال :

---

(1) يريد مدينة بغداد التى تقدمت فى أوّل الخـبر .

ضمّنى الدهرُ بمكة ضمًّا شديدًا فانتقلت إلى المدينة . فبينا أنا يومًا جالس مع بعض أهلها نتحدث، إذ قال لى رجل حضرنا: والله لقد بلغنا يابن جامع أن الخليفة قد ذكرك، وأنت فى هذا البلد ضائع ! فقلت : والله ما بى نهوض. قال بعضهم: فنحن نُنهضك . فاحتلتُ فى شىء وشخصت إلى العراق، فقدمتُ بغدادَ، ونزلت عن بغل كنت اكتريتُه . ثم ذكر باقى الحديث نحوَ الذى قبله فى المعانى، ولم يذكر خبر السوداء التى أخذ الصوتَ عنها[1] . وأحسَبه غَلِط[2] فى إدخاله هذه الحكاية هاهنا، ولتلك خبر آخر نذكره هاهنا[3]. قال فى هذا الخبر: إن الدَّوْر دار مرّةً أخرى حتى صار إلىّ ؛ فخرج الخادم فقال : غنّ أيها الرجل! فقلت : ما أنتظر الآن! ! ثم اندفعتُ أغنّى بصوت لى وهو :

فلو كان لى قلبان عِشتُ بواحد * وخلّفتُ قلبًا فى هواكِ يُعذَّبُ
ولكنما أحيا بقلب مُرَوَّع * فلا العيشُ يصفو لى ولا الموتُ يقرُبُ
تعلّمت أسبابَ الرضا خوفَ سُخطها * وعلّمها حبّى لها كيف تغضب
ولى ألف وجهٍ قد عرفتُ مكانه * ولكن بلا قلب إلى أين أذهب[4]

فخرج الرشيد حينئذ .

٨٢/٦

نسبة ما فى هذه الأصوات من الأغانى

صوت

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا * فقالوا لنا ما أقصر الليلَ عندنا
وذاك لأنّ النومَ يَغْشى عيونَهم * سِراعًا وما يغشى لنا النومُ أعينَا

---

(١) كذا فى جميع الأصول هنا وفيما سيأتى . وقد تقدم أن الجارية التى أخذ عنها كانت حمراء وقد ذكر ذلك فى موضعين . (٢) يريد به محمد بن ضوين الصلصال التيمى وهو الذى ذكر هذا الخبر فيما تقدم وذكر فيه خبر السوداء التى أخذ عنها ابن جامع الصوت . (٣) ذكرت هذه القصة فى آخر ترجمة ابن جامع . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « يذهب » .

إذا ما دنا الليلُ المضرّ بذى الهوى * جَزِعْنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يُلاقون مثلَ ما * نُلاقى لكانوا فى المضاجع مثلَنا

عروضه من الطويل . وذكر الهشامىّ أن الغناء لابن جامع هزج بالوسطى ، وفى الخبر أنه أخذه عن سوداء لقيها بمكة[1] .

ومنها :

صوت

يادار أضحت خلاءً لا أنيسَ بها * إلا الظباءُ وإلا النّاشط الفَرِدُ
أين الذين إذا ما زرتُهم جذِلوا * وطار عن قلبىَ التشواق والكمد

فى هذا الصوت لحنٌ لابن سريج خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى من رواية حبش . ولحن ابن جامع رمل .

ومنها :

صوت

لم تَمْشِ مِيلاً ولم تركب على جَمل * ولم تَرَ الشمسَ إلا دونها الكِلَلُ
أقول للركب فى دُرْنا[2] وقد ثَمِلوا * شِيموا وكيف يَشيم الشارب الثَّمِل

---

(١) انظر حاشية رقم ١ ص ٣١٩ من هذه الترجمة .

(٢) درنا : ناحية باليمامة وكانت تسمى هكذا فى الجاهلية . وهى المعروفة بأنافت أو أنافة بالهاء والتاء . قال الهمدانى : وكان الأعشى كثيرا ما يتخزف فيها وكان له بها معصرٌ للخمر يعصر فيه ما أجزل له أهل أنافت من أعنابهم . ويروون فى قصيدته البائية :

أحب أنافت وقت القطاف * ووقت عصارة أعنابها

ويسكنها أهل ذى كبار وداعة . والرواية المشهورة فى هذا الشطر كما فى شرح المعلقات العشر للتبريزى ومعجم البلدان وصفة جزيرة العرب ولسان العرب وشرح القاموس (مادة درن) : " فقلت للشرب فى درنا ... الخ " .

الشعر للأعشى . والغناء لابن سُريج رَمَلٌ بالبنصر ، وقد كُتب فيما يغنّى فيه من قصيدة الأعشى التى أوّلها :

* وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إن الركبَ مُرْتحلُ *

ومنها :

صـــوت

مَرَرْنا عـلى قَيْسيّةٍ عامريّةٍ * لها بَشَرٌ صافى الأديم هِجانِ
فقالت وألقت جانبَ السترِ دونها * مِنَ آيّة أرض أو مَنِ الرجلان
فقلت لها أمّا تميمٌ فأسرتى * هُـديتِ وأمّا صاحبى فيَمانى
رفيقان ضمّ السَّفْرُ بينى و بينه * وقد يَلْتــقى الشتّى فيأتلفان

غنّاه ابنُ سريج خفيف رمل بالبنصر .

ومنها :

صـــوت

أمسى بأسماءَ هذا القلبُ معمودَا * إذا أقول صحا يعتاده عِيــدَا
أُجْرِى على موعد منها فتُخلفنى * فمــا أَمَلّ ولا تُوفى المواعيــدا
كأنّنى حين أُمسِى لا تكلّمنى * ذو بُغْية يَبتغى ما ليس موجودا

الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء للغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، وله فيه ثقيل أوّل [بالبنصر . وذكر عمرو بن بانة أنّ لمعبد فيه ثقيلا أوّل] (١) بالوسطى على مذهب إسحاق .

(١) هذه العبارة ساقطة فى الأصول ماعدا ب ، حـ .

ومنها :

صـــوت

فوالله ما أدرى أيغلِبنى الهـــوى * إذا جدّ وَشْـكُ البين أم أنا غالبُـهْ
فإن أستطع أغلِبْ وإن يَغْلِبِ الهوى * فمثلُ الذى لاقيتُ يُغْلَب صاحبه

٨٣/٦ عروضه من الطويل . الشعر لابن مَيّادة، والغناء للحَجَبىّ خفيف ثقيل بالبنصر من رواية حبش .

ومنها :

صـــوت

تُعـــيِّرنا أنا قليـــلٌ عديدُنا * فقلتُ لها إنّ الكرام قليـــلُ
وما ضَرّنا أنّا قليـــلٌ وجارُنا * عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليـــلُ
وإنّا لقومٌ ما نرى القتلَ سُبّةً * إذا ما رأتْه عامرٌ وسَـــلُول
يقرِّب حبُّ الموت آجالَنا لنـا * وتكرهه آجالُهم فتطـــول

عروضه من مقبوض(١) الطويل . والشعر للسموءل بن عادياء اليهودىّ . والغناء لحَكَم الوادى .

ومنها :

صـــوت

وَدِدْتُك لمـّا كان ودّك خالصًا * وأعرضتُ لمـا صار نَهْبًا مقسَّمَا
ولن يلبَثَ الحوضُ الجديدُ بناؤه * على كثرة الورّاد أن يتهدّما

عروضه من الطويل . وفيه خفيفُ ثقيل قديم لأهل مكة . وفيه لعَريب ثقيلٌ أوّل .

(١) القبض : هو حذف الخامس الساكن فيصير « فعولن » « فعول » .

ومنها :

صـــوت

وما كَرّ إلّا كان أوّلَ طاعنٍ * ولا أبصرتْه الخيلُ إلا اقشعرّتِ
فيُدرِك ثأرًا ثم لم يُخْطِه الغِنى * فمثلُ أخى يومًا به العين قرّت
فإن طلبوا وِترًا بدَا بِتِرَاتِهم * ويَصبر يحميهم إذا الخيل وَلّت

عروضه من الطويل . الشعر للخَنْساء، والغناء لابن سُريج ثقيل أوّل بالبنصر وذكر على بن يحيى أنه لمَعْبد فى هذه الطريقة .

ومنها :

صـــوت

لحا الله صُعلوكًا مُناه وهَمُّه * من الدهر أن يلقى لَبوسًا ومَطْعَما(١)
ينام الضحى حتى إذا ليلُه انتهى * تنبّه مثلوجَ الفؤاد مُوَرَّما
ولكن صعلوكا يُساور هَمَّه * ويَمضى على الهَيْجاء ليثًا مصمِّما
فذلك إن يلقَ الكريهةَ يلقَها * كريمًا وإن يَستغنِ يومًا فربّما

عروضه من الطويل . الشعر يقال إنه لعُروة بن الوَرْد، ويقال : إنه لحاتم الطائى وهو الصحيح . والغناء لطُوَيس خفيفُ رمل بالبنصر .

ومنها :

صـــوت

إذا كنتَ ربًّا للقَلوص فلا يكن * رفيقُك يَمشى خلفَها غيرَ راكبِ
أنِخها فأردفه فإنْ حملتْكما * فذاك وإن كان العِقاب فعاقب

عروضه من الطويل . والشعر لحاتم طيِّئ .

(١) راجع هذا الشعر فى صفحة ٣١٥، فقد ورد فيها مختلفا عما هنا اختلافا يسيرا .

ومنهـا :

صـــوت

ألم تَرَ لمّا ضَمّنى البـلد القَفْـرُ * سمعتُ نداءً يصدع القلبَ يا عمْرو
أغِثنـا فإنا عُصْـبة مَذْحِجيّـة * نُزار عـلى وَفْر وليس لنـا وَفْـر

٨٤/٦ عروضه من الطويل . الشعر لعمرو بن معديكرب . والغناء لحُنَين رمل بالوسطى عن حَبَش .

ومنهـا :

صـــوت

فلمـا توافقْنا وسـلّمتُ أقبلتْ * وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنّعا
تبـالَهْنَ بالعرفان لمـا رأيْنَنى * وقُلْنَ امرؤ باغٍ أَكَلّ وأَوْضعا
ولمـا تنازعن الأحاديثَ قلن لى[1] * أخِفْتَ علينا أن نُغَرّ ونُخْـدَعا
وقـرّبن أسبابَ الهـوى لمتيّمٍ * يَقيس ذراعًا كلما قِسْن إصبعا

عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء لابن سُرَيج والغريض ومالك ومعبد وابن جامع فى عدّة ألحان، قد كُتبتْ مع الخبر فى موضع غير هذا .

ومنهـا :

صـــوت

عُوجى علىّ فسلّمى جَـبْرُ * فيم الصدودُ وأنتم سَـفْرُ
ما نلتقِى إلا ثـلاثَ مِنًى * حتى يفـرّق بيننا النَّفْـر[2]
الحـول ثم الحـول يتبعه * ما الدهر إلا الحول والشهر

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٣١٦ من هذا الجزء .
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٧ من هذا الجزء .

الشعر للعَرْجىّ . والغناء للأبجر ثقيل أوّل عن الهشامىّ، ويقال إنه لابن محرز، ويقال بل لحنه فيه غير لحن الأبجر . وفيه رمل يقال إنه لابن جامع، وهو القول الصحيح، وذكر حبش أنه لابن سريج، وأن لحن ابن جامع خفيف رمل .

ومنها :

صـــوت

فلو كان لى قلبان عشتُ بواحد * وخلّفتُ قلبًا فى هـواك يعـذّبُ
ولكنّما أحيـا بقلب مُـروّع(١) * فلا العيش يصفولى ولا الموت يقرُبُ
تعلّمتُ أسباب الرِّضا خوفَ هجرها * وعلّمها حـبّى لهـا كيف تغضب
ولى ألف وجه قـد عرفت مكانَه * ولكن بـلا قلب الى أين أذهب

عروضه من الطويل . الشعر لعمرو الورّاق . والغناء لابن جامع خفيف رمل، ويقال إنه لعبد الله بن العبّاس . وفيه لعَريبَ ثقيـلٌ أوّل . وفيه لزَرْزاذ خفيفُ ثقيل . وفيـه هَزَج يقال إنه لعَريب، ويقال إنه لثمرة ، ويُقـال إنه لأبى فارة، ويقال إنه لابن جامع .

حدثه مصعب الزبيرى بغنى فى بساتين المدينة قدمه

حدّثنى مصعب الزبيرىّ قال :

قَدِم علينا ابنُ جامع المدينةَ قَدْمةً فى أيام الرشيد ؛ فسمعته يومًا يغنّى فى بعض بساتين المدينة :

ومالىَ لا أبكى وأندُب ناقـتى * إذا صَـدَر الرُّعيانُ وِردَ المناهل
وكنتُ إذا ما آشتدّ شوقى رَحَلْتُها(٢) * فسارت بمحزون كثير البَلابِل(٣)

٨٥ / ٦

(١) فى حـ : «معذب» . (٢) فى حـ : «طويل» . (٣) البلابل : شدة الهم والوسواس فى الصدر وحديث النفس .

وكان رجلًا صيّتا[(١)] ، فكاد صوته يذهب بى كلّ مذهب ، وما سمعتُ قبله ولا بعده مثله .

نسبة هذا الصوت

صوت

ومالى لا أبكى وأندُب ناقتى * إذا صَدَر الرُّعيانُ وِرْدَ المناهلِ
وكنت إذا ما اشتدّ شوقى ركبتها * فسارتْ بمحزون كثير البلابل

الغناء لابن جامع خفيف ثقيل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن الهشامىّ وابن المكىّ .

أهدى الربيع للمنصور فكان يستخفه وأعتقه

أخبرنى وكيع قال حدّثنى هارون بن محمد الزّيات قال حدّثنى حماد بن إسحاق عن أبيه عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال :

كنتُ فى خمسين وصيفًا أُهدوا للنصور، فَفُرّقنا فى خدمته ، فصرت إلى ياسر صاحب وضوئه . فكنت أراه يفعل شيئا أعلم أنه خطأ : يعطيه الإبريق فى آخر المستراح ويقف مكانه لا يبرح . وقال لى يوما : كن مكانى فى آخر المستراح. فكنت أعطيه الإبريق وأخرج مبادرًا، فإذا سمعت حركته بادرت إليه . فقال لى : ما أخفّك على قلبى ياغلام! ويحك! ثم دخل قصرا من تلك القصور فرأى حيطانَه مملوءة من الشعر المكتوب عليها . فبينا هو يقرأ ما فيه إذا هو بكتاب مفرد ، فقرأه فإذا هو :

ومالىَ لا أبكى وأندُب ناقتى * إذا صدَر الرّعيانُ نحوَ المَناهلِ
وكنتُ إذا ما اشتدّ شوقى رَحَلْتُها * فسارتْ بمحزون طويل البلابل

(١) الصيت : الجهير الصوت .

وتحتـه مكتوب : آه آه ، فلم يدْر ما هو . وفطَنتُ له فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد عرفت ما هو . فقال : قل؛ فقلت : قال الشعر ثم تأوّه فقال: آه آه ، فكتب تأوُّهَه وتنفُّسه وتأسّفه . فقال : مالك قاتلك الله! قد أعتقتُكَ ووليّتكَ مكانَ يامر.

ذكر أخبار هـــذه الاصوات المتفرّقة [في][1] الأخبار وإنمـا افردتها عنها لئلا تنقطع

خـــبر

* أمسَى بأسماءَ هـذا القلبُ مَعْمودَا *

خرج الغريض مع نسوة فتبعه الحارث ابن خالد مع ابن أبي ربيعة

اخبرني الحُسين بن يحيى قال حماد : قرأت على أبي، وذكر جعفر بن سعيد عن عبد الرحمن بن سليمان المكيّ قال حدّثني المخزوميّ (يعني الحارثَ بن خالد) قال:

بلغني أن الغريض خرج مع نِسْوة من أهل مكة من أهل الشّرَف ليلًا إلى بعض المتحدّثات من نواحي مكة ، وكانت ليـلة مقمرة؛ فاشتقتُ إليهنّ وإلى مجالستهنّ وإلى حديثهنّ، وخفتُ على نفسي لجناية كنت أُطالَب بها، وكان عمر مَهيباً معظّما لا يُقدِم عليه سلطان ولا غيره، وكان منّي قريباً؛ فأتيتُه فقلت له : إنّ فلانة وفلانة وفلانة ـــ حتى سمّيتهنّ كُلَّهنّ ـــ قد بعثْنني، وهنّ يَقرأنَ عليك السلامَ، وقلن : تشوّقن إليك في ليلتنا هذه لصوتٍ أنشدْنَاه فُوَيْسِقُك الغريض ـــ وكان الغريض يغنّي هذا الصوتَ فيُجيده، وكان ابن أبي رَبيعة به مُعْجَبا، وكان كثيرًا ما يسأل الغريضَ أن يُغنّيه، وهو قولُه :

أَمسَى بأسماءَ هـذا القلبُ مَعْمودَا * إذا اقـول صحَـا يعتاده عِيـدَا

---

(١) هذه الكلمة ساقطة في ب ، س.

كأنّ أحورَ من غِزْلان ذى نفَــر(1) * أهْدى لها شَــبَهَ العينين والجِيدا
قامت تراءَى وقد جدّ الرحيلُ بنا * لتنكأَ القرحَ من قلب قد اصطيدا
كأنّنى يـــومَ أُمسى لا تكلّمنى * ذو بُغْيــة يبتغى ما ليس مَوْجودا
٧٦/٦ أجرى على موعدٍ منهــا فتُخلفنى * فمــا أَمَــلُّ وما تُوفى المواعيــدا
قد طال مَطْلى، لَوَ انّ اليأسَ يَنفعنى * أوْ أن أُصادفَ من تِلْقائها جُودَا
فليس تَبْــذُلُ لى عفوًا وأُكرمُها * من أن ترى عندنا فى الحرص تشديدا(2)

— فلما أخبرتُه الخبرَ قال: لقد أزعجتَنى فى وقت كانت الدَّعَةُ أحبَّ فيه إلىّ؛ ولكنّ صوتَ الغريض وحديثَ النِّسوة ليس له مُتْرَك ولا عنه مَحِيص. فدعا بثيابه فلبسها، وقال: امضِ؛ فمضينا نمشى العجلَ حتى قرُبنا منهنّ. فقال لى عمر: خَفِّضْ عليك مَشْيَك، ففعلتُ، حتى وقفنا عليهنّ وهنّ فى أطيب حديث وأحسن مجلس؛ فسلّمنا، فتهيّبْننا وتخفّرن منّا. فقال الغريض: لا عليكنّ! هذا ابنُ أبى ربيعة والحارثُ بن خالد جاءا متشوّقين إلى حديثكنّ وغنائى. فقالت فلانة: وعليك السـلامُ يا ابنَ أبى ربيعــة، والله ما تمّ مجلسُنا إلا بك، اجلسا. فجلسنا غيرَ بعيد، وأخذْنَ عليهنّ جلابيبَهنّ وتقنّعن بأخْمِرتهنّ وأقبلن علينا بوجوههنّ وقُلْن لعمر: كيف أحْسَسْتَ بنا وقد أخفينا أمرَنا؟ فقال: هـذا الفاسقُ جاءنى برسالتكنّ وكنتُ وَقيــذًا(3) من علّة وجدتُها، فأسرعت الإجابةَ، ورجوتُ منكنّ على ذلك حسنَ الإثابة. فرددْن عليه: قد وجب أجرُك، ولم يَخِبْ سعيُك، ووافق منّا الحارثُ إرادةً. فحدّثهنّ بما قلتُ له

(1) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٣١٤ من هذا الجزء. (2) هذه رواية الديوان. وفى الأصول:
... ... فأكرمها * ما إن ترى عندنا فى الحرص تشديدا
(3) الوقيذ: المريض.

من قصّة غناء الغريض؛ فقال النّسوة: والله ما كان ذلك كذلك، ولقد نبّهتنا على صوت حسن، يا غريضُ هاتِه. فآندفع الغريضُ يغنّى ويقول:

أمسى بأسْماء هذا القلبُ معْمودَا * إذا أقولُ صحَا يَعتاده عِيــدَا

حتى أتى على الشـعر كلّه إلى آخره، فكلٌّ آستحسنه. وأقبل علىّ آبنُ أبى ربيعة فجزانى الخيرَ، وكذلك النّسوة. فلم نَزَلْ بأنعمِ ليـلةٍ وأطيبِها حتى بدأ القمرُ يغيب، فقُمنا جميعًا، وأخذ النّسوة طريقًا ونحن طريقًا وأخذ الغريضُ معنا.

وقال عمر فى ذلك:

صـــوت

هـل عنـد رَسْم برامـةٍ(١) خبرُ * أم لا فأىَّ الأشـياء تَنتظرُ(٢)

قد ذكّرتْنى الديارُ إذ دَرَستْ * والشـوقُ ممّـا يَهيجه الذِّكَر

تَمشى رسـولٌ إلىّ يُخـبرنى(٣) * عنهم عِشاءً ببعض ما ائتمروا

ومجلسَ النّسوة الثلاث لدى الـ * ـخَيْمات حتى تبلّج السَّـحَر

فيهنّ هِنْـدٌ والهـمُّ ذِكْرتُهـا * تلك التى لا يُرى لهـا خَطَر

ثم آنطلقنا وعنـدنا ولنـا * فيهنّ لو طال ليلُنا وطَـر

وقولهـا للفتـاة إذ أزِف الـ * ـبينُ أغادٍ أم رائحٌ عُمَـر

عَجلانَ لم يَقْضِ بعضَ حاجته(٤) * هـلا تأنّى(٥) يـومًا فينتظـرُ

اللهُ جارٌ له وإن نَزَحتْ * دارٌ به أو بدا له سـفر

---

(١) رامة: منزل بينه وبين الرمادة ليلة فى طريق البصرة الى مكة. وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة. وقيل: هى هضبة؛ وقيل: جبل لبنى دارم؛ وقيل فيها غير ذلك. (٢) وردت هذه الأبيات ضمن قصيدة ثمانية عشر بيتا فى ديوان عمر بن أبى ربيعة (طبع ليبسك) باختلاف يسير فى بعض الكلمات وفى ترتيب الأبيات. (٣) كذا فى ديوانه. وفى الأصول: «يمشى فتاة الى تخبرنى». (٤) فى الديوان: «لم يقض بعد حاجته». (٥) فى ب، سـ: «أتانا» وهو تحريف.

غنّاه الغريض ثقيلا أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر . وفيه لابن سُرَيج رمل بالوسطى . وفيه لعبد الرحيم الدّفّاف ثقيلٌ أول بالبنصر فى البيتين الأوّلين . وبعدهما :

٨٧/٦

هل من رَسول إلىّ يُخبرنى(١) * بعد عشاءٍ ببعض ما ٱئتمروا
يومَ ظَلِلْنا وعندنا ولنا * فيهنّ لو طال يومُنا وَطَرُ

فلما كانت الليلةُ القابلةُ بعث إلىّ عمر فأتيتُه و إذا الغريضُ عنده . فقال له عمر : هاتِ؛ فاندفع يغنّى :

هل عند رَسْمٍ برامةٍ خبرُ * أم لا فأىَّ الأشياءِ تنتظرُ
ومجلسَ النّسوة الثلاثِ لدى الْ * خيمات حتى تبلّج السحرُ

فقلتُ فى نفسى : هذا والله صفةُ ما كنّا فيه، فسكتُّ حتى فرَغ الغريضُ من الشعر كلّه؛ فقلت : يا أبا الخطّاب، جُعِلتُ فِداك ! هذا والله صفةُ ما كنّا فيه البارحةَ مع النّسوة . فقال : إن ذلك لَيُقال .

أغلظ موسى بن مصعب أمير الموصل الكلام لبعض عماله فأجابه بالمثل وفتر

وذكر أحمد بن الحارث عن المدائنىّ عن علىّ بن مجاهد قال :

إنّ موسى بن مُصْعَب كان على المَوْصل، فٱستعمل رجلا من أهل حرّان على كُورة باهذْرا(٢)، وهى أجلّ كُوَرِ الموصل، فأبطأ عليه الخراجُ؛ فكتب إليه :

هل عند رسمٍ برامةٍ خبرُ * أم لا فأىَّ الأشياء تنتظرُ

(١) أنظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٩ من هذا الجزء . (٢) كذا فى أ ، م ومعجم ياقوت فى الكلام على الموصل . وفى حـ : «ياهذرا» بالياء المثناة من تحت . وفى سائر الأصول : «باهدرا» بالباء الموحدة والدال المهملة، وكلاهما تصحيف .

اِحْمِل ماعنـدك يا ماصَّ بَظْرِ أمه، وإلا فقد أمرتُ رسولى بشـدّك وَثاقًا ويأتى بك . فخرج الرجل وأخذ ما كان معـه من الخراج فلَحِق بحـرّان ، وكتب إليه :

يا عاضّ بَظْرِ أمّه ! إلىّ تكتب بمثل هذا !

وإذا أهلُ بلدةٍ أنكرونى * عرفتْـنى الدَّوِّيَّةُ(١) المَلْساء

فلمـا قرأ موسى كتابَه ضَحِـك وقال : أحسن — يعـلم الله — الجوابَ، ولا والله لا أطلبه أبدًا . وفى غيرهذه الرواية أنه كتب إليه فى آخر رقعة :

إنّ الخليط الأُلَى تَهوَى قد ائتمروا * للبَيْن ثم أجَدّوا السيرَ فانشمروا

يا بن الزّانية ! والسلام . ثم هرب، فلم يَطْلُبه .

إسحاق الموصلى ولحن للغريض

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد قال قال أبى :

غنّانى رجلٌ من أهل المدينة لحنَ الغريض :

هل عنـد رَسْمٍ برامةٍ خبرُ * أم لا فأىَّ الأشياء تنتظرُ

فسألتُه أن يُلقيه علىّ، فقـال : لا إلا بألف درهم ؛ فـلم أسمح له بذلك . ومضى فلم أَلْقَه . فوالله يا بنىّ ما نَدِمتُ على شىء قطُّ نَدَمى على ذلك، ولَوَدِدْت أنّى وجدتُه الآن فأخذتُه منه كما سمعتُه وأخذَ منّى ألفَ دينار مكانَ الألف الدرهم .

خـــبر

* تُعَـيِّرنا أنّا قليـلٌ عديدُنا *

الشعر لشُرَيْح بن السَّمَوْءَل بن عَادِياء . ويقال : إنه للسموءل . وكان من يهود يَثْرِب ؛ وهو الذى يُضرب به المثلُ فى الوفاء فيقال : « أوفى من السَّموءل » .

(١) الدوِّيَّة : الفلاة البعيدة الأطراف المستوية الواسعة .

وكان السببُ فى ذلك فيما ذكر ٱبن الكلبىّ وأبو عُبيدة وحدّثنى به محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا سليمان بن أبى شيخ قال حدّثنا يحيى بن سعيد الأُموىّ عن محمد ابن السائب الكلْبىّ قال :

كان ٱمرؤ القيس بن حُجْر أودع السموءل بن عادياء أدراعًا(١)، فأتاه الحارثُ بن ظالم — ويقال: الحارث بن أبى شَمِر الغسّانى — ليأخذها منه؛ فتحصّن منه السموءلُ؛ فأخذ ٱبنًا له غلامًا وناداه: إمّا أن تُسلّم الأدراع وإما أن قتلتُ ٱبنَك؛ فأبى السموءلُ أن يُسلِّم الأدراعَ إليه؛ فضرب الحارثُ وسَطَ الغلام بالسيف فقطعه ٱثنين(٢). فقال السموءل : ٨٨/٦

وفيْتُ بأدْرُعِ الكنْدىّ إنّى * إذا ما خان أقوامٌ وَفيْتُ
وأوصى عاديا يومًا(٣) بألّا * تُهدِّمَ يا سموءلُ ما بنيْتُ
بَنَى لى عاديا حصنًا حصينًا * وماءً(٤) كلّما شئتُ ٱستقيتُ

وفى هذه القصيدة يقول :

صوت

أعاذِلتى ألَا لا تَعذُلِينى * فكَمْ مِنْ أمْرِ عاذلةٍ عَصَيْتُ
دَعِينى وٱرْشُدى إن كنتُ أغْوَى * ولا تَغْوَىْ — زعمتِ — كما غويْتُ
أعاذلَ قد طلبتِ(٥) اللومَ حتى * لَوَ ٱنّى مُنْتَهٍ لقد ٱنتهيتُ
وصفراءِ المعاصم قد دعَتْنى * إلى وَصْلٍ فقلتُ لها أبَيْتُ

---

(١) فى حـ : «أدراعا مائة» . (٢) كذا فى حـ ، ى . وفى سائر الأصول : «باثنين»

(٣) رواية هذا الشطر فى ديوانه : * وأوصى عاديا جدى بألا *

(٤) فى مجمع الأمثال للميدانى : « بئرا » . وفى ديوانه : « عينا » .

(٥) كذا فى جميع الأصول . ولعلها : « أطلت » .

وزِقٍّ قد جَرَرْتُ الى النَّـدامَى * وزِقٍّ قد شربتُ وقد سقيتُ
وحتى لو يكون فتى أُناسٍ * بكى من عذل عاذلة بكيتُ

عروضُه من الوافر. والشعرُ للسَّمَوْءَل بن عادِياء. والغناء لابن مُحْرِز فى الأوّل والثانى والرابع والخامس خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى. وغنّى فيها مالكٌ خفيفَ ثقيل بالبنصر فى الأوّل والثانى. وغنّى دَحْمانُ أيضا فى الأوّل والثانى والرابع والخامس رملًا بالوسطى. وغنّى عبد الرحيم الدَّفّاف فى الأوّل والثانى رملًا بالبنصر. وفى هذه الأبيات لابن سُرَيْج لحنٌ فى الرابع وما بعده. ثم فى سائر الأبيات لحنٌ ذكره يونس ولم يَنْسُبه[1]. ولإبراهيم الموصلىّ فيها لحن غيرُ منسوب أيضا.

أسر الأعشى رجل من كلب وهو لا يعرفه ثم أطلقه بشفاعة شريح بن السموءل فلما عرف ذلك ندم

حدّثنى محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ قال حدّثنى سليمان بن أبى شَيْخ قال حدّثنا يحيى بن سَعيد الأُموىّ قال حدّثنى محمد بن السائب الكلبىّ قال:

هجا الأعشى رجلًا من كلب فقال:

بنو الشهرِ الحرامِ فلستَ منهم * ولست من الكرام بنى عُبَيْدِ
ولا من رهط جبّار بن قُرْط * ولا من رهط حارثةَ بن زيد

— قال: وهؤلاء كلهم من كلب — فقال الكلبىّ: أنا، لا أبالك، أشرفُ من هؤلاء. قال: فسبّه الناسُ بعدُ بهجاء الأعشى، وكان متغيّظًا عليه. فأغار الكلبىّ على قوم قد بات بهم الأعشى فأَسَرَ منهم نفرًا وأسر الأعشى وهو لا يعرفه؛ فجاء حتى نزل بشُرَيح بن السموءل بن عادياء الغسّانى صاحب تيماء[2] بحصنه الذى يقال له الأبلق[3]. فمرّ شريح بالأعشى، فنادى به الأعشى بقوله:

(١) كذا فى ب، سـ. وفى سائر الأصول: «ولم يجنسه». (٢) تيماء: بليدة فى أطراف الشام، بين الشام ووادى القرى على طريق حاج الشام ودمشق. (٣) قيل له الأبلق لأنه كان فى بنائه بياض وحمرة، وقيل: لأنه بنى من حجارة مختلفة الألوان.

شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنِّى بعد ما عَلِقتْ * حبالَك اليومَ بعد القِدِّ(١) أظفارِى
قد جُلْتُ ما بين بانِقيا(٢) إلى عَدَنٍ * فطال فى العُجْم تَرْدادِى(٣) وتَسْيارى
فكان أكرَمَهم عهدًا وأوثقَهم * عَقْـدا أبوك بعُرف غـير إنكار
كالغيث ما آستمطروه جادَ وابلُه * وفى الشدائد كالمستأسِد الضّارى
كُنْ كالسموءل إذ طاف الهمامُ به * فى جَحْفَـل كسواد الليـل جَرّار ٨٩/٦
إذ سامه خُطّتَىْ خَسْف فقال له * قُـلْ ما تشاء فإنّى سامـعٌ حار
فقـال غَدْرٌ وثُكْلٌ أنت بينهما * فاخترْ وما فيهما حـظٌّ لمختـار
فشَـكَّ غيرَ طـويلٍ ثم قال له * أُقْتُـل أسيرَك إنى مانعٌ جارى
وسوف يُعْقِبُنِيه إن ظفِـرتَ به * ربٌّ كريمٌ وبِيضٌ ذاتُ أطهار
لا سِرُّهنّ لدينـا ذاهبٌ هَـدَرًا * وحافظات إذا آستُودِعن أسرارى
فآختار أدراعَه كى لا يُسَبَّ بهـا * ولم يكن وعـدُه فيهـا بخَتّار(٤)

قال : فجـاء شُرَيح إلى الكَلْبِىّ فقال له : هَبْ لى هذا الأسـيرَ المَضْرور(٥)؛ فقال : هو لك، فأطلَقه . وقال له : أَقِمْ عندى حتى أُكرِمَك وأَحْبُوَك؛ فقال له الأعشى : إن من تمام صنيعك إلىّ أن تُعْطِينى ناقةً ناجية(٦) وتُخْلِيَنى الساعةَ . قال : فأعطاه ناقةً، فركبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبىَّ أن الذى وَهَب لشُرَيح هو الأعشى، فأرسل إلى شُريح : ابعث إلىّ بالأسـير الذى وهبتُ لك حتى أحبوَه وأُعطيَه ؛ فقال : قد مضى . فأرسل الكلبىُّ فى أثَره فلم يلْحَقه .

(١) القد : القيد . (٢) بانقيا : ناحية من نواحى الكوفة . (٣) كذا فى ديوانه المطبوع بمطبعة التقدّم بمصر . وفى الأصول : «تكرارى» . (٤) الختار : الغادر . (٥) كذا فى حـ ونسخة الشيخ الشنقيطى مصححة بقلمه ومعجم ياقوت فى الكلام على الأبلق الفرد . وفى سائر الأصول : «المضروب» بالباء الموحدة، وهو تحريف . (٦) ناقة ناجية : سريعة السير .

وأما خبر:

* وما كرّ إلا كان أوّلَ طاعنٍ *

— والشعر للخنساء — فإنّه خبر يطول لذكر ما فيه من الوقائع؛ وهو يأتى فيما بعد هذا مُفردًا عن المائة الصوت المختارة فى أخبار الخنساء.

رجع الخبر إلى قصّة ابن جامع

دفع فى صوت أخذه عن سوداء أربعة دراهم وغناه الخليفة فأعطاه أربعة آلاف دينار

وأمّا خبرُ الجارية التى أخذ عنها ابنُ جامع الصوتَ وما حكيناه من أنّه وقع فى حكاية محمد بن ضوين الصَّلْصَال فيها خطأً[1]، فأخبرنا بخبرها الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى محمد العامرىّ قال حدّثنى عُكّاشة اليزيدىّ بجُرْجان قال حدّثنى إسماعيل بن جامع قال:

بينا أنا فى غُرْفة لى باليمن وأنا مُشرِف على مَشْرَعة[2]، إذ أقبلت أَمَةٌ سوداء على ظهرها قِربةٌ، فملأتْها ووضعتْها على المَشْرعة لتستريح، وجلستْ فغنّت:

صوت

فَرُدّى مُصابَ القلب أنتِ قَتَلْتِه * ولا تُبْعِدى فيما تجشّمتِ كُلْثُمَا

— ويُروى «ولا تَتْركيه هائمَ القلب مُغْرما» —

إلى الله أشكو بُخْلَها وسماحتى * لها عسلٌ منّى وتبذُلُ عَلْقَمَا

أبى اللهُ أن أُمسى ولا تذكُرِيننى * وعيناى من ذكراك قد ذَرَفتْ دَمَا

أبيتُ فما تنفَكّ لى منكِ حاجةٌ * رمى الله بالحبّ الذى كان أظلما

---

(١) هذه الكلمة مستغنى عنها فى الكلام ولكنها ثابتة فى جميع الأصول. (٢) المشرعة: مورد الشاربة التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون. ولا تسميها العرب مشرعة حتى يكون الماء عدّا لا انقطاع له كماء الأنهار ويكون ظاهرا معينا لا يستقى منه برشاء. فإن كان من ماء الأمطار فهو الكرع (بالتحريك).

— غنّاه سِيَاطٌ خفيفَ ثقيل أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو ابن بانة — قال : ثم أخذتْ قِرْبَتَها لتمضىَ . فآستفزّنى من شهوة الصوت مالا قِوامَ لى به ، فنزلتُ إليها فقلت لهـا : أَعِيدِيه . فقالت : أنا عنك فى شـغل بخَرَاجى . قلتُ : وكم هو؟ قالت : درهمان فى كل يوم . قلتُ : فهذان درهمان ، ورُدِّيه علىّ حتى آخذه منك ، وأعطيتُها درهمين ؛ فقالت : أمّا الآن فنعم . فجلستْ ، فلم تَبْرَح حتى ٩٠ / ٦ أخذتُه منها وآنصرفت ، فلهوتُ يومى به ، وأصبحتُ من غدٍ لا أذكر منـه حرفًا ، فإذا أنا بالسوداء قـد طلعتْ ففعلتْ كفعلها بالأمس . فلما وضعتِ القِربةَ تغنّتْ غيرَه ، فعَدَوْتُ فى أثرها وقلت : ياجاريةُ ، بحقّ عليك رُدِّى علىّ الصوتَ فقد ذهبتْ عنّى منه نَغَمةٌ . فقالت : لا والله ، مامثلُك تذهب عنه نغمةٌ ، أنت تَقِيسُ أوّلَه على آخره ، ولكنك قـد أُنْسِيتَه ، ولستُ أفعل إلا بدرهمين آخرين . فدفعتُهما إليهـا وأعادتْه علىّ حتى أخذتُه ثانيةً . ثم قالت : إنّك تَسْتكثر فيه أربعةَ دراهم ، وكأنى بك قـد أصبتَ به أربعة آلاف دينار . فكنتُ عند هارون يومًا وهو على سريره ، فقال : من غنّانى فأطربنى فله ألفُ دينار ، وقدّامَه أكياسٌ فى كل كيس ألفُ دينار . فغنّى القوم وغنّيتُ فلم يطرَبْ ، حتى دار الغناء إلىّ ثانيةً فغنّيتُ صوتَ السـوداء ، فرمى إلىّ بكيس فيه ألفُ دينار ، ثم قال : أعِدْه فغنّيتُه ، فرمى إلىّ بثان ثم قال : أعِدْه فرمى إلىّ بثالث وأمسك . فضحِكتُ ، فقال : مايُضْحِكك ؟ فقلت : لهذا الصوت حديثٌ عجيبٌ يا أميرَ المؤمنين . فقال : وما هو؟ فحدّثتُه به وقصصتُ عليه القصّةَ ، فرمى إلىّ برابع وقال : لا نكذّب قولَها .

خبر

* عُوجِى علىّ فسلِّمى جَـبْرُ *

الشعر للعَرْجِىّ وقد ذكرنا نسبة الصوت .

قصة عمر بن عبد العزيز مع مخنث بلغه عنه أنه أفسد نساء المدينة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الواقديّ عن ابن أبي الزّناد قال حدّثني محمد بن إسحاق قال :

قيل لعمر بن عبد العزيز : إن بالمدينة مُخنّثًا قد أفسد نساءَها . فكتب إلى عامله بالمدينة أن يحمِلَه . فأُدخِل عليه ، فإذا شيخٌ خضيبُ اللّحية والأطراف مُعْتجِرٌ بِسَبَنِيَّة(١) قد حمل دُفًّا في خريطته . فلما وقف بين يَدى عمر صعّد بصرَه فيه وصوّبه وقال : سوأةً لهذه الشَّيْبةِ وهذه القامةِ ! أتحفظ القرآن ؟ قال : لا والله يا أبانا ، قال : قبّحك اللهُ ! وأشار إليه مَنْ حضَره فقالوا : اسكُتْ فسكتَ . فقال له عمر : أتقرأ من المفصّل شيئا ؟ قال : وما المُفَصّل ؟ قال : ويلك ! أتقرأ من القرآن شيئا ؟ قال : نعم ، أقرأ ﴿ الحمد لله ﴾ وأُخطئ فيها في موضعين أو ثلاثة ، وأقرأ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ وأُخطئ فيها ، وأقرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ مثلَ الماء الجارى . قال : ضَعوه في الحبس ووكّلوا به مُعَلِّمًا يعلّمه القرآن وما يجب عليه من حدود الطّهارة والصلاة وأَجْرُوا عليه في كل يوم ثلاثةَ دراهم وعلى معلّمه ثلاثةَ دراهمَ أُخَر ، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظَ القرآن أجمعَ . فكان كلّما عُلِّم سورةً نَسِى التى قبلها . فبعث رسولًا إلى عمر : يا أميرَ المؤمنين ، وجِّه إلىّ من يحمل إليك ما أتعلّمه أوّلا فأوّلا ، فإنى لا أقدِر على حمله جملةً واحدةً . فيئس عمرُ من فلاحه وقال : ما أرى هذه الدراهمَ إلا ضائعةً ، ولو أطعمناها جائعًا أو أعطيناها محتاجًا أو كسوناها عُرْيانًا لكان أصلحَ . ثم دعا به ، فلما وقف بين يديه قال له : اقرأ ﴿ قُلْ يَٰأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ .

(١) كذا فى حـ . والسبنية : منسوبة الى سبن (بالتحريك) : بلدة ببغداد ؛ وهى إزار أسود متخذ من الحرير يلبسه النساء . وفى ب ، س : «بسبية» (بالتاء المثناة) . وفى سائر الأصول «بسنية» وكلاهما تحريف .

قال : أسأل اللهَ العافيةَ ! أدخلتَ يدَك فى الجراب فأخرجتَ شرَّ[(١)] ما فيه وأصعبَه . فأمر به فُوجِئَتْ[(٢)] عنقُه ونفاه . فٱندفع يغنّى وقد توجّهوا به :

عُوجِى علىَّ فَسَلِّمِى جَبْرُ ... فِيمَ الوقوفُ وأنتم سَفْـرُ

ما نَلْتَقِى إلا ثلاثَ مِنًى ... حتى يفـرِّق بيننا النَّفْر

٩١ / ٦

فلما سمِـع المُوكَّلون به حسنَ تَرَنُّمه خلَّوْه وقالوا له : اذهب حيث شئتَ مُصَاحَبًـا بعد ٱستماعهم منه طرائفَ[(٣)] غنائه سائرَ يومهم وليلتهم .

حج محمد بن خالد ابن عبد الله وسمع جارية محمد بن عمران فطرب وأراد شراءها فردّه

أخبرنى الحسين قال قال حماد قرأتُ على أبى عن المدائنىّ قال :

أحَجَّ خالدُ بن عبد الله ٱبنَه محمدًا وأصحبه رِزامًا[(٤)] مولاه وأعطاه مالًا، وقال : إذا دخلتَ المدينةَ فٱصرفه فيما أحببتَ . فلما صِرْنا[(٥)] بالمدينة سأل محمد عن جاريةٍ حاذقةٍ؛ فقيل : عند محمد بن عِمْران التَّيْمى القاضى . فصلّينا الظهـرَ فى المسجد ثم مِلنا إليه فٱستأذنّا عليـه فأذن لنا وقد ٱنصرف من المسجد وهو قاعدٌ على لِبْدٍ[(٦)] ونعلاه فى آخر اللِّبْد؛ فسلّمنا عليه فردّ، ونَسَبَ[(٧)] محمدًا فٱنتسب له ، فقال : خيرا . ثم قال : هل من حاجة ؟ فلَجْلَج . فقـال : كأنك ذكرتَ فلانةَ! يا جاريةُ أخرِجِى ؛ فخرجتْ فإذا أحسنُ الناس، ثم تغنّت فإذا أحذقُ الناس ؛ فجعل الشيخ يذهب مع حركاتها ويجىء، إلى أن غنّت قوله :

* عوجِى علىَّ فسلِّمى جَبْرُ *

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب، سه : «أشد ما فيه» (٢) الوجء : اللكز والضرب؛ يقال : وجأت عنقه وفى عنقه أى ضربته . (٣) كذا فى م . وفى سائر الأصول : «ظرائف» بالظاء المعجمة ، وهو تصحيف . (٤) هو رزام بن مسلم، أدرك أبا جعفر المنصور وله بعض حوادث وردت فى الطبرى (ق ٣ ص ١٣٢ ، ١٦٤ ، ١٩٦ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٦٣٧) .

(٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فلما صار» . (٦) اللبد : بساط من صوف .

(٧) نسبه : سأله عن نسبه .

فلما بلغتْ :

* حتى يفرِّق بيننا النَّفْر *

وثب الشيخُ إلى نعـله فعلَّقها فى أذنه وجثا على ركبتيه وأخذ بطـرف أُذنه والنعـل فيها وجعل يقول : أَهدونى أنا بَدَنَة[1]، أَهدونى أنا بَدَنةً . ثم أقبل عليهم فقال : كم قيل لكم إنهـا تساوى ؟ قالوا : ستمائة دينار . قال : هى وحقِّ القبر خيرٌ من ستة آلاف دينار ، ووالله لا يملِكها علىّ أحدٌ أبدا ، فآنصرِفوا إذا شئتم .

كان ابن جريج فى حلقة يحدث فمرّ به ابن تيزن فسأله أن يغنيه بغناء ابن سريج

أخبرنا وَسْواسةُ بن الموصلىّ — وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلىّ — قال حدّثنى حماد بن إسحاق قال :

وجدتُ فى كتب أبى عن عثمان بن حَفْص الثَّقفىّ عن ابن عم لعمارة بن حمزة قال حدّثنى سُلَيْم[2] الحساب عن داود المكىّ قال :

كُنّا فى حَلْقة آبن جُرَيْج وهو يحـدّثنا وعنده آبنُ المبارَك و جماعةٌ من العراقيّين، إذ مرّ به آبن تَيْزَن — قال حمّاد : ويقال آبن بِيرن — وقد آتزر بمئْزَرة على صدره، وهى إزْرَةُ الشُّطّار[3] عندنا . فدعاه آبن جُرَيج ؛ فقـال له : إنى مستعجِل، وقد وعدتُ أصحابًا لى فلا أقدِر أن أحتبس عنهم . فأقْسم عليه حتى أتاه، فجلس وقال له : ما تريد ؟ قال : أُحِبّ أن تُسمِعنى . قال : أنا أجيئك إلى المنزل، فلِمَ تُجْلِسنى مع هؤلاء الثقلاء! . قال: أسألك أن تفعل؛ قال : آمرأتُه طالقٌ إن غنّاك فوق ثلاثة أصوات . قال: ويحك ! ما أعجلكَ باليمين ؟! قال: أكره أن أحتبس عن أصحابى . فآلتفت آبن جريج إلى أصحابه فقال : اِعْقِلوا رحمكم الله . ثم قال له : غنِّى الصوتَ

---

(١) الإهداء : سوق الحيوان إبلا أو بقرا أوشاء إلى البيت الحرام هديا . (٢) فى ب ، سـ : «سليمان» . (٣) كان هذا الاسم يطلق فى الدولة العباسية على أهل البطالة والفساد .

الذى أخبرتنى أن ابنَ سريج غنّاه فى اليوم الثالث (١) من أيام مِنًى على جمرة العَقَبة فقطع الطريقَ على الذاهب والجائى حتى تكسّرت المحاملُ . فغنّاه .

* عوجى علىّ فسلّمى جبرُ *

فقال ابن جُرَيْج : أحسنتَ والله ! — ثلاثَ مرّات — ويحك أعِدْه . قال : أمِن الثلاثة؟ فإنى قد حلَفتُ . قال : أعِدْه فأعاده؛ فقال : أحسنت ! أعِده من الثلاثة؛ فأعاده وقام فمضى . فقال ابن جريج لأصحابه : لعلكم أنكرتم ما فعلتُ ! قالوا : إنا لَنُنْكِرُه بالعراق . قال : فما تقولون فى الرَّجَز؟ (يعنى الحُدَاء) قالوا : لابأس به . قال : فما الفرق بينهما ! .

أحسن الناس حلوقا فى الغناء

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك عن أبى أيوب المَدِينىّ قال : ثلاثةٌ من المُغنِّين كانوا أحسنَ الناس حُلُوقًا : ابن تيزَن، وابن عائشة، وابن أبى الكُنّات .

صــــوت

من المــائة المختــارة

٩٢/٦

سَقَانى فروَّانى كُمَيْتاً مُدامةً * على ظمإ منى سلّامُ بنُ مِشْكَم (٢)
تخيّرتُه أهلَ المدينة واحدا * سِواهمْ فلم أُغْبَن ولم أتندّمِ (٣)

عروضُه من الطويل . والشعر لأبى سفيان بن حرب . والغناء لسليمان أخى بابويه الكوفى مولى الأشاعثة (٤)، خفيفُ رملٍ بالسبّابة فى مجرى الوسطى .

(١) فى أ ، ء ، ح ، م : «الثانى» . (٢) سيتكلم عنه المؤلف فى ترجمة أبى سفيان التى تجئ بعد هذه الصفحة . (٣) ورد هذا البيت فى سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٥٤٣ طبع أوروبا) هكذا :

إنى تخيرت المدينة واحدا * لحلف فلم أندم ولم أتلوّم

(٤) الأشاعثة : منسوبون الى الأشعث بن قيس الكندى الصحابى ، نزل الكوفة . ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين رجلا من كندة فروى عنه وعن عمر رضى الله عنه . ومات بالكوفة فى آخر سنة أربعين حين صالح الحسن معاوية رضى الله عنهما فصلى عليه .

ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه

نسبه ونسب أمه

هو صخر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف . وأمّ حَرب بن أميّة بنتُ أبي هَمْهَمةَ بن عبد العُزّى بن عامر بن عَميرة بن وديعة بن الحارث بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة . وأمّ أبي سفيان صفيّة بنت حَزْن بن بُجَيْر بن الهُزَم(١) بن رُوَيْبة(٢) بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صَعْصَعَة ، وهي عمّة ميمونة أمّ المؤمنين وأمّ الفضل بنت الحارث بن حَزْن أمّ بني العباس بن عبد المطلب . وقد مضى ذكرُ أكثر أخبار ولد أميّة والفَرْقُ بين الأعياص والعَنَابِس منهم وجُمَلٌ من أخبارهم في أوّل هذا الكتاب(٣) .

وكان حربُ بن أميّة قائدَ بني أميّة ومن مالأهم في يوم عُكاظ . ويقال : إن سبب وفاته أن الجنّ قتلته وقتلت مِرْداسَ بن أبي عامر السُّلَمِيّ لإحراقهما شجرَ القُرَيّة(٤) وآزدراعِهما إيّاها . وهذا شيءٌ قد ذكرتْه العربُ في أشعارها وتواترت الرّوايات بذكره فذكرتُه ، والله أعلم .

أراد حرب بن أميه ومرداس بن أبي عامر ازدراع القرية فخرجت عليهما منها حيات فماتا

أخبرني الطُّوسيّ والحَرَميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمّي مُصْعَب ، وأخبرنا محمد بن الحسين بن دُرَيْد عن عمّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه ، وذكره أبو عُبيدة وأبو عمرو الشيبانيّ :

---

(١) كذا في تجريد الأغاني والقاموس وشرحه (مادة هزم) والاشتقاق لابن دريد (ص ١٧٨ طبع أوروبا) . وفي الأصول : «الهرم» بالراء المهملة وهو تصحيف . (٢) كذا في حـ وتجريد الأغاني والقاموس وشرحه (مادة هزم) وطبقات ابن سعد (ج ٨ ص ٩٤) والاشتقاق لابن دريد (ص ١٧٩ طبع أوروبا) . وفي سائر الأصول : « رويتة » وهو تصحيف . (٣) راجع الجزء الأوّل من هذه الطبعة (ص ١٤) . (٤) القرية : موضع في ديار بني سليم ، ذكره البكري في معجم ما استعجم (ج ٢ ص ٧٣٥) وساق القصة كما ساقها أبو الفرج هنا .

أنّ حربَ بن أميّة لمـا آنصرف من حرب عكاظ هو وإخـوتُه مرّ بالقُـرَيّة، وهى إذ ذاك غَيْضةُ شجرٍ ملتفّ لا يُرام. فقال له مرداسُ بن أبى عامر: أمَا ترى هـذا الموضع؟ قال بلى. قال: نِعْم المُزْدَرَعُ هو، فهل لك أن نكون شريكين فيه ونُحَرِّق هـذه الغَيْضةَ ثم نَزْدَرِعه بعـد ذلك؟ قال نعم. فأضرما النّار فى الغَيْضة. فلما آستطارتْ وعلا لَهَبُها سُمِع من الغَيْضة أنينٌ وضجيجٌ كثيرٌ، ثم ظهرت منها حيّاتٌ بِيضٌ تطير حتى قطعتْها وخرجت منها. وقال مرداس بن أبى عامر فى ذلك:

إنى آنتخبتُ لها حربًا وإخوتَه * إنّى بحَبْلٍ وثيقِ العقْد دسّاسُ
إنى أُقَوِّمُ قبـل الأمر حُجَّتَـه * كيما يقـالَ ولىُّ الأمر مِرداسُ

قال: فسمِعوا هاتفًا يقول لمـا آحترقت الغَيْضةُ:

ويلٌ لحـربٍ فارسًا * مُطاعِنًـا مُخالِسَا
ويلٌ لعمـرٍو فارسًا * إذ لبِسـوا القَوانِسا(١)
لَنَقْتُلَنْ بقتـلهِ * جَحاجِحًا عنابِسـا

ولم يلبث حربُ بن أميّة ومرداسُ بن أبى عامر أن ماتا. فأمّا مرداسٌ فدُفن بالقُرَيّة. ثم آدّعاها بعد ذلك كُلَيبُ بن أبى عَهْمةَ(٢) السُّلَمىّ ثم الظَّفَرىّ. فقال فى ذلك عبّاس آبن مرداس:

أكُلَيبُ مالكَ كلَّ يومٍ ظالمًـا * والظـلمُ أنكدُ وجهُـه ملعونُ ٩٣/٦
قد كان قومُك يحسبونك سيّدًا * وإخالُ أنك سـيّدٌ معيـونُ

---

(١) القوانس: جمع قونس، وهو أعلى البيضة. وفى معجم ما آستعجم: «القلانسا».

(٢) فى معجم ما استعجم للبكرى: «كليب بن عهة». وفيما مر فى جميع الأصول (ج ٥ ص ٣٨ من هذه الطبعة) والنقائض (ص ٩٠٧ طبع أوروبا): «كليب بن عهمة».

— المعيونُ : الذى أصابته العين ، وقيل : المعيون : الحسن المنظر فيما تراه العينُ ولا عقلَ له —

فإذا رجعتَ إلى نسائك فادَّهِنْ * إن المُسالِمَ رأسُــه مــدهونُ
وآفعل بقومك ما أراد بوائلٍ * يومَ الغــدير[1] سَمِيُّـك المطعون
وإخال أنك سوف تلقى مثلَها * فى صَفْحتَيك سِنانُها المســنون
إن القُــرَيّةَ قد تبــيّن أمرُها * إن كان ينفع عنــدك التَّبيين
حيث آنطلقتَ تخطُّها لى ظالمًا * وأبو يزيدَ بجــوِّها مدفون

أبو يزيد : مرداس بن أبى عامر .

منزلته فى قريش وفقء عينيه

وكان أبو ســفيان سيِّدا من سادات قريش فى الجاهليّــة ورأسًا من رءوس الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته وكَهْفًا للنافقين فى أيامه، وأسلم يوم الفتح . وله فى إســلامه أخبارٌ نذكرها هنا . وكان تاجرًا يجهِّــز التجار بمــاله وأموالِ قريش إلى أرض العجم . وشهِد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مُشَاهَدَةَ الفتح ، وفُقِئَتْ عينُه يومَ الطائف[2]، فلم يزل أعورَ إلى يوم اليَرْموك[3]، فَفُقِئَت عينُه الأخرى يومئذ فعَمِى .

مازح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت بنتــه أم حبيبة

أخبرنا الطُّوسىّ والحَرَمىّ قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى علىّ بن صالح عن جدّى عبد الله بن مصعب عن إسحاق بن يحيي المكىّ عن أبى الهيثم عمّن أخبره :

---

(١) يشــير الى تحكم كليب فى موارد المـاء ونفيــه بكر بن وائل عنها حتى كاد يقتلهــم عطشا . (راجع الكلام على ذلك مفصلا فى الجزء الخامس من هذه الطبعة ص ٣٦ — ٣٧) .

(٢) يعنى غزوة الطائف وفيها رماه سعيد بن عبيد الثقفى فأصاب عينه . (انظر المواهب اللدنية ج ٣ ص ٣٩ — ٤٠ طبع بولاق) .

(٣) اليرموك : واد بناحيــة الشام فى طــرف الغور يصب فى نهــر الأردن ثم يمضى إلى البحيرة المنتنة . كانت به حرب بين المســلمين والروم فى أيام أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

أنّه سمِع أبا سفيان يُمازح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى بيت بنته أُمّ حبيبة ويقول : والله إنْ هو إلا أن تركْتُكَ فتركتْك العربُ فما انتطحت جمّاءُ(١) ولا ذاتُ قرْنٍ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ويقول: "أنت تقول ذاك يا أبا حَنْظَلة(٢)!".

سئل وهو مشرك عن تزوّج بنته رسول الله صلى الله عليه وسلم فمدحه

قال الزبير وحدّثنى عمّى مصعب :

أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تزوّج أُمّ حَبيبة بنت أبى سفيان وأبو سفيان يومئذ مُشرِكٌ يحارب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وقيل له : إن محمدًا قد نكح ابنتَك ؛ فقال : ذلك الفحلُ لا يُقْدَعُ(٣) أنفُه . واسمُ أمّ حبيبة رملة ، وقيل : هند(٤)، والصحيح رملة .

عتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له ومعاتبه فأرضاه

أخبرنا محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخزّاز قال حدّثنا المدائنىّ عن مَسْلَمة بن محارب عن عثمان بن عبد الرحمن بن جَوْشَن قال :

أذِن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومًا للناس، فأبطأ بإذن أبى سفيان . فلما دخل قال : يارسولَ الله ، ما أذِنْتَ لى حتى كِدْتَ تأذَنُ للحجارة . فقال له : يا أبا سفيان « كلُّ الصيد(٥) فى جوف الفَرَا » .

---

(١) الجماء : الشاة التى لا قرن لها . (٢) حنظلة : ابن كان لأبى سفيان قتله على بن أبى طالب كرم الله وجهه يوم بدر . (٣) فحل لا يقدع أنفه، أى لا يضرب أنفه ؛ لكرمه . وذلك أن الفحل اذا أراد ركوب الناقة قدع وضرب أنفه بالرمح أو غيره اذا كان غير كريم وحمل عليها فحل كريم غيره . وفى ب ، س : «يقرع» بالراء المهملة ، وهو بمعنى «يقدع» . (٤) فى الأصول : «وقيل صفية» . والتصويب عن كتاب الإصابة فى أخبار الصحابة وأسد الغابة والمواهب اللدنية . وصفية هى أم أم حبيبة وهى صفية بنت أبى العاص . (٥) هذا مثل يضرب لمن يفضل أقرانه . وأصله أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين فاصطاد أحدهم أرنبا والآخر ظبيا والثالث حمارا (وهو الفرا) فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبى بما نالا وتطاولا على الثالث ، فقال : «كل الصيد فى جوف الفرا» أى هذا الذى رزقت وظفرت به يشتمل على ما عندكما . وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشى . (انظر مجمع الأمثال للميدانى ج ٢ ص ٦٩) طبع بولاق .

حدّثنا محمد بن العباس قال حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشَجانى قال حدّثنا عطاءُ ابن مُصْعَب قال حدّثنى سفيان بن عُيَيْنة عن جعفر بن يحيى البرمكىّ قال :

أذِن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس ، فكان آخِرُ من دخل عليه أبا سفيان ابن حرب . فقـال : يارسول الله ، لقـد أذِنْتَ للناس قبلى حتى ظننتُ أن حجارة الخَنْدَمةِ[1] لَيُؤذن لها قبلى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أما والله إنّك والناسَ لكما قال الأوّلُ : « كلُّ الصيدِ فى بطن الفَرَا » " . أىّ كلّ شىء لهؤلاء من المنزلة فإن لكَ وحدك مثل مالهم كلّهم .

خرج الى الشأم فى تجارة ، فسأله هرقل عن أحوال النبىّ صلى الله عليه وسلم فأجابه وصدقه

حدّثنى عمر بن إسماعيل بن أبى غَيْلان الثَّقَفىّ قال حدّثنا داود بن عمرو الضَّبىّ قال حدّثنا المثنّى بن زُرْعَة أبو راشد عن محمـد بن إسحاق قال حدّثنى الزُّهْرىّ عن
٩ / ٦
عبد الله بن عبد الله عن عُتْبة عن آبن عبّاس قال حدّثنى أبو سفيان بن حرب قال[2] :

كُنّا قومًا تِجارًا ، وكانت الحربُ بيننا و بين رسول الله صلى الله عليـه وسلم قد حصرَتْنا[3] حتى نَهكَتْ[4] أموالَنا . فلما كانت الهدنةُ [هدنة الحُدَيْبِيَة][5] بيننا و بين رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، خرجتُ فى نفر من قريش إلى الشأم ، وكان وجهُ مَتْجَرنا منه غَزّة ، فقدمناها حين ظهر هِرَقْلُ على من كان بأرضه من الفرس[6] ، فأخرجهم منها وآنتزع منهم صليبَه الأعظمَ وكانوا قد آستلبوه إيّاه . فلما بلغه ذلك منهم و بلغه أن صليبَه قد آستُنْقِذ منهم ، وكانت حمص منزلَه ، خرج[7] منها يمشى على قدميه شكرًا لله حين ردّ عليه ماردّ ليصلّىَ فى بيت المقدس تُبْسَط له البُسُطُ وتُلْقَى عليها الرّياحين . فلما آنتهى إلى

(١) الخندمة : جبل بمكة . (٢) قد وردت هـذه القصة فى البخارى (ج ١ ص ٤) باختلاف قليل عما هنا . (٣) كذا فى حـ وتجريد الأغانى . وفى سائر الأصول : «حضرتنا» بالضاد المعجمة وهو تصحيف . (٤) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : «تهتكت» . وهو تحريف . (٥) زيادة عن تجـريد الأغانى . (٦) كذا فى تجـريد الأغانى . وفى الأصول : « من فارس » . (٧) فى الأصول : « تخرج » .

إيلياءَ فقضى فيها صلاتَه وكان معه بطارقتُه وأشرافُ الروم، أصبح ذاتَ غُدْوة مهموماً يقلِّب طرفَه إلى السماء . فقال له بطارقتُه : والله لكأنّك أصبحتَ الغداةَ مهموماً . فقال: أجل ! رأيتُ البارحةَ أن مُلْك الختان ظاهر . فقالوا : أيّها الملك ، ما نعلم أمّةً تَخْتَتِن إلا اليهود ، وهم فى سلطانك وتحت يدك ، فآبعث إلى كلّ من لك عليه سلطانٌ فى بلادك فمُرْه فليضرب أعناقَ مَنْ تحت يدك منهم من يَهُود واسترِح من هذا الهمّ . فوالله إنهم لفى ذلك من رأيهم يدبِّرونه (١) إذ أتاه رسولُ صاحب بُصْرى (٢) برجلٍ من العرب يقوده — وكانت الملوك تتهادى الأخبار بينهم — فقال : أيها الملك ، إن هذا رجلٌ من العرب من أهل الشّاء والإبل يحدِّث عن أمر حدَث فآسأله . فلما آنتهى به إلى هرقل رسولُ صاحب بُصرى ، قال هرقلُ لمن جاء به : سَلْه عن هذا الحديث الذى كان ببلده ؛ فسأله ، فقال : خرج بين أظْهُرنا رجلٌ يزعُم أنه نبيٌّ ، وقد آتّبعه ناسٌ فصدّقوه وخالفه آخَرون ، وقد كانت بينهم مَلاحِمُ فى مواطنَ كثيرةٍ ، وتركتُهم على ذلك . فلما أخبره الخبرَ قال : جرِّدوه فإذا هو مختونٌ ؛ فقال : هذا والله النبيّ الذى رأيت لا ما تقولون ، أعطوه ثيابه وينطلق . ثم دعا صاحبَ شُرْطتـه فقال له : اقلبِ الشامَ ظهرًا لبطن حتى تأتينى برجل من قوم هـذا الرجل . فإنّا لَبِغَزّةَ إذ هجم علينا صاحبُ شُرْطته فقال : أنتم من قوم الحجاز ؟ قلنـا نعم . قال : آنطلِقوا إلى الملك ، فآنطلقوا بنا . فلما آنتهينا إليه قال : أنتم من رهط هذا الرجلِ الذى بالحجاز؟ قلنا نعم . قال : فأيُّكم أمَسُّ به رَحِمًا ؛ قال : قلت أنا — قال أبو سفيان : وآيمُ الله ما رأيتُ رجلاً أرى أنه أنكر من ذلك الأغلفِ (٣) (يعنى هرقل) — ثم قال : أَدْنِه ، فأقعدنى بين يديه وأقعد أصحابى خلفى ، وقال : إنى سأسأله ، فإن كَذَب فردُّوا عليه .

(١) فى حـ وتجريد الأغانى : « يديرونه » . (٢) بصرى : بلد من أعمال دمشق وهى قصبة كورة حوران . (٣) الأغلف : الذى لم يختتن .

— قال: فوالله لقد علمتُ أن لو كذَبتُ ما ردّوا عليّ، ولكنّي كنتُ امرأً سيّدا أتكرّم عن الكذب، وعرفت أنّ أيسر ما في ذلك إن أنا كذَبتُه أن يحفظوه عليّ ثم يحدّثوا به عني، فلم أكذِبه — قال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يَدّعي ما يَدّعي. فجعلتُ أُزَهّد له شأنَه وأُصغّر له أمورَه، وأقول له: أيها الملك، ما يهمّك من شأنه! إنّ أمرَه دون ما بلَغك؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك منّي. ثم قال: أنبئني فيما أسألُك عنه من شأنه. قال: قلت: سَلْ عمّا بدا لك. قال: كيف نسبُه فيكم؟ قلت: محضٌ، هو أوسطُنا[(1)] نسبًا. قال: أخبرني هل كان أحدٌ في أهل بيته يقول مايقول فهو يتشبّه به؟ قال: قلت لا. قال: هل كان له فيكم مُلك فسلبتموه إيّاه فجاء ٩٥/٦
بهذا الحديث لتَرُدّوا عليه مُلكَه؟ قال: قلت لا. قال: أخبِرني عن أتباعه منكم من هُمْ؟ قال: قلت: الضعفاءُ والمساكينُ والأحداثُ من الغِلْمان والنساء، فأمّا ذوو ١
الأسنان من الأشراف من قومه فلم يَتْبعه منهم أحدٌ. قال: فأخبرني عمّن يتبعه أيُحبّه ويَلزمه أم يَقْليه ويفارقه؟ قال: قلت: قلّما يتبعه أحدٌ فيفارقه. قال: فأخبرني كيف الحربُ بينكم وبينه؟ قال: قلت: سِجالٌ يُدال علينا ونُدال عليه. قال: فأخبرني هل يَغْدِر؟ فلم أجد شيئا سألني عنه أغتمز فيه غيرَها. قال: قلت: لا، ونحن منه في مُدّة[(2)] ولا نأمَن غدرَه. قال: فوالله ما ٱلتفت اليها منّي. ثم كرّر عليّ الحديث فقال: سألتُك ١
عن نسبه فيكم، فزعمتَ أنه محضٌ من أوسطكم نسبًا؛ فكذلك يأخذ اللهُ النبيَّ لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسبًا. وسألتُك هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول مثلَ قوله فهو

(١) أي خيرنا وأفضلنا نسبا.

(٢) في مدة: يعني بها مدّة صلح الحديبية. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى مكة حاجا فتعرضت له قريش فأوقع بينه وبينهم صلحا على أن توضع الحرب بينهم عشر سنين وأن يرجع عنهم عامهم ٢
هذا. وقيل: يعني بالمدة ٱنقطاعه صلى الله عليه وسلم وغيبته عن أبي سفيان. (راجع شرح القسطلاني على البخاري ج ١ ص ١٠٠) طبع بولاق.

يتشبّه به ، فزعمتَ أن لا . وسألتُك هل كان له مُلْكٌ فيكم فسلبتموه إيّاه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكَه ، فزعمتَ أنْ لا . وسألتُك عن أتباعه ، فزعمتَ أنهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنّساء ، وكذلك أتباعُ الأنبياء فى كل زمان . وسألتُك عمّن يتبعه أيُحِبّه ويَلْزمه أم يَقْلِيه ويفارقه ، فزعمتَ أنه لا يتبعه أحدٌ فيفارقه ، فكذلك حلاوةُ الإيمان لا تدخل قلبَ رجل فتخرجُ منه . وسألتُك عن الحرب بينكم وبينه فزعمتَ أنها سِجالٌ تُدَالون عليه ويُدَال عليكم ، وكذلك حربُ الأنبياء ، ولهم تكون العاقبةُ . وسألتُك هل يَغْدِر ، فزعمتَ أن لا . فلئن كنتَ صَدَقتَنى عنه لَيَغْلِبَنّ على ما تحت قَدَمَىّ هاتين ، ولَوَدِدْتُ أنّى عنده فأغسلُ قدميه ! انطلقْ لشأنك . فقمتُ من عنده وأنا أضرب بإحدى يدَىّ على الأخرى وأقول : ياللعبادِ الله ! لقد أَمِرَ[1] أَمْرُ آبنِ أبى كَبْشة[2] ! أصبحتْ ملوكُ بنى الأصفر[3] يَهابُونه فى ملكهم وسلطانهم .

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل وما كان بين هرقل وبطارقته

قال آبن إسحاق : فقدِم عليه كتابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع دِحيةَ[4] ابن خليفة الكلبىّ ، فيه :

"بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى هِرَقْل عظيم الروم . السلامُ على من آتّبع الهدى . أمّا بعد ، فأَسْلِم تَسْلَمْ يُؤْتِك الله أجرَك مرّتين ، وإن تتولّ[5] فإن إثمَ الأكّار[6] عليك" .

(١) أمر : عظم . (٢) أبو كبشة : رجل من خزاعة خالف قريشا فى عبادة الأوثان وعبد الشعرى العبور؛ فسمى المشركون النبى صلى الله عليه وسلم ابن أبى كبشة لخلافه إياهم الى عبادة الله تعالى تشبيها له بأبى كبشة الذى خالفهم الى عبادة الشعرى . وقال آخرون : أبو كبشة كنية وهب بن عبد مناف جد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أمه فنسب إليه لأنه كان نزع اليه فى الشبه . وقيل فيه غير ذلك (راجع اللسان مادة كبش) . (٣) بنو الأصفر : لقب ملوك الروم . (٤) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد الكلبى الصحابى المشهور ، وهو الذى كان جبريل عليه السلام يأتى فى صورته ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم صورة . (٥) فى صحيح مسلم والبخارى : «فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين» (هم الفلاحون والزراعون) . (٦) قد ورد هذا الكتاب بإسهاب فى البخارى ومسلم فانظره فيهما .

قال ابن شهاب: فأخبرني أُسْقُفُّ النصارى في زمن عبد الملك زعم أنه أدرك ذلك من أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأمرِ هرقل وعقله (١)، قال: فلمّا قدم عليه كتابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَل دِحْيَة بن خليفة، أخذه هرقلُ فجعله بين فخذيه وخاصرته، ثم كتب إلى رجل برُومِيَة (٢) كان يقرأ العبرانيّة ما تقرءونه، فذكر له أمرَه ووصفَ له شأنه وأخبره بما جاء منه. فكتب إليه صاحبُ رُومِيَة: إنه النبيّ الذي كنّا ننتظره لاشكّ فيه، فاتّبِعْه وصدِّقه. قال: فأمر هرقلُ ببطارقة الرّوم فجُمِعُوا له في دَسْكَرَة (٣) ملكه، وأمر بها فأغلِقت عليهم أبوابُها، ثم اطّلع عليهم من عِلِّيَّة وخافهم على نفسه فقال: يامعشر الرّوم، قد جمعتُكم لخبر، أتاني كتابُ هذا الرجل يدعو إلى دينه، فوالله إنّه النبيّ الذي كنّا ننتظره ونجده في كتابنا؛ فهلمّ فلنبايعه ولنصدِّقه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا. قال: فنخَرَتِ (٤) الرومُ نَخْرَةَ رجلٍ واحد وابتدروا أبوابَ الدَّسْكَرَة ليخرجوا فوجدوها قد أُغلِقَتْ دونهم. فقال: كُرّوهم عليّ وخافهم على نفسه؛ فكَرُّوهم عليه. فقال: يامعشر الرّوم، إنما قلتُ لكم المقالةَ التي قلتُ لأنظُرَ كيف صلابتكم في دينكم في هذا الأمر الذي قد حدَث، فقد رأيتُ منكم الذي أُسَرّ به؛ فخرّوا سُجَّدًا. وأمر بأبواب الدَّسْكَرَة ففتحت لهم فانطلقوا.

٩٦ / ٦

حديثه مع العباس حين بلغتهما بعثة النبيّ صلى الله عليه وسلم وهما باليمن وحديث الحبر اليهودي معهما

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن زكريا الغَلّابيّ قال حدّثني أبو بكر الهُذَليّ عن عِكْرِمة عن ابن عباس قال قال لي العبّاس:

خرجتُ في تِجارة إلى اليمن في رَكْب منهم أبو سفيان بن حرب، فقدِمتُ اليمن. فكنتُ أصنع يومًا طعامًا وأنصرف بأبي سفيان وبالنَّفَر، ويصنع أبو سفيان يومًا

(١) في الأصول: « ... وعقله. فلما قدم عليه ... ... قال أخذه هرقل ». فوضعت كلمة "قال" في الأصول في غير موضعها. (٢) رومية: هي عاصمة إيطاليا الآن. (٣) الدسكرة: بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم. (٤) نخر: مدّ الصوت من خياشيمه.

فيفعل مثل ذلك . فقال لى فى يومى الذى كنتُ أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرفَ الى بيتى وتُرسلَ إلى غدائك؟ فقلتُ: نعم. فآنصرفتُ أنا والنَّفَرُ الى بيته وأرسلت إلى الغداء . فلما تغدّى القوم قاموا واحتبسنى فقال لى : هل علمتَ يا أبا الفضل أن آبنَ أخيك يزعمُ أنه رسول الله؟ قلت: وأىُّ بنى أخى؟ قال أبو سفيان: إياىَ تكتُمُ ! وأىُّ بنى أخيك ينبغى له أن يقول هذا إلا رجلٌ واحد! قلت: وأيُّهم هو على ذلك؟ قال: محمد بن عبد الله . قلتُ: ما فعل! قال: بلى قد فعل. ثم أخرج إلىّ كتابًا من آبنه حَنْظلة بن أبى سفيان : إنى أُخبرك أن محمدًا قام بالأَبْطَح(١) غُدْوةً فقال: أنا رسول الله أدعوكم إلى الله . قال : قلت : يا أباحنظلة، لعلّه صادق . قال: مهلًا يا أبا الفضل، فوالله ما أُحبّ أن تقولَ مثلَ هذا، وإنى لأخشى أن تكون على بَصَر من هذا الأمر — وقال الحسن بن علىّ فى روايته: على بصيرة من هذا الحديث — ثم قال: يابَنِى عبد المطّلب، إنه والله ما برِحتْ قريشٌ تزعُم أن لكم يُمْنةً وشؤمةً كلّ واحدة منهما عامةٌ، فننشدتُك اللهَ يا أبا الفضل هل سمِعتَ ذلك ؟ قلت نعم . قال : فهـذه والله إذًا شُؤْمتُكم . قلت : فلعلّها يُمْنتنا . فما كان بعد ذلك إلا ليالٍ حتى قدِم عبد الله ابن حُذَافة السَّهْمىّ بالخبر وهو مؤمنٌ، ففشا ذلك فى مجالس أهل اليمن يُتحـدّث به فيها . وكان أبو سفيان يجلس الى حَبْر من أحبار اليمن ؛ فقال له اليهودىّ : ما هذا الخبر الذى بلغنى؟ قال: هو ماسمعتَ . قال: أين فيكم عمُّ هذا الرجل الذى قال ما قال؟ قال أبو سفيان : صَدَقوا وأنا عمّه . قال اليهودىّ: أأخو أبيه ؟ قال نعم . قال : حَدِّثنى عنه . قال : لا تسألْنى ، فما كنتُ أحسب أن يَدّعى هذا الأمر أبدًا، وما أُحبّ أن أَعيبَه، وغيرُه خيرٌ منه . قال اليهودىّ: فليس به أذًى، ولا بأس على يهودَ وتوراةِ موسى منه . قال العباس : فتأدّى إلىّ الخبرُ فحَمِيتُ، وخرجتُ حتى أجلسَ

(١) أبطح مكة : مسيل واديها .

إلى ذلك المجلس من غَدٍ وفيه أبو سفيان والحبرُ . فقلت للحبر : بلَغنى أنك سألتَ ابن عمّى هذا عن رجل منّا يزعُم أنه رسول الله ، فأخبرَك أنه عمُّه ، وليس بعمّه وَلكنه ابن عمّه ، وأنا عمّه أخو أبيه . فقال : أأخو أبيه ؟ قلتُ : أخو أبيه . فأقبل على أبى سفيان فقال : أصدَق؟ قال : نَعَمْ صدَق . قال فقلت : سلْنى عنه ، فإن كذَبتُ فليردد علىّ . فأقبل علىّ فقال : أنشُدُك الله ، هل فشَتْ لآبن أخيك صَبْوة أو سَفْهةٌ؟ قال قلت : لا وإله عبد المطّلب ولا كذَب ولا خان ، وإن كان آسمُه عند قريش الأمينَ . قال : فهل كتب بيده؟ قال عبّاس : فظننتُ أنه خيرٌ له أن يكتب بيده ، فأردتُ أن أقولها ، ثم ذكرتُ مكانَ أبى سفيان وأنه مُكَذِّبى ورادٌّ علىّ ، فقلت : لا يكتب . فذهب الحبرُ وترك رداءَه وجعل يَصيح : ذُبِحتْ يهود ! قُتِلت يهود !

٩٧/٦

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، إنّ اليهودىّ لفَزِعٌ من آبن أخيك . قال قلت : قد رأيتَ ما رأيتَ ، فهل لك يا أباسفيان أن تؤمن به ، فإن كان حقًّا كنتَ قد سَبقت ، وإن كان باطلا فمعك غيرُك من أكفائك ؟ قال : لا والله ما أومِن به حتى أرى الخيلَ تطلعُ من كَداء (وهو جبل بمكة) . قال قلت : ما تقول ؟! قال : كلمةٌ والله جاءت على فمى ما ألقيتُ لها بالًا ، إلا أنى أعلم أن الله لا يترك خيلا تطلُع من كَدَاء . قال العباس : فلما فتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكةَ ونظرنا إلى الخيل قد طلعت من كَداء ، قلتُ : يا أبا سفيان ، أتذكر الكلمة؟ قال لى : والله إنى لذا كرُها ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام .

حديث استئذان العباس له واسلامه فى غزاة الفتح

حدّثنا[1] محمد بن جرير الطَّبَرى قال حدّثنا البَغَوى[2] قال حدّثنا الغَلَابى أبو كُرَيْب

(١) ورد هذا الخبر بسنده فى تاريخ الطبرى (ق ١ ص ١٦٣٠ طبع أوربا) . وقد رواه ابن جرير الطبرى عن أبى كريب مباشرة . وهو كثيرا ما يقول فى تاريخه : «حدّثنا أبو كريب» . فلعل ذكر اسمى البغوى والغلابى هنا من زيادات النساخ .

(٢) هو أحمد بن منيع بن عبد الرحمن الحافظ الكبير أبو جعفر الأصم البغوى من شيوخ آبن جرير الطبرى توفى ببغداد سنة ٢٤٤ هـ .

محمد بن العلاء قال حدّثنا يونس بن بُكَيْر عن محمد بن إسحاق قال حدّثنى الحسين بن عبيد الله بن العبّاس عن عِكرمة عن ابن عبّاس قال :

لمّا نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلم مَرَّ الظَّهْرانِ (١) (يعنى فى غَزاة الفتح) قال العبّاس بن عبد المطلب وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة : ياصَباحَ (٢) قريش ! والله لئن بَغَتَها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إنها لهلاكُ قريش آخر الدهر . فجلس على بغلة رسول الله صلّى الله عليه وسلم البيضاء وقال : أَخْرُجُ إلى الأَراك (٣) ، لعلّى أرى حطّاباً أو صاحبَ لَبَن أو داخلًا يدخل مكةَ فيُخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيَسْتأمِنونه . فوالله إنى لأطوفُ فى الأَراك ألتمس ما خرجتُ له إذ سمعتُ صوتَ أبى سفيان وحَكيم بن حِزام (٤) وبُدَيْل بن (٥) وَرْقاء يتجسّسون الخبَرَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمعت أبا سفيان وهو يقول : والله مارأيتُ كالليلة قطُّ نيراناً . فقال بُدَيْل بن ورقاء : هذه والله نيرانُ خُزَاعة حَمَشَتْها (٦) الحربُ . فقال أبو سفيان : خزاعةُ الأَمُّ من ذلك وأذَلّ . فعرَفتُ صوتَه فقلت : أبا حنظلةَ ! فقال : أبا الفضل ! قلت نعم ، فقال : لبّيْك ، فداؤك أبى وأمى ! فما وراءك ؟ فقلت : هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد دلَف (٧) إليكم بما لاقِبَل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال : فما تأمرنى ؟ فقلت : تركب عَجُزَ هذه البغلة فأستأمِنُ لك رسولَ الله

(١) مر الظهران : واد قرب مكة . (٢) ياصباح كذا ويا صباحاه : مما يستعمل عند الانذار بالغارة .

(٣) الأراك : واد قرب مكة . (٤) هو حكيم بن خويلد بن عبد العزى الأسدى أبو خالد ابن أخى خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحاق : أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مائة من الإبل ، وولد فى جوف الكعبة قبل قدوم الفيل بثلاث عشرة سنة . (٥) هو بديل بن ورقاء بن عبد العزى بن ربيعة بن جزى بن عامر بن مازن بن عدى من خزاعة ، وهو الذى كتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام ، وهو من كبار مسلمة الفتح . (٦) حمش الشىء : جمعه وفلانا هيجه . (٧) يقال : دلفت الكتيبة إلى الكتيبة فى الحرب أى تقدمت .

صلى الله عليه وسلم ، فوالله لئن ظفر بك ليَضْرِبنّ عُنُقك . فرَدِفَنى فخرجتُ به أرْكُض بغلةَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكلما مررتُ بنار من نيران المسلمين فنظَروا إلىّ قالوا : عمُّ رسول الله على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حتى مَرَرْنا بنار عمر بن الخطاب — رضى الله تعالى عنه — فقال : أبو سفيان! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عَقْد ولا عهد؛ ثم آشتدّ نحو النبىّ صلى الله عليه وسلم ،وركَضتُ البغلةَ وقد أردفتُ أبا سفيان — قال العباس : — حتى اقتحمتُ على باب القبّة وسبَقتُ عمر بما تَسْبِق به الدّابةُ البطيئةُ الرجلَ البطىءَ . فدخل عمرُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن اللهُ منه بغير عهد ولا عقد ، فدعنى أضرِبْ عنقَه . قلت : يا رسول الله ، إنى قد أجرْتُه . ثم جلستُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذتُ برأسه وقلت : والله لا يُناجِيه اليومَ أحدٌ دونى . فلما أكثر فيه عمرُ قلت : ٩٨/٦ مَهْلًا يا عمر ! فوالله ما تصنع هذا إلّا لأنّه رجل من عبد مَناف، ولو كان من بنى عَدِىّ بن كعب ما قلتَ هذا ! قال : مهلًا يا عبّاس ! فوالله لَإسلامُك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إلىّ من إسلام الخطاب لو أسلَم؛ وذلك لأنى أعلم أن إسلامَك أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلَم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذهب فقد أمّنّاه حتى تَغْدوَ به علىّ الغَداةَ " فرجَع به إلى منزله . فلما أصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رآه قال : "ويحك يا أبا سفيان ألم يَأْنِ لك أن تعلم أن لا إله إلا الله "! فقال : بأبى أنتَ وأمى! ما أوْصَلَك وأحلَمَك وأكْرَمك ! والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيرُه لقد أغنى عنّى شيئا . فقال : "ويحك تَشهّد بشهادة الحقّ قبلَ والله [أن](١) تُضْرَب عنقُك" .

(١) زيادة عن الطبرى .

قال: فتشهّد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعبّاس من حين تشهّد أبو سفيان: "انصرف يا عبّاس فاْحتبِسْه عنـد خَطْم الجبل بمَضيق الوادى حتى يمرّ عليه جنود الله". فقلت : يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجلٌ يحبّ الفخر، فاْجعلْ له شيئا يكون فى قومه . فقال : "نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمنٌ ومن دخل المسجد فهو آمنٌ ومن أغلَق عليه بابَه فهو آمنٌ". فخرجتُ به حتى أجلستُه عند خَطْم الجبل بمَضيق الوادى، فمرّت عليه القبائل، فجعل يقول: مَنْ هؤلاء يا عباس؟ فأقول: سُلَيْمٌ، فيقول: مالى ولسُلَيْم! ثم تمرّ به قبيلة فيقول : من هؤلاء؟ فأقول : أَسْلَم، فيقول : مالى ولأَسْلَم! وتمرّ به جُهَيْنة فيقول : من هؤلاء؟ فأقول : جهينة، فيقول : مالى ولجهينة! حتى مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخَضْراء، كَتِيبةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار فى الحديد لا يُرَى منهم إلا الحَـدَقُ، فقال: مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقلتُ : هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار، فقال : يا أبا الفضل، لقد أصبح مُلْك ٱبن أخيـك عظيماً . فقلت : ويحك ! إنها النبوّة ، قال : نعم إذًا . فقلتُ : اِلْحَق الآن بقومك فحذِّرْهم . فخرج سريعاً حتى أتى مكةَ فصرَخ فى المسجد : يا معشرَ قريش ، هذا محمدٌ قد جاءكم بما لا قِبَـل لكم به . قالوا : فَمَـهْ! قال : مَنْ دخل دارى فهو آمن . فقالوا : ويحـك ما تُغْنى عنّا دارُك! قال : ومن دخل المسجدَ فهو آمن ومن أغلق عليه بابَه فهو آمن .

بعض ما أسند إليه من أخبار تدل على عدم إخلاصه

حدّثنا محمـد بن جرير وأحمد بن الجَعْد قالا حدّثنا محمد بن حُمَيـد قال حدّثنا سَلَمةُ بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبّاد عن عبد الله بن الزبير قال :

لمّـا كان يومُ اليَرْموك خلّفنى أبى ، فأخذتُ فرسًا له وخرجتُ، فرأيتُ جماعةً من الخلفاء فيهـم أبو سفيان بن حرب فوقفتُ معهـم ، فكانت الرومُ إذا هزَمَتِ المسلمين قال أبو سفيان : إيه بَنى الأصْفَر، فإذا كشفَهم المسلمون قال أبو سفيان:

وبَنُو الأصفر الكرامُ ملوكُ الرُّوم لم يبق منهم مَذْكورُ

فلما فتح الله على المسلمين حدّثتُ أبى فقال : قاتله الله ! يأبَى إلّا نفاقًا ، أوَلَسْنا خيرًا له من بنى الأصفر ! ثم كان يأخذ بيدى فيطوف على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : حدِّثيهم ، فأُحدِّثهم فيتعجبون من نفاقه .

حدّثنى أحمد بن الجَعْد قال حدّثنى آبن حميد قال حدّثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال :

دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كُفَّ بصرُه ، فقال : هل علينا من عَيْن ؟
٩٩/٦ فقال له عثمانُ : لا . فقال : يا عثمان ، إن الأمر أمرُ عالَمِيّة ، والملكَ ملكُ جاهليّة ، فاجعل أوتاد الأرض بَنِي أُميّة .

حدّثنى محمد بن حَيّان الباهلىّ قال حدّثنا عمر بن علىّ الفَلّاس قال حدّثنا سهل آبن يوسف عن مالك بن مِغْوَل[1] عن أشعث بن أبى الشَّعْثاء عن مَيْسَرة الهَمْدانىّ عن أبى الأَبْجَر الأكبر قال :

جاء أبو سفيان الى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : يا أبا الحسن ، ما بال هذا الأمر فى أضعف قريش وأقلّها ! فوالله لئن شئتَ لأملأنّها عليهم خيلًا ورَجْلا . فقال له علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : يا أبا سفيان ، طالما عادَيْتَ اللهَ ورسولَه صلى الله عليه وسلم والمسلمين فما ضرّهم ذلك شيئًا ، إنّا وجدنا أبا بكر لها أهلًا .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال أنشدنى آبن عائشة لأبى سفيان بن حرب لمّا ولى أبو بكر قال :

(١) كذا فى التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال . وهو مالك بن مغول البجلى أبو عبد الله أحد علماء الكوفة وعبادها توفى سنة تسع وخمسين ومائة . وفى ب ، ص ، ح : « معول » بالعين المهملة . وفى سائر الأصول : « معاوية » وكلاهما تحريف .

وأضحت قريش بعد عزّ ومَنْعةٍ * خُضُوعًا لتيمٍ(١) لا بضربِ القواضبِ
فيا لهف نفسى للذى ظَفِرتْ به * وما زال منها فائزًا بالرّغائب

وحدّثنى أحمد بن الجعد قال حدّثنى محمد بن حُمَيد قال حدّثنا جرير عن عمرو ابن ثابت عن الحسن قال :

لمّا ولى عثمانُ الخلافةَ، دخل عليه أبو سفيان فقال : يا معشر بنى أُميّة ، إن الخلافةَ صارت فى تَيْمٍ وعَدِىّ(٢) حتى طمِعتْ فيها ، وقد صارت إليكم فتلقّفوها بينكم تَلقُّفَ الكُرَة ، فوالله ما من جنّة ولا نار — هذا أو نحوه — فصاح به عثمان: قُمْ عنّى فعل الله بك وفعل . ولأبى سفيان أخبارٌ من هذا الجنس ونحوه كثيرةٌ يطول ذكُرها، وفيما ذكرتُ منها مَقْنَع(٣) .

شعره فى ابن مشكم حين نزل عليه فى غزوة السويق

والأبياتُ التى فيها الغناء يقولها فى سَلَّام بن مِشْكَم اليهودىّ ويُكنى أبا غُنْم، وكان نزل عليه فى غزوة السَّويق، فقَرَاه وأحسن ضيافته . فقال أبو سفيان فيه :

سقانى فروّانى كُمَيْتًا مُدامةً * على ظمأٍ منّى سَلَامُ بن مِشْكَمِ
تخيّرتُه أهلَ المدينة واحدًا * سواهم فلم أُغْبَن ولم أتندّمِ
فلمّا تقضّى الليلُ قلتُ ولم أكن * لأُفرِحَه أبشِرْ بعُرف ومَغْنَمِ
وإنّ أبا غُنْم يجود ودارُه * بيثربَ مأوى كلّ أبيضَ خِضْرِمِ(٤)

(١) هو تيم بن مرة بن كعب، وبه سميت القبيلة التى ينسب إليها أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه .

(٢) هو عدى بن كعب بن لؤى بن غالب، وبه سميت القبيلة التى ينسب إليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٣) الثابت فى التاريخ الصحيح أن أبا سفيان أسلم وحسن إسلامه . فلعل هذه الأخبار ونحوها مما كان يفتريه الشيعة على معاوية وآل معاوية للنيل منهم والكيد لهم .

(٤) الخضرم : الجواد الكثير العطية، مشبه بالبحر الخضرم وهو الكثير الماء .

خبر غزوة السويق ونزوله على ابن مشكم

ذكر الخبر عن غزوة السَّوِيق ونزول أبى سفيان على سَلَّام بن مِشْكَم

كانت هذه الغَزاةُ بعد وقعة بَدْر . وذلك أن أبا سفيان نَذَر ألّا يمسّ رأسه ماء من جَنابة ولا يشربَ خمرًا حتى يغزو رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . فخرج فى عِدّة من قومه ولم يصنع شيئا، فعيّرته قريشٌ بذلك وقالوا : إنما خرجتم تشربون السَّوِيق[1]، فسُمّيت غزوةَ السَّوِيق[2] .

حدّثنا محمد بن جرير، قرأتُه عليه، قال حدّثنا محمد بن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمة ابن الفضل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رُومان عن عبيد الله بن كعب بن مالك — وكان من أعلم الأنصار — قال :

كان أبو سفيان حين رجع إلى مكة ورجع قبل قريش من بَدْر، نذر ألّا يمسّ ماءً من جنابة حتى يغزو محمدًا صلى الله عليه وسلم . فخرج فى مائتى راكب من قريش ليُبِرّ يمينه ، فسلَك النَّجدية حتى نزل بصدر قَناة إلى جبل يقال له تَيْت[3]
١٠٠/٦ (من المدينة على بريد أو نحوه) ثم خرج من الليل حتى أتى بَنِى النَّضِير تحت الليل، فأتى حُيَيّ بن أخْطَب بيَثْرب فدقّ عليه بابَه فأبى أن يفتح له وخافه ؛ وانصرف

---

(١) السويق : شراب يتخذ من الحنطة والشعير . (٢) الذى فى السيرة لابن هشام (ج ٢ ص ٥٤٤) : « وإنما سميت غزوة السويق — فيما حدثنى أبو عبيدة — لأن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق ، فسميت غزوة السويق » . (٣) تيت : ضبط فى القاموس وشرحه كميت (أى بسكون الياء وبتشديدها مكسورة) . وضبط فى ياقوت بالقلم بتشديد الياء مفتوحة . ومنهم من قال : « تَيَب » بالتحريك وآخره باء موحدة ، جبل قريب من المدينة على سمت الشام ، وقد يشدّد وسطه للضرورة . (راجع معجم البلدان لياقوت والقاموس وشرحه مادة تيت) .

إلى سَلّام بن مِشْكَم — وكان سيّدَ بنى النَّضِير فى زمانه ذلك وصاحبَ كَنْزهم — فاستأذن عليه فأذِن له، فقَراه وسقَاه ونظر له خبرَ الناس . ثم خرج فى عقِب ليلته حتى جاء أصحابه ؛ فبعث رجالًا من قريش إلى المدينة ، فأتَوْا ناحيةً منها يقال لها العُرَيْض ، فحرَقوا فى أَصْوارٍ (١) من نخل لها، وأتوا رجلا من الأنصار وحليفًا له فى حَرْث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين . فنذِر بهم الناسُ (٢) ؛ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم حتى بلغ قَرْقَرةَ الكُدْر (٣)، ثم انصرف راجعًا وقد فاته أبو سفيان وأصحابُه، وقد رأَوْا من مَزاوِد القوم ما قد طرحوه فى الحرث يتخفّفون منه للنَّجاء . فقال المسلمون حين رجَع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنطمَع أن تكون غزوةً؟ قال "نعم" . وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهّز خارجًا من مكة إلى المدينة أبياتًا من شعر يحرِّض فيها قريشا فقال :

كُرّوا على يَثْرِبٍ وجمعِهمُ * فإنّ ما جمَعوا لكم نَفَلُ
إن يك يومُ القَلِيب (٤) كان لهم * فإنّ ما بعده لكم دُوَلُ
آليتُ لا أقرَبُ النساءَ ولا * يَمَسّ رأسى وجلدىَ الغُسُلُ
حتى تُبِيدوا قبائلَ الأَوْسِ وآلـ * ـخَزْرَجِ إن الفؤاد مُشْتعِلُ

فأجابه كَعْبُ بن مالك :

يالَهْفَ أمّ المسبَّحينَ (٥) على * جيشِ ابن حرب بالحَرّة الفَشِلِ (٦)

(١) كذا فى حـ والسيرة لابن هشام والطبرى (ق ١ ص ١٣٦٥) . وقد ورد هذا الخبر فى شرح القاموس واللسان (مادة صور) ومعجم ياقوت فى الكلام على عريض هكذا : «أن أبا سفيان بعث رجلين من أصحابه فأحرقا صورا من صيران العريض» . والصور : الجماعة من النخل . وقيل : النخل الصغار . وفى سائر الأصول : «فحرقوا أسوارا من نخل» بالسين المهملة وهو تحريف . (٢) نذر : علم . (٣) قرقرة الكدر : موضع على ستة أميال من خيبر . (٤) هو قليب بدر (انظر الكلام عليه فى غزوة بدر فى هذا الكتاب ج ٤ ص ١٧٠ من هذه الطبعة) . (٥) كذا فى الطبرى وابن الأثير . وفى الأصول : «المسجين» . (٦) الفشل : الضعيف الجبان .

أتطرحون الرجالَ من سَنَمِ الظَّهـر تَرَقَّى في قُنَّـة الجبـل
جاءوا بجَمْـعٍ لو قِيس مُعْرَسُه * ما كان إلا كمُعْرَس الدُّئِـل[1]
عارٍ من النصر والثراء ومِنْ * نجْدة أهل البَطْحاء والأَسَـل

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال أخبرنا الحارث بن أبي أُسامة قال حدّثنا سليمان بن سعد عن الواقديّ :

أن غَزْوة السَّوِيق كانت في ذي القعدة من سنة ثِنْتين من الهجرة .

اشتد قيس بن الخطيم على حسان وهم يشربون عند ابن مشكم فانتصر ابن مشكم لحسان

حدّثني عمّي قال حدّثنا الحارث بن أبي أُسامة قال حدّثنا ابن سعد عن الواقديّ عن أبي الزِّناد عن عبد الله بن الحارث قال :

شرب حسّان بن ثابت يومًا مع سَلّام بن مِشْكَم، وكان له نديمًا، معهم كعبُ بن أسد وعبد الله بن أُبَيّ وقيسُ بن الخَطيم ؛ فأسرع الشرابُ فيهم وكانوا في مُوادَعة وقد وضعت الحربُ أوزارَها بينهم . فقال قيس بن الخطيم لحسّان : تعَالَ أُشارِبْك ؛ فتشارَبا في إناء عظيم فأبقى حسّانُ من الإناء شيئًا ؛ فقال له قيس : اشرب . فقال حَسّان وعرَف الشرّ في وجهه : أو خيرًا من ذلك أجعلُ لك الغَلَبةَ . قال : لا ! إلّا أن تشربه ؛ فأبى حسّان . وقال له سَلّام بن مِشْكَم : يا أبا يزيد، لا تُكرهه على ما لا يَشتهي ، إنما دعوتَه لإكرامه ولم تدْعُه لتَستخِفّ به وتُسيءَ مجالستَه . فقال له قيس : أفتدعوني أنت على أن تُسيء مجالستي ! فقال له سَلّام : ما في هذا سوءُ مجالسة ، وما حملتُ عليك إلّا لأنك منّي وأنّي حليفك، وليست عليك غضاضةٌ في هذا، وهذا رجلٌ من الخزرَج قد أكرمتُه وأدخلتُه منزلي؛ فيجب أن تُكرم لي من أكرمتُه . ولعمري

١٠١/٦

(١) المعرس : الموضع الذي يعرس فيه (ينزل) . والدئل : دويبة كالثعلب ، وقيل : هي شبيهة بابن عرس . وفي الطبري (ق ١ ص ١٣٦٦) : « كمفحص الدئل » .

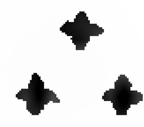
إن فى الصحو لمَا تكتفُون به من حروبكم، فافترقوا . وآلى سَلّامُ بن مِشْكم على نفسه ألّا يشرب سنةً، وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريمًا .

صـــوت

من المـائة المختـارة

مَنْ مُبلغ عنّى أبا كاملٍ * أنّى اذا ما غاب كالمـاِمل
قـد زادنى شوقًا إلى قربه * مَعْ ما بدا من رأيه الفاضل

الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لأبى كامل . ولحنُه المختار من الثقيـل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حَبَش أن لأبى كاملٍ فيـه أيضا لحنًا من خفيف الثقيل الثانى بالوسطى .

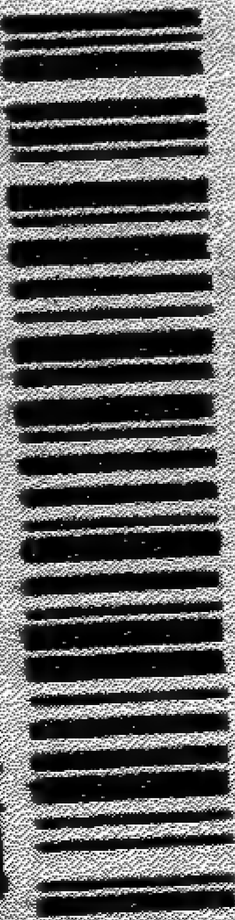


انتهى الجـزء السادس من كتاب الأغانى

ويليه الجزء السابع

وأوّله أخبار الوليـد بن يزيد ونسبه

Bibliotheca Alexandrina


0488352